#20

برنار فيربير

يومُ النّمل

30.9.2018



رواية

ترجمة: أيف كادوري - حازم عبيدو

برنار فيربير

يومُ النّمل

ترجمها عن الفرنسية :

أيف كادوري - حازم عبيدو



يومُ النّمل



Author: **Bernard Werber**

اسم المؤلف: برنار فيربير

Title: **Le Jour des fourmis**

عنوان الكتاب: يومُ النّمل

Translate from French: **Ève Cadoret - Hazem Obedo**

ترجمها عن الفرنسية: أيف كادوري – حازم عبيدو

Cover Designed by: **Majed Al-Majedy**

تصميم الغلاف: ماجد الماجدي

P.C.: **Al-Mada**

الناشر: دار المدى

First Edition: **2017**

الطبعة الأولى: 2017



للإعلام والثقافة والفنون

Al-mada for media, culture and arts

بغداد: حي ابو نؤاس - محلة 102 - شارع 13 - بناية 141
Iraq/ Baghdad- Abu Nawas-neigh. 102 - 13 Street - Building 141
www.almada-group.com email: info@almada-group.com
+ 964 (0) 770 2799 999
+ 964 (0) 770 8080 800
+ 964 (0) 790 1919 290

بيروت: الحمرا- شارع ليون- بناية منصور- الطابق الأول
dar@almada-group.com
+ 961 706 15017
+ 961 175 2616
+ 961 175 2617

دمشق: شارع كرجية حداد- متفرع من شارع 29 أيار
al-madahouse@net.sy
ص.ب: 8272
+ 963 11 232 2276
+ 963 11 232 2275
+ 963 11 232 2289

إلى كاترين

كُلّ شيء في الواحد (إبراهيم).
كُلّ شيء هو الحبّ (يسوع المسيح).
كُلّ شيء اقتصاديّ (كارل ماركس).
كُلّ شيء جنسيّ (سيغموند فرويد).
كُلّ شيء نسبيّ (ألبير أينشتاين)
وماذا بعد؟ ...

إدمون ويلز،
موسوعة العلم النسبيّ والمطلق

الأركانا الأولى:

أسيادُ الصّباح المُبكر

1. بانوراميّ

أسْوَد.

مضَى عامٌ. تُومِضُ النّجُومُ، في سماءٍ بلا قمرٍ من ليلِ آب. تتَبدّدُ الظّلُمات أخِيراً، وينبثِقُ ضِياء. تُرخي شالاتُ السّديمِ هالتَها على غابة فونتينبلو. عمّا قريب سوفَ تُبعثرها شمسٌ أرجوانيّةٌ كبيرة. بتأثيرِ الطّلِّ كلُّ شيءٍ آخذٌ بالتّلألؤ. شِباكُ العنكبُوتِ استحالَتْ مُطرّزاتٍ بِدائيّةً من لؤلؤٍ بُرتقاليِّ اللّون. سوفَ يُصبِحُ الجوّ حارّاً.

مخلوقاتٌ ضئيلةٌ ترتَعِشُ تحتَ الأغصان. فوقَ الأعشابِ، بينَ السّراخس. في شتّى الأرجاءِ. أعدادٌ لا تُحصَى من كافّةِ الأصناف. فيما الطّلُّ، الرَّحيقُ الصّافي، يُنظّفُ هذهِ الأرضَ التي ستَدورُ عليها أحداثُ أغرَبِ مُغامرة...

2. ثلاثُ جاسُوساتٍ في القلبِ

فلنتقدّم، بسُرعةٍ.

الأمرُ المُعطَّرُ واضحٌ: لا وقتَ يُهدرُ في ملاحظات لا طائلَ منها. الهيئاتُ الثّلاثُ الدّاكنةُ تغُذّ الخُطا عبرَ المَمَرّ السّرّي. تلكَ التي تسيرُ على السّقفِ تجرُّ بلا مُبالاة حواسَّها بمُحاذاة الأرض. يُطلَبُ منها النّزُولُ، لكنّها تؤكّدُ أنّها أفضَلُ على هذه الحالَ: الرأسُ مُنكّسٌ للأسفلِ. إنّها تُحبّذُ رؤيةَ الحقيقةِ مقلُوبةً.

في المُحصّلة، لا يُصرُّ أحدٌ عليها. لِمَ لا؟ ينعطفُ الثّلاثيّ مُندفعاً في قناة أضيقَ. يتفحّصْنَ أدقّ زاوية قبلَ المُجازفةِ بأيّةِ خطوةٍ. كلّ شيءٍ يبدُو هادئاً حتّى اللّحظةِ، إلى درجةٍ تُثيرُ الرّيبةَ.

ها قد وصلنَ إلى قلبِ المدينة، في منطقةٍ لا بدّ أنّها تخضَعُ لحِرَاسة مُشدّدَة. خطواتهنّ تقصرُ. لا تلبثُ جُدرانُ الرّواقِ أن تُصبحَ أكثرَ نعومةً. يتزحلقنَ على مِزَقِ أوراقٍ مَيْتةٍ. خوفٌ مُبهمٌ يجتاحُ جميعَ عروقِ هياكلهنّ الصّهباء.

ها إنّهنّ في القاعَة.

يشتَممْنَ الرّوائحَ. تعبَقُ روائِحُ الرّاتنجِ والكُزبَرةِ والفحمِ في المكانِ. لم يمضِ وقتٌ طويلٌ على اختراعِ هذه الحُجرةِ. في جميعِ مُدنِ النّملِ الأخرَى، لا تُستَخدمُ القاعاتُ إلا لتخزينِ الغذاءِ أو للاهتمامِ بالأفراخِ. إلّا أنّ أحداً بثّ اقتراحاً، في العامِ الفائتِ، قبلَ السُباتِ تماماً:

لا ينبغي أن نفقدَ أفكارَنا بعدَ الآن.

ذكاءُ القطيعِ يتجدّدُ بسُرعةٍ كبيرةٍ.

ولا بدّ أن ينتفعَ أطفالُنا بأفكارِ أسلافِنا.

مفهومُ تخزينِ الأفكارِ عندَ النّملِ كانَ جديداً بالمُطلقِ. ومع ذلكَ أثارَ حماسةَ الأغلبيّةِ العُظمَى من المُواطِنات. فأتت كلُّ واحدةٍ بدورها لتصبَّ فيرومُونات علمِها في إناءٍ مُكرّسٍ لهذهِ الغايةِ. ثمّ أُدرِجتْ هذهِ الفيرومُوناتُ وفقَ مواضيعِها.

منذُ تلكَ اللّحظةِ، جُمعَتْ كافّةُ معارفِهنّ في تلكَ الحُجرةِ الشّاسعةِ: «المكتبةُ الكيميائيّة».

رُغمَ التوتّرِ الذي يعتَريهنّ، تتقدّمُ الزّائراتُ الثّلاثُ مُنبهِراتٍ. تشنّجاتُ قُرونهنَّ تشي بانفعالاتِهنّ.

تصطفُّ حولهنّ أشكالٌ بيضويّةٌ مُشعّةٌ كلُّ ستّةٍ معاً، وترتفعُ فوقَ كلّ واحِدةٍ هالةٌ من أبخرةِ الأمونياك تمنَحُها هيئةَ بيوضٍ حارّةٍ. ولكنّ قشورَ البيوضِ الشفّافةِ هذه لا تنغلقُ على أيّةِ حياةٍ تنمو في جوفِها. إنّها محشُورةٌ داخلَ شوائبِها الرمليّةِ، ومُترعَةٌ بحكاياتٍ شمّيةٍ تتناولُ المئاتِ من المواضِيعِ المُبوّبةِ: تاريخُ ملِكاتِ سُلالةِ النّي، بيولوجيا شائِعةٌ، علمُ الحيوانِ (الكثيرُ من موادِ علمِ الحيَوانِ)، الكيمياءُ العضويّةُ، جغرافيةٌ أرضيّةٌ، جيولوجيةُ الطّبقاتِ الرمليّةِ الأرضيّةِ، استراتيجيّاتُ أشهرِ المعاركِ العارِمةِ، السّياسةُ الإقليميّةُ للعشرةِ آلافِ عامٍ الأخيرةِ. حتّى ثمّةَ أيضاً وصَفاتُ طبخٍ وخرائطُ للمناطقِ الأسوأ في المدِينةِ.

حركةُ قرونٍ.

بسُرعةٍ، بسُرعةٍ، لنُسرعْ، وإلّا...

بسُرعةٍ ينظّفْنَ أطرافَهنّ الحسيّةَ بمسَاعدةِ فُرشاةِ المئة شُعيرةٍ في أكواعِهنّ. ويقرّرنَ البحثَ في الكبسُولاتِ التي تتكدّسُ داخلها فيرومُونات الذّواكرِ. يلمسْنَ البيوضَ بالطّرفِ الحسّاسِ لسيقانِ قرونِهنّ بُغيةَ تمييزها على نَحوٍ أوضحَ.

فجأةً، تتجمّدُ إحدى النّمالُ الثّلاثُ. يبدُو أنّها التقطَتْ صوتاً. صوتٌ؟ يتبادَرُ لكلّ واحدةٍ أنهنّ سيُكتشفْنَ هذهِ المرّة.

ينتظرْنَ، مُضطرباتٍ. من يمكنُ أن يكونَ؟

3. عندَ آل سَالتا

- اذهَبْ وافتَح البابَ، لا بدّ أنّها الآنسةُ نوغار!

بسَطَ سيباستيان سالتا هيكلَهُ الطّويلَ وأدارَ مقبِضَ البابِ.

- صباحُ الخيرِ، قال.

- صباحُ الخيرِ، هل هوَ جاهزٌ؟

- بلى. إنّهُ جاهزٌ.

ذهبَ الإخوةُ الثّلاثةُ سالتا معاً لإحضارِ عُلبةٍ كبيرةٍ من البولسترين، وأخرجوا منها كُرةً زُجاجيّةً مفتوحةً من أعلاها وممتلئةً بحُبيباتٍ بُنّيةٍ.

انحنَى الجميعُ فوقَ الإناءِ، لم تستَطِع كارولين نوغار منعَ نفسِها من دسّ يدِها اليُمنَى داخلَ الكُرةِ. سالَ قليلٌ من الرّملِ الدّاكنِ بين أصَابِعها. شمّت هذه الحُبوبَ كما يُشمُّ بُنّ ذو نكهةٍ ثمينةٍ.

- هل تطلّبَ هذا جهُوداً كبيرةً منكم؟

- جدّاً، أجابَ الإخوةُ الثلاثةُ سالتا بصوتٍ واحدٍ.

وأضافَ أحدُهم:

- غيرَ أنّهُ كانَ يستَحقُّ العناءَ!

كانَ آلُ سالتا سيباستيان وبيار وأنطوان ضِخامَ الجُثث. طولُ واحِدهم يُقاربُ المِترينِ. جثَوا ليغرِزوا بدورِهم أصابِعَهم الطّويلةَ في الكُرةِ.

ثلاثُ شموعٍ مغروزةٍ في شمعَدانٍ مرتَفعٍ تُضيءُ المشهدَ الغريبَ بنورٍ أصفرَ مائلٍ إلى البُرتقاليّ.

وضعَتْ كارولين نوغار الكُرةَ داخلَ حقيبةٍ بعدَ أن غلّفتها بعنايةٍ بعدّةِ

طبقات من الإسفنجِ البلاستيكيّ. رمقَتِ العمالقةَ الثّلاثةَ وابتسَمَتْ لهم. ثمّ استأذنَت بصمتٍ وانصرَفتْ.

تنفّسَ بيار سالتا الصُّعداءَ:

- أعتقدُ أنّنا اقتربنا من هدَفنا هذهِ المرّةَ!

4. مُطارَدة.

إنذارٌ خاطِئٌ ليسَ سِوى طقطقةُ ورقةٍ يابسةٍ. تعودُ النّمالُ الثّلاثُ لاستكمالِ تحقيقاتِها.

يشتَمِمْنَ جميعَ الأواني الطّافحةِ بالمعلوماتِ السّائلةِ.

أخيراً، يجِدْنَ ما يبحثْنَ عنهُ.

من حُسنِ الطّالعِ لم يتكبّدنَ مشقّةً كبيرةً في إيجاده. أخذنَ الشيءَ الثّمينَ وناولنهُ إلى بعضهنّ بعضاً من أرْجُلٍ إلى أرْجُلٍ. إنّها بيضَةٌ مليئةٌ بالفيرومُونات ومغلقةٌ على نَحوٍ مُحكم بقطرةِ راتنجِ الصّنوبرِ. ما إن ينزعنَ الغطاءَ عنها، حتّى تُباغتُهنّ أُولَى الرّوائحِ وتعبَقُ بالأجزاءِ القرنيّةِ الأحدَ عشرَ.

يُحظّرُ فكُّ الرّموزِ.

رائِعٌ. ما مِنْ وسمٍ أفضَلُ. يُعِدْنَ وضعَ البيضَةِ ويُغرقنَ بنَهمٍ أقصَى أطرافِ قُرونهنّ.

يصعدُ النصُّ الشمّيُّ تعرّجاتِ أدمِغتهنّ.

يُحظّر فكُّ الرّموزِ

فيرومُون الذّاكرةِ رقم 81

الموضُوع: سيرة ذاتيّة

اسمي شلي-بو-ني.

أنا ابنةُ بيلو-كيو-كيوني.

أنا الملِكةُ 333 من ملِكاتِ سُلالةِ النيِ والبيّاضةُ الوحيدةُ لمدِينةِ بيل-أو-كان.

لم يكن هذا اسمي على الدّوام. قبلَ أن أكونَ ملكةً، كنتُ أميرةَ الرّبيعِ الرّقم 56. تلكَ كانت طبَقتي وذاكَ كانَ رقمُ البيضَةِ التي خرجتُ منها.

حينَ كنتُ صغيرةً كنتُ أظنّ بأنّ حدودَ مدِينةِ بيل-أو-كان هي حدودُ العالمِ. كنتُ أظنُّ، بأنّنا نحنُ، النّملُ، الكائناتُ الحضاريّةُ الوحيدَةُ على الأرضِ. كنتُ أظنُّ أنّ الأرَضَةَ والنّحلَ والزنابير شُعوبٌ بدائيّةٌ لا تتقبّلُ عاداتنا بسبَبِ الجهلِ فحسب.

ظننتُ أنّ الأصنافَ الأخرى من النّمالِ مُنحلّةٌ وأنّ النّمالَ القزماتِ أصغرُ من أن تُقلقنا. كنتُ أعيشُ آنذاكَ مُغلقاً عليّ دوماً في جناحِ الأميراتِ العذَارى، داخلَ المدينةِ المُحرّمةِ. طمُوحي الوحيدُ لا يتعدّى أن أشبهَ أمي في يومٍ ما وأُشيّدَ، مثلها، فيدراليّةً سياسيّةً تستطيعُ مُقاومةَ الزّمنِ بكلّ ما تعنيهِ هذه الكلمةُ من معنًى.

إلى اليومِ الذي أتى فيه إلى مقصُورتي أميرٌ شابٌّ جريح، الرّقم 327، وقصّ عليّ حكايةً غريبةً. كانَ يؤكّدُ بأنّ رحلةَ صيدٍ استكشافيّةً قد سُحِقتْ بأكملِها من قبلِ سلاحٍ جديدٍ ذي مفعُولٍ مُدمّرٍ.

اتّجهَتْ شُكوكنا آنذاكَ صوبَ النّمالِ القزَماتِ، أعدائنا، وقد خُضنا ضدّهم معركةَ الخشخاشِ الكبيرةِ. التي كبّدتنا بضعةَ ملايينِ

من الجُنديّاتِ إلّا أنّنا انتصرنا. وهذا الانتصارُ كانَ بُرهاناً على خطئنا، فلم يكن بحوزةِ القزَماتِ أيُّ سلاحٍ سرّي وازنٍ.

أخذتنا الشكوكُ فيما بعدُ صوبَ الأرَضَة، أعدائنا التّاريخيّين. وقد أخطَأنا مُجدّداً. إذ أنّ مدينةَ الأرَضَةِ الكبيرةِ الشّرقيةَ تحوّلت إلى شبحِ مدينةٍ. غازُ كلور غريبٍ سمّمَ جميعَ سُكّانها. فبدأنا تحقيقاً آنذاكَ داخلَ مدينتنا واضطررنا إلى مُواجهةِ جيشٍ سرّي كانَ يعتقدُ أنّهُ يحمي الجماعةَ بمنعِ المعلوماتِ المُقلقةِ عنها. كانت تفوحُ من أولئكَ القاتلاتِ رائحةٌ أشبهُ برائحةِ الصّخرِ، وكانت تدّعي أنّها كانت تلعبُ دورَ الكريّاتِ البيضِ. مُشكّلةً رقابةً ذاتيّةً داخلَ مُجتمعنا. أدركنا وجودَ مناعاتٍ داخلَ جسمنا -مُجتمعنا مُستعِدّةٌ لفعلِ أيّ شيءٍ ليبقى الجميعُ على جهلِهم!

ولكن بعدَ الأوديسة الرّائعةِ للمُحاربةِ 103683 عديمةِ الجنسِ، فهمنا أخيراً ما كانَ يجري.

في الحافّةِ الشّرقيةِ للعالمِ يوجدُ...

إحدى النّمالِ الثّلاث أوقفَت القراءةَ. بدا لها أنّها شعَرت بحضُورِ أحدٍ ما. تختَبئُ المُتمرّداتُ، مُترقّباتٍ. لا شيءَ يتحرّكُ. ينتصِبُ قرنٌ خجولٌ فوقَ مخبئهنّ، بعدَ قليلٍ تحذو حذوَهُ خمسَةُ قرونٍ أخرَى.

الأطرافُ الحسيّةُ الستّة تتحوّلُ إلى راداراتٍ وتهتزُّ بسُرعةِ 18000 ذبذبة/ثانية. تُميّزُ مُباشرةً كافّةَ الرّوائحِ المُحيطَة.

إنذارٌ خاطِئٌ مُجدّداً. ما مِنْ أحدٍ في الجوارِ. فيستأنفْنَ فكَّ رموزِ الفيرومُونِ:

في الحافّةِ الشرقيةِ للعالمِ توجدُ قُطعانٌ من حيواناتٍ مُتعمْلقةٍ لألفِ ضِعفٍ.

تأتي الأساطيرُ النّمليّةُ على ذكرِهم بعباراتٍ شاعريّةٍ. رغمَ أنّهم بعيدُونَ كلَّ البُعدِ عن أيّةِ شاعريّةٍ.

كانت تحكي لنا المُربّياتُ عن وجودِهم كيما نرتَعدَ خوفاً بقَصصِهم المُرعبةِ. إنّهم يفُوقونَ أيَّ رُعبٍ.

حتّى ذلكَ الوقتِ لم أكن أُصدّقُ قطُّ حكاياتِ الوحُوشِ العمالقةِ، حُرّاسُ حوافِّ الكوكبِ الأرضيِّ الذينَ يعيشُونَ كلَّ خمسةٍ في قطيعٍ. كنتُ افكّرُ أنّها قِصصٌ مُختلَقةٌ موجّهةٌ للأميراتِ العذارى والسُذّجِ.

الآن أعلمُ أنّهم موجُودونَ بالفعلِ.

كانوا هم المسؤولونَ عن تدميرِ أوّلِ رحلةِ صيدٍ استكشاقيةٍ.

كانوا هم المسؤولونَ عن الغازاتِ التي سمّمت مدينةَ الأرَضَةِ، والحريقِ الذي خرّبَ بيل-أو-كان وحتّى قتلُ أمّي، كانَ مسؤوليّتهم هم أيضاً.

إنّهم: الأصَابِعُ.

كنتُ أريدُ تجاهُلَهم. ولكنّ ذلك لم يعد مُمكناً بعدَ الآن.

في كلّ مكانٍ في الغابةِ، نكتشِفُ وجُودَهم.

تؤكّدُ تقاريرُ المُستطلعاتِ أنّهم يقتربونَ يوماً بعدَ الآخرِ من عالمِنا وبأنّهم في غايةِ الخُطورةِ.

لهذا السبب أخذتُ اليومَ قراراً وهو أن أُقنعَ شعبي بالقيامِ بحملةٍ

ضدَّ الأصَابِعِ. ستكونُ حملَةَ استكشاقيَّة ضخمةَ مُدجّجةَ بالسّلاحِ مهمّتُها محوُ جميعِ أصَابعِ الأرضِ طالما لم يفتِ الأوانُ بعد.

من كثرةِ ما أربكتهنَّ الرّسالةُ احتجنَ إلى بُرهة لاستيعابِها. أرادتِ النّمالُ الثّلاثُ الجاسُوساتُ أن يعرفنَ. حسناً، الآنَ عرفنَ!

حمْلَةٌ ضدَّ الأصَابعِ!

يجبُ إنذارُ الآخرينَ بأيّ ثمنٍ. لو بوسعهنّ فقط أن يعرِفنَ أكثرَ حولَ هذا الموضُوعِ. يُعاودْنَ سويّةً إغراقَ قرونهنّ.

للقضَاءِ على تلكَ الوحُوشِ، أقدِّرُ أنّ يكونَ قوامُ هذهِ الحَملة ثلاثةً وعشرينَ فيلقَ مُشاةٍ هجوميّ، وأربعةَ عشرَ فيلقَ مدفعيّة خفيفة، وخمسَةً وأربعينَ فيلقَ قتالٍ للالتحامِ في شتّى أنواعِ الأراضي، تسعاً وعشرينَ فيلقَ...

الصّوتُ مُجدّداً. هذه المرّة، انقطعَ الشكُّ باليقينِ. أرضٌ جافّةٌ تُطقطقُ تحتَ مخلبٍ. ترفعُ المُتطفّلاتُ الثّلاثُ أطرافهنّ المُمرّغةِ بالمعلوماتِ السرّيةِ. كلُّ شيءٍ جرَى في غايةِ السّهولة. لقد وقعنَ في المصيدةِ. إنهنّ الآن على يقينٍ بأنّهُ لم يُسمح لهنّ دُخولَ المكتبةِ الكيميائيّة إلّا للإيقاعِ بهنّ فحسب.

تنثني أرجُلُهنّ مُستعداتٍ للقفزِ. فاتَ الأوانُ. الآخرونَ أصبَحوا هنا. لم يتسنَّ الوقتُ للمتمرّداتِ سوى أن يلتقطنَ القشرةَ التي تحوي فيرومُونَ الذّاكرةِ الثّمينِ ويهربنَ من ممرٍّ صَغيرٍ مُتقاطِعٍ.

يتردّدُ الإنذارُ بلغة شميّة عاميّة بيلوكانيّة. إنّهُ الفيرومُون الذي تركيبتهُ الكيميائيّة: «C8-H18-0». ردٌّ الفعلِ مُباشرٌ. وبَدأ يُسمَع من الآن احتكاك المئاتِ من أرجُلِ المُحارباتِ.

الدّخيلاتُ يهربنَ، بطونُهنّ لِصْقَ الأرضِ. سيكونُ مؤسِفاً أن يمتنَ في هذا المكانِ فهنّ المُتمرّداتُ الوحيداتُ اللائي استطعنَ دخولَ المكتبةِ الكيميائيّةِ ونجحنَ في فكّ رموزِ الفيرومُونِ الذي يُرجّحُ أنّهُ الأهمُّ للملكةِ شلي-بو-ني!

تجري المُطاردَةُ عبرَ ممرّاتِ المدينة. كما لو أنّهُ سباقُ زلّاجاتٍ جماعيّ. لفرطِ اندفاعِ النّمالِ يُفلحنَ في اتّخاذِ مُنعطَفاتٍ عموديّةٍ مع الأرضِ.

أحياناً، بدلاً من النّزولِ يندفعنَ مُسرعات على السّقفِ. مع التّسليمِ بأنّ فكرةَ الفوقِ والتحتِ تظلُّ نسبيّةً في عُشّ نملٍ. بوجودِ المخالبِ، يمكنُ السّيرُ والركضُ حتّى في شتّى الاتّجاهاتِ.

تفرُّ سيّاراتُ السّباقِ ذواتُ الأرجُلِ الستِّ بسرعةٍ مُدوّخةٍ. يندفعُ ديكورُ المكانِ نحوهنَّ.

آخذاً بالعُلوّ والهبُوطِ والدّورانِ. الهارباتُ والمُطارِداتُ يَقفزنَ فوقَ هَاويَةٍ. يَجتازُها الجميعُ بمشقّةٍ باستثناءِ واحدةٍ تتعثّرُ وتسقُطُ.

يَظهَرُ قناعٌ لامعٌ أمامَ المُتمرّدةِ الأولى. لا يتسنّى لها الوقتُ لتدركَ ما الذي يحصُلُ لها. ينتَصِبُ تحتَ القناعِ طرفُ بطنٍ محشوّاً بحمضِ النّمليكِ. الرّشقُ المُلتهبُ يحوّلُ النّملةَ مُباشرةً إلى عجينة رخوة. النّملةُ الثّانيةُ، في حالةٍ من الذّعرِ، تدُورُ على أعقابِها عائِدةً وتندَفعُ داخلَ معبرٍ جانبيّ.

فلنتفرّق! صرَخَت بلُغتها الشّميّةِ. ستّةُ أرجُلٍ تحرثُ الأرضَ بعمقٍ.

تتبدّدُ الطّاقةُ. تظهرُ جُنديّةٌ على جانِبها الأيسرِ. من فرطِ سُرعتِهما تعجَزُ المُحاربةُ عن التقاطِ فريسَتيها بفكّيها، أو توجيهِ طَلْقٍ حمضيّ. فتدفعُها إذاً محاولةَ هرسَها بقوّةٍ على الجِدارِ.

تصطَدِمُ الدّروعُ مُحدثةً صوتاً مكتوماً. كلتا النّملتينِ، المُندفعَتينِ بسرعةِ 0.1 كم/سا داخلَ الممرّاتِ الضّيّقةِ في عشّ النّملِ، تُكيلانِ لبعضِهما ضرَباتٍ عنيفَةً. وتُحاولانِ عرقلةَ بعضِهما، وهُمَا تَغرُزانِ بعضاً بالرأسينِ المُدبّبينِ لفكّيهما.

من شدّةِ سُرعتِهما لا تلحَظُ أيٌّ منهُما أنّ الممرَّ آخذٌ بالضّيقِ، لدرجةِ أنّ المُطارَدةَ والمُطارِدةَ، وهما مُندفعتانِ فجأةً في رواقٍ على هيئةِ قمعٍ، تصطَدمانِ ببعضِهما. سيّارتا السّباقِ تنفَجرانِ سويّةً وتتطايرُ أشلاءُ الكيتينِ المُشظّى مُتناثِرةً على نطاقٍ واسعٍ. المُتمرّدةُ الثّالثةُ تندَفعُ، الأرْجُلُ على السّقفِ، والرّأسُ مُنكّسٌ إلَى الأسفلِ. تُسدّدُ مدفعيّةٌ نحوَها، وبطلقةٍ صائبةٍ، تُفجّرُ رِجْلَها الخلفيّةَ اليُمنَى. جرّاءَ الصّدمةِ، تُفلتُ الجاسُوسةُ الشكلَ البيضَويَّ الذي يحوي فيرومُونَ ذاكرةِ الملِكةِ.

تستَعيدُ إحدَى الحارساتِ الغَرضَ الذي لا يُقدّرُ بثمنٍ.

ترشُقُ أخرى عشرَ قطَراتٍ من الحمضِ تُسيِّلُ بها قرنَ النّاجيةِ. تُسفرُ الرّشقةُ عن أضرارَ في السّقفِ ممّا يُؤدّي إلى انهدامٍ يسدُّ المعبرَ مؤقّتاً.

بإمكانِ المُتمرّدةِ الصّغيرةِ أن تلتَقطَ أنفاسَها للحظَةِ لكنّها تعلمُ أنّها لن تقدرَ على الوصُولِ أبعدَ بكثيرٍ. إذ أنّ المُشكلةَ لا تقتَصرُ على فُقدانها رِجْلاً وقرناً، وإنّما أيضاً بالحارساتِ اللواتي لا بدّ أنّهنّ الآن يسدّنَ المَخارجَ جميعها.

سُرعانَ ما عادتِ الجُنديّاتُ خلفَها. تنهَمرُ طلقاتُ حمضِ النّمليكِ.

وتُنزَعُ رِجْلٌ أُخرَى، لكن من الأمامِ هذهِ المرّةَ. ومع ذلك تظلُّ تركضُ بالأرْجُلِ الأربَعِ المُتبقيّةِ لديها، تتمكّنُ من الانكماشِ داخلَ تجويفِ الممرّ.

تُسدّدُ إحدَى الحارساتِ نحوَها، غيرَ أنّ المجروحةَ لا يزالُ لديها حمْضٌ أيضاً. فتُسارعُ لليّ بطنِها، واضعةً نفسها في وضعيّةِ الرّمي وتُصوّبُ المُحاربةَ. إصَابةٌ مُحقّقةٌ! كانتِ الأُخرَى أقلَّ مهارةً، فلم تستَطع إلّا أن تبترَ لها رِجْلها الوسطى اليُسرَى. لم يبقَ سِوى ثلاثةِ أرْجُلٍ. تلهثُ النّملةُ الجاسُوسةُ الأخيرةُ وهي تعرُجُ. ينبَغي عليها النّجاةُ من هذا الفخّ وأن تُبلّغَ باقي المُتمرّداتِ عن الحملَةِ ضدَّ الأصَابِعِ.

مرّت من هنا، من هنا، بثّت الجُنديّةُ التي عثَرت على جثّةِ المُبارِزةِ محروقةً.

كيفَ يُمكنُ الخُروجُ من هنا؟ تدفُنُ النّاجيةُ نفسَها على قدرِ ما تستَطيعُ داخلَ السّقفِ. لن يخطُرَ للآخرين النّظرُ إلى الأعلى.

بالتأكيد السّقفُ هو المكانُ المثاليُّ لارتجالِ مخبأ.

لا تلتقطها الحارساتُ إلّا في العبورِ الثّاني، حينَ تُلاحِظُ إحداهنّ قطرةً تسيلُ من الأعلى. الدّمُ الشفّافُ للمُتمرّدةِ.

اللّعنةُ على الجَاذبيّةِ!

المُتمرّدةُ الثّالثةُ تُفلتُ ساقطةً بينَ الحصَى وتبدأ بصفعِ الجميعِ بأرجُلها المُتبقيّةِ وقرنها الوحيدِ الصّالح. تُمسكُ إحدَى الجُنديّاتِ برجلٍ لها وتلويها إلى أن تكسرَها. جُنديّةٌ أخرى تخرِقُ صدرَها برأسِ سيفِ فكّها. ومع ذلكَ تُحرّرُ نفسَها. تبقّى لديها رِجْلانِ تُجرجرُ بهما نفسَها، عارجَةً، غير أنّهُ ما من مهربٍ أخيرٍ. فكٌّ طويلٌ يخرجُ من

أحدِ الجُدرانِ ويقصِلُ رأسها وهي في ذُروةِ السّباقِ. تتقافزُ الجُمجمةُ ثمّ تتدحرَجُ على طولِ الرّواقِ المُنحدرِ.

بقيّةُ الجسَدِ ينجَحُ في التقدّمِ نحوَ عشرِ خطواتٍ قبلَ أن يُبطِئَ، يقفُ، ثمّ ينهارُ في نهايةِ المطافِ. تلمُّ الحارساتُ الأشلاءَ وترميها في مكبّ المدينة، فوقَ جُثّتي شريكتيها الأخريين. هذا هو جزاءُ من يُظهِرُ فضولاً زائداً!

الجُثث الثّلاثُ مُمدّدةٌ ومترُوكَةٌ، مثلَ دُمى مُتحرّكةٍ تكسّرتْ على نحوٍ مُؤسِفٍ قبلَ افتتاحِ العرضِ.

5. لقَدْ ابْتَدأ

صحيفة *إيكو دو ديمانش*[1]:

جريمَةُ قتلٍ ثلاثيّةٌ غامِضَةٌ في شارعِ فِزاندري

«اكتُشفت ثلاثُ جُثثٍ يومَ الخميسِ داخلَ مبنى في شارعِ فِزاندري، في فونتينبلو. ولا تزالُ الأسبابُ مجهولةً وراء موت سيباستيان وبيار وأنطوان سالتا، الإخوةُ الثّلاثةُ كانوا يقتسِمُونَ الشقّةَ نفسها.

«يتمتّعُ الحيُّ بسمعة جيّدة من النّاحية الأمنيّة. لم تُسرق أموالٌ أو أغراضٌ ثمينةٌ. لم تُلحظ أيّةُ آثارِ خلعٍ. ولم يُعثر في المكانِ على أيّ سلاحٍ يُمكنُ أن يكونَ قد استُخدمَ في الجريمة.

1- L'Écho du dimanche، وتعني بالعربيّة «صدى يوم الأحد». (جميع الحواشي من وضع المترجمَين.)

«التّحقيقُ، الذي يعِدُ بأن يكونَ دقيقاً، سُلّمَ إلى المُفوّض المعروف جاك ميليَس، من فريقِ قسم الجرائم في فونتينبلو. قد تكونُ هذه القضيّةُ الغريبةُ هي قصّةُ هذا الصّيفِ المُثيرةَ لمن تستَهويهم الألغازُ البوليسيّةُ. من مصلَحةِ المُجرمِ توخّي الحذَرِ. ل. و».

6. موسُوعة

حضرتُكَ مُجدّداً؟

اكتشفتَ إذاً مُجلّدي الثّاني من موسُوعةِ العلمِ النسبيّ والمُطلقِ.

كانَ الأوّلُ موضوعاً على منضَدة المعبد التحتَ أرضيّ بشكلٍ واضحٍ للعيان، أمّا هذا فقد تطلّبَ إيجادُهُ مشقّةً أكبرَ، أليسَ كذلك؟

أحسَنتَ.

من أنتَ بالضّبط؟ ابنُ أختي جُوناثان؟ ابنتي؟

لا، أنتَ لا هذا ولا ذاك.

مرحباً بكَ، أيّها القارئ المجهول!

بودّي التعرّفُ عليكَ على نحوٍ أفضلَ. أعلِنْ عن اسمكَ أمامَ صفحاتِ هذا الكتابِ، عن عُمركَ، جنسِكَ، مهنتِكَ، جنسيّتِكَ.

ما هي اهتماماتُكَ في الحياة؟

أين تجدُ مكامنَ قوّتكَ ومكامنَ ضعفكَ؟

أوه حسناً، غيرُ مهمّ. أنا أعرفُ من أنتَ.

أشعرُ بيديكَ اللتينِ تُداعبُ صَفحاتي. إنّه إحسَاسٌ جميلٌ جدّاً بالمُناسبة. على أطرافِ أصابعكَ أُخمّنُ، حيثُ تعرّجاتُ بصماتكَ، صفاتُكَ الأكثرُ سرّيةً.

كلُّ شيءٍ مُسجّلٌ عليها حتّى أدقّ جُزيئاتٍ لديكَ، وحتّى أنّني أُلاحِظُ جيناتِ أجدادِكَ عليها.

حين نتخيّلُ بأنّ الأمرَ لزم ألّا يموتَ آلافُ الناسِ هذه بعمرِ فتيّ. وأن يلتقوا ويَتجاذبوا إلى بعضِهم بعضاً، وأن يتزاوجوا وصولاً إلى ولادتِكَ!

اليومَ، لديّ شعورٌ أنّي أراكَ أمامي. لا، لا تبتَسم. ابقَ على طبيعتكَ. دعني أقرأْ داخلكَ على نحوٍ أعمقَ. أنتَ أكثرُ بكثيرٍ ممّا تتخيّلهُ.

أنت لستَ اسماً وكنيةً فحسب، لهما سيرةٌ اجتماعيّةٌ.

أنتَ 71 % ماءٌ نقيٌّ، و18 % كربون، و4 %آزوت، و2 % كالسيوم، و2 % فسفور، و1 % بوتاسيوم، و0.5 % كبريت، و0.5 % صوديوم، و0.4 % كلور. مع إضافةِ ملعقةٍ كبيرةٍ مُترعة من عناصرَ متنوّعة: مغنيزيوم، توتياء، منغنيز، نُحاس، يود، نيكل، بروم، فلور، سيليكون. ويُضافُ إلى ذلكَ رشّةٌ خفيفةٌ من الكوبالتِ والألومنيوم والموليبدنيوم والفناديوم والرصاص والقصدير والتيتانيوم والبورون.

ها هي وصفةُ وُجودكَ.

جميعُ هذه المواد الخامِ آتيةٌ من احتراقِ النّجوم ويمكننا أن نجدَها في مكانٍ آخرَ غيرِ جسدكَ. الماءُ في جسدكَ هو مُماثل لماءِ أيّ بحرٍ عاديّ. فوسفوركَ يجعلكَ مُتضامناً مع أعوادِ الثقاب. كلوركَ هو ذاتهُ المستخدَمُ في تعقيمِ المَسابحِ. ولكنّكَ لستَ هذا فحسب.

أنتَ كاتدرائيّةٌ كيميائيّةٌ، لعبةُ مركّبات عظيمة بمعاييرها، توازناتها، بالكاد يُمكنُ تصوّرُ تعقيدِ آلياتها. لأنّ جزئيّاتكَ هي ذاتُها مكوّنةٌ من ذرّاتٍ، جُسيمات، كواركات، فراغ، والكلّ مُرتبط بقوى كهرومغناطيسيّةٍ وتثاقليّةٍ والكترونيّةٍ، بدقّةٍ تتجاوزُ مداركَكَ.

لكن لا! أنتَ توصّلتَ إلى إيجادِ المُجلّد الثاني هذا، فذلكَ يعني أنّكَ حاذق وأنّهُ سبقَ لكَ معرفةُ الكثيرِ عن عالمي. ماذا فعلتَ بالمعارفِ التي قدّمها لكَ المُجلّد الأوّل؟ ثورة؟ تطوّر؟ لا شيءَ، بلا ريب.

إذاً اجلس الآنَ بشكلٍ مُريحٍ لتقرأَ على نحوٍ أفضل. اتّخذْ هيئةً مُستقيمةً، وتنفّس بهدوءٍ.

ابْسَط أساريرَ وجهكَ.

أصغِ إليَّ!

لا شيءَ مّما يُحيطُ بكَ في الزّمن والفضاء بلا طائلٍ. أنتَ لستَ بلا طائلٍ. حياتكَ العابرةُ لديها معنًى. لا تُفضي إلى مأزقٍ. كلُّ شيءٍ لهُ معنًى.

أنا الذي أتكلّمُ معكَ، في الوقتِ الذي تقرأني به، ديدانٌ تتلذّذني. ماذا أقولُ؟ أنا أُستخدَمُ سماداً لنبتاتٍ صغيرةٍ من الكُزبرةِ الخضراء الواعدةِ جدّاً. أبناءُ جيلي لم يفهَموا إلامَ كنتُ أرمي.

فاتَ الأوانُ بالنسبةِ لي. الشيءُ الوحيدُ الذي أستطيعُ تركَهُ، هو أثرٌ صغيرٌ... هذا الكتاب.

فاتَ الأوانُ بما يخصّني ولكنّ الأوانَ لم يفت بالنسبةِ لكَ. هل أنتَ جالسٌ بطريقةٍ مريحةٍ؟ استرخِ. لا تفكّر بأيّ شيءٍ سِوى الكونِ الذي أنتَ فيهِ لستَ أكثرَ من ذرّةِ غبارٍ.

تخيّل الوقتَ مُتسرّعاً. بفوت[2]، تُولَدُ، مقذوفاً من أمّكَ مثلَ نواةِ كرَزة.

2- من الكلمات الصوتيّة التي تحاكي صوت الفعل الذي تدلّ عليه، وتفهم في سياق الجملة. في هذه الفقرة: بفوت Pfout: تحاكي السرعة والمفاجأة. تشك، تشك Tchac، tchac: السرعة والشراهة. باف Paf: مباغتة مثل صفعة.

تشك، تشك، تلتهِمُ ملايين الألوان من الأطباق المُختلفة، مُحوّلاً في الوقت عينه أطناناً من النباتاتِ والحيواناتِ إلى غائطٍ. باف، أنت ميّتٌ.

ماذا فعلتَ بحياتكَ؟

لا يكفي، بلا ريب.

تصرّف! افعل شيئاً، ضئيلاً ربّما، ولكن بئسَ الأمر! افعل شيئاً بحياتكَ قبلَ أن تموتَ. أنتَ لم تُولد عبثاً. اكتشفِ السّببَ الذي وُلدتَ من أجلهِ. ما هي مهمّتُكَ الضئيلةُ؟

أنتَ لم تُخلَقْ مُصادفةً.

انتبِهْ.

إدمون ويلز،

موسُوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلّد الثاني.

7. تحوّلات

هي لا تحبُّ أن يُقالَ لها ما الذي يتوجّبُ فعلهُ.

اليسروعُ البدينةُ المُشْعرةُ، بألوانِها الخضراءِ والسوداءِ والبيضاءِ، تأخذُ بالابتعادِ عن ذاكَ اليعسُوبِ الذي بدأ بنُصْحِها أن تتوخّى الحَذرَ من النّمالِ، ماضيةً إلى طرفِ غُصنِ شجرةِ الدّردارِ.

تَزلقُ بواسطةِ الزّحفِ والتموّجِ. تضعُ أرجُلَها الستَّ الأماميّةَ في البدايةِ، ثمّ تلحقُ بها أرجُلُها الستُّ الخلفيّةُ بوساطةِ الحلقاتِ التي يُشكّلها جسَدُها.

بعدَ أن تصلَ نهايةَ رغْنِ الغُصنِ، تبصقُ اليسروعُ بعضَ اللّعَابِ

-الصّمغِ لتثبّتَ موخّرتَها ثمّ تتركُ نفسها تهبطُ، مُنكّسةَ الرأسِ نحوَ الأسفلِ.

هي سئمةٌ جدّاً. لقد انتهت حياتُها كيرقةٍ. آلامُها ستنتهي. هي الآن إمّا أنْ تتَحوّلَ أو تموتَ.

صَه!

ملتفّةً بشرنقةٍ مكوّنةٍ من حبل متينٍ من الكريستالِ المرنِ.

استَحالَ جسَدُها إلى قِدْر سحريّ.

انتظرتْ هذا اليومَ منذُ زمنٍ طويلٍ، منذُ زمنٍ طويلٍ. كم كانَ طويلاً!

تقسُو الشّرنقةُ وتصبحُ بيضاءَ. يُهدهدُ النّسَمُ هذه الفاكهةَ النّاصعةَ الغريبةَ. بعدَ بضعة أيّام، تنتفخُ الشّرنقةُ، كما لو أنّها توشكُ على التنهُّد. تنفُّسها يُصبحُ أكثرَ انتظّاماً. تهتزّ. خيمياءُ بكامله يحدثُ. تمتزجُ ألوانٌ هناكَ في الأسفلِ، مُكوّناتٌ نادرةٌ، نكهاتٌ حسّاسةٌ، عطورٌ مدهشةٌ، عصائرُ، هرمونات، صموغُ للكّ، شُحومٌ، حموضٌ، لحومٌ وحتّى قشُورٌ.

تتطابقُ الأشياءُ كلُّها وتتعايرُ بدقّة لا نظيرَ لها بغايةِ تصنيع كائنٍ جديد. ومن ثمّ، يتشقّقُ أعلى القشرةِ الخارجيّةِ. ويُطلُّ من الغلافِ الفضيّ قرنٌ خجولٌ فاكّاً التفافهُ الحلزونيّ.

الهيئةُ التي تخرجُ من نعشِها -المهدِ لم يعد لها أيّ مُشتَركٍ مع اليسروعِ الذي انبثَقتْ عنهُ.

إحدَى النّمالِ التي كانت تتجوّلُ في الجوارِ تابعَتْ هذه اللّحظةَ المقدّسةَ. في البدايةِ مسحورةً ببهاءِ التحوّلِ، ثمّ تحتكمُ إلى عقلها وتتذكّرُ أنّ هذه ليست أكثرَ من طريدةٍ. فتعدو على الغُصنِ من أجلِ قتلِ الحيوان الرائعِ قبلَ أن يلوذَ بالفرار.

الجسَدُ الرّطبُ للفراشة (أبو الهول) يُحرّرُ نفسَهُ بالكاملِ من البيضةِ الأصليّةِ. تُفرَدُ أجنحةٌ تتكشّفُ عن ألوانَ أخّاذة؛ وميضٌ من شالاتٍ هفهافة، حسّاسة وهشّةٍ ومستدقّة. وعلى أسنانِ الحوافِّ الدّاكنة تظهرُ أصبغةٌ مجهولةٌ: أصفر مشعٌّ، أسودُ مُصْمَتٌ، برتُقاليٌّ لمّاعٌ، قُرمزيٌّ، أحمرُ الزّنْجُفرِ وفحمٌ لؤلؤيٌّ.

تلوي النّملةُ الصيّادةُ بطنَها تحتَ صدرِها لتتّخذَ وضعيةَ الرّمي. عبرَ تصويبٍ بصَريّ وشمّي، واضعةً الفراشةَ في مرمَاها.

يلحَظُ أبو الهولِ النّملةَ. هو مسحورٌ أيضاً برأسِ البطنِ الذي يُسدّدُ نحوهُ رغمَ أنّه يعلمُ، أنّه من ذاكَ المكانِ، يُمكنُ أن ينبثقَ الموتُ. إلّا أنّهُ غيرُ مُستعدّ للموتِ. ليسَ الآن. سيكونُ الأمرُ مؤسفاً بالفعلِ.

أربعُ عيونٍ كرويّةٍ ترمقُ بعضَها بعضاً.

تتمعّنُ النّملةُ بالفراشة. إنّها فاتنةٌ، حقّاً، ولكن يجبُ تغذيةُ الأفراخِ باللّحمِ الطّازج. ليستِ النّمالُ جميعُها نباتيّةً، هيهاتَ أن يكنّ كذلكَ. تُخمّنُ النّملةُ بأنّ فريسَتها تستعدُّ للطيرانِ فتستبقُ حركتَها برفعِ عضوِ الرّمي. يستغلُّ ذكرُ الفراشة هذه اللّحظةَ ليُقلعَ. قذفةُ حمضِ النّمليكِ، مُنحرفةً تثقبُ جناحهُ، مشكّلةً ثقباً صغيراً كاملَ الاستدارة.

ينخَفضُ ذكرُ الفراشةِ قليلاً، يَصْفُرُ الهواءُ في ثُقبِ جناحه الأيمَن. النّملةُ راميةٌ ماهرةٌ وهي مقتنعةٌ بأنّها أصابتهُ. غيرَ أنّ الآخرَ يظلُّ يخفقُ في الهواءِ. أجنحتهُ التي لا تزالُ رطبةً تأخذُ بالجفافِ مع كلّ خفقة. يستَعيدُ ذكرُ الفراشةِ بعضَ الارتفاعِ، يُميّزُ في الأسفلِ شرنقتهُ دونَ أن يكتنفهُ أدنَى حنينٍ إليها.

لا تزالُ النّملةُ الصيّادةُ كامنةً. ترمي مُجدّداً. ورقةٌ مدفوعةٌ بحسنِ

المُصادفة من قِبلِ نسمة تلتقطُ القذيفةَ القاتلةَ. يدُورُ ذكرُ الفراشَةِ على جناحه ويبتعدُ، جَذلاً.

تُخفقُ الجُنديّةُ البيلوكانيّة 103683 في إصَابتها، والهدفُ أصبحَ بعيداً عن مُتناولها. تتأمّلُ ذكرَ الفراشةِ وهو يطيرُ ساهمةً وتحسدهُ للحظةِ. إلى أينَ هو ذاهبٌ؟ يبدُو مُتّجهاً صوبَ حافّة العالَم.

بالفعلِ، يختَفي أبو الهول في اتّجاه الشّرق. يطيرُ منذُ عدّةِ ساعاتٍ، وبما أنّ السّماءَ بدأتْ تميلُ للرماديّ، التقطَ ضوءاً من بعيدٍ وعلى الفورِ هرَعَ نحوهُ.

مأخوذاً بالسّحرِ، لم يبقَ أمامهُ سِوى هدف: أن ينضويَ إلى هذا الوضَحِ الرائعِ. واصلاً بسرعة كبيرةٍ إلى ما قَبلَ سنتمتراتٍ من النّبعِ المُضيءِ، يُضاعِفُ سُرعتهُ متلهّفاً لتذوّقِ النّشوةِ.

ها إنّهُ على مقربةٍ جدّاً من النّارِ. أطرافُ أجنحتهِ أوشكت على الاشتعالِ. لا يُبالي، يريدُ الغوصَ في هذا المكانِ، والتمتّعَ بهذهِ القوّةِ الحارّةِ. أن يذوبَ في هذه الشّمسِ. فهل سيتوهجُ بنارِها؟

8. فكّ مِيليَس لُغزَ موتِ آلِ سالتا

– لا؟

يستلُّ عِلْكة من جيبِه.

– لا، لا، لا. لا تسمَحوا للصحفيّينَ بالدّخولِ. أريدُ فحصَ الجُثث بهدوءٍ وبعد ذلكَ نرى، وأطفئوا شموعَ هذا الشّمعَدان! لماذا أُشعلَتْ أصلاً؟ آه، كانَ ثمّةَ عُطل كهربائيٌّ في العمارةِ؟ ولكنّ التيّارَ عادَ الآنَ، أليسَ كذلكَ؟ لذا، إذا سمحتُم لا داعيَ للمُجازفةِ باندلاعِ حريقٍ.

نفخَ شخصٌ ما على الشّموعِ. الفراشةُ التي بدأت أطرافُ أجنحتها تنشُّ نجحَتْ من الاحتراقِ في اللّحظةِ الأخيرةِ.

أخذَ المُفوّضُ يمضَغُ بصوتٍ مُرتفعٍ وهو يفتّشُ الشقّةَ في شارعِ فزاندري.

في بدايةِ القرنِ الواحدِ والعشرين هذا، أشياءُ قليلةٌ تلكَ التي تغيّرت عن القرنِ السّابقِ. ومع ذلك تطوّرت تقنيّاتُ علمِ الجريمةِ قليلاً. فباتت الجُثثُ بعدَ الآن تُغطّى بمادّةِ الفورمالين والشّمعِ المُزجّجِ للمُحافظةِ على وضعيّتها بدقّةٍ لحظةَ موتها. إذ تستَطيعُ الشّرطَةُ بذلكَ أن تأخذَ وقتها بدراسةِ مشهدِ الجريمةِ. الأسلوبُ عمليٌّ وأكثرُ جدوى من الخطوطِ العريضَةِ القديمةِ المرسُومةِ بالطبشورِ.

كانت الطّريقةُ مُحيّرةً بعضَ الشيءِ، لكن في النهايةِ اعتادَ المُحقّقونَ على تلكَ الضّحايا ذووي العيونِ المفتوحة، يُغطّي الشمعُ الشفّافُ بشرتَهم وثيابَهم بالكاملِ، مُتجمّدينَ كما في أوّلِ لحظةِ موتهم.

- من الذي وصلَ هنا أولاً؟

- المفتّشُ كايوزاك.

- إميل كايوزاك؟ أينَ هو؟ آه، في الأسفلِ... رائع، اطلبوا منهُ الانضمامَ إليّ.

تردّدَ شرطيّ شابّ:

- آاه حضرة المُفوّضِ... توجدُ صحفيّةٌ من صحيفةِ *إيكو دو ديمانش* تدّعي...

- من يدّعي ماذا؟ لا! لا صحفيّينَ الآن! أرسلوا بطلبِ إميل.

ذرعَ ميليّس الصّالونَ طولاً وعرضاً قبلَ أن يلتفتَ إلى سيباستيان

سالتا. ألصقَ وجههُ تقريباً بالوجه المُشوّهِ، بالعينينِ الجاحظتين، والحواجبِ المُرتفعة، وفتحتي الأنفِ المُتّسعتينِ، والفمِ الفاغرِ، واللّسان المُتدلّي. ميّزَ حتّى مُقوّماتِ الأسنانِ وبقايا وجبة طعامِهِ الأخيرةِ. لا بدّ أنّ هذا الرّجُلَ قد أكلَ فُستقاً وزبيباً.

التفتَ ميليَس فيما بعدُ إلى جسَدي الأخوَين الآخرَين. كانت عينا بيار في أقصَى جُحوظِهما، والفمُ فاغراً. الشّمعُ المُزجّجُ حافظَ على قشعريرةِ جلدهِ. أمّا بالنسبةِ لأنطوان كان وجههُ مشوّهاً بتكشيرةٍ مُرعبةٍ من الخَوفِ.

سحبَ المُفوّضُ من جيبهِ عدسَةً مُكبّرةً مُضيئةً وتفحّصَ بشرةَ سيباستيان سالتا. شُعيراتُ جلدهِ كانت مُتصلّبةً مثلَ الأوتادِ. هو أيضاً كانَ مُتجمّداً بحالةِ القشعَريرةِ.

هيئةٌ مألوفةٌ ارتسَمت أمامَ ميليَس. المُفتّشُ إميل كايوزاك. أربعونَ عاماً من الخدَماتِ الفعّالة والمُخلصة قدّمها إلى فريقِ البحثِ الجنائيّ في فونتينبلو. كانَ الرماديُّ قد بدأ الزّحفَ على صدغيه، لهُ شاربانِ مُدبّبانِ وبطنٌ مُطَمْئنٌ، كايوزاك رجلٌ هادئٌ وقد استطاعَ أن يُحققَ لنفسه مكانةً مرموقةً في المُجتمعِ. أمنيتهُ الوحيدةُ هي أن يصِلَ بسلامٍ، دونَ مشاكلَ، إلى التّقاعد.

– إذاً إميل أنتَ من وصلَ هنا أولاً؟

– تماماً.

– وماذا رأيت؟

– حسناً، كما رأيتَ أنتَ. وقد طلبتُ فوراً تزجيجَ الجُثثِ.

– فكرةٌ جيّدة. ما رأيكَ بما حدَث؟

- لا جروحَ، لا بصَمات، لا سلاحَ جريمة، لا إمكانيّةَ للدخولِ أو الخروجِ... إنّها قضيّةٌ معقّدةٌ، بلا ريبٍ، معدّةٌ على مقاسِكَ!

- شكراً.

كان المُفوّض جاك مِيليَس شابّاً، عمرُهُ لا يتجاوزُ الثانيةَ والثّلاثين، إلّا أنّهُ يتمتّعُ منذُ الآن بسُمعةِ شرطيّ مرمُوقٍ. لم يكن يكتَرِثُ بالإجراءاتِ المُعتادةِ وبوسعهِ إيجادُ حلولٍ مبتكرةٍ للقضايا الأكثرَ تعقيداً.

بعدَ أن أنهَى جاك مِيليَس دراساتٍ علميّةً معمّقةً، تركَ طريقهُ المهنيَّ اللامع كباحثٍ لكي يتّجهَ نحوَ ولعِهِ الأوحدِ: الجريمة. في البدايةِ، مجموعةُ كتبٍ دعتهُ إلى هذا السّفرِ في بلادِ إشاراتِ الاستفهام. كان مُتخماً بالقصصِ البوليسيّةِ. من القاضي تي[3] وصولاً إلى شارلوك هولمز، مروراً بميغريه[4]، هركيول بوارو[5]، دوبان[6] وريك ديكار[7]، كان متشبّعاً بثلاثةِ آلافِ سنةٍ من التّحقيقاتِ البوليسيّةِ.

3- القاضي تي (Juge Ti، بالفرنسيّة) شخصيّة بوليسيّة صينيّة معروفة من القرن الثامن عشر مأخوذة عن شخصية حقيقيّة عاشت في القرن السابع تدعى (Di Renjie، دي رنجي).

4- المفوّض جول ميغريه (Jules Maigret، بالفرنسيّة) الشخصيّة البوليسيّة التي ابتكرها الكاتب البلجيكي جورج سيمنون.

5- هيركيول بوارو (Hercule Poirot، بالفرنسيّة) الشخصيّة الرئيسيّة في العديد من روايات الكاتبة الإنكليزيّة أجاثا كريستي

6- المفوّض دوبان (Dupin، بالفرنسيّة) الشخصيّة البوليسية في روايات الكاتب الألماني يورغ بونغ (Jörg Bong، بالألماني) والتي وقّعها تحت اسم مستعار جان-لوك باناليك.

7- ريك ديكار (Rick Deckard، بالفرنسيّة) هو شخصيّة الشرطيّ في رواية «هل يحلم الآليّون بخراف كهربائيّة؟» للروائي الأمريكي فيليب ك. ديك.

هدفهُ الأسمَى حلُّ الجريمةِ المُكتملة، والتي تكادُ دوماً أن تتحقّقَ إلّا أنّها لم تحصُل قطّ. انتسبَ إلى معهدِ علم الجريمةِ في باريس، ليطوّرَ نفسهُ بطريقةٍ أفضل، وهناك شهدَ للمرّة الأولى تشريحَ جثّة حديثة (وحصلَ أوّلُ إغماءٍ له). تعلّمَ كيفَ يفتحُ قفلاً بمشبكِ شعرٍ، ويصنع قنبلةً يدويّة وينزعُها. واكتشفَ الطّرق الألفَ لموتِ الإنسانِ.

غيرَ أنّ شيئاً كان يخذله في تلك الدروس: ثمّةَ سوءٌ في المادّة الأولى. لم يكن يُعرفُ إلّا المُجْرمونَ الذين أُلقي القَبضُ عَليهم. أيّ، الأغبياءُ. الآخرون، الأذكياءُ، لم يكن يُعرَفُ عَنهم شيءٌ لأنّه لم يُعثَرْ عليهم أبداً. تُرى هل اكتشفَ أحَدٌ من أولئك الذين ظلّوا دونَ عقابٍ كيف تُرتَكبُ الجريمةُ المُكتملةُ؟

لم يكن من سبيلٍ أمامهُ ليعرفَ سوى التطوّع في الشّرطةِ وأن يقومَ هو نفسهُ بمُلاحقتِهم. وهذا ما فعلهُ. ترقّى دونَ صعوبةِ الدّرجاتِ الهرميةَ. نجحَ بأوّل ضربةٍ كبيرةٍ له بسجنِ أستاذهِ ذاته في مادّةِ نزعِ الألغامِ، غطاءٌ جميلٌ لقائدِ مجموعةٍ إرهابيّةٍ!

فتّشَ المفوّضُ مِيليَس حجرةَ الصّالونِ، بحثَ بعينيهِ أدقَّ الزّوايا. وفي النهايةِ توقّفت نظرتهُ عندَ السّقفِ.

– أخبرني إميل، هل كانَ يوجدُ ذبابٌ حينَ دخلتَ المكان؟

أجابَ المُفتّشُ بأنّهُ لم يولِ اهتمامهُ لهذا الأمرِ. كانت الأبوابُ والنوافذُ مغلقةً، حينَ وصُوله. لكنَّ النّافذةَ فُتِحَت فيما بعد وإذا كانَ يوجدُ ذُبابٌ، فقد تسنّى لهُ أن يطيرَ.

– أهذا مُهمّ؟ سألَ.

– بلى. أيّ، لا. دعنا نقُلْ: إنّهُ مؤسفٌ. ألديكَ ملفّ عن الضّحَايا؟

أخرجَ كايوزاك مُجلّداً كرتونياً من الحقيبةِ المُعلّقةِ على كتفهِ على نَحوٍ مائلٍ. ألقى المُفوّض نظرةً على الملفّاتِ التي يحتويها.

– ما رأيكَ بذلك؟

– يوجدُ شيءٌ مهمّ هنا... الإخوةُ سالتا جميعهم يمتَهنونَ الكيمياءَ إلّا أنّ واحداً من الثّلاثةِ، وهو سيباستيان، إنّهُ ليسَ كما يظهرُ للوهلةِ الأولى. كانَ يعيشُ حياتين.

– آه، حقّاً...

– هذا السالتا كان مسكوناً بشيطَانِ اللّعبِ. البوكرَ كانَ هوسهُ الأكبرُ. وكان يُطلقُ عليهِ «عملاقُ البوكر». ليسَ بسببِ حجمهِ فحسب، وإنّما على الأخصّ بسببِ المبالغِ الضّخمةِ التي يُراهنُ عليها. ومؤخّراً، خسرَ أموالاً طائلةً. ووجدَ نفسَهُ في دوّامةٍ من الدّيونِ. و لم يجد أمامهُ سبيلاً يخرجُهُ من الورطةِ سِوى مُضاعفةِ مبالغِ الرّهنِ أكثرَ فأكثر.

– كيف تعرفُ كلَّ هذا؟

– وجبَ عليّ منذُ مدّةٍ وجيزةٍ تَصيُّدَ معلوماتٍ من داخلِ أوساطِ اللّعبِ. وعرفتُ بأنّ أمرهُ قد أُفتُضِحَ. ويقالُ إنّه هُدِّدَ بالقتلِ إذا لم يُعدِ المالَ بأسرعِ وقتٍ.

مِيليَس مُستغرقاً بأفكارهِ، توقّف عن مضغِ علكتِهِ.

– إذاً كان ثمّةَ دافعٌ للقتلِ فيما يخصُّ هذا السيباستيان...

هزّ كايوزاك رأسهُ.

– هل تعتقدُ أنّهُ استبقَ الأمورَ وانتحرَ؟

تجاهلَ المُفوّضُ السؤالَ والتفتَ مُجدّداً إلى البابِ:

– حينَ وصلتَ كان البابُ مغلقاً من الدّاخلِ، أليسَ كذلك؟

– تماماً.

– والنّوافذُ أيضاً؟

– والنّوافذُ جميعها، أيضاً!

عاد مِيليّس يمضغُ علكتهُ بعصبيّةٍ.

– بماذا تُفكّر؟ سألَ كايوزاك.

– بالانتحارِ. يبدو هذا تبسيطاً بالطّبعِ إلّا أنّ احتمالاً كهذا يشرَحُ كلَّ شيء. إذ لا توجدُ آثارٌ غريبةٌ لأنّ تدخّلاً خارجيّاً لم يحدث. كلُّ شيءٍ جرَى داخلَ مجالٍ مُغلقٍ. قتلَ سيباستيان أخويه وانتحرَ.

– أجل، ولكن بأيّ سلاحٍ؟

أطبقَ مِيليّس جفنيهِ باحثاً عن الإلهامِ، ثمّ أعلنَ أخيراً:

– السمُّ، سمٌّ قويّ ذو مفعولٍ مُتأخّرٍ. من نوعِ السّيانور المُغلّف بالكراميلِ. حين يذوبُ الكراميلُ في المَعدة يفرِزُ مُحتواه القاتلَ. مثلَ قنبلةٍ كيميائيّة بمفعولٍ مُتأخّرٍ. لقد أخبرتني أنّهُ كيميائيّ؟

– بلى، يعملُ في CCG.

– إذاً، لم يجد سيباستيان سالتا أيّةَ صعوبةٍ في تصنيعِ سلاحهِ.

لم يبدُ على كايوزاك الاقتناعَ التامّ.

– لماذا، إذاً، لدى الجميعِ سحَناتٌ مذعورةٌ إلى هذا الحدّ؟

– الألمُ. حينَ يثقبُ السّيانور المَعِدةَ، يسبّبُ ألماً أسوأ من القُرحةِ بألفِ ضعفٍ.

- أتفهّمُ أن يقتلَ سيباستيان سالتا نفسهُ، قال كايوزاك وهو لايزالُ مُتشكّكاً، ولكن لماذا قتلَ أخويه اللذين لم يكونا مُتورّطين في شيءٍ؟

- ليعفيهما من انحطاطِ الإفلاسِ. ثمّةَ أيضاً ردُّ الفعلِ القديمِ لدَى الإنسان ذلكَ الذي يدفعهُ إلى حملِ عائلته بأكملها معهُ إلى موته. كان الفراعنةُ في مصر القديمة يدفُنونَ زوجاتهم معهم، خدمهم وحيواناتهم وأثاثهم! نخشَى الذّهابَ بمفردنا، لذا نأخذُ أقرباءنا معنا...

كانَ المُفتّشُ متأثراً بتأكيداتِ المُفوّض. ذلكَ يبدو مُفرِطَ البساطةِ أو البشاعةِ. لكنَّ احتمالَ الانتحارِ وحدَهُ يمكنهُ أن يبرّرَ غيابَ أيّ أثرٍ خارجيّ.

- الخُلاصةُ إذاً، أردفَ ميلِيَس. لماذا كلُّ شيءٍ مُغلقٌ؟ لأنّ كلَّ شيءٍ حدثَ في الدّاخلِ. منِ القاتلُ؟ سيباستيان سالتا. بأيّ سلاحٍ؟ سمّ من تركيبِهِ ذو مفعولٍ بطيءٍ! ما هو الدّافعُ؟ اليأسُ، العجزُ عن مواجهةِ ديون القمارِ الهائلةِ التي تراكمتْ عليهِ.

وجدَ إميل كايوزاك صعوبةً في التّصديقِ. ألهذهِ الدّرجة كانَ هيّناً حلُّ اللّغزِ الذي أعلنتِ الصّحافةُ بأنّهُ «قصّةُ الصيفِ المُثيرةُ»؟ وحتّى دونَ اللّجوءِ إلى إجراءاتِ التّحقيقِ؛ مُقارنةُ إفاداتِ الشّهودِ، البحثُ عن أدلة، بالمُختصرِ، إلى آخر ما تبقّى من مُتطلّباتِ المهنة. لم تكن سُمعةُ المُفوّضِ ميلِيَس تتركُ أيَّ مجالٍ للشكّ. استنتاجهُ كانَ الاستنتاجَ الوحيدَ الممكن منطقيّاً.

تقدّمَ أحدُ الشرطيّين بالزيّ الرسميّ:

- لا تزالُ تلكَ الصَّحَفيّةُ من *إيكو دو ديمانش* تنتظرُ مُقابلتكَ. تنتظرُ منذُ أكثرَ من ساعةٍ وهي مُصرّة على...

- أهي جميلةٌ؟

هزَّ الشرطيُّ برأسهِ علامةَ إيجَاب.

- حتّى إنّها «مُفرطةُ النّعومةِ» أظنُّ أنّها أوراسيّةٌ.

- حقّاً؟ ما اسمها؟ تشونج لي أم مونغ شي-نونج؟

احتجَّ الآخرُ:

- أبداً، ليتيسيا ويل أو شيءٌ منْ هذا القبيلِ.

تردّدَ جاك مِيليَس، ولكنّ نظرةً ألقاها على ساعتهِ جعلتهُ يحسُم قرارهُ:

- بلّغ الآنسةَ اعتذاري، إذ لا وقتَ لديّ. حانَ موعدُ برنامجي التلفزيونيّ المُفضّل: «فخّ للتّفكير». أتعرفهُ، إميل؟

- سمعتُ عنهُ، ولكن لم أشاهدهُ يوماً.

- أنتَ مُخطِئ! ينبغي أن يكونَ تمريناً عقليّاً إلزاميّاً لجميعِ المُفتّشين.

- أوه، بالنّسبةِ لي، تعرف، لقد فاتَ الأوانُ.

تنحنحَ الشرطيُّ:

- ومن أجلِ صحَفيّةِ *إيكو دو ديمانش*.

- أبلغوها أنّي سأرسلُ إعلاناً إلى الوكالَةِ المركزيّةِ للأنباء. وعليها أن تستَوحيَ منهُ.

سمحَ الشرطيُّ لنفسه بسؤالٍ إضافيّ:

- وهل وجدتَ حلَّ هذه القضيّة؟

ابتسمَ جاك مِيليَس كمختصّ يشعرُ بالخيبةِ لفرطِ سهولةِ اللّغزِ. ومع ذلكَ أفضَى لهُ:

- الأمرُ متعلّقٌ بجريمةٍ مُزدوجةٍ وانتحار، وبمُجملِ هذهِ الحالاتِ كانَ السمُّ هو الأداةُ. سيباستيان سالتا كانَ غارقاً في الدّيونِ ومذعوراً، فأرادَ أن يُنهيَ كلَّ شيءٍ دُفعةً واحدةً.

عندَ هذا، طلبَ المُفوّضُ من الجميعِ مُغادرةَ المكانِ. أطفأَ الضّوءَ بنفسهِ وأغلقَ الباب.

غُرفةُ الجريمةِ عادَت خاليةً من جديد.

الجُثثُ اللّامعةُ جرّاءَ الشمعِ تعكسُ الأضواءَ الحُمرَ والزّرقَ لمصابيحِ النيون التي تُومضُ في الشّارعِ. مهارةُ المُفوّضِ ميليَس كمفوّهٍ حرمتها من أيّةِ هالةٍ مأساويةٍ. ثلاثةُ أمواتٍ جرّاءَ التسمّمِ، ببساطةٍ.

في المكانِ الذي يمرُّ منهُ ميليَس يختَفي السّحرُ.

حادثٌ ليسَ إلّا، ولا شيءَ غيرُ ذلك. ثلاثةُ وجوه مُفرطةُ الواقعيّةِ مُضاءةٌ بفلاشاتٍ مُتعدّدةِ الألوانِ. ثلاثةُ رجالٍ مُتصلّبونَ مثلَ ضحايا بومبي المُحنّطةِ.

مع ذلك كانَ يحومُ في المكانِ بعضٌ من عدمِ الارتياحِ: قناعُ الرّعبِ المُطلقِ الذي قلبَ تلكَ الوجوهَ بدا أنّهُ يشيرُ إلى أنّهم رأوا شيئاً أشدَّ إرعاباً من السّيلِ العنيفِ لحِمَمِ بركانِ فيزوف[8].

9. وجهاً لوجهٍ مع جُمجُمةٍ

تهدأُ الرّقم 103683. تابعَت كمينَها عبثاً. الفراشةُ الجميلةُ حديثةُ

8- جبل بركاني في إيطالية يقع شرقي نابولي، أدى ثورانه سنة 79م إلى كارثة دمّرت مدينتي بومباي وهركولانيوم وعدّة مناطق أخرى.

الولادةِ لم ترجع. تمسَحُ طرفَ بطنها بضربةِ رِجْلٍ مُشعرةٍ وتتجهُ إلى نهايةِ الغُصنِ لأخذِ الشّرنقة المتروكةِ. هو غرضٌ لهُ استعمالهُ دوماً في عشّ نمالٍ. يمكنُ استخدامهُ كقارورةٍ ضيّقةٍ للغُسيلِ أو كمطرةٍ محمولةٍ.

تنظّفُ الرّقم 103683 قرنيها وتهزُّهما بمُعدّلِ 12000 ذبذبة/ ثانية، لكي تلتقطَ إذا كانَ ثمّةَ شيء آخرُ مهمٌّ في الجوارِ. ولا حتّى ظلُّ طريدةٍ. ليكن.

الرّقم 103683 نملةٌ صهَباءُ من مدينةِ بيل-أو-كان الفيدراليّةِ، عمرُها سنةٌ ونصف، أيْ ما يُعادلُ أربعينَ سنةً عندَ البشرِ. تنتمي لطبقة الجُنديّاتِ المُستكشفات عديمات الجنسِ. ترفعُ قرنيها عالياً جدّاً كريشَتينِ. علوُّ رقبتها وبروزُ صدرها يُعلنان عن شخصيّةٍ قويّةٍ. واحدةٌ من فراشي-مهماز سيقانها مكسورة لكنّ باقي الآلةِ لاتزالُ تعملُ بحالةٍ ممتازةٍ، حتّى وإن كانَ الهيكلُ مُخطّطاً بالخدوشِ.

عيناها الصّغيرتانِ نصفُ الكرويّةِ تتفحّصُ الدّيكورَ عبرَ غربالِ الأوجهِ العينيّةِ. رؤيةٌ من زاويةٍ واسعةٍ. فيمكنها أن ترَى أمامَ ووراءَ وفوقَ في آنٍ معاً. ما من حركةٍ في الجوارِ. لا داعِ لإهدارِ وقتٍ إضافيّ في هذه المنطقةِ.

تنزلُ من الشّجيرةِ مُستخدمةً وسائدَ الأقدامِ المُوضوعةَ في أطرافِ أرجُلها. هذه الكتلُ الخيطيّةُ تفرزُ مادّةً لاصقةً تسمحُ لها بالتنقّلِ فوقَ أسطحٍ ملساءَ بالكاملِ، حتّى إذا كانت عموديّةً أو مقلوبةً.

تأخذُ الرّقم 103683 مساراً شمّياً وتُقفلُ عائدةً باتّجاه مدينتها. تنتَصبُ الأعشابُ حولها كبساتينَ عاليةٍ خضراءَ. تُصادفُ العديدَ من العاملاتِ البيلوكانياتِ المُستعجلاتِ يتبعنَ السّككَ الشميّةَ ذاتها.

المُكلّفاتُ بالتنظيفِ حفرنَ لها، في بعضِ الأماكنِ، مساراتٍ تحتَ الأرضِ كيلا تُعيقَ أشعّةُ الشّمسِ مُستخدميها.

بُزاق يُخطئُ سهواً ويقطعُ مسارَ نملة، فتُسارعُ جنديّاتٌ إلى طردهِ عبرَ وخزهِ بأطرافِ فكوكهنّ المُدبّبةِ. ثمّ ينظّفن الزُّوالَ الذي خلّفهُ في طريقه.

تُصادفُ الرّقم 103683 حشرةً غريبةً. ليسَ لديها غيرُ جناحٍ واحدٍ وتزحفُ لصقَ الأرضِ. ولكن عند الاقترابِ منها، يتّضحُ أنّها ليستْ سِوى نملةٍ حاملةً جناحَ يعسُوبٍ. تحيات. هذه الصيّادةُ أوفرُ حظّاً منها، فالعودةُ بوفاضٍ خالٍ أو مع شرنقةِ فراشةٍ، لا يُحدثُ فارقاً كبيراً.

بدأ ظلُّ المدِينةِ يرتسمُ. ثمّ تختَفي السّماءُ كليّاً. لم يبقَ سِوى كومةِ الغُصَينات.

إنّها بيل-أو-كان.

أسّستها ملِكةُ نِمالٍ تائهةٍ (بيل-أو-كان تعني «مدينةُ النّملةِ التّائهةِ»)، مُعرّضةً لتهديدِ الحروبِ مع النّمالِ، الأعاصيرِ، الأرَضات، الزنَابير، العصَافيرِ، ومع ذلك بقيت مدينةُ بيل-أو-كان منذُ خمسةَ عشرَ ألفَ سَنَةٍ محافظةً على كبريائِها.

بيل-أو-كان، المقرُّ المركزيُّ للنِمالِ الصّهباواتِ في غابةِ فونتينبلو.

بيل-أو-كان، أكبرُ قوّةٍ سياسيّةٍ في المنطقةِ.

بيل-أو-كان، عشُّ النّمالِ الذي وُلدتْ فيه الحَركةُ النمليّةُ التطوّريّةُ.

كلُّ تهديدٍ يُعزّزُ مكانتها. كلُّ حربٍ تزيدُ قُدرتها على القتالِ. كلُّ هزيمةٍ تجعلها أكثرَ ذكاءً.

بيل-أو-كان، مدينةٌ بستّةٍ وثلاثينَ مليون عينٍ، مئة وثمانية مليون رِجْلٍ، ثمانية عشر مليونَ دماغٍ. حيّةٌ ومُبهرةٌ.

تعرفُ الرّقم 103683 جميعَ تقاطُعاتِها، جميعَ جسُورها تحتَ الأرضِ. في طفولتها، زارتِ القاعاتِ حيث رأتِ المكانَ الذي يُزرعُ فيهِ الفطرُ الأبيضُ، والقاعاتِ التي تُحلَب فيها قطعانُ الأرَقات، وتلكَ التي تظلُّ فيها نمالُ الصّهاريجِ جامداتٍ وهنّ مُعلّقاتٌ في السّقفِ. ركضَت في أروقةِ المدينةِ المُحرّمةِ، التي حفرتها الأرَضَاتُ فيما مضَى داخلَ خشبِ أرومةِ صنوبرٍ. وكانت شاهدةً على جميعِ التّحسيناتِ التي أضافتها المَلكةُ الجديدةُ شلي-بو-ني، شريكةُ مغامراتِها القديمة.

شلي-بو-ني هي من ابتكرَ «الحركةَ التطوّريّة». تنازلتْ عن اللّقبِ الشّرَفيّ بيلو-كيو-كيوني الجديدة لتُؤسّسَ سُلالتها الخاصّة: سُلالةَ ملِكاتِ شلي-بو-ني. غيّرت وحدةَ قياسِ المسَافات: لم يعدِ الرّأسُ (3 مليمترات)، وإنّما الخُطوةُ (1 سنتمتراً). بما أنّ أسفارَ البيلوكانيات باتت أبعدَ، فإنّ وحدةً أوسعَ للقياسِ قد فرضَت نفسَها من الآن فصَاعداً.

وضمنَ إطـارِ الحركةِ التطوّريّة أنشأت شلي-بو-ني المكتبةَ الكيميائيّةَ، وأكثرُ من ذلك، استقبلتِ العديدَ من أنواعِ الحيواناتِ التي تقتاتُ على بقايا الأطعمةِ، والتي تدرسُها من أجلِ فيروموناتها حولَ علمِ الحيوانِ. ومن مُحاولاتها أيضاً تدجينُ الأجناسِ الطائرةِ والعوّامةِ. جِعْلان وعُوَمُ...

مضَى زمنٌ طويلٌ على آخرِ لقاءِ جمعَ الرّقم 103683 وشلي-بو-ني. يصعُبُ الاقترابُ من الملكةِ الشابّة، انشغالاتُها بالبيضِ وإعادةُ تشييدِ المدينةِ تأخذُ جُلّ وقتِها. رغمَ ذلك لم تنسَ الجُنديّةُ مغامراتهما المُشتركةَ

في الطبقاتِ السُّفلى من قاعِ المدينةِ، والتّحقيقَ الذي أجرتاهُ معاً لاكتشافِ لغزِ السّلاحِ السرّيّ، والروّاغة المُزَوّدةَ بالمُخدّرِ والتي حَاولت تَسميمَهما، وقتالهما معاً ضدّ الجاسُوساتِ ذواتِ رائحةِ الصّخرِ.

تتذكّرُ الرّقم 103683 أيضاً سفرَها الطويلَ صوبَ الشّرقِ، ومُلامستها لحافّةِ العالَمِ، بلادُ الأصَابِعِ هناكَ حيثُ كلُّ حيٍّ يموتُ.

أكثرُ من مرةٍ سألتِ الجُنديّةُ تشكيلَ رحلةٍ استكشافيّةٍ جديدة. أُجيبَتْ بأنّ الأعمالَ هنا أكثرُ من أن تسمحَ بإطلاقِ قوافلَ انتحاريّةٍ صوبَ حدودِ الكوكبِ الأرضيّ.

هذا كلُّهُ أضحَى من الماضِي.

عادةً، لا تُفكّرُ النّملةُ في الماضِي، على فكرةٍ، ولا حتّى في المُستقبلِ. إذ أنّها على العمومِ لا تعي وجودَها كفردٍ. مفهومُ «الأنا» غيرُ موجودٍ، «لِيَ» أو «لـكَ»، لا يتحقّقُ إلّا من خلالِ جماعتها، وكُرمى لهذهِ الجماعةِ. وبما أنّه ما من وعيٍ مُستقلّ بالذاتِ، فإنّ موتها الذّاتيَّ لا يُخيفها. النّملةُ تجهلُ القلقَ الوجُوديّ.

غيرَ أنّ تحوّلاً أصابَ الرّقم 103683. رحلتها إلى حافّةِ العالَمِ خلّفت في داخلِها وعياً صغيراً بـ«الأنا»، إنّه لا يزالُ بالطّبعِ في طورهِ البدائيّ غيرَ أنّهُ يشقُّ عليها منذُ الآن تحمّلهُ. أوّلُ ما نبدأ في التفكيرِ بالذاتِ تظهرُ مشاكلُ «مُجرّدة». ذلك يُدعَى عند النّمالِ «حالاتٍ نفسيّة». يُصابُ به الجنسيّونَ عموماً. مُجرّدُ التّساؤلِ: «هل أُصِبْتُ بالحالاتِ النفسيّة؟» يشيرُ، بحسبِ الحكمةِ النّمليّة، إلى أنّ الإصابةَ قد حدثت على نحوٍ جدّي.

لذا تُحاولُ الرّقم 103683 تجنّبَ الأسئلةِ. إلّا أنّ ذلكَ ليسَ بالأمرِ اليسيرِ...

يصبحُ المسارُ حولها أوسعَ. وتزدادُ حركةُ السّيرِ ازدحاماً. أخذت تحتكُّ بالحشد، فارضةً على نفسها الشعورَ بأنّها جرْم صغيرٌ انطوى في عالَم يتجاوزُها. الآخرون، أن يكونَ الواحدُ هو الآخرون، أن يعيشَ من خلالِ الآخرين، أن يشعرَ بنفسه مُتضاعفاً بمَن حوله، ما الذي يُبهجُ أكثرَ من ذلك؟

تتقافزُ على الطّريقِ العريضِ المُزدحم. ها قد وصَلتْ على مقربة من البابِ الرّابعِ للمدينةِ، إنّها الفوضَى على جري العادةِ! الممرُّ مسدُودٌ لفرط الاكتظاظ. ينبغي توسيعُ المدخلِ رقم 4 وفرض قليلٍ من الانضباط أثناءَ المرور. مثلاً، أن تتنحّى اللواتي يحملنَ الطرائدَ الصغيرةَ للأخريات. أو إعطاءُ الأولويةِ للداخلاتِ على الخارجاتِ. بدلاً عن ذلكَ يسودُ ازدحامُ السّيرِ، جُرحُ جميعِ الحواضرِ الكبيرةِ!

بما يخصُّها، الرّقم 103683 غيرُ متعجّلةٍ لإيصالِ شرنقتها التافهةِ والفارغةِ. وبانتظارِ عودةِ المرور إلى حالته الطبيعيّة. تُقرّرُ أنْ تقومَ بجولةٍ إلى المكبِّ. في فتوّتها كانت تُحبُّ اللّعبَ بينَ النّفاياتِ. بصُحبةِ رفيقاتٍ لها من الطّبقةِ المُحاربةِ، كانت ترمي جماجمَ في الهواءِ وتحاولُ إصابتها برشقةِ حمضٍ. كان ينبغي أن تكونَ سريعةً في الضّغط على غدّةِ السمّ لديها. وبالمناسبةِ، على هذا النّحوِ أصبَحتَ الرّقم 103683 من رُماةِ النّخبةِ. هناك، في المكبّ، تعلّمت أن تُشهرَ وتُطلقَ بسرعةِ طقطقة فكّين.

آه، المكبُّ... تبنيه النّمالُ دوماً قبلَ مدينتهنّ. هي تتذكّرُ جُنديّةً مرتزقةً غريبة بثّتْ عندَ وصُولها للمرّةِ الأولى إلى بيل-أو-كان: «أرى المكبَّ ولكن أينَ المدينةُ؟» يجبُ الاعترافُ أنّ هذهِ التلالَ العاليةَ التي

من هياكلَ وقشورِ حبوبٍ وفضَلاتٍ مُختلفة تتّسعُ وتزحفُ لاحتلالِ مُحيطِ المدينة. لقد سُدّت بها بعضُ (*النجدة!*) المداخلِ بالكاملِ، وعِوضاً عن فسحِها يُفضّلُ حفرُ ممرّاتٍ جديدةٍ في أماكنَ أخرى.

(*النجدة!*)

تلتفتُ الرّقم 103683. يبدو لها أنّ أحداً أطلقَ رائحةَ أنينٍ للتوّ. *النجدة!* إنّها على ثقةٍ من ذلك هذه المرّة. رائحةُ تواصُلٍ واضحةٍ تنبعثُ من كومةِ القُمامةِ هذه. هل بدأتِ القاذوراتُ تتكلّم؟ تقتربُ، وتبحثُ بينَ أكوامِ الجُثثِ بأطرافِ قرنيها.

النجدة!

إنّها إحدَى هذه النُفاياتِ الثّلاث، هنا من بثَّ. ثمّةَ ثلاثةُ رؤوسٍ بجوارِ بعضِها، واحدٌ لدعسوقة، وآخرُ لجندب، ورأسٌ لنملةٍ صهَباء. تلمسُهم جميعاً وتكتشفُ نفحةً خفيفةً من حياةٍ على مستوى نهايتي قرني النّملة الصّهباء. فتُمسكُ الجُنديّةُ الجُمجُمةَ بين رجليها الأماميّتينِ وتضَعُها قبالةَ جُمجُمتها.

شيءٌ ما يجبُ أن يُعرفَ، بثّتْ كلّةٌ قذرةٌ ينتصبُ قرنٌ مفردٌ أعلاها بشكلٍ أخرقَ.

أيُّ فُحشٍ هذا! جُمجُمةٌ ولا تزالُ تريدُ أن تتكلّم! ألا تملكُ هذه النّملةُ الأخلاقَ لتقبلَ بسكينةِ الموتِ! تشعرُ الرّقم 103683 بنزوعٍ نحوَ قذفِ هذه الجُمجُمةِ في الهواءِ وتفجيرِها برشقةِ حمضٍ صائبةٍ كما كانت تفعلُ في الماضي. ليسَ الفُضولُ فقط ما يَحُولَ دونَ ذلك: «*يجبُ دوماً استقبالُ الرّسائلِ ممّن يريدونَ أن يبثوا*» هذهِ مقولةٌ نمليّةٌ قديمةٌ.

تُحرِّكُ الرّقم 103683 قرنيها، مُشيرةً إلى أنّهُ وفقاً لذاكَ المبدأ ستستقبلُ كلَّ ما سيبثّهُ هذا الرّأسُ المجهولُ.

لا تلبثُ الجُمجُمة أن تجدَ صعُوبةً مُتزايدةً بالتفكيرِ. رغم معرفتها بضرورةِ تذكّرِ معلومةٍ غايةٍ في الأهميّةِ. هي تعلمُ أنّ عليها جعلَ أفكارها تصعدُ مجدّداً إلى أعلى قرنِها الوحيدِ. كيلا تكونَ النّملةُ التي كانتِ الجمجُمةُ في السّابقِ امتداداً لجسَدها عاشت هباءً.

ولكن، بما أنّها لم تعد متّصلةً بالقلبِ، لم تعد الجمجُمةُ مرويّةً. وحتّى أنّ تلافيفَ دماغها جفّت قليلاً. إلّا أنّ النّشاطَ الكهربائيَّ ظلَّ فعّالاً. ولا تزالُ في الدّماغِ بقعةٌ صغيرة من النّواقلِ العصبيّةِ. تستغلّ النّورُوناتُ[9] الرُطوبَةَ الخَفيفةَ هذهِ لتتواصَل، يحصُلُ تماسٌّ كهربائيٌّ مبرهناً على أنّ الأفكارَ نجحت في القيامِ ببعضِ ذهاباتٍ وإياباتٍ فعّالة.

ابتدأَ الاسترجَاعُ تدريجيّاً.

كُنَّ ثلاثاً. ثلاثُ نمالٍ. ولكن من أيّ صنفٍ؟ صهباوات. صهباوات مُتمرّدات! من أيّ عشّ؟ من بيل-أو-كان. تسلّلنَ إلى المكتبةِ الكيميائيّةِ لكي... لكي يقرأنَ فيرومُون ذاكرةٍ مفرطِ الغرابة. وعمّا كان يحكي هذا الفيرومُون؟ عن أمرٍ هام. لأهميّتهِ البالغة لاحقَهنّ الحرسُ الفيدرالي. ماتت رفيقتاها. قتلتهما المُحارباتُ. الجُمجُمةُ تأخذُ بالجفاف. إذا نَسيتْ، فسيكون ثلاثتهنّ قد مُتنَ هباءً. يجبُ عليها إخراجُ المعلومةِ ثانيةً. يجبُ فعلُ ذلكَ. لا بدّ من فعلِ ذلكَ.

9- العصبون أو الخليّة العصبيّة، يمكنها معالجة المعلومات ونقلها عبر إشارات كهربائيّة وكيميائيّة.

أمام مُقلتي عينيّ الجُمجمةِ، ثمّةَ نملَةٌ تسألها للمرّةِ الخامسَةِ عمّا تبتغي إيصالَهُ.

بقعةُ دم جديدةٌ تُميَّزُ في الدّماغِ، يُمكنُ استغلالها لمُواصلةِ التفكيرِ قليلاً. يحصلُ تقاطعٌ كهربائيّ وكيميائيّ في جزءٍ كاملٍ من الذاكرةِ ومن نظامِ البثّ -الاستقبال. يتمكنُ الدّماغُ، مُتزوّداً بطاقةِ بعضِ البروتيناتِ والسّكرِ المتبقّيةِ في الفصّ الجبهيّ، من تسليمِ الرّسالةِ.

تريدُ شلي-بو-ني إطلاقَ حملةٍ من أجل قتلهم جميعاً. يلزمُ إبلاغُ المُتمرّداتِ على الفورِ.

لم تفهم الرّقم 103683. هذهِ النّملة، أو بالأحرى بقايا نملةٍ، تتكلّمُ عن «حملة»، عن «مُتمرّدات». وهل ثمّةَ مُتمرّداتٌ في المدينة؟ هذا خبر جديدٌ! ولكن الجُنديّةَ شعرت بأنّ هذه الجمجُمةَ لن تتمكّن من مواصَلةِ الحوارِ طويلاً. لا ينبغي تبديدُ أدنى جزيءٍ بانحرافٍ عن الموضوعِ لا طائلَ منهُ. أمام جملةٍ محيّرة إلى هذا الحدّ، ما هو السّؤالُ الجيّدُ؟ بدأتِ الكلماتُ تخرجُ تلقائياً من قرنيها.

أين أستطيعُ إيجادَ هؤلاء «المُتمرّداتِ» لكي أبلغهنّ؟

تبذلُ الجمجُمةُ جهداً إضافيّاً، تهتزُّ.

فوقَ حظائرِ جِعْلانِ وحيدِ القرنِ الجديدةِ... ثمةَ سقفٌ زائف...

ترمي الرّقم 103683 جميعَ أوراقِها.

موجّهةٌ ضدّ من هذه الحَملة؟

تقشعرّ الجُمجمة ويرتَعشُ قَرنُها. هل ستستطيعُ بَصقَ آخرِ نصفِ فيرُومونٍ لديها؟

تطفو ثُمالةُ رائحة، لا يكادُ يلحظُها القرنُ، لا تحوي سِوى ضوعِ كلمةِ واحـدةِ. تلمسها الرّقم 103683 في الجزءِ الأخيرِ من طرفها الحسّي. تَشتَمّها. إنّها تعرفُ هذهِ الكلمةَ. حتّى إنّها تعرفُها أكثرَ مما ينبغي.

أصَابع.

في الوقتِ الرّاهنِ، جفّ قرنُ الجمجُمةِ بالكاملِ. ينكمشُ. لم تبقَ رائحةٌ لأدنى معلومةٍ في هذهِ الكُرةِ السّوداءِ.

الرّقمُ 103683 يُصيبُها الذّهولُ.

حملةٌ للقَضاءِ على جميعِ الأصَابعِ... دُفعَةً واحدةً!

10. فراشةُ المسَاءِ، مسَاءُ الخيرِ

لماذا انطفأ الضّياءُ بغتةً؟ حقّاً لقد شعرَ ذكرُ الفراشةِ بالنّارِ التي تلتهمُ جناحيهِ، لكنّهُ كانَ مُستعدّاً لأيّ شيءٍ مُقابلَ تذوّقِ نشوة الضّوءِ... كم كانَ على مقربةٍ من النّجاحِ، من ذاكَ التناضحِ مع الدّفءِ!

يعودُ أبو الهول خائباً إلى غابة فونتينبلو ويرتفعُ عالياً، عالياً في السّماءِ. يطيرُ لوقتِ طويلٍ قبلَ أن يصلَ إلى الأماكنِ التي أنْهَى تحوّلَهُ فيها.

بفضلِ آلافِ أوجههِ العينيّةِ، يُميّزُ من السّماءِ بشكلٍ واضحٍ جدّاً، مخطّطَ المنطقةِ. في الوسَطِ، يقعُ عشُّ نمالِ بيل-أو-كان. وفي المُحيطِ تتناثرُ مدنٌ صغيرةٌ وقرى مؤسّسةٌ من قِبلِ الملكاتِ الصّهباوات. هنّ يدعون هذا التجمّعَ «فيدراليّةَ بيل-أو-كان». في الواقعِ، للأهميّةِ

السياسيّة الكبيرة التي حازتْ عليها غدت إمبراطوريّةً من الآن فصَاعداً. و لم يعدْ أحدٌ في الغابةِ يجروءُ على التشكيكِ بسيطرةِ النّمالِ الصّهباواتِ.

هنّ الأكثرُ ذكاءً، والأكثرُ تنظيماً. يعرفنَ استخدامَ الأدواتِ، هزمنَ الأرَضَة والنّمال القزمةَ. أسقطنَ حيواناتٍ أضخمَ منهنّ بمائة ضعفٍ. لا ريبَ أنهنّ أسيادُ العالَمِ الحقيقيّونَ في الغابةِ، والوحيدُونَ.

إلى الغربِ من بيلوكان، تمتدُّ أراض خطرةٌ، تعجُّ بالعناكبِ وأفراسِ النّبي. (خُذ حذرك، أيّها الفراشَة!).

في الجنوبِ الغربيّ، بلادٌ لا تكادُ تقلّ وحشيّةً تحتلّها زنابيرُ قاتلةٌ وأفاعٍ وسلاحِفُ. (خطَر).

في الشّرقِ، جميعُ الأنواعِ من الوحوشِ التي تسيرُ على أربع أرْجُلٍ، أو ستٍّ، أو ثمانٍ والعددُ ذاتَهُ من الأفواهِ، ومن الأنيابِ والإبرِ الذينَ يسمّمونَ، ويطؤُونَ، ويطحَنونَ، ويعصرونَ.

في الشّمالِ الشرقيّ، مدينةُ النّحلِ الحديثةُ، قفيرُ أسكُولِين. يعيشُ فيه النّحلُ المُتوحّشُ الذي بذريعةِ توسيعِ منطقتِهم في فترةِ حصَادِ غُبارِ الطَّلعِ دمّروا عدّةَ أعشاشٍ للزنَابيرِ.

وعندَ التوغّلِ أبعدَ صوبَ الشّرقِ، ثمّةَ نهرٌ يُدعى «مانجتو»[10] لأنّهُ يبتلعُ على الفورِ كلَّ ما يحطُّ على سطحهِ. ممّا يدعو إلى توخّي الحَذرِ.

وها مدينةٌ جديدةٌ تظهرُ على الضفّة. يقتربُ ذكرُ الفراشة منها، مُثاراً بالفضولِ. لا بدّ أنّ الأرَضَة أنشأتها حَديثاً. المدفعيّاتُ الموضُوعةُ على

10- (Mangetout، بالفرنسية) جمع لكلمتي «Mange» و «tout»: أي الذي يأكل كلّ شيء.

الأبراجِ المُحصّنة الأكثرِ عُلوّاً في المكانِ تُحاولُ إسقاطَ المُتطفّلِ مُباشرةً. غيرَ أنّ هذا الأخيرَ يطيرُ أعلى من أن تُقلقهُ تلكَ المسكيناتُ.

ينحرفُ أبو الهول مبدّلاً الاتّجاهَ طائراً فوقَ جُروفِ الشّمالِ، ومُنحدراتِ الجبالِ التي تُحيطُ بالسّنديانةِ. ثمّ ينزلُ صوبَ الجنوبِ، بلادِ الحشراتِ العصويّةِ والفطرِ الأحمرِ.

بغتةً، يُميّزُ فراشةً تتضوّعُ منها الرّائحةُ النفّاذةُ لهرموناتها الجنسيّة وتصلُ حتّى هذا العلوّ. يُهرَعُ مُسرعاً ليراها عن كثبٍ. ألوانُها أكثرُ زهوّاً من ألوانه. كم هي جميلةٌ! غيرَ أنّها تبقَى ثابتةً بغرابةٍ. عجيبٌ. تمتَلكُ بالفعلِ الضّوعَ، والأشكالَ والتّكوينَ لفراشةٍ سيّدةٍ، ولكن... يا للخزي! إنّها زهرةٌ، تنتحلُ بحركتها المُقلّدة شخصيّةَ غيرها. عندَ الأركيدة هذه كلُّ شيءٍ مُزيّفٌ: الرّوائحُ، الأجنحةُ، الألوانُ. إنّهُ الخداعُ النّباتيُّ المُتقنُ! للأسفِ! اكتشفَ أبو الهولِ ذلك متأخراً جدّاً. إذ أنّ أرْجُلهُ عِلقتْ بالصّمغِ. وما عادَ بوسعهِ التّحليقُ من هذا المكانِ.

من فرطِ ما يخفقُ أبو الهول بأجنحَته يحدثُ تيارُ هواءٍ يقتلعُ نجومَ زهرةِ هِندباءٍ. ينزلقُ على مهلٍ على حوافِّ الأركيدةِ نحوَ شكلٍ أشبهَ بحوضٍ. في الحقيقة، هذا التّويجُ ليسَ غيرَ مَعِدةٍ فاغرةٍ إلى أقصَاها. ففي أسفلِ الحَوضِ تختبئُ جميعُ الحموضِ الهضميّةِ التي تسمَحُ لزهرةٍ أن تلتهمَ فراشَةً.

هل هذه هي النّهايةُ؟ لا. تأتي النّجاةُ على شكلِ إصبَعين مقوّسين أشبهَ بملقط يُمسكانِ الأجنحةَ ويحرّرانه من الخطَرِ ويلقيان بهِ داخلَ مرطبانٍ شفّافٍ.

يجتازُ الوعاءُ مسَافةً طويلةً.

أُخِذَ ذكرُ الفراشةِ الفتيُّ فيما بعدُ إلى منطقة مُضاءة. تَسحَبهُ الإصبعان من المرطبانِ، وتطليانه بمادّةٍ صفراء لها رائحة نفّاذة تُقسّي أجنحتهُ. ما عادَ بوسعهِ التّحليقُ في الهواءِ! تُمْسِكُ الإصبعان بوتدٍ عملاقٍ من معدنِ الكروم متوّج بكرةٍ حمراء وبضربة جافّة... تَغرزانه في قلبهِ. وكشاهدةِ قبرٍ تضعانِ لُصاقةً فوقَ رأسهِ تماماً: «Papillonus vulgaris»[11].

11. موسُوعة

صِدام بينَ الحضَارات: يشكّلُ اللقاءُ بينَ حضارتينِ لحظةً حسّاسةً على الدّوام. وصولُ طلائعِ الغربيّين إلى أمريكا الوسطَى كانَ مجالاً لسوءِ تفاهمٍ كبيرٍ. تُلقّنُ ديانةُ الأزتيكِ أنّهُ في يومٍ ما، سيجيءُ إلى الأرضِ رُسلٌ من إلهِ أفعوان مجنّح، (كويتزالكواتل)[12]. وستكونُ لديهم بشرةٌ فاتحةُ اللّون، مُعتَلينَ ظهورَ حيواناتٍ ضخمةٍ ذاتِ أرْجُل أربع، وسيقذفونَ الرّعدَ عِقاباً للآثمين.

أسفرَ عن ذلكَ أن اعتقدَ الأزتيكيون، حين أُعلِنَ عن وصولِ فرسانِ إسبانٍ إلى الشّاطئِ المكسيكيّ سنة 1519، بأنّهم «تيلس» (آلهةٌ في لغة الناهواتل)[13].

رغمَ أنّهُ قبلَ ذلكَ الظهورِ ببضعِ سنواتٍ، في سنة 1511 على وجهِ

11- Papillonus vulgaris، وتعني نوع شائع من الفراش.

12- (Quetzalcoatl، بالفرنسيّة) حرفيّاً (الأفعوان ذو الريش)، أمّا المعنى بدقّة فبقصد به (الأفعوان المجنّح).

13- لغة الأزتيك قبل مجيء الإسبان.

الدقّة، حذّرهم رجلٌ يُدعى غيريرو، غيريرو كان بحّاراً إسبانيّاً جنَحَتْ سفينتُه على شواطئِ يوكاتان، في الوقتِ الذي كانت فيه قواتُ كورتيز[14] لا تزالُ مُتمركزةً على جزيرتي سان–دومينغ وكوبا.

تمكّنَ غيريرو بسهولةٍ من الحصُولِ على تقبُّلِ الشّعبِ المحلّي لهُ وتزوّجَ من محليّةٍ. أبلغَهم بأنّ Conquistadores (الغُزاة) سيأتونَ قريباً. وأكّدَ لهم بأنّهم ليسوا آلهةً ولا رُسُل آلهة. ويتوجّبُ أخذُ الحيطةِ والحذرِ منهم. علّمهم كيفَ يصنَعونَ أقواساً مُستَعرضَةً للدفاعِ عن أنفسِهم. (حتّى ذلك الحين لم يكن الهُنودُ يستَخدمونَ سوى السّهامِ والفؤوسِ ذات الرؤوسِ السَّبجيّة؛ غير أنّ الأقواسَ المُستَعرضَة هي الوحيدةُ القادرةُ على ثقبِ الدّروعِ المعدنيّةِ لرجالِ كورتيز.) كرّرَ غيريرو بأنّهُ لا ينبغي الخوفُ من الأحصنةِ وأوصَى، على الأخصّ، بعدمِ الذُّعرِ أمامَ الأسلحةِ الناريّةِ. إنّها ليست أسلحةً سحريّةً، ولا قطَعٍ من الصّواعقِ. «الإسبانيّونَ مثلكم من لحمٍ ودم. يمكنُ هزيمتُهم»، كانَ يقولُ دائماً. وليبرهنَ على ذلكَ لهم جرحَ نفسَهُ فسالَ دمٌ أحمر معروفٌ عند كلّ البشرِ. انهمكَ غيريرو إلى أقصى ما يستطيع في تعليمِ هُنودِ قريتهِ، إلى الحدّ الذي فاجأ كونكيستادوريس كورتيز حين أتوها غازين، بأنّهم يواجهونَ للمرّةِ الأولى في أمريكا جيشاً هنديّاً حقيقيّاً قاومهم لأسابيعَ عدّةٍ.

لكنّ المعلومةَ لم تتجاوز نطاقَ هـذه القريةِ. في أيلول 1519، حين ذهبَ الملكُ الأزتيكيّ مونتزوما إلى لقاءِ الجيشِ الإسبانيّ مع عربات ملآى بالمجوهراتِ كقرابينَ. قُتلَ في مساءِ ذلكَ اليومِ. وبعد سنةٍ، دمّر كورتيز

14– هرنان كورتيز Hernán Cortés (1485–1547) من أشهر المغامرين الإسبان، احتلّ إمبراطوريّة الأزتيك.

بالمدفعيّة تنوشتيتلان، العاصِمةَ الأزتيكيّة، بعدَما جوّع شعبها بحصارهِ لها ثلاثةَ أشهرٍ.

أمّا غيريرو، فقد قضى نحبهُ أثناءَ تنظيمهِ لهجومٍ ليليّ على معقلٍ إسبانيّ.

إدمون ويلز،

موسوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلّد الثاني.

12. لم تظهَرْ ليتيسيا بعدُ

بعد حلّه السّريع لقضيةِ آل سالتا، استُدعيَ المُفوّض ميليَس لمُقابلةِ المُحافظ شارل دوبيرون. المسؤول عن الشّرطة كانَ مُصرّاً على تهنئته شخصيّاً. اعترفَ لهُ المُحافظُ على الفورِ، داخلَ حُجرةِ صالونٍ موثّث بفخامة، بأنّ «قضيّةَ الإخـوةِ سالتا» خلّفت انطباعاً إيجابيّاً لدَى «السُّلطّاتِ العُليا». والبعضُ، من أبرزِ رجالِ السّياسةِ، نعتوا تحقيقهُ بـ «النّموذجِ الفعّالِ والسّريعِ وفقَ الأسلوبِ الفرنسيّ».

سألهُ المُحافظُ لاحقاً إذا ما كان قد تزوّجَ. أجابهُ ميليَس، مُتفاجئاً، أنّهُ أعزَب ولكن، بما أنّ الآخر كانَ مُصرّاً، صارحهُ بأنّهُ يتصرّفُ مثل الجميعِ: يتنقّلُ بينَ هنا وهناك محاولاً تجنّبَ التقاطِ مرضٍ تناسليّ.

واصلَ شارل دوبيرون الكلامَ مُقترحاً عليهِ اتّخاذَ زوجةٍ لنفسهِ. الأمرُ الذي سيمنَحهُ صورةً اجتماعيّةً تُعينهُ على ولوجِ عالمِ السّياسة. هو يراهُ مُناسباً، في البداية، كنائبٍ أو مُختارٍ. شدّدَ على أنّ الأمّةَ، جميعَ الأمم بحاجةٍ لأشخاصٍ قادرينَ على حلّ مشاكلَ مُعقّدة. وإذا كانَ، هو، جاكُ ميليَسُ قادراً أنّ يفهمَ كيف قُتلَ ثلاثةُ أشخاصٍ في مكانٍ مُغلقٍ، فلا ريبَ بأنّهُ سيكونُ جديراً بحلّ مشاكل حسّاسةٍ أخرى، من قبيل:

مُشكلة البطَالة، مُكافحة عدم الأمانِ في الضّواحي، التّخفيفِ من عجزِ صندوقِ الضّمانِ الاجتماعيّ، ضبط الميزانيّةِ. بالخُلاصةِ، جميعُ هذه الألغازِ التي يُواجهُها قادةُ البلدِ يوميّاً.

– نحنُ بأمسِّ الحاجة لأُناسٍ تستخدمُ عقلَها، وهم نادرونَ في هذه الأيّام، تابَعَ المُحافظُ مُعرِباً عن أسفه. ينبغي أن تعرفَ إذاً، فيما لو أردتَ أن تنطلقَ في هذه المُغامرةِ الجديدةِ ألا وهي السّياسة، أنّي سأكونُ أوّلَ داعميك.

أجابَ جاك ميليَس بأنّ ما يشدّهُ إلى اللّغزِ كونهُ مُجرّدٌ وبلا مقابلٍ. وأنّهُ لن يتكبّدَ عناءَ اكتسابِ سُلطة، فالهيمنةُ على الآخرين أمرٌ لا يخلو من مشقّةٍ كبيرةٍ. أمّا فيما يخصُّ حياتهُ العاطفيّة، فالأمورُ، نوعاً ما، تجري على نحوٍ جيّدٍ، ويُفضّلُ بقاءها ضمنَ نطاقٍ شخصيّ.

ضَحكَ المُحافظُ دوبيرون طويلاً، وحَطّ يَدهُ على كتفهِ مؤكّداً له بأنّه هو أيضاً في عمرهِ كانت لديهِ هذه الأفكارُ ذاتها. ثمّ، تغيّر. لم يكن ما يدفعهُ هو الحاجةُ للسيطرةِ على الآخرين، وإنّما الحاجةُ بألّا يُسَيطرَ عليه أيُّ أحدٍ.

– ينبغي أن يكونَ المرءُ ثريّاً ليحتقرَ المالَ، وأن يكونَ ذا سُلطةٍ ليحتقرَ السُّلطةَ!

كانَ دوبيرون الشّابُّ، قد قبلَ إذاً التسلّقَ رويداً رويداً سُلّمَ طبقات الهرم البشريّ. الآن، يقولُ عن نفسه بأنّهُ مُحصّنٌ من كلّ شيءٍ، لم يعد يُخيفهُ الغدُ المخيّبُ للآمالِ، لديهِ وارثان حجزَ لهما مكاناً داخلَ إحدى المدارس الخاصّة ذات الأجورِ الباهظة في المدينة، ويمتلكُ سيارةً فارهةً، ووقتاً حرّاً كما أنّهُ مُحاطٌ بمئاتِ المُتزلّفينَ. ما الذي يصبو إليه المرءُ أكثرَ من ذلك؟

«البقاءُ طفلاً مفتوناً بالقصَصِ البوليسيّةِ»، فكّر مِيليَس الذي احتفظَ برأيهِ لنفسهِ.

بعدَ أن انتهت المُقابلةُ، لاحظَ المُفوّضُ، وهو مغادرٌ مبنى المُحافظة، على مقربةٍ من السّورِ يَافطةً واسعةً مُغطّاةً بأوراقَ دعائيّةٍ انتخابيّةٍ تعجُّ بشتّى الشّعارات: «من أجلِ ديمقراطيّةٍ مؤسَّسة على قيم حقيقيّة، انتخبوا الاشتراكيّةَ-الدّيمقراطيّةَ!»، «لا للأزمةِ! يكفي وعُوداً كاذبةً. انضمّوا إلى حركةِ الرّاديكاليين الجمهوريين!»، «أنقذوا الكوكبَ الأرضيَّ بدعمِ التجدّد الوطنيّ-البيئيّ!»، «تمرّدوا ضدّ المظالمِ! انتظِموا إلى صفوفِ الجَبهةِ الشعبيّةِ المُستقلّة».

الوجوهُ ذاتها في كافّةِ الأماكنِ، والتي تعودُ إلى رجالٍ ينعمونَ بتغذيةٍ جيّدة، وسكرتيرة كخليلة، ويتطلّعونَ إلى أنفسهم كقادةٍ! اقترحَ عليهِ المُحافظُ بأن يكونَ واحداً من أشباههم. وجيهاً!

بما يخصُّ مِيليَس، لم يُخالجهُ أدنى شكّ. أنواعُ التكريمِ جميعها لا تُساوي قشّةً أمامَ حياته المُتسيّبةِ وتلفزيونه وتحقيقاته الجنائيّة. «إذا أردتَ تجنّبَ المُنغّصات ينبغي أن تخلو من الطّموحات»، كانَ أبوهُ ينصَحُ. لا شهوات، يعني لا آلام. ربّما سيضيفُ اليومَ «ألّا يكونَ لديكَ طمُوحاتُ جميعِ أولئكَ الحمقى، ابتكر بحثكَ الخاصَّ الذي يرقَى فوقَ الحياةِ المُبتذلَة.»

سبقَ لجاك مِيليَس أن تزوّجَ مرّتين، وفي المرّتين، انتهَى إلى الطّلاق. كانَ قد توصّلَ بتمتّعٍ إلى حلِّ نحو خمسينَ لغزاً. كانَ يمتلكُ شقّةً، مكتبةً، ومجموعةً من الأصدقاءِ. وذلكَ كان يُرضيهِ، أو على أيّة حالٍ يكفيهِ.

عادَ إلى بيتهِ مشياً على قدميهِ، مارّاً بساحةِ بوا–دو–لويل، الشّارعِ العريضِ مارشال –دو–لاتر–دو–تاسيني وشارع بوت–أو–كاي.

حولهُ في شتّى الأرجاءِ، أناسٌ تعدو في جميعِ الاتّجاهاتِ، سائقو سيّاراتٍ يُطلقونَ أصواتَ الأبواقِ مُستائينَ، نساءٌ ينفضنَ سجاجيدهنَّ على النوافذِ مُحدثاتٍ جلبةً. أطفالٌ يتلاحقونَ مُتبادلينَ رشقاتِ مسدّساتهم المائيّةِ. «بوم، بوم، بوم، ثلاثتكم متّوا!» صَرخَ أحدُهم. اكتنفَ جاك ميليَس الغيظَ من أولئكَ الأطفالِ الذين يلعبونَ لعبةَ الشّرطةِ والحراميّة.

وصلَ أمامَ عِمارتهِ. كانَ مُجمّعاً كبيراً يتّخذُ هيئةَ مُستطيلٍ تامّ، ترتفعُ واجهتهُ مائةً وخمسينَ متراً مع عددِ أمتارٍ مساوٍ للعرضِ. كانتِ الغربانُ تحومُ حولَ هوائيّاتِ التّلفزيوناتِ. أخرجَتْ البوّابةُ رأسَها من نافذةِ مقصُورتها، هي في حالةِ ترقُّبٍ دائم. أوقفتهُ مباشرةً:

– صباحُ الخيرِ سيّد ميليَس! أتدري حضرتُكَ، لقد رأيتُ في الصّحيفةِ ما يُحكى عنكَ. أولئكَ مُجرّدُ غيّورينَ!

مُستغرباً:

– عفواً؟

– إنّي متأكّدةٌ، على أيّةِ حالٍ، بأنّكَ أنتَ المُحقُّ.

صعد أربعاً أربع درجاتِ السّلم إلى شقّته. حيثُ كانت تنتَظرهُ في البيتِ ماري شارلوت، كالعادة. كانت مُتيّمةً بحبّه، وكما كلّ يوم، كانتَ قد أحضَرت لهُ صحيفتَهُ. حينَ فتحَ بابهُ كانتَ لا تزالُ تُمسِكُهَا بينَ أسنانها، فقال لها آمراً:

– أتركيها، ماري شارلوت!

أطاعتهُ دونَ تذمّرٍ وارتمَى مِيليَس محموماً على *الايكو دي ديمانش*.
لم يلبث أن عثرَ على صورتهِ والعنوان الضّخمِ المُتصدّرِ أعلاها:

حينَ تتدخّلُ الشّرطةُ

افتتاحيّة بقلم ليتيسيا ويلز

«الدّيمقراطيةُ تمنحُ العديدَ من الحقوقِ. فهي تسمحُ لنا بين جُملة أشياءَ أخرى أن نُطالبَ بالاحترام حتّى حينَ لا يكونُ المرءُ سوى جثّة. ومعَ ذلك سُلبَ هذا الحقُّ من عائلة سالتا المُتوفّاة. فعلاوةً على عدمِ حلٍّ لغزِ الجريمة الثلاثيّةِ هذه، يجدُ المُتوفَّى السيّد سيباستيان سالتا نفسهُ، دونَ أن يستطيعَ الدّفاعَ عن نفسهِ، مُتّهماً بقتلِ أخويهِ الاثنين قبلَ أن يُقدمَ على الانتحارِ.

«ممّنْ نسخرُ، وكم من السّهلِ اتّهامُ راحلينَ ما عادوا يملكونَ ترفَ الاستعانة بمحام! الجريمةُ الثلاثيّةُ التي حدثت في شارعِ فِزاندري جعلتنا -في الحدِّ الأدنى -نتعرّفُ بشكلٍ أفضلَ على شخصيّةِ المُفوّضِ جاك مِيليَس. ها هو الرّجلُ، مُسلّحاً بشهرته، يسمحُ لنفسه ودونَ خجلٍ أن يُجري تحقيقاً مُستهتراً. مُعلناً للوكالة المركزيّة للأنباء أنّ الإخوةَ سالتا ماتوا جميعاً بالسمّ، السيّدُ المُفوّض مِيليَس لا يسمحُ لنفسه فقط بحكمٍ مُتسرّعٍ على قضيّةٍ أكثرَ تعقيداً ممّا تبدو للوهلةِ الأولى، وإنّما علاوةً على ذلكَ يُهينُ مُوتى!

«انتحارٌ؟ بما أنّي رأيتُ جثّةَ سيباستيان سالتا بوسعي أن أؤكّدَ لكم أنّ هذا الرّجلَ ماتَ ضحيّةَ هولٍ شديدٍ. وجههُ ذعرٌ محضٌ!

«من السّهولةِ التفكيرُ بأنّ الجاني بعدَ قتله المُزدوج للأخوين، شعرَ بندمٍ فظيعٍ، وهذا ما سبّبَ تلكَ الملامح. ولكن أيُّ شخصٍ يمتلكُ حدّاً

أدنى من المعرفة بعلم النّفسِ الإنسانيّ، ولا يبدو هذا حالُ السيّد المُفوّض ميلِيَس، يُدركُ أنّ رَجلاً يستطيعُ وضعَ سُمّ قاتلٍ في طبقٍ سوفَ يتقاسمُهُ لاحقاً مع عائلته تجاوزَ مرحلةَ تأنيبِ الضّمير. وينبغي ألّا يحملَ وجههُ سِوى ملامح السّكينة التي حصلَ عليها أخيراً.

«إذاً، أيكونُ الألَمُ؟ الألَمُ الذي نتجَ عن سُمّ، غيرَ أنّ مفعولهُ ليسَ إلى هذا الحدّ. وإذا سلّمنا جدلاً فيجبُ معرفةُ نوعِ هذا السمّ الذي سيفسّرُ كلَّ شيء. بما يخصُّني فقد ذهبتُ إلى المشرَحة لأنّ الشّرطةَ لم تسمَح لي بالتّحقيقِ في مكانِ الجريمة. سألتُ الطّبيبَ الشرعيّ الذي صرّحَ لي بأنّ أيّاً من أجسَاد سالتا الثّلاثة لم يخضَع لعمليّة تشريح. إذاً أُغلقت القضيّةُ دونَ معرفةِ الأسباب المُحدّدة لموتهم. ما هذا الاستهتارُ من قِبلِ السيّد المُفوّضِ ميلِيَس، المُختصّ بعلمِ الجرائمِ والذي يتمتّعُ بهذا القَدرِ من الشّهرة!

«الرفعُ المُتسرّعُ إلى هذه الدّرجة لقضية سالتا تُعطينا سبباً للتفكيرِ وحتّى إلى القلقِ. إذ بإمكاننا، ولنا كلُّ الحقِّ، بالتساؤلِ إذا كانَ تأهيلُ كوادرِ شرطتنا الوطنيّةِ يرقَى بما يكفي لمواجهةِ مهاراتِ الإجرامِ الحديثِ.
ل. و»

كوّرَ ميليَس الصّحيفةَ بين يديهِ وأطلقَ شتيمةً.

13. الرّقمُ 103683 تتساءلُ

أصابعُ!

الأصابعُ!

ارتعاشٌ مجهولٌ يستَحوذُ على الرّقم 103683.

عادةً، تجهلُ النّمالُ الخوفَ. ولكن هل الرّقم 103683 لا تزالُ «عاديّةً»؟ جُمْجُمةُ المكبّ، وهي تلفظُ الكلمةَ الشميّةَ **إصبع** أيقظت منطقةً نائمةً في الدّماغِ لأنّها غيرُ مُستخدمةٍ منذُ ألفِ جيلٍ. منطقةَ الخوفِ.

إلى هذه اللّحظةِ، كانت الجُنديّةُ حينَ تعاودُ التفكّرَ في حافّةِ العالَمِ، تحظرُ ذكرياتها. تمحو من ذهنِها لقاءَها مع **الأصَابِعِ**. **الأصَابع** وقدرتهم الخارقةِ، بُنيتِهم غيرِ المفهومةِ، نزوعِهم الأعمَى نحوَ الموتِ.

ولكن هذه الجُمْجمةُ، الخِرقَةُ الغبيّةُ لهيكلٍ نافقٍ، كانت كافيةً لتُعيدَ مُجدّداً إيقاظَ منطقةِ الخوفِ. كانتِ الرّقم 103683 فيما مضَى مُحاربةً باسلةً، دائماً تَكونُ في الصفّ الأوّلِ للفيالقِ التي تتصدَّى لجيشِ النّمالِ القزَماتِ. كانت قد كلّفت نفسَها طوعيّاً التوجّهَ صوبَ الشّرقِ الشّريرِ. صارعَتْ ضدَّ الجاسُوساتِ ذواتِ رائحةِ الصّخرِ. اصطادت حيواناتٍ رؤوسها لا تُرى لفرطِ ارتفاعِها. لكن لقاءَها مع **الأصابع** جرّدها من أيِّ جمُوحٍ.

تتذكّرُ الرّقم 103683 على نحوٍ مبهمٍ وحوشَ نهايةِ العالَمِ أولئك. تعودُ وترَى صديقتها العجوز الرّقم 4000 وهي مُفلطحةٌ مثلَ ورقةٍ من قبلِ غيمةٍ سوداءَ مُفرطةِ السّرعةِ.

البعضُ كانوا يُسمّونهم «حرّاسَ نهايةِ العالَمِ»، «حيواناتِ اللانهائيّ»، «ظلالاً قاسيةً»، «طقطقةَ الخشبِ»، «نتانةَ-ال-موت»...

ولكن منذُ مدّةٍ وجيزةٍ، اتفقت جميعُ أعشاشِ النّمالِ على إطلاقِ الاسمِ ذاتهِ على هذهِ الظّاهرةِ المُحيّرةِ:

الأصَابِعِ!

أصَابعُ: هذهِ الأشياءُ التي تظهرُ من أيّ مكانٍ لتزرعَ الموتَ. **أصَابعُ**: هذه الحيواناتُ التي تسحَقُ كلَّ ما تُصادفهُ في طريقها. **أصَابعُ**: هذهِ الكُتَلُ التي تغرزُ وتسحقُ المُدنَ الصّغيرةَ. **أصَابعُ**: هذهِ الظّلالُ التي تلوّثُ الغابةَ بموادٍ تُسمّمُ كلَّ من يتذوّقُها. بمُجرّدِ التفكيرِ بها، تُصابُ الرّقم 103683 برعشَةِ غثيان.

يتنازعُها شعوران: الخوفُ، الغريبُ عن جنسِها، وشُعورٌ آخرُ في المقابلِ، يخصُّها: الفضُولُ!

منذُ مائة مليونِ سنة، والنّمالُ تلهثُ خلفَ التطوّرِ المُستمرّ. الحركةُ التطوريّةُ التي أطلقَتها شلي-بو-ني لا تتعدّى أن تكونَ إحدى المُعبّراتِ عن هذهِ الحاجةِ النّمليّة النموذجيّةِ بالذّهابِ أبعدَ، أعلى، أقوى.

والرّقم 103683 ليست استثناءً في ذلكَ. فضُولُها يطردُ خوفَها. فبعدَ كلّ حسابٍ، الجُمْجمةُ النّازفةُ تتكلّمُ عن مُتمرّداتٍ وحملةٍ ضدَّ **الأصابعِ**، ليسَ الأمرُ عاديّاً!

تنظّفُ الرّقم 103683 قرنيها كإشارةٍ عن حاجةٍ لديها إلى تجميعِ أفكارِها.

تنصبُ قرنيها نحوَ السّماءِ المُتنَائيةِ.

الهواءُ ثقيلٌ، كما لو أنّ ثمّةَ حضُورٌ لخاتلٍ يقفُ في مكانٍ ما مُترصّداً، مُستعدّاً للخروجِ لتحدّي المدينة. الأغصانُ الصّغيرةُ تهتاجُ حولها بفعلِ نسمة مُباغتة. بدت الأشجارُ تُوحي إليها أنْ تتوخّى الحذرَ، لكنّ الأشجارَ تقولُ أيَّ كَلام. لهولِ حجمِها لا تكترثُ بالمآسي التي تحدثُ بينَ جذورها. لا تحبّذُ الرّقم 103683 عقليّةَ الأشجارِ بتركِها الأمورَ تحدثُ دونَ أن تتحرّكَ. كما لو كانت على ثقةٍ بأنّها لا تُقهرُ! رغمَ أنّهُ

يحصلُ أن تنهارَ الأشجارُ، أن تحطّمها العواصفُ، أن تفحّمها الصّواعقُ أو تتآكلَ ببسَاطةٍ من قبلِ الأَرَضَة. حينها يأتي دورُ النّملِ لإظهارِ عدمِ اكتراثه بانهيارها. مَثَلُ النّملةِ القَزَمةِ يوضّحُ ذلكَ: *الضخامُ أبداً أكثرُ هشاشةً من الصّغارِ.*

قد تكونُ **الأصَابعُ** أشجاراً مُتحرّكةً؟

الرّقم 103683 لا تبدّدُ وقتها في تقليبِ أوجهِ الموضوعِ. اتّخذَتْ قرارها وانتهَى الأمرُ: ستسعى للتحقّقِ من مقولاتِ الجُمْجمةِ.

تدخلُ عشّها النّمليَّ عبرَ ممرّ ضيّقٍ بجوارِ المكبّ ثمّ تستلمُ الطّريقَ العريضَ المُحيطَ بالعشّ. والذي تتفرّعُ عنهُ شوارعُ كبيرةٌ تُفضي إلى المدينةِ المُحرَّمة. ليسَ هذا هو المكانُ الذي تُريدهُ. فتأخذُ قنواتٍ لفرطِ انحدارِها تتطلّبُ منها التشبّثَ بالمخالبِ. تتركُ لنفسها أن تنزلقَ في أحدِ الممرّاتِ المُنحدرةِ بقسوةٍ، تلتحقُ بشبكةٍ من الأروقةِ قليلةِ الازدحامِ بالرّغمِ من حركةِ السّيرِ المُعتادةِ.

عاملاتٌ منهمكاتٌ بنشاطٍ في نقلِ الطّعامِ والغُصيناتِ تُلقي التحيّةَ على الرّقم 103683. لا يوجدُ مجدٌ فرديٌّ عندَ النّمالِ، غيرَ أنّ الكثير هنا يعرفُ أنّ هذهِ الجُنديّة وصلت إلى هناك، إلى بلادِ **الأصَابعِ**. رأت حافّةَ العالَمِ، أطلّت على الزّاويةِ العوراءِ من كوكبِ الأرضِ.

رفعت الرّقم 103683 قرنيها وسألت عن مكانِ حظائرِ الجعْلان. تُوضّحُ لها عاملةٌ بأنّها تقعُ في الطّبقةِ 20 تحتَ الأرضِ، حيّ جنوب-جنوب-غربيّ، على يسارها بعضُ حدائقِ الفطر الأسودِ.

تهرولُ.

منذُ نشوبِ الحريقِ في العامِ الماضي، أُنجزَت أعمالٌ كثيرةٌ. المدِينةُ

القديمةُ لبيل-أو-كان كانت مُشيّدةً بخمسينَ طبقةً فوقَ الأرضِ وخمسين تحتَها. أُعيدَ التفكيرُ بها من قبلِ شلي-بو-ني، المدينةُ الجديدةُ الآن تفخرُ بارتفاعٍ يصلُ إلى ثمانين طبقةً. أمّا تحتَ الأرضِ فلم تتمكّن من تعديلِه بسببِ صخرةِ الغرانيت التي هي بمثابةِ أرضيّةٍ منذُ الأزل.

تتأمّلُ، وهي تمضي قُدُماً، بإعجابِ مدينتها الكبيرةَ دائمةَ التطوّرِ.

الطّبقةُ 75 فوقَ الأرضِ: ها هي الحاضِناتُ التي تُعَاير حرارتها بالدُّبالِ المُتحلّلِ، وقاعةُ تجفيفِ الحورياتِ ذاتُ الرّملِ الناعِمِ الذي يمتصُّ الرّطوبةَ. أصبحَ مُمكناً بسهولة، بفضلِ زلّاقةٍ قليلة الانحدارِ، إنزالُ البيوضِ إلى طبقاتِ العنايةِ المُشدَّدة. هناك، حيثُ مُربّياتٌ ببطنٍ ثقيلٍ يلعقنَها باستمرارٍ. بهذهِ الطريقةِ تنفذُ إليها البروتيناتُ والمُضادّاتُ الحيويةُ، التي لا بدّ منها لنموّها السّليمِ، عبرَ الغشاءِ الشفّافِ للشرانقِ.

الطّبقةُ 20 فوقَ الأرضِ: وها هنا مؤونةُ اللّحمِ الجَافّ، ومؤونةُ قطَعِ الفاكهةِ، ومؤونةُ طحينِ الفطرِ. وهذا كلّهُ محفوظٌ جيّداً بحمضِ النّمليكِ بطريقةٍ تمنعهُ من التعفّنِ.

الطّبقةُ 18 فوقَ الأرضِ: أحواضٌ من الأوراقِ الدّسمةِ المُغلقة على أحماضٍ للاختبارات العسكريّةِ، يتصاعدُ منها البُخارُ. كيميائيّونَ بأطرافِ فكوكهم الطّويلةِ يُجرّبونَ شدّةَ الإذابةِ لكلّ منها. بعضها استُخرجَ من الفاكهةِ، مثل حمضِ التفّاحِ المُستخرج من التفّاح. الأحماضُ الأخرى مُستخرجةٌ من مصادر أقلّ شيوعاً: حمضُ الأوكزاليك مُستخرجٌ من نباتِ الحُمّاضِ، الحمضُ الكبريتيُّ مُستخرجٌ من الصّخورِ الصّفراءِ. الحمضُ المثاليُّ للصيدِ هو حمضُ النّمليكِ الحديثِ

المُركّزِ بنسبة 60 %. إنّهُ يُحرِقُ الأحشاءَ قليلاً غير أنّ الأثرَ الذي يُحدثُهُ لا يمكنُ مُجاراتهُ. سبقَ للرقم 103683 أن اختبرتهُ.

الطّبقةُ 15 فوقَ الأرضِ: قاعةُ القتالِ ارتفعت. هنا، تتدرّبُ المُحارباتُ على المُبارزاتِ الفرديّة. الحركاتُ الجديدةُ تُصنَّفُ بدقّة من خلالِ فيرومُونات الذّاكرةِ وتُرسَلُ إلى المكتبةِ الكيميائيّة. فلم يعد دارجاً اليوم الانقضاضُ على رأسِ الخصم، وإنّما الأصحُّ قطعُ أرجله رجلاً تلو أخرى إلى أن يعجزَ عن الحركةِ. وأبعد قليلاً، تتدرّبُ المدفعيّاتُ على إذابةِ شحُومٍ موضوعةٍ على مسافةِ عشرِ خطواتٍ برشقةٍ مُحقّقة.

الطّبقةُ 9 تحتَ الأرضِ: حظائرُ الأرَقات. أصرّتِ الملكةُ شلي-بو-ني على أن تكونَ الحظائرُ جميعها مضمُومةً في المدينة لتجنّبِ مجازفةِ هجومِ الدّعاسيقِ المُفترسةِ على القطعانِ. عاملاتٌ مُسرعاتٌ يُلقينَ بشرائح نبتِ البهشيةِ إلى الأرَقات اللواتي يستعجلنَ بدورهنّ لإفراغها من كافّة نُسْغِها.

ازدادَ مُعدّلُ التكاثرِ عندَ الأرقَات. أصبحَ عشرُ دُوَيبات في الثانية. الرّقم 103683 محظوظةٌ بأنْ تشهَدَ أثناءَ مرورها ظاهرةً نادرةً. أرَقَةٌ تضعُ أرْقةً صغيرةً تتهيّأُ للولادةِ، وتلدُ أرْقَةً أكثر صِغَراً. هكذا تُصبحُ أمّاً وجدّةً في آنٍ معاً.

الطّبقةُ 14 تحتَ الأرضِ: مزارعُ الفطرِ تمتدُّ على مدّ النّظرِ، تتغذّى من أحواضِ سمادٍ حيثُ يأتي الكلّ بدوره ويضعُ روثهُ فيه. مُزارعاتٌ يقطعنَ السّيقانَ التي تطولُ أكثرَ من اللازمِ، أخرياتٌ يضعْنَ ميرميكاسين الذي يحميهِ منَ الطفيليّاتِ.

بغتةً، يقفزُ حيوانٌ أخضرُ أمامَ الرّقم 103683، وهو نفسهُ ملاحَقٌ

من حيوانٍ أخضرَ آخرَ. يبدو أنّهما يتعاركان. تسألُ في الجوارِ عمّن تكونُ هاتان الحشَرتانِ الغريبَتانِ. يُوضِّحُ لها بأنّهما بقّتا كهفٍ نتنتانِ. هذا الصّنفُ يمارسُ الحبَّ باستمرارٍ. وبكافّةِ الأساليبِ التي يمكنُ تخيّلها، في أيّ مكانٍ ومع أيٍّ كان. هو الحيوانُ الذي لديهِ الجنسُ الأكثرُ غرابةً على الأرضِ. شلي-بو-ني تُؤثِرُ دراسَتهم.

منذُ البدءِ والحشراتُ الطفيليّةُ تتكاثرُ في كافّةِ عشوشِ النّمالِ. أكثرُ من ألفي صنفٍ من الحشَراتِ، من كثيراتِ الأرجلِ إلى العنكبوتياتِ، تعيشُ في عشِّ النّملِ دوماً وسطَ قبولِ النّمالِ لوجودها، وقد جرَى إحصاءُ أعدادها. يستغلُّ البعضُ الفُرصةَ للقيامِ بتحوّلهم داخلَهُ، وآخرونَ ينظّفونَ القاعاتِ بتغذّيهم على النفاياتِ.

لكنّ بيل-أو-كان هي أوّل مدينة درسَتْهم «بطريقة علميّة». تدّعي الملكةُ شلي-بو-ني أنّ أيّةَ حشرةٍ يمكنُ ترويضُها وتحويلُها إلى سلاحٍ مرهوبٍ. فبحَسْبها، لكلّ فردٍ طريقةُ استخدام خاصّةٌ بهِ، والتي تظهرُ أوّلَ ما يبدأُ المرءُ مخاطبتهُ. يكفي فقط توخّي الحَذَرِ.

وحريٌّ بالقولِ أنّ النّجاحَ كانَ حليفَ شلي-بو-ني حتّى اللّحظة. فقد استطاعت «تدجين» عدّةِ أصنافٍ من الخنافسِ بإطعَامها، وبناء مأوى لها، وبمعالجتها من أمراضِها، كما كانت تفعلُ مع الأرْقَاتِ. إلّا أنّ نجاحَ الملكةِ الأكثرَ إدهاشاً، كان بتمكّنها من ترويضِ جِعْلانِ وحيدِ القرنِ.

الطّبقةُ 20 تحتَ الأرضِ: الحيُّ-جنوب-جنوب-غربيٌّ، نحوَ اليسارِ بعدَ حدائقِ الفطرِ الأسودِ. كانتِ المعلوماتُ صحيحةً. الجِعْلانُ في نهايةِ الممرِّ.

14. موسُوعة

خوف: لفهمِ غيابِ الخوفِ عندَ النّملِ، ينبغي ألّا يغيبَ عن أذهاننا أنّ مجموعَ عشِّ النّملِ يعيشُ كجسدٍ واحدٍ. تلعبُ فيه كلُّ نملةٍ الدورَ ذاتَهُ الذي تلعبُهُ الخليّةُ في الجسمِ البشريّ.

هل تخشى قُلامَاتُ أظافرِنا القصَّ؟ هل ترتعشُ شُعَيراتُ ذقونِنا حينَ تدنو الشفرةُ منها؟ هل يرتعبُ إبهامُ القدمِ حينَ نكلّفُهُ باختبارِ حرارةِ ماءِ حمّامٍ قد يكونُ مغليّاً؟

لا يشعرونَ بالخوفِ لأنّه ليسَ لهم وجودٌ ككياناتٍ مُستقلّة. كذلك، إذا قرَصَتْ يدُنا اليُسرى اليُمنى فلن يخلّفَ ذلك أيّةَ ضغينةٍ لديها. وفي المقابلِ إذا تزيّنت اليُمنى بخواتمَ أكثرَ من اليُسرى، فلن ينجمَ حسدٌ عن ذلكَ أيضاً. إذ أنّ المشَاكلَ تنتهي حينَ ننسَى أنفسنا لنفكّرَ بعمومِ الجماعةِ -الجسَدِ. ربّما هنا يكمنُ أحدُ أسرارِ النّجاحِ الاجتماعيّ لعالمِ النملِ.

إدمون ويلز،

موسُوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلّد الثاني.

15. لم تظهَرْ ليتيسيا بعدُ

بعدَ أن تجاوزَ غضبهُ، فَتحَ جاك ميلِيَس حقيبتَهُ وأخرجَ منها ملفَّ الإخوةِ سالتا. قرّرَ العودةَ مُجدّداً إلى معاينة مُحتوياته وعلى الأخصّ الصّور. ظلَّ لمدّة طويلة مائلاً على الشكلِ المُكبّرِ لسيباستيان سالتا، فمهُ فاغرٌ. وتبدو صرخةً خارجةً من شفتيه. أهيَ صرخةُ رعب؟ أمْ لفظةُ «لا» أمامَ موت مُحتّم لا مفرَّ منهُ؟ أو هويّةُ قاتلِه؟ كلّما زادَ تمعُّناً في الصّورةِ زادَ انشداهاً، وأخَذَ الخجَلُ يعتصِرهُ.

في النّهايةِ انفجرَ، وقفزَ ضارباً الجِدارَ بغضبٍ.

صحفيّةُ *إيكو دو ديمانش* مُحقّةٌ. وهو مُخطِئ.

لقد استخفَّ بالقضيّةِ و لم يعطِها حقّ قدْرِها. درسٌ رائعٌ بالتواضعِ. لا خطأَ أسوأُ من خطأ الاستخفافِ بالحالاتِ أو بالنّاسِ. شكراً لكِ سيّدة أو آنسَة ويلز!

ولكن لِمَ ظهرَ أداؤهُ بهذا السّوءِ في هذه القضيّة؟ بسببِ الكسلِ. فقد اعتادَ أن ينجحَ على الدّوام. إذاً، سمحَ لنفسهِ بارتكابِ أمرٍ ما كانَ لأيّ شرطيّ ولا حتّى المُبتدئ في المهنةِ أن يُقدمَ عليه: استهترَ بالقضيّة. وشُهرتُهُ لم تجعل أحداً، باستثناءِ تلكَ الصحفيّةِ، يشكُّ بأنّه يسيرُ على الطريقِ الخطأ.

ينبغي أن يُعادَ كلُّ شيءٍ من البدايةِ. مُراجعةُ الذاتِ تنطوي على مشقّةٍ إلّا أنّها ضروريّةٌ! إذ يُفضَّلُ أن يعترفَ اليومَ بخطئهِ عوضاً عن الإمعانِ فيه.

المُشكلةُ أنّ الأمرَ ليسَ مُتعلّقاً بحالةِ انتحارٍ، لقد كانَ أمام قضيّةٍ مُفرطة التّعقيد. كيفَ يمكنُ للمجرمينَ الدّخولُ والخروجُ من مكانٍ مُغلقٍ دونَ تركِ أيّ أثرٍ وراءَهم؟ كيفَ يُمكنُ للمرءِ أن يقتلَ دونَ أن يُحدثَ جروحاً أو يستخدمَ سلاحَ جريمةٍ؟ كان اللّغزُ يتجاوزُ أعقدَ القصصِ البوليسيّةِ التي قرأها إلى الآن.

إثارةٌ جديدةٌ أخذَتْ تستَحوذُ عليه.

أيكونُ قد وقعَ أخيراً، وبالمُصادفة، على «الجريمة» المُكتملة؟

فكّرَ بقضيّةِ الجريمةِ المُزدوجةِ في شارع مورغ، والمرويّة بشكلٍ جيّدٍ في القصّةِ القصيرةِ لإدغار ألانِ بو. في هذهِ القصّة، المُستندةِ إلى حقائقَ

واقعيّة، عُثِر على امرأة وابنتها مقتولتين في شقّتهما المُغلقة بإحكام، ومن الدّاخلِ. المرأةُ مُصابةٌ بضربةِ موسى، فيما تعرّضتِ الابنةُ لضربةٍ على رأسها. ما من أثرٍ للسرقة، ليس سِوى خبطات عنيفة وقاتلة. في نهايةِ التّحقيقِ، انكشفَ القاتلُ: الأورانغ -أوتانغ[15]، كانَ هارباً من سيرك، ودخلَ الشقّةَ عبرَ السّطوحِ. أوّلُ ما رأتهُ الضحيّتانِ أخذتا بالصّراخ، صراخهما أصابَ القردَ بمَسّ. فقتلهما فقط ليُسكتهما قبلَ أن يُعاوِدَ الهروبَ من الطّريقِ ذاته الذي أتى منهُ، صادماً بظهرِه إطارَ النّافذةِ الشاقوليّةِ، ما جعلهُ يهوي كما لو أنّ النافذةَ مغلقةٌ من الدّاخلِ بالأصلِ.

الوضعُ مُشابهٌ في قضيّةِ الإخوةِ سالتا، إلّا أنّ أحداً لا يمكنُهُ إغلاقُ النّافذةِ بدفعةِ ظهرٍ.

ولكن، هل هذا مؤكّد؟ عادَ ميليّس على الفورِ لتفتيشِ المكان.

الكهرباءُ مفصولةٌ إلّا أنّهُ جلبَ معهُ عدسةَ الجيبِ المُكبّرةِ -المُضيئة. تفحّصَ الغُرفةَ المُضاءةَ من الشّارعِ بتقاطُعاتِ مصابيحِ النيونِ المُتَنافرةِ الألـوانِ. سيباستيان سالتا وأخـواهُ كانوا لا يزالونَ ممدّدينَ هناك، مُزجّجينَ، ومُتصلّبينَ، كأنّهم في مواجهةِ هَولٍ مُنبثق عن جحيمٍ مدنيّ.

حالةُ البابِ المُقفلِ لا شكَّ فيها، تأكّدَ المُفوّضُ أيضاً من إغلاقِ النّوافذِ. مَزاليجُها الإسبانيّةُ المتطوّرةُ لم تكن تسمحُ ولا بأيّةِ حالٍ بأن تُغلقَ من الخارجِ، ولا حتّى بالمُصادفة.

أخذَ يطرقُ على الفواصلِ المُغطّاةِ بورقِ جدرانٍ بنيّ باحثاً عن ممرّ سرّيّ ما. رفعَ اللّوحاتِ ليرى إن كانت تُخفي وراءَها خزنةً. كانَ العديدُ

15- إنسان الغابة، يطلق على نوع من القردة.

من أغراضِ الغرفةِ قيّماً: شمعدانٌ ذهبيّ، تمثالٌ صغير من الفضّةِ، جهازُ ستيريو... أيُّ ناهبٍ ما كان ليتركها.

ثيابٌ مرميّةٌ على كرسيّ. تلمّسها بشكلٍ تلقائي. أمرٌ أثارَ فضولهُ عبرَ اللّمسِ. وجودُ ثقبٍ صغيرٍ جدّاً في قماشةِ السّترةِ. مثل ثقبِ عثّ، محيطُ الثقبِ مربّع تامّ. تركَ السّترةَ و لم يُعاود التفكيرَ بها. استلّ من جيبه أحد علب علكته الأبديّة فأوقعَ -وهو يقومُ بالحركةِ -مقال *إيكو دو ديمانش* الذي كانَ قد قصّهُ من الصّحيفةِ بعناية.

أعادَ وهو مُستغرقٌ في أفكارهِ قراءةَ مقالِ ليتيسيا ويلز. تكلّمت عن قناعٍ من الرّعبِ. ذلكَ صحيح. يبدو على هؤلاء النّاسِ أنّهم ماتوا من الرّعبِ. ولكن ما الذي يُخيفُ إلى الحدّ الذي يقتلُهم؟

غاصَ في ذكرياته. إحدى المرّاتِ حينَ كان صغيراً أُصيبَ بفُوَاق معنّد. ساعدتهُ أمّهُ على أن يجتازهُ بتنكّرها في زيّ ذئبٍ وظهورها بشكلٍ مُفزعٍ. صَدَرت عنهُ صرخةٌ كما لو أنّ قلبهُ توقّفَ لحظةً عن الخفقانِ. وعلى الفورِ، نزعت أمّهُ القناعَ وغمرتهُ بالقُبلِ. انتهى الفُوَاق.

بالخُلاصةِ، ترعرعَ جاك ميليَس مع الخوفِ المُستمرّ. مخاوفُ صغيرةٌ: الخوفُ من أن يمرضَ، الخوفُ من حادثِ سيارةِ، الخوفُ من سيّد يقدّمُ السّكاكرَ للأطفالِ ويخطفُهم، الخوفُ من الشّرطة. مخاوفُ أكثرُ أهميّةً: الخوفُ من الرّسوبِ في صفّه، الخوفُ من أن يُسلبَ مالهُ عندَ انصرافهِ من الثانويّةِ، الخوفُ من الكلابِ.

أكوامٌ من الذّكرياتِ المُتعلّقةِ بمخاوفِ الطفولةِ عادت وطفَتْ على السّطحِ.

أخذ جاك ميليَس يتذكّرُ أسوأ مخاوفهِ. خوفُهُ الكبيرُ.

في أحد الليالي حينَ كانَ صغيراً جداً، أحسّ بشيءٍ يتحرّكُ بسرعة عندَ نهايةِ سريرهِ. كانَ وحشاً مُتخفيّاً هناكَ في أكثرِ مكانٍ ظنّ أنّهُ مُحصّنٌ فيهِ! بقي لوقتٍ طويلٍ لا يجرؤُ على مدّ رجليهِ تحتَ الشّراشفِ، ثمّ استعادَ شجاعتهُ وانزلقَ تحتهُ بشكلٍ مُتدرّجٍ.

ولكن فجأةً التقطت أصابعُ رجليه... تنفساً دافئاً. أجفلَ. أجل، كانَ مُتأكّداً من ذلك! خطمُ وحشٍ في أسفلِ السّريرِ كانَ ينتظرُ رجليهِ أن تقتربا ليفترسَهما. لحسن الحظّ، لم تكونا تصلان إلى نهايةِ السّريرِ. لم يكن كبيراً بما يكفي، ولكن كلَّ يوم، كانَ يكبرُ ورجلاه تقتربانِ من ثنيةِ الشّرشفِ حيث يكمنُ الوحشُ مُفترِّسُ أصابع الرّجلين.

بقي الصبيُّ ميليَس عدّة ليالٍ ينامُ على الأرضِ، أو على الأغطيةِ. ممّا كانَ يتسبّبُ لهُ بتشنّجاتٍ، فهذا لم يكن حلّاً. فقرّرَ إذاً البقاءَ تحتَ الشّراشفِ، ولكن كانَ يطلبُ من سائرِ جسده، من سائرِ عضلاته، من سائرِ عظامه بألّا تكبرَ كثيراً كيلا يُلامسَ النّهايةَ يوماً. رُبّما لهذا السّببِ لم يكن طويلاً مثلَ أبويهِ.

كلُّ ليلةٍ كانت امتحاناً. ومع ذلكَ توصّلَ إلى حيلة. كانَ يشدّ ذراعيهِ بقوّةٍ على دبدُوبهِ المصنوعِ من القطيفةِ. كان يشعرُ معهُ بالقُدرةِ على مواجهةِ الوحشِ المضّطجعِ عند نهايةِ سريره. ثمّ إنّه يختبئُ تحتَ الأغطيةِ ولا يسمحُ لشيءٍ أن يظهرَ منهُ، لا ذراع، ولا شعرةٍ من رأسه، ولا أيٍّ من الأذنينِ. لأنّه بدا من البداهةِ أنّ الوحشَ سينتظرُ الليلَ ليستديرَ حولَ قطعةِ الأثاث ويلتقطَ رأسهُ من خارجِ السّرير.

في الصّباح، كانت أمّهُ تجدُ ابنها ودبدوبهُ مدفونين في أسفلِ كُرةٍ من الشّراشفِ والأغطيةِ. لم تُحاول يوماً فهمَ هذا السّلوكِ الغريبِ. وبالمُقابلِ

لم يكلّف جاك نفسهُ بإخبارها كيفَ هو ودبدوبهُ، تصدّيا للوحشِ طيلةَ الليلِ.

لم ينتصر يوماً، لا هو ولا الوحشُ. وكلُّ ما تبقّى لهُ هو الخوفُ. الخوفُ من أن يكبرَ والخوفُ من مواجهةِ شيءٍ مُرعبٍ لم يحدّدهُ حتّى. شيء كانَ لديهِ عينٌ حمراءُ وشفّةٌ متدلّية ونابٌ يسيلُ عليه اللّعاب.

استعادَ المُفوّض رِباطةَ جأشه، وشدَّ على المُكبّر المُضيءِ وفحصَ بجدّيةٍ أكبرَ من المرّةِ الأولى غرفةَ الجريمةِ.

في الأعلى، في الأسفلِ، إلى اليمينِ، إلى اليسارِ، فوقَ الأشياءِ وتحتَها.

ولا أدنى أثرٍ لخطواتٍ مُوحلةٍ على المُوكيت، ولا أيّةَ شُعيرةٍ غريبةٍ عن العائلةِ، ولا أيّةَ بصمةٍ على الزّجاجِ. ولا حتّى بصماتٍ غريبةٍ على الكؤوسِ. ذهبَ إلى المطبخِ. وأضاءَهُ بشعاعِ المصباحِ المخروطيّ.

اشتمَّ وتذوّقَ الأطباقَ التي كانت متروكةً. كان لدى إميل الحصافةُ لأن يزجّجَ حتى الطّعامَ. بارعٌ إميل! اشتمَّ جاك مِيليَس إبريقَ الماءِ. ما من رائحةِ سُمّ تفوحُ منه. أيضاً عصائرُ الفاكهةِ والصودا بقلّةِ الأهميّةِ ذاتها.

الإخوةُ سالتا لديهم أقنعةُ ذعرٍ على الوجه. لا بدَّ أنّهُ يشبهُ ذعرَ المرأتين في الجريمةِ المُزدوجةِ في شارعِ مورغ حينَ رأتا القردَ الأخرقَ يدخلُ من نافذةِ صالونهم. عادَ للتفكيرِ بهذه القضيّة. في الواقع، الأورانغ -أوتانغ كانَ خائفاً أيضاً، كان يريدُ إيقافَ صُراخِ المرأتين لهذا السّببِ قتلهما. لقد أفزعَهُ صُراخُهما.

مأساةُ عدَمِ التّواصلِ من جديد. نحنُ نخَافُ ما لا نفهمهُ.

وفيما هو مُستغرقٌ في تفكيرِه، لاحظَ شيئاً يتحرّكُ خلفَ السّتارةِ فتجمّدَ قلبهُ. هل عادَ القاتلُ! أفلتَ المُفوّضُ مكبّرهُ المُضيءَ الذي انطفأَ.

لم يتبقَّ الآن سِوى مصابيحِ نيونِ الشّارعِ التي تُضيءُ بالتّناوبِ متهجّيةً حُروفَ كلمتي «بار غوغو» حرفاً حرفاً.

أرادَ جاك مِيلِيَس أن يختبئَ، أن يثبُتَ في مكانه، أن يدفنَ نفسهُ. جمّعَ شجاعتهُ، والتقطَ عدسةَ المُكبّرِ -المصباحِ وأزاحَ السّتارة المشبوهةَ. لا يوجدُ شيء. إلّا إذا كانَ الرّجلُ الخفيُّ.

- هل من أحدٍ هنا؟

ولا أدنى صوت. لا بدّ أنّه تيارٌ هوائيٌّ.

لم يعد يستطيعُ البقاءَ هنا، قرّرَ أن يذهبَ ويُلقي نظرةً على الجيرانِ.

- مرحباً، المعذرةُ، شرطة.

انفرجَ البابُ عن سيّدٍ أنيقٍ.

- شرطة. لديّ سؤالانِ أو ثلاثةٌ فقط أسألهم لكَ عندَ عتبةِ البابِ.

أخرجَ جاك مِيلِيَس دفتراً صغيراً.

- هل كنتَ هنا ليلةَ حدوثِ الجريمةِ؟

- بلى.

- هل سمعتَ شيئاً؟

- لم يُسمَع صوتُ أعيرةٍ ناريّةٍ، ولكن فجأةً صرَخوا.

- صرَخوا؟

- نعم، صُراخاً قويّاً جدّاً. كانت هذهِ الصَّرخاتُ مرعبةً. واستمرّت ثلاثينَ ثانيةً ثمّ لا شيءَ.

- وهل صدَرت مُتزامنةً، أم واحدةً تلو الأُخرى؟

- متزامنةً على الأغلبِ. حقّاً، كانَ جُؤاراً غيرَ إنسانيّ. لا بدَّ أنّهم

تألّموا. بدا الأمرُ كما لو أنّ الثّلاثةَ يُقتلونَ في اللّحظةِ ذاتها. يا لها من قصّة! أستطيعُ إخباركَ أنّهُ منذُ سماعي أولئكَ الأشخَاصَ وهم يصرُخون، وأنا أجدُ صعوبةً في النّومِ. بالمُناسبةِ أنوي الانتقالَ من هذا المكانِ.

– ما الذي يمكنهُ أن يكونَ برأيكَ؟

– سبقَ وأن مرَّ زُملاؤكَ. يبدو أنّ أحدَ الشّرطيينَ شخّصَ القضيّةَ... انتحار. أنا، لستُ على قناعةٍ كبيرةٍ بذلك. كانوا أمامَ شيءٍ، شيءٍ مُرعبٍ، ولكن ما هو، لستُ أدري. ولكن على أيّةِ حالٍ، لم يصدرْ عنه أيُّ صوتٍ.

– شكراً.

أخذت تستَحوذُ فِكرةٌ على ذهنهِ.

(ذئبٌ هائجٌ وصامتٌ، لم يُخلّف أثراً هو الذي اقترفَ هذهِ الجرائمَ.)

غيرَ أنّهُ يعلمُ أنّ الأمرَ ليسَ كذلكَ على الإطلاقِ. وإذا لم يكن كذلك، فما هو الذي يُمكنُ أن يسبّبَ أضراراً تفوقُ ما يحدثُهُ أورانغ –أوتانغ مسلّحاً بموسى قادماً منَ السّطوحِ؟ رجلٌ، رجلٌ مميّزٌ ومجنونٌ اكتشفَ وصفةَ الجريمةِ المُكتملةِ.

16. موسُوعة

جنون: جميعُنا، كلّ يوم نغدو أكثر جنوناً ولكلّ منّا، جنونٌ مختلفٌ. هذا السببُ الذي يجعلُنا نُسيءُ فهمَ بعضنا إلى هذا الحدّ. أنا نفسي، أشعرُ أنّي مُصابٌ بمرضِ الارتيابِ والفصام. وعلاوةً على ذلك، مُفرطُ الحساسيّةِ، وهذا ما يشوّهُ رؤيتي للواقعِ. أنا أعلمُ بذلك. فأحاولُ إذاً، عوضاً عن الخضوعِ

لهُ، استخدامَ هذا الجنون كمحرّك لكلّ ما أفعلهُ. ولكن كلّما نجحتُ، أصبحتُ أكثرَ جنوناً. وكلّما أصبحتُ أكثرَ جنوناً، وصلتُ إلى الأهدافِ التي وضعتها لنفسي بشكلٍ أفضلَ. الجنونُ أسدٌ غاضب يقبعُ داخلَ كلّ جمجمة. لا ينبغي قتلُهُ. يكفي بأن تحدّدهُ وتروّضَهُ. عندئذ سيأخذكَ أسدُك المروّضُ أبعدَ بكثيرٍ من أيّ سيّد، وأيّ مدرسة، أبعدَ من المُخدرات أو الدّين. لكنّهُ مثلُ أيّ نبع قوّة، ثمّةَ مجازفةٌ بمغالاة المرءِ في التلاعبِ بجنونِه: الأسدُ أحياناً، في قمّةِ اهتياجه، ينقلبُ ضدّ من أرادَ ترويضَهُ.

إدمون ويلز،

موسُوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلّد الثاني.

17. آثارُ خطَواتٍ

تعثرُ الرّقم 103683 على حظَائرِ الجِعْلان. في الواقعِ، هي قاعةٌ واسعةٌ تصطفُّ فيها خنافسُ وحيدِ القرن بقاماتها المهيبة. أجسادُها مكوّنةٌ من صفائحَ سوداء، سميكة ومحبّبة تتراكبُ مُتداخلةً في بعضها بعضاً. في الخلفِ، ثمّةَ أشكالٌ مدوّرةٌ وملساءُ. ومن الأمام، تعتمرُ قُبّعةً من الكيتين تنتهي بقرنٍ حادّ وطويل، أثخنُ من شوكة الوردةِ بعشرةِ أضعافٍ.

ما تعرفهُ الرّقم 103683 عنها، أنّ طولَ كلّ واحد من هذه الحيوانات الطّائرةِ يبلغُ ستّ خطواتٍ وعرضُهُ ثلاثاً. تُفضّلُ حياةَ الظُّلمة، ولكن بشكلٍ مُتناقض نقطةُ ضعفِها الوحيدةُ هي الانجذابُ إلى الضّوءِ. في عالمِ الحشراتِ، اللّمعانُ هو الشّراهةُ التي يندرُ من يقاومُها.

ترعَى هذه الدّوابُّ الضخمةُ النّشارةَ والبراعمَ المُتعفّنةَ. فضلاتُها

مُتناثرةٌ في أرجاءِ المكانِ وتنبعثُ عنها رائحةٌ كريهةٌ، لأنّ حيّزَ الفضاءِ ضيّقٌ في هذا المكانِ ذي السّقفِ الواطئ فلا يسمَحُ لها بالحركة. ثمّةَ عاملاتٌ مُكلّفاتٌ بالتنظيفِ لكن يبدو أنّ وقتاً طويلاً قد مرَّ على آخرِ مرورٍ لهنّ.

ترويضُ خنافسٍ كهذهِ لم يكن أمراً هيّناً. خطَرت للملكةِ شلي-بو-ني فكرةُ التّحالُف معها بعدَ أنْ أنقذها أحدُهم من حبائلِ شبكةِ عنكبوتٍ. وأوّلُ ما تُوّجت مَلكةً جمعتها ضمنَ فيلقٍ طائرٍ. لكنّ فُرصةَ إشراكِها في القتالِ لم تتحقّق حتّى الآن، لم تُعمّد بالحَمضِ ولا أحد يَعرفُ كيفَ ستتصرّفُ أكَلةُ الأعشابِ هذه، ذواتِ المزاجِ الرّائقِ، في حالةِ الحربِ، حين تُوضَعُ أمامَ جحافلَ من الجُنديّاتِ الهائجاتِ.

تتسلّلُ الرّقم 103683 بين أرجلِ هؤلاء الضّخامِ المُجنّحينَ. هي مُعجبةٌ بالمكانِ الذي ابتُكرَ ليكونَ مَسْقَى: الورقةُ التي، في وسطِ الغرفةِ، تحتفظُ بقطرةِ ماءٍ هائلةٍ يمتدُّ سطحُها جانبياً أوّلُ ما تأتيها إحدى الدّابّاتِ لتروِيَ عطشَها.

يُقالُ، أنّ شلي-بو-ني، أقنعتْ هذه الجِعْلانَ بالاستقرارِ في بيل-أو-كان بمجرّدِ مُخاطبتها عبرَ فيرومُوناتٍ شمّية. هي فخورةٌ بمواهبها الدّبلوماسيّة. لتعقدَ أواصر بين طريقتي تفكيرٍ مُختلفتين، يكفي أن تعثُرَ على وسيلةِ اتّصالٍ، شرحت هذا في إطارِ حركتها التطوّريّة. ولبلوغها هذه الغايةَ، يمكنُ أن تتبعَ كافّةَ السُّبلِ: منحَ الطّعامِ، روائحَ جوازاتِ مرورٍ، فيرومونات مطمئنةً. بحسْبِها، حيوانانِ يتواصَلانِ غيرَ قادرين على قتلِ بعضِهما بعضاً.

أثناءَ الاجتماعِ الأخيرِ للملكاتِ الفيدراليّةِ، عرضَت بعضُ المُشاركاتِ

بأنّ ردَّ الفعلِ السّائد عندَ مُجملِ الأصناف إلغاءُ كلّ ما هو مختلفٌ: إذا كانَ هدفُ الأوّلِ هو التّواصلُ فيما هدفُ الآخرِ القتلُ، فالأوّلُ سيُستغفلُ دوماً. أجابت شلي-بو-ني عن ذلكَ بشفافيّة، مُعتبرةً بالخُلاصة، أنّ القتلَ بحدّ ذاته هو نوعٌ من التّواصلِ، حتّى لو أنّه النوعُ الأكثرُ بدائيّةً. فلكي تقتلَ، ينبغي عليكَ الإقدامُ، النّظرُ، الدّراسةُ، التنبؤُ بردودِ فعلِ خصمِكَ. وبالتّالي، الاهتمامُ به.

حركتُها التّطوريّةُ حافلةٌ بالمُفارقاتِ!

تنسحبُ الرّقم 103683 من مشهدِ الجُعْلانِ لتتابعَ بحثَها عن الممرّ السرّي الذي سيوصِلُها إلى النّمالِ المُتمرّدة.

تلاحظُ آثارَ خطوات على السّقفِ. آثاراً في جميعِ الاتّجاهات، كما لو أنّ أحداً أرادَ تمويهَ الدّربِ أمامَها. غير أنّ الجُنديّةَ أيضاً هي مُستطلعةٌ قلّ نظيرُها وهي تُجيدُ التقاطَ الدّعسِ الأحدثِ وتعقّبه.

تقودُها الدّعسَاتُ إلى نتوءٍ صغيرٍ، إنّهُ يُخفي مدخلاً بالفعل. لا بدَّ أنّ المكانَ هنا. تدفُنُ شرنقةَ الفراشة التي تَعوّقُها أكثرَ مما تنفعُها، تُمرّرُ رأسها في الممرّ ثمّ كاملَ جسدِها وتتقدّمُ بتوجّسٍ.

روائحُ أفرادٍ.

مُتمرّداتٌ... كيفَ يُمكن أن يوجدَ مُتمرّداتٌ داخلَ جسم مدينةٍ مثل بيل-أو-كان مُتجانسة إلى هذا الحدّ؟ الأمرُ كما لو أنّه في مكانٍ، في زاويةٍ من الأمعاء، قرّرت خلايا ألّا تواصِلَ دورها في لعبةِ الجسدِ الشّاملة. يمكنُ مُقارنةُ ذلكَ بالزائدةِ الدوديّةِ. تتقدّمُ الرّقم 103683 للقاءِ نوبةِ زائدةٍ أصابت المدينةَ الحيّةَ.

كم عددُ اللواتي يُخادعنَ بهذهِ الطريقةِ؟ وما هي دوافعُهنّ؟ كلّما

كانت تتقدّمُ، ازدادت رغبتُها بإزالة اللّبسِ عن هذا الموضوع. إنّها على علم الآن بوجودِ حركةٍ تمرّديّةٍ، وتريدُ أن تعرِفها وتعرفَ كيف تعملُ وماً هي أهدافُها.

تتقدّمُ، ثمّةَ روائحُ طازجةٌ. مُواطناتٌ عبرنَ منذُ مدّةٍ وجيزة في هذا النّفقِ الضّيقِ. فجأةً تنقضُّ رجْلان في نهايتهما أربعةُ مخالبَ وتقبضُ على الجزءِ القاسي من صدرِها وتسحَبانها إلى الأمام. تُؤخَذُ من الممرّ وتصلُ إلى قاعةٍ. يقرصُ فكّان رقبتها ويبدآن بالضّغطِ عليها.

تحاولُ الرّقم 103683 التملّصَ. تميّزُ خللَ الهياكلِ التي تدفعُها قاعةً بسقفٍ واطئٍ، واسعةً نوعاً ما. بلمحةِ قرنٍ، تُقدّرُ أنَّ أبعادَها لا بدّ أن تكونَ 30 خطوةً على 20 وتُغطي مساحتُها، بحمايةِ سقفٍ اصطناعيّ، كاملَ حظيرةِ الجعْلان.

ثمّةَ هنا ما يُقاربُ مئةَ نملةٍ يُحطنَ بها. أكثرُ من واحدةٍ أخذنَ بالتحقّقِ مُرتاباتٍ من الرّوائحِ الثبوتيّةِ للدخيلةِ.

18. موسُوعة

كيف التخلّصُ منهُ؟ حين أُسألُ عن كيفيّة التخلّصِ من النّمل المُتسلّط على المطبخِ، أجيبُ: بأيّ حقّ يكون مطبخُكم لكم أكثرَ ممّا هو للنملِ؟ أنتم اشتريتموهُ؟ حسناً، ولكن ممّن؟ من بشرٍ آخرينَ صنعوهُ وهم يستخدمونَ الإسمنتَ وملؤوهُ بطعامٍ آتٍ من الطّبيعةِ. إنّهُ اتفاقٌ بينكم وبين بشرٍ آخرين والذي بموجبهِ تبدو هذه القطعةُ المشغولةُ من الطّبيعةِ ملككم. إلّا أنّه اتفاقٌ بين بشرٍ فحسب. لذا فغيرُ معنيّ فيه سوى البشرِ. لماذا صلصة البندورة الموجودةُ في خزانتكم هي لكم أكثر ممّا هي للنملِ؟ ثمارُ البندورةِ هذه ملكيّةُ الأرض!

الإسمنتُ ملكيّة الأرض. معدنُ شوككم، وفاكهةُ مربّياتكم، ولَبِناتُ جدرانكم خارجة من كوكبِ الأرضِ. لا يتعدّى فعلُ الإنسانِ أكثرَ من إطلاقِ الأسماء عليهم، ووضع لُصاقات وأسعار. وليسَ هذا هو الشيء الذي يجعلهُ «المالكَ». الأرضُ وثرواتها مُتاحةٌ أمام كافّة سكّانها...

غير أنّ هذه الرّسالةَ لا تزالُ مبكرةً جداً لكي تكون مفهومةً. فإذا كنتم رغمَ كلّ شيء لا تزالونَ على إصراركم بالتخلّصِ من أولئك المُنافسين مُفرطي الصّغرِ، فالأسلوبُ «الأقلُّ سوءاً» حتّى الآن هو الرّيحانُ. ضعوا نبتةً صغيرةً من الرّيحانِ لتنمو في المنطقةِ التي ترغبون بحمايتها. النّملُ لا يحبُّ الروائحَ التي تفوحُ من الرّيحانِ وحينئذٍ سيفضّلُ، بدلاً منكم، زيارةَ شقّةِ جارِكم.

إدمون ويلز،

موسوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلّد الثاني.

19. المُتمرّداتُ

الرّقم 103683 تُعلن للمُتمرّداتِ بحركاتٍ قرنيّةٍ سريعة: بأنّها جُنديّةٌ، وتؤكّدُ أنّها عثرت في المكبّ على الجُمجمة التي طلَبت منها بدورِها المجيء إلى هنا والإبلاغَ بأنّ حملةً ضدّ الأصَابعِ ستنطلقُ عمّا قريب.

الإعلانُ فعلَ فعلهُ. النّمالُ لا تعرفُ الكذبَ، إذ لم تفهم حتّى الآن ما جدواهُ.

يُفلتنها. تأخذُ جلبةٌ من القرونِ بالتحرّك حولَها. تلتقطُ الرّقم 103683 فيرومُوناتٍ عن غارةٍ تستهدفُ المكتبةَ الكيميائيّةَ. تعتقدُ

بعضِ المُتمرّداتِ بأنّهُ يمكنُ للجنديّةِ أن تكونَ قد تكلّمت مع أحدِ أعضاءِ الكوماندوسِ الثّلاثةِ. فمن زمنٍ طويلٍ لم يأتِ خبرٌ عنهم.

من النذرِ اليسيرِ الذي التقطتهُ، تُدرِكُ الرّقم 103683 أنّها أمامَ حركةٍ سرّيةٍ حقيقيّةٍ تفعلُ كلَّ ما بوسعها للحفاظ على سرّيتها. تعالت تعليقاتُ المتمرّدات حولَ معلوماتِها. الجملةُ التي أثارت قلقهنَّ على الخُصُوصِ «حملةٌ ضدَّ الأصَابعِ». بدا عليهنّ الاضطرابُ. غيرَ أنّ بعضَهنّ رحنَ يسألنَ عن الطّريقةِ التي ينبغي التّصرّفُ بها حيالَ الزّائرةِ غيرِ المرغوبة. فهي الآنَ تُمثّلُ خطراً بما أنّها تعرفُ مخبأهنَّ دونَ أن تكونَ واحدةً منهنّ.

من أنتِ؟

تبثُّ الرّقم 103683 كافّةَ الخصائصِ التي تُعرّفُ عنها: طبقتَها، رقمَ البيضَةِ التي خرجت منها، عشَّ مسقطِ رأسها... تكتنفُ المُتمرّداتُ حالةٌ من الذّهولِ. إنّها حقّاً الجنديّة 103683، النّملةُ الصّهباءُ الوحيدةُ التي لمسَت حافةَ العالَمِ وعادت منها، إنّها هي بالفعلِ من يقفُ أمامهنّ.

تُحرَّرُ. وتتَباعدُ النّمالُ من حولها باحترامٍ. وتعقَدُ جلسةُ حوارٍ.

تجري الأحاديثُ عندَ النّمالِ بواسِطةِ الرّوائحِ، أيْ الفيرومُوناتِ التي تبثُّها أجزاءُ القرونِ. الفيرومُون هو هرمُونٌ يخرجُ من الجسَدِ ويجولُ في الهواءِ ويدخلُ جسداً آخرَ. حين ينتابُ النّملةَ شعورٌ ما، تبثّهُ من مُجملِ جسدها وتلتقطهُ كافّةُ النّمالِ حولها في الوقتِ عينه. فمثلاً حين تنقلُ نملةٌ متوتّرةٌ مُعاناتِها تلقائيّاً إلى مُحيطها، لا يبقى لدى الأخيرِ سِوى انشغالٍ واحدٍ: هو إيجادُ طريقةٍ لمُساعدةِ النّملةِ وإزالةِ معاناةِ الرّسالةِ المريرةِ.

كلُّ جزءٍ من أجزاءِ القرنِ الأحدَ عشَرَ يُرسِلُ موجتهُ الخاصّةَ من

الكلامِ المُعطّرِ. كما لو أنّ أحدَ عشرَ فماً يتكلّمُ في الوقتِ عينه، وكلّ واحدٍ على طولِ موجته الخاصّة. بعضها يتكفّلُ بالتردّدات المُنخفضَة ويُعلنُ عن المعلوماتِ الأساسيّة. فيما يتولّى الآخرون التردّداتِ المُرتفعةَ التي تُرسِلُ رسائلَ أكثرَ خفّةً.

الأجزاءُ نفسها تلعبُ دورَ الأذنين. فيتمُّ الحِوارُ بين طرفين من أحدَ عشرَ فماً ويُسمَعُ بإحدى عشرةَ أُذناً. وجميعُها، على نحوٍ مُتزامن. لذا تكونُ الأحاديثُ غنيّةً بتدرُّج مُستوياتها. على الأغلب، نتعلّمُ في الحوارِ النّمليّ أكثرَ بإحدى عشرةَ مرّةً وأسرعَ بإحدى عشرة مرّةً من حوارٍ إنسانيّ. لهذا السّببِ حين يُراقبُ إنسان مقابلةً بين نملتين، يبدو له أنّهما بالكادِ تلامستا بأطرافِ قرنيهما قبل أن تمضيا عائدتينِ كلٌّ واحدةٍ إلى انشغالها، مع أنّه بهذا التّلامسِ الضّئيلِ، قيلَ كلُّ شيءٍ.

تتقدّمُ إحدى الجُنديّاتِ وهي تعرجُ (ليسَ لديها سوى خمسِ أرجلٍ) وتسألُها إذا كانت بالفعلِ هي شريكةُ الأميرِ 327 والأميرةِ شلي-بو-ني.

تومئُ الرّقم 103683 بالإيجابِ.

تشرحُ لها العرجاءُ بأنّها بحثَت عنها مُطوّلاً في الماضي لقتلها. غيرَ أنّ الرّيحَ اليوم قد دارتْ دورتَها، وتطلقُ رائحةً مُقهقهةً:

ها قد أصبَحنا نحنُ خارجاتٍ عن المُجتمعِ وأنتِ الآن من مُمثّلينَ النّظامَ.

انقلبَ الزّمانُ.

تقترحُ العرجاءُ التّطاعُمَ. تُوافقُ مُحاورتها وتُقبّلان بعضهما بالفمين وتتلامسانِ بالقرونِ إلى أن يفرغَ الطّعامُ المُخزّنُ في أسفلِ معِدَةِ الواهبةِ الاجتماعيّةِ داخلَ معِدَةِ الرّقم 103683.

يتواصَلُ الإناءانِ، والأجهزةُ الهضميّةُ تتواصَلُ أيضاً.

بينما تُفرِغُ العرجاءُ نفسها من طاقتِها، تمتلئُ الزّائرةُ بها. تَتذكّرُ مثَلاً عند النّمال يعودُ للألفيّةِ الثّامنةِ والثّلاثين: *نغتني بما نُعطيهِ ونفتقرُ بما نأخذُه.*

رغمَ ذلكَ لم يكن بوسعِها رفضُ الهبةِ.

لاحقاً، تأخذُها المُتمرّداتُ في زيارةٍ إلى وكرهنَّ. حيثُ تُخزنّ داخلهُ مؤونةَ الحبوبِ والعُسيلِ، إضافةً إلى بيوضٍ مُترعةٍ بفيرومُونات الذّاكرةِ.

لا تعرفُ الرّقم 103683 السّببَ وراءَ شُعورها بأنّ هؤلاء الجُنديّات المُتآمراتِ لسْنَ خطِراتٍ. يبدو عليهنّ الانشغالُ بالمُحافظةِ على سرّهنّ الغامضِ أكثرَ من قيامهنّ بدورِ مُثيراتِ الشّغبِ المُتعطّشاتِ للسُلطةِ السّياسيّة.

تقتَربُ العرجاءُ منها وتُفضي لها بأسرارٍ. كانت المُتمرّداتُ تُعرَفُ في الماضي باسمٍ مُختلفٍ. كنَّ «المُحارباتِ ذواتِ رائحة الصّخرِ»، أشبهَ بشرطةٍ سريّة يأتمِرنَ بأمرِ الملكةِ بيلو-كيو-كيوني مباشرةً، أمّ شلي-بو-ني الحاليّة. كنَّ قوّةً مُطلقةً في تلكَ الأيّام. إلى الحدّ الذي استَطعنَ معهُ أن يُشيّدنَ تحتَ البلاطةِ -الأرضيّةِ الكبيرةِ للمدينةِ، مدينةً موازيةً سرّيّةً. بيل-أو-كان الثانيةَ.

تعترفُ العرجاءُ بأنهنّ هنّ، المُحارباتُ ذواتُ رائحةِ الصّخرِ، اللواتي لم يدّخرنَ جُهداً للقضاءِ على الأميرِ 327، والأميرة 56 (شلي-بو-ني) وهي أيضاً، الجُنديّةُ 103683. آنـذاك، لم يكن أحد على علم بأنّ للأصَابعِ وجودٌ حقيقيٌّ. كانَ هاجسُ الملكةِ بيلو-كيو-كيوني تجنيبَ

مُواطناتها الذّعرَ حين سيكتشفونَ بأنّ لهذه الحيَواناتِ العملاقةِ ذكاءٌ مُتطوّر يوازي ذكاءَ النّمالِ الصّهباواتِ تقريباً.

عقدَت بيلو-كيو-كيوني آنذاك اتفاقاً مع سفيرِ **الأصَابِع**: ستَكتُمُ هي أيّة معلومةٍ تخصُّ وجودَ **الأصَابِع**، وفي المُقابلِ، سيصمتونَ هم عن أيّة معلومةٍ عرفوها أو أصبَحوا يعرفونَها عن ذكاءِ النّمالِ. كان على كلّ طرفٍ أن يُبقي جماعتهُ بمنأى عن السرّ.

كانت الملكةُ بيلو-كيو-كيوني ترى أنّ الحضارتين غيرَ مؤهّلتينِ بعدُ لتفهَما بعضَهما بعضاً. لذا كلّفت مُحارباتها ذواتَ رائحةِ الصّخرِ بالقضاءِ على كلّ أولئكَ الذين قد يكتشِفونَ وجودَ **الأصَابِعِ**.

هذه الإرادةُ كلّفت باهظاً.

تعترفُ العرجاءُ أنهنّ قتلنَ الأميرَ ذا الجنس 327، كما قتلنَ الآلافَ غيرهُ من النّمالِ اللّواتي، بطريقةٍ أو بأخرى، عرفنَ بأنّ **الأصَابِعَ** ليست مُجرّدَ حكايةٍ وإنّما كانوا موجودينَ بالفعلِ ونماذجُهم تسرَحُ وتمرحُ في الغابةِ.

تسألُ الرّقم 103683 مثارةً بفضُولٍ كبيرٍ. هل يعني ذلكَ أنّ ثمّةَ حوارٌ بين النّمالِ الصّهباواتِ و**الأصَابعِ**؟

تؤكّدُ العرجاءُ أنّ ثمّةَ **أصَابِعٌ** استقرّت في كهفٍ تحتَ المدينة. صنَعوا آلةً ونملةً لتكونَ سفيراً، وبفضلِهما تمكّنوا، هم أيضاً، من أن يبثّوا ويستقبلوا فيرومُونات. تُدعى الآلةُ «حجرَ رشيد»، والسّفيرُ «دكتور ليفينغستون»؛ إنّها تسمياتٌ إصبعيّةٌ. بوساطتِهما تمكّنتِ النّمالُ و**الأصَابعُ** أن تبوحا لبعضِهما بعضاً بالأشياءِ الأساسيّةِ:

«نحنُ موجُودانِ بحجمينِ مُختلفينِ، نحنُ مُختلفانِ، لكنّ كلينا نجحَ في بناءِ حضارةٍ ذكيّةٍ على سطحِ هذهِ الأرضِ».

كان هذا أوّلَ احتكاكٍ بيننا. ثمّ توالت اتّصالاتٌ كثيرةٌ. إذ أنّ **الأصَابِعَ** كانوا أسرى كهفهم الموجودِ تحتَ المدينةِ وبيلو-كيو-كيوني كانت تُغذّيهم وتهتمُّ بإبقائِهم على قيدِ الحياةِ. تواصلتِ المُحادثاتُ طوالَ فصلٍ كاملٍ. وبفضلِ **الأصَابِعِ**، اكتشَفت بيلو-كيو-كيوني مبدأ الدّولابِ، لكنّها قضَت نحبَها في حريقِ مدينتها قبلَ أن تتمكّنَ من إفادةِ شعبها بهذا الاكتشافِ.

بعد أن تُوّجت ابنتُها شلي-بو-ني ملكةً، عارضَت أيَّ ذكرٍ **للأصَابِعِ**. وطلبت وقْفَ إمدادهم بالطّعام، وأمرت بسَدّ الممرّ، باستخدام إسمنتِ الزّنبورِ، الذي يُفضي إلى بيل-أو-كان الثّانيةِ، وبالتّالي إلى كهفِ **الأصَابِعِ**.

بموازاة ذلكَ أخذَ حرّاسُ شلي-بو-ني بمطارَدة المُحاربات ذوات رائحةِ الصّخرِ. أرادت الملكةُ الجديدةُ إزالةَ كلّ آثارِ تلكَ المرحلةِ المُخجلةِ التي تَعاونت فيها النّمالُ مع **الأصَابِعِ**. بدا غريباً ما أظهرتْهُ من تعصّبٍ في هذه الحالةِ، يُناقِضُ كلّ ما عُرِفَ عنها كصهباءَ مولعةٍ بالتّواصلِ مع مُختلفِ الأجناسِ.

في يومٍ واحدٍ، أُعدمت نصفُ مُحارباتِ بيل-أو-كان الثانية. أخذتِ النّاجياتُ يدفُنّ أنفسَهنّ داخلَ الجُدرانِ والسّقوفِ. وليبقينَ على قيدِ الحياةِ، وجدنَ الحلّ بالتخلّي عن روائحِ تعريفهنّ واتّخاذِ اسمٍ جديدٍ لأنفسِهنّ. وعلى هذا أصبحنَ «المُتمرّداتُ المُناصِراتُ **للأصَابِعِ**».

تتمعّنُ الرّقم 103683 بأولئكَ المدعوّاتِ مُتمرّداتٌ. مُعظمهنّ عرجاواتُ. لا بدّ أنّ حرسَ الملكةِ أذاقهنّ الويلَ. ولكن ثمّةَ فتياتٌ أيضاً يتمتّعونَ بصحّةٍ جيّدةٍ. ربّما هؤلاء الجُنديّات أسلمْنَ أنفسهنّ بسذاجةٍ لجاذبيةِ تلكَ الحكاياتِ التي تتكلّمُ عن حضارةٍ موازيةٍ.

ولكن أيُّ جنونٍ هذا الذي يُورّطُ جميعَ هذه البيلوكانيّات في صِراعِ الإخوةِ! وفي العمقِ، لماذا؟ كُرمَى **للأصَابِع** الذين لا نعرفُ عنهم في النّهايةِ الكثيرَ.

تخبرُها العرجاءُ أنّ المُتمرّداتِ وحّدت الآن حركتَها. إذ باتَ لديهنَّ مقرٌّ رئيسيٌّ، هنا في السّقفِ الزّائفِ لحظيرة الجعْلان. علاوةً على إجادتهنّ بثّ روائحَ لفرطِ تكتُّمِها عجزتِ الجُنديّاتُ الفيدراليّاتُ إلى الآن عن تمييزِها.

ولكن ما غايةُ هذه الحركةِ السرّيّةِ؟

تمهّلتِ العرجاءُ تاركةً لحظاتٍ للتشويقِ. مُمسكةً بانفعالاتها قبلَ أن تُعلنَ، دونَ سابقِ إنذارٍ، بأنَّ **الأَصَابِعَ** المُستقرّينَ تحتَ القاعِ لا يزالونَ أحياءً، هم أيضاً. كسرتِ المُتمرّداتُ إسمنتَ الزّنبورِ، وأعدنَ فتحَ ممرّ الغرانيتِ واستأنفنَ إيصالَ الطّعامِ إليهم.

هل تريدُ الرّقم 103683، هي أيضاً، أن تُصبحَ مُتمرّدةً؟ تتردّدُ الجُنديّةُ ولكن، كالعادةِ، الفضُولُ هو الأقوى. تطوي قرنيها إلى الوراءِ علامةَ موافقةٍ. يتبادلُ الجميعُ التّهنئةَ. إذ أصبحَ، من الآن فصاعداً، بين صُفوفِ الحركةِ المُحاربةُ التي وصَلت إلى نهايةِ العالمِ. يُقترَحُ عليها الكثيرُ من التّطاعُماتِ وهي لا تعرِفُ لمن ستستَجيبُ. جميعُ هذهِ القُبلِ المُغذّيةِ تمنَحُ جسَدها الدّفءَ!

تُخبرها العرجاءُ أنَّ المُتمرّداتِ ستُطلقُ فرقةَ كوماندوس مكلّفةً بسرقةِ النّمالِ الصّهاريجِ وإيصالها إلى تحتِ الأرضيّة لتغذيةِ **الأصَابِع** على نحوٍ أفضلَ. وإذا أرادتَ لقاءَ الدّكتور ليفينغستون فستكونُ هذه الفرصَةُ مُناسبةً.

لا تتركُ الرّقم 103683 العرضَ يُقدّمُ لها مرّتين. هي مُمتلئةٌ بالحماسِ

لاكتشافِ عُشّ **الأصَابِعِ** المُختبئ تحتَ المدينة. ومُتلهّفةٌ لمُكالمتهم. فقد عاشت لوقتٍ طويلٍ في هاجسِ **الأصَابِعِ**. وهذا هو الأمرُ الذي ينبغي أن يُخرجها من «مرضِ الحالاتِ النفسيّة» وفي الوقتِ ذاته أن يُرضي فضُولَها.

تجتمعُ ثلاثونَ من الجُنديّاتِ الماهراتِ المُتمرّداتِ وبعد أن أشبعنَ أنفسَهنَّ بالعُسيلِ لمُضاعفةِ طاقتهنّ، اتّجهنَ صوبَ قاعةِ النّمالِ الصّهاريجِ. الرّقم 103683 بينهنَّ.

لعلّ وعسى ألّا يُصادفنَ فِرقَ الحِراسةِ.

20. تلِفزْيُون

كانت تترصّدُ كلَّ من يدخُلُ ويخرجُ.

البوّابةُ مُخلصَةٌ للوظيفةِ المُكلّفةِ بها، وراءَ نافذتها المُواربةِ.

اقتربَ المُفوّضُ ميليَس منها.

– أخبريني، سيّدتي، هل بإمكاني أن أسألكِ سُؤالاً صغيراً؟

تقولُ لنفسِها بأنّهُ لا بدّ أن يكونَ الأمرُ مُتعلّقاً بتوبيخٍ يخصُّ اتّساخَ مرايا المصعدِ. مع ذلك أومأت برأسِها.

– حضرتكِ، ما هو أكثرُ ما يُخيفكِ في الحياة؟

سؤالٌ غريبٌ. فكّرت، وهي خائفةٌ بأن تتلفّظَ بشيءٍ غبيّ، مُهتمّةً بألّا تُخيّبَ ظنّ مُستأجِرها الأشهرِ.

– أعتقدُ الغُرباءَ، أجل الغُرباءَ. إنّهم في كلّ مكانٍ. يأخذونَ العملَ من النّاسِ. ويهجمون عليهم مساءً عند زوايا الشّوارعِ. في المُحصّلةِ، هم ليسوا مثلنا! لذا، كيفَ يُمكن معرفةُ ما يدورُ في رؤوسِهم؟

هزّ مِيليَس ذقنهُ وشكرها. كانَ قد بدأ صعودَ الدّرجِ حين هتفت، وهي لا تزالُ ساهِمةً:

- تُصبِح على خيرٍ، أيّها السيّدُ المُفوّضُ!

في منزلِه تخلّصَ من حذائه وتمركزَ أمامَ تلفزيونه. التّلفزيونُ، لا شيءَ يُضاهيه لإيقافِ الآلة التي تدورُ في الرّأسِ بعد يومِ تحقيقٍ حافلٍ. حينَ ننامُ، نحلمُ، وهذا عملٌ بحدّ ذاته. أمّا التّلفزيون، فيُفرِغُ الفكرَ. النُّورونات تأخذُ إجازةً وتكفُّ جميع الأضواءِ الدّماغيةِ عن الإيماضِ. النّشوةُ!

التقطَ جهازَ التحكُّم.

القناةُ 1675، مسلسلٌ أمريكيّ: «فإذاً بيل، أنتَ لستَ بحالة جيدة، أليسَ كذلك، كنتَ تعتقدُ أنّكَ الأفضلُ، ولكنّك تكتشفُ الآنَ بأنّك لستَ سِوى فاشلٍ مثلَ الآخرين...»

انتقلَ إلى قناةٍ أخرى:

القناةُ 877، إعلانٌ: «مع كراك كراك، تخلّصوا دفعةً واحدةً من كافّةِ ما لديكم...».

انتقلَ مُجدّداً.

كان لديه 1825 قناةٌ تحتَ تصرّفه، لكنّ القناة ذاتَ الرّقم 622 فقط التي تستَهويهِ عندَ السّاعةِ الثّامنةِ تماماً من كلّ مساءٍ مع برنامجِه -النّجم: «فخّ للتفكيرِ».

شارةُ البدايةِ. أبواقٌ. ظهورُ مُقدّمِ البرنامجِ. تصفيقٌ.

الرّجلُ المُشرِقُ:

- سعادةٌ كبيرةٌ أن أعودَ وألقاكم، جميعاً، في منازِلكم، المُخلصين

لقناتِنا الرّقم 622. أهلاً بكم في الحلقةِ المئةِ والأربعينَ من برنامجكم «فخّ للـ...

- ... تفكير»! صرخَ الحُضورُ بصوتٍ واحدٍ.

أتت ماري شارلوت لتستكينَ على رُكبتيه مُطالبةً بمداعبات. أعطاها لوحاً مُتبّلاً ومفروماً من لحمَةِ التونة. ماري شارلوت مولعةٌ بهريسةِ التونةِ أكثرَ من المُداعباتِ.

- من أجلهم وأجلهنّ أولئكَ الذين يحضُرونَ البرنامجَ للمرّةِ الأولى أُعيدُ التّذكيرَ بقواعدهِ.

تعالت صيحاتُ الاستنكارِ داخلَ الصّالةِ مُستهجنةً غيرَ المُسايرينَ للبرنامجِ.

- شكراً. المبدأُ بسيطٌ. نحنُ نطرحُ لغزاً. وعلى المُرشّحِ أو المُرشّحةِ إيجادُ حلّه. هذا هو، «فخّ للـ...

- ... تفكيرِ»! هتفَ الجمهورُ.

وهو لا يزالُ بتألّقهِ، يواصلُ مُقدّمُ البرنامجِ:

- مقابل كلّ جوابٍ صحيحٍ، شيكٌ بمبلغِ عشرةِ آلافِ فرنكٍ إضافةً إلى جوكرٍ يسمَحُ باقترافِ خطأ وبحصولِ المتسابِقِ على مبلغِ العشرة آلافِ فرنكٍ اللّاحقةِ مع ذلك. منذُ شهورٍ مضَتْ، والسيّدةُ، جولييت... راميريز هي الفائزةُ ببرنامجنا. سنتأمّل ألّا تخرجَ من المُسابقةِ اليوم. تفضّلي سيّدة... راميريز وقدّمي نفسكِ ثانيةً. ما هي مهنتكِ؟

- ساعيةُ بريدٍ.

- هل أنتِ متزوّجةٌ؟

- بلى، ولا بدّ أنّ زوجي الآن يُشاهدُني في المنزلِ.

- فإذاً، مساءُ الخيرِ، سيّد راميريز! وهل لديكِ أطفال؟

- لا.

- ما هي هواياتكِ المُفضّلةُ؟

- أوه... الكلماتُ المُتقاطِعةُ... الطّبخُ...

تصفيقٌ.

أقوى، أقوى بعدُ، أمرَ مُقدّمُ البرنامجِ، السيّدة راميريز تستَحِقُ.

يتعالى التّصفيقُ أكثرَ.

- والآن، سيّدة راميريز، هل أنتِ على استعدادٍ للغزٍ جديدٍ؟

- أنا على استعداد.

- إذاً، سأفتحُ الظّرفَ الذي يحتوي لُغزنا لليومِ، وأقروُهُ عليكِ.

تُقرعُ الطّبولُ.

- ها هو اللّغزُ: ما هو السّطرُ التّابعُ لهذهِ السّلسلةِ؟

يكتبُ بقلم لبّادي الأرقامَ على لوحٍ أبيضَ:

1

11

21

1211

111221

312211

تقتربُ العَدسةُ من المُتسابقةِ التي تندُّ عنها عبارةٌ مُتردّدةٌ:

- أوه... هذا ليسَ سهلاً!

- خُذي وقتكِ سيّدة راميريز. معكِ مُهلةٌ حتّى الغد. ولمُساعدتكِ، إليكِ هذه الجُملةَ المفتاحيّةَ التي سترشدُكِ إلى الحلِّ الصّحيح. انتبهي، وأصغي جيّداً: «كلّمَا ازدادَ ذكاؤنَا... قلّتْ حُظوظُنا في إيجادِ الحَلّ»

تصفّقُ القاعةُ دون أن تفهَم.

مُقدّمُ البرنامجِ يُحيّي الجمهورَ:

- أصدقائي المُشاهدين والمُشاهداتِ، أنتم أيضاً، إلى أقلامِكم! وموعدنا في الغدِ، إذا أحببتُم!

انتقلَ جاك ميليَس إلى قناةِ الأخبارِ المحليّة. حيثُ تظهرُ امرأةٌ مُبالغة بمكياجِها، مع تصفيفةِ شعرٍ مُفرطة الدقّة، وتبدأُ دونَ اكتراثٍ بسردِ النصّ الذي يمرُّ عبرَ شاشةِ قراءتها: «بعدَ النّجاحِ اللامعِ للمفوّضِ جاك ميليَس في قضيّةِ الإخوةِ سالتا، اقترحَ المُحافظُ دوبيرون منحَ الشّرطيّ البارزِ وسامَ جوقةِ الشّرفِ برتبةِ ضابط. وقد علمنا من مصدرٍ موثوقٍ أنّ المُستشاريّةَ تدرسُ هذا التّرشيحَ بعنايةٍ.»

مُشمئزاً يُطفئُ جاك ميليَس تلفزيونهُ. ما الذي يمكنُ عملهُ بعدَ الآن؟ الاستمرارُ بلعبِ دورِ النّجم ودفنُ القضيّة، أمّ التعنّتُ والسّعيُ للوصُولِ إلى الحقيقةِ ولتذهب إلى الجحيمِ سُمعتُهُ كمفتّشٍ معصومٍ عن الخطأ؟

في العمقِ، كان يعلمُ جيّداً أن ليسَ لديهِ الخيارُ. فطَعمُ الجريمةِ المُكتملةِ لا يمكنُ مُقاومتهُ. تناولَ هاتفهُ:

- ألو، المشرَحة؟ أعطوني الطّبيبَ... (موسيقى قصيرة ثقيلةُ الظلّ.)

... ألو، الطّبيب، أنا بحاجةٍ إلى تشريحٍ دقيقٍ لأجسادِ الإخوةِ سالتا... أجل، هذا مُلحٌّ جدّاً!

يُعيدُ إغلاقَ السمّاعةِ، ثمّ يطلبُ رقماً آخر:

- ألو، إميل؟ هل بوسعكَ أن تُخرجَ لي ملفَّ الصحفيّةِ التي تعملُ في صحيفةِ *إيكو دو ديمانش*؟ أجل، ليتيسيا لا أعلمُ ماذا. حسناً، وانضمَّ إليّ في المشرَحةِ بعدَ ساعةٍ. شيءٌ آخر، أوه، إميل، سُؤال صغيرٌ: ما هو أكثرُ شيءٍ يُخيفكَ في الحَياةِ؟ ... آه حقّاً، هذا هو؟ غريب. لم يخطر على بالي يوماً بأنّ هذا الشيء يمكنهُ أن يُخيفَ أحداً.. حسناً، هيّا، انطلق إلى المشرَحةِ.

21. موسُوعة

***فخّ هنديّ:** يستخدمُ هنود كندا من أجلِ اصطيادِ الدّببةِ فخّاً بدائيّاً. ليسَ أكثرَ من حجرٍ كبيرٍ مطليّ بالعسلِ، ومعلّقٍ بحبلٍ على غصنِ شجرةٍ. وحينَ يلحظُ أحدُ الدّببةِ وجودَ شيءٍ شهيّ، يتقدّمُ مُحاولاً إمساكَ الحجرِ وهو يركلُهُ برجلِه. مُولّداً بذلكَ حركةَ تأرجُحٍ، وعند كلّ مرّةٍ يعودُ الحجرُ ويضربُهُ. ممّا يزيدُ من حُنقِ الدبّ فيضربُ بقوّةٍ أكبرَ فأكبر. وكلّما ضَرَبَ بقوّةٍ، ضُرِبَ أقوى. حتّى يسقطَ بالكاو[16] النهائيّ.*

الدبُّ عاجزٌ عن التّفكيرِ: «ولِمَ لا أوقفُ دائرةَ العنفِ هذه؟» لا يشعرُ بغيرِ الإحباطِ. «يوجّهون لي الضّرباتِ فأردّها لهم!» يقولُ لنفسه. وهذا ما يُضاعفُ غضبهُ. مع أنّهُ، لو يتوقّفُ عن ضربهِ فإنّ الحجر سيثبتُ وربما يُلاحظ حينئذٍ،

16- الضربة القاضية.

بعدَ أن يعودَ الهدوءُ، بأنّ الأمرَ لا يتعدّى أكثرَ من غرضٍ جامدٍ مُعلّقٍ بحبلٍ. ولا يتطلّبُ منه سِوى قطعِ الحبل بأنيابهِ لإسقاط الحجرِ ولَعقِ عسَلهِ.

إدمون ويلز،

موسُوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلّد الثاني.

22. مهمّةٌ في قاعَة الصّهاريجِ

هنا، في الطّبقة 40 تحتَ الأرضِ، جلَبةٌ من التّحرّكاتِ. شهرُ آب في ذُروتهِ والحرارةُ تضَعُ الجميع في مِزاجٍ عصبيّ، حتّى أثناءَ اللّيلِ، وحتّى في أعماقِ الأرضِ.

مُحارباتٌ بيلوكانيّات مُهتاجاتٌ يعضُضْنَ العابرينَ بلا سببٍ. العاملاتُ يركُضنَ بين قاعاتِ العنايةِ بالبيضِ وقاعاتِ تخزينِ العُسيلِ. عشٌّ نمالِ بيل-أو-كان يشعرُ بحرارةٍ خانقة.

يتدفّقُ حشدُ المُواطناتِ مثل سائلٍ لمفاويّ فاترٍ.

تصِلُ مجموعةُ المُتمرّداتِ الثلاثينَ خِلسةً دونَ لفتِ الأنظارِ إلى قاعةِ النّمالِ الصّهاريجِ. ينظرنَ بإعجابٍ إلى مُصارعيهنَّ من «السومو»[17]. تؤلّفُ النّمالُ الصّهاريجُ تشكيلةً واسعةً من الفاكهةِ البدينةِ والذهبيّة، والمزيّنة بشرائطَ حمراءَ كامدة. هذه الفاكهةُ في الواقعِ هي كيتينٌ مشدودٌ إلى حدّهِ الأقصى لنملاتٍ مُعلّقاتٍ على السّقفِ، الرّأسُ إلى الأعلى والبطنُ نحوَ الأسفل.

تُسرِعُ عاملاتٌ، لتسحبَ من الرّحيقِ الجوهريّ ما يملأُ مِعَدهنّ الفارغةَ.

17- لعبة قتاليّة يابانيّة.

الملكةُ شلي-بو-ني بشخصِها تحضُرُ أحياناً لتُتخمَ نفسَها من الصّهاريجِ. وجودُ الملكةِ لا يعني كثيراً لهذهِ الحشَرات -الظاهِرَة، والتي اكتسَبت على قلّةِ الحراكِ فلسفةَ الخمولِ. يدَّعي البعضُ بأنّ دماغَها انكمشَ، الوظيفةُ تخلقُ العضوَ، لكنّ غيابَها يدمّرهُ. النّمالُ الصّهاريجُ اللواتي لا يكترثنَ إلّا بملءِ أنفسهنّ وإفراغِها، تحوّلنَ رُويداً رُويداً إلى آلات ذات وظيفةٍ ثنائيّة.

خارجَ هذه القاعةِ، لا يعرفنَ شيئاً ولا يفهمنَ شيئاً. وُلدْنَ ضمنَ فئةِ الصّهاريجِ وسيُفارقنَ الحياةَ صهاريج.

ورغمَ ذلكَ بالإمكانِ فكّهنّ إذا كنّ أحياءً. يكفي لذلك بثُّ فيرومُون يُشيرُ إلى «هجرة». النّمالُ الصّهاريجُ، هنَّ خزّاناتٌ بالطّبعِ غيرَ أنهنّ خزّاناتٌ مُتحرّكةٌ، مُبرمجةٌ لتقبلَ أن تكونَ منقولةً في حالةِ الهجرةِ.

تُحصي المُتمرّداتُ عدداً من النّمالِ الصّهاريجِ بحجمٍ جيّد. يقتربن من قرونهنّ ويتلفّظنَ بكلمةِ السرّ «هجرة». تتحرّكُ الحَشرةُ الضّخمةُ ببطءٍ، تفكّ واحدةٌ تلو أخرى أرجلها عن السّقفِ وتنزلُ. تلتقطُها رِجْلان على الفورِ كيلا تُسحَقَ.

أين سنذهبُ؟ سألت إحداهنّ.

نحوَ الجنوبِ.

النّمالُ الصّهاريجُ لا يُجادلن ويُسْلِمنَ أنفسهنَّ ليُؤخذنَ من قبلِ المُتمرّداتِ. بسببِ ثقلِ أوزانهنّ، على كلّ ستّة الاشتراكُ في حملِ واحدةٍ من هذهِ القواريرِ. يا للعجبِ مُكابدةُ كلّ هذه المشاقِ لأجلِ الأصَابعِ فقط!

هل هم مُمتنّونَ بالحدّ الأدنى؟ سألتِ الرّقمُ **103683**.

يشتكونَ *بأنّنا لا نجلبُ ما يكفي*! أجابت إحدى المُتمرّداتِ.

ناكِرو المعروفِ!

فرقةُ الكوماندوس تعودُ باحتراسٍ إلى الطّوابقِ السفليّة. ها هي أخيراً الفجوةُ الصّغيرةُ التي تخترقُ أرضيّةَ الغرانيت. من الجهةِ الأُخرى تُوجَدُ القَاعةُ التي يتواجدُ فيها الدكتور ليفينغستون، والذي سيتكلّمُ معهنّ.

ترتَعدُ الرّقم 103683. أبهذهِ السّهُولةِ يمكنُ التّحاورُ مع **الأصَابعِ** المُرعبينَ؟

لن يبدأَ الحديثُ مُباشرةً. إذ بغتةً تُطارَدُ المُتمرّداتُ من قِبلِ حُرّاسٍ كانوا يقومونَ بدوريّةٍ في الحيّ. وسُرعانَ ما يتخلّين عن الصّهاريجِ التي يحملنَها ليهربنَ أخفَّ وأسرعَ.

إنهنّ من المُتمرّدات!

تعرّفت إحدى الجُنديّاتِ على الرّائحةِ المُميّزةِ التي اعتقدنَ أنّها غيرُ قابلة للكشفِ. تنتشرُ فيرومُوناتُ الإنذارِ، وتبدأ المُطَاردةُ.

المُحارباتُ الفيدراليّاتُ سريعاتٌ ولكن لا يستطعنَ بزَّ المُتمرّدات. فيضَعنَ الحواجزَ لقطعِ بعضِ الطّرقِ، كما لو أردنَ حصرَهنَّ داخلَ مكانٍ ما.

تُجبِرُ الجُنديّاتُ فرقةَ الكوماندوس أن يعاودنَ صعودَ الطّبقات بوتيرةٍ جنونيّة. الطّبقات -40، -30، -16، -14. بالفعل إنّهنّ يَسُقن فرائسَهنّ إلى مكانٍ مُحدّدٍ. الرّقم 103683 تحزرُ الفخَّ دون أن تجدَ منهُ مهرباً. لم يبقَ أمامهنّ سِوى مخرج واحد. وإذا تركتهُ الفيدراليّاتُ مفتوحاً، فهذا يعني أنّ لديهنّ غايةً! ولكن أيُّ خيارٍ آخرَ أمامهنّ سِوى الاندفاعِ نحوهُ؟

تصلُ المُتمرّداتُ إلى قاعَة مُمتلئة بالبقّ النّتنِ وتدورُ فيها الفظائعُ. تنتَصبُ قرونهنّ أمامَ المشهدِ المُروّعِ!

إناثُ بقّ نتِنٍ تركضُ في شتّى الأنحاء، ظهورُهنّ مرشُوشةٌ بفروج ظهريّة صغيرة، فيما الذّكورُ يُلاحقنهم رافعينَ أعضاءَهم الجنسيّةَ المُدبّبةَ إلى الأعلى والتي في نهايتها ثقّابةٌ. أبعدُ قليلاً، ذكورٌ مثليّونَ يعتلونَ بعضَهم بعضاً على شكلِ عناقيدَ طويلةٍ خضراءَ. ينتشرونَ في كافّة أرجاءِ المكانِ، على نحوٍ محموم، وآخذٍ بالازديادِ. أعضاءُ ذكورِ البقّ الجنسيّةِ مُنتصبةٌ ومتأهّبةٌ لفقعِ الكيّتين.

لم يتسنّ الوقتُ للمُتمرّداتِ ليفهمنَ الذي حصلَ معهنّ، يغرقْنَ مُباشرةً في خضمّ هذه الحشَراتِ اللّعينةِ التي تهاجمهنّ بعنفٍ. إحدى النّمالِ تنهارُ، وتتفلطحُ تحتَ فراشٍ سميكٍ من البقّ النّتنِ في حالةِ هياجٍ. لا يُتاحُ لأيّ منهنّ أن تُشهرَ بطنَها وتُطلقَ الحمضَ دفاعاً عن نفسِها. الأعضاءُ الجنسيّةُ الثّاقبةُ للذكورِ تخترقُ الدّروعَ.

تُحاولُ الرّقم 103683 مذعورةً تخليصَ نفسِها.

23. موسُوعة

***بَقة:** بينَ جميعِ أشكالِ المُمارسات الجنسيّة الحيوانيّة، تبقى مُمارسةُ بقّ الأسرّة (Cimex lectularius) هي الأكثر إدهاشاً. ولا أيُّ خيالٍ بشريّ يصلُ إلى هذه الدّرجة من الشّذوذ.*

السّمةُ الأولى: القساحةُ[18]. بقّةُ الأسرّةِ لا تتوقّفُ لحظةً عن المُجامعة. بعضُ أفرادها يقيمون أكثرَ من مئتي علاقةٍ في اليوم.

18- القساحة: هي الشبق والانتصاب المستمر والمؤلم، لا يرتبط بالرغبة الجنسيّة.

السّمةُ الثانية: البهيميّةُ. لدى بقّ الأسرّة صعوبةٌ في تمييزِ مُجانسيهم وحتّى بين أولئك المُجانسينَ، يجدونَ صعوبةً أكبرَ في تمييزِ الذّكورِ عن الإناثِ، 50 % من مُجامَعاتهم مثليّةٌ، و20 % تحدثُ مع حيواناتٍ غريبة، و30 % فقط مع الإناثِ.

السّمةُ الثالثة: القضيبُ الثقّابةُ. ذكورُ بقّ الأسرّة مزوّدون بأعضاءَ جنسيّةٍ طويلةٍ لها قرونٌ حادّةٌ. بواسطةِ هذه الأداةِ الشّبيهةِ بالحُقنة، تثقبُ الذّكورُ الهياكلَ وتحقنُ أيَّ مكانٍ ببذارِها، في الرّأسِ، البطنِ، الأرجلِ، الظهورِ، وحتّى في قلبِ سيّدتِهم! لا تؤثّرُ العمليّةُ أبداً على صحّةِ الإناثِ، ولكن كيفَ يُمكنها أن تحبلَ بظروفٍ كهذهِ؟ من هنا تأتي...

السّمةُ الرّابعة: العذراءُ الحاملُ. يبدو فرجُها من الخارجِ مُصاناً لم يُمسّ، رغم أنّها تلقّت ضربةَ قضيبٍ في الظّهرِ. كيف ستتمكّن الحيواناتُ المنويّةُ الذكريّة من مواصلةِ مسيرتِها في الدّم؟ في الواقع سيُقتلُ مُعظمها من قِبلِ جهازِ المناعة، كما لو أنّها جراثيمُ غريبةٌ تافهةٌ. ومن أجلِ زيادةِ الفُرصِ ووصولِ نحوَ مئةِ مشيجٍ ذكوريٍّ إلى وجهتِه، تكونُ كميّةُ المنيّ المبذولةِ هائلةً. للمُقارنة، لو كان لدى ذكورِ البقّ حجمٌ يُساوي مثيلهم البشريّ لكانوا سيقذفونَ ثلاثين ليتراً من المنيّ في كلّ قذفٍ. من هذهِ الوفرةِ قلّةٌ فقط ستبقَى على قيدِ الحياة. مُختبئةً في زوايا الشّرايين، في العروقِ، منتظرةً ساعتَها. تُمضي الأنثى شتاءَها مسكونةً بتلك المُستأجرات السرّيّات. في الربيعِ، تتقدّمُ جميعُ الحيوانات المنويّة الحيّةِ من الرّأسِ والأرجلِ والبطنِ تقودُها الغريزةُ لتلتحقَ ببعضِها مُتحلّقةً حول المَبايضِ، تثقبُها وتنغرسُ داخلَها. عندئذ، ستواصلُ الدورةُ اكتمالَها دونَ أيّ عائقٍ.

السّمةُ الخامسة: الإناثُ بأعضاءَ جنسيّةٍ مُتعدّدةٍ. من كثرةِ ما تُثقبُ الإناثُ

وبأيّ مكان من قبل ذكورٍ متبلّدينَ إزاءَ مشاعرِ الآخرين، تجدُ إناثُ البقّ نفسَها في المُحصّلة مغطّاةً بندوب ترسُم فجوات بنيّةً تحيطُ بها منطقةٌ فاتحةُ اللّون. تشبهُ أهدافاً! يُمكننا بهذه الطّريقة أن نعلم بدقّة كم عرفت الأنثى من مُجامعات.

الطّبيعةُ شجّعت هذه الماكرات بتوليد تغيّرات غريبة. وجيلاً بعد جيل، أدّت التحوّلاتُ إلى ما لا يُعقل. أضحت إناثُ البّق تولدُ مزوّدةً ببقعٍ بنيّة، مُكلّلة بلون فاتح، على ظهورهنّ. ويتوافقُ إناءٌ مع كلّ بقعة، «عضوُ جنسٍ فرعيّ» متّصلٌ بشكلٍ مباشر إلى العضو الجنسيّ الأساسيّ. هذه السّمةُ باتت موجودةً حالياً في جميع مراحلِ تطوّرها: لا يوجدُ ندبةٌ، بل بضعةُ ندوبٍ – أوانيَ عندَ الولادة، فروجٌ ثانويّةٌ حقيقيّةٌ في الظّهرِ.

السّمةُ السّادسةُ: الخيانةُ الذاتيّة. ما الذي يحصلُ حين يُثقَبُ ذكرٌ من قبلِ ذكرٍ آخرَ؟ يعيشُ المنيُّ ويهجمُ كعادته إلى منطقة المَبايض. وبما أنّه لن يجدَ شيئاً يتّجهُ نحو قنوات المُضيف الناقلة للنُطف ويختلطُ بالحيوانات المنويّة الحيّة المحليّة. وفي النتيجة: عندما الذّكرُ السّلبيُّ سيثقُبُ، هو، سيّدةً، سيحقنُها بحيواناته المنويّة الخاصّة وأيضاً بحيوانات الذّكرِ الذي قام معهُ بمُضاجعاتٍ لوطيّة.

السّمةُ السّابعةُ: ثنائيّ الجنس. لا تتوقّفُ الطّبيعةُ عن إجراء اختباراتها الغريبة على كوباي[19] تجاربها الجنسيّة المُفضّل. لقد طالَ التحوّلُ ذكورَ البقّ أيضاً. يعيشُ في إفريقيا، بقّ Afrocimex constrictus والذي تولدُ ذكورهُ مع فروجٍ ثانويّة في الظّهر. إلّا أنّ هؤلاء، ليسوا خَصبين. يبدو أنّها موجودة كزينة أو لتشجيعِ العلاقاتِ اللّوطيّة.

السّمةُ الثّامنةُ: العضوُ الجنسيُّ -المدفعيُّ الذي يُطلقُ عن بعدٍ. بعضُ

19- الحيوان الذي يخضع لإجراء التجارب.

أصناف البقّ الاستوائيّة، les antochorides scolopelliens، مزوّدةٌ بها. تشكّلُ القناةُ المنويةُ أنبوبةً ضخمةً وسميكة، تلتفُّ على شكلٍ حلزونيّ، ينضغطُ السّائلُ المنوي داخلها. ومن ثمّ يُقذَفُ بسرعةٍ كبيرةٍ مدفوعاً بعضلاتٍ خاصّةٍ تطردُهُ خارجَ الجسدِ. على هذه الحال حين يرى ذكرٌ أنثى عن مسافةِ بضعةِ سنتمترات منهُ، يصوّبُ بقضيبه على الأهداف -الفروج التي على ظهرِ الآنسةِ. تشقُّ القذفةُ الهواء. تكون هذه الطّلقاتُ من القوّةِ بحيثُ يَثقبُ المنيُّ الدّروعَ، والتي تكون عادةً رقيقةً في هذه الأماكنِ.

إدمون ويلز،

موسوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلّد الثاني.

24. مُطارَدةٌ تحتَ الأرضِ

في النّزعِ الأخيرِ، تُطلقُ مُتمرّدةٌ صرخةً شميّةً، مؤثّرةً وغيرَ مفهومةٍ:

الأصَابعُ آلهتُنا.

ثمّ خرّت على طولها مُشكّلةً بأرجلها وجسدها المُتطاولِ صليباً بستّةِ أفرعٍ.

تنهارُ زميلاتها جميعاً الواحدةُ تلوَ الأخرى والرّقم 103683 تسمعُ بعضهنّ يردّدنَ العبارةَ الغريبةَ ذاتَها:

الأصَابعُ آلهتنا.

البقُّ الهائجُ يثقبُ ويغتَصبُ، تحتَ نظرِ الفيدراليّات اللّائي لا يبدو لديهنّ أيّةُ نيّةٍ في وضعِ حدّ لهذه الآلامِ المبرّحةِ.

ترفضُ الرّقم 103683 الموتَ بهذهِ السّرعةِ. ليسَ قبل أن تعرفَ

ما معنى كلمة «آلهة». تجلدُ بقرنيها العشراتِ من البقّ المُتشبّثِ بصدرِها، مأخوذةً بفورانِ غضَبٍ رهيب، ثمّ تهجمُ خافضةَ الرّأسِ نحو جموعِ الجُنديّاتِ. تُعطي المُباغتةُ أُكُلَها، فالمُحارباتُ المأخوذاتُ بمشهدِ هذهِ العربدةِ الدّمويّةِ غفلن عن اعتراضِها. لكن سُرعانَ ما يتنبّهنَ.

إلّا أنّ الرّقم 103683 ليست غِرّةً بشؤون المُطاردة. تتّجهُ سريعاً نحوَ السّقف، وتكشطُ الجُدرانَ بطرفي قرنيها المُنفرجين إلى أقصاهما. تتطايرُ نُدَفُ التّرابِ. تنتهزُ الجُنديّةُ الوضعَ لترفعَ بينها وبين مُطارِدَاتها جداراً حقيقيّاً من الرّملِ. مُتّخذةً وضعيّةَ الرّمي، مُسقطةً الحارساتِ اللواتي ينجحنَ في اجتيازِه. ولكن بعد أن تجتازَ بضعٌ منهنّ العقبةَ، لا يعودُ بوسعِ الجُنديّةِ رميُهنّ جميعاً بضربةٍ واحدةٍ. وعلى أيّةِ حالٍ قاربَ جيبُ حمضِها على النّفادِ.

تلوذُ بالفرارِ باذلةً أقصى طاقتِها.

إنّها متمرّدةٌ! أوقفوها!

الرّقم 103683 وهي مُستعجلةٌ في الأروقةِ تشعرُ بأنّها تعرفها. والسّببُ وجيهٌ! إذ قامت بدورةٍ كاملةٍ. وها هي في قاعةِ الصّهاريج مُجدّداً. أخذتها أطرافُها تلقائياً في الدّربِ الذي حفِظتهُ والذي اجتازتهُ بمشقّةٍ منذ قليلٍ في الاتّجاهِ المُعاكسِ.

يسيلُ بعضُ الدّم من رجْلِها. ينبغي أن تعثرَ لنفسها على مخبأ بأيّ ثمنٍ. السّلامُ موجودٌ في السّقف. تصعَدُ إليه وتنكمشُ عندَ أرجلِ نملةٍ خزّانٍ. نظراً لحجمِها، تُخفيها الحشَرةُ بالكاملِ عن أنظارِ الجُنديّاتِ اللائي اقتحمنَ القاعةَ في الأسفلِ.

تسبرُ الفيدراليّاتُ بقرونهنَّ حتّى أصغر زاويةٍ في القاعةِ. تنزعُ الرّقم 103683 رجْلَ النّملة الصّهريج التي تُداريها.

ما الذي أصابكِ؟ تَسألُ المعنيّةُ برخاوةٍ.

هجرةٌ، أجابت الرّقم 103683 بلهجةٍ آمرة. وتنزعُ رجْلها الثانيةَ، ثمّ الثالثةَ. ولكن هذه المرةّ لم تكن الأخرى مغفّلةً.

ماذا، ماذا... توقّفي عن هذا العبثِ فوراً!

في الأسفلِ اكتشفت الفيدراليّاتُ بقعةَ دم شفّافة. إنهنّ يبحثن. تسقطُ قطرةٌ على رأسِ إحدى الحارسات فترفعُ قرنيها.

قُضِيَ الأمرُ، عثرتُ عليها!

وبشكلٍ محموم تنزعُ الرّقم 103683 رجْلاً ثمّ رجْلاً أخرى. لم تعد النّملةُ الصّهريجُ تمسكُ سِوى بمخلبينِ فترتبكُ:

أعيدي أرجُلي على الفورِ إلى مواضِعها!

تلتفتُ الحارِسةُ وتُهيئُ بطنها لتسدّدَ نحوَ السّقفِ.

تتخلّصُ الرّقم 103683 من آخرِ رجْلٍ بسيفِ الفكّ. في اللّحظةِ التي تُطلقُ فيها الجُنديّةُ تماماً تسقُطُ نملةُ الصّهريجِ البُرتقاليّة عليها، ما يجعلُ كتلةَ السّائلِ تنفجرُ على نحوٍ مُضاعفٍ. وما كادت الرّقم 103683 تقفزُ من مجثمها حتّى تطايرت أشلاءُ البطنِ في الغرفةِ.

تظهرُ جُنديّاتٌ فيدراليّاتٌ أُخريات. تتردّدُ الرّقم 103683. كم تبقّى لها من الحمضِ؟ بما يكفي لإطلاقِ ثلاثِ رشقاتٍ. تختارُ أن تُفجّرَ أرْجلَ الصّهاريجِ.

تُسْقطُ ثلاث نمالٍ خزّانات، تصعقُ مُثبتاتهنّ. فيقعنَ وينفجرنَ وسطَ

حشدٍ من المُطارِدَاتِ. ورغم ذلكَ تتمكّنُ إحداهنّ من التّملّصِ، ممرّغةً بالعُسَيلِ.

نفدَ الآن حمضُ الرّقم 103683. ومع ذلكَ تتّخذُ وضعيّةَ الرّمي على أملِ إخافةِ الأخرى، وبتسليمِ «رواقيّ» تنتظرُ الرّشقَ الحارقَ الذي سيُجهزُ عليها.

لا شيءَ يأتي. هل حمضُ الأخرى جفَّ أيضاً؟ يشتَبكُ جسَدٌ بجسَدٍ. ويحتدمُ الفكّان ببعضهما محاولينَ شطرَ الكيتين.

فاتِحَةُ نهايةِ العالم هي الأكثرُ تمرّساً. تقلبُ خصيمتها وتوقعها أرضاً ضاغطةً رأسها إلى الخلفِ. إلّا أنّها، وهي تهمُّ بتسديدِ الضّربةِ المُميتةِ، ربّتت رِجْلٌ على كتفها كأنّها تعرضُ عليها التّطاعم.

لماذا تريدينَ قتلها؟

تُديرُ الرّقم 103683 قرنيها لتميّزَ بوضوحٍ مصدرَ البثّ.

مباشرةً تتعرّفُ على هذهِ الرّوائحِ الصّديقةِ.

الملكةُ شخصيّاً هي من كان هنا. رفيقةُ مغامراتها القديمَةِ، ومُلهمةُ أوديستها الأولى...

تظهرُ في المُحيطِ جُنديّاتٌ على أتمِّ الجهوزيّةِ للقتالِ، لكنّ الملكةَ تبثّ رائحةً خفيفةً تبلغهنّ بأنّ هذه النّملةَ تحتَ حمايتها.

اتبعيني، تقترحُ الملكةُ شلي-بو-ني.

25. الأمرُ يزدادُ تعقيداً

أصبحَ الصّوتُ مُلحّاً.

– اتبعني، من فضلكَ.

صفٌّ مزدوجٌ من الجُثثِ كان ممتدّاً تحتَ الضّوءِ الفاقعِ لمصابيح النيون، وثمّةَ بطاقةٌ معلّقةٌ على إبهام رِجْل كلّ جثّة. بينما تعبقُ القاعةَ بروائحِ الإيثر[20] والأبديّة.

مشرَحةُ فونتينبلو.

– من هنا، حضرة المُفوّض، قال الطّبيبُ الشّرعيّ.

تقدّما بين الجُثثِ، الواحدةُ لصق الأخرى، وضِعَ بعضها تحتَ غطاء بلاستيكيّ، وأخرى تحتَ شرشفٍ أبيض. تحملُ كلّ بطاقة اسماً ونبذةً تُشيرُ إلى تاريخِ موتِ المُستلقي وظروفه: 15 آذار، قُتلَ في الشّارعِ جرّاء طعناتِ سكين؛ 3 نيسان، دهسهُ باص؛ 5 أيار، انتحرَ ملقياً بنفسهِ من النّافذة...

يقفانِ أمام ثلاثةِ إبهاماتِ أرجُلٍ، تشيرُ بطاقاتها بأنّها تعودُ، على التّوالي، إلى سيباستيان، وبيار، وأنطوان سالتا.

كانَ صبرُ ميليَس قد نفدَ.

– هل تبينَ معكَ سببُ الوفاةِ؟

– إلى حدّ ما... جرّاء انفعالٍ قويّ. حتّى يمكنني القولُ مُفرطُ القوّةِ.

– الخوف؟

– ممكن. أو المفاجأةُ. على أيّةِ حالٍ، توتّر مُضاعفٌ. انظر المُلاحظات على هذهِ الورقةِ: نسبةُ الأدرينالين في الدّمِ لدى الثّلاثة مرتفعةٌ عشرةَ أضعافِ الحدّ الطبيعيّ.

20– Éther يستعمل كمذيب وكمخدر موضعي.

قال مِيلِيَس لنفسه: إنّ الصحفيّةَ كانت على حقّ.

- ماتوا من الخوفِ إذاً...

- ليسَ من الضّروريّ، لأنّ الصّدمةَ الانفعاليّةَ ليست سبب الموتِ الوحيدِ في هذهِ الحالاتِ. تعالَ وانظر. (وضعَ صورةً شُعاعيّةً على طاولةٍ مُضيئةٍ.) لاحظنا بأشعّةِ الرّاديو أنّ أجسَادهم كانت ممتلئةً بتقرّحاتٍ صغيرةٍ.

- ما الذي يمكنُ أن يكونَ قد سبّبها؟

- سُمٌّ. بالتأكيد إنّهُ سُمٌّ، ولكنّهُ نوعٌ جديدٌ من السمّ. نلاحظُ مثلاً، مع سمّ السّيانور ظهورَ جرحٍ كبيرٍ فحسب. أمّا الجروحُ في هذه الحالةِ فكثيرة.

- ما هو تشخيصكَ، إذاً، دكتور؟

- ربّما سيبدو لك غريباً. أقولُ: إنّهم ماتوا في البدايةِ جرّاء انفعالٍ مُفاجِئ وفيما بعد حدثَ النّزيفُ المِعَدي والمِعَوي، والاثنانِ قاتلان بالدّرجة ذاتها.

الرّجُلُ بالمريولِ الأبيض رفعَ تقريرهُ ومدّ له يدهُ مُصافحاً.

- سؤالٌ آخر بعدُ، دكتور. ما هو الشيءُ الذي يُخيفكَ؟

تنهّدَ الطّبيبُ.

- أوه، أنا! بعدَ كلّ ما رأيتهُ، لم يعد شيء يهزّني بالفعل.

استأذنَ المُفوّض مِيلِيَس بالانصرافِ وغادرَ المشرَحةَ، يمضَغُ علكتهُ، وهو أكثرُ حَيرةً من لحظةِ قدومهِ. باتَ يعلمُ من الآنَ فصاعداً بأنّهُ أمام خصمٍ من العيارِ الثّقيلِ.

26. موسُوعة

نجاح: بين جميعِ المُمثِّلينَ للكوكبِ الأرضيّ، النّملُ هو الأكثرُ نجاحاً. يتوزّعُ على رقمٍ قياسيّ من الأنماطِ الحياتيّةِ المُتنوّعة. إذ نجدُ النّملَ في السّهوبِ الصحراويّةِ وبآخرِ الدّائرةِ القطبيّةِ كما نجدُهُ في الغاباتِ الاستوائيّة، وفي الغاباتِ الأوربيّة، في الجبالِ، في الهاويات، من شواطئِ المُحيطات، إلى أطرافِ البراكين وصولاً إلى داخلِ المنازلِ البشريّة. وكمثالٍ على التأقلم في أقصى درجاته: ابتكرت النّملةُ cataglyphis، من أجلِ مُقاومةِ قيظِ الصّحراءِ والذي قد تصلُ حرارتُه إلى 60°، تقنيّاتٍ فريدةً للبقاءِ على قيدِ الحياة. فتستخدمُ رجلينِ فقط من أرجُلها الستّ أثناءَ سيرِها حجلاً كيلا تحرقَ نفسها على الأرضِ اللّاهبة، وتحبسُ أنفاسَها كي تُحافظَ على رطوبتها ولا تجفّ. لا يخلو كيلو مترٍ واحدٍ على اليابسَةِ من النّملِ. النّملةُ هي أكثر من بنى مُدناً وقرى على سطحِ الكوكبِ الأرضيّ. النّملةُ عرفت كيفَ تتأقلَم مع جميعِ مُفترسيها وجميعِ الشّروطِ المناخيّة: مطر، حرارة، جفاف، برد، رطوبة، ريح. الأبحاثُ التي أجريت مؤخّراً أثبتت أنّ ثُلثَ الكتلةِ الحيويّةِ الحيوانيّةِ في الغابةِ الأمازونيّة مكوّنةٌ من نملٍ وأَرَضَةٍ، وذلكَ بنسبةِ ثماني نملاتٍ مُقابلَ أَرَضَةٍ واحدةٍ.

إدمون ويلز،

موسُوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلّد الثاني.

27. اللّقاءُ الملَكيُّ

تُزيحُ البوّاباتُ رأسَها المُفلطحَ لتسمحَ لهما بالمرورِ. تسيرانِ جنباً إلى جنبٍ في الممرّاتِ الخشبيّةِ للمدينةِ المُحرّمة: الرّقم 103683 الجنديّةُ التي شاركت منذُ أكثرَ من عامٍ في الهجومِ النهائيّ على مدينةِ بيل-أو-

كان، ومنذُ ذلكَ الحين، لم تُزوّدها الملكةُ قطُّ بأيّ خبرٍ عنها. تُرى نسيت تواطؤهما القديمَ؟

تلجانِ داخلَ المقصُورةِ الملكيّة. أعادت شلي-بو-ني ترتيبَ مسكنِ أمّها بوضعِ جُدرانٍ من المَخملِ الجميلِ الآتي من اللّحاءِ الدّاخليّ لحبّةِ الكستناء. وفي وسطِ القاعةِ مشهدٌ صاعقٌ، جسدُ بيلو-كيو-كيوني المُفرّغ والشفّافُ، أمّهما!

إنّها المرّةُ الأولى في الحوليّاتِ النّمليّة، تعيشُ فيها ملكةٌ على نحوٍ دائم إلى جانبِ جثّةِ أمّها المحفوظةِ. وهي التي في السّابقِ قامت بحربٍ ضدّها وانتصرت عليها.

تجلسان شلي-بو-ني والرّقم 103683 وسطَ الغرفةِ تماماً على شكلٍ بيضويّ مُكتملٍ. أخيراً تُقرّبانِ قرنيهما من بعضهما.

لقاؤنا ليسَ وليدَ المُصادفة، تؤكّدُ الملكةُ. جُنديّاتها من فرقة النّخبة، كانت تبحثُ عنها منذُ زمنٍ طويلٍ. هي تحتاجُها. إذ أنّها تريدُ إطلاقَ حملة واسعةٍ ضدّ **الأصَابِعِ**، وتريدُ تدميرَ كافّة العشُوشِ التي بنوها وراءَ حافّةِ العالَمِ. والرّقم 103683 هي الأكثرُ قدرةً على قيادةِ جيشٍ أصهبَ نحو بلدِ **الأصَابِعِ**.

كانت المُتمرّداتُ على حقّ شلي-بو-ني بالفعلِ تريدُ إطلاقَ حربٍ واسعةٍ على **الأصَابِعِ**.

تتردّدُ الرّقم 103683. بالطّبع، هي مُتلهّفةٌ للعودةِ مُجدّداً صوبَ الشّرقِ. ولكن ثمّةَ أيضاً، من الآن فصاعداً، هذا الخوفُ المُرعبُ المحفورُ في جسدِها والذي في أيّةِ لحظةٍ، يُهدّدُ بأن يطفوَ مُجدّداً. الخوفُ من **الأصَابِعِ**.

طوالَ فترةِ السُّباتِ التي أعقبت مُغامرتها، لم تحلم بغيرِ **الأَصَابِعِ**، بالكُراتِ الورديّةِ العملاقةِ وهي تلتَهِمُ المدنَ كفرائسَ صغيرةٍ! لقد استفاقت الرّقم 103683 مِراراً جرّاء الكوابيسِ، مُبلّلةَ القرنينِ.

ماذا يحدثُ؟ سألتِ الملكةُ.

*أخافُ من **الأَصَابِعِ** التي تقطنُ ما بعدَ حافّةِ العالَمِ.*

ما هو الخوفُ؟

هو الإرادةُ بألّا نجدَ أنفسنا في أوضاعٍ لا سيطرةَ لنا عليها.

تقصُّ عليها شلي-بو-ني كيف اكتشفت، وهي تقرأُ فيرومُونات الأمّ، فيرومُوناً يتناولُ هذه الكلمةَ أيضاً. «خـوفٌ». يفسّرُ هذا الفيرومُون، أنّه حين يعجزُ أفراد عن فهم بعضهم، فهذا يعني أنّهم «يخافون» بعضهم بعضاً. وبحسَب بيلو-كيو-كيوني حين يتغلّبُ المرءُ على خوفهِ من الآخرِ، الكثيرُ من الأشياءِ التي تُعدّ مُستحيلةً ستصبحُ، عندئذ، قابلةً للتحقّقِ بشكل مؤكّدٍ.

تعرّفت الرّقم 103683 بهذهِ الكلماتِ على نمط الحكمةِ الأثيرِ عندَ الملكةِ القديمةِ. تسألُ شلي-بو-ني بحركةٍ خفيفةٍ من القرنِ الأيمن: هل يمكنُ للخوفِ أن يجعلَ الجُنديّةَ عاجزةً عن القيامِ بهذهِ الحَملةِ؟

لا. الفضولُ أقوى من الخوفِ.

تشعرُ شلي-بو-ني بالاطمئنان، فدونَ خبرةِ شريكتها القديمةِ، ستكونُ حملتُها قد اتّخذت لنفسها بدايةً سيّئةً.

*كم جنديّةً نحتاجُ، برأيكِ، لمحوِ جميعِ **الأَصَابِعِ** عن وجهِ الأرضِ؟*

*تريدينَ محوَ **الأَصَابِعِ** جميعها عن وجهِ الأرضِ؟*

بلى، بالطّبع. تُريدُ شلي-بو-ني ذلك. ينبغي أن تُبادَ **الأَصَابِعُ**، وتُجتثَّ من العالَم. مثل جميعِ المُتطفّلينَ الضِخامِ الأغبياء. يعتريها الغضَبُ، تطوي قرنيها وتمدُّهما. تُصِرُّ: ليستِ **الأَصَابِعُ** خطراً على النّمالِ فحسب، وإنّما على جميعِ الحيوانات، جميعِ النّباتاتِ، جميعِ المعادنِ. هي تعي ذلك وتشعرُ بهِ، إنّها مؤمنةٌ بصوابِ قضيّتها.

الرّقم 103683 ستُطيعُها. وتُجري تقديراً سريعاً. للقضاءِ على إصبعٍ واحد يلزمُ خمسةُ ملايين جُنديّةٍ متدرّبة بشكلٍ جيّد. وهي على يقينٍ، أنّهُ ثمّةَ على الأقلّ، على الأقلّ... أربعةُ قطعانٍ، إذ يوجدُ عشرونَ إصبعاً على الأرضِ!

بالكادِ ستكفي خمسةُ ملايينِ جُنديّةٍ.

تعودُ الرّقم 103683 بذاكرتِها وترى الشّريطَ الأسودَ الهائلَ حيثُ لا ينبتُ زرع. وجميع المُستكشفاتِ وهنّ، بضربةٍ واحدة، مُفلطحاتٌ مثل أكثرِ الأوراقِ رقّة وسطَ ضوضاءٍ من الاهتزازاتِ والغازاتِ الهيدروكربونيّة.

حافّةُ العالَمِ الشرقيّةُ، هي هذا أيضاً.

تتركُ الملكةُ شلي-بو-ني الصّمتَ يطفو. تخطو بضعَ خطواتٍ في المقصُورةِ الملكيّة، تلاعبُ سنَفَ القمحِ بطرفِ فكّها. تلتفتُ أخيراً، القرنان مُنخفضانِ، وتؤكّد أنّها تكلّمتَ مع الكثيرِ من النّمالِ لإقناعهنّ بضرورةِ هذه الحَملة. هي لا تمتلكُ أيّةَ سُلطة سياسيّة. هي تبثُّ مُقترحاتٍ فقط. والجماعةُ هي من تقرّرُ. وبالمُناسبةِ، ليست جميعُ أخواتها وبناتها يقاسمنَها وجهةَ النّظرِ ذاتها. هنّ يخشينَ استئنافَ الحروبِ مع النّمالِ القزماتِ والأرَضَاتِ. ولا يُردْنَ للحَملةِ أن تترُكَ الفيدراليّة دونَ دفاعٍ.

تكلّمت شلي-بو-ني مع الكثيرِ من المُواطناتِ المُؤثّرات. هنّ والملكةُ بذلنَ جهوداً كبيرةً. وتمكنّا معاً، من الوصُولِ إلى نحوِ ثمانينَ ألفاً.

ثمانونَ ألفَ فيلقٍ؟

لا، ثمانونَ ألفَ جُنديّة. ترى شلي-بو-ني، من وجهةِ نظرِها، أنّ هذا العددَ من المُحاربات سيكفي ويزيدُ. وإذا كانت الرّقم 103683 ترى أنّ العددَ ضئيلٌ حقّاً، فإنّ الملكة توافقُ على بذلِ جهودٍ إضافيّةٍ في التّحفيزِ، لتفريغ مئةٍ إلى مئتي مُحاربةٍ إضافيّة. ولكن هذا هو الحدُّ الأقصى الذي سيكونُ بإمكانها الحصولُ عليه!

تفكّرُ الرّقم 103683. الملكةُ لا تعي ضخامةَ المهمّةِ! ثمانونَ ألفَ جُنديّةٍ لمواجهةِ جميع أصَابِع الأرضِ، هذا جنونٌ!

لكنّ فضُولَها الأزليَّ أخذَ يُعذّبها. كيف يمكنُ التخلّي عن فُرصةٍ ثمينةٍ إلى هذا الحدّ؟ تبحثُ عن عزاءٍ لنفسها. في المُحصّلة، مع ثمانينَ ألفَ جُنديّة، سيكون تحتَ تصرّفها رحلةٌ استكشافيّةٌ على غايةٍ من الأهميّة. لا يلزمُ إلّا بعضاً من الجراة، هذا كلّ ما في الأمر! لن تتمكّنَ بالطّبعِ من قتلِ جميعِ الأصَابِعِ ولكن، بالمُقابلِ، ستعرفُهم أكثر وتعرفُ كيفَ يتصرّفونَ.

اتّفقتا بخصُوصِ ثمانينَ ألفَ جُنديّة. إلّا أنّ الرّقمَ 103683 تساورُها رغبةٌ في طرحِ سؤالين. لماذا هذه الحَملةُ؟ ولماذا كلُّ هذا العداءِ للأصَابِعِ في الوقتِ الذي كانت فيهِ الأمّ بيلو-كيو-كيوني تشعرُ حيالَهم بالكثيرِ من التّقديرِ؟

تتّجهُ الملكةُ نحوَ بابِ ممرّ يُفتَحُ في آخرِ القاعةِ.

تعالي. سآخذكِ لتزوري المكتبةَ الكيميائيّةَ.

28. تظهَرُ ليتيسيا تقريباً

كانتِ القاعةُ تضجُّ بالأصواتِ وتعبقُ بالدّخانِ، مكتظّةً بالطّاولاتِ والكراسي ومكنات القهوةِ.

ترتفعُ فيها طقطَقةُ مفاتيح لوحاتِ الحواسيبِ، ويعلو تذمّرُ حُطام أشخاصٍ مُتهالكينَ على المَقاعدِ، وثمّةَ رجالٌ متشبّثونَ بقضبانِ أقفاصِهم يتوعّدونَ بأنّ الأمور لن تمضي بهذا اليُسرِ، وأنّهم يريدونَ الاتّصالَ مع مُحامِيهم.

وثمّةَ لوحٌ مُثبّتٌ عليه صورُ المشبوهينَ، وعلى كلّ وجه ثمنُ القبضِ عليهِ. يتراوحُ الثّمنُ بينَ ألفٍ وخمسةِ آلافِ فرنكٍ. أثمانٌ بخسَةٌ إذا اعتبرنا أنّ الإنسانَ يحوي داخلَ جسدهِ على سلعٍ عضويّة (كليتان، قلبٌ، هرمونات، أوعيةٌ دمويّةٌ، سوائلُ مختلفة) فإنّ قيمتها المُتراكمةَ من النّاحيةِ التّجاريّةِ تكادُ تُناهزُ خمسةً وسبعينَ ألفَ فرنكٍ.

لمّا ظهرت ليتيسيا ويلز في مخفَرِ الشّرطةِ، أخذت أزواجُ العيونِ ترتفعُ نحوها. مقْدَمُها دوماً يُحدِثُ ذاتَ الأثرِ.

- أين مكتبُ المُفوّضِ مِيليَس، لو سمحتَ؟

موظّفٌ من الدّرجة الثّانيةِ، يرتدي الزيّ الرسميّ، يطلبُ التحقّقَ من استدعائها قبلَ أن يدلُّها:

- من هنا، في الأسفلِ، قبلَ المراحيضِ.

- شكراً.

أوّلُ ما اجتازت بابهُ، شعرَ المُفوّضُ بانقباضٍ في قلبهِ.

- أبحثُ عن المُفوّضِ مِيليَس، قالت.

- إنّهُ أنا.

وبحركةٍ من يدهِ دعاها للجلوسِ.

لم يكن يُصدّقُ ما يراهُ. لم يرَ في حياته قطّ، قطّ، شابّةً بهذا الجمالِ. ولا عرفَ امرأةً في مغامراتهِ، سواءً الحديثةُ منها أو الماضيةُ، يصلُ جمالُها إلى كاحلِ قدمِها.

أوّلُ ما أَدهشَهُ، عيناها اللّتان بلونِ الأُرجوان. ثمّ استدارةُ وجهها المريميّ، رهافةُ جسَدِها وهالةُ العِطرِ المُنبعثِ منهُ. بَرْغَمُوت، نَجيل هنديٌّ، يوسفُ أفندي، غالوكسيد، خشبُ الصّندلِ، وكلُّها مَحمُولةٌ بلمسَةِ مِسكٍ لوعلٍ بيرنيّ، هذا ما كان سيقولهُ كيميائيّ فيما لو حلّلَ عِطرها. أمّا جاك مِيليَس، ذاتهُ، فلم يكن لديهِ سِوى الانتشاءِ بالضّوعِ.

أخذهُ رنينُ صوتِها قبلَ أن يُدركَ ما يحملهُ من كلامٍ. ماذا قالت؟ بذلَ جُهداً ليستعيدَ تمالكَ نفسه. كان هذا القَدرُ من المعلوماتِ، البصريّةِ والشميّةِ والسمعيّةِ، قد أتخمَ دماغهُ!

- شكراً لأنّكِ أتيتِ، تلعثمَ أخيراً.

- بل أنا المُمتنّةُ لقبولكَ هذا اللقاء، أنتَ المُقلُّ بمثلِ هذه اللّقاءاتِ.

- لا، لا، أنا مدينٌ لكِ بالكثيرِ. لقد فتحتِ عينيَّ على هذهِ القضيّةِ. وكان من الإنصافِ أن أستقبلكِ.

- ممتاز. لديكَ مزاجٌ رائقٌ. هل أستطيعُ تسجيلَ حديثنا؟

- كما تُريدينَ.

كان يتكلّمُ. يتبادلُ معها كلماتٍ لا أهميّةَ لها، كأنهُ كان مأخوذاً بوجهِ الفتاةِ الأبيضِ، وشعرها الأسودِ الفاحمِ المقصوصِ على طريقةِ

لويز بروكس بغُرّةٍ ثقيلة، وعينيها الواسعتين الأرجوانيتين المشدودتين فوقَ عظمتي الوجنتين العاليتينِ. وقد طلَتْ شفتيها الحسيّتينِ المُمتلئتينِ بلونٍ ورديّ خفيفٍ. بذْلتها الأرجوانيّةُ لا بدّ أنّها تحملُ بصمةَ مُصمّمِ أزياءٍ راقٍ. مجوهراتها، جلوسها، كلٌّ ما فيها يتحلّى برائحةِ الأناقةِ الرّفيعة.

- أيمكنني أن أدخّنَ؟

سمحَ لها، وقرّبَ منفضةَ السّجائرِ نحوها بينما أخرجت مبسَم سيجارةٍ منحوتٍ بدقّة. أشعلتِ التّبغَ وأطلقت نفثةً زرقاءَ تحملُ رائحةَ أثرٍ أفيونيّ. ثمّ تناولت دفتراً صغيراً من حقيبتِها وبدأت تطرحُ عليهِ الأسئلةَ.

- علمتُ مؤخّراً بأنّكَ طلبتَ تشريحَ الجُثثِ. فهل هذا صحيحٌ؟

أومأَ بالإيجابِ.

- وعمَّ أسفرَ التّشريحُ؟

- أعادَ السّبب إلى الخوفِ والسمّ معاً. نوعاً ما، كنّا نحنُ الاثنان على حقّ. وبرأيي، لا أظنُّ بأنَّ التشريحَ يُقدّمُ حلّاً شافياً. ولا يستطيعُ أن يكشفَ لنا كلّ شيءٍ.

- هل أظهرَ تحليلُ الدّم أيّ أثرٍ للسمّ؟

- النتيجةُ سلبيّةٌ. غير أنّ ذلك لا يعني شيئاً، فثمّةَ سمومٌ لا يمكنُ كشفُها.

- هل تمكّنتَ حضرتك من العثورِ على أدلّةٍ في مكانِ الجريمةِ؟

- ولا أيَّ دليلٍ.

– ولا أيَّ أثرٍ لاقتحامِ المنزلِ عُنوةً؟

– ولا أدنى أثرٍ.

– ألديكَ فكرةٌ عن دافعِ الجريمةِ؟

– كما سبقَ وأعلنتُ في البيانِ الصحفيّ المُرسلِ إلى الوكالةِ، كان سيباستيان سالتا يخسَرُ الكثيرَ من المالِ في القِمارِ.

– ما هي قناعتكَ الخاصّةُ عن هذهِ القضيّةِ؟

تنهّدَ:

– لم يعد لديّ... ولكن هل أستطيعُ بدوري أن أسألكِ؟ سمعتُ أنّكِ استشرتِ أطباءَ نفسيّينَ؟

قرأ الدّهشةَ داخلَ البؤبؤينِ الأرجوانيّينِ.

– مرحى، بحثتَ جيداً إذاً!

– هذهِ مهنتي. هل اكتشفتِ ما الذي يمكنُ أن يخيفَ ثلاثةَ أشخاصٍ إلى هذا الحدّ، الحدّ الذي يقتلهم دُفعةً واحدةً.

تردّدت:

– أنا صحفيّةٌ. مهنتي تتطلّبُ تحصيلَ المعلوماتِ من الشّرطةِ، وليسَ تزويدهم بها.

– حسناً، لنقل أنّ الأمر لا يتعدّى مُقايضَةً بسيطةً، لكنّك بالطّبعِ لستِ مُرغمةً على قبولِها.

فكّت إشباكَ ساقيها الرّهيفتينِ، المبرّزتين في جواربِ الحريرِ.

– ما الذي يُخيفكَ أنتَ، حضرةَ المُفوّضِ؟ (حدّقت به من الأسفلِ وهي تنحني لتنفضَ الرّمادَ في المِنفضةِ.) لا، لا تجيب. الأمرُ مُفرطٌ

الحميميّةِ. ربّما يكونُ سؤالي غيرَ لائقٍ. فالخوفُ شعورٌ على غايةٍ من التّعقيدِ. هو أوّلُ شعورٍ لإنسانِ الكهفِ. إنّهُ شيءٌ قديمٌ جدّاً وطاغٍ جدّاً، الخوفُ. يضربُ جذرهُ في مخيّلتنا، وبالتّالي لا نستَطيعُ السّيطرةَ عليهِ.

أخذت نفساً طويلاً من سيجارتِها قبلَ أن تسحَقها. ثمّ رفعت رأسَها مبتسمةً لهُ:

- حضرةَ المُفوّضِ، أعتقدُ أنّنا أمامَ لغزٍ جديرٍ بنا. كتبتُ ذاكَ المقالَ خشيةَ أن تدعَهُ يُفلتُ منّا. (أوقفت مُسجّلها.) حضرةَ المُفوّضِ، لم تخبرني شيئاً لم أكن أعرفهُ من قبل. لكنّي أودُّ إخباركَ بشيءٍ. (سُرعانَ ما همّت بالنّهوضِ) قضيةُ الإخوةِ سالتا هذه أكثرُ أهميّةً ممّا تظنُّ. وعمّا قريب ستطرأُ مُستجدّاتٌ على القضيّةِ.

أجفلَ:

- كيفَ تعرفين؟

- من خِنصَر يدي...، أشارَتْ، وهي تشدُّ شفتيها الفاتنتينِ على هيئةِ ابتسامةٍ سرّيّةٍ زامّةً عينيها الأرجوانيتينِ.

ثمّ انسحبت برشاقةِ سِنّورٍ.

29. البحثُ عن النّارِ

لم تدخلِ الرّقم **103683** قطُّ المكتبةَ الكيميائيّةَ من قبل. المكانُ مُدهشٌ بحقّ. تصطفُّ داخلهُ على مدّ النّظرِ بيوضٌ مُترعةٌ بسائلٍ حيّ. وكلّ واحدةٍ مُغلقةٌ على شهاداتٍ، وأوصافٍ، وأفكارَ فريدةٍ.

وبينما هما تتقدّمان بين الصّفوفِ، أخذت شلي-بو-ني تروي

لها بأنّها اكتشَفتْ بأنّ الأمّ بيلو–كيو–كيوني بدأت تتواصلُ مع أصَابِع التحتِ أرضيّةِ حين تبوّأتْ على عرشِ مدِينة بيل–أو–كان المُحرّمة. كانت الأمّ مهووسةً بالأصَابع. كانت تعتقدُ أنّهم يشكّلونَ حضارةً مُستقلّةً بالكاملِ. كانت تُطعمُهم، وهم في المُقابلِ، يطلعونها على أشياء غريبةٍ. الدّولابُ، مثلاً.

بالنّسبةِ للملكةِ بيلو–كيو–كيوني، الأصَابِعُ حيواناتٌ مفيدة. كم كانت مُخطئةً! وأصبحَ بعد اليوم لدى شلي–بو–ني برهانٌ على ذلك. فالشّهاداتُ جميعها مُتطابقةٌ: إنّ الأصَابِعَ هي من أحرقَ بيل–أو–كان وبهذهِ الطّريقةِ قتلوا بيلو–كيو–كيوني، الملكةَ الوحيدةَ التي أرادت فهمَهم.

الحقيقةُ المُحزنةُ أنّ حضارتَهم تأسّست على الـ... نار. لهذا السّببِ قطَعت شلي–بو–ني الحوارَ معهم، ومنَعتْ عنهم الطّعامَ. وأغلقت أيضاً الممرَّ عبرَ أرضيّةِ الغرانيت. ولهذا السّببِ هي عازمةٌ على محوهم عن سطحِ الأرضِ.

لا تلبثُ تقاريرُ الرّحلاتِ الاستكشافيّة أن تؤكّدَ على نحوٍ مُتزايد صدقَ المعلومةِ ذاتها: الأصَابِعُ تُشعلُ النّارَ، تلعبُ بها، وتُصنّعُ أغراضاً مُساعدةَ النّارِ. لا يمكنُ للنمالِ بعدَ اليوم غضُّ الطّرفِ عن استمرارِ أولئكَ الحمقَى. وإلّا فنحنُ نسيرُ نحوَ فناءِ العالمِ. المِحنةُ التي عصَفت ببيل–أو–كان برهنت ذلك.

النّارُ! ... اعترت الرّقم 103683 حالةُ اشمئزازٍ. باتتِ الآن، أكثرَ تفهُّماً لهاجسِ شلي–بو–ني. النّمالُ جميعها تعرفُ ما هي النّارُ. هم أيضاً، اكتشفوا هذا العنصرَ في الماضي. وكما البشرُ: بالصّدفةِ. إذ ضربتِ

الصّاعقةُ إحدى الشّجيراتِ. فهوى عودٌ مُشتعلٌ بين الأعشابِ. اقتربت منهُ نملةٌ لترى بوضُوحٍ قبسَ الشّمسِ هذا الذي يُسَوّدُ كلّ ما حولهُ.

كلُّ ما تجدهُ النّمالُ استثنائياً وغيرَ مألوفٍ، تسعَى لإحضارهِ معها إلى العُشّ. في المرّةِ الأولى تلك فشلت، وفي المُحاولات التي تبعتها أيضاً. دوماً، كانت الشّعلةُ تنطفِئُ في الطّريقِ. ثمّ، من كثرةِ ما جرُّوا عيداناً أطولَ في كلّ مرّة، تمكّنت مُستطلعةٌ نبيهةٌ من إيصالِ عُودٍ إلى تخوم عشّها. وبرهنت آنذاك بأنّهُ يمكنُ نقلُ أقباسِ الشّمسِ. استقبلتها أخواتُها بحفاوةٍ.

أيّةُ روعةٍ، النّارُ! تجلبُ الطّاقةَ، الضوءَ، الحرارةَ. وأيّةَ ألوانٍ بهيّةٍ! أحمرَ، أصفرَ، أبيضَ، وحتّى أزرقَ.

ذلكَ لم يحدث منذُ زمنٍ طويلٍ، لا يتعدّى خمسين مليونَ سنةٍ. لا تزالُ الحشَراتُ الاجتماعيّةُ تتذكّرهُ.

مُشكلةٌ: الشُّعلةُ لم تكن تستمرُّ طويلاً. كان ينبغي انتظارُ الصّاعقةِ أن تضربَ مجدّداً، ولكن للأسفِ! كانت على الأغلبِ مُصاحبةً للمطرِ الذي يُطفئُ النّارَ.

ولكي تُحافظَ أفضل على ثروتِها المُشتعلة، خطرَ في ذهنِ نملةٍ فكرةُ إدخالِها إلى مدينتها المصنوعةِ من العيدانِ. مُبادرةٌ كارثيّةٌ! حقّاً استمرّت النّار لمدّة أطولَ، ولكن بعدَ أن التهمت قببَ الغُصَيناتِ مُباشرةً، وأودَت بحياةِ الآلافِ من البيوضِ والعاملاتِ والجُنديّاتِ.

المُبتكرةُ لم تهنأ. ولكن، في الحقيقة، هذا لم يكن سوى بداية البحثِ عن النّارِ. النّمالُ هكذا. تبدأُ دائماً بأسوأ الحلولِ قبل أن تصلَ، بعدَ إجراءِ تعديلاتٍ مُتتاليةٍ، إلى الحلّ الأمثلِ.

انكبّتِ النّمالُ على هذا الموضوعِ مُشتغلةً عليه ردحاً من الزّمنِ.

سحبت شلي-بو-ني فيرومُونَ الذاكرةِ الذي دوّنت فيه أعمالهنَّ.

لاحظنا في البدايةِ أنّ النّارَ تنتشرُ بسرعة. فمجرّدُ الاقترابِ منها يكفي ليندلعَ المرءُ. في الوقتِ عينِه، وبشكلٍ مُتناقضٍ، بدت مُفرِطةَ الهشاشةِ، وتكفي رفرفةٌ بسيطةٌ لجناحي فراشة حتّى لا يبقى منها سِوى دخانٍ أسودَ يتبدّدُ في الهواء. بخصوصِ النّمال، إذا أردنَ إطفاءَ نارٍ، فأكثرُ الطّرقِ الفعّالةِ هي رشُّهُ بحمضِ النّمليكِ مُنخفضِ التّركيزِ. أمّا الحِرفيّاتُ السبّاقاتُ فقد أطلقنَ على الجمرِ حمضاً شديدَ التّركيزِ فتحوّلنَ إلى حرّاقاتٍ ثمّ إلى مشاعلَ حيّةٍ.

فيما بعدُ، منذُ سبعمائة وخمسين ألفَ سنة تحديداً، اكتشفتِ النّمالُ بالصّدفةِ أيضاً، وهنّ يحاولنَ كلّ شيءٍ وأيّ شيءٍ (هذا هو منهجُ علومهن)، بأنّهُ بالإمكانِ «تشييدُ» نارٍ دونَ الاضطرارِ إلى انتظارِ الصّاعقةِ. بحفّ ورقتين مفرطتيّ الجفاف ببعضِهما، رأت إحدى العاملاتِ دخاناً يتصاعدُ عن احتكاكهما ثمّ اندلعت النّار. أعيدَ تكرارُ هذه الخبرة، ودُرسَت. تعلّمتِ النّمالُ منذُ ذلكَ الحين إيقادَ النّارِ وقتَ تشاءُ وبقدرِ ما تُريد.

فترةُ ابتهاجٍ أعقبتِ الاكتشافَ الجميلَ. كانت تجدُ العشُوشُ، تقريباً، يوميّاً تطبيقاتٍ جديدةً لها. كانت النّار تُدمّرُ الأشجارَ المُعيقةَ، تُفتّتُ أشدَّ الموادِ قساوةً، تُحيي الطّاقات للخروج من السُّباتِ، تُعالجُ بعضَ الأمراضِ وعلى العمومِ كانت تُجمّلُ ألوانَ الأشياء.

بدأ الحماسُ يخفُّ حينما، بطريقةٍ لا مهربَ منها، أخذت تظهرُ الاستعمالاتُ العسكريّةُ للنارِ. باتَ بوسعِ أربعِ نمالٍ مُسلّحاتٍ بغُصينٍ

طويلٍ مُشتعل تدميرَ مدينةٍ عدوّة يبلغُ تعدادها مليونَ فردٍ بأقلّ من نصفِ ساعةٍ!

أخذت تنشبُ حرائق في الغاباتِ. وكان تحكُّم النّمالِ سيّئاً في الحدّ من انتشارِ ألسنة اللّهبِ. فأوّلُ ما يبدأ شيء بالاحتراقِ، تكفي هبّةُ ريح لكي يزدادَ اللّهيبُ اندلاعاً، ولم يكن بمقدورِ النّمالِ الإطفائيّاتِ، برشقاتِ حمضهنّ مُنخفضِ التّركيزِ، فعلُ الكثير للسيطرةِ على الحريقِ.

يحترقُ حرشٌ، فلا تلبثُ النّارُ أن تنتقلَ من شجرةٍ إلى أخرى وفي يومٍ واحد لا يُبادُ ثلاثُمائة ألفِ فردٍ فقط بل ثلاثون ألفَ عُشّ نِمالٍ استحالَ رماداً داكناً.

وباءُ النّارِ أبادَ كلّ شيءٍ: الأشجارَ العاليةَ، والحيواناتِ الضّخمةَ حتّى العصافيرَ لم تنجُ. إلى درجة انقلبَ الحماسُ إلى الرّفض. رفضٍ مُطلقٍ، وبالإجماعِ. فرحُ الأيّام الأولى باتَ بعيداً! النّارُ مُفرطةُ الخطورةِ. جميعُ الحشَراتِ الاجتماعيّةِ اتّفقت على إزاحةِ هذهِ اللّعنةِ واعتبارها تابو.

لا ينبغي أن يقتربَ أحدٌ من النّارِ بعدَ الآن. وإذا ما وقعت صاعقةٌ على شجرةٍ، فالتّعليماتُ تقضي بالابتعاد عنها. وإذا بدأت عيدانٌ جافّةٌ بالاشتعالِ، فالواجبُ يتطلّبُ من كلّ واحدٍ إطفاءها. اجتازت التّعليماتُ المُحيطاتِ. وسُرعانَ ما أدركَ جميعُ نَملِ الأرضِ، الجميعُ، والحشراتُ أنّ عليهم الهروبَ من النّارِ، وألّا يُحاولوا -على الأخصّ -أن يكونوا أسياداً عليها.

لم يبقَ سوى بضعةِ أصنافٍ من ذُبابِ الهاموشِ والفراشاتِ تندفعُ داخلَ ألسنةِ اللّهبِ. والسببُ إدمانها على الضّوءِ.

الآخرونَ طبّقوا التّعليماتِ بتشدُّدٍ. وفيما لو استخدمَ فردٌ أو عشٌّ

النّارَ من أجلِ الحربِ، كانَ الجميعُ، من كافّةِ الأصنافِ، صغاراً وكباراً، يتحالفونَ معاً لسحقه.

أعادت شلي-بو-ني وضعَ فيرومونِ الذّاكرةِ.

استخدمَ الأصَابعُ السّلاحَ الممنوعَ ولا يزالون يستخدمونهُ في كلّ ما يقومونَ به. حضارةُ الأصَابعِ هي حضارةُ النّار. لذا علينا تدميرُهم قبلَ أن يُحرِقوا الغابةَ بأكملِها.

نشرت الملكةُ رائحةَ قناعةٍ راسخةٍ.

بقيت الرّقم 103683 مُحتارةً. بحسب شلي-بو-ني ذاتها لا تعدُو الأصَابعُ أن تكونَ ظاهرةً طارئةً. سكّاناً موقّتين لسطحِ الأرضِ. وعابرين بكلّ تأكيد. إنّهم هنا منذُ ثلاثةِ ملايين عامٍ فقط وسوفَ لن يبقوا -بلا ريب -لزمنٍ طويلٍ.

الرّقم 103683 تنظّفُ قرنيها.

المُعتادُ، أنّ النّمالَ تتركُ الأجناسَ تتعاقبُ على أديمِ الأرضِ، تعيشُ وتموتُ دونَ أن تكترثَ لها. فلماذا هذه الحَملةُ إذاً؟

تُصرُّ شلي-بو-ني:

إنّهم شديدو الخطورةِ، لا يمكننا انتظارهم حتّى يختفوا من تلقاءِ أنفسهِم.

تُدلي الرّقم 103683 بملاحظةٍ:

يقالُ أنّ ثمّة أصَابِعَ تعيشُ تحتَ المدينةِ.

إذا كانت شلي-بو-ني تريدُ أن تعتديَ على الأصَابعِ، فلماذا لا تبدأُ بهؤلاءِ؟

اطّلاعُ الجُنديّةِ على السرّ يدعو الملكةَ للاستغراب. فتُبرّرُ. **الأصَابِعُ**، هناكَ، في الأسفلِ، لا يشكّلونَ أيّ تهديد. إنّهم يجهلون كيفيّةَ الخروج من حُفرتهم. إنّهم عالقون. يكفي تركهم يموتونَ من الجوعِ وتُحلُّ مشكلتهم من تلقاءِ ذاتها. وربّما لا يكونونَ في هذهِ اللّحظةِ أكثرَ من جُثثٍ.

سيكونُ ذلكَ مؤسفاً.

ترفعُ الملكةُ قرنيها.

*لماذا؟ أتحبّينَ **الأصَابِعَ**؟ سفرُكِ إلى حافّةِ العالَمِ أتاحَ لكِ التّواصلَ معهم؟*

تُقاطِعها الجُنديّةُ.

لا. ولكنّ ذلك سيكون مؤسفاً من أجلِ العلوم الحيوانيّة لأنّنا نحنُ نجهلُ عاداتِ ومورفولوجيا هذه الحيوانات العملاقة. وسيكونُ مؤسفاً من أجلِ الحَملةِ أن نذهبَ إلى نهايةِ العالمِ ونحنُ لا نكادُ نعلمُ من هم أعداؤُنا.

الملكةُ مُشوّشةٌ. تنتهزُ الجُنديّةُ الفُرصةَ وتدفعُها قُدماً.

*مع أنّهُ يا للفرصَة! نحنُ لدينا عشٌ من **الأصَابِعِ** في المنزلِ، تحتَ تصرّفنا بشكلٍ كاملٍ. فلماذا إذاً لا نستغلُّ هذه الحال؟*

لم تفكّر شلي-بو-ني بهذا. الرّقم **103683** معها كلُّ الحقّ. هذا صحيحٌ، أُولئك **الأصَابِعُ** أسراها، وهم في النّهايةِ مثل القُرَادِ تماماً، الذين تدرسُهم في قاعةِ العلومِ الحيوانيّةِ. عالقونَ داخلَ قشرتِهم من البندقِ، مُحْيا[21] القُرَادَات هذا بالنّسبةِ لها هو لدراسةِ الكائناتِ غيرِ مُتناهيةِ

21- مُحْيا (vivarium، باللاتيني) مكان تُربّى فيه حيوانات حيّة مع إعادة تشكيل وسطها الطبيعي المطابق للبيئة الأصليّة.

الصّغرِ. والأصَابِعُ العالقون داخلَ كهفهم، تقدّمُ لها مَحْيًا للكائناتِ غيرِ مُتناهيةِ الكبرِ...

للحظة، تميلُ الملكةُ للإصغاء للجنديّة، بأن تُديرَ بطريقةٍ باردةٍ «عشّ الأصَابِعِ» خاصّتها، وبأن تُنقذَ الأصَابِعَ المُتبقّية إذا كان قد بقي منهم أحدٌ على قيدِ الحياةِ، وقد تُعيد الحوارَ معهم ربّما. من أجلِ العلم.

ولماذا لا تروّضُهم؟ وتحوّلهم إلى مطايا عملاقة يمكنُ ركوبها؟ سيكونُ بوسعها بلا ريبِ الحصولُ على طاعتِهم مقابلَ الغذاءِ.

ولكن فجأةً، يحدثُ ما هو غيرُ متوقّع.

تنبثقُ نملةٌ انتحاريّة من العدم، وتنقضُّ على شلي-بو-ني متأهبةً لنحرِها. تعرّفت الرّقم 103683 في قاتلةِ الملكةِ على مُتمرّدةٍ من حظيرةِ الجعْلان. تقفزُ الرّقم 103683 وتقتلُ الجريئةَ بضربةِ سيفِ الفكّ قبلَ أن تُفلحَ في جريمتِها.

لم يَعترِ الملكةَ أيُّ انفعالٍ.

*انظري ما الذي يمكنُ أن تقومَ به **الأصَابِعُ**! حوّلتِ النّمالَ ذوات رائحةِ الصّخرِ إلى مُتطرّفات مُستعدّاتٍ حتّى لقتلِ مليكتهنّ. أترين، الرّقم 103683، علينا ألّا نكلّمهم، **فالأصَابِعُ** ليسوا كسائرِ الحيواناتِ. إنّهم مُفرطو الخطورةِ. حتّى يمكن لكلماتِهم أن تقتلنا.*

توضّحُ شلي-بو-ني أنّها على درايةٍ بوجود حركة مُتمرّدة، يُتابعُ أعضاؤها مواصلةَ الحوارِ مع الأصَابِعِ التي تُحتضَر تحتَ الأرضيّة. وبالمناسبةِ شلي-بو-ني تدرسُهم بهذه الطّريقةِ. إذ ثمّةَ جاسوساتٌ مُوالياتٌ لها تسلّلنَ داخلَ الحركة المُتمرّدة يُخبرنها بكلّ ما يُبثّ من عُشّ الأصَابِعِ. وهي على علمٍ أيضاً بأنّ الرّقم 103683 أقامت اتّصالاً

مع المُتمرّدات، وتعدُّ هذا الاتّصالَ جيّداً. فبهذهِ الطّريقةِ بوسعِ الجُنديّةِ أيضاً أن تكونَ عوناً لها.

على الأرضِ، تستَجمِعُ المُتمرّدةُ قاتلة الملكةِ ما تبقّى لها من القوّةِ لتبثّ في النّزعِ الأخيرِ:

الأصَابعُ آلهتنا.

ومن ثمّ، لا شيء. ماتَتْ. تتشمّمُ الملكةُ الجثّةَ.

ماذا تعني كلمةُ «آلهة»؟

الرّقم 103683 تتساءلُ هي أيضاً. تذرعُ الملكةُ المقصُورةَ الملكيّةَ، مُعيدةً مراراً وتكراراً بأنّ الحاجةَ لقتلِ **الأصَابعِ** لا تلبثُ أن تزدادَ إلحاحاً. الحاجةُ لإبادتِهم. جميعهم. وهي تعتَمدُ على جُنديّتها الخبيرةِ في تحقيقِ هذه المهمّةِ الأساسيّةِ.

جيّدٌ جدّاً. الرّقم 103683 لا تحتاجُ إلى أكثرَ من يومين لتجميعِ قوّاتها. وفيما بعدُ، التقدّم إلى الأمام. للهجُومِ على جميعِ **أصَابعِ** العالَمِ!

30. رسالةٌ إلهيّةٌ

زيدوا قرابينكم،

جازِفوا بحياتِكم، ضحّوا بأنفسِكم،

***الأصَابعُ** أهمّ من الملكةِ أو الحَضْنة.*[22]

لا تنسَوا يوماً

22- مجموع أطوار النمل غير المكتملة النمو (تشمل البيض واليرقات والحوريات).

بأنّ الأصَابِعَ كلّيي الوجودِ والقدرةِ.

بإمكانِ الأصابعِ كلُّ شيء لأنّ الأصَابِعَ آلهة.
بإمكانِ الأصابعِ كلُّ شيء لأنّ الأصَابِعَ ضِخام.
بإمكانِ الأصابعِ كلُّ شيء لأنّ الأصَابِعَ ذوو سُلطان.

هذهِ هي الحقيقةُ!

مُؤلّفُ هذه الرّسالةِ تركَ الآلةَ سريعاً مخافةَ أن يراهُ الآخرونَ مُنكبّاً عليها.

31. الضّربةُ الثّانيةُ

لم تكن كارولين نوغار تحبُّ جلساتِ الطّعامِ العائليّةِ، وتتعجّلُ إنهاءها لكي تستأنفَ «عملها» بهدوءٍ.

كان الجميعُ من حولِها يتحرّكونَ، يثرثرونَ، يتناولونَ الأطباقَ، يلوكونَ الطّعامَ، يتخاصَمونَ على مشاكلَ لا تعنيها لا من قريبٍ ولا من بعيدٍ.

– يا لهذهِ الحرارة! قالت أمّها.

– مُقدّمُ النّشرةِ الجويّةِ في التّلفزيون أعلنَ أنّ موجةَ الحرّ الشّديدةَ لاتزالُ في بدايتها. يقالُ إنّها نجَمت عن التلوّثِ الحاصلِ في نهايةِ القرنِ العشرين، أردفَ أبوها.

– هذا ذنبُ جدّي. في زمنِهِ، في سنواتِ التّسعينياتِ، كانوا يلوّثونَ

دونَ حسابٍ. ينبغي جرجَرةُ جميعَ أبناءِ جيلِه أمامَ المحاكمِ. تجرّأت أختها الصّغيرةُ.

ليسوا أكثر من أربعةِ أشخاصٍ على الطّاولةِ، غيرَ أنّ كارولين نوغار لا تحتاجُ لأكثر من هؤلاءِ الثلاثة لتخرُجَ عن طورِها.

- سنذهبُ إلى السّينما، بعدَ قليلٍ. أتريدينَ الذّهابَ، كارو؟ اقترحت أمّها.

- لا شكراً، أمي! لديّ عملٌ في البيتِ.

- في السّاعةِ الثّامنةِ مساءً؟

- بلى. وعملٌ مهمٌّ.

- كما تشائين. إذا كنتِ تُفضّلينَ البقاءَ بمفردكِ والعملَ لساعاتٍ مُتأخّرةٍ بدلَ تمضيةِ وقتٍ مُمتعٍ معنا، فهذا حقّ لا يمكنُ المساسُ به...

كان صبرُها قد نفدَ حينَ، أخيراً، أغلقت البابَ وراءَهم مُجدّداً بلفّتي مفتاحٍ. وسُرعانَ ما ركضت لإحضارِ الحقيبةِ، أخرجت منها كُرةَ الزّجاجِ الملآى بالحُبيباتِ، صبّت محتواها في حوضٍ معدنيّ ووضعتهُ يسخنُ على موقدِ بنسن[23].

بهذهِ الطّريقة حصلت على هريسةٍ بُنّية. صدَرَتْ عنها نفخةُ هواء، ثمّ تبدّلت على نحوٍ مُتعاقبٍ بدخانٍ رماديّ، ثمّ تلاهُ أوّلاً لهيبٌ مغبّشٌ بالدّخانِ، وأخيراً لهيبٌ جميلٌ صافٍ ونقيٌّ.

لا ريبَ بأنّ العمليّةَ هذه قديمة بعضَ الشيءِ ولكن في هذهِ المرحلةِ لا يوجدُ غيرها. كانت تتفحّصُ عملَها برضا حين رنّ الجرسُ.

23- نسبة إلى عالم الكيمياء الألماني روبرت بنسن الذي اخترعه سنة 1854.

فتحتِ البابَ لرجلٍ مُلتحٍ، لحيتهُ لفرطِ صُهبتها، حمراءُ تقريباً. أعطى مكسيميليان مكاريوس أمراً للكلبين الضّخمين السّلوقيين المُمسكِ بزمامِهما الفضّيين أن يجلسا. وسألَ، قبل حتّى أن يُلقيَ التحيّةَ:

- هل هو جاهزٌ؟

- بلى، أتممتُ العملياتِ الأخيرةَ في البيتِ، لكنّي أجريتُ المُعالجاتِ الأساسيّةَ في المختبرِ.

- ممتاز. هل واجهتكِ مُشكلةٌ؟

- ولا أدنى مُشكلةٍ.

- هل يعلمُ أحد؟

- لا أحدَ.

سكبتِ المادّةَ السّاخنةَ التي أصبحت مغراءَ اللونِ في زُجاجةٍ سميكةٍ وقدّمتها لهُ.

- أنا سأتكفّلُ بما تبقّى. تستطيعينَ الآن أن ترتاحي، قال.

- وداعاً.

على إيماءةِ الاتّفاقِ، اختفى في المصعدِ مع كلبيهِ السّلوقيّين.

عادت بمفردها مُجدّداً، أحسّت كارولين نوغار نفسها مُتخفّفةً من حملٍ ثقيلٍ. الآن، فكّرت، لا يمكنُ لشيءٍ أن يقفَ في وجهِهم. سينجحونَ حيثُ فشلَ كثيرون غيرهم.

صبّت لنفسها كأسَ بيرة باردةٍ وأخذت تتلذّذُ فيه ببطء. نزعت فيما بعد مريولَ العملِ لترتدي مئزراً ورديَّ اللّونِ. لاحظت على أحدِ أكمامهِ

تمزّقاً مُربَّعَ الشكلِ. لن يأخذَ منها وقتاً طويلاً حتّى ترتقهُ. أخذت خيطاً وإبرةً وجلست أمامَ التّلفزيون.

كانت ساعةُ برنامجِ «فخّ للتفكيرِ». أشعلت كارولين نوغار جهازَ الاستقبالِ.

تلفزيون.

كانت السيّدة راميريز لا تزالُ هناك، بهيئتها كفرنسيّةٍ من الطّبقةِ المتوسّطةِ وخجلها الحقيقيّ جدّاً وهي تُعلنُ عن نتائجِ عملياتها المنطقيّةِ التي قادتها إلى حلّ المُعضِلات. فيما كان المُقدّم يؤدّي استهلالهُ المُعتادَ:

– كيفَ حصلَ و لم تجدي الحلّ حضرتكِ؟ تمعّني جيّداً بهذا اللّوحِ وقولِي للمُشاهدينَ والمُشاهداتِ بماذا تُوحي لكِ سلسلةُ هذه الأرقام.

– حسناً، أتعلمُ، المُعضِلةُ حقّاً فريدة. الأمرُ يتعلّقُ بتقدّمٍ يتّخذُ شكلَ مثلّثٍ يبتدئُ بوحدةٍ بسيطةٍ ليصلَ إلى تعقيدٍ أكبرَ بكثيرٍ.

– مرحى سيّدة راميريز! تابِعي بهذا الطّريقِ وسوفَ تجدينَ الحلَّ!

– في هذا الرّقم «واحد»، في البدايةِ. يبدو كأنّهُ... يبدو كأنّهُ تقريباً...

– المُشاهداتُ والمشاهدون يسمعونَكِ، سيّدة راميريز! والجمهورُ سوفَ يُشجّعكِ.

يعلو تصفيقٌ حادٌّ.

– هيّا، سيدة راميريز! تقريباً ماذا؟

– نصٌّ مقدّسٌ. الرّقم 1 ينقسمُ ليُعطي رقمين، واللذان ينتجانِ بدورِهما أربعةَ أرقامٍ. إنّهُ يشبهُ قليلاً...

- إنّه يشبهُ قليلاً؟

- تمهيداً لولادةٍ. البيضةُ الأصليّةُ تنشَطرُ إلى اثنين في البداية، ثمّ إلى أربعة، ثمّ تزدادُ تعقيداً. بالحدسِ، يُذكّرني هذا اللّوحُ بولادةِ ما، بكائنٍ ما يظهرُ ثمّ يتمدّدُ. إنّ الأمرَ ميتافيزيقيّ أكثرَ من أيّ شيءٍ آخرَ.

- تماماً سيّدة راميريز، تماماً. أيّ لغزٍ رائعٍ أعطيناكِ! يستحقُّ حِدّةَ ذهنكِ وتصفيقاً حارّاً من قِبلِ الجمهورِ.

تصفيقٌ.

مُقدّمُ البرنامجِ أثارَ التّشويقَ:

- وما هو القانونُ الذي يحكُمُ هذا التقدّمَ؟ وما هي ميكانيكيّةُ هذهِ الولادةِ، سيّدة راميريز؟

اغتمّت ملامحُ المُتسابقةِ.

- لا أجدُ... آه، سأستخدمُ ورقتي الجوكر.

سرَتْ همساتٌ في القاعةِ تعكسُ خيبةَ أملٍ. إنّها المرّةُ الأولى التي تتعثّرُ فيها السيّدةُ راميريز.

- هل أنتِ متأكّدةٌ، سيّدة راميريز، بأنّكِ تُريدينَ حرقَ إحدى أوراقكِ الجوكر؟

- وهل بوسعي فعلُ غيرَ ذلك!

- وا أسفاه، سيّدة راميريز، بعد هذهِ الرّحلةِ الجميلةِ الخاليةِ من الأخطاء...

- هذا اللّغزُ استثنائيٌّ على نحوٍ خاصّ، ويستحقُّ التأنّي. لذا، سآخذُ الجوكر، لتُساعدني حضرتكَ.

- عظيمٌ. كنّا قد أعطيناكِ جملةً أولى: «كلّما ازداد ذكاؤنا قلّتْ

حُظوظنا في إيجادِ الحَـلّ.» الثانيةُ هي: «يَجبُ إزالـةُ العلمِ الذي نَعرفهُ.»

كسا الغمُّ ملامحَ المُتسابقةِ ثانيةً.

- وماذا يعني ذلك؟

- آه! عليكِ اكتشافُ ذلكَ سيّدة راميريز. لكي أساعدكِ سأقولُ لكِ إنّهُ يجبُ عليكِ، كما في التّحليلِ النفسيّ، القيامُ باستدارةٍ إلى الخلفِ داخلَ عقلكِ. بسّطي. استعيضي عن آلياتِ المنطقِ والتّفكيرِ المُسبّقةِ بالفراغِ.

- ليس الأمرُ هيّناً. أنت تطلب منّي إلغاءَ التّفكيرِ بالتّفكيرِ!

- آه! لهذا السّببِ برنامجنا اسمهُ «فخٌّ للـ...

- ... تفكيرِ»! أكملتِ القاعةُ بصوتٍ واحدٍ.

صفّقَ الجمهورُ تلقائيّاً.

تنهّدتِ السيّدةُ راميريز، وانعقدَ حاجباها. مدَّ لها المُقدّمُ عاملَ مُساعدةٍ.

- مع ورقتكِ الجوكر لديكِ الحقُّ أيضاً بسطرٍ إضافيّ على اللّوحِ.

أخذَ القلمَ اللبّاديَّ وكتبَ:

1

11

21

1211

111221

312211

ثمّ أضافَ:

13112221

احتلَّ الوجهُ المُستاءُ للسيّدةِ راميريز كاملَ المشهدِ. رفّت أهدابها. تمتمت كذا «واحد»، كذا «اثنين»، وكذا «ثلاثة»، كما لو أنّ الأمرَ مُتعلّقٌ بوصفةِ كعكٍ بالخوخِ. إذ ينبغي الاحترامُ الجيّدُ لمقاديرِ الـ «ثّلاثة». على الأخصِّ، ولا ينبغي بالمُقابلِ أن يبخلَ المرءُ بمقاديرِ الـ «واحد».

– ماذا، سيّدة راميريز، هل أصبحَ الحالُ أفضلَ؟

وهي في أقصى تركيزٍ، لم تُجب السيّدة راميريز، وغمغمت «ممم» ما يعني «هذهِ المرّة أعتقدُ أنّي سأجدُ الحلّ».

احترمَ المُقدّمُ استغراقَها بالتأمّلِ.

– أتمنّى منكم أنتم أيضاً أعزّائي المُشاهداتِ والمُشاهدين، أن تكونوا قد دوّنتم بعنايةٍ السّطرَ الإضافيّ. وموعدُنا غداً، إذا أحببتم!

تصفيقٌ. شريطُ إعلانِ النّهايةِ. قرعُ طبولٍ، مع نفخِ أبواقٍ مُتداخلٍ بجلبةِ الهتافاتِ.

أطفأت كارولين نوغار الجهازَ. بدا أنّها سمعت صوتاً خفيفاً. أنهت خياطتها. النّتيجةُ مُمتازةٌ لم يعد يظهرُ أيّ أثرٍ للتمزّقِ الصّغيرِ المُزعجِ. رفعت خيطَها ومِقصّها. سمِعت من جديدٍ صوتَ خشخشةِ ورقٍ مُجعّدٍ.

كانَ الصّوتُ يصدرُ من الحمّامِ. لا يمكنُ أن تكونَ فأرةً. لا يمكنُ

لها أن تُصدرَ مثل هذا الصّوتِ وهي تعدو على البلاطِ. فإذاً، أحدُ اللّصوصِ؟ زُمرةٌ منهم؟ وما الذي يفعلونهُ في الحمّام؟

تحسّباً، ذهبت وأحضَرت من دُرجِ الصِوَانِ المُسدّسَ الصّغيرَ عيار 6 مم الذي كانَ يخبّئهُ أبوها احتراساً أمامَ ظرفٍ كهذا. ولمُباغتة المُتطفّلِ أو المُتطفّلينَ باقتدارٍ أكبرَ، أعادت تشغيلَ التّلفزيون ورفعتِ الصّوتَ واتّجهت بخطَواتٍ حذرةٍ نحوَ الحمّام.

كانت فرقةُ رابٍ تفجّرُ سُخطها صارخةً.

«منازلُكم، متاجرُكم، كلّ شيءٍ، كلّ شيءٍ، سنحرقُ كلّ شيءٍ، كلّ شيءٍ، كلّ شيءٍ...».

وقفتْ كارولين نوغار بلصقِ البابِ، مُمسكةً مُسدّسَها بقوّة كلتا يديها كما سبقَ ورأتْ في المُسلسلاتِ الأمريكيّة. وبغتةً فتحتِ البابَ.

لم يكن ثمّةَ أحد، رغمَ أنّ الصّوتَ لا يزالُ موجوداً ويتردّدُ صداهُ خلفَ ستارِ الدّوشِ. سحبتهُ بحركةٍ خاطفة.

بدايةً اقتربت لتفهمَ الظّاهرةَ. ثمّ، مُرتعبةً، صرَخت، وأفرَغت دونَ فائدة جميعَ طلقاتِ مخزنِ مُسدّسِها. انسحبت إلى الوراء، لاهثةً، وبرجْلِها، أغلقتِ البابَ. من حُسنِ الحظّ، كان المفتاحُ من الجهةِ المُناسبة. أقفلت بلفّتينِ وانتظرت، وهي على حافّةِ أزمةِ هستيريا. «ذلكَ» لا يمكنهُ اجتيازُ البابِ!

ولكن «ذلكَ» لم يجتزِ البابَ فحسب، وإنّما أخذَ يُلاحقُها.

أخذت تنتَحِبُ، ركضت، وبدأَت تلتقطُ تُحفَ البيتِ الصّغيرةِ وتقذفُها وراءَها. ضرَبت برجليها ويديها. لكن ماذا بوسعِها أن تفعلَ إزاءَ عدوّ كهذا.

32. ما يستَدعِي الحَيرةَ

تغسِلُ رأسها بمشط عظمِ ساقِها.

تغدو الرّقم 103683 في تردّدٍ من أمرِها.

فهي تخشَى الأصَابِعَ و ... مكلّفةٌ من جهةٍ أخرى بقتلهم جميعاً. كانت قد بدأت تؤمنُ بالقضيّةِ المُتمرّدة و ... ويجب عليها أن تخُونَها. وصلت إلى حافّة العالَم مع عشرينَ مُستكشفةٍ و ... الآن يُقدّمُ لها ثمانونَ ألفاً، وتعتبرُ هذا الرّقمَ تافهاً.

لكنّ أكثرَ ما يشغلُ بالها، هو الحركةُ المُتمرّدةُ ذاتها. لقد تخيّلت أنّها ترتبِطُ مع مُغامراتٍ مُتعقّلات، وها هي الآن تُواجِهُ نصفَ مجنوناتٍ، يُطلقنَ دونَ توقّفٍ هذه الكلمةَ التي بلا معنَى: «آلهة».

حتّى الملكةُ أيضاً سلوكها غريبٌ فهي تتكلّمُ كثيراً بالنّسبةِ لنملةٍ. هذا غيرُ طبيعيّ. تريدُ قتلَ جميع الأصَابِع وتتجاهلُ في الوقتِ ذاته الذين يعيشُونَ تحتَ مدينتها بالذّات. تدّعي أنّ المُستقبلَ في دراسةِ الأصناف الغريبةِ وترفضُ في المُقابلِ انتهازَ الفُرصةِ والاستفادةَ من عُشّها للأصَابِعِ بإقامةِ تجاربَ على هذا الصّنفِ المُحيّرِ والأغربِ بين الأصْنافِ.

لم تخبرها شلي-بو-ني بكلّ شيءٍ. ولا المُتمرّدات. عُوملت إمّا باحتراسٍ منها أو بمُحاولة التّأثيرِ عليها. تشعرُ بأنّها ألعوبةُ الملكةِ، أو ألعوبةُ المُتمرّداتِ، وربّما تكونُ ألعوبةَ الاثنين معاً.

بغتةً، التمعت في ذهنِها بَداهةٌ: لم يحدث شيءٌ من هذا في عُشّ نملٍ من قبلُ، ولا في أيّ مكانٍ على هذه الأرض. كأنّ جميعَ من في بيل-أو-كان فقدَ صوابهُ. لدى الأفرادِ أفكارٌ فريدةٌ، ويشعرونَ بحالاتٍ

نفسيّة، بالخُلاصةِ، إنّهم أقلُّ نمليّةً من الماضي. يتحوّلونَ. المُتمرّداتُ نمالٌ مُتحوّلةٌ.

شلي-بو-ني هي متحوّلةٌ. حتّى بالنّسبةِ للرقم 103683 هي نفسها، لكثرةِ ما أصبحت تميلُ إلى التّفكيرِ ككيانٍ مُستقلٍّ، لا تشعرُ بأنّها بقيت نملةً طبيعيّةً جداً. ما الذي يحصلُ في بيل-أو-كان؟

عاجزةً عن إيجادِ إجابةٍ على هذا السّؤالِ، تريدُ في البدايةِ فهمَ ما الذي يُحفّزُ أولئكَ المُتمرّداتِ ذواتِ العباراتِ السّخيفةِ.

ما هي هذهِ «الآلهة»؟

تقصدُ الرّقم 103683 حظيرةَ جِعْلان وحيدِ القرنِ.

33. موسُوعة

تقديسُ الموتى: العنصرُ الأوّلُ المُحدّدُ لحضارةٍ مُفكّرةٍ هو «تقديسُ الموتى».

طوال ما كانت البشرُ ترمي جُثثها مع فضَلاتِها لم تكن أكثرَ من دوابّ. في اليوم الذي بدؤوا فيه يضعونَهم في الأرض أو يحرقونَهم، شيءٌ لا رجعةَ عنهُ قد حدثَ آنذاك. الاعتناءُ بأمواتِهم، هو التصوّرُ لوجودِ حياة فيما وراءَ الموت، لعالمٍ افتراضيّ مُركّبٍ على عالمٍ مرئي. مُضيُّهم في الاعتناءِ بأمواتِهم، يُجسّدُ نظرةً للحياة على اعتبارِها ممرّاً بسيطاً بين بُعدين. مُختلَفُ التصرّفاتِ الدّينيّةِ نجمت من هُناك.

أوّلُ تقديسٍ للموتى عُرِفَ في العصرِ الحجريّ المتوسّطِ، وذلكَ منذُ سبعينَ ألف سنةٍ. آنذاك، بعضُ القبائلِ البشريّةِ بدأت بطمرِ جُثثهم في حُفرِ ذاتِ أبعاد 1.40 م × 1 م × 0.30 م.

كان أعضاءُ القبيلةِ يضعونَ إلى جانبِ المُتوفّى قطعاً من اللّحم، وأدواتاً من الصوّانِ وجماجمَ الحيواناتِ التي كان قد اصطادها. يبدو أنّ هذه الجنائزَ كانت تترافقُ مع ولائمَ تجتمعُ عليها القبيلةُ بأكملِها.

عندَ النّملِ، خاصةً في إندونيسيا، لُوحِظَ عددٌ من الأصنافِ التي تواصِلُ إطعامَ ملكتِها الميّتة بضعةَ أيامٍ إضافيةٍ بعدَ موتِها. ما يزيدُ الدّهشةَ في هذا التصرُّفِ أنّ روائحَ الزيتيكِ المُنبعثةِ من الميّتةِ أشارت بما لا يقبلُ الشكّ إلى حالتِها.

إدمون ويلز،

موسوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلّد الثاني.

34. الرّجُلُ الخَفيُّ

كان المُفوّضُ جاك ميليَس جاثياً قربَ جُثّة كارولين نوغار. على الوجهِ ذي العينين المقلوبتين، والتي لا تزالُ تكشيرةُ الرّعبِ ترتسمُ عليهِ، ذاك القناعُ من المُفاجأةِ المُفزِعةِ. التفتَ نحوَ المُفتّشِ كايوزاك.

– طبعاً، ما من بصماتٍ، أليسَ كذلك إميل؟

– للأسفِ، لا. الحالةُ ذاتُها مُجدّداً: لا جُروحَ، لا سلاحَ، لا اقتحامَ عنوة، لا أدلّةَ. الضّبابيّةُ ذاتُها!

أخرجَ المُفوّضُ علكاته.

– لا بدّ أنّ البابَ كان مُقفلاً، قال ميليَس.

– بثلاثة أقفالٍ مُغلقة، واثنين مفتُوحين. يبدو أنّها حاولت لحظةَ الموتِ فتحَ أحد أقفالِ بابِها المُصفّحِ.

– يبقى علينا معرفةُ إذا ما كانت تُحاولُ فتحَ البابِ أم إغلاقه، قال

مِيلِيَس وهو في حالةِ استياء. (انحنى ليفحصَ وضعيّةَ اليدين.) تحاولُ الفتحَ! هتفَ. كان القاتلُ في الدّاخلِ وهي تحاولُ أن تهربَ... إميل، هل أنتَ أوّل من وصلَ هنا.

– كالعادةِ.

– وهل كان ثمّةَ ذبابٌ؟

– ذبابٌ؟

– بلى، ذبابٌ. ذبابُ الندى إذا كانَ يفي بالحاجةِ!

– سبقَ وشغلكَ ذلك عند آل سالتا. ما الذي يشغلكَ فيهِ إلى هذا الحدّ؟

– مهمٌّ جدّاً، الذّبابُ! إنّهنّ مُخبِراتٌ ممتازات بالنّسبةِ لمُفتشِ. أحدُ أساتذتي كان يدّعي حلّ كافّةِ قضاياهُ بالاستنادِ إلى فحصِ الذّبابِ فقط.

أصدرَ المُفتّشُ حركةَ تشكيكٍ. شيءٌ إضافيٌّ من الأشياءِ عديمةِ النّفعِ التي تُدرَّسُ في المدارسِ الحديثةِ للشرطةِ!

كايوزاك لا يثقُ إلّا بالأساليبِ القديمةِ الجيّدة ورغمَ ذلك انبرى يُجيب.

– أجل، تذكّرتُ ملاحظتكَ عند آل سالتا فتنبّهتُ. النّوافذُ بقيت مغلقةً، في هذه المرّةِ، وإذا كانَ ثمّةَ ذبابٌ فهو لا يزالُ في المكانِ. ولكن لماذا هوسُكَ بهذا الأمرِ؟

– الذّبابُ، أمرٌ رئيسيّ. إذا كانَ لهُ وجودٌ، فهذا يشيرُ إلى وجودِ ممرّ في مكانٍ ما. وإذا لم يكن لهُ وجودٌ، فيعني ذلكَ أنّ الشقّة مغلقةً بإحكامٍ.

من كثرةِ ما نظرَ في الأرجاءِ، التقطَ المُفوّضُ في النّهايةِ ذُبابةً في زاويةِ السّقفِ الأبيضِ.

– انظر إلى ذلك إميل! هل تراها، هناكَ في الأعلى؟

كما لو أنّها مُحرَجةٌ بأن تكونَ عُرضَةً لمراقبةِ الآخرين، طارت الذّبابةُ.

– تشيرُ لنا نحوَ ممرّها الجويّ! لاحظَ، إميل. الفجوةُ الصّغيرةُ فوقَ النّافذةِ، لا بدّ أنّها دخلت من هناك.

حامت الذّبابةُ قليلاً ثمّ حطّت على مقعدٍ.

– وفقاً لذلك، أستطيعُ أن أخبركَ بأنّها ذبابةٌ خضراءُ. فإذاً، هي ذبابةٌ من المجموعةِ الثّانيةِ.

ما هذا الكلامُ غيرُ المفهومِ الذي يتفوّهُ به؟ فَسّر ميليَس:

– أوّلُ ما يموتُ الإنسان، يهجمُ الذّبابُ. ولكن ليسَ أيّ ذباب، وليسَ في أيّ وقتٍ. تَتابعُ حركات الرّقصةِ هو ذاتهُ لا يتغيّر. يصلُ الذّبابُ الأزرقُ عموماً في البدايةِ *(calyphora)*، ذبابُ المجموعة الأولى. تصلُ في الدّقائقِ الخمسِ التي تتبعُ مُفارقةَ الحياةِ. إذ أنّها تفضّلُ الدّمَ الدّافئ. وإذا بدا لها المكانُ ملائماً، تبيضُ بيوضَها تحتَ الجلد ثمّ تغادرُ عندما تقوى رائحةُ الجثّة. تحلُّ مكانها مباشرةً المجموعةُ الثّانيةُ، مجموعةَ الذّبابِ الأخضرِ *(muscina)*. تفضّلُ هذه المجموعةُ اللّحم الذي نالهُ بعضُ التعفّنِ. تتذوّقهُ، ثمّ تبيضُ، تاركةً مكانها للذبابِ الرّماديّ *(sarcophaga)*، أولئك أعضاءُ المجموعة الثّالثة، الذين يبحثونَ عن اللّحم الأكثر تخمّراً. وفي النهايةِ يصلُ ذبابُ جبن الكامَمْبَر *(piophila)* وذبابُ الشّحم *(ophira)*. خمسُ فرقٍ من الذّبابِ تتعاقبُ على جُثثنا. وكلُّ فرقةٍ تكتفي بحصّتها وتتركُ حصصَ الآخرين سليمةً.

- نحنُ لا نساوي إلّا القليلَ، تنهّدَ المُفتّشُ مشمئزاً قليلاً.

- هذا يتوقّفُ بالنّسبةِ لمن، فجثّةٌ واحدةٌ بإمكانِها إشباعُ المئاتِ من الذّبابِ.

- حسناً جدّاً. لكن ما علاقةُ ذلك بتحقيقنا؟

أخذَ جاك مِيلِيَس عدستَهُ المُكبّرةَ المضيئةَ وتفحّصَ أذني كارولين نوغار.

- يوجدُ دمٌ وبيوضُ ذُبابٍ أخضرَ داخلَ صيوانِ الأذنِ. هذا مثيرٌ للاهتمامِ جداً. عادةً، ينبغي أن نجدَ أيضاً يرقاتِ ذبابٍ أزرقَ. إذاً، المجموعةُ الأولى لم تمرّ. هذه معلومةٌ مهمّة بحدّ ذاتها!

بدأ المُفتّشُ يدركُ قيمةَ المعلوماتِ النّاجمةِ عن مُلاحظةِ الذّبابِ.

- ولماذا لم يأتوا؟

- لأنّ شيئاً، أحداً ما، القاتلُ ربّما تأخّرَ خمسَ دقائقَ بجانبِ الجُثّةِ بعد موتها. الذّبابُ الأزرقُ لم يجرؤ على الاقترابِ. فيما بعد، بدأ الجسدُ بالتعفُّنِ فلم يعد يعنيه. حينئذ أتى الخُضرُ مسرعين و لم يجدوا ما يزعجهم. فإذاً، بقيَ القاتلُ خمسَ دقائقَ، ليس أكثر، ثمّ غادرَ.

كلُّ هذا القدرِ من المنطقِ أدهشَ إميل كايوزاك. أمّا مِيلِيَس، فلم يبدُ عليهِ الرّضا كثيراً. تساءَل عن السّببِ الذي منعَ الذّبابَ الأزرقَ من الاقترابِ.

- وكأننا أمام الرّجُلِ الخَفيّ...

قطعَ مِيلِيَس كلامهُ. كما لو أنّهُ سمعَ صوتاً في الحمّام. اندفعا نحوهُ. وسحبا سِتارةَ الدّوشِ. لا شيء.

- أجل، كأنّه حقّاً الرّجُلُ الخفيّ، لديّ شعورٌ أنّهُ في الغرفةِ.

ارتعشَ.

أخذ ميليَس يمضغُ علكتهُ شارداً.

- بكلّ الأحوالِ، هو قادرٌ على الدّخولِ والخروجِ دونَ أن يفتحَ الأبوابَ أو النّوافذَ. هو ليسَ خفيٌّ فحسب، رجُلكَ هذا، وإنّما عابرٌ للجدرانِ! (استدارَ نحوَ الضحيّةِ المُزجّجة، ذات الوجهِ الذي لايزالُ مشلولاً من الرّعبِ.) ... ومُفْزِعٍ. ماذا كانت مهنةُ كارولين نوغار هذه؟ ألديكَ معلوماتٌ في ملفّها؟

راجعَ كايوزاك بعضَ الأوراقِ في الملفّ المُعدّ باسمِ الرّاحلةِ.

- لا حبيبَ. لا مشاكلَ. ليس لديها أعداءٌ يكرهونها لدرجةِ قتلها. كانت تعملُ كيميائيّةً.

- هي أيضاً؟ تفاجأ ميليَس. أين؟

- CCG.

تبادلَ الرّجلانِ النّظرَ مُندهشين. CCG: الشّركةُ العامةُ للكيمياءِ، الشّركةُ التي كانَ يعملُ بها سيباستيان سالتا!

أخيراً لدينا قاسمٌ مشتركٌ وهو لا يمكنُ أن يكونَ وليدَ المُصادفةِ. أخيراً ثمّةَ طرفُ خيطٍ.

35. الإلهُ هو رائحةٌ خاصّةٌ

تُفضي إلى هناك.

ميّزتِ الجُنديّةُ الرّوائحَ التي تسمحُ لها بأن تعثرَ مُجدّداً على قاعةِ المُتمرّداتِ السرّيةِ.

يلزمني تفسيرٌ.

مجموعةٌ من المُتمرّداتِ يتحلّقنَ حولَ الرّقم 103683. يمكنهنّ قتلها بسهولةٍ ولكن لا يهاجمنها.

ماذا يعني «آلهة»؟

لمرّةٍ إضافيّة، تلعبُ العرجاءُ دورَ النّاطقةِ باسم الأخرياتِ.

تعترفُ بأنّهنَّ لم يخبرنَ الجُنديّةَ بكلّ شيءٍ ولكن بمجرّد أن أعلنوا لها عن وجودِ الحركةِ المُتمرّدةِ المواليةِ **للأصابعِ** فهذا يعني مُقدّماً قدراً كبيراً من الثّقة. غيرَ أنّ منظمةً سرّيّةً، مُطارَدةً من جميع حارساتِ القطيعِ، غيرُ معتادةٍ بأن تمنحَ ثقتها كاملةً لكائنٍ منْ يكون!

تحاولُ العرجاءُ فردَ قرنيها بطريقةٍ توحي بالصّدقِ.

تشرحُ بأنّ ثمّةَ ما يحدثُ في الوقتِ الرّاهنِ في بيل-أو-كان على غايةِ الأهميّة بالنّسبة للمدينة، بالنّسبة لجميع المُدن، حتّى لأجلِ الجنسِ برُمّته. النّجاحُ أو الفشلُ للحركةِ المُتمرّدةِ يمكنُ أن يسبّبَ خسارةَ أو ربحَ ألفياتٍ من تطوّرِ النّملِ في العالم. في ظروف كهذه، حياةُ فردٍ لا تُحسب. تضحيةُ كلّ فردٍ هي ضروريّةٌ، أيضاً احترامُ السرّ المُطلقِ. في هذا الجزء تعترفُ العرجاءُ بأنّ الرّقم 103683 تشكّلُ حجرَ الزّاوية. وبأنّها نادمةٌ على عدمِ إخبارها بكلّ شيءٍ. ولسوفَ تتداركُ هذا السّهوَ.

تلتقي النّملتان وسطَ الغرفة، على نحوٍ رسميّ، لكي تُباشرا حفلَ (أ.م) الاتّصالِ المُطلقِ. بفضلِ (أ.م)، ترى النّملةُ وتشعرُ وتفهمُ مباشرةً كلّ ما يحتويهِ فكرُ مُحدّثتها. السّردُ ليسَ مُرسَلاً ومُستَقبَلاً فحسب: بل هو مُعَاشٌ بصورةٍ مُشتركةٍ من قبلِ النّملتين.

تُلصِقُ الرّقم 103683 والعرجاءُ أجزاءَ قرنيهما على بعضِهما بعضاً.

كما لو أنّ أحدَ عشرَ فماً وإحدى عشرة أذناً يدخلونَ بتماسٍ فوريّ. ما عادتا سوى حشرةٍ واحدةٍ برأسين.

تسكُبُ العرجاءُ حكايتَها.

في العامِ الماضي، آنَ حدوثِ الحريقِ الكبيرِ الذي دمّرَ بيل-أو-كان والذي قُتلَت الملكةُ بيلو-كيو-كيوني على إثره، خسرت النّمالُ ذواتُ رائحةِ الصّخرِ سببَ حياتهنّ. اضطررن على مُواجهةِ الغاراتِ الكبيرةِ التي أطلقتها شلي-بو-ني، الملكةُ الجديدةُ. عندئذ كانت النّمالُ ذواتُ رائحةِ الصّخرِ قد أصبحنَ مُتمرّداتٍ وتوارين عن الأنظارِ في هذا الجحرِ. ثمّ أعدنَ فتحَ الممرّ داخلَ أرضيّةِ الغرانيت، وأطعمنَ **الأصَابعَ** عبرَ سرقةِ مقاديرَ صغيرةٍ من الطّعامِ، والأهمُّ من ذلكَ، استأنفنَ محادثةَ مُمثّلهم الدكتور ليفينغستون.

جرى كلُّ شيءٍ في البدايةِ على خيرِ ما يُرام. وكان الدكتور ليفينغستون يبثُّ رسائلَ بسيطةً: «نحنُ جائعون»، «لماذا ترفضُ الملكةُ التحدّثَ معنا؟»، كانتِ **الأصَابِعُ** على علم بنشاطِ المُتمرّدات وكانت تُقدّمُ لهنّ النّصحَ في عملياتِ الكوماندوس التي تستَهدفُ سرقةَ الطّعامِ ليكنّ أقلّ إلفاتاً للنظرِ. تحتاجُ **الأصابعُ** إلى كميّاتٍ مُفرطةٍ من الطّعامِ وليسَ من اليُسرِ تأمينها لهم على الدّوامِ دونَ أن يلحظَ ذلكَ أحدٌ!

هذا كلُّهُ بقي ضمنَ الإطارِ الطبيعيّ، إلى أن بثّ **الأصَابِعُ في** أحدِ الأيّام رسالةً مُصاغةً على نحوٍ مختلفٍ تماماً. هذا الخطابُ ذو الرّائحةِ الغريبةِ كان يؤكّدُ بأنّ النّمالَ لَمْ تُقدّرِ **الأصَابِعَ** حقّ قدْرِها، وأنّ **الأصابعَ** صمتوا عن ذلكَ إلى الآن لكنّ **الأصَابِع في** الحقيقةِ هم آلهةُ النّملِ.

«آلهة»؟ ماذا تعني هذه الكلمةُ؟ بادرنا إلى السّؤالِ.

فسّرت لنا **الأصَابِعُ** من هم الآلهةُ. بحسبِهم، إنّها الحيواناتُ التي بنتِ العالَمَ. ونحنُ جميعنا داخلَ «لعبتهم».

تدخّلت نملةٌ ثالثة مشوشةٌ على (ا.م). وأعلنت بحماسٍ:

الآلهةُ أبدعت كلّ شيءٍ، إنّها كلّيةُ القدرةِ، إنّها كلّيةُ الوجود. هذا الواقعُ الذي يُحيطُ بنا لا يعدو أكثرَ من مسرحيّةٍ تخيّلتها الآلهةُ لكي تختبرنا على نحوٍ أفضلَ.

عندما تمطرُ فهذا يعني أنّ الآلهةَ تسكبُ الماء.

عندما يكونُ الجوّ حارّاً فهذا يعني أنّ الآلهة زادت من احتراقِ الشّمس.

حين يبردُ الطّقسُ يعني أنّها خفّضتِ الاحتراقَ.

الأصابعُ آلهةٌ.

تُترجمُ العرجاءُ الرّسالةَ الغريبةَ. لا شيء يمكنُ لهُ أن يوجدَ في هذا العالَمِ دونَ الآلهةِ **الأصَابِعِ**. النّمالُ هي مخلوقاتها. والتي لا عملَ لها سِوى المُكابدةِ ضمنَ عالَمٍ مُصطَنعٍ، مُتخيّلٍ من قِبلِ **الأصَابِعِ** لمجرّدِ التّسليةِ.

هذا ما قالهُ الدكتور ليفينغستون ذلكَ اليوم.

الرّقم 103683 في حَيرةٍ من أمرها. لماذا، والحالُ هكذا، تموتُ **الأصَابِعُ** من الجوعِ تحتَ قاعِ المدينة؟ لماذا هم أسرى تحتَ الأرضِ؟ لماذا يسمَحونَ لنملةٍ بإطلاقِ حملةٍ ضدّهم؟

تعترفُ العرجاءُ بأنّ تأكيداتِ الدكتور ليفينغستون تحوي بعضَ

الثّغراتِ. لكنّ ميزتها الأساسيّةَ بالمقابلِ، بأنّها تُفسّرُ سببَ وجودِ النّمالِ، وسببَ أنّ العالَمَ على ما هو عليهِ.

من أين نحنُ أتينا، من نحنُ، إلى أين نمضي؟ مفهومُ «الآلهة» يجيبُ على هذه الأسئلةِ.

مهما يكن، البذرةُ قد زُرِعَت. هذا الخِطابُ «الرّبوبيُّ» الأوّل أدهشَ حفنةً من المُتمرّداتِ، وشوّشَ الكثيرَ من الأُخرياتِ. فيما بعد أتت تصريحاتٌ طبيعيّة فقط لم تعد تتكلّمُ عن «الآلهة».

لم يعد أحدٌ إلى التّفكيرِ بذلكَ إلى أن، بعد مدّةٍ وجيزةٍ، دوّت الكلمةُ الرّائعةُ «الرّبوبيّة» في قرنيّ الدكتور ليفينغستون. كانت تتحدّثُ مُجدّداً عن عالَمٍ تُسيطرُ عليهِ **الأصَابِعُ**، كانت تؤكّدُ أن لا وجودَ للصُدفةِ، وأنّ كلَّ شيءٍ يحدثُ هنا، في الأسفلِ كان مُدوّناً ومُسجّلاً. وسيكونونَ جرحى أولئكَ الذين لن يحترموا «الآلهة» أو يطعمُوها.

قَرنا الرّقم 103683 شَعثَا دهشةً جرّاءَ هذا الكلامِ. لم تصل مُخيلتُها يوماً، رغم أنّها مُطلقةُ العنانِ ضمنَ الشّرطِ النّملي، إلى تخيُّلِ فكرةٍ مُذهلة إلى هذا الحدّ بأنّ حيوانات عملاقة، مُتحكّمة في العالَم، وتحرسُ جميعَ سُكّانهِ واحداً واحداً. ولكنّها تفكّر بأنّ **الأصَابِعَ** لديها بالفعلِ وقتٌ للهدرِ.

ومع ذلك تتابعُ بقيّةَ قصّةِ العرجاء.

سُرعانَ ما فهمت المُتمرّداتُ بأنّ لدى الدكتور ليفينغستون خطابانِ فكريّان على درجة كبيرةٍ من الاختلافِ. فحينَ كان يتحدّثُ عن الآلهةِ، كنّا ننبّهُ النّمالَ الرُّبُوبيّات فيما تنسحبُ الأخرياتُ. وحينَ كان يثيرُ الموضُوعاتِ «الطّبيعيّة»، كانتِ الرُّبُوبيّاتُ يُغادرنَ. أخذَ

الشّقاقُ يظهرُ رُويداً رُويداً داخلَ المجموعةِ المُتمرّدةِ الموالية **للأصَابعِ**. كان ثمّةَ ربوبيّون، وغير ربوبيّين، لكنّ الخلافَ لم ينشب بينهما. حتّى لو اعتبرت الثّانيةُ بأنّ الأولى قد طوّرت تصرّفاً غيرَ معقولٍ كلياً ومُجافياً للثقافةِ النّمليّة.

تَفصُلُ الرّقم 103683 نفسها. تُنظّفُ قرنيها وتسألُ الحاضرينَ:

من هنّ الرُّبُوبيّاتُ بينكنّ؟

تتقدّمُ نملةٌ.

اسمي الرّقم 23 وأؤمنُ بوجودِ آلهةٍ مطلقةِ السّلطةِ.

تُسرُّ لها العرجاءُ على حدةٍ بأنّ الرُّبُوبيّات هكذا يكرّرنَ على هذا المنوالِ أنواعاً شتّى من الجُمَلِ المُعدّة مُسبّقاً، رغم أنّهنّ في معظمِ الأحيانِ، يجهلن معناها. ولا يبدو أنّ ذلكَ يحرجُهُنّ، بل على العكسِ كلّما زادتِ الكلماتُ إبهاماً، شُغفنَ أكثرَ بتردادِها.

بما يخصُّها، تعجزُ الرّقم 103683 عن فهمِ أن يكونَ للدكتور ليفينغستون هذا شخصيّتانِ مُختلفتانِ تماماً في الوقتِ عينِه.

ربّما ذلكَ هو، لغزُ **الأصَابعِ** الكبير، أجابت العرجاءُ. ازدواجيتهم. فلديهم، البسيطُ يُجاورُ المُعقّدَ، الفيرومُوناتُ اليوميّةُ مع الرّسائلِ المُجرّدة.

تضيفُ، في الوقتِ الحالي، لاتزالُ الرُّبُوبيّاتُ أقليّةً لكنّ حزبهم لا يتوقّفُ عن الاتّساعِ.

تركضُ نملةٌ فتيّة ملوّحةً بشرنقةِ الفراشةِ التي دفنتها الجُنديّةُ عندَ مدخلِ الحظيرةِ.

إنها لكِ، أليسَ كذلك؟

توافقها الرّقم 103683 وهي تمدُّ قرنيها نحو الواصلةِ حديثاً وتسألُها:

وأنتِ؟ أنت ماذا؟ ربوبيّةٌ أم غيرُ ربوبيّة؟

تُخفضُ النّملةُ الفتيّةُ رأسها بخجلٍ، إنّها تعلمُ من يتكلّمُ معها: جُنديّةٌ مشهورةٌ وخبيرة. وهي تزنُ خطورةَ ما ستقولُهُ. ومع ذلك تتدفّقُ الكلماتُ فجأةً من أعماقِ أدمغتها الثلاثة:

اسمي 24 وأؤمنُ بوجودِ آلهة مطلقةِ السّلطةِ.

36. موسُوعة

تفكير: بإمكانِ التفكيرِ البشريّ فعلُ كلّ شيء.

في الخمسينيّات، سفينةُ شحنٍ إنكليزيّة قادمةٌ من البُرتغالِ، حاملةً زجاجات من نبيذِ مادير، تُفرغُ للتّو حمولتَها في ميناءِ إسكتلنديّ. وبينما يدخلُ بحّارٌ إلى الغرفةِ الباردةِ ليتحقّقَ من أنّ الحمولةَ سُلّمت على خيرِ ما يُرام، يبادرُ بحّارٌ آخر بإغلاقِ البابِ من الخارجِ جاهلاً وجودهُ. فيندفعُ المسجونُ يضربُ بأقصى قوّته على الجُدرانِ الفاصلةِ، ولكن ما من أحدٍ يسمعهُ وتعودُ السّفينةُ أدراجها مُبحرةً صوبَ البُرتغالِ.

يجدُ الرجلُ ما يكفي من الطّعامِ لكنّهُ يعلمُ بأنّهُ لن يستطيعَ البقاءَ حيّاً لوقت طويلٍ في ذلكَ المكانِ المبرّدَ. ومع ذلك يجدُ لديه الطّاقةَ بأن يلتقطَ قطعةً معدنيّةً ويحفرَ على الجُدرانِ، ساعةً بعد ساعة، يوماً بعد يوم، حكايةَ عذاباته. يروي بدقّةٍ علميّةٍ احتضارهُ. وكيفَ أنّ البردَ يُسري الخدرَ في أوصالهِ، مُجمّداً أنفهُ،

أصابعَ يديه ورجليه القابلة للكسرِ مثل الزّجاجِ. يصفُ لسعةَ الهواء كيف تَستَحيلُ حُرقاً لا يُحتمل. وكيفَ أنّ كاملَ جسده يتجمّدُ، رويداً رويداً، آخذاً بالتحوّلِ إلى لوحِ جليدٍ.

حين ألقتِ السّفينةُ مرساتها في لشبونة، عثرَ القُبطان الذي فتحَ الحاويةَ على البحّارِ ميّتاً. فيقرأُ، على الجُدرانِ، المذكّراتِ الدّقيقةِ لعذاباته المُرعبةِ.

مع أنّ الشيءَ الأكثر إدهاشاً ليسَ في هذا. يُسجّلُ القبطانُ درجةَ حرارةِ الحاويةِ. المحرارُ يشيرُ إلى 19°. بما أنّ المكانَ لم يعد يحوي بضائعَ، لم يتمّ تفعيلُ جهازِ التبريدِ خلال رحلةِ الرّجوعِ. كان الرجل ميّتاً لأنّه فقط أعتقدَ بأنّه بردان. كان ضحيّةَ مُخيّلته الخاصّةِ فحسب.

إدمون ويلز،

موسوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلّد الثاني.

37. مهمّةُ عُطاردَ

أودُّ رؤيةَ الدّكتور ليفينغستون.

لا يمكنُ أن تتحقّقَ رغبةُ الرّقم 103683. تأخذُ زمرةُ المُتمرّداتِ بتفحّصها بإلحاحٍ عبر قرونهنّ.

نحنُ بحاجةٍ لكِ لشأنٍ آخر.

تشرحُ العرجاءُ. أنّهُ في ليلةِ الأمسِ، وبينما كانت الجُنديّةُ عندَ الملكة، نزلت مجموعةٌ من المُتمرّداتِ عبر الممرّ تحتَ أرضيّةِ الغرانيت. قابلنَ الدكتور ليفينغستون وأبلغنهُ بشأنِ الحَملةِ ضدّ **الأصابعِ.**

أكان الدكتور ليفينغستون صاحبَ الكلمةِ الربوبّيةِ أم صاحبَ الكلمةِ غير الربوبّيةِ؟ استفسرَتِ الرّقم **103683**.

لا. كان غير الرّبوبيّ، المُتعقّلُ والواقعيُّ، تكلّم عن أشياءَ بسيطةٍ ومباشرةٍ يمكنُ استيعابُها من قبلِ جميع القرونِ. على أيّةِ حال الدكتور ليفينغستون والأصَابِعُ التي تعبّرُ عن نفسِها من خلالهِ لم يشعروا بالذّعرِ لدى معرفتهم بالمهمّةِ التي ستمضي إلى نهايةِ العالمِ لإبادتهم. بل على العكسِ، استقبلوا ذلك كخبرٍ جيّد جداً، وقالوا حتّى إنّها فرصةٌ فريدةٌ ينبغي ألّا تفوّت.

فكّرتِ الأصَابِعُ مطوّلاً، ثمّ أوصلَ الدكتور ليفينغستون تعليماتهم، والتي هي أوامرٌ للقيامِ بمهمّةٍ لأجلهم، والتي أسموها «مهمّة عُطارِد». وستكونُ مرتبطةً بشكلٍ مُباشرٍ بالحملةِ إلى الشّرقِ، لدرجةِ الامتزاج بها.

وبما أنّكِ أنتِ التي ستوجّهينَ قوات بيل-أو-كان، ستكونينَ أيضاً الأقدرَ على إنجاحِ مهمّةِ عُطارِدَ هذهِ.

تتعرّفُ الرّقم **103683** على تكليفها الجديد.

انتبهي! وقدّري جيداً أهميّةَ ما ينبغي عليكِ النّجاحُ به. مهمّةُ عُطارِدَ يُمكنها تغييرُ وجهِ العالمِ.

38. في الأسْفلِ

- أتظنّين بأنّ مهمّةَ عُطارِدَ ستنجحُ؟

كانت أوغستا ويلز قد أنهت للتوّ عرضَ خطّتها على النّملِ. مسحت المرأةُ العجوزُ جبينها بيدٍ شوّهها الروماتيزم وتنهّدت:

- يا إلهي، لعلّها تنجحُ هذه النّملةُ الصّغيرةُ الصّهباءُ!

كان الجميعُ صامتاً، ينظرُ إلى المرأةِ العجوزِ بتقديرٍ. منهم من يبتسم. إنّهم مُرغمونَ على الثّقةِ بأولئك النّمالِ المُتمرّدة. ما من خيارٍ آخر لديهم. لم يكونوا يعرفونَ اسم النّملةِ المُكلّفةِ بمهمّة عُطارِد، غير أنّ الجميعَ صلّى كيلا تُقتل.

أغمضَت أوغستا ويلز عينيها. لقد مرَّ عامٌ على وجودِهم هناكَ في الأسفلِ، على عمقِ بضعةِ أمتارٍ تحتَ الأرضِ. ورغم أنّ عمرها مئةُ عامٍ، إلّا أنّها تتذكّرُ كلَّ شيءٍ.

كانتِ البدايةُ مع ابنها إدمون، الذي أتى، بعد مماتِ زوجتِه، ليسكنَ في 3 شارع السيباريت، على مقربةٍ من غابةِ فونتينبلو. وبعدَ بضعِ سنواتٍ، فارقَ الحياةَ هو أيضاً، وكان قد تركَ رسالةً إلى وريثِه ابن أختِه جُوناثان. رسالةً غريبةً تشتملُ على جُملةٍ واحدةٍ يوصي بها: «لا أحدَ البتّةَ ينزلُ إلى ذاكَ القبو».

مع ابتعادِ الزّمنِ قليلاً، باتت أوغستا ويلز أقربَ إلى الاعتقادِ بأنّ هذا التّحذيرَ كان هو التّحريضُ الأكثرُ فعّاليّةً. فبعدَ كلّ حسابٍ، روّجَ بارمانتييه[24] لحبّاتِه من البطاطا التي لم يكن أحدٌ يُريدها، عن طريقِ زرعِها في حقلٍ مُغلقٍ، وتحويطها بيافطات: «يُمنعُ الدّخولُ منعاً باتّاً». منذُ اللّيلةِ الأولى بدأ اللّصوصُ بسرقةِ الدّرنات الثّمينة، وبعد قرنٍ أصبحت شرائحُ البطاطا المقليّة عنصراً أساسيّاً في الغذاءِ العالميّ.

24- أنطوان أوغست بارمانتييه (Antoine Augustin Parmentier، 1737-1813): صيدليّ فرنسي مهّد الطريق للكيمياء الغذائيّة وعرف على نحو أخصّ بترويج البطاطا للاستهلاك البشريّ.

لذا نزلَ جُوناثان ويلز إلى القبو المحظورِ، ولم يُعاود الصعودَ مُجدّداً. غامرت زوجتهُ لوسي بالبحثِ عنهُ. ومن ثمّ ابنهُ نِيكُولا. ثمّ رجالُ إطفاءٍ تحتَ إمرةِ المفتّشِ جيرار غالاان. ثمّ رجالُ شرطةٍ يقودُهم المُفوّض آلان بيلشيم. وأخيراً هي ذاتها، أوغستا ويلز، بصحبةِ جازون براجيل والدّكتور دانيال روزنفيلد.

بالمُجملِ، ثمانيةَ عشرَ شخصاً كانوا قد وَلجوا الـدّرجَ الحلزونيَّ اللامتناهي. الجميع، واجهوا الجُرذان، وحلّوا لغزَ أعوادِ الثقابِ الستّة التي تشكّلُ أربعةَ مثلّثاتٍ. اجتازوا سلّةَ المِصيدةِ التي تضغطُ الجسدَ كما لحظةُ ولادةٍ. وعادوا صعدوا مُجدّداً، وسقطوا في الشّركِ. وتجاوزوا مخاوفهم الطّفوليّةَ وفِخاخَ لا وعيهم، والإنهاكَ، ورؤيةَ الموتِ.

في نهايةِ رحلتهم الطّويلةِ اكتشفوا المعبدَ تحتَ الأرضيّ، الذي شُيّدَ في عصرِ النّهضةِ تحتَ بلاطةٍ واسعةٍ من الغرانيت، حيثُ يرتفعُ فوقها عشّ نملٍ. أطلعهم جُوناثان على المَخبرِ السرّيّ لإدمون ويلز. ووضعَ تحتَ أبصارهم براهينَ عبقريّةِ خاله العجوز، وعلى نحوٍ خاصّ آلتهُ المُعمّدةُ باسم «حجر رشيد» التي تسمحُ بفهمِ اللّغةِ الشّميّةِ عند النّملِ، ومُحاورتهم. كان يخرجُ من الآلةِ أنبوبٌ متّصلٌ بمسبارٍ، نملةٍ بلاستيكيّةٍ على نحوٍ أدقّ، تُستخدمُ ميكروفوناً ومكبّرَ صوتٍ في آنٍ معاً. تلكَ الآلةُ هي سفيرهم لدى شعبِ النّملةِ، الدّكتور ليفينغستون.

بواسطتها تحادثَ إدمون ويلز مع الملكةِ بيلو-كيو-كيوني. لم يتسنَّ لهما الوقتُ لتبادلِ الكثيرِ من الجُملِ، غير أنّ ما تبادلاهُ كان كافياً مع ذلك ليقدّرا إلى أيّ حدّ لا تزالُ الحضارتان الكبيرتان المتوازيتان غيرَ مُهيّأتينِ بعدُ للّقاءِ.

استلمَ جُوناثان الشّعلةَ عن خاله، واجتذبَ المجموعةَ إلى شغفه. كان يُسعدهُ تردادُ أنّهم أشبهُ بروّاد فضاءٍ داخلَ كبسولةٍ فضائيّة، ومضطرونَ للتواصلِ مع سكّانٍ من خارجِ الأرضِ. كان يؤكّدُ: «نحنُ نعملُ على الخبرة الأكثر إدهاشاً لأبناءِ جيلنا. إذا لم ننجح بالتّحاورِ مع النّملِ، فلن ننجحَ أيضاً مع نماذجَ أخرى من الذّكاءِ، سواءٌ أكانت أرضيّةً أم غيرَ أرضيّة.»

إنّهُ مُحقّ على الأرجحِ. ولكن ما جدوى أن يكونَ المرءُ محقّاً قبلَ الأوانِ بكثيرٍ؟ جماعتهم الطّوباويّةُ لم تبقَ مثاليّةً لوقتٍ طويلٍ. كانوا قد تصدّوا للمشاكلِ الأكثر حساسيّة، وتعثّروا أمام المشاكلِ الأكثر تفاهةً.

صرخَ أحدُ رجالِ الإطفاءِ يوماً في وجهِ جُوناثان:

- ربّما نحنُ مثل الفضائيّينَ في كبسولتهم ولكن هم، كانوا سيتدبّرونَ أمرهم بأخذِ عددٍ متساوٍ من الرّجالِ والنّساء. بينما نحنُ هنا خمسةَ عشرَ رجلاً في زهوةِ أعمارِهم ولا توجدُ سِوى امرأةٌ واحدةٌ. دعنا لا نأتي على ذكرِ العجوزِ وذاكَ الصّغير!

اندفعت إجابةُ جُوناثان ويلز مُباغتةً:

- عندَ النّملِ أيضاً، لا يوجدُ سِوى أنثى واحدة لخمسةَ عشرَ ذكراً!

فضّلوا آنذاك أخذَ الأمرِ على محملِ الدّعابة.

لم يكونوا يعلمونَ جيّداً ما الذي يحدثُ هناكَ في الأعلى داخل عشّ النّملِ، سِوى أنّ الملكة بيلو-كيو-كيوني ماتت ووريثتها لا تطيقُ حتّى سماعَ ذكرِهم. وقد وصلَ بها الأمرُ إلى حدّ منعِ المعيشةِ عنهم.

إنّهم محرومونَ من الحِوارِ والطّعام، وسُرعان ما أصبحت تجربتهم جحيماً. ثمانية عشرَ شخصاً مجوّعونَ ومحشورونَ داخلَ نفقٍ: ليسَ من السّهلِ السّيطرةُ على الوضعِ.

المُفوّضُ آلان بيلشيم هو أوّلُ من وجدَ، ذات صباحٍ، «صندوق القرابين» فارغاً. فانكفؤوا آنذاك على مؤونتهم، الفِطرُ بشكلٍ رئيسيّ والذي تعلّموا زراعتهُ هناك تحتَ الأرضِ. في الحدّ الأدنى، لم يكن ينقصهم الماءُ الباردُ بفضلِ النّبعِ تحتَ الأرضي، ولا الهواءُ بفضلِ مداخنِ التّهويةِ.

لكن العيشَ على الفطرِ، والماءِ، والهواءِ، يا لهُ من صومٍ!

انفجرَ أحدُ الشّرطيّينَ في النّهايةِ. من أجلِ اللّحم، كانَ يريدُ لحماً أحمرَ. واقترحَ إجراءَ قُرعةٍ على أسماءِ الذين سيقَدَّمونَ للآخرين كلحمٍ طازجٍ. وكان بمُنتهى الجدّيةِ!

تتذكّرُ أوغستا ويلز ذلكَ المشهدَ القاسي كما لو أنّهُ حصلَ البارحة.

– أريدُ أن آكلَ! ضجّ الشّرطيُّ.

– ولكن لم يبقَ شيء.

– بلى! نحنُ! نحنُ صالحون لأن نكونَ طعاماً لبعضنا. ينبغي لعددٍ من الأشخاصِ المُختارينَ بالصُّدفةِ التّضحيةُ بأنفسِهم لكي يبقَى الآخرونَ على قيدِ الحياةِ.

عندئذ، نهضَ جُوناثان ويلز.

– نحنُ لسنا بهائمَ. الحيواناتُ فقط تأكلُ بعضَها. نحنُ بشرٌ، بشرٌ!

– لا أحدَ سيجبركَ على التحوّلِ إلى آكلِ لحوم جُوناثان. سنحترمُ آراءكَ وبوسعكَ إذا ما رفضتَ أن تأكلَ البشرَ أن تكونَ وجبةً لهم.

بعد ما قيلَ، قامَ الشّرطيُّ بحركةٍ مُتواطئاً مع أحدِ زُملائهِ. طوّقا

جُوناثان سويّةً وحاولا قتلهُ. لغزارةِ اللّكماتِ التي وجّهها تمكّنَ من فكّ طوْقه. خاضَ نِيكُولا ويلز في النّزالِ.

أخذَ العِراكُ يتضخّمُ. انتظمَ كلّ من المُعارضينَ والمُؤيدينَ لأكلِ اللّحمِ البشريّ في حزبه. وسُرعانَ ما غرقَ الجميعُ في القتالِ، سُرعانَ ما سالَ الدّمُ. بعضُ الضّرباتِ صدرَتْ بقصدِ القتلِ. كان أنصارُ أكل اللّحمِ البشريّ قد أخذوا زُجاجاتٍ مكسورةً وسكاكينَ وقطعَ خشبٍ ليصلوا إلى غايتهم على نحوٍ أفضلَ. حتّى أوغستا، ولوسي، ونِيكُولا الصّغير فقدوا صوابهم، وأخذوا يخمشونَ ويركلونَ ويضربونَ بأيديهم. حدثَ في وقتٍ من هذا الشّجارِ أن عضّتِ الجدّةُ الزّندَ المُوجّهَ إلى فمِها ولكن فكّها كُسرَ دفعةً واحدةً. في المُحصّلةِ، العضلُ البشريُّ متين.

معزولونَ، على مسافةِ بضعةِ أمتارٍ تحتَ الأرضِ، أخذوا يتعاركونَ بشراسةِ حيواناتٍ مُحاصَرةٍ. أغلقوا على ثماني عشرةَ قطّةٍ في صندوقٍ بمساحةِ مترٍ مربّعٍ لمدّةِ شهرٍ وعندها ستحصلونَ ربّما على فكرةٍ عن شراسةِ القتالِ الذي نشبَ، في ذلك اليومِ، بين المجموعةِ الطّوباويّةِ التي كانت قد فكّرت في تطويرِ البشريّةِ.

بلا شرطةٍ ولا شهودٍ، فقدوا أدنى سيطرةٍ.

خرّ أحدهم صريعاً. طعنةُ سكّينٍ أودت بحياة أحد رجالِ الإطفاء. حالةٌ من الوجوم طغت على الحاضرين، توقفوا عن القتالِ مُباشرةً وأخذوا يتأمّلونَ الكارثةَ. لم يخطر في بالِ أحدهم التهامُ الميت.

عادوا إلى صوابِهم. وضعَ البروفيسُور دانيال روزنفيلد حدّاً للحوارِ:

– بلغنا الدّركَ الأسفلَ! لا يزالُ رجلُ الكهوفِ مُختبئاً في داخلِنا ولا

يلزمُنا الحفرُ عميقاً في قشرةِ تهذيبنا ليظهرَ مُجدّداً. خمسةُ آلافِ عام من الحضارةِ لا تُساوي الكثير (تنهّدَ.) كم سيسخرُ النّملُ منّا لو رآنا الآن نقتلُ بعضَنا من أجلِ الطّعام!

– ولكن...، حاولَ أحدُ رجالِ الشّرطةِ.

– أُصمُتْ، دودةٌ بشريّةٌ! صرخَ البروفيسُور. ولا أيّةُ حشرةٍ اجتماعيّةٍ، حتّى الصّرصارُ يترفّعُ عن فعلِ ما نحنُ فعلناهُ. نحنُ نظنّ أنفسنا جواهرَ الخلقِ. آه! دعوني أسخر من ذلك. هذه المجموعةُ المُكلّفةُ بتشكيلِ نموذجِ الإنسانِ المُستقبليّ تتصرّفُ مثل قطيعٍ من الجُرذانِ. انظروا لأنفسِكم، وانظروا ماذا فعلتم بإنسانيّتكم.

لم يُجبْ أحدٌ. انخفضَت النّظراتُ مُجدّداً نحوَ جثّةِ الإطفائيّ. دونَ أن ينبسَ أحد ببنتِ شفةٍ انهمكَ الجميعُ في حفرِ قبرٍ لهُ في زاويةِ المعبدِ. دُفِنَ على وقعِ ترانيم صلاةٍ قصيرةٍ. وحدهُ العنفُ الأقصى تمكّنَ من إيقافِ العُنفِ دُفعةً واحدةً. نَسوا مُتطلّباتِ معَدِهم، ولعقوا جِراحَهم.

– ليس لديّ شيءٌ ضدّ درسِ فلسفةٍ بليغٍ، ولكن أودُّ مع ذلك معرفةَ كيفَ سنفعلُ للبقاءِ على قيدِ الحياةِ، قالَ المُفتّشُ جيرار غالان.

فكرةُ أن يأكلوا بعضَهم بعضاً كانت مهينةً بالطّبعِ، ولكن ما الذي يُمكن فعلهُ غير ذلك للعيشِ؟ اقترحَ:

– وإذا ما انتحرنا جميعنا معاً في الوقت عينه؟ عندئذ سننجو من الآلامِ والإهاناتِ التي تفرِضُها علينا الملكةُ الجديدةُ شلي-بو-ني.

لم يلقَ المُقترحُ أيّة حماسةٍ. ما دفعَ غالان للغضَبِ:

– اللعنةُ، لماذا يتصرّفُ النّملُ معنا على هذا النّحوِ المؤذي؟ نحنُ

البشرُ الوحيدون الذين قبلنا أن نكلّمهم، وبلغتهم علاوةً على ذلك، وها هم انظروا إليهم كيف يشكرُوننا. بتركنا ننفَقُ!

- أوه، لا شيء يجعلنا نندهشُ، قال البروفيسُور روزنفيلد. في لبنان زمنَ اختطافِ الرّهائنِ، كان المختَطفُون يفضّلونَ قتل الذينَ يتكلّمونَ العربيّةَ. خوفهم كان أن يُفهموا. ربّما شلي-بو-ني هذهِ تخشَى هي أيضاً، أن تكونَ مفهومةً.

- لا بدّ لنا من إيجادِ طريقةٍ تُخرجنا من هنا دونَ أن نلتهمَ بعضَنا أو ننتحرَ! صرخَ جُوناثان.

صمتوا وفكّروا بكلّ سِعةِ أذهانِهم التي تسمحُ بها بطونهم الشّرهةُ.

ثمّ تدخّلَ جازون براجيل:

- أعتقدُ أنّي أعرفُ ما ينبغي فِعلهُ...

تتذكّرُ أوغستا ويلز وتبتَسِمُ. بالفعلِ كان يعرفُ ما ينبغي فعلهُ.

الأركانا الثانية:

الآلهةُ التحتُ أرضيّة

39. استعداداتٌ

أنتِ، أتعرفينَ ما الذي ينبغي فعلُه؟

لا تجيبُ النّملةُ.

أتعرفينَ ما ينبغي فعلُه لأجلِ قتلِ الأصَابعِ؟ تحدّدُ المعنيّةُ بدقّةٍ.

ولا أدنى فكرةٍ.

في كلّ أرجاءِ المدينةِ، تتهيّأُ مجموعاتُ الجُنديّاتِ من أجلِ الحَملةِ الكبيرةِ ضدّ **الأصَابعِ**. جنودُ المُشاةِ يسنّونَ فكوكهم. المِدفعيّاتُ يُتخمنَ أنفسهنّ بالحمضِ.

جُنديّاتُ المُشاةِ السّريعاتُ، اللواتي يمكنُ اعتبارهنّ بمثابةِ سلاحِ الفرسانِ، يحلقنَ شُعيراتِ أرجلهنّ لتخفيفِ صدّ الهواء لهنّ حينَ سينقضِضْنَ زارعاتِ الموتَ والخرابَ.

الجميعُ يلهجُ بذكرِ **الأصَابعِ**، حافّةُ العالَمِ، والتّقنياتُ الحديثةُ للقتالِ التي ستسمحُ بسحقِ تلكَ الوحُوشِ.

يستَبقُ الجميعُ الحدثَ كما لو أنّها رحلةُ صيدٍ خطِرةٌ لكنّها مُحفّزةٌ جدّاً.

تملأُ إحدى المِدفعيّاتِ نفسها بحمضٍ حارقٍ بنسبةِ 60 %. وصلَ تركيزُ السُّمّ إلى حدّ تصاعُدِ الدّخانِ عندَ نهايةِ بطنِها.

نحنُ، ستتغلّبُ على الأصَابعِ بهذا الحمضِ! أكّدت.

وهي تنظّفُ قرنيها، جُنديّةٌ عجوز تدّعي بأنّهُ سبقَ لها التغلُّبَ على أفعى، تُسدي برأيها:

ليست الأصَابعِ بالشّراسةِ التي يُحكى عنها.

في الواقعِ، لا أحد يعرفُ جيّداً ما الذي تخبّئهُ لنا **الأصَابِعُ**. بالمناسبة، لو لم تُطلق شلي-بو-ني الحَملةَ لبقيت أغلبيّةُ البيلوكانيّات تفكّرُ بأنّ حكاياتِ **الأصَابِعِ** لا تتعدّى أن تكونَ خرافاتٍ وبأنّهُ ما من وجودٍ حقيقيّ لهم.

تؤكّدُ بعضُ الجُنديّاتِ بأنّ الرّقم 103683، المُستكشِفةُ التي وصلت إلى نهايةِ العالَم، هي التي سترشدُهنّ. حضورُ صاحبةِ الخبرةِ هذه يُشيعُ السّرورَ بين الفرقِ.

تتقدّمُ مجموعاتٌ صغيرةٌ نحوَ قاعةِ القواريرِ لكي تَتْرَعَ من الطّاقة الحُلوة. لا تعرفُ المُحارباتُ متى ستُعطَى إشارةُ الانطلاقِ، إلّا أنهنّ جميعاً مُستَعدّات، بل على أُهبةِ الاستعدادِ.

نحوَ عشرِ جُنديّاتٍ مُتمرّداتٍ رُبوبيّات يتسلّلنَ دونَ أن يلحظَ أحد داخلَ الحشدِ المُسلّحِ. لا يقلنَ شيئاً ولكن يتلقّطنَ بعنايةٍ الفيرومُوناتِ المُتناثرةَ في القاعاتِ. قرونُهنّ ترتَجِفُ على نحو متواصلٍ.

40. المدينةُ المخطُوفةُ

الفيرومُون: تقريرُ الرّحلةِ الاستكشافيّة

المصدر جنديّةٌ من فئةِ الصّيّاداتِ عديمةِ الجنسِ

الموضوع: حادثٌ خطيرٌ

سيّالةُ اللّعابِ: المُستطلعةُ رقم 230

حدثتِ الكارثةُ في وقتٍ مُبكرٍ من هذا الصّباحِ. أظلمتِ السّماءُ بغتةً. وطوّقت أصابعٌ المدينةَ الفيدراليّةَ جيو-لي-كان. خرجت عليها على الفورِ فيالقُ النّخبةِ ومجموعاتُ المِدفعيّةِ الثّقيلةِ.

لا شيءَ لم تجرِ مُحاولتُهُ. بلا طائلٍ. بعد بضعِ درجاتٍ من ظهورِ الأصابعِ، شقّت بنيّةٌ عملاقةٌ مسطّحةٌ وقاسيةُ الأرضَ وانغرزت لصْقَ المدينةِ مُباشرةً؛ مُقطّعةً قاعاتٍ وساحقةً بيوضاً، مغلقةً ممرّاتٍ. ثم انقلبَ الجسمُ المُسطّحُ رافعاً المدينةَ بأكملِها. أقولها بكلِّ وضوحٍ: رُفِعت المدينةُ بأكملها! دُفعةً واحدةً!

حدثَ كلُّ شيءٍ بسرعةٍ كبيرةٍ جدّاً. وقد أُلقي بنا داخل ما يشبهُ قوقعةً كبيرةً شفّافةً وصُلبةً. وضعت مدينتنا مقلوبةً رأساً على عقبٍ. الحُجراتُ الزفاقيّةُ انقلبتْ، مؤونةُ الحبوبِ أخذت تتسرّبُ، وتناثرت بيوضُنا في كلِّ الأرجاءِ. ملكتُنا أُسرت وجُرحتْ. وأنا لم أحظَ بالسّلامةِ إلّا بعدَ مجموعةِ وثباتٍ غاضبةٍ سمحت لي بالقفزِ في الوقتِ المُناسبِ فوقَ حافّةِ القوقعةِ الكبيرةِ الشّفّافةِ.

رائحةُ الأصابعِ النّتنةِ تعبقُ في الأرجاءِ.

41. إدمونبوليس

وضعت ليتيسيا ويلز عشَّ النّملِ الذي اقتلعتهُ للتوّ من غابةِ فونتينبلو في حوضٍ واسعٍ. وألصقت وجهها على الزّجاجِ الدّافئِ.

من كانت تُراقبهم لم يكنَّ يرونَها على ما يبدو. ذلكَ الوصُولُ الجديدُ جعلَ النّملَ الأصهبَ *(Formica rufa)* في حالةِ حيويّةٍ خاصّةٍ. سبقَ وأن أحضرت ليتيسيا عدّةَ مرّاتٍ نملاً غبيّاً بعضَ الشيءِ. أنواعٌ من نملٍ أحمر *(phéidoles)* أو نملٍ أسود *(Lazius niger)* واللواتي كانَ أيُّ شيءٍ يُربكهنّ. لم يكنّ يمسَسْنَ أيّ طعامٍ جديد. ويهربنَ أوّلَ ما تمدُّ الشابّة يدها. ثمّ، بعد أسبوع، تكونُ هذه الحشَراتُ قد أسْلمت نفسها للهلاكِ. لا يجبُ الظنّ بأنّ الدّهاءَ صفةٌ ملازمةٌ لجميعِ النّملِ، الأمرُ غيرُ ذلك نهائيّاً. ثمّةَ بعضٌ من الأصنافِ على قدرٍ من السّذاجةِ. وأمام أقلّ تغيّرٍ في روتينِ حياتها البسيطِ تسقُطُ في قنوطٍ أبلهَ!

في المُقابلِ، كانَ النّملُ الأصهبُ هذا يمنَحها الرّضا. إذ تُبدي النّملاتُ انشغالاً دائماً، تجرُّ العيدانَ، وتفركُ قرونَ بعضها بعضاً أو تتقاتلُ. مفعمةً بالحياةِ بما يفوقُ جميع أصنافَ النّملِ التي عرِفتها حتّى الآن. تتذوّقُ الطّعامَ الجديدَ بمُجرّدِ أن تقدّمهُ لها ليتيسيا، وإذا وضعت إصبعاً في الحوضِ تتدافعُ إلى عضّهِ أو تسلّقهِ.

زيّنت ليتيسيا أسفلَ القمرةِ بالجصّ للمُحافظةِ على رطوبتِها. أنشأَ النّملُ شبكةَ ممرّاتهِ في الجصّ. إلى اليسارِ قبّةٌ صغيرةٌ من الغُصيناتِ. وفي الوسطِ شاطئٌ من الرّملِ. إلى اليمينِ طحالبٌ كثيرةُ الوهادِ تقومُ مقامَ الحديقةِ. ووضعت ليتيسيا عبوةً بلاستيكيّةً مملوءةً بالماءِ العذبِ ومُغلقةً بسُدادةٍ قطنيّة، ليروي النّملُ عطشهُ من هذا الصّهريجِ. وفي وسطِ الشّاطئِ مِنفضَةً على هيئةِ مُدرّجٍ مترعةً بشرائحَ ناعمةٍ من التّفاحِ والتّاراما.

أظهرت هذه الحشراتُ شراهةً للتَاراما...

وبينما النّاسُ تشتكي من احتلالِ النّملِ، كانت ليتيسيا ويلز تحرُصُ كثيراً على جلبهنّ إلى منزلِها. مشكلةُ عُشِّ نملِ صالونِها الأساسيّة، أنّ العفنَ كانَ يطالُ أرضيّتهُ الترابيّةَ. وكما المرءُ مجبرٌ على تغييرِ ماءِ الأسماكِ الحمراء، عليها هي أن تُجدّدَ ترابَ النّملِ كلّ خمسةَ عشرَ يوماً. ولكن إذا كان يكفي استخدامُ شبكةِ الصّيدِ لتغيير الماء، فإنّ المُعضلةَ أعقدُ بما يخصُّ ترابَ النّملِ. إذ كان يلزمُ حوضان: القديمُ ذو التّرابِ المُجفّف، والجديدُ ذو التّرابِ المُرطّبِ. فتضعُ خرطوماً بين الحوضَين ينتقلُ عبرهُ النّملُ صوبَ الحوضِ الأكثرِ رطوبةً. وقد يستغرقُ نزوحُهُ يوماً بأكمله.

سبقَ لليتيسيا أن شهدت بعضَ المخاوفِ مع نملِها. ذاتَ صباحٍ اكتشفت أنّ جميعَ السكّانِ في الحوضِ -الحوض الترابيّ بالأحرى- بتروا بطونَهم. وكانوا مكدّسين وراءَ الزّجاجِ على هيئةِ كثيبٍ كئيبٍ. كما لو أنّ النّملَ أرادَ أن يُبرهنَ على أنّهُ يفضّلُ الموتَ على الأسرِ.

بعضٌ من السّاكنات بالإرغامِ فعلنَ أقصى ما بوسعهنّ لكي يهربْنَ. مراراً، استيقظت الشابّةُ لتجدَ نملةً على وجهِها. وجودُ واحدةٍ تتجوّلُ في المكانِ يعني أنّه على الأرجحِ ثمّةَ مئةٌ سِواها يذرعنَ أرجاءَ الشقّةِ. عندئذ يتوجّبُ عليها القيامُ برحلةِ صيدٍ، تجمعهنّ بواسطةِ ملعقةٍ صغيرةٍ وأنبوبٍ قبلَ إعادتهنّ إلى سجنهنّ الزّجاجيّ.

على أملِ تحسينِ شُروطِ اعتقالِ ضيوفها ورفعِ معنوياتِهم، وضعت ليتيسيا في الحوضِ حديقةً صغيرةً من نباتاتِ البونزاي[25] والزهورِ.

25- شجرة مقزّمة.

ولكي يتجوّلَ النّملُ داخلَ مشهدٍ طبيعيّ أكثر تنوّعاً، كانت قد تخيّلت زاويةً من حُصيّاتٍ، وأخرى من قطعِ الخشبِ، وثالثةً من الحصَى. ولكي تُعيدَ لهنّ الرّغبةَ في الصّيدِ، كانت تُلقي داخلِ ما أسمتهُ «إدمونبوليس» الذي يخصّها جداجدَ صغيرةً حيّةً. أخذت الجُنديّاتُ تستمتعُ بمُطارَدتِها حتّى الموتِ بين البونزاي.

كان النّملُ الأصهبُ في المُقابلِ يقدّمُ لها أكثرَ المُفاجآتِ إدهاشاً. حين رفعت للمرّةِ الأولى غِطاءَ الحوضِ الترابيّ، صوّبت جميعُ النّملاتِ بطونَها نحوها، وأطلقت بتزامنٍ جيّدٍ رشقاتِ الحمض. بالمُصادفةِ استنشَقت نفحةً من هذهِ الغمامةِ الصفراء. مباشرةً، تشوّشت رؤيتها. وشعرت ليتيسيا بهلوساتٍ حمراء وخضراء. يا لهُ من اكتشافٍ! يمكنُ للمرءِ أن «يتعاطى» من بُخارِ عشّ النّملِ!

أخذت على الفورِ دفترَ دراستها ودوّنت فيه الظّاهرةَ. سبقَ وأن علِمت عن وجودِ مرض نادرٍ تكونُ ضحاياهُ منجذبةً بقوّةٍ مغناطيسيّةٍ إلى أعشاشِ النّملِ. كانَ أولئك الأشخاصُ يستلقونَ عندها ويزقمونَ أنفسَهم لساعاتٍ من النّملِ للتعويضِ، كما يُظَنّ، عن نقصِ حمضِ النّمليكِ في دمِهم. الآن باتت تعرفُ أنّ أولئكَ الأشخاص، كانوا في الواقعِ، يبحثونَ عن تأثيراتٍ مُخدّرةٍ ناجمةٍ عن حمضِ النّمليكِ.

حين استعادت وعيها، رفعت الأدواتَ الخاصّةَ بالاعتناء بمَدينتها (مصاصّة، ملقطُ حواجبٍ، أنبوبٌ وأدواتٌ أخرى)، لتتركَ هوايتها جانباً وتلتفتَ إلى عملها كصحفيّة. وكما المقالاتُ السّابقةُ، سيكونُ موضوعُ مقالها المُقبلِ مُكرّساً أيضاً للقضيّةِ الغامضةِ للأخوةِ سالتا، والتي كانت مُتلهّفةً لإيجادِ حلّ لها.

42. موسُوعة

قوّةُ الكلماتِ: يا لسُلطانِ الكلماتِ!

أنا الذي أتكلّمُ معكم، متُّ منذُ زمنٍ طويلٍ، ومع ذلكَ أنا قويّ بفضلِ تجميعِ هذه الأحرف التي تؤلّفُ كتاباً. أَحيا بفضلِ هذا الكتاب. أسكنهُ إلى الأَبد وهو، في المُقابلِ، يستمدّ من قوّتي. أتريدونَ بُرهاناً على ذلك؟ حسناً، أنا الميتُ، الجثّةُ، الهيكلُ العظميُّ، بوسعي أن أُصدرَ أوامرَ لحضرتكَ أيها القارئ الذي على قيدِ الحياة. أجل، مهما كنتُ ميّتاً بوسعي التّأثيرُ في حضرتكَ. أينما كنتَ، على أيّةِ قارّة، وفي أيّ زمنٍ كان، أستطيعُ إجباركَ على إطاعتي. فقط من خلالِ هذه الموسُوعةِ المُختصّةِ بالعلمِ النسبيّ والمُطلق. وسأبرهنُ لكَ ذلك مباشرةً. ها هو أمري:

أُقلبِ الصّفحَةَ!

أرأيتَ؟ أنتَ أطعَتني. أنا ميّتٌ ومع ذلكَ أطعَتني. أنا في هذا الكتابِ. حيٌّ في هذا الكتابِ! وهذا الكتابُ لن يستغلَّ يوماً سُلطةَ كلماته لأنّ هذا الكتابَ متواطئٌ معك. اسألهُ واسألهُ أكثرَ فأكثر. سيكونُ دوماً بين مُتناولِ يديكَ. جوابُ جميعِ أسألتكَ سيكونُ مدوّناً في مكانٍ ما في سطورهِ أو بينَها.

إدمون ويلز،

موسُوعة العلم النسبي والمطلق، المجلد الثاني.

43. فيرومُونٌ يجبُ الاطّلاعُ عليهِ

طلبت شلي–بو–ني رؤيةَ الرّقم 103683. بحثت عنها حارساتُها في جميعِ الأمكنةِ قبلَ أن يجدنَها في حظائرِ الجِعْلان.

يُوصِلنَها إلى المكتبةِ الكيميائيّةِ.

الملكةُ في القاعةِ، جالسةٌ تقريباً. لا بدّ أنّها طالعت في فيرومُونٍ، إذ أنّ طرفا قرنيها لا يزالان مبلّلَيْن.

فكّرتُ كثيراً بما دارَ بيننا.

في البدايةِ، تعترفُ شلي–بو–ني أنّ ثمانينَ ألفَ جنديّةٍ عددٌ غيرُ كافٍ بالفعلِ لقتلِ جميعِ أصَابعِ الأرضِ. إذ قد حدثَ شيءٌ للتوّ، كارثةٌ مرعبةٌ، تدفعُ إلى توقّعِ الأسوأ بخصوصِ قُدرةِ هذه الوحوش. **أصابعُ** خطفَت للتوّ مدينةَ جيو–لي–كان. أخذوا المدِينةَ بأكملها داخلَ **قوقعةٍ** هائلة شفّافة!

تجدُ الرّقم 103683 صعوبةً في تصديقِ أعجُوبةٍ كهذهِ. كيف حدثَ ذلكَ ولماذا؟

تجهلُ الملِكةُ الجوابَ. جرَت الأحداثُ بمُنتهى السّرعةِ والنّاجيةُ الوحيدةُ لا تزالُ تحتَ هولِ الفجيعةِ. لكنّ حالةَ جيو-لي-كان ليست مُتفرّدةً. كلَّ يومٍ، يُعلَنُ عن أحداث جديدةٍ تقترفُها **الأصَابِعُ**.

كلُّ شيءٍ يحدثُ كما لو أنّ **الأصَابِعَ** تتكاثرُ بسرعة كبيرة، كما لو أنّها قرّرت اجتياحَ الغابةِ. كلّ يوم، يزدادُ حضُورهم وضُوحاً.

ماذا تقولُ الشّهاداتُ؟ قلّما تتقاطعُ. يذكرُ البعضُ حيواناتٍ سوداءَ ومُسطّحةً، فيما يتكلّمُ آخرون عن حيواناتٍ مدوّرةٍ ووردِيّةٍ.

يبدو أنّنا أمامَ حيواناتٍ غريبةٍ، طفرةُ شذوذٍ في الطّبيعةِ.

تشردُ الرّقم 103683.

(وإذا كانوا آلهتنا؟ فهل نحنُ على وشكِ الوقوفِ في وجهِ آلهتنا؟)

تطلبُ شلي-بو-ني من الجُنديّة أن تتبعها. تأخذها إلى قمّة القُبّة. في الأعلى، تُحيّيهما المُحارباتُ ويتحلّقنَ حولَ الملِكة. من الخطرِ على البيّاضةِ الوحيدةِ الخروجُ في الهواءِ الطّلقِ. فقدْ ينقضُّ عصفورٌ على العضوِ الجنسيّ الذي تتجسّدُ من خلالهِ مدينةُ بيل-أو-كان، والذي لا يُمكن الاستغناءُ عنهُ.

سبقَ واتّخذت المدفعيّاتُ مواقعهنّ، جاهزاتٍ للتصويبِ على أوّلِ ظلّ يدخلُ ضمنَ نطاقِ رؤيتهنَّ.

بالالتفافِ حولَ رأسِ القُبّة، تصلُ شلي-بو-ني إلى فُسحةٍ هي بمثابة مدْرَجِ إقلاعٍ. تصطفُّ فيه أعدادٌ من جِعْلان وحيدِ القرنِ، يرعونَ براعمَهم بسلامٍ. تقترحُ الملِكةُ على الرّقم 103683 صعودَ متنِ أحدهم لهُ درعٌ أسودُ لمّاعٌ، ومائلٌ للنحاسيّ قليلاً.

ها هي إحدى روائعِ حركتنا التطوريّة. هي نجاحنا في ترويضِ هذه البهائمِ الضّخمةِ الطيّارة. جرّبي قيادةَ إحداها.

الرّقم 103683 تجهلُ كلّ ما يخصُّ قيادةَ الخنافسِ.

تُلقي شلي-بو-ني على قرنيها بضعَ فيرومونات ناصحةً: *أبقي قرنيكِ باستمرارٍ ضمنَ مدى قرنيهِ. وأشيري لهُ إلى الطّريقِ الذي ينبغي اتخاذهُ بالتّفكيرِ فيهِ بشدّة. عندئذ ستُطيعكَ الرّكوبَةُ بسرعة كبيرة، سوفَ تُلاحظين ذلكَ بنفسكِ ولا تُحاولي عند المُنعطفاتِ التّعويضَ بتمييلِ نفسكِ بالاتّجاهِ المُعاكسِ. رافقي الجُعَل بكلّ حركةٍ من حركاته.*

44. CCG، هو ما ترغَبهُ.

كان لدى CCG رمزٌ هو نسرٌ أبيضُ بثلاثةِ رؤوس. اثنان يبدوانِ مُتهالكين، محنيّين بشدّةٍ. بينما الرّأسُ الثّالثُ مُنتصِبٌ بعزّةٍ يبصقُ رشقةَ ماءٍ فضيّة.

عددُ مداخنها والدّخانُ الذي يتصاعدُ منها، يدفعُ للتساؤلِ عمّا إذا كانت جميعُ أغراضِ البلدِ تُصنّعُ هنا. كانتِ الشّركةُ بمثابةِ مدينةٍ صغيرةٍ حقيقيّة، يتمّ التجوّلُ داخلها عبرَ سيّارةٍ كهربائيّة.

بينما المُفوضُ ميليَس والمفتّشُ كايوزاك يسيران صوبَ المبنى Y، كانَ أحدُ الكوادرِ التجاريّةِ يوضّحُ لهما أنّ CCG تصنّع بشكلٍ أساسيّ عجائنَ كيميائيّةً تُستخدَمُ في أساسِ تركيبِ مُستحضراتٍ صيدلانيّة، مُنتجات منزليّة، مُنتجاتٍ بلاستيكيّة، مواد غذائيّة. مئتين وخمسة وعشرينَ صنفاً من صابونِ الغسيلِ والمُنظّفات، وجميعها مُتنافسَةٌ، تُصنّعُ من ذاتِ المسحوقِ -الصّابوني الذي هو بالأصلِ من شركةِ

CCG. من عجينةِ الجبنة المُصنّعة في CCG، ثلاثمائة وخمسٌ وستونَ ماركةً مختلفةً كانت تتنافسُ على زبونِ المحالِّ التجاريّة. كانت عجائنُ الرّاتنجِ الصّناعي من CCG تصبحُ ألعابَ وأثاثاً منزلياً...

كانت شركةُ CCG تمتلكُ احتكاراً عالمياً ومركزها الرئيسيّ في سويسرا. الاتّحادُ الصّناعيُّ كان على رأسِ الإنتاجِ العالميّ في قطّاعاتٍ لا تُحصَى: معاجينُ أسنانٍ، طِلاءاتٍ، موادُّ تجميلٍ...

في قسمِ Y جرى إيصالهما إلى المخابرِ التي كانَ يعملُ بها الإخوةُ سالتا وكارولين نوغار. اكتشفا، متفاجئينِ، أنّ مناضِدهم المخبريّةِ كانت مُتجاورةً. سألَ ميليَس:

- أكانوا يعرفونَ بعضَهم؟

الكيميائيُّ الذي استقبلهما بمريولٍ أبيضَ تُغطّي وجههُ البثورُ أجابَ بوضُوحٍ:

- كانوا يعملونَ معاً أحياناً.

- هل كان لديهم مُؤخراً مشروعٌ مُشتَركٌ؟

- بلى، إلّا أنّهم قد قرّروا بدايةً الاحتفاظَ به سرّاً. كانوا يرفضونَ التحدّثَ عنهُ أمامَ الزّملاءِ. ويقولون: إنّهُ لا يزالُ من المُبكرِ الحديثُ عنهُ.

- وماذا كانت اختصاصاتُهم؟

- عامّة. كانوا يعملونَ في الكثيرِ من قطّاعاتنا البحثيّة -التّطوريّة. موادُّ شمعيّةٌ للبرنقة، مساحيق كاشطةٌ، أصبغةٌ للأعمالِ اليدويّة، كافّةُ التّطبيقاتِ الكيميائيّة كانت محورَ اهتمامهم. غالباً ما كانوا يجمعونَ مُواهبهم، وعلى فكرة بنجاحٍ. لكن بما يخصُّ آخرَ أعمالِهم، أكرّرُ لكما، بأنهم لم يبدوا أيَّ انفتاحٍ بهذا الخصُوصِ.

مُنساقاً بفكرتهِ، تدخّلَ كايوزاك:

- هل يمكنُ أن يكونوا قد عمِلوا على مادّةٍ قادرةٍ على جعلِ النّاسِ شفّافة؟

قهقهَ الكيميائيُّ:

- صناعةُ أناسٍ خفيّين؟ أنتَ تمزحُ؟

- أبداً. بل على العكسِ، أنا في مُنتهى الجدّيةِ.

بدا الاختِصاصيُّ مُنذهلاً.

- حسناً، سأشرحُ لكَ: لن يستطيعَ جسدنا أن يصبحَ شفّافاً أبداً. نحنُ مكوّنون من خلايا مُفرطة التّعقيدِ حتّى يتمكّن باحِثٌ، مهما أُوتيَ من العبقريّةِ، أن يجعلها بلوريّةً فجأةً كما الماءُ.

كايوزاك لم يلحّ. العلومُ، لم تكن يوماً مجالهُ. إلّا أنّ شيئاً لا زالَ يشغلُهُ.

رفعَ مِيليَس كتفيهِ وسألَ، بلهجتهِ الأكثر مهنيّة:

- أيمكنُ أن أرى القواريرَ التي تحوي الموادَ التي كانوا يدرسُونها؟

- يعني...

- أثمّةَ مُشكِلة؟

- أجل. سبقَ لأحدٍ أن طلبها.

التقطَ مِيليَس شعرةً عن رفٍّ.

- امرأة، قال.

بُهِتَ الكيميائيُّ.

- بالفعلِ امرأة. ولكن...

أردفَ المُفوّضُ بثقةٍ عاليةٍ بنفسه:

- يتراوحُ عمرها بين الخامسة والعشرين والثّلاثين. نظافتُها ممتازةٌ. وهي أُوراسية ودورتُها الدّمويّةُ تعملُ جيداً.

- أهذا سؤال؟

- لا. أنا أرى ذلكَ بفحصِ هذه الشّعرةِ المتروكةِ على الرفّ، في المكانِ الوحيدِ غيرِ المُغبّر. هل أنا مُخطِئ؟

بدا الرّجلُ مبهوراً.

- لستَ مخطِئاً. كيفَ حصلتَ على هذهِ التّفاصيل؟

- الشّعرةُ ملساء، فهي غُسلَتْ منذُ وقتٍ قصيرٍ. شُمّها لا تزالُ معطّرةً. نواةُ الشّعرةِ سميكةٌ، إذاً تخصُّ شاباً. قطرُ اللّحاءِ واسع، وهذهِ ميزةٌ لدى الشّرقيين. النّواةُ ملوّنةٌ جدّاً، لذا فإنّ الجهازَ الدّمويَّ في حالةٍ ممتازة. وأستطيعُ أن أؤكّدَ لك بأنّ هذه المرأة تعملُ لدى *إيكو دو ديمانش*.

- الآن، تحتالُ عليّ، رأيتَ كلّ ذلكَ في شعرةٍ؟

حاكى ليتيسيا ويلز في أوّلِ مُقابلةٍ لهما:

- لا، خِنصَري من أخبرتني.

أرادَ كايوزاك البُرهانَ بأنّ الحدسَ لا ينقصُهُ هو أيضاً:

- ما الذي سرقتهُ هذهِ المرأةُ من هنا؟

- لم تسرق شيئاً، أبداً. قال الكيميائيُّ. طلبت منّا إذا كانَ بإمكانِها أخذُ القواريرِ إلى منزلِها لتتفحّصَها بهدوءٍ. ونحنُ لم نرَ ما يمنعُ ذلك.

أمامَ وجهِ المُفوّضِ الغاضبِ، اعتذرَ.

– لم نكن نعلمُ أنّكما ستأتيانِ لاحقاً، ولا أنّكما ستهتمّانِ لذلك. وإلّا، بالتّأكيدِ، كنّا احتفظنا بالقواريرِ لكما.

دارَ ميليَس على عُقبهِ، مُصطحباً معهُ كايوزاك:

– أظنُّ، في الخُلاصةِ، أنّ لدى ليتيسيا ويلز هذه الكثيرَ من الأشياءِ لتُخبرنا بها.

45. اختبارُ أحدِ جعْلان وحيدِ القرنِ

تجثمُ الرّقم 103683 على جزءِ الصّدرِ العلويّ للخنفسِ، تصلُ أبعادُ الطّائرةِ إلى أربعِ خطواتٍ طولاً وخطوتينِ عرضاً. من مُستقرّها، يظهرُ أمامها قرنُ الجبينِ المعقوفِ للجُعَلِ مُنتصباً مثل مُقدَّم السّفينةِ البارزِ. والذي لهُ وظائفُ شتّى فهو: رمحٌ يبقرُ البطونَ، موجّهٌ لتسديدِ طلقاتِ الحمضِ، مِهمازٌ للاقتحامِ، كبشٌ مُدمّر.

تبقَى المُشكلةُ الأكثرُ إلحاحاً، بالنّسبةِ للجنديّةِ الباسلةِ، هي كيفيّةُ توجيهِ آلتِها. *بالفكرِ*، كانت قد نصَحتها شلي–بو–ني.

لنُجرّبَ على الفورِ.

تقومُ بتوصيلِ قرنيّ.

تركّزُ الرّقم 103683 على وضعيّةِ الإقلاعِ. ولكن كيفَ سيتمكّنُ هذا الخنفسُ الأسودُ الضّخمُ من التغلُّبِ على الجاذبيّةِ؟

أريدُ الطّيرانَ. هيا بنا، لنقلعْ.

لم يتسنَّ الوقتُ للرقم 103683 للاستغرابِ. إذ بدا لها الحيوانُ ثقيلاً وأخرقَ، لكن سُرعانَ ما يزلقُ، خلفها، هديرٌ ميكانيكيٌّ مزيّت

على أحسنَ وجهٍ. يمتدُّ جناحان بُنيّانِ مُغمّدان إلى الأمام، كاشفينِ عن جناحين مهولين، بنيّين شفّافين، يتمحوران ليمتدا مُنحرفين ويبدآن التحرّكَ بخفقٍ عصبيّ خفيفٍ. على الفورِ يجتاحُ صوتٌ مصمٌّ الجوارَ. نسيت شلي-بو-ني تحذيرَ جُنديّتها، من أنّ الخنفسَ يُحدثُ جلبةً كبيرةً في تحليقهِ. يبدأ الأزيزُ يزدادُ كثافةً، ويأخذُ كلَّ شيءٍ بالاهتزازِ. لا تستطيعُ الرّقم 103683 منعَ نفسِها من التوجّسِ في مجرى الأحداثِ.

دوّاماتٌ من الغُبارِ والنّشارةِ تكتسحُ فضاءها البصريّ. أثرٌ غريبٌ، ليس ارتفاعُ رَكُوبَتِها فحسب، بل إحساسها بأنّ المدينةَ تغورُ تحتَ الأرض. الملكةُ، التي من الأسفلِ، تُحيّيها بالقرنينِ، تأخذُ بالتّضاؤلِ شيئاً فشيئاً. حين لم تميّزها أبداً، تخمّنُ الرّقم 103683 أنّ ارتفاعها بلغَ نحو ألفِ خطوةٍ.

أريدُ المضيّ قدُماً.

على الفورِ يميلُ الجُعَلُ مُندفعاً إلى الأمامِ مع ازديادِ صخبِ أجنحتهِ الدّاكنة.

الطّيرانُ! إنّها تطيرُ!

حلمُ جميعِ عديمي الجنسِ، تحقّقهُ هي اليوم. التغلّبُ على الجاذبيّةِ، والاستحواذُ على مسافاتِ الأجواءِ، مثل الجنسيّين تماماً يومَ التّحليقِ الزّفافيّ!

تلمحُ الرّقم 103683 على نحوٍ غائمٍ يعاسيبَ، ذُباباً، زنابيرَ تجيءُ وتغدوُ حولها. تستنشقُ، أمامها مباشرةً، أعشاشَ العصافيرِ. خطَر. تصدرُ أمراً بانعطافٍ طارئٍ. لكن هناكَ في الأعلى، لا تجري الأمورُ كما على الأرضِ، لا يمكنُ الانعطافُ قبلَ إمالةِ الأجنحة 45 ° على

الأقلّ عن المستوى الأفقيّ. وحين يطيعُ الجُعَل ينقلِبُ كلُّ شيءٍ رأساً على عقب.

تزلقُ النّملةُ فتحاولُ التشبّثَ غارزةً مخالبها في كيتينِ رَكُوبَتِها، تكادُ أن تنجحَ، لكنْ خادشةً دون جدوى البرنيقَ الأسودَ الذي تتقشّرُ عنه رقائقُ رفيعةٌ. بغيابِ نُقطةِ تثبيتٍ، تنخفِضُ على نحوٍ لا يمكنُ تفاديه نحوَ جانبِ البهيمةِ الطّائرةِ.

ثمّ تسقطُ في الفراغ.

سقوطٌ مُتواصِلٌ. غيرَ أنّ الجُعَل لم يلحَظ شيئاً. تراهُ الرّقم 103683 يكملُ مُنحنى انعطافهِ مُلقياً نفسهُ بإقدامٍ نحوَ بلادٍ جويّةٍ جديدة.

النّملةُ، في غضونِ ذلك، تسقطُ، تسقطُ، تسقطُ. تندفعُ الأرضُ نحوها. مع نباتاتِها وصخُورها المُقلقةِ. أخذت تتشقلبُ، ويدورُ قرناها دونَ أدنى تحكّم.

يحدثُ اصطدامٌ!

تتحمّلُ الاصطدامَ بأرجُلها، تعلو مجدّداً، ثمّ تسقطُ من جديدٍ أبعدَ، ترتفعُ مُجدّداً. سريرٌ من الطّحالبِ في مكانهِ المُناسبِ يُخفّفُ من وقعِ السّقوطِ الأخيرِ.

النّملةُ حشرةٌ لشدّةِ خفّتِها ومقاومتِها لا يُحدثُ فيها السّقوطُ الحرُّ أضراراً كبيرةً. حتّى حينَ تسقطُ عن شجرةٍ شاهقةِ العلوّ، تستأنفُ النّملةُ مهمّتها كما لو أنّ شيئاً لم يحدث.

الرّقم 103683 مُرتجّةٌ بعضَ الشيء بسببِ الدّورانِ الذي رافقَ سقوطها. تمدُّ قرنيها إلى الأمامِ، تقومُ بتنظيفٍ سريعٍ وتعودُ لتأخذَ طريقَ مدينتها.

كانت شلي-بو-ني لا تزالُ في مكانِها لم تتحرّك حين عادتِ الرّقم 103683 إلى الظّهورِ أعلى القُبّة.

لا تتركي الإحباطَ يستولي عليكِ. أعيدي المُحاولةَ.

تعودُ الملكةُ إلى مُرافقةِ الجُنديّةِ نحوَ جسرِ الإقلاع.

إضافةً إلى ثمانينَ ألفَ جنديّة، تستطيعين الاستفادةَ من سبعةٍ وستينَ من وحيدي القرنِ أولئك المُرتزقينَ والمُروّضينَ. سيشكّلونَ قوّةً إضافيّةً قيمة. عليكِ تعلّمُ قيادتِهم.

تنطلقُ الرّقم 103683 مُجدّداً على خنفسٍ آخر. تجربتُها الأولى لم تحظَ بالنّجاحِ، قد تحقّقُ تفاهماً أفضلَ مع جوادٍ جديد.

في الوقتِ نفسه، تُقلِعُ مدفعيّةٌ عن يمينها. يطيران معاً جنباً إلى جنب، ترسلُ لها الأُخرى إشارات. في سرعةٍ كهذه لا يمكنُ تقريباً تبادلُ الفيرومُونات. لا يهمّ، إذ أنّ الرّائداتِ سُرعانَ ما اخترعنَ اللّغةَ الإيمائيّةَ، المُعتمدةَ على حركاتِ القرنين. هذان السّاقان يُشكّلان بطريقتهما الخاصّة، حسبَ وضعهما منتصبَين أو مطويّين، لغةَ «مورس» تُفهَم عن مسافة.

تشيرُ المدفعيّةُ إلى إمكانيّةِ إفلاتِ قرنيّ المطيّة والتجوّلِ على ظهرها. يكفي تأمينُ بعضِ المماسكِ الجيّدة عبرَ غرزِ مخالبها تحتَ حُبيبات الدّرع. يبدو أنّها مُتحكّمةٌ بهذه التّقنية على نحوٍ مُمتاز. تُظهِرُ لاحقاً بأنّ النّزولَ على طولِ أرجُلِ الجُعَلِ ممكنٌ أيضاً. يمكنُ من هناك تصويبُ البطنِ والرّشقُ على كلّ ما يعبرُ في الأسفلِ.

تجدُ الرّقم 103683 بعضَ الصّعوبةِ في إتقانِ هذه البهلوانيّات، إلّا أنّها نسيت سريعاً أنّها تعلو على ارتفاعِ ألفي خطوةٍ. تتشبّثُ بشدّةٍ

برَكُوبَتِها حين ينكسُ على أطرافِ الحشائشِ، وتتمكّنُ الجنديّةُ من أن تُطلقَ وتبترَ زهرةً.

الطّلقةُ تُعيدُ لها السّكينةَ. تُفكّر أنّ مع سبعٍ وستينَ من هذهِ الآلاتِ الحربيّةِ، يُمكن القضاءُ بالحدّ الأدنى على بعضٍ من أولئكَ الآلـ... بعضاً من أولئكَ الأصَابِعِ!

الصّعودُ على شكلِ سهمٍ ثم النّكوسُ مُجدّداً، أمرت جُعَلها.

بدأت الجُنديّةُ تستعذِبُ إحساسَ السُّرعةِ هذا في قرنيها. يا لَهذهِ القوّةِ الطّائرةِ، ويا لَهذا التطوّرِ بالنّسبةِ للحضارةِ النّمليّة! إنّها تنتمي للجيلِ الأوّلِ الذي عرفَ هذه الرّائعةَ: التّحليقُ على رَكُوبَةٍ جُعلانيّة!

السّرعةُ تُسكِرُها. سقُوطها، منذُ قليلٍ، لم يُشكّل أيّ خطرٍ وكلّ شيءٍ يدفعها للتصديقِ من الآن فصاعداً بأنّ ما من مُجازفةٍ تلحقُ بها على ظهرِ هذهِ السّفينة الجوّية. تطلبُ طيراناً حَلَزونياً، شقلباتٍ هوائيّةً، بهلوانيّاتٍ جويّة... تملأُ الرّقم 103683 نفسَها بالأحاسيسِ الهائلة. جميعُ أعضائِها جانستون الحسّاسةُ إلى الوضعيّةِ في الفضاءِ تعطّلت. ما عادت تُميّزُ بين الأعلى والأسفلِ، الأمامِ والخلفِ. وفي المُقابلِ لا تنسَى أنّه عندما تظهرُ لها شجرةٌ أمامها ينبغي الميلُ بسرعةٍ على هيئةِ انعطافٍ لتجنُّبِها.

لا تلحظُ، وهي مشغولةٌ باللّعبِ مع طائرتِها، تلبّدَ السّماءِ على نحوٍ مُقلقٍ، تستغرقُ بعضَ الوقتِ لتنتبهَ بأنّ رَكُوبَتَها أصبحت عصبيّةً. ما عادت تستجيبُ بالسّرعةِ ذاتها، ما عادت تتقبّلُ الأمرَ بالارتفاعِ. وحتّى، على نحوٍ غير ملحوظٍ، تنخفِضُ مُجدّداً.

46. غِناءٌ

فيرومون الذّاكرةِ رقم 85

الموضوع: غناءٌ تطوّري

سيّالةُ اللّعابِ: الملكةُ شلي-بو-ني

أنا حارفَةُ المسارِ الكبيرةُ.

أُخرجُ الأفرادَ عن طريقهم المُعتاد وهذا يُفزِعُهم.

أعلنُ حقائقَ غريبة ومُستقبلاً مُفعماً بالمُفارقات.

أنا انحرافُ النّظامِ، لكنّ النّظامَ يلزمهُ الانحرافُ لكي يتطوّر.

لا أحدَ يتكلّم بخجلٍ مثلي، بحماقاتٍ وعدمِ يقينٍ.

لا أحدَ لديهِ ضعفي اللانهائيّ.

لا أحدَ لديهِ تواضُعي الوراثيّ.

لأنّ المشاعرَ حلّت مكانَ ذكائي.

لأنّ ليسَ لديّ أيُّ معرفةٍ أو علمٍ يُثقلُني.

فقط الحدسُ الذي يطفو في الهواءِ يُرشدُ خطواتي.

وهذا الحدسُ، لا أعرفُ من أين منبعهُ.

ولا أريدُ أنْ اعرفَ.

47. الفِكرةُ

أوغستا ويلز غارقةٌ في ذكرياتِها.

كحّ جازون براجيل في يده، تحلّقَ الجميعُ حولهُ وأخذوا يمتصّون كلامهُ لأنّهم في الحالةِ التي وصلوا إليها، لم يكونوا يرونَ ولا ظِلّ فكرةٍ تسمحُ لهم بالفرارِ من ذلكَ المكانِ.

بلا طعام، بلا أيّة إمكانيّةٍ للخروجِ من ذلكَ الكهفِ الجوفيّ، وبلا إمكانيّةٍ للتواصلِ مع سطحِ الأرضِ، كيف لسبعة عشرَ شخصاً ضِمنهم امرأة مئويّة وصبيّ صغيرٌ الأملَ في البقاءِ على قيدِ الحياةِ؟

كان جازون براجيل يقفُ باستقامةٍ كاملةٍ.

– دعونا نعُدْ إلى البدايةِ. من أحضَرنا إلى هنا؟ إدمون ويلز. رغبتهُ كانت بأن نعيشَ في هذا القبوِ ونستأنفَ فيه عملهُ. لقد توقّعَ احتمالَ أن نجدَ أنفسنا في وضعٍ عصيبٍ، أنا مُتأكّد من ذلك. الهبوطُ إلى القبو كان يُشكّل مسيرةً كشفيّةً فرديّة. وما نحنُ نواجههُ الآن هو اختبارٌ أساسيّ على طريقِ مسيرتنا الكشفيّة الجماعيّة. ما نجحنا به، كلٌّ منّا بمُفرده، يجبُ علينا أن نتمكّنَ من تحقيقهِ معاً. نحنُ جميعاً تمكّنا من حلّ لغزِ المُثلّثاتِ الأربعة لأنّنا عرفنا كيفَ نغيّرُ طريقةَ تفكيرنا. فتحنا باباً في ذهننا. ينبغي علينا المُثابرة. ولأجلِ ذلك أعطانا إدمون مِفتاحاً إضافيّاً. ونحنُ لا نراهُ لأنّنا مَعميّونَ بخوفنا.

– توقّف عن الغُموضِ! أيُّ مِفتاحٍ؟ أيّ حلّ تقترحُ؟ تذمّرَ أحدُ رجالِ الإطفاء.

أصرّ جازون:

– تذكّروا لغزَ المُثلّثات الأربعة. كان يتطلّبُ أن نُغيّر طريقتنا في التّفكيرِ. «ينبغي التّفكيرُ بطريقةٍ مُختلفةٍ»، كان إدمون يكرّرُ. «ينبغي التّفكيرُ بطريقةٍ مُختلفةٍ...»

صرخَ أحدُ الشّرطيّين مُحتجّاً:

- ولكنّنا عالقون هنا مِثلُنا مثلُ الجُرذان! هذا استنتاجٌ بديهيّ. لا يوجدُ سِوى طريقةٍ واحدةٍ في تصوّرِ هذا الوضعِ.

- لا، بلْ يوجدُ عدّةُ طرقٍ. نحنُ عالقونَ في أجسادنا، وليسَ في أذهانِنا.

- كلماتٌ، كلماتٌ، كلماتٌ إضافيّةٌ! إذا كان لديكَ شيءٌ تقترحُهُ، فاقترَحْهُ! وإذا لم يكن لديكَ، فاصمتْ.

- الوليدُ الذي يخرجُ من بطنِ أمّه لا يعرفُ لماذا لم يعد يسبحُ في مياه دافئة. يتمنّى الرّجوعَ إلى مأواه الأموميّ، لكنّ البابَ قد أُغلقَ. يظنُّ نفسَهُ سمكةً لن تتمكّنَ من العيشِ في الهواءِ الطلقِ أبداً. ينتابهُ البردُ، يُعميه الضّوء، تُزعجهُ الجلبةُ من حوله. خارجَ بطنِ الأمّ إنّه الجحيمُ. هو في مثل حالتنا الآن يعتقدُ أنّهُ لن يستطيعَ تجاوزَ المحنة لأنّهُ يظنُّ نفسهُ غير مُهيّأ نفسيّاً لهذا العالَم الجديد. نحنُ، جميعاً عشنا تلك اللّحظةَ، ومع ذلك لم نمت. لقد تأقلمنا مع الهواءِ، الضّوءِ، الجلبةِ، البردِ. لقد تحوّلنا من جنينٍ داخلَ حياةٍ مائيّةٍ إلى رضيعٍ يتنفّسُ الهواء. تحوّلنا من السّمكةِ إلى حيوانٍ ثديِيّ.

- حسناً، وإذاً؟

- نعيشُ المأزقَ نفسهُ. فلنتأقلم أيضاً، ولنصبَّ أنفسَنا في هذا القالبِ الجديد.

- إنّهُ يهذي، إنّهُ يهذي بالكامل! علّقَ مُتعجّباً المُفتّشُ جيرار غالان، رافعاً بصرهُ إلى الأعلى.

- لا، همسَ جُوناثان ويلز، أظنُّ أنّي فهمتُ ما عناهُ. سوفَ نعثرُ على الحلّ لأنّه ليسَ لدينا أيُّ مخرجٍ سِوى العثورِ عليهِ.

- آه بلى، بوسعنا البحثُ مراراً وتكراراً عن الحلّ. حتّى ليسَ لدينا شيءٌ آخر نفعلهُ بانتظارِ الموتِ جوعاً.

- اتركوا جازون يتكلّم، أمرت أوغستا. لم يُنه كلامهُ بعد.

توجّهَ جازون براجيل إلى المِنصّةِ وأخذَ موسُوعة *العلم النسبيّ والمطلق*.

- عدتُ وقرأتها مُجدّداً هذه اللّيلة، قال. كنتُ مُقتنعاً بأنّ الحلّ مُدوّنٌ داخلها بوضوحٍ. بحثتُ مطوّلاً، وأخيراً عثرتُ على هذا المقطعِ الذي أودُّ أن أقرأه لكمْ بصوتٍ عالٍ. أصغوا جيّداً.

48. موسُوعة

الانْستِباب: كلُّ شكلٍ من الحياةِ هو في حالةِ بحثٍ عن الاستِباب.

«الانْستِبابُ» يعني التوازنُ بين البيئةِ الداخليّةِ والبيئةِ الخارجيّة.

كلّ بنيةٍ حيّةٍ تنشَطُ عبرَ عمليّةِ اسْتِباب. لدى العصفورِ عظامٌ مجوّفة لكي يطيرَ. لدى الجَملِ مخزونٌ من الماءِ ليبقَى حيّاً في الصّحراءِ. الحرباءُ تبدّلُ اصطباغَ جلدِها كيلا تُلاحَظَ من مُفترسِيها. هذه الأجناسُ مثل آخرين كثر، بقوا إلى آيامنا عبرَ التأقلُمِ مع جميعِ تقلّباتِ بيئتهم المُحيطةِ. الذين لم يتمكّنوا من الانسِجامِ مع العالمِ الخارجيّ اختفوا.

الانْستِبابُ هو المقدرةُ على التنظيمِ الذاتيّ لأعضائنا بمواجهةِ القيودِ الخارجيّة.

نحنُ في حالةِ دهشةٍ دائمةٍ من مُلاحظةِ لأيّ درجةٍ يمكنُ لفلانٍ بسيطٍ تحمُّل أقسى المِحنِ وقدرتهِ أن يؤقلمَ جسدهُ معها. أثناءَ الحروبِ، حيثُ تُجبرُ الظّروفُ

الرّجلَ بأن يتجاوزَ نفسهُ ليبقى على قيدِ الحياةِ، رأينا أُناساً لم يعرفوا إلى الآن سوى الرّاحةِ والهدوءِ يضعونَ أنفسهم في نظامِ تغذيةٍ من الماءِ والخبزِ اليابسِ دونَ تذمّرٍ. في بضعةِ أيامٍ يتعلّمُ سكّانُ المدينةِ التائهون في الجبلِ التعرّفَ على النّباتِ الصّالحِ للأكلِ، على صيدِ وأكلِ الحيواناتِ التي كانت تدفعُهم دوماً للاشمئزازِ: خلدان، عناكبَ، فئران، أفاعٍ...

روبنسون كروزو لدانيال ديفو أو الجزيرة الغامضة لجول فيرن هي كتبٌ لمجدِ مقدرةِ الاستتبابِ عندَ الكائنِ البشريِّ.

جميعنا، نحنُ في حالِ بحثٍ مُستمرٍّ عن الاستتبابِ الكاملِ، لأنّهُ سبقَ لخلايانا أن عاشت هذا الشّرطَ. تسعى على الدّوامِ للحصولِ على الكمّيةِ القصوى من السّائلِ المُغذّي في الدّرجةِ الحراريّةِ الأفضلِ ودونَ اعتداءٍ من مادّةٍ سامّةٍ. ولكن حين لا تتوافرُ لها، تتأقلمُ. بهذهِ الطريقةِ تكونُ خلايا كبدِ سكّيرٍ مُعتادةً على هضمِ الكحولِ على نحوٍ أفضلَ ممّا لدى خلايا شخصٍ مُتمنّعٍ عن الشّربِ. وخلايا رئتي مُدخّنٍ تصنعُ مقاوماتٍ للنيكوتين. كان الملكُ ميثريداتس قد درّب جسدهُ لتحمّلِ الزرنيخ. كلّما كانت البيئةُ الخارجيّةُ عدائيّة، كلّما أجبرتِ الخليّةَ أو الفرد على تطويرِ مواهبَ مجهولة.

إدمون ويلز،

موسوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلّد الثاني.

صمتٌ طويلٌ تبعَ هذه القراءةَ. قطعهُ جازون براجيل ليعزّز التأثيرَ:

– إذا مِتنا، سنكونُ قد فشلنا في تأقلمِنا مع هذهِ البيئةِ المُتطرّفةِ.

انفجرَ جيرار غالان غاضباً:

– بيئةٌ مُتطرّفةٌ، يا لأفكارِكَ! هل أسرى لويس الحادي عشر المُقفَلُ عليهم داخلَ «أقفاصِهم المعلّقة» التي لا تتجاوزُ متراً مربّعاً، استطاعوا التأقلمَ مع القُضبانِ؟ هل من أُطلقتِ النّارُ عليهم تمكّنوا من تقسيةِ جلدِ جذوعهم ليدفعوا الرّصاص؟ هل أصبحَ اليابانيّون أكثر مُقاومةً للأشعةِ الذرّيةِ؟ أنتَ تمزح! بعضُ العُنفِ لا نستطيعُ التأقلمَ معهُ، حتّى لو أردنا ذلك بقوّةٍ كبيرةٍ!

اقتربَ آلان بيلشيم من المِنصّةِ.

– بالفعلِ كانت فقرةُ *الموسُوعةِ* هامّةً، ولكن بما يخصُّنا لم أجد فيها فائدةً ملموسةً.

– مع أنّ ما يقولهُ إدمون شديد الوضُوحِ: إذا كنّا نريدُ البقاءَ على قيدِ الحياةِ، علينا أن نتحوّلَ.

– تحوّلٌ؟

– بلى. تحوّل. نصبحُ حيواناتٍ كهفيّةً، تعيشُ تحتَ الأرض وتتغذّى على القليلِ. استخدامُ المجموعةِ كوسيلةٍ للمقاومةِ والبقاء.

– ماذا يعني؟

– نحنُ فشلنا في التّواصلِ مع النّملِ وأجسادنا تتألّمُ لأنّنا لم نذهب بعيداً بما يكفي. لقد بقينا بشراً، متوجّسين ومُختالينَ بأنفسِنا.

وافقَ جُوناثان ويلز:

– جازون على حقّ. نحنُ اجتزنا جسديّاً الطّريقَ الذي أوصلنا إلى أسفلِ القبوِ. هذا لم يكن أكثر من نصفِ المسافةِ. على أيّةِ حالٍ، الظروفُ تُجبرُنا على مُتابعةِ مسيرتنا.

- تريدُ القولَ أنّ ثمّةَ قبوٌ بعدَ القبوِ؟ قهقهَ غالان. تُريدنا أن نحفرَ تحتَ المعبدِ لنجدَ قبوهُ الذي سيوصلنا لا نعرفُ إلى أين؟

- لا. افهموا جيّداً. نصفُ الطّريقِ كانَ جسديّاً ونحنُ اجتزناهُ بجسدِنا. النّصفُ الآخرُ متعلّقٌ بأنفسنا وفي هذا الخصوصِ، لم نجتز شيئاً بعد. في الظّرفِ الرّاهنِ يجبُ علينا أن نُغيّرَ فكرنا، أن نتحوّلَ في رؤوسِنا. القبولُ بالعيشِ كما الحيواناتِ الكهفيّةِ التي أصبحنا عليها، أحدٌ منّا قال يوماً إنّه ليس بإمكانِ مجموعتنا السّيرُ على نحوٍ طبيعيّ مع أنثى واحدةٍ من أجلِ خمسةَ عشرَ ذكراً. ذلك كان صحيحاً بالنّسبةِ لُمجتمعٍ إنسانيّ، ولكن ماذا لمجتمعٍ حَشريّ؟

أجْفلَت لوسي ويلز. فقد فهِمت إلى أينَ يُفضي منطقُ زوجِها. فلبقاءِ الجميعِ على قيدِ الحياة معاً، تحتَ الأرضِ ومع النزرِ اليسيرِ من الغذاءِ، كانتِ الطّريقةُ الوحيدةُ، هي التحوّل إلى... التحوّلُ إلى...

عندَ الجميعِ، في اللّحظةِ ذاتها، صعدت الكلمةُ نفسها إلى الشّفاهِ:

نملٍ.

49. مطَرٌ

الهواءُ مُشبَعٌ بالشّحناتِ الكهربائيّة. أثارتِ الصّاعقةُ زوبعةً من الأيونات السلبيّة إلى حدّ ما. تبعها هديرٌ مُدوٍّ ثمّ برقٌ آخر كسّرَ السّماءَ إلى ألفِ قطعةٍ، مُلقياً على الأوراقِ ضوءاً مُقلقاً أبيضَ -بنفسجيّاً.

تنحو العصافيرُ في طيرانِها طريقاً مُنخفضاً، أخفضَ من الذّبابِ.

جلجلةٌ جديدةٌ يُحدِثُها الرّعدُ. غيمةٌ على شكلِ سندانٍ تُكسَر.

درعُ الجُعَل الطّائرِ يُضيء. تخشَى الرّقم 103683 الانزلاقَ عن هذا السّطحِ اللامعِ. تشعرُ بالعجزِ ذاته الذي انتابها حينَ وجدت نفسها أمامَ **الأصَابِعِ**، حرّاسِ آخرِ العالمِ.

ينبغي *العودَةُ*، أوضَحَ جُعَلها.

لكنّ المطرَ يهطلُ غزيراً. وأيُّ قطرةٍ قد تكونُ قاتلةً. نُقاط ثقيلةٌ تتبعها أعمدةٌ عملاقةٌ من البلّورِ. أيُّ تلامسٍ مع أجنحةِ الحشرةِ الكبيرةِ سيؤدّي إلى عواقب وخيمة.

يرتبكُ الخنفسُ. ويبدأُ بالتّعرّج خللَ هذا التّفجيرِ الكثيفِ، مُحاولاً أيَّ شيءٍ للعبورِ بين القطراتِ. تفقدُ الرّقم 103683 زِمامَ السّيطرةِ. تتشبّثُ بكافّة مخالبها ووسائد أخامصها المُثبّتة. يحدثُ كلّ شيءٍ بسرعةٍ كبيرةٍ. تتمنّى أن تُغلقَ عينيها المُكوّرتين اللّتينِ تريانِ في وقتٍ واحدٍ جميعَ المخاطرِ المُحدقة، من الأمامِ، والخلفِ، والأسفلِ، والأعلى! لكنّ النّمال ليسَ لها جفونٌ. آه! كم هي مُتشوّقةٌ لتعودَ وتجدَ أرضيّةَ الأرْقاتِ!

قُطَيرةٌ ناعمةٌ وضائعة تصفعُ الرّقم 103683 على الوجهِ، مُلصقةً قرنيها على صدرِها. يُغرِقُ الماءُ ساقيها المُسْتَقبِليْنَ ممّا يمنعُها من الإحساسِ بتبعاتِ الأحداث.

كما لو أنّ أحداً قطعَ لها الصّوتَ. لم يبقَ لها غيرُ الصّورةِ وهذا بحدّ ذاته أكثر إرعاباً.

توَهّنَ الجُعَلُ البدينُ.

لا تفتأُ التعرُّجاتُ بين القطَراتِ السّهميّةِ تزدادُ صعوبةً. يتثاقلُ الطّائران كلّما ازدادَ بللُ أطرافِ الأجنحة.

يتفاديان كُرةً ثقيلةً من الماءِ. يميلُ وحيدُ القرن 45° متجنّباً كُرةً

أخرى أثقلَ منها. نجا منها بأعجوبةٍ. لكنّ الماء يصيبُ رجلهُ فيرشقهُ مُبلّلاً قرنيه.

ضوءُ برقٍ جديد. انفجارٌ.

يفقدُ الحيوانُ الطّائرُ، لجزءٍ من الثّانيةِ، رؤيةَ العالَمِ الخارجيّ. كما لو أنّهُ عَطَسَ. وحين استعادَ التّحكّمَ بمسارهِ، كان الأوانُ قد فات. يندفعان مُسرعينِ نحوَ عمودِ ماءٍ بلّوريّ يلمعُ تحتَ بروقِ الصّاعقة.

يفرملُ الجُعَل واضعاً جناحيهِ الاثنين على هيئةٍ عمُوديّة. مع ذلكَ يظلّان على اندفاعِهما السّريع. الفرملةُ عندَ هذهِ السّرعةِ غيرُ ممكنةٍ. يأخذان بالتّقافزِ الذي تعقبهُ سِلسلةُ تدحرُجاتٍ أماميّة.

من كثرةِ ما تشدُّ الرّقم 103683 على درعِ حصانها الطّائرِ تثقبُ مخالبها الكيتينَ. قرناها المبتلّان يلسعانِ عينيها ويظلّان لاصقين عليهما.

يصطدمانِ في المرّة الأولى بعمودِ الماءِ الذي يلقي بهما على خيطٍ من قطراتِ المطرِ. مُغَطّيَيْن بزخّةِ مطرٍ. وزنهما الآن عشرةُ أضعافِ وزنِهما الأصليّ. يسقطان مثل إجّاصَةٍ ناضجةٍ على غطاءٍ من غُصَيناتِ المدينةِ.

ينفجرُ وحيدُ القرنِ، ينكسرُ القرنُ ويتناثرُ الرّأسُ. تعلو أجنحتهُ المُغمّدةُ نحوَ السّماء كما لو أنّها ستكملُ الطّيرانَ بمفردها. الرّقم 103683، نملةٌ خفيفةٌ، تخرجُ سليمةً من الكارثة. لكنّ المطرَ لا يتركُ لها متّسعاً من الرّاحةِ. تُجفّفُ قرنيها على قدر ما تستطيعُ وتندفعُ في مدخلِ المدينةِ.

تتقدّمُ نحوَ فوّهةِ التّهويةِ. سدّتها عاملاتٌ ليحمينَ المدينةَ من الطّوفانِ، غيرَ أنّ الرّقم 103683 تنجحُ بكسرِ السدّ. الحارساتُ في

الدّاخلِ أخذن يشتمِمْنها. ألا تُدركُ أنّها تضعُ المدينةَ في حالةِ خطرٍ؟ بالفعلِ، جدولٌ رفيع كان يتبعها. لا تكترثُ الجنديّة لهُ، تُواصِلُ عدوَها فيما تسرِعُ البنّاءاتُ لإعادةِ إغلاقِ المحبِس الهوائيّ الأمنيّ.

حين تقفُ، مُنهكةً ولكن في مكانٍ جافّ، تقترحُ عاملةٌ أشفَقت على حالتِها التّطاعمَ. توافقُ النّاجيةُ بامتنانٍ.

تضَعُ الحشرتان نفسيهما وجهاً لوجه وتأخذان بتقبيلِ بعضِهما على الفم ثمّ يجترّانِ الطّعامَ المدفونَ أسفلَ معِدَتيهما الاجتماعيّتين. دفءٌ، هبّةُ الجسدِ، إنّهُ كلُّ ما تحبّهُ.

ثمّ تغوصُ الرّقم 103683 في نفقٍ تمضي بعدهُ في الأروقةِ.

50. مَتاهَة

ممرّات داكنةٌ وزواريبُ طويلةٌ رطبةٌ. كانت تحومُ فيها نفحاتُ روائح كريهةٍ غير مألوفة. ثمّةَ على الأرضِ قِطعُ طعامٍ مُعفّنة ونفايات مختلفةٌ. كانتِ الأرضيّةُ تلصُقُ على الأقدامِ والجُدرانُ ترشَحُ بالرّطوبةِ.

كانت تتشكّلُ جيوبٌ من أفرادٍ. مشرّدين، شحّاذين، موسيقيّين مزيّفين، متسكّعين من ضواحٍ هامشيّة، مُتَراصّين إلى بعضهم بعضاً على هيئةِ أكياسٍ تفوحُ منها رائحةٌ نتنةٌ.

اقتربَ أحدُهم، محشُوراً داخلَ سُترةٍ حمراءَ، أدردَ وفمهُ مجمّدٌ على ابتسامةٍ هازئة:

- ماذا، الآنسةُ الصّغيرةُ، تتنزّهُ بمفردِها في المترو؟ ألا تعرفُ أنّ هذا خطرٌ عليها؟ ألا ترغبُ بحارسٍ شخصيّ؟

وأخذَ يقهقهُ وهو يدورُ راقصاً حولها.

في الوقتِ المُناسبِ، كانت ليتيسيا ويلز قادرةً بأن تفرضَ احترامها على السّمجينَ. تقسو نظرتُها الأرجوانيّةُ، القُرحيّةُ البنفسجيّةُ استحالَتْ حمراءَ دمويّة تقريباً، مُلقيةً رسالةَ: «أُغرب عن وجهي!» هربَ الرّجلُ مُتمتماً:

- امضي، هه مغرورةٌ! إذا اعتُدي عليكِ فستكونينَ أنت من سعَى لذلك!

كان الأسلوبُ فعّالاً هذه المرّة إلّا أنّه لا شيءَ يقولُ بأنّهُ سيكونُ كذلكَ على الدّوام. ولكن إذا كان المترو هو الطّريقةُ الوحيدةُ للتنقّلِ بشكلٍ آمنٍ، فإنّهُ في المُقابلِ وكرٌ للمُفترسين في الأزمنةِ الحديثةِ.

لم تلحق بالعربةِ التي انطلقت ما إن وصلتِ الرّصيفَ. عربتان، ثمّ ثلاثٌ عبرت في الاتّجاه المُعاكسِ بينما أخذَ الحشدُ يتضخّمُ من حولها، مُتسائلاً عمّا إذا حدثَ إضرابٌ مفاجئ جديدٌ، أو إذا ما كان أحمقُ قد خطرت له الفكرةُ السيئةُ بأن ينتحرَ قبلَ بضعِ محطّاتٍ قريبة.

أخيراً ظهرت كُرتان من الضّوءِ. زعيقُ الفراملِ على التّخومِ الحادّةِ ثقبَ طبلتي أُذنيها. الأنبوبُ الطّويلُ من الصفيحِ المعدنيِّ المطليّ والصّدئ يتمدّدُ على الرّصيفِ، مُعلناً عن مُختلفِ أنواعِ الغرافيتي: «الموتُ للحمقى»، «تبّاً لمن سيقرأُ هذا»، «بابيلون اقترَبتَ نهايتكَ»، «Fuck bastard crazy boys territory»، دونَ أن نتحدثَ عن الإعلاناتِ الصّغيرةِ والرّسومِ البذيئةِ التي رُسِمَت على عَجَلةٍ بقلمٍ لبّاديٍّ أو بسكّينٍ.

حين تُفتَحُ الأبوابُ، تكتشِفُ باضطرابٍ أنّ العربةَ مُكتظّةٌ عن

آخرها. وجوهٌ وأيدٍ كانت مُسطّحةً على الزّجاجِ. لا يبدو أنّ أحداً لديهِ الشّجاعة ليطلبَ النجدةَ.

لم تعد تتذكّرُ ما هو الذي يدفعُ جميعَ هؤلاءِ النّاسِ لتأتي كلّ يومٍ بشكلٍ إراديّ (وحتّى أنْ تدفعُ أجرةً) لتتكدّسَ كلٌّ خمسمائة في صفيحَة معدنيّةٍ ساخنةٍ ضمنَ مساحةٍ بضعة أمتارٍ مكعّبة. ولا أيُّ حيوانٍ لديهِ من الجنون ما يكفي ليضعَ نفسهُ بإرادتهِ في وضعيّةٍ كهذه!

ما إن دخلت، تواجهُ ليتيسيا رائحةَ فم حامضةٍ لعجوز بثياب باليةٍ، روائحٌ كانت تدفعُ للغثيانِ تنبعثُ من طفَلٍ مريضٍ تحملهُ سيّدةٌ بيدين مشدودتين مُطلقةً رائحةً كريهةً من العطرِ الرّخيصِ، بنّاءٌ تفوحُ منهُ رائحةُ عرقٍ مُقزّز. وكان أيضاً على مُقربةٍ منها سيّد مُفرطُ الأناقةِ يناورُ لكي يُداعبَ مُؤخرتَها، كان الجابي يُطالبُ ببطاقتِها، وعاطلٌ عن العملِ يتسوّلُ قطعاً نقديّة صغيرةً أو بطاقاتِ مطعمٍ، وثمّةَ عازفُ غيتارٍ يبحُّ صوتهُ رغمَ الضّجيجِ.

خمسةٌ وأربعون ولداً صغيراً من الصّفوفِ الابتدائيةِ يستغلّون الغفلةَ العامةَ لتمزيقِ جلدِ مقاعدهم الصّناعيّ برؤوسِ أقلامهم، زمرةٌ من العساكرِ تجأرُ «La quille!»[26] كان الزّجاجُ مُغشّىً بأبخرةِ مئاتٍ من تلكَ الأنفاسِ المُتواصلة.

أخذت ليتيسيا ويلز تتنفّسُ على مهلٍ الهواءَ الفاسدَ، صرّت على أسنانِها مُحاولةً التصبُّرَ. في النّهايةِ، ما من شيءٍ يدفعُها للشكوى، لم يكن أمامها سوى نصفِ ساعةٍ للانتقالِ من بيتِها إلى مكانِ عملها. البعضُ كان يُمضي ثلاثَ ساعاتٍ في اليومِ هناك في الدّاخلِ أثناءَ ذُروةِ الازدحام!

26- لاكي: دلالة على آخر يوم في الخدمة العسكريّة.

ذلك لم يتوقّعهُ يوماً أيّ كاتبِ خيالٍ علميّ. وجودُ حضارةٍ حيثُ النّاسُ فيها تقبلُ أَنْ تكونَ مضغوطةً بالآلافِ داخلَ صفائحَ معدنيّةٍ!

انطلقتِ الآلةُ، انزلقَتْ على السكّةِ الحديديّةِ مُصدرةً شرارات.

أغمضت ليتيسيا ويلز عينيها لتحظَى بالهدوءِ وتنسَى مكان وجُودِها. كان أبوها قد علّمها كيف تحافظُ على سكينتِها عبرَ التحكّم بأنفاسِها. حين يتحكّمُ المرءُ جيّداً بتنفّسه، عليه تطويعُ خفقاتِ القلبِ لإبطائِها.

أفكارٌ طفيليّةٌ أخذت تمنعُها من التّركيزِ. كانت تعودُ إلى التّفكيرِ بأُمّها... لا، لا يجبُ التّفكيرُ على الأخصّ بـ... لا.

أعادت فتحَ عينيها، وسرّعت مُجدّداً إيقاعَ خفقانِ قلبها وتنفُّسها.

كان المكانُ قد فُسِحَ. وحتّى ثمّةَ كرسيّ شاغرٌ. فاندفعت إليهِ وغفت. على أيّةِ حالٍ، ستنزلُ في المحطّةِ الأخيرةِ. وكلّما قلّ إدراكها أنّها في المترو، شعرت أنّها في حالٍ أفضلَ.

51. موسُوعة

كيمياء: أيُّ معالجةٍ كيميائيّةٍ تستهدفُ محاكاةَ أو إعادةَ مشهدِ ولادةِ العالمِ. ستُّ عملياتٍ ضروريّةٍ لذلك. الإحراقُ. التفسّخ. محلولُ. التقطيرُ. الانصهارُ. التسامي.

هذه العملياتُ الستُّ تحدثُ عبرَ أربعةِ مراحل: العملُ بالأسودِ، والتي هي مرحلةُ الاستواء. العملُ بالأبيضِ، والتي هي مرحلةُ التبخُّرِ. العملُ بالأحمرِ، والتي هي مرحلةُ الاختلاطِ. وأخيراً التّسامي الذي يُنتجُ المسحوقَ الذهبيّ. هذا المسحوقُ هو نفسهُ مسحوقُ ميرلين السّاحرِ في ملحمةِ فُرسانِ المائدةِ

المُستديرة. يكفي وضعهُ على شخصٍ أو على غرضٍ ما لكي يُحوّلهُ إلى كامل. في الواقعِ الكثيرُ من الحكاياتِ والأساطيرِ تُخفي في بُنيتها هذه الوصفةَ. مثلاً، بيضاءُ الثّلج. بيضاء الثلج هي النّتيجةُ النهائيّةُ لمستحضرٍ كيميائيّ. كيف يمكنُ الحصولُ عليه؟ مع الأقزامِ السّبعة (أصلُ كلمة قزم «gnomes»، أو «gnosis»: وتعني معرفة) هؤلاء الأقزام السّبعة يُمثّلونَ سبعةَ معادنَ: الرّصاصُ، القصديرُ، الحديدُ، النّحاسُ، الزّئبقُ، الفضةُ، الذّهبُ، وهم ذاتهم مُرتبطونَ بالكواكبِ السّبعة: زُحل، المُشتري، المرّيخ، الزّهرة، عُطارد، القمرُ، الشّمسُ، وهم ذاتهم مُرتبطونَ بالطّباعِ الإنسانيّةِ السّبعةِ الأساسيّة: المُتذمّرُ، السّاذجُ، الحالمُ، ... وهكذا دواليك.

إدمون ويلز،

موسُوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلّد الثاني.

52. حربُ الماء

لا تزالُ البُروق تخطّ كبد السّماءِ المُعذّبة، لكن ولا أيّة نملةٍ في حالٍ يسمَحُ لها بالدّهشَةِ لمرأى الغيومِ السمراءِ الذّهبيّةِ المُشقّقة برشقاتِ ضوءٍ أبيض. العاصِفةُ فاجعة.

تنهمرُ قطراتُ المطرِ على المدِينةِ مثل قنابل والمُحَارباتُ اللّائي بقينَ في الخارجِ من أجلِ صيدٍ متأخّرٍ، تصعقُهنّ القذائفُ السّائلةُ.

وتكادُ إحدى تجاربِ شلي-بو-ني التي قامت بها أثناءَ الرّبيع، داخلَ بيل-أو-كان ذاتها، أن تُفاقِم الكارثةَ.

إذ أنّ الملكةَ أمرت بحفرِ قنواتٍ من أجلِ تسريعِ السّيرِ من حيّ إلى آخر. تتنقّلُ النّمالُ عبرها على أوراقَ عائمةٍ. لكن تحتَ غزارةِ الأمطارِ

انتفَخت هذه الجداولُ الصّغيرةُ الجوفيّةُ إلى أن أصبحَتْ أنهاراً، تجهدُ جمهرةٌ من الحارِساتِ لتحُدَّ من شدّةِ غضَبِها بلا طائلٍ.

في أعلى القُبّةِ، يزدادُ الأمرُ سوءاً. حبّاتٌ من البَردِ تثقبت فروةَ غُصينات المدينةِ. وراحتِ المياهُ تتسرّبُ من جروحٍ شتّى.

تَجهدُ الرّقم 103683 على قدْرِ ما تستطيعُ لتسدَّ أكبرَ الثّغراتِ.

ليتّجهَ الجميعُ نحوَ القاعةِ الشمسيّةِ، ألقت بهذهِ الجُملةِ، *يجبُ إنقاذُ الفراخِ!*

اندفعت مجموعةٌ من الجُنديّاتِ في إثرِها، مُتحدّياتِ الأمواجَ المُتلاطمةَ.

القاعَةُ الشمسيّةُ العاليةُ فقدت ضياءَها المُعتادَ. عاملاتٌ مُضطربات على السّقفِ في أشدّ حالات قلقهنّ مُحاولاتِ سدَّ الثّقوبَ بأوراقَ ميّتةٍ. لكنّ المياه تنبَجسُ مُجدّداً لتسيلَ في الأرضيّةِ على هيئةِ شرائطَ فضيّةٍ طويلةٍ. كلُّ شيءٍ مُبلّل. يستَحيلُ إنقاذُ جميعِ الشّرانقِ الثّمينةِ، ثمّةَ أعدادٌ كبيرةٌ. تتمكّنُ المُربيّاتُ بالكدّ من الحفاظِ على بعضِ اليرقاتِ المُبكرةِ. بينما تُغطّي الأرضَ بيوضٌ مُحطّمةٌ أُلقيت بعجَلةٍ إلى العاملاتِ.

تخطرُ المُتمرّدات في ذهنِ الرّقم 103683. إذا واصلتِ المياهُ تسرُّبها نحوَ الأسفلِ، فستصلُ إلى حظائرِ الجعْلان وسيموتُونَ جميعاً!

إنذارُ المرحلةِ 1: الفيرومُونات المُحفّزةُ تنتشرُ بأقصى ما تستَطيعُ، إلّا أنّ بُخارَ الماءِ يُشوّشها مُعظمَ الوقتِ.

إنذارُ المرحلة 2: جُنديّاتٌ، عاملاتٌ، مُربّياتٌ، ذواتُ الجنسِ، الجميعُ يطرقُ بأطرافِ البطونِ على الجُدرانِ، بعصبيّةٍ وإلحاحٍ. حالةُ استنفارِ القتالِ هذهِ تجعَلُ المدينةَ تهتزُّ بأكملها.

بام، بام، بام. إنذار! ألفُ إنذارٍ!

ليكنِ الهلَعُ!

حتّى النّمالُ التي حُوصِرت داخلَ بُركِ الماءِ أخذت تُحاولُ ضربَ الأرضِ عبرَ الماء لتضعَ المدِينةَ بأكملها في حالةِ إنذارٍ. يضربنَ كما ينتفِضُ دمٌ لاهثٌ في الشّرايين.

قلبُ المدِينةِ يلهثُ.

يُسمَعُ صدى حبّاتِ البَردِ التي تثقبُ القُبّةَ. بلوك، بلوك، بلوك.

ماذا بوسعِ الفكوكِ الحادّةِ أن تفعلهُ ضدّ قطراتِ المطَرِ؟

إنذارُ المرحلةِ 3: الوضعُ مُفرطُ السّوءِ. تطغى حالةُ هستيريا على بعضِ العاملاتِ اللّواتي أخذنَ يركضن في شتّى الاتّجاهات. قُرونهنّ الموتورةُ تُصدِرُ ولوَلةً فيرومونيّةً غيرَ مفهومةٍ. يصلُ ارتباكُهنّ إلى حدّ جرحِ بعضهنّ لبناتِ جلدتهنّ.

عند النّمالِ الصّهباواتِ فيرومونُ الإنذارِ الأقوى هو مادّة منبثّةٌ من غدّةِ التيفور. تُدعى ن-ديكان، إنّها هيدروكربونيّة تتبخّرُ وصيغتُها الكيميائيّة: C10-H22. تبلغُ رائحتُها من القوّةِ ما يجعلُ مربّيةً في ذُروةِ السُّباتِ تفقدُ صوابها.

لولا تضحيةُ النّمالِ البوّاباتِ لم تكن الموجةُ العارمةُ استثنتِ المدِينةَ المُحرَّمةَ. إغلاقُ هؤلاء الخفيراتِ الباسلاتِ المُحكم للمداخلِ برؤوسهنّ المُفلطحة، منعَ السّائلَ الغازي أن يغمُرَ الأرومةَ المركَزيّةَ. جميعُ المُقيماتِ داخلَ المدِينةِ المُحرّمةِ، سالماتٌ، وفي مقدّمتهنّ الملكةُ شلي-بو-ني.

في المُقابلِ، يتدفّقُ الماءُ في قاعاتِ الأرْقاتِ.

تصرُخُ الذّاباتُ الخضراءُ زقزقةً هزيلةً شميّة.

لا تستطيعُ راعياتُها، المُجبراتُ على الفرار، سِوى إنقاذِ حفنةٍ منها على وشكِ الولادةِ.

تبقى المُحاولةُ قائمةً في كلّ الأرجاءِ من أجلِ رفعِ سُدودٍ. الانهماكُ في دعمِ السدّ الذي رُفِعَ بشكلٍ استراتيجيّ في الرّواق الأساسيّ، يقاومُ لاحتواءِ السّيلِ الهائجِ، لكنّ قوّة الهيدروليك لا يمكنُ مقاومتها. يبدأُ السدُّ بالتفتّت، بالتشقّقِ، ثمّ ينفلعُ. ينفجرُ المبنى محرّراً دُفعةً واحدةً كُرةً من الماءِ تجرفُ معها البنّاءاتِ الشّجاعات.

يجرفُ الماءُ الغارقاتِ عبرَ الممرّات، آخذاً بهدّ قناطرَ، وانتزاعِ جسورٍ، قالباً الطّبوغرافيةَ التحت أرضيّةَ بأكملها رأساً على عقبٍ قبل أن يصبَّ في المفاطرِ. هنا أيضاً لم يتسنَّ الوقتُ للمزارعاتِ لأكثر من جمعِ بعضِ الأبواغِ الثّمينةِ قبل أن يلذْنَ بالفرارِ.

الخنافسُ المائيّةُ، تلكَ العُوَمُ المشهورةُ التي أرادت شلي-بو-ني تدجينها تنتشرُ في جميعِ الأنحاء، تمرَحُ سعيدةً في عنصُرِ تنقّلِها مُلتهمَةً أرَقَاتٍ وجُثثَ نمالٍ ويرقَاتٍ تُحتَضَرُ.

مُضاعفةً المُنعطفات، ومُلتفّةً حولَ العقبات، تنجحُ الرّقم 103683 في الوصُولِ إلى حظيرةِ جعْلان وحيدِ القرنِ. الدّوابُّ المساكينُ يطيرونَ هنا وهناك هاربينَ من الغرقِ. ولكن لشدّةِ انخفاضِ السّقفِ، وهم في حالةٍ من الذّعرِ، سُرعانَ ما يصطدمونَ به.

وهنا كما في كلّ الأمكنة، دونَ اكتراث بالمُجازفة، تسعى عاملاتٌ مُجتَهدات إلى إنقاذ بضعة صغارٍ ودَفع دُحْرُوجات الروثِ المليئة بالبيوضِ إلى مكانٍ جافّ. ولكن، يعرفنَ مُسبقاً، بأنّ الخسائرَ ستكونُ هائلةً ولا مفرَّ منها.

بَلَلُ أرْجلِ الجِعْلان يثيرُ فيهم الهلعَ ويجعلُهم ينطحونَ السّقفَ بقرونِهم. تتمكّنُ الرّقم 103683 بفضلِ احتراسِها كمُحاربةٍ من المرورِ بين ضرباتِ هؤلاء النّطّاحين.

ها هو أخيراً مدخَلُ المخبأ المُتمرّدِ. كانوا جميعاً هناك مجمُوعَتا الرُّبُوبيّاتِ وغيرُ الرُّبُوبيّات. ولكن إذا كانت الزُّمرةُ الثانيةُ تتحرّكُ بعصبيّة، فإنّ الأولى، تحافظُ على حالةٍ غريبةٍ من الهدوءِ. الفاجعةُ لا تُفاجِئهم.

نحنُ لم نُطعم الآلهةَ بما يكفي، لهذا السّببِ يُغرقوننا.

تُقاطعُ الرّقم 103683 أنشُودَتهنّ الترتيليّة. عمّا قريبٍ لن يكونَ هُناك مخرجٌ للنجاةِ. وإذا أرَدْنَ إنقاذَ الحركةِ المُتمرّدةِ، فينبغي الهروبُ دونَ مُماطلةٍ.

في النّهاية يُصغين لها، ويمضينَ في إثرِها. عندَ لحظةِ إخلاءِ المكان، النّملةُ المُسمّاةُ الرّقم 24 تعطيها شرنقةَ الفراشةِ التي تركتها أثناءَ زيارتها الأولى.

من أجل مهمّة عُطارِدَ، لا ينبغي أن تنسي هذا.

تفادياً للجدالِ، تتكفّلُ الرّقم 103683 بالشّرنقةِ وتسحبُ المُتمرّداتِ خلفها. غير أنّ اجتيازَ الحظيرةِ مستحيلٌ من الآن فصاعداً. القاعةُ غارقةٌ في الماءِ بالكاملِ وجِعْلانُ وحيدِ القرنِ، مع نِمالٍ، يطفونَ على سطحِ الماءِ.

يجبُ حفرُ نفقٍ جديدٍ بأسرعِ وقت، تُصدرُ الرّقم 103683 الأوامرَ.

ينبغي العملُ بسرعةٍ، مُستوى الماء بدأ يعلو في القاعةِ.

تطفو المؤونةُ جميعها.

مستوى الماء يأخذُ بالارتفاعِ سريعاً.

إلّا أنّ الرُّبُوبيّاتِ لم يدُر في خَلَدِهنّ الشكوى. الأغلبيّةُ كنّ مُسَلِّماتٍ بالخضوعِ للغضَبِ السّماويّ العادلِ.

إنّهنَّ مُقتَنعاتٍ بأنّ هذا المطرَ المُدمّر لم ينزل ضارباً لهنّ إلّا ليمنعَ حملةَ شلي–بو–ني.

53. ذِكرَياتٌ لاذِعَة

– اعذريني، آنسة!

أحدٌ كان يُكلّمها.

حين فتحَت ليتيسيا ويلز عينيها، لم تكن قد وصَلت بعدُ إلى المحطّةِ الأخيرةِ. كانت امرأةٌ تخاطبُها.

– اعذريني، آنسة. أعتقدُ أنّي أصبتكِ بسنّارتي.

– لا شيءَ يستَحقُّ، تنهّدت ليتيسيا.

كانت المرأةُ تحوكُ صوفاً ذا لونٍ ورديّ، وتسعى لحيازةِ مساحةٍ أوسعَ لتمدَّ نسيجها.

نظرت ليتيسيا ويلز إلى تلك العنكبوتِ النسّاجةِ وهي تحرّكُ أصابعَها. إبرتا الحياكةِ تُضاعِفُ الغُرَز بطقطقةٍ مؤرِّقة.

منسُوجها الورديُّ أشبهُ بجهازِ طفلٍ. أيُّ رضيعٍ مسكين تنوي أن تقيّدهُ داخلَ هذهِ الأغلال الطريّةِ! فكّرت ليتيسيا ويلز. وكما لو أنّ المرأة سمعت سؤالها، قالت كاشفةً عن طقمٍ رائعٍ من الأسنانِ.

– هذا من أجلِ ولدي. أعلنت بفخرٍ.

في اللّحظةِ ذاتها، تعلّقت نظرةُ ليتيسيا على إعلانٍ «بلدنا بحاجةٍ إلى أطفالٍ. كافحوا ضدّ انخفاضِ نسبة الولادة.»

شعرت ليتيسيا ويلز ببعضِ المرارةِ. إنجابُ الأطفالِ! قالت في سرّها بأنّ هذا هو الأمرُ الأساسيُّ المُعطى للجنسِ البشريّ: التكاثرُ، الانتشارُ، والتوزّعُ على شكلِ حشودٍ. ألم تحصلوا على حاضرٍ ذي شأنٍ؟ حسناً، ظلُّوا أحياء في المُستقبلِ عبرَ البيضِ! فكّروا بالكميّة أولاً، وقد تأتي النوعيّةُ لاحقاً.

لم تكن أيُّ بيّاضةٍ تعي هذا الشيء، إلّا أنّها كانت تمثّلُ للدعايةِ الخالدةِ المُتعاليةِ لجميعِ السّياساتِ وفي كافّةِ الأوطانِ. زيدوا من نفوذِ البشرِ على الكوكبِ.

انتابت ليتيسيا ويلز رغبةٌ بأن تُمسكَ هذه الأمَّ من كتفيها وتقولَ لها محدّقةً في عينيها: «كفَى، توقّفي عن إنجابِ الأطفالِ، أَمسكي نفسكِ، بعضَ الحشمةِ، اللّعنة! خُذي مُوانعَ حملٍ، أهدي واقياتٍ ذكريّةً لمن تحبّين، عَقّلي صديقاتك الخصيباتِ كما كُنتِ تتمنّينَ أنتِ نفسكِ أن يُعقّلك أحدهم. مقابلَ طفلٍ ناجحٍ نجدُ مئةَ مكوّنينَ بإهمالٍ. ذلك لا يستحقُّ. فيما بعد يأخذُ المُهملونَ السُّلطةَ وها هي النّتيجةُ. لو كانت أمّكِ نفسها أكثرَ جدّيةً، لجنّبتكِ كلّ هذه المُعاناة. لا تجني على أطفالكِ جرّاءَ السوءِ الذي مارسهُ أهلُكِ عليكِ: أي ولـدُوكِ. كفّوا أن تحبّوا بعضكم بعضاً، ازدهروا ولكن لا تتكاثروا أكثر.

كلُّ أزمةٍ من أزماتِ بُغضِها للجنسِ البشريّ (والتي بلغت في حالتها رُهَاب الإنسانِ) كانت تتركُ في فمها طعمَ مَرارةٍ. لكنّ أكثرَ ما يحيّرُ أنّها لم تكن ترى ذلك مُزعجاً بالضّرورةِ.

أعادت تمالكَ نفسها. وابتسمت للعنكبوتِ النسّاجة.

هذا الوجهُ المُقابل لها، يشعُّ بسعادةِ أن يكون أُمّاً، ذكّرها... لا... لا يجبُ... ذلك ذكّرها... بأُمّها. لينغ -مي.

لينغ -مي ويلز كانت قد أُصيبت بسرطانِ الدّم الحادّ. سرطانُ الدّم، لا يرحمُ. لينغ -مي أمّها الرّقيقة، التي لم تكن تُجيبها البتّةَ حين تسألها عمّا يقولهُ الطّبيبُ. كانت لينغ -مي تكرّرُ مراراً على مسامعِ ليتيسيا: «لا تقلقي سوفَ أُشفى، الأطباءُ مُتفائلون والأدويةُ لا تلبثُ أن تكونَ أكثرَ نجاعةً.» إلّا أنّهُ في أغلبِ الأوقاتِ كان يوجدُ بقعُ دمٍ على المَغسلةِ في الحمّام، وعبوةُ المُسكّناتِ فارغةً على العمومِ. لينغ -مي كانت تتجاوزُ كافّةَ الجُرُعاتِ الموصُوفةِ. لا شيء، بعد ذلك، كان يُخفّفُ آلامها.

وذات يومٍ أتت سيّارةُ إسعافٍ وأوصلتها إلى المُستشفى. «لا تشغلي بالكِ هناك، لديهم كافّةُ الأجهزةِ الضّروريّةِ والأخصّائيينَ المؤهّلينَ لعلاجي. احرسي الشقّةَ، وكوني عاقلةً في غيابي، وتعالي لزيارتي كلّ مساءٍ.»

كانت لينغ -مي على حقّ: لديهم في المُستشفى كافّةُ الأجهزةِ المُمكنةِ إلى حدٍّ ما عادت معهُ قادرةً على الموتِ. ثلاثُ مرّاتٍ حاولت فيها الانتحارَ، وثلاثُ مرّاتٍ أنقذوها من حافّةِ الموتِ. كانت تتخبّطُ. لقد ثبّتوها بأحزمةٍ وأتخموها بالمورفين. حين كانت ليتيسيا تزورُ أمّها، كانت ترى جيّداً أنّ الأورامَ الدمويّةَ التي تُسبّبها الإبرُ وحِقنُ المصلِ تُغطّي يديها. خلال شهرٍ، أصبحت لينغ -مي ويلز امرأةً عجوزاً مُتغضّنةً. «سوفَ نُنقذها، لا تقلقوا، سوفَ

نُنقذها»، كان الأطباءُ يؤكّدون. ولكنّ لينغ -مي ويلز ما عادت تريدُ النّجاةَ.

وهي تلمسُ ذِراعَ ابنتها، همسَتْ لها: «أريدُ... الموت.» ولكن ماذا بوسعِ طفلةٍ في الرّابعةَ عشرةَ أن تفعلَ حين تعترفُ لها أمّها بطلبٍ كهذا؟ القانونُ يمنعُ تركَ أيّ شخصٍ للموتِ. وعلى الأخصّ حين يكون بمقدورِه دفعُ الألفِ فرنكٍ اليوميّةِ تكلفةُ الغرفةِ والمُعايناتِ وأجورِ المبيت بالكاملِ.

شاخَ إدمون ويلز، هو أيضاً، على نحوٍ مُتسارعٍ منذُ أن دخلت زوجتهُ المُستشفى. طلبت لينغ -مي منهُ المساعدةَ لأجلِ القفزةِ الكُبرى. وفي يوم لم تعدْ قادرةً فيهِ على الاحتمالِ، استسلمَ لطلبها. وعلّمها كيف تُبطِئُ تنفّسها وتُوقِفُ خفقانَ قلبِها.

لقد قامَ بجلسةِ تنويمٍ مغناطيسيّ. بالطّبعِ، لم يشهدها أحدٌ، ولكنّ ليتيسيا كانت تعلمُ كيفَ يتصرّفُ أبوها حين يُساعِدها على النّومِ. «أنتِ هادئةٌ، هادئةٌ جداً. نَفَسُكِ مثلُ موجةٍ تعودُ من الأمامِ إلى الخلفِ. إنّها لطيفةٌ. أمامُ، وراءُ. نَفَسُك بحرٌ يريدُ أن يُصبحَ بُحيرةً. أمامُ، وراءُ. كلّ شهيقٍ هو أهدأُ وأعمقُ من سابقهِ. كلُّ زفيرٍ يمنُحكِ قوّةً أكبرَ ولُطفاً. ما عُدتِ تشعرينَ بجسدكِ، ما عُدتِ تشعرينَ بقدميكِ، ما عُدتِ تشعرينَ بيديكِ، ولا بجذعكِ، ولا برأسكِ. أنت ريشةٌ خفيفةٌ لا تشعرُ بشيءٍ، طافيةً في مهبّ الرّيحِ.»

وقد طارَت لينغ -مي.

وابتسامةٌ ساكنةٌ مُرتسِمةٌ على وجهِها. ماتت كما لو أنّها أغفَتْ. أطباءُ قسمِ الإنعاشِ قرعوا جرسَ الإنذارِ على الفورِ. حاولوا التشبّثَ

بها مثل أبناء عُرسٍ تريد الحيلولةَ دونَ تحليقِ الطّائرِ الحزينِ. لكنّ لينغ
-مي هي حقّاً من كان قد ربحَ تلكَ الجولة.

مُذّاك، ولدى ليتيسيا لغزٌ شخصيّ يحتاجُ حلّاً: السّرطانُ. وهوسٌ:
كُرهها للأطباءِ وللمقرّرين الآخرين لمصيرِ البشريّة. كانت مُقتنعةً أنّهُ إذا
لم يستطع أحدٌ القضاءَ على السّرطان، فلأنَّ لا مصلحةَ حقيقيةٌ لأحدٍ في
إيجادِ الحلّ.

ووصلَ بها الأمرُ، لتكوّنَ فكرةً واضحةً، أن أصبحت طبيبةَ سرطان.
كانت تريدُ أن تُبرهنَ بأنّه يمكنُ قهرُ السّرطان وأنّ الأطباءَ ليسوا أكفاءَ إذ
كان بوسعهم إنقاذُ أمّها بدلاً من تحميلِها أعباء إضافيّةً. لكنّها فشلت.
و لم يتبقّ لها سِوى كرهها للبشرِ وولعها بالألغازِ.

مكّنتها الصّحافةُ من أن تُوائمَ بين استيائها وتطلّعاتها الأكثر عمقاً.
مع ريشتِها، كان بمقدُورها انتقادُ غيابِ العدالة، وأن تثيرَ الجموعَ،
وتُهاجمَ المُنافقين. وللأسفِ سُرعانَ ما لاحظت بأنّ زُملاءها في العملِ
كانوا في مُقدّمةِ المُنافقين. شجعانٌ في الكلماتِ وأخسّاءٌ في الأفعالِ.
أنصارُ الضّعفاءِ في افتتاحياتِهم، على استعداد لارتكابِ أكثر الأفعالِ
دناءةً مُقابلَ وعدٍ بعلاوةٍ على الرّاتبِ. وبالمُقارنةِ مع عالَمِ الإعلامِ، بدا
لها الوسطُ الطبّي حافلاً باللّطفاء.

إلّا أنّها كوّنت لنفسها، في الصّحافة، نمط حياةٍ خاصّاً بها، أرض
صيدها. صنعت لنفسها اسماً عبر حلّها عدّةَ ألغازٍ جنائيّة. بقي زملاؤها
إلى اللّحظة يُراقبونها عن بُعدٍ مُنتظرين سقوطها. كان ينبغي ألّا تتعثّر.

وسوفَ تُعلّق على لوحِ صيدها، كجائزةٍ مُرتقبة، قضيّةَ سالتا –
نوغار. دونَ مُبالاةٍ بالمُفوّضِ المُفعمِ بالحيويّةِ ميلَيس!

في النّهايةِ، وصلت إلى المحطّةِ الأخيرةِ. نزلت. سهرةٌ سعيدةٌ، آنسة، قالت لها النسّاجةُ وهي تطوي جهازَ طفلِها.

54. موسُوعة

كيفَ: أوّلُ ردّ فعلٍ للإنسانِ، أمامَ عقبةٍ ما، هو أن يتساءلَ: «لماذا هذه المُشكلةُ ومن يتحمّلُ وزرَها؟» يبحثُ عن المُذنبينَ وعن العِقابِ الذي ينبغي إنزالُه بهم كيلا تتكرّرَ.

في الوضعِ نفسهِ، تتساءلُ النّملةُ في البدايةِ: «كيفَ وبمساعدةِ من سأحلُّ هذهِ المُشكلةَ؟»

في العالمِ النّمليّ لا يوجدُ أدنى فكرةٍ عن الذّنبِ.

وعلى الدّوامِ سيكونُ ثمّة فرقٌ كبيرٌ بين الذين يتساءلونَ «لماذا الأشياءُ لا تعمل» وبين الذين يتساءلونَ «كيف يمكنُ جعلَها تعملُ».

إلى هذهِ اللحظةِ العالمُ البشريّ ينتمي للذين يتساءلونَ «لماذا»، ولكن سيجيءُ يوم ما ويستلمُ الذين يتساءلونَ «كيف» السّلطةَ...

إدمون ويلز،

موسُوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلّد الثاني.

55. كمْ منَ الماءِ، كمْ منَ الماءِ!

مخالبُ وفكوكٌ مُنكبّةٌ على العملِ بإصرارٍ. الحفرُ، الحفرُ متواصلٌ، لا نجاةَ بغيرِه. حولَ المُتمرّداتِ المُثابراتِ على نفقِ خلاصِهنَّ، تهتزُّ الأرضُ وترتعدُ.

يكنُسُ الماءُ المدينةَ بأكملِها. جميعُ المشاريعِ الجميلة، والمُنجزاتِ الرّائعةِ الرّائدةِ لشلي-بو-ني ما عادت غيرَ نفاياتٍ تجرُفها الأمواجُ. الكبرياءُ، لم يكنْ ذلكَ سِوى كبرياء إذاً، هذهِ الحدائقُ، هذه المَفاطِرُ، هذه الحظائرُ، قاعاتُ الصّهاريجِ، أَهْراءُ الشّتاء، الحاضِناتُ ذواتُ التحكّمِ الحراريّ، القاعةُ الشمسيّةُ، الشّبكاتُ المائيّةُ... تختفي في العاصِفةِ كما لو لم تُوجد يوماً.

بغتةً، جدارُ نفقِ النّجدةِ الجانبيّ ينفجرُ. يندفقُ الماءُ على هيئةِ باقاتٍ. الرّقم 103683 ورفيقاتُها يبتلعنَ التّرابَ لزيادةِ سُرعةِ حفرهنّ. لكنّ المهمّةَ مُستحيلة إذ يبلغُهنَّ السّيلُ.

ليس لدى الرّقم 103683 أيّة أوهامٍ عن المصيرِ الذي ينتظرهنّ. إذ أنّ الماءَ غمرهُنّ إلى مستوى البطنِ ويواصِلُ الارتفاعَ بسرعةٍ كبيرةٍ.

56. انغِمار

انغمارٌ. كانَ سطحُ الأمواجِ يُغطّيها الآن بالكاملِ.

لم تعدْ قادرةً على التنفُّسِ. ظلّت في السّائلِ وقتاً طويلاً، لا تفكّرُ في شيءٍ.

إنّها تحبُّ الماء.

كان شعرُها ينتفخُ تحتَ ماءِ حوضِها، وتصبحُ بَشَرتُها مثل الورقِ المُقوّى. تُسمّي ليتيسيا ويلز ذلك طقسَ حمّامها اليوميَّ. هكذا كانت تُحقّق استرخاءَها بقليلٍ من الماءِ الفاترِ والصّمت. تشعرُ بنفسها أنّها أميرةُ البُحيرةِ.

بقيت لبضعِ عشراتٍ من الثّواني حابِسةً أنفاسَها إلى أن انتابها شعورٌ بأنّها تموت.

كلَّ يومٍ كانت تبقى لوقتٍ أطولَ تحتَ الماءِ.

كانت تطوي ركبتيها تحتَ ذقنِها مثل جنينٍ وسطَ سائلِه الأَميوني وتظلُّ مُتأرجحةً بتؤدةٍ في رقصةٍ مائيّةٍ هي وحدها تعرفُ كُنهَها.

بدأت تُفرِغُ رأسها من كلّ ما يزدَحِمُ فيه، السّرطانُ خروج، سالتا خروج (*دينغ، دونغ*)، قسمُ تحريرِ *إيكو دو ديمانش* خروج، جمالُها خروج (*دينغ دونغ*)، المترو خروج، الأمّهاتُ البيّاضات خروج. إنّه التّنظيفُ الكبيرُ لفصلِ الصّيفِ.

دينغ، دونغ.

خرجَت من الماءِ. كلّ شيءٍ خارجَ الماءِ يبدو جافّاً. جافّاً، وعدائيّاً (*دينغ! دونغ!*) ... وصاخباً.

هي لم تكن تحلُمُ: جرسُ البابِ كان يُقرعُ.

زحفَت خارجَ حوضِ الاستِحمام مثل حيوانٍ برمائيّ يكتَشفُ التنفّسَ الهوائيَّ.

تناولت مِئزراً كبيراً لفّت نفسها به وخرجَت بخطواتٍ قصيرةٍ إلى الصّالونِ.

– من هنا؟ سألت من وراءِ البابِ.

– الشّرطةُ!

نظرَت عبرَ العينِ السّاحرةِ وعرفت المُفوّض مِيليَس.

– ما الذي أصابكَ لتأتي في ساعةٍ كهذهِ؟

- لديّ إذْنٌ بالتّفتيشِ.

قبلَت أن تفتحَ البابَ.

كان يبدو هادئاً.

- ذهبتُ إلى CCG وأخبروني أنّكِ سرقتِ القواريرَ التي تحتوي الموادّ الكيميائيّةَ التي كان يعملُ عليها الإخوةُ سالتا وكارولين نوغار.

ذهبتْ وأحضرتِ القواريرَ وقدّمتها لهُ. أخذَ يتمعَّنُ بها مُستغرِقاً.

- آنسة ويلز، هل بوسعي أن أسألكِ ماذا يوجدُ في داخلِها؟

- ليس دوري تسهيلُ عملكَ. مجلّتي هي التي دفعَت تكلفةَ الكشفِ الكيميائيّ ونتائجهُ لها حصريّاً.

كان لا يزالُ على عتبةِ البابِ، مُحرَجاً تقريباً داخلَ بدلتهِ المُجعّدةِ وأمامَ هذه الفتاةِ مُفرطةِ الجمالِ التي تتحدّاهُ.

- آنسة ويلز، إذا سمحتِ، أأستطيعُ الدّخولَ؟ هل بوسعنا التحدّثُ للحظاتٍ؟ لن أزعجكِ طويلاً.

لا بدَّ أنّهُ تعرّضَ لزخّةِ مطرٍ. كان مُبتلّاً. وبركةُ ماءٍ صغيرةٍ تتجمّعُ عندَ رجليه، على سجّادةِ العتبةِ. تنهّدت:

- حسناً، ولكن ليسَ لديّ وقتٌ طويلٌ أكرّسهُ لكَ.

مسحَ حذاءهُ مطوّلاً قبل أن يدخلَ حُجرةَ الصّالونِ.

- الطّقسُ سيء.

- بعدَ موجةِ الحرارةِ القويّةِ، يأتي زخّ المطرِ.

- كلُّ الفُصولِ انقلبَت، الانتقالُ يأتي فجأةً من الحارّ الجافّ إلى البارد الرّطبِ.

- هيّا، تفضّل واجلس. أتشرَبُ شيئاً؟

- ماذا لديكِ تقترحينهُ عليّ؟

- هيدروميل.

- وما هو هذا؟

- مكوّنٌ من ماءٍ وعسَلٍ وخميرة، ممزوجةٍ ببعضها ومُخمَّرةٍ. كانَ هذا شرابَ آلهة الأولِمبِ والكَهنةِ السّلتيّين.

- حسناً ليكن شرابُ آلهةِ الأولِمب.

سكبت لهُ ثمّ اختفَت.

- انتظرني، ينبغي أن أُجفّفَ شعري.

ما إن سمعَ أزيزَ مُجفّفِ الشّعرِ آتياً من الحمّامِ، قفزَ مِيليَس من مكانهِ مُستغلّاً هذه المُهلةَ لتفحُّصِ المكان.

كانت شقّة فخمةً. كلّ شيء كان مزيّناً بذوقٍ رفيع. تماثيلٌ من اليشْبِ تُمثّل أزواجاً مُتعانقةً. مصابيحُ هالوجينيّة تُضيءُ ألواحاً بيولوجيّة مُعلّقةً على الجُدرانِ.

توقّفَ، وأخذَ ينظرُ إلى أحدِ الألواحِ.

نحوَ خمسينَ صِنفاً من النّملِ من كافّةِ أنحاءِ العالم كان مُدرَجاً عليهِ ومرسوماً بدقّة مُتناهية.

واصلَ مُجفّفُ الشّعرِ غناءهُ.

كان يوجدُ نملٌ أسودُ بشُعيرات بيضاءَ يشبهُ راكبي الدرّاجاتِ النّاريّةِ (Ropalothrix orbis)، نملٌ تنتصبُ قرونٌ على كاملِ صدرِهِ (Acromyrmex versicolor)، صنفٌ آخرُ مُزوّدٌ بخرطومٍ في نهايتهِ

ملقط (Orectognathus antennatus)، أو مع خِصلٍ طويلةٍ من الشُّعيرات التي كانت تمنحهُ هيئةَ هِبّي (Tingimyrmex mirabilis). أدهشَ المُفوّضَ وجودُ أشكالٍ للنملِ على هذا القدرِ من التنوّعِ.

لكنّهُ لم يكن بمهمّةِ عالم حشراتٍ. رأى باباً مُبرنقاً بالأسودِ، أرادَ فتحهُ. إلّا أنّهُ مغلقٌ بالمفتاحِ. سحبَ دبّوسَ شَعرٍ من جيبِه، وكان يهمُّ ليتلاعبَ بالقفلِ حينَ سكتَ صوتُ مُجفّفِ الشّعرِ فجأةً. فعادَ إلى مِقعدِه على عجلٍ.

التّصفيفةُ التي بحسبِ طِرازِ لويز بروكس تجهّزت وارتدت ليتيسيا ويلز فستاناً طويلاً من الحريرِ الأسودِ، مزموماً على الخصرِ. حاولَ ميليَس ألّا يطغَى عليهِ التأثّر.

– حضرتكِ تهتمّينَ بالنّملِ؟ سألَ بلهجةٍ مُتكلّفةٍ.

– قليلاً، قالت. أبي من كان يهتمُّ به على نحوٍ خاصّ. كان أخصائيّاً كبيراً في النّمل. أهداني هذه الألواحَ عندما بلغتُ العشرينَ من عُمري.

– أكان البروفيسُور إدمون ويلز أبوكِ؟

استغربت:

– أتعرفُهُ؟

– سمعتُ عنهُ. هو معرُوفٌ لدينا، في الشّرطة، على نحوٍ أخصّ بامتلاكهِ القبوَ الملعُونَ لشارعِ السيباريت. تتذكّرين حضرتكَ تلكَ القضيّةَ، ما يُقاربُ العِشرينَ شخصاً الذين اختفوا في قبوٍ لا قرارةَ لهُ؟

– بالطّبعِ! بين هؤلاء الأشخاصِ، كان ابنُ عمّتي وزوجتهُ وابنهُ، وجدّتي.

- قضيّةٌ غريبةٌ، أليسَ كذلك؟

- كيف جرى بالّا تحقّقَ، أنت الذي تُحبُّ الألغازَ إلى هذهِ الدّرجةِ، باختفاءِ جميعِ أولئكَ الأشخاص؟

- كنتُ أنجزُ عملاً آخر في ذلكِ الوقتِ. وكُلّفَ المُفوّض آلان بيلشيم بقضيّةِ القبو. و لم يكن محظوظاً بها. إذ أنّهُ كما الآخرين، لم يُعاودِ الصّعُودَ. ولكن أنتِ أيضاً تحبّينَ الألغازَ، أعتقدُ...

علَتْ وجهها ابتسامةٌ ساخرةٌ.

- أُحبُّ حلّها على الأخصّ، قالت.

- أتظنّينَ أنّكِ تستطيعينَ إيجادَ قاتلِ الإخوةِ سالتا وكارولين نوغار؟

- سأحاولُ، على أيّة حال. سيُسرُّ قرّائي بذلك.

- ألن تخبريني إلى أين وصلَت تحقيقاتُكِ؟

هزّت رأسَها.

- يُستحسَنُ أن يتبعَ كلّ منّا طريقهُ. على هذا النّحوِ لن نُعيقَ بعضنا.

أخذَ ميليَس عِلكةً من عُلبتهِ. دوماً يشعرُ بارتياحٍ أكبر حين يعلكُ. سألَ:

- ماذا يوجدُ وراءَ هذا البابِ الأسودِ؟

للحظةٍ فُوجِئت ليتيسيا ويلز أمامَ فظاظةِ هذا السّؤال. طَفَا إحراجٌ جرى مُداراتهِ على الفورِ.

أنهضَتْ كتفيها:

– مكتبي. لن أدعكَ تزورهُ. إنّهُ كفر ناحوم[27] حقيقيّ.

بعدها، أخرَجت سيجارةً ووضعتها في المَبْسِم وأشَعلتها بقدّاحةٍ على شكلِ غُرابٍ.

عادَ مِيليَس إلى انشغالاته:

– أنتِ تريدينَ الاحتفاظَ بسرّيةِ تحقيقكِ. أمّا أنا، رغم ذلك، أودُّ إخباركِ إلى أين وصلتُ في هذا الخصُوصِ.

نفخَت غيمةً صغيرةً من الدّخانِ اللؤلؤيّ.

– كما تُريد.

– لنُعيدَ ما جرى باختصارٍ. ضحايا قضيّتنا الأربعِ كانوا يعملونَ في CCG. قد نستطيعُ التوجّهَ نحو دوافعَ غامضةٍ مُتعلّقة بالغيرةِ المهنيّة. التّنافسُ شائعٌ في الشّركاتِ الكبيرة، والنّاسُ فيها تُمزّقُ بعضها بعضاً لأجلِ منصبٍ أو علاوةٍ، ويغلبُ الجشَعُ على العالَم العلميّ. واحتمالُ الكيميائيّ المُنافسِ منطقيّ، اعترفي بذلك. قد يكونَ سمّمَ زملاءهُ بسمّ ذي مفعولٍ بطيءٍ صاعقٍ. وهذا مُنسجِمٌ مع وجودِ القرَحاتِ في الجهازِ الهضميّ التي أظهرها التّشريحُ.

– ما زلتَ مُندَفعاً، حضرةَ المُفوّض. أنت مهووسٌ بفكرتكَ عن السُمّ وتنسى الخَوفَ دوماً. توتّرٌ –مُفرط يُمكنه أيضاً أن يتسبّبَ بالقرَحات، وضحايانا الأربعُ تعرّضوا لخوفٍ شديد. الخوفُ، حضرةَ المُفوّضِ، الخوفُ هو عقدةُ المُشكلة و لم نفهم بعد، لا أنتَ ولا أنا، ما هو الذي سبّبَ هذا الرّعبَ المُرتسِمَ علَى كلّ وجهٍ من وجوههم.

27- دلالة في هذا السياق على الفوضى. أمّا الأصل التاريخي فهي مدينة المسيح التي صنع فيها الكثير من المعجزات.

احتجّ مِيليَس:

- بالطّبعِ تساءلتُ عن هذا الرّعبِ وعن كلّ ما يُمكن أن يُخيفَ النّاسَ!

نفثَتْ غيمةً جديدةً من الدّخانِ.

- وما الذي يُخيفكَ أنتَ، حضرةَ المُفوّضِ؟

بُوغِتَ إذ أنّه كان ينوي أن يسألها السّؤالَ ذاتهُ.

- الموضوعُ هو أنّه... همم...

- لا بدّ أنّ هناكَ ما يُخيفكَ أكثر من غيرِه، أليسَ كذلك؟

- أَقبلُ بالاعترافِ لك، ولكن بالمُقابلِ، ستُخبرينني، وبذاتِ الصّدقِ، ما الذي يُخيفكِ، أنتِ.

وقفت أمامهُ.

- أوافقُ.

تردّدَ ثمّ تلعثَمَ:

- إنّي... أخافُ... أخافُ الذّئابَ.

- الذّئابُ؟

انفجرت ضاحكةً وأخذت تُكرّرُ «الذّئابُ»، «الذّئابُ». نهضَت ثمّ سكبت لهُ كأساً طافحاً من الهيدروميل.

- لقد أخبرتُكِ الحقيقةَ، الدّورُ عليكِ الآن.

وقفت وراحت تنظرُ من النّافذةِ. بدَتْ كما لو أنّها تُميّز من بعيدٍ أشياءَ تعنيها.

- م... أنا، إنّي... أخافُ... أخافُ منكَ.

- يكفي سُخريّةً، لقد وعدتِ أن تصدُقي.

استدارت وأفلتت حلقةَ دُخانٍ جديدةً. كانت عيناها الأرجوانيّتان تبرُقانِ كنجمتينِ خلفَ الدّخانِ الفيروزيّ.

- لكنّي صادقَة. إنّي أخافكَ، وأخافُ من ورائكَ الإنسانيّةَ جمعاء. أخافُ الرّجالَ والنّساءَ والمُسنّينَ والمُسنّات، أخافُ الرُّضّعَ. نحنُ نتصرّفُ في كلّ الأرجاءِ كبرابرةٍ. أرى أجسادَنا مُفرِطةَ القُبحِ. لا جمالَ أيّ منّا يوازي جمالَ حبّارٍ أو بعوضَةٍ...

- إلى هذا الحدّ!

تغيّرَ شيءٌ ما في سلوكِ الشابّة. طغت نظرتُها عليها إلى الحدّ الذي بدت فيه ترزحُ تحتَ وطأةِ خللٍ بالتحكّم. ثمّةَ جنونٌ في هاتين العينين. كما لو أنّ شبحاً تملّكها فأسلَمت نفسَها، بعذوبةٍ، إلى سطوةِ هذيانِ جنونٍ شيطانيّ. انهارتِ السّدودُ، في كافّةِ الأرجاء. لم تعدْ ثمّةَ رقابةٌ. وقد نسيت أنّها كانت تتكلّمُ مع مُفوّضٍ من الشّرطَةِ لا تكادُ تعرفهُ.

- أرى أنّنا مُتبجّحُون، مُتعجرفُون، مزهُوّونَ بأنفسنا، فخُورُون أنّا بشَر. إنّي أخافُ الفلّاحين والقساوسةَ والجنودَ، أخافُ الأطباءَ وأخافُ المرضَى، أخافُ ممّن أرادوا بي أذيّةً وممّن أرادوا بي خيراً. نحنُ ندمّرُ كلّ ما نلمسهُ. نلوّثُ كلّ ما لا نستطيعُ تدميرهُ. لا شيءَ ينجو من قُدرتنا المُبهمةِ على التّدنيسِ. إنّي على يقينٍ من أنّ السّببَ وراءَ عدم نزولِ سكّانَ المريخِ، أنّهم يخافوننا؛ هم يخجلونَ، ويخافونَ أن نُعاملَهم كما نُعاملُ الحيوانَاتِ أو كما نُعاملُ بعضَنا. لستُ فخورةً بانتمائي للإنسانِ. إنّي أخافُ، أخافُ كثيراً نُظرائي.

- أنت تقصدينَ حقّاً ما تقولين؟

أنهضَت كتفيها.

– انظر إلى عددِ الأشخاصِ الذين قتلتهم الذِّئابُ وعددِ الذين قتلهم البشرُ. ألا تجدُ خوفي، كيف بوسعي القولُ، مُبرّراً أكثر من خوفكِ؟

– أنتِ تخافينَ من البشرِ؟ لكنّكِ بشر!

– أعرفُ ذلكَ جيّداً وبالمُناسبةِ أخافُ أحياناً... من نفسي.

أخذَ يتأمّلُ بدهشةٍ ملامحها التي وسمَها الكُرهُ فجأةً. وثمّ بغتةً، انفرجَت أساريرُها.

– أوه، دعنا نُفكّر بشيءٍ آخر! نحنُ، الاثنيْن، نحبُّ الألغازَ. مُصادفة مناسبة، أتت ساعةُ برنامجِ الألغازِ الوطنيّ. سأمنحُكَ المُبادرةَ الأكثر ودّاً في زمننا، مُشاهدةُ القليلِ عبر تلفزيوني.

– شكراً، قال.

لاعبةً بجهازِ التحكُّم أخذتْ تبحثُ عن «فخّ للتفكيرِ».

57. موسُوعة

صراعُ القوى: أُجريَ اختبارٌ على الجرذانِ. بهدفِ دراسةِ قُدرتها على السّباحةِ، قام الباحثُ ديديه ديزور من مخبرِ علم بيولوجيا السّلوك في جامعةِ نانسي، بوضعِ ستّةٍ منها داخلَ قفصٍ، والذي يُفضي مخرجهُ الوحيد إلى مسبحٍ عليها اجتيازهُ لتصلَ إلى معلَفِ الطّعام. سُرعان ما لوحظَ أنّ الجرذان السّتةَ لا تذهبُ معاً سابحةً لإحضارِ طعامها. إذ ظهرت أدوارٌ تقاسموها على هذا النّحو: سبّاحان مُستغَلّان، واثنان ليسا سبّاحين مُستغلّين، وسبّاح مُستقلّ والأخيرُ كبشُ محرقةٍ غيرُ سبّاحٍ. كان الاثنان المُستغَلّان يذهبانِ لإحضارِ الطّعامِ

سباحةً تحتَ الماءِ. وحين كانا يعودانِ إلى القفصِ كان المُستغلان يضربانهما ويُغرقان رأسيهما تحتَ الماءِ إلى أن يترُكا كنزيهما. وبعدَ أن يُطعمَا المُستغلّين يمكنُ عندئذ أن يسمَحَ المُستغَلّان لنفسيهما باستهلاكِ قطعتهما من اللَّحمِ. لم يكن المُستغلّين يسبَحان قطُّ، وإنّما يكتفيان بضربِ السبّاحين لتأمين طعامهما. المُستقلّ كان سبّاحاً صُلباً بما يكفي كيلا يخضَعَ للمُستغلّين. أمّا كبشُ المحرقة، أخيراً، فقد كانَ غيرَ قادرٍ على السّباحة وعاجزاً عن إخافة السبّاحينَ لذا كان يكتفي بالفُتات الذي يتساقطُ أثناء الشّجاراتِ. البناءُ عينُهُ -مُستغَلان، مُستغِلّان، مُستقلٌّ وكبشُ محرقةٍ -تكرّرَ في أقفاصِ الاختبارِ العشرين التي تعاقبت.

ولكي نفهمَ آليةَ تسلسُلِ المراتبِ هذه، وُضِعَ ستّة مُستغلّين معاً. فأخذت تتقاتلُ الليلَ بطوله. وعند الصّباحِ، كان اثنان منها قد كلّفا بالعملِ الشّاق، وأخذ واحد يسبحُ بمفرده، أمّا الأخير فكان عليه تحمّلُ كلّ شيء. أُعيدَ الاختبارُ ذاتُه مع جرذانٍ لها سلوك المُستغَلّ والخاضعِ. في فجرِ اليوم التالي، كان اثنان منها يلعبان دورَ الباشوات.

ولكنّ الذي يجعلُ المرءَ يفكّر حقّاً هو أنّه عندما فُتحت أدمغةُ الجرذان لدراسة عقولها، لوحظَ أنّ المُستغلّين هم الأكثرُ توتّراً. لا بدّ أنّها خافتْ بألّا تكونَ مُطَاعةً من المُستغَلّين.

إدمون ويلز،

موسُوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلّد الثاني.

58. في مكانٍ جافّ

الماءُ يُلامسُ ظهورَهنّ. الرّقم 103683 وزميلاتها يَحفرْنَ في

السّقف على نحوٍ مسعور. كانت الأجسادُ جميعها مُغطّاةً بالرّذاذ حين، مُعجزة! يَصِلن أخيراً إلى غرفةٍ جافّةٍ.

نَجَونَ.

بسرعةٍ يسدُدْنَ المخرجَ. هل سيحتملُ جدارُ الرّملِ الصّغيرِ؟ بلى، يلتفُّ السّيلُ عنهنّ ليصُبَّ في الممرّات الأكثر هشاشةً. ملتصقاتٍ ببعضهنّ داخلَ القاعةِ الصّغيرةِ، تشعرُ نمالُ المجموعةِ أنّها بحالٍ أفضل.

تُحصي المُتمرّداتُ أنفسهنّ: لم يبق سِوى خمسين منهنّ على قيدِ الحياةِ. حَفنةٌ من الرُّبُوبيّات تظلُّ تُتمتِمُ:

نحنُ لم نُطعِمِ الأصَابِعَ بما يكفي. لذا، شقُّوا السّماء.

في نشأةِ الكونِ النّمليّة، تتّخذُ الأرضُ شكلاً مكعّباً، وفوقهُ يرتفعُ سقفٌ من غيومٍ يُمسكُ «المُحيطَ العُلويَّ». كلّما زادَ وزنُ المُحيطِ العُلويّ، يتشقّقُ السّقفُ ويسيلُ ما يُسمّى المطَر.

تؤكّدُ الرُبوبيّاتُ، بحسبهنّ، أنّ تشقّقاتِ سقفِ الغيومِ هذه ناجمةٌ عن ضرَباتِ مخلبِ **الأصَابعِ**. مهما يكن، وفي انتظارِ الأيّامِ الأفضل، يتساعدنَ جميعاً على قدرِ ما يستطعن. منهنّ من يُقمنَ، الفمُ على الفمِ، بالتّطاعماتِ. وأخرياتُ يدلّكنَ بعضهنّ للمُحافظةِ على مخزونهنّ من الحرارةِ.

تضعُ الرّقم 103683 مجاسّها الفمويّة على الجدارِ، تُحسُّ بأنّ المدينةَ لا تزالُ ترتجُّ تحتَ وطأةِ الهجماتِ المائيّة.

تكفُّ بيل-أو-كان عن الحركة، مصابةً بالدّوارِ جرّاءَ هذا العدوّ المُتعدّدِ الأشكالِ والذي يُلقي قوائمهُ الشفّافةَ في أيّةِ فجوةٍ. اللائمةُ على

المطرِ، يفوقُ النّمالَ مرونةً وتكيّفاً وتواضُعاً. تشقّ جُنديّاتٌ ساذجاتٌ بضربات سيفِ الفكّ قطراتٍ تنزلقُ نحوها. قتلُ قطرةٍ واحدةٍ يعني مواجهةُ أربعٍ. وركلُ المطرِ يُمسكُ الرّجلَ ممرّغةً، وحينَ يُقذَفُ بالحمضِ يُصبحُ لاذعاً. وحين تدفعُ نملةً المطرَ يحتويها ويسجُنها.

لم تَعد ضحايا وُابلِ الأمطارِ تُحصَى.

جميعُ مسامِّ المدينةِ فاغرةٌ.

بيل-أو-كان تغرَقُ.

59. تلفزْيُون

ظهرَ الوجهُ المُرتبكُ للسيّدةِ راميريز على الشّاشةِ. منذُ أن بدأت تتخبّطُ في لغزِها الجديد، السّلسلةُ المشفّرةُ تلك، تضاعفت نسبةُ مُشاهدةِ البرنامج. هل ثمّةَ مُتعةٌ ساديّةٌ برؤيةِ شخصٍ لم يخطئ إلى الآن، وفجأةً يتردّدُ؟ أم أنّ الجمهورَ، لأنّه يتشبّهُ بهم، يُفضّلُ غالباً الخاسِرينَ على الرابحين؟

بمزاجِه الرّائقِ المُعتادِ، سألَ المُقدّم:

- إذاً، ماذا سيّدة راميريز؟ هل عثرتِ على الحلّ؟

- لا. ليسَ بعدُ.

- هيّا، ركّزي سيّدة راميريز! سِلسلَةُ أرقامنا بماذا تذكّركِ؟

توجّهتِ الكاميرا إلى اللّوحِ ثمّ إلى السيّدةِ راميريز التي كانت تشرحُ ساهمةً:

- كلّما نظرتُ إلى هذهِ السّلسِلةِ، ازددتُ إرباكاً. إنّها صعبةٌ، صعبةٌ

جداً. ومع ذلك ميّزتُ بعضَ الإيقاعاتِ... «الواحدُ»، وُضِعَ دوماً في النّهايةِ... حِزمةُ «الاثنين» في الوسط...

اقتربت من اللّوحِ المُدوّنةِ عليه الأرقامُ وعلّقت، كمُعلّمةِ مدرسة:

– بإمكاننا الظنُّ أنّها متواليّةٌ أُسيّة. لكنّه ليسَ كذلك تماماً. فكّرتُ بين حزمةِ «الواحد» وحزمة «الاثنان» وإذ بالرّقم «ثلاثة» الذي ظهرَ وبدأ بالانتشارِ هو أيضاً... ففكرتُ حينها أنّه ربّما، لا يوجدُ ترتيبٌ أبداً. نحنُ أمامَ عالَمٍ من الفوضَى، مع أرقامَ موضوعةٍ على نحوٍ عشوائيّ. رغم أنّ حدسيَ كامرأةٍ يوحي لي بأنّ الأمرَ ليس كذلكَ مُطلقاً، وبأنّهم لم يترتّبوا على هذا النّحوِ بمحضِ الصُّدفة.

– إذاً، بماذا يجعلُكِ هذا اللّوحُ تفكّرين، سيّدة راميريز؟

أشرَقَت السيّدةُ راميريز.

– سأجعلكَ تضحكُ، قالت.

انفجرتِ القاعةُ بالتّصفيقِ.

– دعوا السيّدةَ راميريز تفكّرُ، تدخّلَ المُقدّمُ. شيءٌ ما يدورُ في ذهنِها. ما هو هذا الشيءُ سيّدةَ راميريز؟

– بولادةِ الكون، قالت، بجبينٍ معقود. أُفكّرُ بولادةِ الكون. «واحد»، إنّها الشّرارةُ الإلهيّةُ التي تتوهّجُ ثمّ تنقسمُ. هل يُحتَمل أنّكَ اقترحتَ عليّ المُعادلةَ الرياضيّةَ التي تحكُمُ سيرَ الكونِ؟ ما بحثَ عنهُ أينشتاين طوالَ حياتِه دونَ جدوى؟ الهدَفُ الأسْمَى لجميعِ عُلماءِ الفيزياءِ في العالَم؟

لمرّةٍ اتّخذَ المُقدّمُ هيئةً غامِضةً مُنسَجمةً تماماً مع موضوعِ برنامجِه.

- من يعلمُ، سيّدة راميريز! «فخّ للـ...

- ... تفكيرِ!» صرخَ الجمهورُ بصوتٍ واحدٍ.

- ... للتفكيرِ»، أجل، لا يعرفُ الحدود. حسناً، سيّدة راميريز، جوابٌ أم جوكر؟

- جوكر، أنا بحاجةٍ إلى معلومةٍ إضافيّة.

- لوحٌ! طلبَ المُقدّمُ.

دوَّنَ التكديسَ المعروفَ:

1

11

21

1211

111221

312211

13112221

ثمّ، دونَ النّظرِ إلى ورقتهِ أيضاً، أضافَ:

1113213211

- أُذكّرُ بالجملِ المفتاحيّةِ. الأولى كانت: «كلّما ازداد ذكاؤنا قلّتْ

حُظوظنا في إيجادِ الحَلّ» وكانت الثانية: «يجبُ إزالـةُ العِلم الذي نعرفهُ.» وسأمنحُ عبارةً ثالثةً إلى براعتكِ: «هذا اللّغزُ مثل الكونِ يستَقي زخَمهُ من البساطَةِ المُطلقة.»

تصفيق.

– هل بوسعي إسداءُ نصيحةٍ إليكِ، سيّدة راميريز؟ سألَ المُقدّمُ، وقد علَتهُ البهجةُ مُجدّداً.

– بكلِّ سرورٍ، قالت المُتسابقةُ.

– أظنُّ، سيّدة راميريز، أنّكِ لستِ بالبساطَةِ الكافية، لستِ بالغباءِ الكافي، بالخُلاصةِ لستِ فارغةً بما يكفي. ذكـاؤكِ يُعيقُكِ. قومي بالتّراجعِ إلى الوراء في خلاياكِ، عودي واعثري على تلكَ الفتاة الصّغيرةِ السّاذجةِ التي لا تزالُ في داخلكِ. أمّا بالنّسبةِ للمُشاهداتِ والمُشاهدينَ الأعزاء، أقولُ لهم موعدنا غداً، إذا أحببتم!

أطفأَت ليتيسيا ويلز الجهازَ.

– هذا البرنامجُ يصبِحُ أكثرَ تسليةً، قالت.

– هل وجدتِ حلَّ اللّغزِ؟

– لا، وأنتَ؟

– ولا أنا. إنّنا ذكيّان جدّاً، إذا كانَ رأيي يهمُّكِ. لا بدّ أنّ هذا المُقدّمَ على حقّ.

حانت ساعةُ المُغادرةِ لِميليَس. وضعَ القواريرَ في جيوبهِ الواسعةِ.

عندَ عتبةِ البابِ، سألَ مُجدّداً:

– لماذا لا نتعاونُ بدلاً من التعبِ كلّاً بمفردهِ؟

- لأنّني مُعتادةٌ على العملِ بمُفردي، ولأنّ الشّرطةَ والصّحافةَ لا تتّفقانِ معاً.

- ألا يوجدُ استثناءٌ؟

هزّت شعرَها القصيرَ الأبنوسيَّ.

- ما من استثناء. هيّا، حضرة المُفوّضِ، وليربحِ الأمهرُ بيننا!

- بما أنّ هذا ما تُريدينَهُ، فليربحِ الأمهرُ!

غابَ في بئرِ الدّرجِ.

60. انطلاقُ الحَملةِ

المطَرُ، مُنهَكُ القِوى، يتراجعُ. ينسحبُ عن كافّة الجبهاتِ. إذ ثمّةَ مُفترِسٌ لهُ أيضاً. اسمهُ الشّمسُ. الحليفَةُ القديمَةُ للحضارةِ النّمليّة تأخّرت ولكن مع ذلك وصلَت قبلَ فواتِ الأوان. سُرعان ما أعادت لأمَ جُروحِ السّماءِ الفاغرةِ. وتوقّفَ المُحيطُ العُلويّ عن التّسريبِ.

البيلوكانيّات اللّواتي نَجونَ من الكارثة يأخذنَ بالخروجِ ليجفّفنَ أنفسَهنّ ويتدفّأن. المطرُ، مثل سُباتٍ إذ يحلُّ البللُ مكانَ البردِ. غير أنّهُ أسوأُ فالبردُ ينوّمُ، بينما البللُ يقتُلُ!

يجري في الخارجِ تهنِئةُ النّجمِ المُنتصِرِ. ويشرَعُ البعضُ بغناءِ أنشودةِ المجدِ القديمةِ:

أدخلي أيّتها الشّمسُ إلى هياكلنا المجوّفة

حرّكي عضلاتنا المُتوجّعة

ووحّدي شَتات أفكارِنا المتفرّقة.

في أنحاءِ المدينةِ كافّةً يُعادُ ترديدُ هذه الأغنيةِ الشميّة. مُنيَتْ بيل-أو-كان بخسارةٍ فادحَة. القليلُ المُتبقّي من القُبّة مُثقّبٌ بآثارِ البَرَد عليه، يتقيّأُ رشقاتٍ صغيرةً من الماءِ الصّافي مُختلطاً بخثراتٍ سُودْ: جُثثُ الغرقى.

الأخبارُ التي تصلُ من المُدن الأخرى لا تُنبئُ عن حالٍ أفضلَ. أكانَ يكفي إذاً وابلٌ شديدٌ من المَطرِ ليسحقَ الفيدراليّةَ المُتكبّرةَ لنِمالِ الغابةِ الصّهباء؟ وزخٌّ خفيفٌ من المطرِ ليقضيَ على إمبراطوريّة؟

دمارُ القُبّةِ يكشفُ القاعَةَ الشمسيّةَ حيثُ الشّرانقُ ما عادت سوى حُبَيباتٍ ممرّغةٍ في حَساءٍ من الطيّن. كَمْ مربيّةٍ لاقتْ حتفها وهي تحاولُ حمايةَ الأفراخِ بين أرجُلها! بعضهنّ تمكّنَ من إنقاذِ بضعةِ أفراخٍ برفعهم بالأرجلِ فوقَ رؤوسهنّ.

النّاجياتُ النّادراتُ، بين النّمالِ البوّابات، ينزعنَ أنفسهنّ عن مداخلِ المدينةِ المُحرّمة. ويتأمّلنَ، واجمات، ما ألحقتهُ الكارثةُ من دمارٍ. شلي-بو-ني ذاتها في ذهولٍ من حجمِ الخَسائرِ.

ما هو البناءُ المتينُ الذي يمكنُ تشييدهُ في ظروف كهذه؟ ما فائدةُ الذّكاءِ إذا كان قليلٌ من الماءِ يكفي لإعادةِ العالمِ إلى أيّامِ الحضارةِ النّمليّة الأولى؟

تغادرُ الرّقم 103683 والمُتمرّداتُ مأواهنّ أيضاً. سُرعانَ ما تمضي الجُنديّةُ إلى ملكتِها.

بعد الذي حدث، سيتوجّبُ علينا التخلّي عن حملتنا ضدّ الأصَابِع.

تتجمّدُ شلي-بو-ني في مكانِها، آخذةً بتقديرِ الفيرومونِ. ثمّ تُحرّكَ

قرنيها بهدوءٍ، مُجيبةً بالنّفي، الحَملةُ في عداد المشاريع الأكثر أولويّةً وما من شيءٍ سيدفعُ إلى إعادةِ النّظرِ بها. وتُضيفُ بأنّ قوّاتِ النُّخبَة، الذين يأوونَ داخلَ أرومةِ المدينةِ المُحرّمةِ، سالمونَ وجِعْلانُ وحيدِ القرنِ كذلك وضِعوا كقوّةِ احتياطٍ.

علينا قتلُ الأصَابعِ، وهذا ما سنفعَلهُ.

غيرَ أنّ حجمَ الفِرقِ سيختلفُ: عوضاً عن ثمانين ألف جنديّة، لن يكون لدى الرّقم 103683 أكثر من... ثلاثة آلاف فقط. عددٌ مُخفّضٌ، بلا ريبٍ، إلّا أنهنّ جميعاً من ذواتِ الخبرةِ والحنكة. وأيضاً بدلاً من أربعةِ أسرابٍ جويّةٍ من الخنافسِ الطّائرةِ والتي اتّفقَ عليها في البدايةِ، لم يبقَ سِوى واحدٍ، قوامُهُ ثلاثون وحدَةً وهذا أفضلُ من لا شيء.

تُوافقُ الرّقم 103683 وتُرجِعُ قرنيها إلى الخلفِ بإيماءةِ رضا. إلّا أنّ هذا لم يمنعها من البقاءِ على تشاؤمِها إزاءَ المصيرِ الذي ينتظرُ الحَملةَ الاستكشافيّةَ الضّعيفَةَ.

على هذه المُوافقة، تتركها شلي-بو-ني وتنسحبُ مُتابعةً التفقّدَ. لقد صمدَتْ بعضُ السّدود ممّا سمحَ بإنقاذِ أحياءَ بأكملها. لكنّ الخسائرَ فادحةٌ وعلى الخصوصِ الشّرانقُ والجيلُ اللاحقُ الذين تعرّضوا للإبادة. تقرّرُ شلي-بو-ني زيادةَ وتيرةِ البيضِ. لإعادة تأهيلِ المدينة بأسرع وقت. فهي لاتزالُ تحتفظ بملايينِ الحيواناتِ المنويّةِ الطّازجةِ داخلَ مكتبتها من النُّطفِ.

وبما أنّهُ يتوجّبُ البيضُ، فسوفَ تبيضُ.

في كافّةِ أرجاءِ بيل-أو-كان، ثمّةَ من يُصلِحُ، يُطعِمُ، يُعالِجُ، يُقيّمُ حجمَ الأضرارِ، وثمّةَ من يبحثُ عن حلولٍ.

ليسَ بهذا اليُسرِ تعترِفُ النّمالُ بالهزيمةِ.

61. عُصارَةُ الصّخرِ

كان البروفيسُور مكسيميليان مكاريوس يتفحّصُ محتوى الأنبوبةِ في غُرفةٍ بنُزُلِ بيلفو. المادّةُ التي سلّمتها لهُ كارولين نوغار، قد تحوّلت إلى سائلٍ أسودَ شبيهٍ بعُصارةِ الصّخرِ.

رنَّ الجرسُ. كان الزّائران مُنتَظرين. زوجٌ من العُلماءِ الأثيوبيّين، جيل وسوزان أودرجين.

– أكلُّ شيء على ما يُرام؟ سألَ الرّجلُ على الفورِ.

– كلُّ شيء يسيرُ على نحوٍ ممتاز وفقَ الخطّةِ الموضُوعةِ، أجابَ البروفيسُور مكاريوس بهدوءٍ.

– هل أنتَ متأكّدٌ من ذلك؟ لا أحدَ يجيبُ على تلفونِ الإخوةِ سالتا.

– حسناً! لا بدّ أنّهم ذهبوا في إجازةٍ.

– كارولين نوغار لا تجيبُ أيضاً.

– من كثرةِ ما أرهَقوا أنفسهم جميعاً في العملِ! كان من الطّبيعيّ أن يأخذوا الآنَ قِسطاً من الرّاحة.

– قِسطاً من الرّاحةِ؟ سخرَتْ سوزان أودرجين.

فتحت حقيبةَ يدها وأخذت تلوّحُ ببعضِ القُصاصاتِ من الصّحافةِ تتحدّثُ عن موتِ الإخوةِ سالتا وكارولين نوغار.

– أنتَ لا تقرأُ الصّحفَ مطلقاً بروفيسور مكاريوس؟ لقد أطلقتِ المجلّاتُ على هذه القضايا «قصّةُ الصّيفِ التشويقيّةُ!» وهذا ما تُسميهِ حضرتكَ وفقَ الخُطّةِ الموضُوعةِ؟

لم يبدُ على البروفيسُورِ الأصهبِ أيُّ ارتباكٍ إثرَ هذه الأخبار.

- ماذا تريدان؟ لا يمكنُ إعدادُ العُجّة دونَ كسرِ بيوضٍ.

بدا قلقُ الأثيوبيّينِ أكثرَ وضوحاً.

- لنأمل فقط بأن تجْهزَ «العُجّةُ» قبل أن تُكسَرَ البيوضُ جميعها!

ابتسمَ مكاريوس. وأشارَ لهما إلى الأنبوبةِ على المفرشِ.

- ها هي، «عُجّتُنا».

نظرا معاً بإعجابٍ إلى السّائلِ الأسودِ بانعكاساته الزّرقاء الخفيفة. وضعَ البروفيسور أودرجين باحتراسٍ مُفرطٍ الزّجاجةَ في جيبِ سُترتهِ الدّاخليّة.

- إنّي لا أعرفُ ما الذي يحدثُ، مكاريوس، ولكن مع ذلك تَوخَّ الحذر.

- لا تقلقا. كلبايَ السّلوقيانِ يحميانِي.

- كلباكَ السّلوقيان! تعجّبتِ الزّوجةُ. حتّى إنّهما لم ينبحا عندَ قدومنا. يا لَهما من سَيربيْروسين[28]!

- الأمرُ أنّهما ليسا هنا هذا المساء. احتفظَ بهما البيطريُّ لإجراءِ فُحُوصاتٍ. لكنّهما سيكونانِ هنا في الغدِ لحراسَتي، حارساي المُخلصان.

انسحبَ الأثيوبيان. والبروفيسُور مكاريوس، منهكاً، مضَى للنومِ.

62. المُتمرّداتُ

المتمرّداتُ الناجياتُ مُجتَمعاتٍ تحتَ أزهارِ شجرةِ فريز، في إحدى

28- كلب بثلاثة رؤوس يحرس بوّابة العالم السفلي في الميثولوجيا اليونانيّة والرومانيّة.

ضواحي بيل-أو-كان. عِطرُها المُتفكّكُ سيشوّشُ المُحادثاتِ تحسُّباً لمرورِ قرنٍ فضوليّ يتسكّعُ في هذا المكان. تنضمُّ الرّقم 103683 إلى المجموعةِ. وتُبادرهنّ بالسّؤالِ عمّا ينوينَ فعلهُ الآن، بعدما تقلّصَتِ المجموعةُ إلى هذا الحدّ.

عميدتُهنّ، غيرُ الرّبُوبيّة، تُجيبُ:

نحنُ قليلاتٌ، لكنّنا لا نريدُ تركَ ***الأصَابعِ*** *تموت. نحنُ لا زلنا نعملُ بجهدٍ أكبر لنُطعمَهم.*

ترتفعُ القرونُ واحداً تلو الآخرِ تعبيراً عن المُوافقةِ. الطّوفانُ لم ينل من ثباتِ عزيمتهنّ.

تلتفتُ إحدى الرُّبُوبيّاتُ إلى الرّقم 103683 وتشيرُ لها نحوَ شرنقةِ الفراشةِ:

ينبغي أن ترحلي أنتِ. لهذهِ الغاية. اذهبي إلى نهايةِ العالمِ مع هذهِ الحَملة. ينبغي ذلكَ من أجلِ مهمّةِ عُطارِد.

حاولي إحضارَ زوجٍ من ***الأصَابعِ***، طلبت مُتمرّدةٌ أخرى، *سنعتني بهم ونرى إذا كانَ بوسعِهم التّكاثرُ في الأسرِ.*

الرّقم 24 أصغرُ أفـرادِ المجموعةِ، تطلبُ الـذّهـابَ مع الرّقم 103683. تريدُ رؤيةَ **الأصَابعِ**، شمّهم، لمسَهم. الدّكتور ليفينغستون لا يكفيها. هو ليسَ أكثر من مُترجم. تتمنّى التّلامسَ المباشرَ مع الآلهة، حتّى لو كلّفها ذلكَ أن تشهدَ تدميرَهم. تُصرُّ، يمكنها أن تكونَ مفيدةً للرقم 103683، مثلاً بتكليفها بالشّرنقةِ أثناءَ المعاركِ.

تستَغربُ باقي المُتمرّداتُ هذا التّرشيحَ.

لماذا، ما الذي يُميّزُ هذه النّملةَ؟ سألت الرّقم 103683.

الفتيّةُ عديمةُ الجنسِ، لا تتركُ لهنّ فرصةَ الإجابةِ وتصرُّ على مُرافقةِ الجُنديّةِ في أُوديسّتها الجديدةِ.

تقبلُ الرّقم 103683 هذه المُساعدةَ دونَ أن تُضيفَ أسئلةً أخرى. تَشعرُ بأُلفةٍ شَمّيةٍ تُنبئها بأنّهُ ما من سوءٍ جدّيٍّ لدى هذه النّملة ذات الرّقم 24. وستكونُ لديها الفُرصَة لتكتشفَ أثناءَ الرّحلةِ ذلكَ «العيب» الذي يجعلُ صديقاتها يهزأْنَ بها.

ولكن ها هي مُتمرّدةٌ أخرى تطلبُ بأن تكونَ جزءاً من الرّحلةِ أيضاً. إنّها الأختُ الكُبرى للرقَم 24: الرّقم 23.

الرّقم 103683 تشتمُّها وتوافقُ مُجدّداً. هاتان المُتطوّعتانِ ستكونان لها حليفَتين مُرحّباً بهما.

ستنطلقُ الحَملةُ غداً صباحاً، مع أوّلِ بزوغِ الشّمسِ. وليس على الأختينِ إلّا انتظارُها في هذا المكان.

63. حياةُ مكاريوس وموته

كان البروفيسُور مكسيميليان مكاريوس متيقّناً من ذلك، إنّه سمِعَ صوتاً بالفعلِ، هناكَ، عند أسفلِ سريرهِ. شيءٍ ما سرقهُ من نومهِ وهو الآن باقٍ هناك، مُتجمّداً، مشدودَ الأعصابِ. في النّهايةِ أضاءَ مصباحَ سريرهِ وقرّرَ النّهوضَ. بلا ريبٍ، الغطاءُ كان يهتزُّ باهتزازاتٍ خفيفةٍ جدّاً.

لا يُعقلُ أن يُسلِمَ عالمٌ في مكانته نفسهُ للتخويفِ. زاحفاً على أربَعةِ أرجُلٍ، بادِئاً بالرأسِ، عاودَ الغوصَ تحتَ الشّراشفِ. ابتسمَ في البدايةِ،

نصفَ هازئ، ثمّ مُثاراً بنصفِ فضولٍ، وهو يكتَشفُ ما سبّبَ تلكَ الحركاتِ. لكنّ ذاك حينَ انقضّ عليه، وهو عالقٌ داخلَ كهفِ أغطيتهِ، لم يتسنَّ لهُ حتّى حمايةَ وجههِ.

لو وُجِدَ شَخصٌ في غرفتهِ عندَ تلك اللّحظةِ، لرأى واجهةَ السّريرِ تضجُّ نشاطاً كما في ليلةِ حُبّ.

إلّا أنّها لم تكن ليلةَ حُبّ. بل كانت ليلةَ موت.

64. موسُوعة

انتقال: *حين ضمّ الصّينيونَ منطقةَ التّيبت إليهم، أسكنوا فيها عوائلَ صينيّةً لكي يُثبتوا بأنّ هذا البلدَ كان مسكوناً بالصّينيّين أيضاً. غير أنّ الضّغطَ الجويّ في التيبت يَصعُب تحمّلهُ. ممّا أدّى إلى دُوَارات وأوْذام عند غيرِ المُعتادين عليه. وتبينَ، لا نعلَم بأيّ غموضٍ فيزيولوجي، أنّ النّساءَ الصينيّات عاجزاتٌ عن الولادةِ هناك بينما النّساءُ التيبتيّات كنّ يلدنَ في القرى الأكثر ارتفاعاً دون مُشكلةٍ. جرى كلُّ شيءٍ كما لو أنّ الأرضَ التيبتيّةَ كانت تنبذُ المحتلّينَ غيرَ الصّالحينَ عضويّاً للعيشِ عليها.*

إدمون ويلز،

موسُوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلد الثاني.

65. المسِيرَةُ الطّويلةُ

تبدأ الجنديّاتُ مع بزوغ الفجرِ تدليكَ أنفسِهنّ بجوارِ ما كان البوّابةَ الشرقيّةَ 2، قبلَ أن يؤولَ بهَا الحالُ إلى رُكامِ عيدانٍ مُهدّمةٍ ورطبة.

اللّواتي يشعرنَ بالبرد يقمنَ بتمارينَ خفيفة كمطّ الأرجُلِ لتليينِها وتدفئتِها. أخرياتٌ يشحذْنَ فكوكهنّ أو يتمثّلنَ وضعيّاتِ خدعٍ قتاليّة.

الشّمسُ تُشرقُ أخيراً على الجيش الآخذ بالتضخُّم، جاعلةً الدّروعَ تتلألأُ. تتصاعدُ الحماسةُ. يُدركنَ جميعاً بأنهنّ يشهدنَ لحظةً هائلةً.

تظهرُ الرّقم 103683. الكثيراتُ يتعرّفنَ عليها ويبادرنَ إلى تحيّتِها. تحيطُ الأختانِ المُتمرّدتانِ بالجُنديّة. الرّقم 24 تحمِلُ شرنقةَ الفراشةِ، التي تتراءى خَللها هيئةٌ داكنةٌ على نحوٍ مُبهمٍ.

ما هذه الشّرنقةُ؟ سألت مُحاربةٌ.

طعَامٌ، طعَامٌ فَحسب.

تصِلُ جعْلانُ وحيدِ القرنِ بدورها. حتّى لو أنّ عددهم لم يعد أكثرَ من ثلاثين، إلّا أنّ وجُودَهم مُؤثّر! يجري التّدافُع ليتأمّلنَهم عن قُربٍ أكثر. يرغبنَ برؤيتهم يُقلعون لكنّهم يشرحونَ بأنّهم لن يُقلِعوا إلّا في حالةِ الضّرورةِ القُصْوى. أمّا الآن فسيسيرونَ كما الجميع.

يُحصينَ بعضهنّ بعضاً، يُشجّعنَ، يُهنّئنَ، يتطاعمنَ. يُوزّعُ العُسيلُ مع قطعِ أرْجُلِ أرْقاتٍ غرقت واستُعيدت من الأنقاضِ. لا شيء يُهدَرُ عندَ النّمالِ. تؤكلُ البيوضُ أيضاً والحوريّاتُ الميّتةُ. تدورُ قِطعُ اللّحمِ المُبتلّة كإسفنجة على الأرتالِ، تُعصَرُ ثمّ تُلتهَمُ بنهم.

لا يكادُ حَساءُ هذا اللّحم البارد يُبتلَعُ، حتّى تنبثقَ إشارةٌ لا نعلمُ من أين تُطالبُ الحشدَ بالانتظامِ داخلَ أرتالِ المسيرِ. الحَملةُ على **الأصَابِعِ** إلى الأمام!

إنّهُ الانطلاقُ.

تتحرّكُ النّمالُ على شكلِ موكبٍ طويلٍ. تُطلقُ بيل-أو-كان

ذراعها المُسلّحَ صوبَ الشّرقِ. تشعُّ الشّمسُ بحرارةٍ لطيفةٍ. وتتعالى بين الجُنديّاتِ أنشودةٌ شميّةٌ قديمةٌ:

أدخلي أيتها الشّمسُ إلى هياكلنا المجوّفةِ،

حرّكي عضلاتنا المتوجّعة

ووحّدي شَتاتَ أفكارِنا المُتفرّقةِ.

يتوالى الغناءُ، في الأرجاء:

نحنُ جميعاً غبارُ الشّمس.

لِتحلّق في أذهاننا فقاعاتُ الضّوءِ

كما ستصبحُ يوماً أذهانُنا فقاعاتِ ضوءٍ.

نحنُ كلُّنا دفءٌ

نحنُ جميعاً غبارُ الشّمسِ

وللأرضِ أن تُرشدَنا السّبيلَ الذي سنتبَعهُ!

سنذرع شتّى نواحيه إلى أن نلقَى أنفسَنا في موطِئٍ لا نرومُ بعدهُ المزيدَ.

نحنُ جميعاً غُبارُ الشّمسِ.

لا تعرفُ نِمالُ البونيرين المُرتزقةُ فيرومُونات الكلام. لذا يصحَبْنَ الغناءَ بصرخاتٍ حادّةٍ من أقصى سويقاتِهنّ. لَكي يُنتجن موسيقاهنّ جيّداً، ينقلنَ الرأسَ الكيتينيّ لصدورهنّ إلى الشّريطةِ المُخطّطةِ في

أسفلِ حلقاتِ بطونهنَّ. على هذا النّحوِ يئنّ صوتاً يوحِي بصُراخاتِ الجداجدِ، ولكن بطريقةٍ أجفَّ وأقلَّ ترديداً.

بعد أن تخبو أناشيدُ الحربِ، تصمتُ النّمالُ ويُواصلنَ المسيرَ. إنْ كانتِ الخطواتُ فوضويّةً، فإنّ لخفقِ القلبِ ذاتَ الإيقاعِ لدى الجميع.

كلُّ واحدةٍ منهنّ تفكّرُ بالأصَابع وبالملاحِم المُرعبةِ التي سمعتها عن هذهِ الوحوش. ولكنّ اجتماعهنّ كقطيعٍ علَى هذا النّحوِ يُشعرهُنَّ بالقُدرةِ الكليّةِ ويدفعهنَ للتقدّم مُبتهجاتٍ. حتّى الرّياحُ، لمّا ارتفعت كأنّها قرّرت تعجيلَ الحَملةِ الكبيرةِ وتيسيرَ المهمّةِ عليهنّ.

الرّقم 103683 على رأسِ الموكبِ، تشتمُّ الأعشابَ والأغصانَ التي تعبرُ فوقَ قرنيها.

لاتزالُ الرّائحةُ ذاتها هنا تعبقُ في الأرجاء، تفرُّ الحيواناتُ الصّغيرةُ مذعورةً، تحاولُ الأزهارُ ذاتُ الألوانِ المُختلفة الإغواءَ بأريجها المُسكرِ، لا بدّ أنّ الجذوعَ الدّاكنةَ تنطوي على فرقِ كوماندوس عدوّة، والسّراخسُ النسريّةُ تكتظّ بحشراتِ النّارِ...

أجل، كلّ شيءٍ هنا. كما في المرّةِ الأولى. كلّ شيءٍ في هذا المكان، عابقٌ بهذا العبيرِ الفَريد: رائحةُ المُغامرةِ الكبيرةِ التي تبتدِئُ من جديد!

66. موسُوعة

قانونُ باركنسون: يقضي قانونُ باركنسون (لا توجدُ له آية علاقة مع المرضِ الذي يحملُ الاسم ذاته) بأنّه كلّما كُبرت الشّركةُ، استوظفت عناصرَ رديئةَ الموهبة. تتقاضى رغمَ ذلك رواتبَ باهظة. لماذا؟ ببساطة لأنّ الكوادرَ التي في المكانِ تخشى وصُولَ مُنافسين مُحتملينَ. الطّريقةُ المُثلى كيلا يجلُبَ

المرءُ لنفسه منافسينَ خطرين هي توظيفُ عناصرَ غيرَ مؤهّلة. والطّريقةُ الأفضلُ لإلغاء آيّة ثيّة للمشاكلِ في داخلهم هو أن تدفعَ لهم أجراً مُرتفعاً. بهذه الطّريقة تجدُ الطّبقاتُ الحاكمةُ نفسها آمنةً لحصولِها على راحةِ البالِ الدّائمة.

إدمون ويلز،

موسُوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلد الثاني.

67. جريمَةٌ جديدةٌ

– البروفيسور مكسيميليان مكاريوس كان شخصيّةً لامعةً في جامعةِ أركنساس للكيمياء. وهو في زيارةٍ إلى فرنسا، وقد نزلَ في هذا الفندقِ منذُ أسبوعٍ، أعلنَ المُفتّش كايوزاك مُستعيناً بملفّ لديهِ.

ذرعَ جاك مِيليَس الغرفةَ وهو يدوّنُ مُلاحظاتٍ.

مدّ أحدُ رجالِ شرطةِ الحِراسَةِ رأسهُ من شقّ البابِ:

– صَحفيّةٌ من *إيكو دو ديمانش* تودُّ مُقابلتكَ، حضرةَ المُفوّضِ. أنسمحُ لها بالدّخولِ؟

– أجل.

ظهرت ليتيسيا ويلز، لا تزالُ على ذاكَ القدرِ من التألُّق داخلَ إحدى بِدلِها من الحريرِ الأسودِ.

– مرحباً، حضرةَ المُفوّضِ.

– مرحباً، آنسة ويلز! أيُّ ريح طيبةٍ حملتكِ إلينا؟ كُنتُ أعتقدُ أنّ على كلّ منّا العملُ بمفردهِ ليفوزَ الأمهرُ.

– لا يمنعُ ذلكَ من لقائِنا مكانَ اللّغزِ. بعدَ كلّ حسابٍ، عندما

نُشاهِدُ «فخّ للتفكيرِ»، يحلّلُ كلّ منّا بطريقتهِ المُشكلةَ عينَها... حسناً أجريتَ تحليلاً لقواريرِ CCG؟

- بلى. بحسبِ المخبرِ يمكنُ أن يكونَ سُمّاً. ثمّةَ في داخلِ القواريرِ الكثيرُ من الموادّ التي نسيتُ اسمها. وجميعها سميّة أكثرُ من بعضِها. قالوا: ما يسمحُ بصناعة معظمِ أنواعِ المُبيداتِ الحشريّةِ.

- حسناً، حضرةَ المُفوّضِ، أصبحتَ تعلمُ عن الموضوعِ بقدري. وتشريحُ كارولين نوغار؟

- سكتةٌ قلبيّة. نزيفٌ داخلي متعدّد. اللازمةُ ذاتها التي تتكرّرُ على الدّوامِ.

- همم... وهذا الذي هنا؟ يا للفظاعةِ!

العالِمُ الأصهبُ كان متمدّداً على بطنهِ ورأسهُ متّجهٌ ناحيةَ الزوّارِ كدعوةٍ لإشهادهم مذهولةً ومذعورةً. العينان جاحظتان، والفمُ مُتَقيّئٌ لا يُعرَفُ أيّةُ مُخاطيّات مُقرفة قد لوّثَت اللّحيةَ العريضةَ، والأذنان لا تزالانِ تنزفان... وثمّةَ خصلةٌ غريبةٌ بيضاءُ، والتي ينبغي التأكّد إذا كانت لدى الرّجلِ قبلَ موتهِ، نازلةً على جبينهِ. دوّن ميليَس أيضاً أنّ اليدين كانتا متصلّبتين على البطنِ.

- هل تعلمينَ من هو؟ سألَ.

- ضحيتنا الجديدةُ هي، أو بالأحرى كانت البروفيسُور مكسيميليان مكاريوس، اختصاصيٌّ عالميّ في صناعةِ مُبيداتِ الحشَراتِ.

- بالفعلِ، أخصائيٌّ في مُبيداتِ الحشَراتِ... من لديهِ مصلحةٌ بقتلِ مُبتكرينَ لامعينَ للمبيداتِ الحشريّةِ؟

سويّةً، نظرا إلى الجسَدِ المُشمئزّ للكيميائيّ المشهورِ.

- جمعيّةٌ لحمايةِ الطّبيعة؟ اقترحت ليتيسيا.

- بلى، ولِمَ لا تكونُ حشَرات؟ قهقه ميلِيَس.

هزّت ليتيسيا غرّتها البنيّةَ.

- ولَمَ لا، بالفعلِ، لكنّ الصّحفَ لا يقرؤُها سِوى البشر!

ومدّت له قُصاصةَ صحيفةٍ تعلنُ عن وصولِ البروفيسُور مكسيميليان مكاريوس إلى باريس لحضورِ مؤتمرٍ عن مشاكلِ اجتياحِ الحشَرات لبعضِ مناطقِ العالم. وكان قد أشارَ فيه أنّهُ سيقيمُ في نُزُل بيلفو.

قرأ جاك ميلِيَس المقالَ وسلّمهُ إلى كايوزاك، الذي ضمّهُ إلى ملفّه. ثمّ أخذَ يفتّشُ الغرفةَ بدقّة مُتناهية. كانَ يُصِرُّ، متحفّزاً في حضورِ ليتيسيا، على إظهارِ احترافه العالي. هنا أيضاً، لا أسلحةَ، لا أثرَ لاعتداء، لا بصماتٍ على الزّجاجِ، لا جروحَ ظاهرةً. كما كانت حالةُ الإخوةِ سالتا، وحالةُ كارولين نوغار: لا يوجدُ أدنى دليل.

وهنا أيضاً، أوّلُ دُفعةٍ من الذّبابِ لم تأتِ. فإذاً بقي القاتلُ في مكانِ الجريمةِ خمسَ دقائقَ تلتَ الموت، كما لو أنّهُ أرادَ أن يحرسَ الجثّةَ أو ينظّفَ الغرفةَ من أيّ دليلٍ يدينهُ.

- هل عثرتم على شيء؟ سألَ كايوزاك.

- خافَ الذُّبابُ مجدّداً.

بدت الخيبةُ على وجهِ المُفتّش. سألت ليتيسيا:

- ذُباب؟ ما علاقةُ الذُّبابِ بهذهِ القضيّة؟

دونَ أن يتضايقَ من إظهارِ نُقطةِ تفوّقٍ، كرّر لها المُفوّض حديثهُ القصيرَ عن الذّبابِ:

- فكرةُ الاستعانة بالذُّبابِ لحلّ القضايا الجنائيّة تعودُ للبروفيسُور بروارِيل. في سنة 1890، عُثِرَ على جنينٍ شديد الجفاف عالقاً في قناة مدخنة باريسيّة. وكان قد تعاقبَ على المنزلِ، خلال بضعة أشهرٍ، عددٌ من المُستأجرين: فأيّ منهم كان قد حشرَ الجثّةَ الصّغيرة؟ تمكّن بروارِيل من حلِّ اللّغزِ. إذ سحبَ بيوضَ الذّبابِ من فم الضّحيّة، وضبطَ الوقتَ بناءً على مرحلة نُضجها وبهذه الطّريقة استطاعَ أن يُحدّدَ الأسبوعَ تقريباً الذي وضِعَ خلالهُ الجنينُ في المدخنة. وقد تمكنوا من إيقاف المُتّهمينَ.

تكشيرةُ الاشمئزازِ التي لم تتمكّن الصّحفيةُ الحسناءُ من إخفائِها شجّعت ميليَس على المُتابَعة بذاتِ الإلهامِ:

- أنا شخصيّاً، تمكّنتُ بفضلِ هذا الأسلوبِ من اكتشاف جريمة قتلِ أستاذٍ داخلَ مدرسته، وكان في الحقيقة مقتولاً في الغابة قبلَ أن يُنقلَ إلى قاعة صفّه لكي تعتقدَ النّاسُ أن دوافعَ الجُرمِ انتقامُ تلميذ. شهِدَ الذّبابُ بطريقته. اليرقاتُ المسحوبةُ من الجسدِ كانت قادمةً دون أدنى شكّ من ذُبابِ الغابات.

فكّرت ليتيسيا أنّه ربّما تسنّت لها الفُرصة ذاتَ يومٍ باستخدامِ هذهِ النّظريّة كموضوعٍ لمقالٍ.

راضياً عن تحليله، عادَ ميليَس إلى جوارِ السّرير. وبمُساعدة عدسة مكبّرِهِ المُضيئة، تمكّنَ من التقاط ثُقبٍ صغيرٍ جدّاً مُربّعٍ تماماً في أسفلِ سِروالِ بيجامةِ الجثّة. انضمّت إليه الصّحفيّةُ. تردّدَ، ثمّ قال لها في النّهاية:

- هل ترينَ هذا الثّقبَ الصّغيرَ؟ رأيتُ ثقباً يشبهُهُ في سُترةِ أحدِ الإخوةِ سالتنا. له ذاتُ الشكلِ تماماً...

ززززززززز...

غنّى هذا الصّوتُ المميّزُ في أُذْنِ المُفوّضِ. رفعَ رأسهُ ولاحظَ ذُبابةً في السّقفِ. قامت تلك الذّبابةُ ببضعِ خطواتٍ ثمّ أقلعت تحومُ فوقَ رؤوسهم. أرادَ أحد الشّرطيينَ مُغتاظاً من الصّوتِ طردها ولكنّ المُفوّضَ نهاهُ عن ذلك. وتابعَ مسارها لمعرفةِ أين ستحطُّ.

- انظروا!

بعد عدّة دورات استنفدت صبرَ الشّرطيينَ جميعهم والصّحفيّة، قَبلت الذّبابةُ أنْ تهبَطَ على عُنقِ الجثّةِ. تسلّلت بعدها تحتَ الذّقنِ. ثمّ اختفت تحتَ البروفيسُور مكاريوس.

اقتربَ جاك ميليس، مُثاراً بالفضولِ، وقلبَ الجثّة ليكتشِفَ أين ذهبتِ الذّبابةُ.

عندئذ رأى الكتابةَ.

كان البروفيسُور مكاريوس قد وجدَ في النزَعِ الأخيرِ الطّاقةَ ليبلَّ سُبّابتهُ بالدّم الذي يسيلُ منهُ ويكتبَ كلمةً على ملاءَة السّريرِ. وبعد ذلكَ انهارَ فوقها، ربّما ليتجنّب أن يُلاحِظَ القاتلُ الرّسالةَ أو أنّه ماتَ في تلك اللّحظة...

اقتربَ الحاضِرونُ جميعهم لقراءةِ الأحرف الثّلاثة.

كانت الذّبابةُ تمتصُّ بخُرطومِها الدّمَ الذي يُشكّلُ الحرفَ الأوّلَ: «ن». لاحقاً، بعد أن انتهت من هذا المُقبّلِ، شربت «م» ثمّ «ل».

68. رسَالةٌ إلى ليتيسيا

«ليتيسيا ابنتي، حبيبتي،

لا تحكمي عليّ.

لم أحتمل البقاءَ إلى جانبكِ بعد موتِ أُمّكِ لأنّني في كلّ مرّةٍ كنت أنظرُ فيها إليكِ، كنتُ أراها هي وذلك كان أشبهَ بطعنةِ سكينٍ مُحمًّى في مُخيخي.

إنّي لستُ من أولئك الرّجالِ الأشدّاء الذين لا يلمسُهم شيء والذين يصرُّونَ على أسنانِهم حين تهبُّ العاصفةُ. في تلكَ اللّحظاتِ، أميلُ في الغالبِ إلى التخلّي عن كلّ شيء وأن أتركَ نفسي تُؤخذُ مثل ورقةٍ ميّتة.

أعرفُ، أنّي اخترتُ التصرّفَ المُعترَفَ به عامّة أنّهُ الأكثرُ جبناً، الهرُوب. ولكن لا شيءَ آخر كان يمكنهُ أن يُنقذنا، أنتِ وأنا.

لذا ستكبرينَ وحدَكِ، سترعرعين بمفردكِ، سيكونُ عليكِ أن تجدي في داخلكِ القوّةَ والمُقاومةَ اللّتين سيحملانكِ إلى الأمام. هذهِ ليست المدرسةَ الأسوأ، بل على العكسِ تماماً. في الحياةِ نكونُ وحدنا على الدّوامِ، والأفضلُ لنا أن نلحَظَ ذلك مُبكّراً.

أعثري على طريقكِ.

جميعُ أفراد عائلتي تجهَلُ وجودكِ. تمكّنتُ طوالَ حياتي من الاحتفاظ بالسرّ الأغلى على قلبي. في الوقتِ الذي ستستلمينَ فيه هذه الرّسالةَ سأكونُ قد متُّ بالتّأكيدِ. فلا داعِ للبحثِ عنّي إذاً. لقد وهبتُ شقّتي إلى ابن أختي جُوناثان. لا تذهبي إليها، لا تتكلّمي معهُ، ولا تُطالبي بشيء.

أنا أتركُ لكِ إرثاً آخرَ مُختلفاً كليّاً. قد تبدو الهديّةُ دونَ قيمة بالنّسبةِ للبشرِ العاديّين. لكنّهُ ثمينٌ جدّاً للعقلِ الفضوليّ والمُبادرِ. وفي هذا الشّأنِ أثقُ بكِ.

إنّها مُخطّطاتُ الآلةِ التي ستسمحُ بفكّ رموزِ اللّغة الشميّة لدى النّملِ. أَطلقتُ عليها اسم «حجرُ رشيد»، إنّها تجسّدُ إمكانيّةً فريدةً لمدّ جسرٍ بين جنسين، حضارتين، بلغَ كلٌّ منهما مرتبةً عاليةً في التطوّرِ.

الخُلاصةُ، هذه الآلةُ هي مترجِمٌ نستطيعُ خلالها، ليسَ فهمَ النّملِ فحسب، وإنّما التكلّمَ معه. محاورةُ النّملِ! هل أنتِ تُدركينَ ما يعني ذلك؟

بالكادِ بـدأتُ استخدامها غـيرَ أنّها فتحت أمامي الكثيرَ من الإمكانيّاتِ الرّائعةِ إلى حدّ أنّ ما تبقّى لي لأعيشهُ لن يكفي.

تابعي عملي. تَولّي الأمرَ. ومرّريهِ فيما بعدُ إلى شخصٍ آخر مُنتخَبٍ، كيلا يبتلعَ النّسيانُ هذه الأداةَ. ولكن تصرّفي بمُنتهى الكِتمانِ والحذرِ: لا يزالُ الوقتُ مُبكراً ليظهرَ ذكاءُ النّملِ جهاراً على البشرِ. لا تتكلّمي عنهُ إلّا للذينَ واللواتي سيكونونَ عوناً لكِ على التقدّمِ.

ربّما في هذا اليومِ، يكونُ ابن أختي جُوناثان قد تمكّنَ من استعمالِ النّموذَجِ الأوّلِ الذي تركتُهُ في القبوِ. أشكُّ في ذلك، في الحقيقةِ، لا يهمُّ.

أمّا بالنّسبةِ لكِ، إذا كانَ هذا الدّربُ يعنيكِ ويُناديكِ، فأظنُّ أنّهُ سيخبّئُ لكِ مفاجآتٍ مُدهِشة.

ابنتي، أُحبُّكِ.

إدمون ويلز

مُلحق1. يلحَقُ بهذهِ الرّسالة مُخطّطاتُ حجرِ رشيد.

مُلحق2. ملحقٌ بهذهِ الرّسالةِ أيضاً المجلّدُ الثاني من موسُوعة *العلم*

النسبيّ والمطلق. يوجدُ منها نسخةٌ ثانيةٌ في أسفلِ قبو شقّتي. هذا العملُ يُغطّي جميعَ أقسامِ المعرفةِ مع أفضليّة، بالطّبع، لعلمِ الحشرات. موسُوعة *العلم النسبيّ والمطلق*، هو النُزُل الإسباني، كلّ شخصٍ يجدُ فيه ما أرادَ البحثَ عنهُ. كلُّ قراءةٍ تأخذُ معنىً مُختلفاً، لأنّها تتردّدُ على شكلِ الصّدى في حياةِ القارئِ وتتناغمُ مع رؤيته الخاصّة للعالم.

فكّري به على أنّه دليلٌ، صديقٌ، أُرسلهُ إليكِ.

مُلحق3. أتذكرينَ، عندما كنتِ صغيرةً، طرحتُ عليك لغزاً (منذُ تلكَ الأيّام كُنتِ تُحبّينَ الألغازَ)؟ سألتكِ آنذاك كيف تُشكّلين أربعة مُثلّثات مُتساويةِ الأضلاعِ بواسطةِ ستّةِ أعواد ثقابٍ. وقد أعطيتكِ جملةً لأساعدكِ على إيجادِ الحلّ: «ينبغي التّفكيرُ بطريقة مُختلفة.» استغرقتِ وقتاً طويلاً ولكن في النّهايةِ اكتشفتِ الحلّ. الانفتاحُ على البُعد الثّالث. التّفكيرُ بطريقة مُختلفة غير مُسطّحة. نَصْبُ هرم على هيئة مُجسّم. كانت تلكَ الخطوةُ الأولى. لديّ لغزٌ آخرُ أطرحهُ عليكِ. لغزُ الخطوةِ الثّانية. هل بوسعكِ، مع ستّة أعوادِ ثقاب أيضاً، أن تُشكّلي ليسَ أربعةً وإنّما ستّةَ مُثلّثاتٍ مُتساوية الأضلاع؟ الجملةُ التي ستُعينكِ على إيجادِ الحلّ سوفَ تبدو لكِ للوهلةِ الأولى على عكسِ السّابقةِ. وهي: « ينبغي التّفكيرُ بطريقةِ الآخرِ ذاتها.»

69. عِشْرُونَ ألفَ فرْسَخٍ فوقَ التّراب

تمضي الحَملةُ قُدماً، يتبدّلُ مشهدُ الغابة. التآكلُ الكلسيُّ في بعضِ الأماكنِ يُظهرُ الصّلصَالَ على هيئةِ أسنانَ لبنيّة. تتوالى الخلائجُ والطّحالبُ وأدغالُ السّرخسِ على المشهدِ.

يصلنَ، مُمتلئات بنشاطِ حرارةِ آب اللّاهبة، إلى البلداتِ الشرقيّةِ للفيدراليّةِ بوقتٍ قياسيّ: ليفيو–كان، زوبي–زوبي–كان، زِدي–بَي–ناكان... حيثما حللنَ يُقدّم لهنّ شرانِق مملوءةٌ بالعُسَيلِ، شرائحُ من الجنادبِ، ورؤوسُ جداجدَ محشوّة بحبوبِ القمح. في زوبي–زوبي–كان، يُهدوهنَّ دُفعةً واحدةً قطيعاً يَعدُّ مائةً وستينَ أَرْقَةً حَلوباً لأجلِ الرّحلةِ ويرجونهنَّ القبُولَ.

ومن ثمّ يبدأ الحديثُ يدورُ عن الأصَابِعِ. الجميعُ يتكلّمُ عنهم. فمن لم يسبقْ لهُ أن شهِدَ حوادثَ مع الأصَابِعِ؟ رحلاتٌ استكشافيّةٌ بأكملِها وجِدت مُسطّحةً.

إلّا أنّ مدينةَ زوبي–زوبي–كان لم تُواجِههم يوماً بشكلٍ مُباشرٍ. تمنّت الزوبيزوبيكانيات لو يستطعْنَ دعمَ الحَملة، غير أنّ موسمَ صيدِ الدّعاسيقِ سيبدأُ قريباً، وعلاوةً على ذلك هنّ في حاجةٍ إلى جميعِ فكوكِهنّ لحمايةِ قطيعِ ماشيتهنّ الكبير.

المحطّةُ التّاليةُ، في زِدي–بَي–ناكان، مدينةٌ رائعةٌ مُشيّدةٌ في جذوعِ شجرةِ زان، يُظهرونَ بُخلاً أقلَّ. ويصِفُّونَ بسخاءٍ فيلقاً من المدفعيّاتِ المزوّداتِ بحمضٍ جديدٍ فائقِ التّركيزِ يبلغ 60 %! ويقدّمونَ إضافةً إلى ذلكَ مؤونةً من عشرين شرنقةٍ –جرّة طافحةٍ بهذهِ الذّخيرةِ.

هنا أيضاً، سبّبت الأصَابِعُ أضراراً وخسائرَ. إذ حفروا إشارات في لحاءِ شجرتهم بوساطَةِ إبرةٍ عملاقة. توجّعَ الزّانُ كثيراً وأخذَ يُفرزُ نُسْغاً سامّاً كادَ أن يُسمّمَ الجميعَ. الأمرُ الذي أجبرَ الزديبَناكانيات على الانتقالِ، ريثما يلتئمُ اللّحاءُ.

وإذا كانتِ الأصَابِعُ كياناتٍ نافعةً، ونحنُ عاجزاتٌ عن فهمِ أفعالِها؟

استُقبلت المُداخلةُ السّاذجةُ للرقم 24 بدهشةٍ وذهولٍ. كيفَ يمكنُ للمرءِ أن يبثَّ مُلاحظةً كهذهِ وهو في خضمّ حملةٍ ضدَّ **الأصَابعِ؟**

تُسارعُ الرّقم **103683** لنجدةِ تلكَ الخرقاء. مُفسّرةً بأنّه لا أحدَ في بيل-أو-كان يتورّعُ عن التّفكيرِ بكافّة الاحتمالاتِ، إنّهُ بمثابةِ تمرينٍ يَهدفُ إلى تجنيبِ النّملةِ نهائيّاً الوقوعَ تحتَ أيّ من مُفاجآتِ المِحَنْ.

تُعلّمُ بيلوكانيّة الزدييَناكانياتِ آخرَ أنشودةٍ تطوريّةٍ من تأليفِ الأمّ شلي-بو-ني في مناسبةِ هذهِ الحملةِ:

خيارُ خَصمكَ يُحدّدُ جَدارتك.
من يقاتل حِرذوناً يُصبِح حِرذوناً
من يقاتل عُصفوراً يُصبح عُصفوراً،
من يقاتل قُراداً يُصبِح قُراداً

وهل من يقاتِل إلهاً يصبِح إلهاً؟ تتساءلُ الرّقم **103683** في سرّها.

على أيّةِ حالٍ، أشاعَ المقطعُ الغنائيّ سروراً بين الزدييَناكانيات. عديداتٌ يسألنَ جُنديّات الحملة عن التّقنياتِ المُتطوّرة التي ابتكرتها ملكتهنّ. البيلوكانيّات لا تُحيجُ أحداً ليلحَّ بالطّلبِ فَيحكينَ كيف نجحتِ المدينةُ في ترويضِ خنافسِ وحيدِ القرنِ الذين أصبحوا، في المُحصّلةِ، نجوماً مُحتفى بهم. يُخبرنَ عن قنواتِ المرورِ الدّاخليّة، عن الأسلحةِ الحديثةِ، عن تقنياتٍ زراعيّةٍ جديدة وتغيُّراتٍ معماريّةٍ في المدِينةِ المركزيّةِ.

لم نكن على علم بأنّ الحركةَ التطوّريةَ اتّسعت إلى هذا النّطاقِ، بثّتِ الملكةُ زِدي–بَي–نيكيوني.

بالطّبعِ، لم ينبس أحدٌ ببنتِ شفةٍ عن الخرابِ الذي سبّبهُ وابلُ الأمطارِ مؤخّراً، ولا عن وجودِ المُتمرّداتِ المُوالياتِ للأصابعِ داخلَ المدينةِ ذاتِها.

الزدييَناكانيات في حالة انبهار. من يُصدّقُ أنّه منذُ أقلَّ من عامٍ، لم تكن التّقنياتُ النّمليّةُ الأكثرُ تطوّراً تتعدّى تربيةَ الأرْقاتِ وزراعةَ الفُطرِ وتخميرَ العُسَيلِ!

يدورُ الحديثُ أخيراً عن الحَملةِ ذاتها. تشرحُ الرّقم 103683 كيف أنّ الجيشَ سوفَ يعبرُ النّهرَ، وسوفَ يجتازُ نهايةَ العالمِ، ومن هناك، سوف يمشّطُ أوسعَ بقعةِ أرضٍ مُمكنةٍ كيلا يجدَ أيُّ إصبعٍ وقتاً للفرارِ.

تتساءلُ الملكةُ زِدي–بَي–نيكيوني إذا كانت جُنديّاتُ المدينة المركزيّةِ الثّلاثةُ آلافٍ ستكفي للقضاءِ على أصَابعِ العالمِ جميعاً. تعتَرفُ الرّقم 103683 بأنّ الشّكوكَ تراودُها هي أيضاً حولَ هذا الأمرِ، رغم الإضافةِ المُتمثّلةِ بالفيلقِ الجويّ.

تفكّرُ الملكةُ زِدي–بَي–نيكيوني قبل أن تُوافقَ على إعارةِ جُنديّاتِ الحَملةِ فيلقاً من سلاحِ الفُرسانِ الخفيف. إنهنّ جُنديّاتٌ لهنّ أرجلٌ مرتفعةٌ وفي مُنتهَى الرّشاقةِ وقادراتٌ على مُلاحَقةِ الأصَابعِ الفارّين.

ثمّ تعرّجُ الملكةُ على حديثٍ آخرَ. ثمّة أفعالٌ طائشةٌ لمدينةٍ جديدةٍ. أهي مدينةُ نمالٍ؟ لا، إنّها مدينةُ نحلٍ، قفيرُ أسكولَين، والذي يُدعى أحياناً بالقفيرِ الذّهبيّ. شُيّدَ على مقربةٍ من هنا، في الشّجرةِ الرابعةِ إلى يمين السّنديانِ المُشعرِ. من هناكَ يقطفونَ غُبارَ طلعهم، وهذا طبيعيٌّ. لكنّ ما هو غير طبيعيّ غاراتهمُ المُتكرّرةُ على مواكبِ النّمالِ. سلوكٌ

قاطعِ الطّريقِ هذا لا يُدهِشُ عند الزّنابيرِ أمّا بالنّسبةِ للنحلِ، فإنّهُ مُقلقٌ على الخُصوص.

وصلَ التّفكيرُ بالملكةِ زِدي-بَي-نيكيوني إلى الاعتقادِ بأنّ لدى هذا النّحلِ نوايا توسّعيّة. إذ أنّهُ يُلاحِقُ القوافلَ في مناطِقَ لا تلبثُ أن تكونَ أقربَ إلى المدِينةِ الأمّ. وتجِدُ النّمالُ صعوبةً شديدةً في طردِه. في مُعظمِ الأوقاتِ يُجبَرنَ على تركِ صيدِهنّ خشيةَ لسعةِ إبرةٍ سامّةٍ.

هل حقّاً يموتُ النّحلُ بعد أن يلدغ؟ سألَ جُعلُ وحيدِ القرنِ.

فُوجِئَ الجميعُ من توجيهِ الخُنفسِ كلاماً مباشراً بهذا الشكلِ إلى النّمالِ غير أنّـهُ، في النّهايةِ، هو أيضاً مُشاركٌ في الحَملةِ، فتتنازلُ زِديبَيناكانية وتُجيبهُ:

لا، ليسَ دائماً. لا يمُتنَ إلّا إذا أفرطَتِ النّحلةُ في غرزِ إبرتِها عميقاً.

أسطورةٌ أخرى تَسقُط.

يأخذنَ بتبادلِ العديدِ من المعلوماتِ المُفيدة، غير أنّ الليلَ سُرعانَ ما هبطَ. تُعرِبُ البيلوكانياتُ عن امتنانِهنّ لمدينةِ زِدي-بَي-ناكان بخصوصِ التّعزيزاتِ التي قدّمتها بسخاء. يتبادلُ الشّعبان عدّةَ تطاعُماتٍ. ثمّ تغتَسِلُ القُرون الصّديقةُ قبل أنْ يقومَ البردُ بدعوةِ الجميعِ إلى نُعاسٍ طاغٍ.

70. موسُوعة

نظام: النّظامُ يولّدُ الفوضى، الفوضى تولّدُ النّظامَ. من ناحيةٍ نظريّةٍ إذا خفَقْنا بيضةً لنُعِدّ العُجَة، فثمّةَ احتمالٌ ضئيلٌ أن تستعيدَ العُجة شكلَ البيضةِ

التي خرجت منها. غيرَ أنّهُ احتمالٌ واردٌ. وكلّما أحدثنا فوضى في هذهِ العُجّة، نكونُ قد ضاعفنا الفُرصَ لإيجادِ نظامِ البيضةِ الأصليّة.

النّظامُ إذاً ليسَ سِوى تركيبٍ لأكثرَ من فوضى. كلّما تمدّدَ كوننا المُنظّم، غاصَ أكثر في الفوضى. الفوضى التي، وهي نفسها تتمدّدُ، تولّدُ أنظمةً جديدةً وما من شيءٍ يمنعُ النّظامَ اللاحق بأن يكونَ هو السّابقَ عينَهُ. أمامنا مباشرةً، في الفضاءِ والزّمنِ، في آخرِ كوننا الفوضويّ ثمّة، من يَدري، البيغ بانغ[29] الأصلي.

إدمون ويلز،

موسُوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلّد الثاني.

71. عازِفُ المِزمارِ

دينغ، دونغ!

بسرعةٍ فتحت ليتيسيا ويلز.

- أهلاً، حضرةَ المُفوّضِ. أتيتَ مُجدّداً لمُشاهدةِ التّلفزيون؟

- أتيتُ لتبادلِ الحديث، وترتيبِ أفكاري. اسمعيني، وهذا سيكفيني، لا أطلبُ منكِ أن تُفصِحي لي عمّا لديكِ من مُعطياتٍ.

سمحَت لهُ بالدّخولِ.

- حسنٌ جدّاً، حضرةَ المُفوّضِ، كلّي آذان صاغيةٌ.

أشارت لهُ إلى مقعدٍ ثمّ جلسَت أمامهُ مُقاطِعةً ساقيها الطّويلتينِ.

29- الانفجار العظيم الذي يفسّر نشأة الكون.

أخذتهُ بدايةً، نظرةُ إعجابٍ إلى زمّةِ فستانِها على الطّريقةِ اليونانيّةِ، وإلى حجرِ اليَشْبِ المشكُوكِ خللَ شعرِها النّاعمِ، قبلَ أن يبدأ:

- اسمحي لي أن أُجملَ. المُجرِمُ شخصٌ قادرٌ على الدّخولِ والتحرّكِ ضمنَ فضاءٍ مُغلَقٍ، يثيرُ الذّعرَ، ولا يتركُ وراءهُ أيَّ أثرٍ ولا يعتَدي إلّا على الكيميائيّين المُختصّينَ بالمُبيداتِ الحشريّةِ.

- والذي يُخيفُ الذّبابَ، أضافت ليتيسيا، وهي تسكبُ الهيدروميل في كأسينِ رفيعين مُحدّقةً فيه بعينيها الأرجوانيتينِ الواسعتينِ.

- بلى، تابعَ. ولكنّ مكاريوس هذا أضافَ لنا عُنصراً جديداً: الكلمةُ «نمل». لذا بإمكاننا أن نُفكّر أنّنا إزاءَ نملٍ يُهاجمُ صانعي المُبيداتِ الحشريّةِ. الفِكرةُ هزْليّةٌ، صحيحٌ، ولكن...

- ولكنّها ليست على قدرٍ من الواقعيّةِ.

- تماماً.

- لو كانَ نملاً لتركَ أثراً، قالت الصحفيّةُ. مثلاً، لأبدى اهتماماً بالطّعامِ المتروكِ. ليسَ بوسعِ أيّةِ نملةٍ مُقاومةُ جاذبيّةِ تفاحةٍ طازجةٍ، وقد كانَ ثمّةَ واحدةٌ لم تمسّ على طاولةِ سريرِ مكاريوس.

- ملاحظةٌ جيّدةٌ.

- فإذاً نبقَى إزاءَ جريمةِ قتلٍ في مكانٍ مُغلقٍ، دونَ أثرٍ، دون أسلحةٍ، دون اعتداءٍ. ربّما تنقصُنا المُخيّلةُ لنفهمَ.

- بئسَ الأمرُ، فليسَ هناكَ عشرةُ آلافِ طريقةٍ حتّى يصبحَ المرءُ قاتلاً!

ابتسمت ليتيسيا ويلز بغرابةٍ.

- من يعلمُ؟ القصصُ البوليسيّةُ تتطوّرُ، حاول أن تتخيّلَ ما الذي

كانت ستكتبهُ مؤلّفةٌ مثل أجاثا كريستي سنة 5000 أو شخصٌ مثل كونان دويل من كوكبِ المرّيخ وأنا متأكّدةٌ بأنّكَ ستُحرزُ تقدّماً في تحقيقكَ.

رمَقها جاك ميليَس مُملياً بصَرهُ بجَمالها.

وهي الأخرى، نهضت مرتبكةً، وذهبت لتُحضرَ مِبْسم سجائرِها. أَشعلتهُ وحصّنت نفسها خلفَ ستارٍ من دُخانٍ أفيونيّ.

– كتبتِ في مقالكِ أنّي كنتُ مُفرِطَ الثّقة بنفسي و لم أصغِ للآخرين جيّداً. لقد كنتِ على حقّ. ولكن الأوانَ لا يفوتُ أبداً لمن يريدُ إصلاحَ نفسه. لا تسخري منّي، ولكن يبدو لي بالتّواصلِ معكِ، أنّي بدأتُ أفكّرُ بطريقةٍ مُختلفة، بطريقةٍ أكثرَ انفتاحاً... أترين، وصلَ بي الأمرُ إلى أن أشكَّ بالنّملِ!

– نملُكَ مُجدّداً! قالت، كما لو أنّها مُغتاظةٌ.

– تريّثي. ربّما تكونُ معارفنا عن النّملِ لا تزالُ قاصرةً. وقد يكونُ له شركاءُ. ألا تعرفينَ قصّةَ عازفِ المزمارِ منْ هاملين[30]؟

– لا تحضُرُني الآن.

– في أحدِ الأيّام، بدأ بسَردِ القصّة، غزتِ الجُرذانُ مدينةَ هاملين. وأخذت تضجُّ بالحركةِ. ولكثرتِها لم يجدوا وسيلةً للتخلّصِ منها. وكلّما قتلوا منها كانت تخرجُ عليهم بأعدادَ مُتزايدةٍ. تلتهمُ جميعَ الطّعامِ، وتتكاثرُ بسرعةٍ كبيرةٍ. أخذَ أهالي المدينة يُفكّرونَ بالهجرةِ، والتّخلّي عن كلّ أشيائِهم. وإذ بفتًى يتقدّمُ عارضاً إنقاذَ المدينة مقابلَ مكافأةٍ جيّدةٍ. لم يكن لدى وجهاءِ المدينةِ ما يخسرونَهُ، فقبلوا دونَ

30- حكاية من التراث الألماني.

جدالٍ. بدأ المُراهقُ يعزفُ على المِزمارِ. أخذتِ الجراذينُ، مُنجذبةً، تتجمّعُ، ثمّ تبعتهُ حين ابتعدَ. استدرجَها عازفُ المِزمارِ إلى النّهرِ حيثُ غرقت جميعها. لكن حينَ طالبَ بمكافأتِه، أخذَ الوجهاءُ -بعدَ أن تحرّروا من ورطتِهم -يسخرونَ منهُ!

- وماذا يعني؟ سألت ليتيسيا.

- وماذا يعني؟ تخيّلي وضعاً مُشابهاً: «عازفُ مزمارٍ» لديه القدرةَ على قيادِ النّملِ. رجلٌ ما يريدُ الثأرَ لهُ من ألدّ أعدائهِ، مُبتكري مُبيداتِ الحشرات!

أخيراً تمكّنَ من استرْعاءِ انتباهِ الشابّةِ. رمقَتهُ بعينيها الأرجوانيّتين، المفتوحتين على وسعِهما:

- أكمل، قالت.

بدتِ العصبيّةُ عليها، سحَبت نفَساً عميقاً من التّبغِ.

صمتَ فجأةً، كَمن سكنتهُ حماسةٌ جديدةٌ. الدّاراتُ الكهربائيّةُ في كافّةِ أنحاءِ دماغِه، أخذَتْ تُصدرُ «إيماضَةَ -ربِحتُ».

- أعتقدُ أنّي وجدتهُ.

نظرَت إليهِ ليتيسيا ويلز بغرابةٍ.

- ماذا وجدتَ؟

- إنسانٌ هو من روّضَ النّملَ! يلجُ النّملُ داخلَ الضّحايا ويُعمل... الفكوكَ... وهذا سرُّ النّزيفِ الدّاخليّ، ثمّ يعودُ للخروجِ مُجدّداً، من الأُذنَين مثلاً. وهذا ما قد يُفسّرُ نزيفَ الأُذنين عند مُعظمِ الجُثث. فيما بعدُ يتجمّعُ ويأخذُ جرحَاهُ. يستَغرقُ الأمرُ خمسَ دقائقَ ممّا يمنعُ ذُبابَ المجموعةِ الأولى من الاقترابِ... ماذا تقولينَ في ذلك؟

لم تكن ليتيسيا ويلز، منذُ أن بدأَ الشرطيُّ تفسيرهُ، تتقاسَمُهُ الحماسةَ ذاتها. أشعَلت سيجارةً أخرى من نهايةِ المَبْسم. وافقَتْ بأنّهُ قد يكونُ مُحقّاً إلّا أنّهُ لا تُوجدُ، حسبَ علمها، طريقةٌ لترويضِ النّملِ بحيثُ يُطلبُ منهُ دخولُ نُزُلٍ واختيارُ غُرفةٍ ثمّ الإقدامُ على قتلِ شخصٍ ويعودُ بعد ذلك بكلّ هدوءٍ إلى عشّه.

– بلى، لا بدّ أنّ ثمّةَ طريقةٌ. وسأعثرُ عليها. إنّي واثقٌ من ذلك.

جاك ميليَس ضربَ كفّاً بكفٍّ. كان مسروراً جدّاً من نفسه.

– أرأيت، لا داعٍ لتخيّلِ قصصٍ بوليسيّةٍ من سنةِ 5000! يكفي قليلٌ من المهارةِ والذّكاءِ، أعلنَ.

عقدَت ليتيسيا ويلز حاجبيها.

– أحسنتَ، حضرةَ المُفوّضِ. لا بدّ أنّكَ «أصبتَ الهدفَ».

غادرَ ميليَس بنيّة، كهدفٍ أوّلٍ، أن يتحقّقَ من الطّبيبِ الشّرعيّ إذا كانتِ الجروحُ الدّاخليّةُ للضحايا بسببِ ضرباتِ فكوكِ النّملِ.

باقيةً بمفردها، بهيئةٍ مُكدّرةٍ، أخرجت ليتيسيا ويلز المُفتاحَ الذي كان يفتحُ البابَ المُبرنَقَ بالأسود، وقطّعت تفاحةً إلى شرائح ناعمةٍ وقدّمتها طعاماً إلى خمسٍ وعشرين ألفَ نملةٍ في حوضِها الترابيّ.

72. نحنُ جميعاً نمالٌ

كان جُوناثان ويلز قد عثرَ في *موسُوعة العلم النسبيّ والمطلق* على مقطعٍ يعالجُ وجُودَ –وذلكَ منذُ آلافِ السنين –عابدين للنّملِ في جزيرةٍ بالمحيطِ الهادئ. وفقاً لإدمون ويلز، طوّرَ هؤلاء النّاسُ مقدراتٍ نفسيّةً خارقةً عن طريقِ إنقاصِ غذائِهم ومُمارسةِ التأمُّلِ.

اندَثرت تلك الجماعةُ لأسبابَ غامِضةٍ واختفت معها ألغازُهم وأسرارُهم.

بعد تداولٍ، قرّرَ السّبعةَ عشرَ قاطناً في المعبدِ التحتَ أرضيّ استلهامَ تلك التّجربةِ، سواءٌ أكانت حقيقةً أم لم تكن.

الحِرمانُ المُتدرّجُ من الطّعامِ أجبرهم أن يُقتّروا طاقاتِهم. باتت أدنَى حركةٍ تشقُّ عليهم. وأخذَ كلامُهم يقلّ بوتيرةٍ مُتزايدةٍ ولكن، على نحوٍ مُتناقضٍ، أصبحوا يفهمونَ بعضهم أحسنَ فأحسن.

كانت تكفيهم نظرةٌ، ابتسامةٌ، حركةُ ذقنٍ ليتواصَلوا. وازدادت كثيراً قُدرتهم على الانتباهِ. كانوا حين يسيرونَ يشعرونَ بكلّ عضَلةٍ من عضَلاتِهم، بكلّ مِفصَلٍ استُنفِرَ للتحرُّكِ. يتابِعونَ في الفكرِ زفيرَ النَّفَسِ وشهيقَهُ.

واكتسبَت حاسّتا الشمّ والسّمعِ تلك الحدّةَ التي تتميّزُ بها الحيَواناتُ والبدائيّون. أمّا بخصوصِ حاسّةِ التّذوّقِ، فالصّومُ المُزمنُ كان قد فاقمها. حتّى الهَلوساتُ الجماعيّةُ أو الفرديّةُ التي نجَمتْ عن نقصِ التغذيّةِ كانت ذاتَ معنى.

أوّلُ مرّةٍ أدركت فيها لوسي ويلز أنّها تقرأُ مباشرةً في فكرِ الآخرين، ارتعَبتْ. بدَت لها هذهِ الظّاهرةُ غيرَ لائقةٍ. ولكن بما أنّه، في تلكَ الحالةِ، كانت مع ذهنِ جازون براجيل الصّادقِ، فقد تمتّعت بالغوصِ فيه.

كان الطّعامُ يزدادُ كلّ يوم نُدرةً فيما يزدادُ تأثيرُ التّجاربِ النّفسيّةِ قوّةً. ليسَ ضرورياً للأفضل. كان رجالُ الإطفاء القُدماءُ والشرطيّونَ، المُعتادونَ على الهواءِ الطّلَقِ والنّشاطاتِ الجسَديّةِ، يقمعونَ أحياناً نوباتٍ من الغضبِ أو ضيقَ التنفّسِ.

هزيلونَ، ضعيفونَ، وجوهُهم مأخوذةٌ من العيونِ التي بدت أكثر لمعاناً وذُكنةً، لا يمكنُ التعرّفُ عليهم إلى الحدّ الذي جعلهم في النّهايةِ مُتَشابهين. كما لو أنّهم ذَابُوا في بعضِهم (نيكولا ويلز فقط الذي يحظى بغذاءٍ جيّدٍ بسببِ صغرِ سنّه، يمكنُ تمييزهُ بوضوحٍ عن الآخرين).

كانوا يتجنّبون وضعيّةَ الوقوفِ (إنّها مُتعبةٌ جدّاً لمن لا يملكونَ طاقةً جسديّةً) ويفضّلونَ البقاءَ جالسين، مُتربّعين، وحتّى التنقّل زحفاً. شيئاً فشيئاً، وعلى مرّ الأيّام، حلَّ ما يشبهُ السّكينةَ مكان قلقِ الأيّامِ الأوّلى.

هل كان هذا نوعاً من العُته؟

ومن ثمّ فجأةً، ذاتَ صباحٍ، أخذت طابعةُ الحاسوبِ تُطقطِقُ. زُمرةٌ مُتمرّدةٌ من مدينةِ بيل-أو-كان الصّهباءِ أرادت إعادةَ التّواصلِ الذي انقطعَ بسببِ موتِ الملكةِ السّابقة. كنّ يستخدمنَ المِسبار «الدّكتور ليفينغستون» للمحاورةِ. أردنَ مُساعدةَ البشرِ. وبالفعل، بدأت المُساعداتُ الغذائيّةُ الأولى بالوصولِ، من خلالِ الفجوةِ التي تخترِقُ بلاطةَ الغرانيت التي ترتَفعُ فوقَهم.

73. تحوّل

بفَضلِ يعودُ إلى مُساعدةِ النّمالِ المُتمرّداتِ مواليات -الأصَابع، عرفت أوغستا ويلز وصحبُها أنّه يمكنُهم البقاءُ على قيدِ الحياةِ لمدّةٍ طويلة. كان غذاؤهم قد استقرّ على كميّةٍ منخفضةٍ غيرَ أنّها مُنتظمة. حتّى أنّهم قد استعادوا قليلاً من قِواهم.

في النّهايةِ كانت الأمورُ تجري على نحوٍ لا بأسَ به في هذا الجحيم. وبناءً على اقتراحٍ من لوسي ويلز قرّروا التخلّي عن أسمائِهم كبشرٍ على

سطحِ الأرضِ. وبما أنّهم باتوا الآن مُتشابهين فحَريٌّ بهم اتّخاذُ أرقامٍ لأنفسهم. وذلكَ كان لهُ تأثيرٌ ملحُوظ. ففقدانُ الاسم يعني التخفّفَ من وطأةِ تاريخِ الأسلافِ. ممّا منحهم شيئاً من الجِدّةِ: لقد ولِدَ الجميعُ معاً للتوّ.

فقدانُ الاسمِ هو بمثابةِ التخلّي عن رغبتكَ بالتميُّزِ.

وقد قرّروا البحثَ، بحسبِ مُقترحٍ لدانيال روزنفيلد (الاسمُ المُستعارُ الرّقم 12)، عن لغةٍ أخرى مُشتركة. كان جازون براجيل (الاسمُ المُستعارُ الرّقم 14) من اكتشفَ: «الإنسانُ يتُواصَلُ وهو يُرسِلُ موجاتٍ صوتيّةً من فمهِ لكنّ هذه الموجاتِ شديدةُ التّعقيد، شديدةُ التشوّشِ. فلماذا لا نبثُّ موجةً صوتيّةً واحدةً والتي قد ندخلُ فيها جميعاً بواسطةِ الاهتزازِ؟»

كانت الأمورُ تتّخذُ منحىً غريباً، نموذجُ طائفةٍ دينيّةٍ هندوسيةٍ، غيرَ أنّهم لم يكونوا يكترثونَ لذلكَ. على أيّةِ حالٍ ألم يكن القدرُ قد وضعهم في بُعدٍ آخرَ، على شكلِ وجودٍ آخرَ؟ كان يجبُ تقبُّلُ الأمر، ومن ناحيةٍ أخرى أُولِعوا بالتّجاربِ التي كانوا يخوضُونها.

شكّلوا دائرةً وجلسوا مُتربّعين أو على هيئةِ زهرةِ اللوتس لمن هم أكثرُ ليونَةً، بظهورٍ مُستقيمة، مُمْسكينَ بعضَهم بالأذرعِ. يميلونَ إلى الأمامِ لتلتقي رؤوسُهم في مركزِ الوردةِ الدّائريّةِ، ثمّ يُطلقُ كلٌّ بدورهِ نغمتهُ الخاصّةَ. ذبذبتَهُ الصّوتيّةَ الخاصّةَ. جميعُهم سويّةً في النّهايةِ كانوا يُجانسونَ نبرةَ أصواتِهم ليلتقوا على ذاتِ النّغمةِ. لكثرةِ تكرارِ هذه الممارسةِ، غنُّوا جميعاً بأخفضِ مُستوى لديهم، ترتفعُ أصواتهم من أسفلِ بطونِهم.

لقد اختاروا المقطَع الصّوتيّ «أوم»[31]. صوتٌ أساسيٌّ، غناءُ الأرضِ والفضاءِ اللّانهائي، يخترِقُ كلّ شيءٍ، أوم هو صوتُ صمتِ الجبلِ كما هو صوتُ جَلبةِ مطعَم.

كانت الأجفانُ تنطبقُ. الأنفاسُ تتباطأُ، تَغدُو عميقةً، مُتزامنةً. يغدونَ أكثر خفّةً، ناسين كلَّ شيءٍ، ذائبينَ في الصّوتِ. لقد كانوا الصّوتَ. أوم الصّوتُ الذي يبتدِئُ فيه كلُّ شيءٍ وينتهي.

كان الطقسُ يستغرقُ مدّةً طويلةً. ثمّ ينفصِلونَ عن بعضِهم بهدوءٍ، يركنُ بعضهم إلى زاويةٍ، فيما ينشغلُ الآخرون بهذا أو ذاك: يقومُونَ بأعمالِ التّنظيفِ، إدارةِ المواردِ الغذائيّة القليلةِ، مُحاورةِ «المُتمرّدات».

نيكُولا وحدَهُ لم يكن يُشاركُ بتلك الطّقوسِ. وقد اعتبرهُ الآخرونُ أنّهُ لا يزالُ حديثَ السنّ ليلتزمَ بها بملءِ إرادته. وأيضاً، الجميعُ متّفقٌ على أن ينالَ أفضلَ تغذيةٍ ممكنةٍ. ففي نهايةِ المطافِ، الكنزُ الأوّلُ عندَ النّملِ هي الحَضْنةُ.

النّملُ... ذاتَ يوم، حاولوا التّواصلَ معه بالتّخاطُرِ. دونَ نتيجةٍ. لا ينبغي المُبالغةُ بالحُلمِ. حتّى بينهم، أُجبرُوا على التخلّي عن وهمهم: لم يكن التّخاطرُ بينهم ينفعُ إلّا مرّة كلَّ مرّتين، شريطةَ ألّا يُبدِيَ أحدُ المتّصلينَ مُقاومةً.

كانت العجوزُ أوغستا تتذكّرُ.

بهذهِ الطّريقةِ كانوا قد أصبحوا شيئاً فشيئاً نملاً. على الأقلّ، هذا ما يدورُ في رُؤوسِهم.

31- رمز مقدّس في الهندوسيّة، يمثّل البداية والنهاية، ويرمز إلى المطلق. وهو الصّوت الأبديّ لبراهمان والمَوجَة الاهتزازيّة الكونيّة للروح.

74. موسُوعة

جُرذُ الخُلْدِ: يعيشُ جُرذ الخُلدِ (Heterocphalus glaber) في أفريقيا الشرقيّةِ، بينَ أثيوبيا وشمالِ كينيا. هو حيوانٌ أعمى وجلدهُ الورديُّ عارٍ من الوبر. ويستطيعُ، بأسنانهِ الأماميّةِ القاطعةِ، حفرَ أنفاقٍ تصلُ لعدّةِ كيلومترات.

ولكنّ المُدهشَ حقّاً ليسَ هذا. بل أنّ جُرذَ الخُلدِ هو الحالةُ الوحيدةُ المعروفةُ عن الثدّييات التي تَسلكُ اجتماعيّاً سلوكَ الحشرات! تضمُّ مستعمرةُ جرذانِ الخُلد خمسمائةٍ بالمتوسّط ويتوزّعونَ، كما عند النّمل، على ثلاثِ طبقاتٍ أساسيّة: ذوي الجنس، عاملات، جنديّات. أنثى فقط، الملكةُ نوعاً ما، يمكنها أن تحبلَ وتلدَ بحدودِ ثلاثينَ صغيراً بكلِّ ولادة، ومن جميعِ الطّبقاتِ. ولكي تبقى «البيّاضة» الوحيدةَ، تفرزُ مع بولها مادّةً شمّيةً تمنعُ الهرموناتِ التناسليّةَ لباقي إناث العشّ. تأسيسُ النّوعِ على شكلِ مُستعمرات يمكنُ أن يُفسّرَ على أنّ جرذَ الخُلدِ يعيشُ في مناطقَ صحراويّةٍ تقريباً. ويتغذّى على الدّرنات والجُذورِ، وهذه تكون كثيفةً حيناً ومفرطةَ التّباعدِ مُعظمَ الأحيانِ. وبوسعِ قارضٍ بمفردهِ الحفرَ أمامهُ لمسافةِ كيلومترات دونَ أن يعثرَ على شيءٍ ويموتَ، بالتأكيدِ، من الجوعِ والوهنِ. فيما تضاعفُ الحياةُ داخلَ المجتمعِ فُرصَ اكتشافِ شيءٍ من الطّعامِ، وعلى الأخصّ، أنّ أضألَ درنةٍ تُلتقطُ سوفَ توزّع على الجميع بالتّساوي.

فرقُهم الوحيدُ عن النّمل: ذكورهم تبقَى على قيدِ الحياةِ بعد مُمارسةِ الحبّ.

إدمون ويلز،

موسُوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلّد الثاني.

75. صبَاحٌ

تتقدّمُ كرةٌ ورديّةٌ ثقيلةٌ جدّاً. فتبُثُّ لها «ليسَ لديَّ أيّةُ نيّةٍ عدائيّةٍ نحوَ شعبكِ» لكنّ الكرةَ لا تتوقّفُ وتسحَقُها.

تستيقظُ الرّقم 103683 فجأةً. بما أنّ الكوابيسَ تأتيها دوماً، برمجَتْ جسَدها على تخفيضِ مُدّةِ نومِها والاستيقاظِ عندَ أدنى تغيُّرٍ في الحرارةِ.

مُجدّداً تحلمُ **بالأصَابِعِ**. يجبُ أن تكفَّ عن التّفكيرِ بهم. إذا كانت تخافُ **الأصَابِعَ** فلن تتمكّنَ من قتالِهم كما ينبغي عندما تحينُ السّاعةُ، لأنّ خوفَها سيشغَلُها عن الفعلِ.

تتذكّرُ ملحَمةً نمليّةً روتها الأمّ بيلو-كيو-كيوني لها ولأخواتها في الماضي. لا تزالُ الكلماتُ الشمّيةُ حاضرةً في ذاكرتها المُخبّأةِ وما عليها إلّا أن تمنحَها لمسةَ رطوبةٍ لكي تحيا كلُّ كلمةٍ من جديد.

«في أحدِ الأيّام، كانت غوم-غوم-ني، ملكةٌ من سُلالتنا، مُتوعّكةً داخلَ مقصورتِها الملكيّة. فقد أُصيبَت بمرضِ الحالاتِ النفسيّةِ. ثلاثةُ أسئلةٍ كانت تهجُسُ بها وتُجمّدُ قُدرتها على التّفكيرِ:

ما هي اللّحظةُ الأهمُّ في الحياةِ؟

ما هو الأمرُ الأهمُّ ليُنجزَ؟

ما هو سرُّ الهناءِ؟

تحادثت بذلكَ مع أخواتِها، بناتِها، مع عقولِ الفيدراليّةِ الأكثر خصُوبةً دونَ أن تحصلَ على إجابةٍ تُرضيها. قيلَ لها بأنّها كانت مريضة، وبأنّ لا شيءَ في الأسئلة الثلاثة التي هوّسَتها يمكنُ اعتبارهُ أمراً حيويّاً لبقاءِ القطيعِ على قيدِ الحياةِ.

أخذتِ الملكةُ، وهي في حالةٍ من القُنوطِ، تهْزَلُ. وتولّى القطيعَ القلقُ. فإذا أرادت المدينةُ ألّا تخسرَ بيّاضتَها الوحيدةَ، فعليها، وذلكَ للمرّةِ الأولى، أن تُفكّرَ جدّياً في مسائِلَ مُجرّدةٍ.

اللّحظةُ الأهمُّ؟ الأمرُ الأهمُّ؟ سرُّ الهناءِ؟

تبادَرَ الجميعُ إلى اقتراحِ أجوبةٍ.

الوقتُ الأكثرُ أهميّة، هو وقتُ الأكلِ، لأنّ الطعامَ يمنحُ الطّاقةَ... المُنجزُ الذي ينبغي تحقيقهُ، هو التكاثرُ لتخليد الجنسِ وزيادة عدد الجُنديّاتِ اللواتي سوفَ يحمينَ المدينةَ... سرُّ الهناءِ، الحرارةُ، لأنّ الحرارةَ مصدرُ الامتلاءِ الكيميائيّ.

ولا أيّاً من هذهِ الاقتراحاتِ أرضتِ الملكةَ غوم–غوم–ني. فغادرتِ العُشَّ وانطلقت إلى الخارجِ الرّحبِ. هناكَ، أُجبرت على الصّراعِ بقوّةٍ للبقاءِ على قيدِ الحياة. وحين عادت بعدَ ثلاثة أيّام، كانت رعيّتُها في حالةٍ يُرثى لها. غير أنّ الملكةَ كانت تحملُ أجوبتَها. كان الوحي قد أتاها وسطَ معركةٍ لا تَرحمُ مع النّملِ المُتوحّشِ. اللّحظةُ الأكثرُ أهميّةً، هي الآن، لأنّ لا تأثيرَ لنا إلّا على الحاضرِ. وإذا لم نهتمَّ بحاضِرنا سنفوّتُ علينا مُستقبلنا أيضاً. الشيءُ الأكثرُ أهميّةً، مواجهةُ ما هو هنا، أمامنا. لو لم تتخلّصِ الملكةُ من المُحاربةِ التي أرادتْ قتلها، لكانت بين الأمواتِ. أمّا بخصوص سرّ الهناء، فقد اكتشفتهُ بعدَ القتالِ: هو أن تكونَ حيّاً وتسيرَ على الأرضِ. بمُنتهى البساطةِ.

تذوّقُ اللّحظة الراهنة.

التكفّلُ بما يطرأُ علينا.

السّيرُ على الأرضِ.

هذه هي الوصَفاتُ الثّلاثُ الكُبرى لأجلِ الحياةِ، الموروثةُ عن الملكةِ غوم–غوم–ني.»

انضمّتِ الرّقم 24 إلى الجُنديّةِ.

تريدُ أن تبرّرَ ما يخصُّ إيمانها بـ «الآلهة».

الرّقم 103683 في غنى عن مُبرّراتها، تُسكتُها بحركةِ قرنٍ وتدعوها للسيرِ إلى جانبها أمامَ المدينةِ الفيدراليّةِ.

إنّهُ جميل، أليسَ كذلك؟

الرّقم 24 لا تُجيب. فتقولُ لها الرّقم 103683، بالطّبعِ، يُفترَضُ عليهما لقاءُ **الأصَابِعِ** وقتلُهم، ولكن ثمّةَ أشياءُ أخرى مُهمّةٌ: الوجُودُ هُنا، السّفرُ. ربّما في النّهايةِ لن تكونَ اللّحظةُ الأجملُ هي لحظةُ النّجاحِ في مهمّةِ عُطارِدٍ أو عندَ هزيمةِ **الأصَابِعِ**، ربّما تكونُ الآن هي اللّحظةَ الأجمل، في هذهِ اللّحظةِ بالذاتِ وهما هنا عندَ هذا الصّباحِ المُبكرِ، مُحاطتان بالنّمالِ الصّديقةِ. تروي لها الرّقم 103683 قصّةَ الملكةِ غوم–غوم–ني.

تبثُّ الرّقم 24 بأنّ مهمّتهما لها طابعٌ برأيها «مُهمّ» أكثرَ بكثيرٍ من قصصِ الحالاتِ النفسيّةِ هذه. إنّها مسحُورةٌ تقريباً بالفُرصةِ التي ستتيحُ لها الاقترابَ من **الأصَابِعِ** وربّما حتّى رؤيتهم ولمسهم.

لن تتركَ لأحدٍ مكانها. تسألُ الرّقم 24 إذا سبقَ للرقم 103683 أن رأتهُم.

يبدو لي أنّي رأيتهم، بالمُحصلةِ لا أعلم، لم أعد أعلَم، أتعرفينَ الرّقم 24، إنّهم شديدو الاختلافِ عنّا.

الرّقم 24 تتوقّعُ ذلك.

غير أنّ الرّقم 103683 لا تريدُ الخوضَ في نقاشٍ فيرومونيّ إذ لا تعتقدُ بالحدسِ أنّ الآلهةَ **أصابع**؛ الآلهةُ موجودةٌ ربّماً ولكن قد تكونُ شيئاً آخرَ. ربما تكون هذهِ الطّبيعةُ المُترفَة، هذهِ الأشجار، هذه الغابة، هذا الثراءُ الرائع بالنّباتاتِ والحيواناتِ الذي يُحيطهما... أجل، ستجدُ سهولةً أكبرَ في العثورِ على الإيمانِ في هذا المشهدِ الرّائعِ والذي هو ببساطةٍ كوكبهم الأرضيُّ.

وإذ بشريطةٍ من ضوءٍ ورديّ تلوحُ ممتدّةً في الأفقِ. تُشيرُ الجُنديّةُ إليها برأسِ قرنِها.

انظري لجمالها!

تعجزُ الرّقم 24 عن تقاسُمِ هذه اللّحظةِ العاطفيّةِ. فتُلقي الرّقم 103683 على سبيلِ الدُّعابة:

إنّي إلهةٌ إذ أستطيعُ أن آمرَ الشّمسَ بأن تُشرقَ.

تقفُ الرّقم 103683 متوازنةً على أرجُلها الأربَعِ الخلفيّةِ، مُشيرةً للسماءِ بقرنيها، وتخطُبُ بفيرومونٍ حَارٍّ:

أيّتها الشّمسُ، أشرقي، آمركِ بذلك!

فترمي الشّمسُ شُعاعاً خلَلَ الأعشابِ العالية. وتحتفلُ السّماءُ بمروَحَة من الألوانِ؛ المَغْرُ، البنفسَجيُّ، الأُرجُوانيُّ، الأحمرُ، البُرتقاليُّ، والذّهبيُّ. الضّوءُ، الحرارةُ، الجمالُ، كلُّ شيءٍ يصلُ في اللّحظةِ التي تطلُبهُ فيها النّملةُ.

ربّما نحنُ نسيءُ تقديرَ إمكانياتنا، قالتِ الرّقم 103683.

ترغبُ الرّقم 24 أن تُكرّرَ: «**الأصابعُ آلهتنا**»، لكنّ لفرطِ جمالِ الشّمسِ تَصمت.

الأركانا الثالثة:

بالسّيف والفكّ

76. كيف هزمَتْ مارلين مُونرو المِيديسيس

كانَ العالمان الأثيوبيان يؤلّفان زَوجاً شديدَ الاتّحاد، تجمَعُهما المثاليّةُ ذاتها.

منذُ نُعومَةِ أظفارهِ، وجيل أودرجين يُمضي ساعاتٍ في مُراقبةِ أعشاشِ النّمل. وقد أرادَ أن يضعَ نملاً في بيتهِ، داخلَ مراطبينَ مُربّى فارغة. عند أوّل محاولةِ هروبٍ للنملِ، قضت أُمّه عليه، مُغتاظةً، بضَرباتِ خُفٍّ.

مع ذلكَ لم يستسلم وبدأ بمُحاولاتِ تربيةٍ أُخرى، مع إخفاءِ نملاتهِ على نحوٍ أفضل والإغلاقِ عليها بإحكامٍ. لكنّها دوماً كانت تموتُ، دون أن يفهمَ سبباً لذلكَ.

ظنَّ لوقتٍ طويل أنّه الوحيدُ الذي يهتمُّ لأمرِ تلك الحَشراتِ الصغيرةِ، إلى اليومِ الذي قابلَ فيهِ سوزان في جامعةِ علم الحشرات في نوتردام. كانَ لديهما الانجذابُ ذاته الذي لا يقاومُ نحوَ النّملِ. الأمر الذي جعلهما على الفورِ مُقرّبيْن.

كانت، إذا كانَ مُمكناً، أكثرَ شغفاً منهُ. كانت قد جهّزت حوضاً، تستطيعُ تمييزَ عدد كبيرٍ من قاطنيه، أطلقت عليهم أسماءَ، وأخذت تُدوّنُ أدقّ حدثٍ يحصلُ مع مُدلّليها. كانَ الاثنان يقضيانِ أيّامَ السبتِ بمُراقبتهم.

فيما بعد، وكانا لا يزالانِ في أوروبا وقد تزوّجا، حدثَ شيءٌ

مرعبٌ. كانَ لدى سوزان ستُّ ملكاتٍ في عشّ نملِها. ذاتُ القرنين القصيرين كانت تدعُوها كليوبترا؛ والتي على رأسِها أثرُ ضربةِ مقصّ أسمتها ماري ستيوارت؛ وذاتُ الأرجلِ المُجعّدة أطلقتْ عليها اسم البومبادور؛ الأكثرُ «ثرثرة» (دائمة التحريك لأطرافها الحسيّة) أيفا بيرون؛ الأكثرُ غنجاً مارلين مونرو، وكانت كاترين دو ميديسيس[32] الأكثر عدوانيّةً.

تبعاً لطبعِها، هذهِ الأخيرةُ، نظّمتْ مجموعةً منَ القاتلاتِ، وواحدةً تلو الأخرى، قضت على جميعِ مُنافِساتها. راقبَ آل أودرجين، دون أن يتدخّلا في تلك الحربِ الأهليّةِ الصّغيرةِ، كيفَ كانت قاتلاتُ الميديسيس المأجوراتُ تلتقطُ الملكاتِ الأخرياتِ، وتأخذُ بجرجَرتهنّ إلى مَسقى الماء، حيث يُغرقنهنّ ثمّ يُلقينَ بهنّ إلى المكبّ. إلّا أنّ، مارلين مونرو خرجت حيّةً من هذه السان بارتيليمي[33]. برَزتْ خَارجَ الأنفاقِ، وسَارعَت لتشكيلِ زُمرةِ قاتلاتها المأجوراتِ لقتلِ كاترين دو ميديسيس.

تصفيةُ الحساباتِ هذه، روّعت عاشقَي الحضارة النّمليّة. كانا مصدومين. إذاً عالَمُ النّملِ أشدُّ ضراوةً من عالَم البشَر. طفحَ الكيلُ. بين ليلةٍ وضُحاها، بدآ يبغُضانِ النّملَ بذاتِ الاندفاعِ الذي أحَبّاهُ فيه.

أوّلُ ما عادا إلى أثيوبيا، شاركا في حركةٍ واسعةٍ مُضادّة للحشراتِ في القارّةِ الإفريقيّةِ. وأخذا حينئذ يتواصَلانِ مع أبرزِ المُختصّين العالميّين في هذا المجال.

32- كاترين دو ميديسيس (1519-1589) زوجة ملك فرنسا هنري الثاني.

33- مذبحة حدثت سنة 1572 أثناء حروب فرنسا الدينيّة، وثمّة من يعتقد بأنّ كاترين دو ميديسيس من دبّر لها.

أخرجَ البروفيسور أودرجينْ أنبوبةَ الاختبارِ ورفَعها إلى مُستوى عينيهِ بحَركاتٍ محسُوبةٍ كالتي يتّصفُ بها قِسّ. أضافت إليها زوجته مسحوقاً أبيضَ بالجوّ الاحتفالي ذاته. مَسحوقَ طبشورٍ في الواقعِ. ثمّ أفرغتِ المزيجَ في عصّارةٍ، أضافت إليهِ عدداً من السّوائلِ لبنيّةِ اللّون، أغلقت وأَدارتها. بعد خمسِ دقائقَ، أخذَ الخليطُ لوناً جميلاً رمادياً مُفضّضاً.

وإذ برجلٍ أتى يُنذرهم. كانَ عالِماً أيضاً. طويلاً ونحيلاً يُدعَى سينيرياز. البروفسُور ميغيل سينيرياز.

- ينبغي العملُ سريعاً، إنّهم في «طريقهم» إلينا. مكسيميليان مكاريوس ماتَ أيضاً، قال. إلى أينَ وصَلت عمليّةُ بابل؟

- كلُّ شيء جاهزٌ، أكّد جيل. وناولهُ أنبوبةَ الاختبارِ ممتلئةً بالسّائلِ الفضيّ.

- أَحسنتما. أعتقدُ أنّنا ربحنا هذهِ المرّة لن يتمكنوا من فعلِ أيّ شيءٍ ضدّنا. ولكن ينبغي عليكما الذّهابُ قبل أن يُعاودوا الضّربَ مُجدّداً.

- هل لديكَ أسماءُ الذينَ ينوون وضعَ العصيَّ في عجلاتنا؟

- لا بدّ أنْ تكونَ حركةً سياسيّةً لشبهِ بيئيين. إنهم لا يعرفونَ حتّى ماذا يفعلون.

تنهّدَ جيل أودرجين.

- لماذا لا يكادُ المرءُ أن يبدأ عملاً حتّى تظهرَ مباشرةً قوّة عكسيّة مُناهِضةٌ لمنعِهِ من النّجاحِ؟

أنهضَ ميغيل سينيرياز كتفيه.

- الأمر كذلك دوماً. علينا أنْ نكونَ الأسرعَ.

- ولكن من هم خصُومنا؟

اتّخذَ ميغيل سينيرياز هيئةَ مُتآمرٍ.

- أتريدُ حقّاً معرفةَ ذلك، نحنُ نُصَارع ضدّ... قوى العالم السّفليّ. إنّهم في كلّ الأمكنَة. لا سيّما، هنا في الدّاخلِ يكمنُونَ في تلافيفِ أدْمغَتنا المَخفيّةِ... صدّقني إنّهم الأسوأ!

جيل وسوزان أودرجين ماتا بعد ثلاثينَ دقيقةٍ تماماً من مُغادَرة البروفيسُور ميغيل سينيرياز آخذاً معهُ المادّة الفضيّة.

77. معبُودُ الحشَرات

يلزمُ أكثرَ من القرابينِ أيضاً.

إذا لمْ تُبجّلوا آلهتكم،

سوف نعاقبكم بالتّرابِ، بالنّارِ، بالماءِ.

*بإمكانِ **الأصَابعِ** القتلُ لأنّ **الأصابعَ** آلهةٌ.*

*بإمكانِ **الأصَابعِ** القتلُ لأنّ **الأصابعَ** ضِخامٌ.*

*بإمكانِ **الأصَابعِ** كلُّ شيءٍ لأنّ **الأصابعَ** ذَوو سُلطانٍ.*

إنّها الحقيقةُ

الأصابعُ التي نقرَت توّاً هذه الرسَالةَ الآمرةَ يرتفعُ ثلاث منها فجأة

إلى فُتحةِ الأنفِ وينشغلون بتنظيفه بالكاملِ؛ بعد ذلك يفتلونَ ويُكوّرونَ دُحروجة تثيرُ حسَد جِعْلان الرّوثِ ثمّ يقذفونَها بعيداً.

ثمّ ترتفعُ الأصابعُ أعلى، لتحملَ جبيناً يُقال خلفهُ: لقد قُمنا بعملٍ جيّدٍ، عمل لا يستطيعُ أيٌّ كان فعلَهُ!

78. الحَملَةُ

رويداً رويداً التحقَ كاملُ الجيشِ بالنّملتين.

ترفعُ الرّقم 103683 قرناً وتشمُّ رائحةَ الشّمسِ تُولَدُ والتي أخذَ دفؤها الآن يسري واضحاً في أوصَالها. ثمةَ نِمالٌ حولهما.

بيلوكانيات، وأيضاً زِديبيناكانيّات قَدمن كمُشاهداتٍ. يبثُثنَ تشجيعاتٍ حماسيّة من أجل فيلقَيْهنّ المدفعيّةِ وسِلاحِ الفُرسانِ الخفيفِ، وأيضاً لأجلِ الحَملةِ بأكملِها.

الرّقم 23 تسنُّ فكّيها، والرّقم 24 تحرسُ شرنقةَ الفراشةِ. فيما تَثبتُ الرّقم 103683 في مُوقعها، متنبّهةً إلى ارتفاعِ درجةِ الحرارةِ. في الدّرجةِ 20 تماماً، تنتفضُ وتُطلقُ فيرومُونَ شارةِ الانطلاقِ. بقدرِ ما هو خفيفٌ بقدرِ ما ينطوي على إصرارٍ، إنّهُ فيرومون تجييشٍ، مؤلّفٌ من حمضِ إيكزانويك (C6–H12–O2).

تقلعُ الجُنديّاتُ على الفورِ، مُشكّلاتٍ الرّتلَ الأوّل الذي يتضخّمُ ويمتدُّ على هيئةِ فورانِ قرون استشعارٍ وقرونِ خنافسَ وكراتٍ عينيّة وبطونٍ مُفرطةِ الامتلاء.

أوّلُ حملةٍ على الأصَابعِ انطلقت مجدّداً. بعد بعضِ الوقت تضبطُ

الرّحلةُ إيقاعَ سُرعتها، تفتحُ لنفسِها طريقاً، بمشقّةٍ، بين الأعشابِ التي تُطقطقُ وتتوسّعُ.

حشراتٌ، ديدانٌ، قوارضُ، وزواحفُ جميعها تفضّلُ الهربَ لدى مرور الحَملة. الشُّجعانُ النّادرونَ الذين يراقبونَ مرورها، وهم مُختبئونَ بأمانٍ، لا يُصدّقون عيونهم وهم يرونَ جِعْلان وحيدِ القرن والنّمالَ الصّهباواتِ مُتكاتفين معاً.

في المُقدّمة، تخفُّ المُستطلعاتُ، تارةً يأخذنَ اليسار، وتارةً اليمين، مُفسِحَاتٍ لمعظَمِ عديدِ الفِرقِ في الطّرقِ الأقلّ تعرّجاً، والأقلّ وعورةً.

هذا التكتيكُ الحذرُ، والشّديدُ الفعاليّة على العموم، لا يَحولُ دونَ اصطدام الجيشِ فجاةً بعائقٍ غير مُتوقّع. يتكدّسْنَ ويدفعنَ بعضهُنَّ بعضاً إلى حافّةِ فوّهةٍ ضخمةٍ قطرها مائةُ خطوةٍ بالحدّ الأدنى. تَسودُ الدّهشَةُ! لأنهنّ سرعانَ ما يتعرّفن عليها، هذه الحفرةُ: هي كلّ ما تبقّى من مدينةِ جيو-لي-كان والتي نجتْ إحدَى جُنديّاتها بمعجزةٍ وأخبرت عن عمليّةِ النزعِ الوحشيّ للمدينةِ واختطافِها في قوقعةٍ عملاقةٍ شفّافةٍ... ها هي أفعالُ الأصَابعِ! هذا ما يقدرونَ على فعله!

تلتفتُ نملةٌ ذاتُ بنيةٍ قويّة، مُنتصبةَ القرنين، إلى أَخواتها. إنّها الرّقم 9. الجميعُ يعرفُ عدائيّتها للأصابعِ. تُلقي، مُوسّعةً ما بين فكيها، بفيرومونٍ قويّ:

سوفَ نثأرُ لهم! سوف نقتلُ إصبعين مقابلَ كلّ نملةٍ من نمالنا!

جميعُ جُنديّاتِ الحَملة سمعْنَ من يقولُ ويُكرّرُ بأنّه لا وجودَ لمئة إصبع على الأرضِ، غير أنَّ ذلك لم يمنع من اشتمامهنّ الرّسالةَ اللّاذعةَ، يطفنَ حولَ الهاويةِ، مُثاراتٍ بالسّخطِ الشّديدِ، ثمّ يستأنفنَ طريقهنّ.

حماستهنّ لا تُنسي مُقتضَياتِ الحَذرِ. على هذا النّحوِ، عندما يجتزنَ مرجاً معشوشباً أو صحراءَ مُعرَّضينَ لشمسٍ قويّة، يُبادرنَ إلى إظلالِ مدفعياتهنّ. إذ لا ينبغي أن ينفجرَ الحَمضُ المُفرِطُ الحرارةِ، قاتلاً الحاملةَ ومن يُجاورها، لاسيّما الحمضُ شديدُ التّركيزِ والذي يبلغ 60 %: تخيّلوا ضغطَ الانفجارِ والخرابَ الذي يمكنُ أن يُحدِثهُ في صفُوفِ الجيشِ!

ها قد وصلنَ إلى أمام تُرعة ماء، قد تكونُ من بقايا الطّوفان الأخيرِ. تتوقّعُ الرّقم 103683 بأَن لا يكونَ لها امتدادات بعيدةٌ ولا بدَّ أنّ تفاديها مُمكنٌ عبر الالتفاف من جِهَة الجنوبِ. لا يُصغي أحد إليها -لا وقتَ للهدرِ! تَرمي المُستطلعاتُ بأنفسهنّ على الماءِ مُشكّلات جِسراً، متشبّثاتٍ بأرجلِ بعضهنّ بعضاً. بعد أن تعبرَ الفرقةُ، سوفَ تبقى نحو أربعين مُستطلعةً مجمّداتٍ في مكانهنّ، لا يتَحصّلُ المرءُ على شيءٍ دونَ أن يدفعَ ثمنهُ.

حينَ يبدأ المساءُ الثاني بالهبُوطِ، سيحتَللنَ بكلّ سرورٍ عشّ أرَضَة أو عشّ نمالٍ عدوّة. ولكن لا شيءَ في الأفق. إنّهنّ في سَبَخةٍ خاليةٍ حيثُ لا ينبتُ فيها سوى شُجيرات القيقبِ.

جرّاء تَحريضٍ مُحَاربةٍ قَديمةٍ، لا تَعلمُ بأنّهُ بعيداً عن هنا تخيّمُ نمالُ المانيان بِهذِه الطّريقة، يتجمّعنَ ويتكدّسنَ على شكلِ كُرةٍ مُدمَجة. ضواحي هذا العشّ المؤقّت مشغولةٌ بدانتيلا من الفكوكِ الجاهزاتِ للعضّ. كما وُضّبَتْ قاعاتٌ حيّةٌ، في الدّاخلِ، من أجل الجِعْلان الذين هم أشدُّ حساسيّةً للبردِ ومن أجل المرضَى والجرحَى. يَنطوي الجمعُ برمّته على حُجراتٍ وممرّاتٍ، ما يُعَادلُ عشرَ طبقات تقريباً.

ممّا يكفي إذا ما حيوانٌ لمسَ ثمرةَ القرعِ البنيّةِ هذه، أن يُتلَعَ على

الفور داخلَ اللبّ النّمليّ. عُصفور دغناشٌ فتيٌّ وحرذون -اعتقد أنّه قاسٍ -يَدفعانِ بنفسيهما إلى موتٍ مُرعبٍ بسببِ فضُولهما.

بينما تبقى النّمالُ اللواتي تَحرسُ في الخارجِ في حالةِ تأهُّب، تهدأُ الحركاتُ في الدّاخلِ وتصبحُ أبطأ. كلُّ نملةٍ تترصّعُ في جزءِ الحُجْرةِ أو المَمرّ المُخصّصِ لها. البردُ في المكانِ. ينامُ الجميع.

79. موسُوعة

القاسِمُ المُشترَكُ الأصغرُ: أكثرُ خبرة حيوانيّة مُشترَكة بين بشر الأرض كافّةَ هي مُقابلةُ النّمل. لا بدّ أنّه يمكنُ العثورُ على شعوبٍ لم ترَ هرّاً في حياتها أو كلباً أو نَحلةً أو أفعى، ولكن لن نعثرَ مُطلقاً على شخصٍ لم يلهُ يوماً بترك نملة تتسلّقهُ. إنّها التجربةُ الحياتيّة المُشتركة والأكثرُ انتشاراً. إلّا أنّه بمراقبة تلك النّملة التي تدبُّ على يدنا استخلصنا معلومات أساسيّة. أولاً: تُحرّكُ النّملة قرنيها لتفهمَ ما الذي يحدثُ لها؛ ثانياً: تذهبُ إلى كلّ مكان يُمكنها المُضيُّ إليه؛ ثالثاً: تَصعدُ إلى اليد الثانية إذا قاطعناها مع الأولى؛ رابعاً: بالإمكان إيقافُ رتل من النّمل برسم خطّ أمامه بإصبع مبلول (تصلُ الحشرات كما لو أمام جدارٍ غير مرئيّ لا يمكنُ اختراقهُ والذي في النّهاية تلتفّ حولهُ). ذلكَ نَعرفهُ جميعنا. مع أنّ، هذه المَعرفةَ الطفوليّةَ، هذه المعرفةَ الأوليّة المُتقاسمةَ بين أجدادنا جميعاً ومعاصرينا ليس لها نفعٌ في شيء. لأنّ المدرسةَ لا تتعهدها (التي ندرسُ فيها النّملةَ بطريقة مملّة: مثلاً بحفظ أسماء أعضاء جسد النّملة: بصراحة، أيّة جدوى وراء ذلك؟)، وليسَت مُفيدةً للعثورِ على مهنة.

إدمون ويلز،

موسُوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلّد الثاني.

80. زوّارُ المساءِ

كانَ صائباً في نظرتِه! أكّدَ الطبيبُ له ذلك. من الواردِ جدّاً أن يكون سبَبُ الجروح الداخليّة فكّوكُ نَملٍ. لم يقبض جاك مِيليَس على المتّهم بعدُ لكنّهُ كانَ متأكّداً أنّه في المسارِ الصّحيحِ.

كانَ مُثاراً لدرجةٍ تمنَعهُ من النوم، أشعلَ التلفزيون ولحُسنِ الحظّ وقعَ على إعادةِ بثّ ليليّ لبرنامج «فخّ للتفكير». كانتِ السيّدةُ راميريز قد تخلّت عن خجَلِها لتظهرَ بهيئةٍ مُشرِقة.

– إذاً، سيّدة راميريز، هل عثرتِ على الحلّ هذه المرّة؟

لم تُخفِ السيّدة راميريز فرحَتها.

– بلى، بلى، وجدتُ! أظنّ أنّي عثرتُ على حلّ لغزكَ!

أرعَدت القاعَةُ بالتّصفيقِ.

– حقّاً؟ اندهشَ المُقدّمُ.

أخذت السيّدة راميريز تصفّقُ مثل فتاةٍ صغيرةٍ.

– بلى، بلى، بلى! قالتها مُنفعلةً.

– حسناً، فسّريه لنا سيدة راميريز.

– يعودُ الفضلُ لجُمَلكَ المفتاحيّة، قالت. «كلّما ازداد ذكاؤنا قلّتْ حُظوظنا في إيجاد الحَلّ»، «يَجبُ إزالةُ العلم الذي نعرفهُ»، «هذا اللّغزُ مثل الكون يستقي زخَمهُ من البساطَة المُطلقة.»... فهمتُ أنّ عليّ أن أعودَ طفلة من جديدٍ لأعثرَ على الحلّ. الرّجوعُ إلى الخلفِ، الرّجوعُ إلى النّبعِ، كما هذه السّلَسلةُ المُجسّدةُ لانتشارِ الكونِ تبدو عائدةً إلى البيغ بانغ الأصليّ الذي يخصُّها. كان ينبغي أن أعودَ عقلاً بسيطاً، أن أعودَ وأجدَ روحَ الطّفلةِ التي كُنتها.

- ذلكَ يُوغِلُ بعيداً، أليسَ كذلك، سيّدة راميريز...

مأخوذةً بحماسَتِها، لم تسمَح المُتَسابِقةُ بالمُقاطعة:

- نحنُ الرّاشدون، نُرغِمُ أنفسنا دوماً على أن نكونَ أذكى، ولكن تساءلتُ ما الذي يمكنُ أن يحصل إذا تصرّفت على نحوٍ معاكسٍ. أي كسرُ الرّتابةِ والتوجّه عكسَ عاداتنا.

- أحسنتِ، سيّدة راميريز.

تصفيقاتٌ مُتناثرةٌ. كما جاك مِيلِيَس كان الجمهورُ يترقّبُ التتمّةَ.

- وإذاً، كيف سيكون ردُّ فعلِ عقلٍ ذكيّ أمام هذا اللّغزِ؟ أمام هذا التّسلسُلِ من الأرقام، يرى مسألةً رياضيّة. لذا سيبحثُ عن القاسمِ المُشتركِ بين سطورِ هذه الأرقام. فيَجمعُ، يطرحُ، يضربُ، ويستعرِضُ بدقّةٍ جميع الأرقام. لكنّهُ ينطَحُ صخرةً دونَ جدوى، والسّببُ واضحٌ إذ لا علاقةَ للرياضيّاتِ بالأمرِ... وإذا لم يكن ذاكَ لُغزاً رياضيّاً، فإنّه لغزٌ أدبيّ.

- تفكيرٌ سليم، سيّدة راميريز. يُصفّقون.

تنتهزُ المُتَسابِقة الهُتافات لتَلتَقِطَ أنفاسَها.

- ولكن كيفَ يُمكنُ، سيّدة راميريز، أن نُعطي مَعنى أدبيّاً لسلسلةٍ من الأرقامِ تتكدّس فوقَ بعضِها؟

- بأن نفعلَ مثلَ الأطفالِ، ونُصرّحُ بما نراه. الأطفالُ، الأطفالُ الصّغارُ جدّاً حينَ يرونَ رقماً، يلفظونهُ كلمةً. بالنسبةِ لهم «ستّة» تتطابقُ مع صوتِ ستّة كما تتطابقُ بقرة مع بهيمةٍ ذات أربعةِ أرجلٍ لها أثداء. إنّهُ أمرٌ متّفقٌ عليه. نُسمّي الأشياءَ بحسبِ أصواتٍ اعتباطيّةٍ تختلفُ في شتّى أنحاءِ العالم. ولكنّ الاسم والتصوّرَ والشيء في النّهايةِ وفي كلّ مكانٍ ليسوا سِوى شيءٍ واحدٍ.

- ها أنتِ فيلسُوفةُ اليوم، سيّدة راميريز، غير أنّ عزيزاتنا المُشاهِدات والمُشاهِدين يُطالبون بشيءٍ ملموسٍ. فأين هو الحلّ إذاً؟

- إذا كتبتُ «1»، طفلٌ صغيرٌ بالكادِ يعرفُ القراءةَ سيقولُ لي: «إنّه واحدٌ واحد.» فأكتبُ إذاً «واحدٌ واحد». إذا أريتهُ ما أنا كَتبتهُ للتوّ، سيقولُ لي إنّه يرى « اثنان واحد»: «2 1». وهكذا دواليك... هذا هو الحلّ. يكفي أن تُسمّي السّطرَ العلويّ لتحصلَ على السّطرِ الذي يليه. لذا يقرأُ طفلُنا الصغيرُ «واحد اثنان، واحدٌ واحد» في السّطر التالي: 1211. وعلى هذا النّحوِ ستتالى الأسطر 111221، ثمّ 312211، ثمّ 13112221، ثمّ 1113213211... ولا أظنّ أنّ الرّقم «أربعة» سيظهرُ قريباً!

- أنتِ رائعةٌ، سيّدة راميريز! لقد ربحتِ!

ضجّت القاعةُ بتصفيقٍ حادّ، لدى مِيليَس شعورٌ بأنّ التحيّة موجّهةٌ لهُ.

يُعاودُ المُقدّم تهدئةَ القاعةِ:

- لن نكتَفي بالنّجاحِ الأوّلِ، سيّدة راميريز؟ لن نسترخيَ تحتَ أكاليلِ الغارِ سيدة راميريز؟

تتملْمَلُ المرأةُ، تَبتسمُ، تُبدي حركةَ غنَجٍ، وتضعُ يَديها الرّطبتين أكثرَ مِنهُما باردتين على خدّيها المُتورّدين.

- دعني على الأقلّ أستعيدُ ترتيبَ أفكاري.

- آه! سيّدة راميريز، لقد حللتِ لغزنا الرّقميّ بطريقةٍ بارعةٍ جدّاً، ولكن سُرعان ما ارتَسَم جَديدُ «فخّ للـ...

تفكيرِ»!

- ... مُقدّمٌ، على جري العادةِ، من قبلِ مُشاهدٍ مجهُول. اسمعوا

جيّداً مسألتنا الجديدة: هل بوسعكِ أن تكوّني بستّة أعواد ثقابٍ، انتبهي أقولُ تكوّني بستّة أعوادِ ثقابٍ، ستّةَ مُثلّثاتٍ مُتساويةِ الأضلاع لها ذاتُ الحجم، دون كسرِ الأعوادِ أو لصقها؟

– هل تقولُ ستّةُ مثلّثات! هل متأكدٌ أنّها ستّة أعوادِ ثقابٍ لأجلِ ستّة مُثلّثات؟

– ستّةُ أعوادِ ثقاب، ستّةُ مثلّثات، كرّرَ المُقدّم بنبرةٍ واثقة.

– أي ما يُعادِلُ مُثلّثاً في كلّ عودٍ؟ قالت المُتسابقَة بدهشةٍ.

– تماماً، سيّدة راميريز. والجملةُ المفتاحيّةُ الأولى هذه المرّة ستكون: «ينبغي التّفكيرُ بطريقةِ الآخرِ ذاتها.» وإذاً، صديقاتي المُشاهِدات والمُشاهِدين، الجميعُ مَدعوّ للتفكيرِ. وغداً لنا لقاءٌ، إذا أحببتم!

أطفأ جاك ميليَس الجهازَ وعادَ إلى سريرِه ثمّ أخلَد إلى النوم. نشوتهُ تبعتهُ إلى إغفاءته. كانت تختلطُ في أحلامه المُتشابكة ليتيسيا ويلز، عيناها الأرجوانيّتان ولوحاتها عن علم الحشَرات، مع سيباستيان سالتا ووجهه الأقرب إلى فيلمِ رعبٍ، المُحافظ دوبيرون الذي كان يتركُ السّياسةَ لينطلقَ في مجالِ الطبّ الشّرعيّ، المُتسابقةُ راميريز التي يجنّبها تفكيرها أيّ فخّ...

كان يتقلّبُ ويتقلّبُ بين شراشفه، لقسط يسيرٍ من اللّيل، وأحلامهُ تتابعُ جَلبتها. كان نائماً بعمقٍ. ثمّ أخفَّ. ثمّ لم يعدْ نائماً. أجْفَلَ. كان ثمّةَ اهتزازٌ صغيرٌ حقّاً، أشبهُ بتكتكة على الفراشِ، لاحظهُ أسفل سريرهِ. عادَ كابوسُ الطفولة يُطارِدهُ: الوحشُ، الذئبُ الهائجُ بعينيه الحمراوين من الكراهيّة... استعادَ تمالكَ نفسه. إنّه راشدٌ الآن. أشعلَ الضوءَ، وهو في كاملِ استيقاظهِ، لاحظ أنّه ثمّةَ بالفعلِ بروز ناتِئٌ يتحرّكُ تحتَ قدميه.

قفزَ خارجَ السّريرِ. كانت الحَدبةُ هناك، حقيقيّةً جدّاً. لكمَها بيدهِ وسمِعَ صريراً. ثمّ مذهولاً، رأى ماري شارلوت خارجةً تعرجُ من تحتِ الشّراشف. لاذتِ المسكينةُ بين ذراعيه وهي تموءُ. أخذَ يُداعبها ليُطمئنها ومسّدَ رجلها التي آذاها. ثمّ، مُصرّاً على استعادةِ بعض قواهِ تلك الليلة، ذهبَ ليقفل على ماري شارلوت في المطبخ بقربِ قطعةٍ من مهروسِ لحم التّونةِ بالطرخون. شربَ كأسَ ماءٍ من البرّاد وجلسَ يُشاهِدُ التلفزيون إلى أن دوّختهُ الصّورُ.

كان لدى التلفزيون مفعول مهدّئ، بجُرُعات كبيرةٍ، مثلُ مُسكّنٍ تخديري. يشعرُ المرءُ بالاسترخاء، الرأسُ مُثقَلٌ باللاشيء، والعيونُ مُتشرّبة بمشاكلَ لا تعنيه. مُنتهَى المُتعةِ.

عادَ إلى النوم، وحَلم في هذه المرّة مثل جميع النّاسِ بما قَد رآه في التّلفزيون للتوّ: أيّ فيلم أمريكيّ، إعلانات، رسومٌ متحرّكة يابانيّة، مُباراة تنس، وببضعِ مَشاهد لمذابح من الأخبارِ.

كان نائماً. نائماً بعمقٍ. ثمّ أخفّ. ثمّ لم يعدْ نائماً.

فعلاً، القدرُ عاندهُ. لمرّة جديدة لاحظَ تلّةً صغيرةً تتحرّكُ في أسفلِ سريره. أشعلَ الضّوء مجدّداً. ألا تزالُ قطتهُ ماري شارلوت تُشاكس؟ مع أنّه أقفلَ البابَ عليها بإحكام.

نهضَ مُسرِعاً، رأى التلّة تُقسَمُ إلى نصفين، أربعة، ثمانية، ستّة عشر، اثنان وثلاثون، ثمّ نحو مائة انتفاخ صغيرٍ لا يكادُ يُلحَظ ينتقلُ باتّجاه فُتحَة الشّراشف. عادَ خطوةً إلى الوراءِ. وتأمّل، مذهولاً، النّمل الذي أخذَ يجتاحُ وسَادتهُ.

أوّلُ ردّ فعلٍ له كان بأن يكنسهم بظاهرِ يدهِ. تراجعَ في الوقتِ

المُناسبِ. لا بدّ أنّ سيباستيان سالتا والآخرين جميعهم أرادوا كنسَهم باليدِ. الخطأُ الأسوأ هو الاستخفافُ بالعدوّ.

فإذاً، أمام هذه الحيوانات المُفرطةِ الصّغرِ والتي لم يفكّر للحظة بتمييز صنفها بالضّبطِ، هربَ جاك ميليَس. أخذَ النّملُ يطاردُهُ، على ما يبدو، لحُسنِ حظّه بابُ الدّخولِ ليسَ لهُ غيرُ قفلٍ واحد فاستطاعَ تركَ الشقّة قبلَ أن تَصِله الفرقةُ. وهو على السلّم سمعَ مُواءاتٍ فظيعةً تصدرُ عن ماري شارلوت المسكينةِ كانت تتمزّقُ من قِبلِ تلك الحشَراتِ اللّعينة.

عاشَ كلّ ذلك كما في حالةِ غَيبوبة، كتحريكٍ مُسرّع. تمكّن، وهو حافي القَدمين في الشّارعِ مرتدياً البيجامة، من إيقافِ تَاكسي ورجا السّائقَ أن يُسرِعَ إلى مخفرِ الشّرطةِ المركزيّ.

بعد الآن باتَ على يقينٍ، إنّ القاتلَ على علمٍ بأنّه حلّ لغز الكيميائيّين المقتولين، وقد أرسلَ لهُ قاتلاته الصّغيرات.

لكنّ شخصاً واحداً فقط يَعلمُ أنّهُ حلّ اللُّغزَ. شَخصٌ واحدٌ فحسب!

81. موسُوعة

الثنينيّة: يمكنُ اختصارُ الكتابِ المُقدّسِ برمّتهِ إلى كتابه الأوّل: سفر التكوين. يمكنُ اختصارُ سفر التكوين برمّته إلى فصله الأوّل. ذاك الذي يروي خَلق العالم. ويمكن لهذا الفصل بدوره أنْ يُختَصرَ إلى أوّل كلمة به بَيريشيت. بَيريشيت التي تعني «في البدء». هذه الكلمة بكَاملها يمكنُ اختصارها إلى مَقطعِها اللفظيّ الأوّل، بَير، ما يعني «الذي وُلدَ». يمكنُ لهذا المقطع اللفظيّ بدوره أن يختصر بكَاملهِ إلى أوّل حرفٍ لهُ، B، الذي يلفظ «باث» والذي

يتمثّل بمربّع مفتوح تتوسّطه نُقطة. يرمز هذا المربّع إلى البيت، أو الرحم الذي ينغلقُ على البيضة داخله، الجنين، نُقطة صَغيرة مُقدّرٌ لها بأن تُولَد.

لماذا يبدأ الكتابُ المقدّس بالحرف الثاني من الأبجديّة وليس الأوّل؟ لأنّ B يُمثّل الثنيّة العالم، على اعتبار A هو الوحدةُ الأصليّة. B هو إسقاطٌ لهذه الوحدة، إنّه الانبثاق. B، هو الآخر. نحن «الثنان»، نتحدرُ من «الواحد». نتحدّر من A، ونكونُ في B. نعيشُ داخلَ عالم الثنيّ وفي حنينٍ -بل بحثٍ- عن الوحدة، عن الألف (L'Aleph)، النّقطةُ التي ابتدأ منها كلّ شيء.

إدمون ويلز،

موسُوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلّد الثاني.

82. دائماً إلى الأمام

اهتزّ المخيّمُ إثر سقوطِ ثمرة قيقب مُجنّحة، إحدى المراوحِ النباتيّة التي تُلقي ببذورها إلى بعيد. دورانُ جناحيها الغشائيّين يجعلُها خطرةً على النّمالِ. غيرَ أنّ هذهِ المرّة، اقتصرت على بعثرةِ جُنديّاتِ الحملةِ برميهنّ أرضاً قبل استئنافِ طريقهنّ.

تردُ الأحاديثُ المُتداولةُ بين الصّفوفِ تلقائيّاً. يجري الحديثُ عن مُقارنةِ مخاطرِ القذائفِ الطبيعيّةِ المُختلفة. الأسوأُ بحسَب بَعضهنّ، قَنازعُ الهِنْدباء، التي تَلصَقُ على القرونِ وتشوّش أيّ تَواصل. برأي الرّقم 103683 لا شيء يوازي البلسمين، في هذا المضمار. فأوّل ما تُلمَسُ الفاكهةُ تلتفُّ الشرائط بعنفٍ راميةً بذورها على مسافةٍ قد تتجاوزُ المئةَ خطوة.

الجميعُ يُثرثِر غيرَ أنّ ذلكَ لا يُبطِئ سيرَ الموكبِ الطويلِ. تحثّ النّمال

بطونهنَّ على الأرض بشكل متقطّع لكي تطبع غدّتهنّ ديفور أثراً شميّاً كدليل لأخواتهنَّ في الخلف.

يرفرفُ في الأعلى عددٌ من الطّيورِ، خطرُها يفوقُ الثّمارَ المُجنّحةَ. عصافيرُ مغرّدةٌ جنوبيّة ريشُها يميلُ إلى الزّرقة، وقبّراتُ الغياض، إلّا أنّ الغالبَ طيورُ نقّارِ الخشبِ، المرقّطةُ، الأسودُ والأخضرُ. إنّها الطيورُ الأكثرُ شيوعاً في غابةِ فونتينبلو.

يدنو أحدُ طيورِ نقّارِ الخشب الأسود، على نحوٍ مُفزع. ويضَعُ نفسهُ أمام رتل الصّهباوات مُسلطاً منقارهُ عليه. ينكسُ إلى الأسفل، ثمّ يُعيدُ أخذ وضعيّةَ طيرانٍ متوازنة ويندفعُ على ارتفاعٍ مُنخَفضٍ جدّاً. تتوزّع النّمالُ المذعورةُ في شتّى الاتّجاهات.

إلّا أنّ هدفَ الطير، ليس أن يلتقطَ بضعَ مسكينات منفصلة. حين يرتفعُ عمودياً فوقَ فرقةِ جُنديّاتٍ، يلقي ذَرْقاً أبيضَ يلوّثهنّ بالكامل. وبما أنّه يُكرّرُ هذا الفعلَ عدّة مرات ينجحُ في إصابةِ ثلاثين نملةٍ. صرخةُ إنذارٍ تعبرُ الجيشَ بأكملهِ.

لا تأكلنَ منها! لا تأكلنَ منها!

بالفعل، روثُ طيورِ النقّار مُصابٌ معظمُ الأوقاتِ بالدّودةِ الشريطيّةِ. اللواتي سيَتذوّقنهُ...

83. موسوعة

ديدان شريطيّة: الديدانُ الشريطيّة هي طفيليّات أُحاديّة الخليّة تعيشُ مرحلةَ الرّشد في أمعاء النقّار. الدّيدانُ الشريطيّة تُقذَفُ مع ذَرْق الطير. قد يخطر لنا أنّه هو، مُدرِكٌ ذَلك، لكثرةِ ما يكرّر قذفهُ المُدن النّمليّةَ بذَرْقه.

حينَ يُنظّفُ النّمل مدينتهم من الآثارِ البيضاء هذه، يأكلون منها ويصابون بالدّودةِ الشّريطيّةِ. الطفيليات تعيقُ نموّهم، وتغيّر صبغيّات دروعهم لتجعلَ لونها أفتح. تصبحُ النّملة المُصابة كسولةً، وردودُ فعلها أبطأ بكثيرٍ، وبالخلاصة، حين يهجم نقّار أخضرُ على مدينةٍ، تكونُ النّمالُ المُصابةُ من قبلِ ذَرْقه أوّل ضحاياهُ.

هذه النّمال المَهقَاوات لسْنَ الأكثر بُطئاً فقط وإنّما كيتينهنّ الذي أصبح فاتحَ اللّونِ يجعلُ التقاطهنّ أسهل بكثيرٍ داخلَ ممّراتِ المدينةِ الدّاكنة.

إدمون ويلز،

موسُوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلّد الثاني.

84. أوائلُ القَتلى

يعودُ العُصفورُ للقصفِ مُجـدّداً. يطبّقُ استراتيجيّته على المدى المُتوسّط: التّسميمُ في البدايةِ، ثمّ حصدُ النّمالِ التي باتت ضعيفةً في الغارةِ التي تليها.

تشعرُ الجُنديّاتُ بالعجزِ. تصرخُ الرّقم 9 نحو السّماءِ بأنّهنّ ذاهبات لقتلِ الأصَابع. وبالهجوم عليهنّ، يحمي هذا الطّائرُ الغبيّ عدوّهما المُشترك. ولكنّ النقّار لا يلحظُ الرّسائلَ الشمّيةَ. يقومُ بدورانٍ مقلوبٍ بالجهةِ العكسيّةِ ويندفعُ بقوّةٍ أكبر على رتلِ جُنديّات الحملةِ.

الجميع إلى المُضادّات الجويّة! بثّت مُحاربةٌ قديمة.

تتسلّقُ مدفعيّات ثقيلة بالسّرعةِ القصوى سيقاناً عاليةً. ويُطلقنَ على مرورِ الطّيرِ، الذي هو في النّهايةِ سريعٌ جدّاً. خطأ بالتّصويبِ!

والأسوأ أن اثنتين من المدفعيّاتِ تُحرِقان بعضَهما بعضاً بطلقاتٍ مُتقاطعةٍ!

ولكن بينما يتهيّأ النقّارُ الأسود ليُعيدَ إفلات ذَرْقه، يرى أمامهُ مشهداً غير اعتياديّ. ثمّة جُعَلُ وحيد القرن، معلّقٌ تقريباً بثباتٍ بسبَبِ رفيفِ أجنحته غيرِ المتزامن، مع، نملةٍ بوضعيّةِ الرمي تجثمُ بغرابةٍ فوق طرفِ قرنهِ الأماميّ. إنّها الرّقم 103683. شرجُها يُدخّنُ بسببِ الحمضِ الذي أترعَت نفسها به والذي يَصلُ تركيزهُ نحو 60 %.

بتوازنٍ غير مستقرّ، النّملةُ ليست مُطمئنةً كثيراً. سيدمّرها الطّائرُ إنّه يفوقُ حجمها بشكلٍ هائلٍ، أقوى منها وأكثرُ رشاقةً. يأخذُ بطنها بارتجافٍ لا يمكنُ التحكّمُ فيه. لم يعد بوسعِها التّصويبُ.

تفكّرُ بالأصابع. الخوفُ من الأصابع هو أبعدُ من كلّ المخاوفِ الأخرى. سوفَ لن تضعفَ: حين نكون قد اقتربنا من الأصَابعِ، لن نخشَى عصفوراً صيّاداً.

تُعدّلُ من وضعيّتها وتُرخي دفعةً واحدةً مُحتوى جرابها من السمّ. نار! لم يتسنّ الوقتُ للنقّارِ أن يرتفعَ مُجدّداً. مَعميّاً، يفقدُ مسارهُ، يصطدمُ بجذعِ شجرةٍ، يخبطُ ثمّ يقعُ أرضاً.

رغمَ ذلك يتمكّن من الطّيران ثانيةً قبل أن تضعَ فرقُ الجزّاراتِ يدها عليه.

ابتداءً من هذه المرحلةِ، تحظى الرّقم 103683 بمكانة مرمُوقةٍ جدّاً. لا أحد يعرفُ بأنّها تغلّبت على خوفِها بخوفٍ أعظمَ بكَثيرٍ.

تعتادُ جُنديّاتُ الحملة من الآن فصاعداً على ذكرِ شجاعةِ الرّقم 103683، وخبرتها، ومهارتها في التّصويبِ. من غيرُها كان لهُ

أن ينجحَ في إيقاف مفترسٍ ضخمٍ، دفعةً واحدةً، وهو في ذروةِ طيرانه؟

ولهذه الشعبيّةِ المُتزايدة نتيجة أخرى: كمؤشّرٍ للأُلفة المُحبّة، يُختَصرُ اسمها، فلا تدعُوها جُنديّاتُ الحَملةِ من الآن فصاعداً سوى الرّقم 103.

قبلَ أن تُستأنفَ الحَملةُ، تُوصي المُصابات بذَرْقِ الناقر بأن تتجنّب عملياتِ التّطاعُمِ كيلا تنقلَ العدوى لباقي الجُنديّات.

كانتِ الصفوفُ آخذةً بإعادةِ انتظامها ثانيةً حين تقتربُ الرّقم 23 من الرّقم 103. ماذا يحدث؟ الرّقم 24 اختفتْ. يُبحثُ عنها لوقتٍ طويلٍ، دونَ أنْ يُعثَر عليها. مع أنّ النقّار الأسود لم ينل من أحدٍ! اختفاء الرّقم 24 مزعجٌ جدّاً لأنّ، معها، اختفت شرنقةُ الفراشةِ الخاصّة بمهمّة عُطَارِد.

يستحيلُ إخبارُ الآخرين بذلك. ويستحيلُ الانتظارُ أكثر. بئسَ أمرُ الرّقم 24. للقطيعِ أولويّةٌ على الفردِ.

85. تحقيقٌ

وصلَ مِيلِيَس بمُفردِهِ إلى شقّة الزوجين أودرجين. كانت العالمة الأثيوبية تجلسُ متربّعةً في حوضِ استحمام ليسَ فيه ماء. شامبو سميك مُمدّد على رأسها، تكسوها العلاماتُ ذاتُها التي باتت مُصنّفةً على نحوٍ جيّد: قشعريرة، قناعٌ من الرّعب ودم متخثّر عند طرفي الأذنين. الحالُ ذاتُهُ في المِرحاضِ القريبِ. إلّا أنّ الزّوجَ كان جاثماً على كرسيّ المرحاض، النّصفُ العلوي من الجسدِ منكبٌّ إلى الأمام والبنطالُ نازلٌ سويّةَ الجواربِ.

في الحقيقة، لم يُلقِ جاك ميليَس سوى نظرة إلى الجُثّتين. إذ بات بعد الآن يعلمُ حقيقةَ الموضوع فسارعَ إلى منزلِ إميل كايوزاك.

تفاجأَ المُفتّش بوصولِ رئيسه بغتةً دونَ سابقِ إنذارٍ إلى منزلِه في ساعةٍ مُبكرةٍ إلى هذا الحدّ، مرتدياً بالكاد بيجامةً تحتَ معطفه. أتى في توقيتٍ سيئ. إذ أنّ كايوزاك كان يقومُ بهوايته المُفضّلة: تحنيطُ الفَراشاتِ.

دون أن يلحظَ انشغالَهُ، أعلنَ المفوّضُ دُفعةً واحدةً:

- قُضي الأمرُ يا عزيزي! هذه المرّة أمسكنا القاتل!

بدا المفتشُ مُرتاباً.

لاحظَ مِيليَس الفوضى على مكتبِ مَرؤوسِهِ:

- ماذا تفعل؟

- أنا؟ أجمّعُ فراشات. أين الغرابة؟ ألم أخبركَ بذلك سابقاً؟

أطبقَ كايوزاك زُجاجتهُ من حمضِ التّمليكِ، بعد أن فرِغَ من طلاءِ أجنحة فراشةِ حريرٍ، ثمّ قلّبها بملقطٍ ذي أطرافٍ مُسطّحةٍ.

- إنّها جميلةٌ، أليسَ كذلك؟ خذ، انظر... هذه فراشةُ الصّنوبرِ. عثرتُ عليها منذُ بضعةِ أيّامٍ في غابة فونتينبلو. لكنّ الغريب بأنّ في أحد جناحيها ثقب تامّ الاستدارةِ فيما الآخرُ مشطّب. ربّما اكتشفتُ صِنفاً جديداً.

انحنى مِيليَس إلى الأمام متّخذاً هيئةَ المُشمئزّ.

- ولكنّ فراشاتكَ ميّتة! أنتَ تُعلّقُ جُثثاً بجانبِ بعضِها. أتحبُّ أن يُلصقكَ أحدٌ تحتَ زُجاجٍ مع لُصَاقةٍ، كُتِبَ عليها *Homo sapiens* (إنسان عاقل)؟

تجهّمَ المفتّشُ العجوز:

– أنت مهتمّ بالذّبابِ، أمّا أنا فاهتمٌ للفراشاتِ. لكلٍّ هوسُهُ.

ربّتَ مِيليَس على كتفهِ:

– هيّا، لا تحزن. ليس لدينا وقتٌ نبدّدهُ، لقد وجدتُ القاتل. اتبعني، سوفَ نلتقطُ فراشةً جميلةً من نوعٍ مُختلِفٍ.

86. تائِهةٌ

حسناً، ينبَغي التّسليمُ بالأمرِ الواقعِ، هو ليسَ من هناك ولا من هناك أيضاً، ولا من هناك، ولا من هناك، ولا من هناك.

لم يعد في المِنطقةِ أدنى رائحةٍ للنمالِ. كيفَ استطاعت أن تضيعَ بهذهِ السّرعة، ما الذي حدَث؟ حين انقضَّ النقّارُ عليهنَّ، قالت إحدى الجُندَيّاتِ: إنّهُ يجبُ الهروبُ، والاختباءُ. وها هي لفرطِ ما أطَاعتها تائهةٌ في الخارجِ الرّحبِ، وحدها. هي فتيّة، وليس لديها الخبرةُ وبعيدةٌ عن أبناءِ جلدتها، وعن الآلهةِ أيضاً.

ولكن كيف ضاعت بهذهِ السّرعة؟ إنّهُ عيبُها الكبيرُ، نَقصُ حِسّ الاتّجاه.

هي تعلمُ بهذا، لهذا السبب لم يصدّق الآخرون أن يكونَ لديها الشّجاعةُ لمُرافقةِ الحَملة.

كان الجميع يُطلقُ عليها الرّقم 24 –التائهةُ منذُ الولادة.

تتمسّكُ بِحملها الثّمين. شرنَقةُ الفراشَةِ.

قد يُفضي تيهُها هذه المرّة إلى نتائِجَ لا يُمكنُ تَخيّلها.

ليسَ من أجلِها فقط بل من أجل العشّ بأكمله، وربّما من أجلِ الجنس النّمليّ برمّته. عليها بكلّ الأحوال أن تعثرَ من جديد على فيرومُون إشارةٍ طرقيّة. تبدأ تهزُّ قرنيها إلى 25000 ذبذبة/ثانية دونَ أنْ تلتَقِطَ شيئاً ذا نفعٍ. إنّها ضائعةٌ بحقّ.

مَع كلِّ خطوةٍ يزدادُ حِمْلُها ثقلاً وإرباكاً.

تضعُ شرنقتها، وتنظِّفُ قَرنيها بهياج وتشتمّ بِحدّةِ الهواءَ حولَها. تلحظُ رائحةَ عشّ زنَابير. عشّ زنَابير، عشّ زنَابير... لا بدّ أنّها على مقربة من عُشّ الزّنابيرِ الحمراء! إنّه في الشّمالِ. هذا ليسَ الاتّجاه الصّحيح على الإطلاقِ. علاوةً على أنّ أعضاءها جانستون الحسّاسةَ إلى الحقولِ المغناطيسيّةِ الأرضيّة تؤكّدُ لها بأنّ تقديراتها خَاطِئةٌ بالمُطلقِ.

يتهيّأُ لها للحظة بأنّ ذُبابةَ هاموشٍ تترصّدُها. لا بدّ أنّ ذلك وهمٌ. تأخذُ الشّرنقةَ وتمضي مُستأنفةً سيرها إلى الأمام.

حسناً، هي تائهةٌ تماماً هذهِ المرّة.

مُذ كانت الرّقم 24 فتيّة جدّاً، لم تكفّ عن التّوهان. لم تكنْ تبلغُ من العُمرِ أياماً قليلةً وكانت تَضيعُ في ممرّاتِ عديمات الجنسِ، فيما بعد أخذت تضيعُ في المدينة، وأوّلُ ما تسنّى لها الخروجُ من عشّ النّمل، بدأت تضيعُ في الطّبيعةِ.

في نهاية كلّ رحلة استكشافيّة لها، كانَ ثمّةَ على الدّوامِ لحظةُ التّردّدِ تلك حيثُ تسألُ نملةٌ:

أين مَضتْ الرّقم 24؟

والجُنديّةُ المِسكينةُ الصيّادة كانت تسألُ نفسَها على الدّوامِ السّؤالَ ذاتهُ:

بالطّبعِ يبدو لها أنّها قد رأت هذه الزهرةَ بالفعلِ، وهذهِ القطعةَ من الخشَبِ، هذه الصّخرةَ، هذه الأَجَمة الصغيرة، إلّا أنّ... الزهرة ربّما كانت بلونٍ آخر. كانت في معظمِ الأحيانِ تدورُ في حلقةٍ مُفرغةٍ باحثةً عن فيرومُونات الإشاراتِ الطرقيّةِ لرحلتها الاستكشافيّة.

ولكن كان يُواظَبُ على إرسالها في دُروبِ الخارجِ الرّحبِ، لأنّه بحادثٍ جينيّ غريبٍ، كان لدَى الرّقم 24 نظر حادٌّ بالنّسبة لنملة عديمةِ الجنسِ. كُرتاها العينيّتان كانتا مُتطورتين بما يوازي تقريباً ذوي الجنسِ. ومهما كرّرت بأنّ وجودَ بصرٍ حادّ لديها لا يعني أنّ لديها قرنين جيّدين، إلّا أنّ كلّ المهمّاتِ كانت تُطالبُ بأن تكون الرّقم 24 بين عناصرِها لكي تؤمّنَ لها مُراقبةً بصريّةً تسمحُ لها بالتقدّمِ على نحوٍ جيّدٍ. وكانت تَضيعُ.

بوسعها حتّى الآن، ليسَ دونَ صعوبة، العودةُ إلى العُشّ. ولكن هذهِ المرّة، الوضعُ مختلفٌ، فليست الغايةُ هي العودةُ إلى العشّ، بل المُضيُّ إلى حافّةِ العالَمِ. هل ستكون قادرةً على ذلك؟

في المدينة أنتِ جزءٌ من الآخرين، في وحدتكِ أنتِ جزءٌ من العدمِ، كانت تُكرّرُ لنفسها.

التوجّهُ صوبَ الشّرقِ. تسيرُ، بلا أملٍ، متروكةً، موهوبةً إلى أوّلِ مُفترسٍ سيمرُّ في الجوارِ. إنّها تسيرُ منذ وقتٍ طويلٍ إلى أنْ فجأةً، يُوقفها مُنخَفَضٌ حادٌّ في التربة، بعمق خطوةٍ. تتفحّصُ الحوافَّ وفي النّهايةِ تُلاحظُ واقعاً، وجودَ مُنخفَضين، مُتَجاورين من بَعضِهما، جُرنَين صَقيلين، الأوسعُ راسمٌ شكلاً نصفَ بيضويّ، الآخرُ، أعمق، ويشكّلُ

نصفَ دائرةٍ. قُطرا هاتين القاعدَتين الغريبتين مُتوازيان، يَفصُلهما عن بعضِهما مسافةُ خمسِ خطواتٍ تقريباً.

الرّقم 24 تشتمُّ، تجسُّ، تتذوّقُ، وتشتمُّ مُجدّداً. رائحةٌ غير معتادةٍ كما كلّ شيءٍ هُنا. مجهولة، وجديدة... تحتارُ الرّقم 24 في البدايةِ، ثمّ تتغلّبُ عليها إثارة قويّة. لم تَعد تَشعرُ بأيّ خوفٍ. تَتالتْ آثارٌ عِملاقةٌ أخرى بفواصلَ تبلغُ ستينَ خطوةً. الرّقم 24 على يقينٍ مُطلقٍ بأنّها أمام آثارِ أصابعَ. أمنيتها تحقّقت! الأصابعُ يدلّونها، يُرونَها الطريق!

تركضُ في إثرِ الآلهةِ. أخيراً سوفَ تلتقيهم.

87. الآلِهَةُ غاضِبَةٌ

خافوا آلهتكم.

ليكن بمَعلومِكم أنّ قَرابينكم مُفرِطةُ النّدرةِ، هزيلةٌ جدّاً أمامَ ضخامتنا.

أنتم تقولونَ لنا: إنّ المطرَ مَنْ دمّر أهراءَ مؤونتكم.
ذلك كان عقابكُم
لأنّكم لم تقدّموا ما يكفي من القرابين.

أنتم تقولونَ لنا أنّ المطرَ قضَى على الحركةِ المُتمرّدةِ.
دعوها تنبعثُ من جديدٍ أكثرَ قوّةً.

لقّنوا الجميعَ عن قوّةِ الأَصابع!
أطلقوا مَغاويرَ انتحاريّةً
وأفرغوا أهْراءَ مؤونةِ المدينةِ المُحرّمة.

خافوا آلهتكم!

بإمكانِ الأَصابع كلُّ شيء لأنّ الأصابعَ آلهة.
بإمكانِ الأَصابع كلُّ شيء لأنّ الأصابعَ ضِخام.
بإمكانِ الأَصابع كلُّ شيء لأنّ الأصابعَ ذوو سُلطانٍ.

إنّها الحقيقةُ

يُطفئُ الأصابعُ الآلَةَ يغمُرهم إحسَاسٌ بالزهو أن يكونوا آلهةً. دونَ أن يلفِتَ الأنظار يعود نيكُولا إلى النوم. بعينين مَفتوحَتين، يبتسمُ وهو يحلمُ. إذا تمكّنَ يوماً من الخروج حيّاً من هذهِ الحفرةِ، سيكونُ لديهِ قصصٌ ليرويها. إلى رفاقه في المدرسةِ، إلى العالم بأجمعه! سوفَ يشرحُ ضرورةَ الأديانِ. وسوفَ يُصبحُ مشهوراً وهو يحملُ البُرهان على تمكنهِ من زرعِ الإيمان الدينيّ عندَ الحشَرات!

88. أولَى المُناوشاتِ

خلَّفتِ الحملةُ الأولى لدى مرُورِها أعداداً كبيرةً من الضّحايا وخراباً

مُفرِط الجسَامةِ، وهذا فقط في الأراضي التي تحتَ الهيمنةِ البيلوكانيّة وحدَها.

إذ بحقِّ الجُنديّاتُ البيلوكانيّات لا تخشَى شيئاً.

الخُلْدُ الذي كان مُتَباهياً بأن يغرفَ حَفنةً من هذهِ النّمال لم يتسنَّ له ابتلاعُ سوى أربعَ عَشرة ضحيّة بالعَرضِ. إذ سُرعانَ ما تنقضُّ النّمالُ عليه ويُمزّقنهُ إرباً. رداءٌ من الصّمتِ يخيّمُ على الموكبِ الطويل. أمامهُ، يختفي كلُّ شيء. إلى الحدّ الذي تتبدّلُ مَعهُ حماسَةُ البداياتِ لتَحلّ مكانها محنةٌ، ودونَ تأخير، مجاعةٌ لاذعَةٌ.

في إثرِ الأسَى الذي تُخلّفهُ الحملةُ وراءها باتَ يُعثَرُ الآن على نِمال ميّتة.

تتَبادلُ الرّقم 9 والرّقم 103 المشورةَ، أمامَ هذا الوَضعِ الكَارثيّ، وتَقترحانِ انتشارَ مُستطلعاتٍ على هيئةِ مجموعاتٍ تضمُّ كلّ واحدةٍ خمساً وعشرينَ مُستَطلعةً. من النّاحيةِ المنطقيّة وجودُ مروَحة متنوّعةٍ كهذهِ في المُقدّمةِ لن تلفتَ الأنظارَ وستكونُ أقلَّ هولاً على سكّانِ الغابة.

وإلى اللواتي بدأن التكلّمَ همساً عن الانسحابِ، يُردُّ عليهنَ بحدّةٍ أنّ على الجوعِ حثُّهنّ على التّعجيلِ، قُدُماً إلى الأمام. صوبَ الشّرقِ. فريستُهنّ القادِمةُ ستكونُ من الأصَابعِ.

89. قُبِضَ على المُتّهمة أخيراً

وهي مُستلقيةٌ داخلَ حمّامها تُمارسُ تمرينها المُفضّل، الغوصُ وحبسُ النّفَس، تاركةً أفكارها سارحةً. تنبّهت ليتيسيا ويلز أنّ أيّاماً انقضَتْ دون أن يَكونَ لها عاشِقٌ، هي التي كان لديها الكثيرون والذين سُرعانَ

ما كانوا يُصيبُونَها بالسأم. حتّى إنّها فكّرتْ أن تُدخِلَ جاك ميليَس إلى سريرِها. صحيحٌ أنّه كانَ يُناكِفها قليلاً لكنّ لديهِ ميّزةَ أنّهُ حاضِر، في مُتناولِ اليدِ، في الوقتِ الذي تشعرُ فيهِ بحاجةٍ إلى ذكرٍ.

آه! ثمّةَ الكثيرُ من الرّجالِ في العالم... ولكن لا أحدَ من مَعدنِ أبيها. لينغ -مي أُمُّها، كانت محظوظة بمشاركته حياته. رجُل مُنفتحٌ على كلّ شيء، غير متوقّع ومَرِح، يَعشقُ ابتكارَ المُمازحاتِ. ودوداً، كم كانَ ودوداً!

يَصعُبُ على أحدٍ وصفَ إدمون. عقلهُ كانَ فضاء غير محدود. كانَ إدمون يعملُ مثل مقياسِ الزّلازلِ، يدوّنُ جميعَ الهزّات الفكريّةِ لزمنه، جميع الأفكار -القويّة، يستوعبُها، يُلخّصُها... ويستَعيدُها وقد باتت أُخرى، باتت أفكارهُ هو. لم يكن النّمل سوى ذريعة. كان بوسعه على النّحوِ ذاته أن يدرسَ النّجومِ، الطبّ أو مقاومةَ المعادن، كانَ سيُظهرُ النبوغَ عينه. كان لديهِ عقلٌ كونيٌّ بحقّ، مغامرٌ من طرازٍ خاصّ، ومتواضعٌ على قدرِ ما هو لامعٌ.

ربّما ثمّةَ في مكانٍ ما رجل آخر شخصيّتهُ لديها من الحيويّةِ ما يكفي لإدهاشِها دوماً دونَ أن يُضجرها؟ إلى هذه اللّحظةِ، لم تلتقِ أبداً بشخصيّةٍ مُماثلة...

تخيّلت أنّها تضعُ إعلاناً صغيراً: «البحثُ عن مُغامرٍ...» مسبّقاً كانتِ الأجوبةُ تُحبِطُها.

أخرجت رأسَها من الماء، أخذت نفَساً عميقاً وأعادت غَمرهُ مُجدّداً. تبدّلَ مَجرى أفكارها. أمّها، السرطانُ... فجأةً تَشعرُ بنقصِ الهواء، فتطفو ثانيةً. قلبُها يَخفِقُ بقوّة. خَرجَت من الحوض وارتدت مئزرها.

كان جرسُ البابِ يرنُّ.

أخذت بعضَ الوقتِ لتهدأ قليلاً، ثلاثُ زفراتٍ طويلة، ثمّ مضت لتفتحَ.

كان مِيليَس مُجدّداً. لقد بدأت اعتيادَ غَاراته لكنّها تأخرّت هذه المرّة بالتعرّفِ عليه. كانَ يرتدي ثيابَ نحّالٍ، كانَ ووجههُ مُقنّعاً بقبّعةٍ من القشّ مع خِمارٍ من الشيفون، ويرتدي قفّازات مطّاطيّةً. عقدَت حاجبيها حين رأت ثلاثةَ رجالٍ خلفَ المُفوّضِ متنكّرين بالزيّ ذاته. تعرّفت بين هذهِ الهيئاتِ على المُفتّشِ كايوزاك. أخفَت ضِحكتَها.

- مُفوّض! ماذا تعني هذهِ الزيارةُ التنكّريّةُ؟

لم يأتِها جوابٌ. تنحّى مِيليَس جانباً، المُقنّعان غيرُ المميّزين -منَ الشّرطةِ على الأغلب-تقدّما، والأكثرُ بدانةً أطبقَ الأصفادَ على معصَمِها الأيمن. ظنّتْ ليتيسيا ويلز أنّها تَحلمُ. والأنكى من ذلك حين أسمَعها كايوزاك بصوتٍ مشوّهٍ ومكتوم بالقناع: «أنتِ رهنُ الاعتقال بسببِ جرائم قتلٍ وشروع بالقتلِ. كلُّ مَا ستقولينهُ من الآن فصاعداً سيُستخدمُ ضِدّكِ. وبالطّبعِ، من حقّكَ أن ترفُضي التكلّم إلّا بحضورِ مُحاميكِ.»

ثمّ الشّرطيّان، وهُما يَجرّان ليتيسا ويلز، ذهبا وانتصَبا أمام البابِ الأسودِ. قدّم مِيليَس عرضاً سريعاً وباهراً عن مواهبهِ كلصّ: البابُ الخارجيّ لم يصمد في وجههِ.

- كانَ بوسعكَ أن تطلُبَ المفتاح منّي دون أن تكسرَ شيئاً! احتجّتِ المقبوضةُ عليها.

الشّرطيّون الأربعةُ توقّفوا أمامَ حوضِ النّملِ وترسانةٍ كاملةٍ من التّقنياتِ المعلوماتيّةِ.

- ما هذا؟

- يُحتملُ أنّه أداةُ قتلِ الإخوةِ سالتا، وكارولين نوغار، ومكاريوس والزّوجين أودرجين، قالَ مِيليَس بهيئةٍ كئيبةٍ.

صرَختْ:

- أنتَ مُخطِئ أنا لستُ عَازفَ مزمارِ مدينةِ هاملين. ألا ترى ذلك؟ إنّه عشُّ نملٍ بسيطٍ أحضرتهُ الأسبوعَ الفائتَ من غابةِ فونتينبلو! نمالي لسنَ قاتلاتٍ. وبالمناسبة لم يُغادرنَ المكانَ منذ أن وضعتُهنّ فيه. ولا يمكن لنملةٍ أن تذعِنَ يوماً لأحدٍ. لا يمكنُ ترويضهنّ. لسنَ كلاباً أو قططاً. إنهنّ أحَرار. هل تسمعني، مِيليَس؟ إنهنّ أحَرار، لا يفعَلن إلّا ما يدورُ في رأسهنَّ وليسَ بوسعِ أحدٍ أن يتَلاعبَ بهنّ أو يؤثّر عليهنَّ. سبقَ وأنْ فَهِم أبي هذا. هنّ أحرار. ولهذا السبب نسعَى دوماً إلى تدميرهنَّ. لا يوجدُ سوى نملٍ بريّ وحرّ! أنا لستُ القاتلةَ التي تبحثونَ عنها!

تجاهلَ المُفوّضُ احتجاجَها والتفتَ إلى كايوزاك:

- خُذْ كُلّ شَيء، الحَاسوبَ والنّملَ. لنرى إذا كانَ حجمُ فكوكهِ مُتَطابقاً مع الجروحِ الدّاخليّةِ للجثثِ. وأشرِفْ على وضعِ الأختام وإيصَالِ الآنسةِ فوراً إلى قاضي التّحقيقِ.

ظهرَ الغضَبُ على ليتيسيا:

- أنا لستُ المتّهمةَ التي تَبحثُ عنها، مِيليَس! أنتَ تُخطِئُ مُجدّداً! حقّاً، إنّها مِيزةٌ لديك.

رفَضَ الإصغاءَ لها.

- أيّها الرّجالُ، قال مُخاطباً مرؤوسيهِ، احذروا أنْ تهربَ أيّةُ نملةٍ من هذه النّمالِ. إنّهنّ جميعاً أدِلّةُ إثباتٍ.

كان جاك ميلَيس تحتَ تأثيرِ السّعادة القُصْوَى. فقد حلَّ اللّغزَ الأكثرَ تعقيداً والذي يمكنُ أن يُواجهَ أبناءَ جيله. لَمَسَ هدفهُ الأسْمَى بالعثورِ على الجريمة المُكتملة. انتصرَ في المكانِ الذي ليسَ بوسعِ أحد الانتصارُ فيه. وقد أمسكَ أيضاً بدافعِ الجريمةِ: إنّها ابنةُ أشهَرِ مجنونٍ مُناصِرٍ للنَملِ في العالمِ، إدمون ويلز.

غادرَ دون أن يُصادِفَ ولو مرّة نظرةَ ليتيسيا الأرجوانيّة.

- أنا بريئة. أنتَ ترتكبُ أكبرَ حماقةٍ في حياتكَ المهنيّةِ. إنّي بريئة.

90. موسُوعة:

صِدَامٌ بينَ الحضَارات: في سَنة 53 قبلَ الميلاد، يَندفعُ الجنرال ماركوس ليسينيوس كراسوس، والِ رُومَانيّ في سوريا، إلى شنّ غَزوات كبيرة. مَأخوذاً بدافع الغيرةِ مِن نجاحات القَيصرِ في بلادِ الغال، إذ أنّ القيصرَ كان قد وسّعَ سيطرتَهُ باتّجاه الغربِ وصُولاً إلى بريطانيا، فأرادَ كراسوس أنْ يحتلَّ الشّرقَ حتّى البحرِ. فاتّجهَ صوبَ الشّرق. إلّا أنّ الإمبراطورية البارثيَة ستكون على طريقه. ولإزالة هذا العائق يُواجهُهُ على رأسِ جيشٍ هائل. تدورُ معركةُ حرّانَ، لكنّ سُورينا قائدَ البارثيين، هو من انتَصر. وبالخُلاصَة، تنتهي غزوةُ الشّرقِ.

أسفرت تلكَ المُحاولةُ عن نتائجَ غيرِ مُتوقّعة. إذ أسرَ البارثيون العديدَ من الرّومانيين الذين خَدمُوا في جيشهم الذي يُصَارعُ مملكةَ كوشانا. خسرَ البارثيون بدورهم، ووجد الرّومانيون أنفسهم مضمومين إلى جيش الكوشانا، والتي هي في حربٍ، ضدّ إمبراطوريّة الصينِ. ينتَصرُ الصّينيون، ويُضمُّ الأسرى المُسافرون إلى فِرق إمبراطورِ الصينِ.

هُناك، تفاجأ الجميعُ بأولئك الرّجالِ البيض، مُعجَبينَ بهم لا سيّما عِلمَهم

في مجالِ تشييدِ المَجانيق وأسلحة أُخرَى للحصارِ. يُتَبَنونَ، إلى حدّ إعْتاقِهم وخَصّهم بمدينة.

تزوّجَ المنفيّون من صِينيّات وأنجبوا أطفالاً. وبعدَ سنواتِ حينَ اقترحَ تُجّارُ رُومَان إعادتهم إلى الوطن، رَفضُوا العرضَ، مُعلنينَ أنّهم أكثر سعادةً في الصّين.

إدمون ويلز،

موسُوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلّد الثاني.

91. وجبَةٌ في الطّبيعَةِ

للهروبِ مِنْ موجةِ الحرّ الشديدة لشهرِ آب، قرّرَ المُحافظ شارل دوبيرون أنْ يأخذَ عائلتهُ الصّغيرةَ لتناولِ وجبةٍ في ظِلَالِ الأشجَارِ الريفيّةِ لغابة فونتينبلو. ولداهُ، جورج وفرجيني، قد احتاطا كليهما للمُناسَبةِ بانتعالِ حذاءٍ لمُختلفِ التّضاريسِ. فيما تكفّلتِ الزّوجةُ، سيسيل، بالوجبةِ الباردةِ التي كان شارل يحمِلُها الآن في صندوقِ المَثْلَجة الضّخم، تحتَ الأبصارِ الماكِرةِ للآخرين.

عند السّاعةِ الحاديةَ عشرةَ صَباحاً، في ذاكَ الأحد، كانَ القيظُ مُرعباً. غاصوا بين الأشجار نحو الغرب. أخذَ الأطفَال يُدندِنونَ أغنيةً تعلّموها في دار الحَضانَة: «Be-bop-a-lula، she is my baby» كانت سيسيل تُحاذرُ ألّا تلويَ كاحِليها في الأخاديد.

بما يخصّ دوبيرون، وإن كانَ يتعرّقُ بغزارةٍ، لم يكن مُستاءً من الهرُوبِ الوظيفيّ بعيداً عن الحرّاس، السكرتيرات، الصّحفيين، والحَاشيةِ برمّتها من كافّة الأصناف. للرجوعِ إلى الطبيعةِ جَاذبيّتهُ.

وصلَ إلى جَدولٍ جَفّ أكثرُ من نِصفِه، اشتمّ بمتعةٍ الهواء العابقَ بضوعِ الأزهارِ واقترحَ أن يجلسوا على العُشبِ، في جِوارِ هذا المكان.

احتجّت سيسيل على الفَور:

- أتظنُّ نفسكَ مرِحاً! هذا المكان يعجُّ بالبعوضِ غالباً! وكأنّك لا تعرفُ بأنّهُ إذا وُجِدتْ بعوضةٌ واحدة، فسوفَ تقرصُني أنا.

- يعشقونَ دم الماما لأنّهُ أكثرُ حلاوةً، قهقهت فرجيني، وهي تلوّحُ بشبكةِ الفراشاتِ التي أحضَرتها على أملِ أن تُثري مجموعةَ فراشاتِ صفّها.

السّنةُ الماضية، شكّلوا لوحةً كبيرةً، بأجنحةِ ثمانمائة مِن حُرشفيّات الأجنحةِ، تُمثّلُ طائرةً في السّماءِ. هذه المرّة، كانوا يريدونَ تشكيلَ معركةِ أوسترليتس دُفعةً واحدةً.

أرادَ دوبيرون أن يكون مُتسَاهلاً. لا ينوي إفسادَ هذا اليوم الجميل بقصّةِ بعوضٍ.

- حسَنٌ جدّاً، هيّا بنا لنبتعدَ أكثر. يبدو أنّني أُميّزُ فُسحةً هناك.

كانتِ الفُسحةُ رقعةً مربّعةً من عُشبِ النّفلِ بمساحةِ مطبخٍ، وبالتالي، مُظلّلةً بسخاءٍ. أنزلَ دوبيرون صندوقَ المُثلَجة، فتحها وسحبَ منها غِطاءً أبيضَ جميلاً.

- هنا سوفَ نكونُ على أحسَنَ ما يُرام. أيّها الأولادُ ساعِدوا أمّكم في وضعِ المائدةِ.

بينما همّ هو بفتحِ زُجاجةِ بوردو فاخرةٍ، جالباً لنفسهِ تقريعَ زوجتهِ على الفورِ:

- لا يوجدُ شيء مُلحّ أكثر أليسَ كذلك؟ الولدان يتشاجَران وأنتَ لا تُفكّرُ سِوى بالشُّربِ! قُمْ قليلاً بدورك كأب!

كان جورج وفرجيني يتقَاذفان بُكتل ترابيّة. أنَّبهما، مُتنهّداً:

- أوه، كفى أيّها الأولاد! جُورج، أنتَ الصبيُّ، ينبغي أن تكونَ القدوة.

أمسكَ المُحافظ ولدهُ مِن سِرواله وهدّدهُ بيده.

- أترى هذه؟ إذا واصلتَ إزعاجَ أُختكَ فستنالُ صفعةً. لا تنسَ هذا الكلام.

- ولكن، لستُ أنا بابا، إنّها هي.

- لا يهمُّني معرفةُ من، أنت من سيتحمّلُ المسؤوليّةَ عند أدنى مُخالفةٍ.

وحدةُ الكوماندوس الصغيرةُ المكوّنةُ من خمْسٍ وعشرين مُستطلعة تتقدّمُ مُجتازةً باقي الفرقِ بمسَافة طويلة، تُفتّشُ في شتَّى الاتّجاهات. مَجَاسُّ الجيشِ، لديها فيرومُونات الإشاراتِ الطُّرقيّة التي ستَسمَحُ لجموعِ جُنديّاتِ الحَملة سلْكَ أفضل طريقٍ.

على رأسِ المجمُوعةِ الأكثر تقدّماً الرّقم 103.

كانَ آل دوبيرون يلوكونَ ببطءٍ في الجوّ الخانقِ تحتَ الأشجارِ. المشقّةُ كبيرةٌ إلى حدّ أنّ الولدين لبثَا هادئين. السّيدة دُوبيرون، شاخصةً عيناها إلى الأعلى، قطَعت الصّمتَ:

– أعتقدُ أنّ ثمّة بعوضٌ هنا. على أيّةِ حالٍ توجدُ حَشرات. أسمعُ أزيزها.

– هل رأيتِ يوماً غابةً بلا حشَرات؟

– أتساءلُ إذا كانت نُزهتُكَ فكرةً مُناسبة جدّاً، تنهّدت. كنّا سنكون أحسنَ حالاً على الساحل النورماندي. أنتَ تَعرفُ جيّداً أنّ جورج لديه حسَاسيّة!

– أرجوكِ توقّفي عن احتضانِ هذا الصّغير. سَتجعلينهُ في نهايةِ المَطافِ هشّاً بحقّ!

– ولكن أصغِ! حَشرات، إنّها مُنتشرةٌ في أرجاءِ المكان.

– لا تقلقي، فكّرتُ بأن نتزوّدَ ببخاخٍ مُضادّ للحَشراتِ.

– آه حقّاً... أيُّ نوعٍ؟

تصدُرُ إشارةٌ عن مُستطلعة:

روائح قويّة مجهولةَ الهويّة آتيةَ من شمال –شمال –شرق.

الروائحُ المَجهولةُ الهويّة، ولا أكثر منها. ثمّة الملياراتُ منها بعدُ في العالمِ الشّاسعِ إلّا أنّ النّبرةَ المُصرّة للرسولةِ تُفعّلُ مُباشرةً الإنذارَ عندَ وحدةِ الكوماندوس. يتجمّدنَ مُترَصّداتٍ. فيما تحومُ في الهواءِ روائحٌ ذاتُ تدرّجاتٍ غير شائعة.

تقرعُ إحدى المُحارباتِ نَصْلَي فكّيها ببعضِهما متأكّدةً أنّها التقَطت روائحَ دجاجةِ الأرض. تدخلُ القرونُ في التّواصلِ عاقدةً جلسةَ مُشاوراتٍ. تدركُ الرّقم 103 أنّهُ ينبَغي التقدّمُ مع ذلك، حتّى ولو لتحديدِ هويّةِ الحيوان. ينحازُ الجميعُ إلى رأيها.

تصعدُ النّمالُ الخمسةُ والعُشرونَ مجدّداً مُقتَفيات الرائحةَ الفوّاحةَ بحَذرٍ وصولاً إلى نبعها. يَصلْنَ في النهاية إلى مسَاحةٍ واسعةٍ مكشوفة، مكانٌ بمنتهى الغرابةِ تربتهُ بيضاءُ، مُخرّمة بثقوبٍ مُفرطَةِ الصّغرِ.

بعضُ احتياطاتٍ تَفرضُ نفسها قبلَ الإقدام على أيّ شيء. تَعودُ خَمسُ مُستطلِعَات أدراجَهنّ ليضعنَ على العُشبِ علمَ الفيدراليّة الكيميائيّ. تكفي بضعُ قَطراتٍ من رُباعي ديسيل الخلّات ($C_6-H_{22}-O_2$) لتُعلنَ للأرض برمّتها أنّنا هنا على أرضِ بيل-أو-كان.

يُدخِلُ هذا بعضَ الطمأنينةِ إلى قُلوبهنّ. فأنْ تُسمّي بلداً فهذا يعني أنّكَ تعرفهُ.

يقُمنَ بزيارته.

يلوحُ بُرجان ضخمانِ في الأفق. تبدأ أربعُ مُستكشفات التّسلّقَ. القمّةُ، دائريّة ومُقبّبة، تتخلّلها أيضاً ثقوبٌ تفوحُ منها روائحُ مالحةٌ أو بنكهةِ البَهار. يرغبنَ برؤيةِ الموادِ عن قُربٍ أكثر، لكنّ الفجَواتِ مُفرِطةُ الصّغَرِ لتمريرهنّ. فيُعاودن النّزولَ، خائبات الأملِ.

ليكنْ، ستتمكّنُ الفِرقُ الفنيّةُ المُلحَقةُ بلا ريبٍ من مُعالجَةِ هذه المُشكلة. ما إن وصلنَ إلى الأسفلِ حتّى يُأخذنَ نحوَ فضولٍ آخر، أكثر غرابةً، سلسلةٌ من التّلالِ تتضوّع بالرّوائح ولكن بأشكالَ ليست طبيعيّةً تماماً. يصعدنَ عليها وينتشرنَ على وهادٍ وقمم. يجسَسْنَ ويَسْبرنَ.

صالح للأكل! تَصرخُ الأولى التي تمكّنت من الثّقبِ أعمقَ من الطّبَقةِ السّطحيّة القاسيةِ. تحتَ ما ظنّت أنّه حجَر، وجدت كلّ شيء لذيذ! محضُ بروتين بكميّات لا يُمكنُ تخيّلُها! تبثّ الخَبرَ عبر تَردّدٍ حماسيّ، والمَجاسُّ الفمويّةُ ممتلئة بأليافٍ غذائيّة.

– ماذا سَنأكلُ أيضاً؟

– يُوجَد سُفودٌ.

– بماذا؟

– بلحمِ عجلٍ، وشَحمِ خنزير، وبندورة.

– لا بأس، وماذا معهُ؟

لا تتوقّفُ النّمال هنا. مُنتشينَ بنجاحهنّ الأوّل هذا، يملأنَ معَدهُنَّ قَليلاً ويتوزّعن على الغطَاءِ الأبيض. فِرقَةٌ من أربع مُستَطلعات يختفينَ في عُلبةٍ بيضاء مليئة بجلاتينٍ أصفرَ. يتخبّطن طَويلاً قبلَ أن يغُصنَ في المادّةِ الطريّة.

– وماذا معهُ؟ صلصَةُ بيرينيز من مُتعهّدِ الوجَباتِ.

تتُوه الرّقم 103 بين كميّةٍ هائلةٍ من أجسامِ عملاقَةٍ صفراءَ، والتي وجهها يُطَقطِقُ ويُزقْزِقُ علَى وقعِ خَطَواتِها. ينهَارُ ذاك بسلَخاتٍ كاملة. تقفزُ الرّقم 103 في شتّى الاتّجاهات لتتجنّبَ الانسحَاق، ولا تكادُ تحطّ حتّى تُجبَر على القفز ثانيةً إلى مكانٍ آخرَ لتنجو من سُقوطٍ قد يدفنها تحت مادّة بلوريّةٍ وقابلةٍ للتفتّتِ.

أوه، يا للروعَة! رَقائقُ البَطاطا!

تزحْلُقٌ غير مُتوقّع على ما يُشبهُ مُنزَلقاً مَطلياً بالشّحُوم يسحَبها أخيراً من ذاكَ الكابوس. تَسيرُ على طولِ شَوكة، مستأنفةً استكشافها. على هذا النّحوِ تتَنقّلُ من مُفاجأة إلى أُخرى، من طعْمٍ لذيذٍ إلى طعْم حامِضٍ، من مذاقٍ لاذعٍ إلى مذاقٍ دافئ. تُخوّضُ فيٍ قطعةِ خُضارٍ خضراءَ، وتقترِبُ باحتراسٍ من المعجُونِ الأحمَرِ.

- خيار مُخلّلٌ على الطريقةِ الروسيّة، وكاتشَبْ.

القَرنان محمُومانِ بهذا القَدْرِ من الاكتشَافات الغريبَة، تجتازُ الرّقم 103 مساحةً شاسعَةً من الأصفر الشّاحِب والتي يَعلو منها رائحةُ تخمُّرٍ قويّة. أَخواتٌ لها تتَنزّهُ وتلعَبُ بينَ الفجَوات. تُشكّلُ هذهِ الفجَواتُ سلاسِلَ كُهوفٍ مُتعاقبةٍ غير نهائيّة طريّة ومُكوّرة على نحوٍ تام. يمكِنُ ثقبُها بالفَكّ، عندَئذ يُصبِحُ الجدارُ الأصفرُ شفّافاً.

- جُبنَةُ غُروييرٍ[34]!

الرّقم 103 في حالةِ سُرورٍ غيرَ أنّ لا وقتَ لديها لتُوصِل انطباعاتِها عن هذا البلد غير المألوفِ حيثُ كلُّ ما فيه يُؤكل. يسقُطُ عليهنّ صَوتٌ خافِتٌ ومَكتُوم، هائل مثلُ الرّيح، ويهدُرُ كالرّعد.

«انتَبِهوا يُوجد نملٌ»

34- نوع من الجبنة البقريّة، فيها ثقوب كثيرة.

تظهرُ من السّماءِ كُرةٌ ورديّة وتسحَقُ بدقّة ثماني مُستكشفات. بفوت، بفوت، بفوت. أقلّ من ثلاثِ ثوانٍ استغرقَ الأمر. كان أثرُ المُباغَتة صَاعقاً. تتمتّعُ تلكَ المُحارباتُ النّبيلاتُ جميعَهُنّ ببنيَة قويّة. رُغمَ ذلك لم تستطِع أيّاً منهنّ أنْ تأتيَ بأدنى مُقاومة. دُروعُهنّ المتينةُ النّحاسيّةُ تنفَجر، تراشَقَ مسحُوقُ لحمِهنّ ودمِهنّ المُختَلطُ. فطائرُ كريب بنيّةٌ تافِهةٌ على أرضيّةٍ بيضاءَ نقيّة.

لمْ تُصدّق جُنديّاتُ الحَملة حواسهنّ.

الكُرَةُ الورديّة في الواقع مُمتدّة بعمودٍ طويل. ما إن أنهتْ عمَلها المُدمّر حتّى انبسَطتْ ببطءٍ أربعةُ أعمِدةٍ أخرى لتلتَحِقَ بها. إنّهم خمْس!

أصَابِع!

إنّها أصَابِع!!!!! أصَابِع!!!!

الرّقم 103 على يقينٍ من ذلك. إنّهم هنا! إنّهم هنا! بهذهِ السّرعةِ، بهذا القُربِ، بهذهِ القوّة. الأصَابِعُ هنا!!!!! تُلقي فيرومُونات الإنذار الأكثر أفيونيّةً.

انتباه أولئك أصَابِع! أصَابِع!

موجَةُ ذُعرٍ عظيم غمَرت الرّقم 103. أخذَ ما في أدمغتها يفُور، وبدأت فرائِصُها ترتَعِدُ. وفكّاها ينفرِجان وينطَبِقانِ بشكلٍ مُتناوبٍ دونَما سبب.

أصَابِع! أولئك أصَابِع! اختبئنَ جميعاً!

تعلو الأصَابعُ سويّةً في السّماءِ، مُلتحمينَ جميعاً باستثناء واحد منهم يُتركُ للتسديد. هذا الإصبَعُ مشدودٌ كَمِهمَازٍ. طرفهُ الورديّ المُسطّحُ يُلاحِقُ المُستكشِفاتِ ويسحَقهُن بيُسرٍ.

تلجَأ الرّقم 103، التي تتصفُ بالشّجاعةِ لكن ليسَ بالتهوّر أبداً، على نحوٍ غريزيّ إلى ما يشبهُ كهفاً واسعاً بلونٍ بنيّ فاتح.

للسُرعةِ التي جرَت بها الأحداثُ لم يتَسنّ للرقم 103 الوقتُ لاستيعابِ ما جرى. مع أنّها تعرفّت عليهم تماماً.

لقد كانوا... **الأصَابِع!**

عادَ الخوفُ بموجةٍ ثانيةٍ أشدَّ لذْعاً.

هذه المرّة، لا تستطيعُ التّفكيرَ بشيء آخرَ أكثر إرعاباً لتُزيلَ خوفَها. هي الآن وجهاً لوجهٍ مع الأكثر إرهاباً، وغُمُوضاً، وربّما الأكثر قوّةً في العالم. **الأصَابِع!**

ينتشرُ الخوفُ في كاملِ جسدها. ترتَجِفُ، تختَنِقُ.

الأمرُ غَريب: لم تستوعب جيّداً حينها، لكن عندما باتت الآن مَحميّةً، في هدوءِ ذاكَ المَلاذِ المُؤقّتِ، عندئذ وصَلَ خَوفُها ذُروتهُ القُصوى. الكثيرُ من **الأصَابعِ** في الخارج تترصّدُ لتصفيةِ حِسابِهم معها.

وإذا كانت الأصَابعُ آلهة؟

ازْدرَتهم وها هُمُ الآن غاضِبون. لم تعُد سِوى نملة بائسةٍ ستموتُ عمّا قريب. كان هلعُ شلي-بو-ني في مكانه، لم نتوقّع البتّة أن نجدهم قريبينَ إلى هذا الحدّ من الفيدراليّة! عبروا إذاً حافّةَ العالَم وبدؤوا يحتلّون الغابَة!

تأخذُ الرّقم 103 تذرَعُ المغارةَ البنيّةَ الفاتحَةَ والسّاخنة. تضربُ بشكلٍ هستيريّ بطنها لتُفرّغَ التوتّر الذي راكمتهُ مُنذُ لحظات.

تستَغرِقُ وقتاً طويلاً لتستَعيدَ تمالُكَ نفسها، ثمّ، حينَ بدا أنّ الخوفَ تبدّدَ قليلاً، بخطواتٍ حذِرة، تزورُ هذا الكَهفَ الغريبَ ذي الأقواسِ.

والذي تُزيّنُ داخلَهُ رقائقُ سوداءُ، يرشَحُ منهُ شحمٌ ذائب ودافِئ. ورائِحَةُ نتانَةٍ كريهةٍ تكادُ لا تُحتَملُ تنبَعِثُ من هذا كُلّه.

- قَطّعِ الدّجاجَةَ المشويّةَ. إنّهُ طبَقٌ شهيٌّ للغاية.

- لو فقط يدعنا هذا النّملُ بحالِنا...

- لقد قتلتُ منِهم الكثير.

- على أيّة حالٍ، لن أنسَى لكَ إصراركَ على الطّبيعةِ! انظر، لا يزالُ يوجدُ منهم هنا وهنا.

مُتجاوزةً اشمئزازها تجتازُ هذه المغارةَ السّاخنةَ وتحشُرُ نفسَها مُختَبِئةً عند حافّة.

تُرسِلُ قرنَيها إلى الأمام وتُشاهدُ بالفعل ما لا يُصدَّقُ. الكُراتُ الورديّة، المُفترِساتُ العصيّاتُ عنِ الوصفِ، تُلاحِق زميلاتها جميعاً. وتُجبرُهنّ على الخُرُوج من تحتَ الكؤوسِ، من تحتِ الصّحونِ، من تحتِ المناديلِ، ثمّ تقتلِعُ حياتَهنَ دونَ مُبالاةٍ.

إنّها مذبَحةٌ.

يُحاولُ البعضُ إطلاقَ رشَقات الحمض على المُهاجمينَ. دون جَدوى. الكُراتُ الورديّة، تَطيرُ، تقفِزُ، تبرُزُ من كلّ مكانٍ، دون أن تترُكَ أيَّ فُرصَة لخصُومِها الضّئيلة.

ثمّ يهدأُ كلُّ شيء.

الهواءُ مُشبَعٌ بالرّوائِحِ النّتِنة لحمضِ الزّيتيك الذي يَشي بالموتِ النّمليّ.

بقُطعانٍ خمساً خمساً تقومُ الأصَابعُ بدوريّاتٍ على الغِطاء.

يُقضَى على المجرُوحاتِ، ويُحوّلنَ بقعاً ثمّ يُحككنَ كيلا يلطّخنَ الغِطاء.

«آييه، أعطني المِقصّ الكبير.»

بغتةً يثقبُ رأسٌ ضخمٌ سقفَ الكهفِ ويُوسّعُ طرفي الكهفِ مُصدِراً طقطقةً مُصِمّةً.

تجفلُ الرّقم 103. تقفِزُ إلى الأمام. بسُرعَةٍ. الفِرار. بسُرعَةٍ. بسُرعَةٍ. الآلهةُ المُتوحِشَةُ هناك في الأعلى.

تعدُو بأقصَى خفّةِ أرجُلِها الستّ.

تستَغرِقُ استجابةُ الأعمِدةِ الورديّةِ بعضَ الوقتِ.

تبدُو الأعمِدَةُ في غايةِ الاستياءِ لدى رؤيتها تخرجُ من هنالك. فينقضّونَ لمُلاحَقتِها على الفَورِ.

تُحاولُ الرّقم 103 جميعَ المُناورات. تُضاعفُ من الانعطافات الضّيقة والاستدارات المُعاكسة. جيبُها القَلبيُّ يخفقُ بضَرباتٍ عنيفةٍ إلّا أنّها لا تزالُ حيّة. يهبِطُ عمُودان أمامَها. للمرّة الأولى ترى عبرَ غِربالِ عينيها الهيئاتِ الخمسَ العِملاقةَ تظهَرُ في الأفقِ. تشمُّ رائحتها المِسْكيّةَ. الأصَابعُ تقومُ بدوريّةٍ.

الأمرُ يبعَثُ على الهلعِ.

وإذ تلتَمِعُ فِكرةٌ في ذهنها. لفرطِ خوفِها تقومُ بما لا يخطُر على بالٍ. جُنونٌ صرف. فعِوضاً عن الهروبِ تقفزُ على مُطارِديها!

مفعُولُ المُباغتةِ كان ناجِعاً.

مثل صاروخ انطلقَ من منصّته، تتسلّقُ على **الأصَابِعِ** بالسّرعةِ القُصوَى. وما أنْ تبلغَ ذُروةَ الجبلِ حتّى تقفزَ في الفراغ.

تُخفّف الكُراتُ الورديّةُ من أثرِ سُقوطِها.

تنطَبِقُ عليها لتسْحَقَها.

تتسلّلُ من تحتها وتسقُط مُجدّداً، على العُشبِ هذه المرّة.

في اللّحظَة المُناسبة، تَتوارى مُسرِعةً تحتَ نبتة نفلٍ بثلاثة أوراق. ترى الأعمِدةَ وهي تُمشّط الأعشابَ في الجوار. إنّ **الأصَابِعِ الآلهة** تُرِيدُ إخراجَها من مخبَئِها. لكنّ الحياةَ سويّةَ الأرضِ هي عالَمُها. لن يعثروا عليها بعدَ الآن.

تعدُو الرّقم 103، وجميعُ أنواعِ الأفكارِ تفُورُ في قرنيها. لم يعد لديها أدنى شكٍّ هذه المرّة. لقد رأتهم، لمَستهم، وحتّى أنّها خدَعَتهم.

لكنّ هذا كلّهُ، مع ذلك، لا يُجيبُ عن السّؤالِ الجوهريّ:

هل الأصَابِعُ آلِهةٌ؟

مسحَ المُحافظُ شارل دُوبيرون يديهِ بمنديلِهِ ذي المُربّعاتِ.

– حسَناً، رأيتم، استَطعنا طردَهم، حتّى دونَ أن نستَخدِمَ المُبيدَ الحشريّ.

– مَع أنّي أخبرتُكَ، حبيبي، هذه الغابةُ ليست نظيفَةً.

– قتلتُ مئةً منهم! قالت فرجيني مُتَباهيةً.

– وأنا، أكثرُ بكثير، أكثرُ منكِ بكثيرٍ! صرَخَ جورج.

– اهدؤوا، أيّها الأولاد... هل تسنّى لها تلويثُ الطّعام؟

– لقَد رأيتُ واحدةً تخرجُ من الدّجاجَةِ المشويّةِ.

- لا أريدُ الأكلَ من الدّجاجَةِ التي لوّثتها النّملةُ! صرخَت فرجيني على الفورِ.

ارتَسَمت تكشيرةٌ على وجه دُوبيرون.

- لا يُعقَلُ أن نرميَ دجاجَةً شهيّةً لمُجرّد أنّ نملةً لمَستها!

- النّمل قذِرٌ، ينقلُ أمراضاً، المُعلّمةُ في المدرسةِ أخبَرتنا بذلك.

- ومع ذلك سوفَ نأكلُها، أصرَّ الأب.

جثا جورج على يديهِ ورجليهِ.

- هرَبت نملَةٌ.

- أفضَل! هكذا ستذهبُ وتُخبِرُ الأخرياتِ بأنّه لا ينبَغي المَجيءُ إلى هنا. فرجيني توقّفي عن نزعِ أرجُلِ هذه النّملةِ، لقد ماتت على أيّةِ حال.

- لا أمّي! لا تزالُ تتَحرّكُ قليلاً.

- حسناً، ولكن لا تضَعي أعضاءَها على الغِطاء، ألقي بِها بعيداً. هل بوسعنا أن نتَناولَ غداءَنا بهدوءٍ أخيراً؟

لفَظَت تلك الكلماتِ وهي شاخصةٌ بعينيها نحوَ السّماءِ وأبقَتهما مُتَجمّدتَين هُناك، مذهُولةً. غمامةٌ صغيرةٌ من جعْلانٍ ذاتِ قرون، مُصدِرةً جلبةً، تتجمّعُ على مسافةِ مترٍ كتاجٍ فوقَ رأسِها. لمّا رأت بأنّ هذه الغمامةَ ثابتةٌ هُناكَ مُعلّقةٌ، شحُبَ لونُها.

لم يكن يبدو على زوجِها أنّهُ في حالٍ أفضلَ. إذ لاحظَ للتوّ بأنّ الأعشابَ قد اسودّت: لقد كانوا مُحاطينَ بطوفانٍ حقيقيّ من النّملِ. ربّما كانت هذه النّمالُ تُعدّ بالملايين!

في الحقيقةِ، أولئك ليسُوا سِوى الثّلاثةِ آلافِ من جُنديّاتِ الحَملةِ

الأولى ضِدّ الأصَابع، مُضافٌ إليها تعزيزات الرِّديبَيناكانيّين. كنَّ يمضِينَ قُدُماً بلا تردّد، وكُلّ الفكُوكِ مُشرّعةٌ.

لفَظَ الزّوجُ والأبُ بصوتٍ مُتردّد:

– حبيبَتي، أعطِني بِسُرعَةٍ بخّاخَ المُبيدِ...

92. موسُوعة

حمضُ نمليك: حمضُ النّمليكِ عُنصُرٌ جوهريّ للحياة. وهو موجودٌ في خلايا الإنسان. في النّصفِ الثاني من القرنِ التّاسع عشَر، كانَ حمضُ النّمليكِ يُستَخدَمُ لحفظِ الأغذيةِ وتحنيطِ الحيوانات. لكنّهُ كانَ يُستخدَمُ على نحوٍ خاص لإزالةِ البُقعِ عن الأغطيةِ.

وبما أنّه لم يكن يُعرَف كيفَ تُصنّعُ هذه المادّة الكيميائيّة تركيبيّاً، فقد كانت تُستخرجُ من الحَشراتِ مُباشرةً. كانت الملايينُ من النّمل تُكدّسُ في معصرةِ زيتٍ ويُكربُ بُرغيُّها إلى أن يتمّ الحصُولُ على عصيرٍ مائلٍ للصُفرة.

وبعد أن يُصفّى، كانَ يُباعُ «شرابُ النّملِ المَسحُوق» هذا في قِسمِ المُزيلاتِ السّائلةِ عند جميع محالِ العِطارَةِ المرمُوقة.

إدمون ويلز،

موسُوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلّد الثاني.

93. المرحَلةُ الأخيرةُ

كان البروفيسور ميغيل سينيرياز على عِلمٍ بأنّ لا شَيء بعدَ الآن سوفَ يُعرقِل الانتقالَ إلى المرحلةِ الأخيرةِ.

كان بين يديهِ السّلاحُ المُطلقُ ضِدّ قوى العالَمِ السُّفليّ. أخذَ السائلَ الفضيّ ووضَعهُ في وعاءٍ ثمّ صبّ سائلاً أحمر وقامَ بما كان يُسمّى في الكيمياءِ على نحوٍ مُتداولٍ التخثّرَ الثّاني.

أخذَ النّاتجُ ألواناً مُتبدّلةً، ألوانَ ذيلِ الطّاووسِ.

وضعَ البروفيسور سينيرياز الإناءَ في جِهازِ التّخمير. لم يعد أمامهُ غيرُ الانتظار. لم تكنِ المرحَلةُ الأخيرةُ تحتاجُ إلّا ذلك العنصرَ الذي لم تكن الأجهزةُ بعد مُتحكّمةً فيه تماماً: الوَقت.

94. الأصَابعُ تتراجَعُ

مُندَفعاتٍ بالهجوم، تُغلَّفُ أوائلُ خُطوطِ المُشاةِ على نحوٍ مُفاجِئٍ داخلَ غمامةٍ خضراءَ تدفَعهم إلى السّعالِ بقوّة.

تُغيرُ جِعْلانُ وحيد القرن، أعلى من ذلك بكثيرٍ، على جِبالٍ مُتَحرّكة وباهتة. عند مُستوى غابةِ شعرِ سيسيل دُوبيرون، ترمي المدفعيّاتُ زخّاتِ حمضِها. المفعولُ الوحيدُ لذلك هو القضاءُ على ثلاثِ نِمالٍ فتيّةٍ كانت تودُّ إيجادَ سكنٍ داخِلَها.

مجمُوعَةٌ أُخرى من المدفعيّات الرّاجِلةِ تُصوّبُ طلَقاتِها على كُرةٍ ورديّةٍ بدينةٍ. من أينَ لها أن تعرِفَ أنّه إبهامُ قدمِ امرأةٍ بارزٌ من صنْدلٍ!

إذا كان تأثيرُ حمضِ النّمليكِ على البشرِ لا يتعدّى تأثيرَ عصيرِ اللّيمون، فينبغي العُثورُ على فكرةٍ أخرى، إذ أنّ التّكويناتِ الجديدةَ من غُيومِ المُبيدِ الخضراءِ آخذةٌ بإلغاءِ الكثيرِ من الصّفُوفِ البيلوكانيّةِ.

ابحثوا عن ثقوبهم، صرَخَت الرّقم 9 غاضِبةً، أخذت الرّسَالةُ تتردّدُ على الفور من قِبلِ كافّةِ المُتمرّساتِ في قتالِ الثديّياتِ والطُيورِ.

العديدُ من الفيالقِ تُهاجِمُ بِشَجاعةِ المَرَدة. تغرُزُ فكُوكها بعزيمةٍ داخلَ الألياف النّسيجِيّةِ، مُحدثِينَ جِراحاً بالِغةً في تي شيرتٍ قُطنيّ وسِروالٍ قصيرٍ من القِماشِ ذاته. في المُقابِل تظهرُ بلوزةُ فرجيني دُوبيرون (30 % إكريليك، 20 % بوليميد) كدرعٍ حقيقيّ إذ لا تُحدِثُ فيها المَلاقِطُ النّمليّةُ أيَّ أثرٍ يُعتدُّ به.

- ثمّةَ واحدةٌ في أنفي. آخ!

- المُبيدُ، بسُرعَةٍ!

- لا يُعقَلُ، لن نستخدمَ المُبيدَ علينا!

- النّجدة! زعقتْ فرجيني.

- أيُّ مصيبةٍ هذه! صرخَ شارل دُوبيرون، محاولاً بيده نفضَ الخنافِسِ التي تئزّ حولَ عائلتهِ.

- لن نقوَى أبـ...

... أبداً من القضاءِ على هذه الوحُوشِ. إنّهم مُفرِطو الضّخامة، مُفرِطو القوّة. يستحيلُ فهمَهم.

تتَحاورُ الرّقم 103 والرّقم 9 بحماسَةٍ حولَ الوضعِ، في موضعٍ على عُنقِ جورج الصّغير، تسألُ الرّقم 103 إذا تمّ إحضارُ سموم غريبة. تُجيبُ الرّقم 9 بأنّهُ ثمّة صنفٌ، سُمّ زنبورٍ أو نحلةٍ، وستذهبُ مُباشرةً

لإحضارهِ. كانتِ المعركةُ لا تزالُ في الذّروةِ عند عودتها، حاملةً بيضة مُترعةً بالسّائلِ الأصفرِ الذي يخرجُ من إبرِ النّحلِ عمُوماً.

لكن كيفَ ستقومين بحقْنِها؟ نحنُ غير مُزوّدينَ بحقنةٍ.

لا تُجيبُ الرّقم 103، تطعنُ فكّها في اللّحم الورديّ وتغرزهُ أعمقَ ما تستطيع. تكرّرُ العمليّةَ مراراً إذ أنّ الأرضيّة مُقاوِمَةٌ وطريّةٌ في آنٍ معاً. أخيراً، أجل! لم يبقَ أمامها إلّا سكبُ الرّحيقِ الأصفرِ داخلَ الثّقبِ الأحمرِ الفائرِ.

لنَهرُبَ.

لم يجرِ الانسحابُ بسَلاسَة. الحيوانُ العِملاقُ مأخوذاً بتشنّجاتٍ، يختَنِقُ، ويرتَعِشُ مُحدثاً جلَبةً كبيرةً.

جثا جُورج دُوبيرون على رُكبتيهِ ثمّ سقطَ مُتهاوياً على جانبِهِ.

التّنانينُ الضّئيلةُ طرَحتْ جُورج دُوبيرون أرضاً.

سقَطَ جورج. أربَعةُ فيالقَ من النّمل يتوزّعونَ في شعرِه، فيما يعثرُ الآخرونَ على ثقوبهِ السّتّة.

تستعيدُ الرّقم 103 سكينَتها.

انتفَى الشكُّ هذهِ المرّةَ. أُصيبَ أحَدُهم!

بغتةً كفّ هوسُ الخوفِ من الأصَابعِ عن أن يسكُنها. ما أجملَ نِهايةَ خوفٍ! شعرتْ أنّها حُرّةٌ.

جورج دُوبيرون طريحُ الأرضِ فاقدُ الحركَة.

تُلقي الرّقم 9 بنفِسها صاعدةً على وجههِ وتتسلّق الكتلةَ الورديّةَ.

إصبعٌ واحدٌ هو في الواقعِ إقليمٌ كامل. من المسافةِ القليلةِ التي

اجتازتها، رأتْ أنّ مساحتهُ في الحدّ الأدنى تبلغُ مئةَ خطوةٍ عرضاً ومئتين طولاً!

يُوجَدُ في هذا المكانِ كلُّ شيءٍ. كهوفٌ، وديانٌ، جبالٌ، فُوّهات.

الرّقم 9 المزوّدة بالفكُوكِ الأكثرِ طولاً في الحَملةِ، تعتقدُ أنّ **الإصبعَ** لم يمُتْ بعدُ. تصعدُ الحواجِبَ، تتوقفُ عند أعلى الأنفِ بين العينين، في المكان الذي يُسميه الهندوس العينَ الثّالثةَ. تُشهِرُ عالياً طرفَ فكّها الأيمن. يأخذُ النّصلُ بالالتِماعِ تحتَ أشعةِ الشّمسِ مثل إكسكاليبر[35] رائعٍ. ثمّ بضربةٍ حاسِمةٍ، تشوف[36]! تغرِزهُ أعمقَ ما تستطيعُ في السّطِحِ الورديّ.

تُحرّرُ الرّقم 9 سيفَها الكيتينيّ، مُصدِراً أثناءَ سحبِهِ صوتَ رشفةٍ.

مُباشرة يرتَفِعُ ينبوعٌ أحمَرُ رفيعٌ فوقَ قرْنيها.

– حبيبي! انظر، لا يبدو أنّ جُورج على ما يُرام!

أفلتَ شارل عبوةَ البخّاخِ على العُشب وانحنى على ولدِهِ. لونُ خديهِ مائلٌ للاحمرارِ، ويتنفّسُ بصعُوبةٍ. وعناقيدٌ كَاملةٌ من النّملِ تسري عليهِ.

– يُعاني نوبةَ حساسيّة! صرخَ المُحافِظ. يحتاجُ حُقنةً على الفورِ، طبيب...

– دعنا نلوذُ بالفِرار من هُنا، بسُرعَة!

35– سيف الملك أرثر.

36– صوت الطعن.

دونَ أنْ يهدِرُوا وقتاً بأخذِ خوائِجِ النّزهَةِ، هربَت عائلةُ دُوبيرون إلى السّيارةِ؛ حاملاً شارل ابنهُ بين ذراعِيهِ.

قفزَت الرّقم 9 في اللّحظةِ المُناسِبةِ. تَلعقُ الدّم الإصبعيَّ الذي بقيَ على فكّها الأيمن.

من الآن فصاعِداً باتَ الجميعُ يعلَمُ.

ليسَت الأصَابعُ مُحصّنةً. بمَقدورنا إيذَاؤهُم. بإمكانِنا هزيمتهم بسُمّ النّحلِ.

95. نِيكُولا

عالَمُ الأصَابعِ لفَرطِ جماله لم تقدر أيّةُ نملةٍ بعدُ على فهمه.

عالَمُ الأصَابعِ لفَرطِ وداعتهِ لا يعرفُ القلقُ والحربُ مكاناً لديهِ.

عالَمُ الأصَابعِ لفَرطِ ما يسُودُه الوئامُ يعيشُ كلُّ واحدٍ فيه نشوةً مستمرّةً.

نمتَلكُ أدَواتٍ تَسمَحُ لنا بألّا نعملَ البتّةَ.

نمتَلكُ أدَواتٍ تَسمَحُ لنا التنقّلَ بُسرعَةٍ خارِقةٍ في الفضاءِ.

نمتَلكُ أدَواتٍ تسمَحُ أن نُغذّي أنفسنا دونَ أيّ جهدٍ.

يُمكِنُنا الطّيرانُ.

يُمكِنُنا أن نغُوصَ تحتَ الماءِ.

يُمكِنُنا حتّى أن نترُكَ هذا الكوكبَ لنذهبَ ما وراءَ السّماءِ.

بإمكانِ الأصَابع كلُّ شيء لأنّ الأصَابعَ آلهةٌ.
بإمكانِ الأصَابع كلُّ شيء لأنّ الأصَابعَ ضِخامٌ.
بإمكانِ الأصَابع كلُّ شيء لأنّ الأصَابعَ ذوو سُلطانٍ.

إنّها الحقيقةُ.

– نيكُولا!

أطفأ الصبيّ الآلَةَ على الفورِ وتصنّعَ بأنّه يبحثُ في موسُوعة *العلم النسبيّ والمطلق.*

– أجل أُمّي؟

ظهرت لوسي ويلز. ناحِلةً وواهِنةً إلّا أنّ في نظرتِها الدّاكنةِ كانت تلتَمِعُ قوّة غريبةٌ.

– ألم تنم بعد؟ رُغمَ حلُولِ ليلنا الاصطِناعيّ.

– أتَعلمينَ، أنهضُ أحياناً للبحثِ في *الموسُوعة*.

ابتَسَمت.

– معكَ حقّ. ثمّةَ الكثيرُ من الأشياءِ التي يمكنُ تعلّمها في هذا الكتَاب. (أخذَتهُ من كتفِيه.) أخبرني نِيكُولا، ألا زِلتَ لا ترغبُ بالمُشاركةِ في اجتِماعاتنا التّخاطريّة؟

– لا، ليسَ الآن. أعتقدُ أنّي لم أجهز بعد.

– حينَ ستُصبِحُ جاهزاً، ستَشعُرُ بذلكَ تلقائيّاً. لا تُرغِم نفسَك.

أخذَتهُ في حُضنِها ومسّدَت ظهرهُ. انسحبَ عَلى مهلٍ، باتَ مع الوقتِ أقلّ تأثّراً بتعبيراتِ العاطِفةِ الأمُوميّة.

همَستْ في أذنه.

– ليسَ بمقدُورِكَ أنْ تفهمَ في الوقتِ الحاضِرِ، لكنّك يوماً ما...

96. الرّقم 24 تفعَلُ ما بِوسعِها (بما لديها)

تمضي الرّقم 24 في الاتّجاهِ الذي تأملُ بأن يكونَ جنوباً شرقيّاً. تسألُ كافّةَ الحيواناتِ التي يمكنُ الاقترابُ منها دونَ خطَرٍ كبيرٍ.

هل رأوا الحملَةَ تمرُّ من هُنا؟ ولكن لُغةَ النّمالِ الشّميّةَ ليسَ لها بعدُ مكانةَ اللغةِ العالميّةِ. مع ذلك أخبَرتها خُنفساءٌ سيتونية، بأنّها سمِعت يُقال بأنّ البيلوكانيّاتِ قد التقوا الأصَابعَ وربِحنَ المعرَكةَ.

هذا مُستَحيل، يخطرُ للرَقم 24 مُباشَرة. لا يمكنُ الانتصارُ على الآلهة! لكن في طريقِها، أخَذَت تُكرّرُ السّؤالَ وعرِفَت ما يكفي لتقتَنِعَ بأنّ لقاءً قَد حصَلَ بالفعل. لكن بأيّةِ ظُروفٍ وعمَّ أسفَر؟

لم تكن هُناك. و لم تستَطع رؤيةَ آلهتِها والأخطرُ أنّها لم تتمكّن من أن تُسلّمَهم شرنَقةَ مهمّة عُطارِد. اللّعنةُ على حماقتِها وقلّةِ حِسّ الاتّجاهِ الدّائم لدَيها!

لفتَ انتباهَها خنزيرٌ بريّ على الطّريقِ. إنّه أسرعُ منها بكثيرٍ. مهووسَةً برغبَتِها بأن تنضَمّ إلى أخَواتِها الصّهباواتِ ومن يعلم، ربّما تقتَربُ من الأصَابِعِ، تتَسلّقُ إحدى قُوائمه. لم تُطِل الانتظارَ حتّى انطَلقَ الخنزيرُ البريُّ. المُشكِلةُ أنّهُ ينحَرِفُ كثيراً نحوَ الشّمالِ. عليها أن تقفِزَ وهو يعْدُو.

لديها حظّ طيبٌ. إذ يحضرُ سنجابٌ، فتَتطفّلُ على فروَته. يتّجهُ صوبَ الشّمالِ الشّرقيّ، بَيْدَ أنّ القارِضَ السّريع هذا يتوقّفُ فَجأةً في قِمّةِ شجرةٍ وعلى الرّقم 24 أنْ تقفِزَ لتَعُودَ إلى الأرضِ بأسْرَعِ ما تستَطيع.

اجتازَت مسافةً بالطّبع، إلّا أنّها لا تزالُ وحيدَةً إنّها تُخطئُ التّصرُّفَ، عليها استجماعُ قُوّتها: إنّها تُؤمِنُ بالأصَابِع، آلهة كُليّي القُدرةِ. حسَناً، لتدعُوهم إذاً لكي يُرشِدُوها إلى الحَملةِ وإليهم هُم أنفُسهُم.

أيّتُها الأصَابعُ، لا تَتخلّوا عنّي في هذا العالمِ المُخيف. ارشِدُوني كي أعودَ وألتقي بأخَواتي.

تطوي قرنَيها، كما لتتّصِلَ بأسيادِها على نحوٍ أفضَل. في اللّحظَةِ ذاتِها تلحَظُ رائِحَةً مألوفةً من ورَائها.

أنتِ!

الرّقم 24 في ذُروَةِ فرحِها.

شعَرت الرّقم 103، التي كانت تمضي باحِثةً عن أسْكُولِين، القفيرُ الذّهبيُّ، بالارتِياحِ لدى رؤيةِ الشّرنَقةِ. وهي سعيدَةٌ أيضاً برؤيَةِ المُتمرّدةِ الفتيّةِ الرّبُوبيّة.

لمَ تفقدِ شرنقَةَ الفراشةِ؟

تُريها الوعاءَ الثّمينَ وتلتَحِقانِ سويّةً بباقِي أفرادِ المجمُوعةِ.

97. موسُوعة

مسألةُ زمَكان: ثمّةَ حول ذرّة عَددٌ من مَدارات الإلكترونات، البعضُ منِها قريبٌ جداً من النّواةِ، مداراتٌ أخرى أبعَدُ بكثير.

حينَ يُجبِرُ حدثٌ خارجيّ واحِداً من هذه الإلكترونات على تغييرِ المدارِ يحدثُ على الفَورِ إرسالُ طاقةٍ على شكلِ ضوء، حرارة، إشعاع.

أمرُ نقلِ إلكترونٍ من طبقةٍ مُنخَفضة وأخذه إلى طَبَقة أعلى، أشبهُ بوضْعِ أعورَ في بلدِ العُميان. يلمَعُ، ويُبهِرُ، إنّه الملك. على العكسِ منهُ إلكترونُ مدارٍ عالٍ منقولٍ إلى مدارٍ أخفضَ إذ سيّتخذُ هيئةَ غبيّ بامتيازٍ.

الكونُ بأكمَله مبنيٌّ بطَريقةٍ مُشابهة، على هيئة طَبقات (لا زانيا). زمَكاناتٌ مُختَلفةٌ تُحاذي بعضَها البعض مُتموضِعةً على شكلِ طبقاتٍ مُكدّسة. بعضُها سريعةٌ معقّدة، وأخرى بطيئةٌ وبدائيّة.

نعودُ ونرى هذا النظامَ التّراتبيّ في كافّةِ مُستَويات الوجُود. بهذه الطريقة، نملةٌ ذكيّةٌ جدّاً واسعةُ الحيلة، حينَ تُرسَل إلى العالَم البشريّ، لن تعودَ سِوى دابّة ضئيلة خرقاء وخوّافة. بينما إنسانٌ جاهلٌ وغبيٌّ، مُنَزّلٌ في عُشّ نملٍ، يُصبحُ إلهاً كلّي القُدرَة. إلّا أنّ النملةَ التي تُواصَلتْ مع البشر سوفَ تكونُ قد تعلّمت الكثيرَ من هذه الخبرة. وبعودتها إلى مجتمعها، ستمْنَحُها معرفِتها للزمكانِ الأعلى قوّةً أكيدةً على كلّ نُظرائِها.

طريقةٌ جيّدةٌ للتطوّر هو أن تكونَ قد عرفتَ حالةَ المنبوذِ في البعدِ الأعلى، ومن ثمّ العودةَ إلى بُعدِكَ الأصليّ.

إدمون ويلز،

موسوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلّد الثاني.

98. أصْدِقاؤنا الذّبابُ

تصِلُ الرّقم 24 إلى فُسحَةِ الأصَابِع، حيثُ تُخيّمُ الآن جُنديّات

الحَملة، مُصرّةً على عدَم التّصديقِ بأنّ أخَواتها الصّهباوات قتلْنَ إحدى الآلِهةِ. تُؤكِّدُ للرّقم 103 أنّ الأمرَ التبَسَ عليهنّ بين **الإصبَعِ** وحيوانٍ عِملاقٍ آخر.

وإذا كان بالفعلِ إصبَعاً فقد يكُون تظاهرَ بالمَوت. ربّما أرادَ بهذه الطّريقَة امتِحانَ ردّ فعلهنّ، امتِحانَ مدى إيمانهنّ. ومع السّذاجَةِ التي اشتُهرتْ بِها الرّقم 24، وجّهت ضربةً قاضيةً: إذا **الإصبَعُ** ماتَ، فأين جُثّتُهُ إذاً؟

ظهرَ بعضُ الإحراجِ على الرّقم 103، لا أكثَر. تُؤكّدُ لها بأنّها تجَوّلت على أحَدِهم في كافّةِ الاتّجاهاتِ وأصبَحَتِ الآن تملكُ فِكرةً أكثر دقّةً عن الأمرِ.

وفيما تبُثّ كلَّ هذا إلى الرّقم 24، تفتّحَت الفكرةُ في أدْمغَتها: لَمَ لا يُكتَبُ فيرُومون ذاكِرةٍ عن **الأصَابِعِ**؟ تأخذُ قَليلاً من اللّعابِ وتُدوّنُ عليه:

الفيرومون: عِلمُ الحيوان

*الموضوع: **الأصَابع***

سيّالة اللّعاب: الرّقم 103683

تاريخ السّنة: 100000667

1) إنّ للأصَابعِ وجود.

*2) **الأصَابعُ** غيرُ محصّنةٍ. بإمكاننا قَتلُها بسُمّ النّحلِ.*

هوامشٌ على المُلاحظَة الثّانية:

*أ) ربّما يُوجَدُ طُرقٌ أُخرى لقتلِ **الأصَابعِ**، ولكن لم تظهر إلى اليوم سِوى فعّاليّة سُمّ النّحلِ.*

*ب) سَتلزَمُ كميّة هائلة مِن سُمّ النّحلِ إذا أردنا قتلَ جميع **الأصَابعِ**.*

*ج) رُغمَ ذلك يبقى قتلُ **الأصَابعِ** شديدَ الصّعُوبةِ.*

*3) **الأصَابعُ** أكثرُ ضخامةً ممّا تستَطيعُ أن تلتَقطهُ عيُوننا عنهم.*

*4) **الأصَابعُ** دافئون.*

*5) تُغطي **الأصَابعَ** طبقَةٌ من الألياف النّباتية. مثل بشَرةٍ اصطناعيّةٍ مُلوّنة. ولا تنزفُ حين نختَرِقُها بالفكّ. البشَرةُ التّحتيّةُ فقط هي التي تنزِف.*

ترفَعُ قرنَيها لتُلملِمَ ذكرَياتها ثمّ تبتَلعُ:

*6) تفوحُ رائحة قويّةٌ من **الأصَابعِ**، لا تشبهُ شيئاً معروفاً.*

تنتبهُ إلى مجمُوعةِ ذُبابٍ تتحلّقُ حولَ بركةٍ داكنةٍ حمراءَ.

*7) دمُ **الأصَابعِ** أحمرُ، مثل الطيور.*

تلكَ القطرة من الدّمِ تجتذبُ حشداً من الذّبابِ آخذاً بالأزيزِ.

*8) إذا **الأصَابعِ** هُم...*

يستَحيلُ العَملُ في هذه الظّروف، حقّاً. لدَى الذّبابِ وليمةٌ عارِمةٌ. لم نعُد نسمَعُ بعضَنا بعضاً. على الرّقم 103 أن تقطَعَ عملها وتهشّ أكلةَ الجيفِ.

ولكن بعدَ التّفكيرِ مليّاً، قد يكونُ الذّبابُ ذا منفَعةٍ للحَملةِ.

99. موسُوعة

هديّة: عند الذّباب الأخضر، تلتهِمُ الأُنثى الذّكر أثناءَ الجماع. المَشاعرُ تفتحُ شَهيّتها وأوّلُ رأسٍ تجِدُهُ في مُتَناولها تنظُرُ إليه كوَجبة غداءٍ رائعة. لكنّ الذّكَرَ إذا أرادَ أن يُمارِسَ الحُبَّ، فليسَ لغايةِ أنْ يُقضَمَ من حسنائه. ولأجلِ النّجاةِ من هذا الموقِفِ المأزقيّ: أي الحُصُولِ على الإيرُوس دون التانتوس[37]، اهتدى ذكَرُ الذّبابِ الأخضر إلى حيلة. يُحضرُ قطعَةَ طعامٍ بمثابَة «هديّة». هكذا، حينَ يقرِضُ بعضُ الجوعِ السّيدةَ الذّبابَةَ الخَضراءَ، بوسعها التمتّعُ بتذوّق قطعة لحم فيما يستطيعُ شريكُها عندئذ أنْ يُجامِعَ دون خطَر. عندَ صنفٍ أكثرَ تطوّراً، يُحضرُ الذّكرُ لحمَ الحشرةِ مُغلّفةً داخلَ شرنقةٍ شفّافة، رابحاً بهذه الطّريقة إضافةً ثمينةً من الوقت.

صنفٌ ثالثٌ منَ الذّبابِ استَنتجَ بأنّ زمَنَ فضّ الهدية هو أكثرُ أهميّةً، من وجهَةِ نظرِ الذّكَر، من قيمةِ الهدية ذاتها. عندَ الصّنفِ الثّالث هذا تكونُ شرنَقةُ الغلافِ سميكةً، ضخمةً، و ... فارغَة. وفي غضُونِ الوقتِ الذي تستَغرِقهُ الأُنثى لاكتشافِ الخديعَةِ يكونُ الذّكرُ قد أنهى قضيّتهُ.

بالنتيجة، كلُّ واحدٍ يُعيدُ تنظيمَ سُلوكه. عندَ الذّبابِ من صنفِ Empis، مثلاً، الأُنثى تهزُّ الشّرنقَةَ لتتأكّدَ بأنّها ليسَت فارغَةً ولكن... هُناكَ أيضاً ثمّةَ مُراوغَة. فيحشو الذّكرُ المُحتَرسُ عُلبَةَ الهديّةِ بروثه، بثقلٍ كافٍ ليُظنّ بأنّه قِطَعُ لحمٍ.

إدمون ويلز،

موسُوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلّد الثاني.

37- أي نيلُ الحبّ دون أن يؤدي إلى الموت.

100. هربَتْ ليتيسيا

ذهبَ المُفوّضُ مِيليَس إلى السّجنِ، وطلبَ رؤيةَ ليتيسيا ويلز. استَدرجَ المُدير:

– كيفَ تستَجيبُ مع وضعِها كسَجينة؟

– لا تُظهِرُ أيَّ ردّ فعلٍ، إنّها لا تستَجيبُ.

– ماذا تقصدُ؟

– منذُ أن أتَت إلى هنا وهي نائمةٌ. لم تأكل شيئاً، حتّى لم تشرَب جُرعَةَ ماء. لم تتَحرّك. نائِمةٌ ولا يمكِنُ لشيءٍ أن يُوقِظَها.

– كم مضَى على نُومِها؟

– اثنان وسبعُونَ ساعَةً.

لم يتوقّع جاك مِيليَس استجَابةً كهذه. النّساءُ اللواتي أوقفهنّ، كنّ عادةً ما يبكِينَ، يصرخنَ غضَباً، إلّا أنّ أياً منهنّ لم تكن تنام.

رنّ التّلفون.

– من أجلكَ، قال المُدير.

كان المُفتّشُ كايوزاك.

– سيّدي، إنّني برفقَة الطّبيبِ الشّرعيّ وثمّة مُشكلَةٌ نوعاً ما. نملُ الصّحفيّة، أوه حسَناً، لم تَبقَ واحدةٌ منهُ تَتَحرّكُ. ما قولُكَ في ذلك؟

– أقولُ في ذلك، أقولُ في ذلك... أقولُ في ذلك أنّها في حالةِ سُبات، هذا كُلّ ما في الأمر.

– في ذُرْوَةِ آب؟ انْدَهَشَ المُفتّشُ.

– تماماً! قال مِيليَس بثقةٍ. إميل، قُلْ للطبيبِ الشّرعيِّ أنّي سأمرّ بهِ بعدَ قليل.

أغلقَ جاك ميليَس السّمّاعةَ بوجهٍ شاحب.

– ليتيسيا ويلز ونملُها غارِقُونَ في حالةِ سُباتٍ.

– عفواً؟

– بلى، درستُ ذلك في علمِ الحياة. حينَ يكونُ الجوّ بارداً، أو حينَ تُمطِرُ، أو حينَ تختَفي ملكتُهم، تُوقِفُ الحشَراتُ كافّةَ نشاطاتِها وتُبطِئُ دقّاتَ قلبِها، إلى درَجةِ النّومِ أو قد تصِلُ إلى المَوت.

ركضَ الرّجُلانِ داخلَ السّجنِ نحو زِنْزانة ليتيسيا. اطمأنّا سريعاً. كان غطيطاً ناعماً يخرُجُ من شفَتي الشّابّة. أمسَكَ ميليَس معْصَمها ولاحظَ بأنّ النّبضَ... بطيءٌ قليلاً. هزّها إلى أن استيقَظَت.

فتَحت ليتيسيا قليلاً عينيّها الأُرجوانيّتين، بدا لديها صعُوبةٌ في تجميعِ أفكارِها وفي النّهايةِ تعرّفت على المُفوّض. ثمّ عادت وغفَت مُبتَسِمةً. اختارَ ميليَس أن يتجاهلَ موقّتاً المشاعِرَ المُختلِطةَ التي انتابتهُ.

توجّهَ إلى مُديرِ السّجنِ:

– سترى غداً في الصّباحِ أنّها ستُطالِبُ بفطورِها. أُراهِنُ على ذلك.

تحتَ بشَرةِ الجفْنَين الشفّافة، كانت العينان الأرجُوانيّتانِ تدوران من اليسارِ إلى اليمينِ ومن الأسفَلِ إلى الأعلى، كما لو لأجلِ مُتابَعة أحداثِ حُلُم على نحوٍ أفضلَ. كان الأمرُ غريباً. كما لو أنّ ليتيسيا هرَبت إلى العالَمِ الحُلُميّ.

101. برُوباغندا

حسناً، إنّهُ بسيطٌ جداً.

هكذا بدأت الرّقم 23 خِطابها الطّويلَ. كانت قد ركّزت جلسَتها

داخلَ حوضٍ محفورٍ في صخرٍ رمليّ، وإلى جانبها تجلسُ الرّقم 24. وقُبالتهما فِرقةٌ من ثلاثٍ وثلاثينَ نملة.

كانت تنوي في البدايةِ القيامَ باجتماعاتها الدّعائيّة داخلَ المُخيّم المؤقّتِ، ثمّ تَعقُّلاً تخلّت عن الفكرةِ: هناك في الدّاخِلِ، للجُدرانِ قُرونٌ.

تنتَصِبُ الرّقم 23 على أربَعةٍ من أرجُلِها:

خلَقتنا الأصابِعُ وأنزلَتنا على الأرْضِ لكي نخدمَها. إنّها تُراقِبنا وعلينا السّعيُ ألّا نُغضِبَها لأنّ بوسعِها مُعاقَبتنا. نحنُ نخدمها وهي بالمُقابلِ تمنَحُنا جزءاً من قوّتِها.

الحُضورُ بمُعظَمِه يتشكّلُ من ضحايا الدّيدانِ الشّريطيّة لنقّارِ الخشَبِ الأسود القاذف. فسَواءٌ إن لم يكن لديهنّ ما يخسَرنَهُ أم كنّ يبحثنَ عن عزاءٍ لانهيارِهنّ الشّخصيّ، فواقِعُ الحالِ: إنّ البرْصاوات مُنْتَبهاتٌ إلى حُجَجِ الرُّبُوبيّاتِ. مُندَهشاتٌ مُعظَمَ الوقتِ، وأحياناً مُشكّكاتٌ، جميعُهنّ يتَطلّعنَ إلى أملٍ بعالمٍ آخر بعدَ الموت.

وللإنصافِ، إنّ البرْصاوات يذقنَ الأمرّين. في واقعِ الكسَلِ السّقيمِ الآخذ باجتياحهنّ رويداً رويداً، جارّاتٍ أنفسهنّ في نهاية الموكبِ، فإنّ لديهنّ كلُّ الحقّ في التّساؤلِ عن معنَى الوجود. يحصلُ أن تفصلُهنَ مسافةٌ طويلةٌ عن الموكبِ وعندئذ يُصْبِحنَ فرائسَ سهلَةً لشتّى أنواعِ المُفترسِينَ. إلّا أنّ أيّة جُنديّة لن تتَردّدَ في المُسارعَة لنجدَة مريضَةٍ وقَعَ اعْتداءٌ عليها. فالتّضامُنُ النّمليّ لا يستَثني أحداً، ويبلغُ أشدّهُ ضِمنَ مشرُوعٍ كالحملةِ الأُولى.

أيّاً يكن الأمرُ، الرّسالةُ الرّبُوبيّةُ اجتَذَبتْ ووجَدتْ قُروناً صاغِيَةً،

حتّى عند السّليمات. وليسَ أقلَّ منهُ غرابةً أنّ النّمالَ المُجتَمعات في تجويفِ الحوضِ الرّمليّ نسينَ بأنهنّ إذا كُنّ قد تركنَ مدينَتهنّ، فذلكَ لأجلِ إبادةِ الذين هُنّ الآنَ على أُهبَةِ الاسْتعدادِ لعبادَتِهم.

وتُسمَعُ مع ذلك اعتِراضاتٌ هشّة، أسئلةٌ قد تُسبّبُ الإحراجَ. غيرَ أنّ الرّقم 23 لديها جوابها الجاهِزُ:

*المُهمّ هو التقرّبُ من **الأصَابعِ**. ولا تكترثنَ بما تبقّى. **الأصَابعُ** آلهةٌ خالدُون.*

بماذا يُمكنُ الإجابةُ عن ذلك؟ رُغمَ ذلك رفَعَتْ مُستَطلعةٌ صَهباء قرناً:

*لماذا لا تَبثُّ **الأصَابعُ** شَيئاً لتُشيرَ لنا بما ينبَغي علينا فعلُهُ، لحظَةً بلحظَة؟*

إنّهم يُكلّمُوننا، أكّدت الرّقم 23. *إنّنا في بيل-أو-كان، على اتّصالٍ دائمٍ مع **الأصَابعِ**.*

إحدَى المَدفعيّات:

كيف يُسْتطاعُ التكلّمُ مع الآلهة؟

جواب:

يلزمُ التّفكيرُ بهم باسْتغراقٍ. تدعُو الآلهةُ ذلك «صلاة». كُلّ صلاةٍ مُنبّثة أينما كانت هي مسمُوعَةٌ من قبلِ الآلهة.

تُطلقُ نملةٌ فاتحةُ اللّونِ فيرومُوناً يكتَنفهُ اليأسُ:

*هل بوسعِ **الأصَابعِ** أن تشفيَ من الدّيدانِ الشّريطيّة؟*

الأصَابعُ قادرَةٌ على كُلّ شيء.

فسَألت جُنديّة إذاً:

*بما أنّ القطيعَ يُوصينا بقتلِ جميعِ **الأصَابعِ**، فماذا بوسعِنا فعلُهُ؟*

حدّقَتْ الرّقم 23 في السّائلة وحرّكَت بهدوءٍ ساقيها الحسّيين.

لا شيء. لن نفعَلَ شيئاً. سَنقفُ جانباً ونُراقِبُ. ينبغي ألّا نخشَى على الآلهَة. الآلهةُ مُطلقةُ السّلطَة. انْشرُوا كلمةَ الدّكتور ليفينغستون فحسب. دعُونا نجتَمع بأعدادٍ مُتزايدة. نتَوخّى الحذَر. وعلى الأخصّ، لنُصلّي.

بالنّسبَةِ للأغلبيّة، إنّها المَرّةُ الأولى التي يتصرّفنَ بها على نحوٍ خارجٍ على القطِيعِ. ويجدنَ ذلك مُثيراً للغايةِ حتّى لو لم يكن للأصَابعِ وجُود.

102. موسُوعة

إله: الإله، بحكم التعريف هو كُلّيُ الوجُود وكلّيُ القُدرة. إذا هو موجُود، فهو إذاً في كلّ مكانٍ وهو قادرٌ على كلّ شيء. ولكن إذا كانَ قادراً على كلّ شيء، فهل بوسْعهِ أيضاً أنْ يولّد عالَماً حيثُ يكونُ غائباً عنهُ وألّا يكونَ قادراً فيه على فعلِ شيء؟

إدمون ويلز،

موسُوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلد الثاني.

103. أسكُولين، القَفيرُ الذّهَبيّ

ثمانيةٌ[38] عموديّةٌ. ثمانيةٌ مقلوبةٌ. ثمانيةٌ لولبيّةٌ. ثمانيةٌ.

توقّفَتْ.

ثمانيةٌ مُضاعفةٌ. تغييرُ انحرافِ الزّاويةِ بالنّسبةِ للشّمسِ.

38- الثمانية هنا ينبغي تخيلها برسمها الفرنسي (8).

ثمانيةٌ أفقيّةٌ ضيّقة. ثمانيةٌ أفقيّةٌ واسعة.

لا يمكنُ للرسالةِ أن تكونَ أكثرَ وضُوحاً.

الإجابَةُ: ثمانيةٌ، ثمانيةٌ أُفقيّةٌ واسعة، ثمانيةٌ مُضاعفةٌ، ثمانيةٌ مقلوبةٌ. ثمّ يتمّ نقلُها إلى البديلِ الجَويّ اللاحِقِ.

تدوّنُ النّحلُ معلوماتِها وهي تحومُ في السّماءِ.

لكي تقولَ بأنّ الطّعامَ على مسافَةِ أكثرَ من مئةِ مترٍ، ترسُمُ ثمانياتٍ محورها المركزيّ يُشيرُ إلى الاتّجاهِ المُرادِ والمسافة.

مدينةُ التنّوبِ الكبيرةِ قُربَ النّهرِ اسمُها الشمّي أسكُولين، أي «القَفيرُ الذّهَبيّ» في لُغةِ النّحلِ.

تتألفُ من ستّةِ آلافِ فرد.

تُحلّقُ نحلةٌ مُستَطلعة أسكُولينيّة، والتي التَقَطت ذاكَ النّداء، بسُرعَةٍ كبيرَةٍ. تتعرّجُ بين الأشواكِ، وتصعَدُ المُنحَدَرات، وتعلو فوقَ رتلِ نمالٍ مُستعجلةٍ بين الأعشابِ (عجَباً، ماذا تفعلُ هذه النّمال في الجِوارِ؟). تدورُ حولَ شجرةِ السّنديانِ الكبيرةِ، وتطيرُ مُحاذيةً منطقةَ الكُتَلِ الطّينيّة.

تبدُو هذه المنطَقةُ مُثيرةً للاهتمام. تُبطئُ خفَقات جناحَيها. تحُومُ النّحلةُ فوقَ النّرجسِ البريّ، وتبلّ أرجُلَها في أسْديَةِ زُهورٍ غيرِ معرُوفةٍ، لكنّها لاحَظَت بعد التّفكيرِ ملياً بأنّها أزهارُ الأقحوان، ألقَت لسانَها الرّفيعَ المُتَضاعفَ في المسحُوقِ الأصفَرِ، وما هي إلّا لحَظاتٌ حتّى تعودَ بعدها بأفخاذٍ مُغطّاةٍ بغُبارِ الطّلعِ الطّازَجِ.

تنزلُ على مدْرَجِ هبُوطِ القَفير وتأخذُ بخَفقِ أجنِحَتِها على الفورِ بتَردّد 280 هِرتز.

بززززز بززز بززز. 280 هرتز، هُو التّردّدُ الذي يسمَحُ لنَحلةٍ بأن تجمَعَ حولها العددَ الأكبرَ من العاملاتِ المشغُولاتِ بمشاكلِ الطّعام.

بينَما لو كان الـتردّدُ 260 هِرتز، لاجْتذَبَ العاملاتِ المُكلّفاتِ بالإدارةِ والعِنايةِ بالصّغار. أمّا تردّدُ 300 هِرتز فهو لإطلاقِ الإنذارِ العسكريّ.

تقفُ المُستطلعةُ فوقَ شكلٍ مُسدّسٍ من الشّمعِ وتبدأُ رقصَتَها. راسمةً هذه المرّة ثمانيّات ببُعدَين فقَط، على سويّة أرضيّةِ القَفير المُشمّعة. تروي بإيجازٍ شديدٍ مُغامرتَها. تُعطي الاتّجاه، المسافةَ وتحَدّدُ بالضّبطِ نوعَ جمْعِ الأزهارِ التي زارتها. إنّها زهُورُ الأقحُوانِ بحسبِها.

بما أنّ المنبعَ قريبٌ نِسبيّاً، ترقُصُ بِسُرعَةٍ، وإلّا لكانت أبطَأتْ قليلاً. كما لو أرادت مُحاكاةَ تعَبِ الطّيرانِ نحوَ البعيد.

في تقريرِها «الرّاقِصِ»، تأخذُ بعينِ الاعتِبارِ موقعَ الشّمسِ أيضاً وحركَتها.

تُهرَعُ زميلَاتٌ نحوَها. أدركَنَ أنّ ثمّةَ العَديدُ من الأزهارِ لجَمْعِ الرّحيقِ، ولكنهنّ يرغبنَ بمعرفة نوعِ ذاكَ المنبَعِ. فأحياناً تكونُ الزّهُورُ مُلطّخَةً بذَرْقِ الطّيورِ، وأحياناً ذابِلةً، وأحياناً أخرى منهُوبَةً من نحلِ قفيرٍ آخَر.

يضرُبُ بعضُهنّ بُطونَهنّ بعصَبيّة على رفُوفِ الشّمعِ.

نريدُ شيئاً ملموساً، عبّرنَ بلُغةِ النّحلِ.

لا تُجيبُهنّ المُستَطلِعةُ أن يُعدْنَ الطّلبَ. تجترّ غُبارَ طلعِها:

تذوّقن يا جميلاتي، سترينَ أنّه نخبٌ أوّل!

هذه الرّقصَةُ، هذا الحوارُ، هذا التّبادُلُ يدُورُ في غمُوضٍ كاملٍ إلّا أنّه في النّهايةِ، تُحلّقُ مجمُوعةٌ كاملةٌ من أجل مهمّة يعرفنَ مُسبقاً أغلبَ تفاصيلها.

تُعيدُ المُستَطلعةُ، واهنةً، ابتلاعَ النّماذجِ التي أحضَرتها كدليلٍ. ثمّ تلتَحِقُ بالمقصُورةِ الملكيّة حيث تُوجَد ملكَةُ النّحلِ الأسكولِينيّ، زهَا-أبيغ-شا السّابِعةُ والستّون.

وصَلَت هذه الأخيرةُ إلى عرشِ مملَكة النّحلِ بعدَ صِراعٍ وضَعَها ضدّ نحوِ عِشرينَ ملِكَةً من أخَواتِها. يُنتِجُ النّحلُ فائضاً من الملَكاتِ، ولكن بما أنّه لا يلزَمُ أكثر من واحدةٍ في كلّ مدينة، يتقاتلنَ بوحشيّة داخلَ المقصُورةِ الملكيّةِ حتّى لا يبقَى سِوى المُنتصِرة.

إنّهُ أسلُوبُ انتخاب همجيّ نوعاً ما، لكنّهُ يُتيحُ بأن يضَع النّحلَةَ الأكثر إصراراً والمُقاتلةَ الأشرَسَ على عرشِ المدينة.

تُعرَفُ النّحلةُ الملكةُ من خِلالِ بطنِها الكاملِ الصُّفرةِ، تعيشُ أربَعَ سنَواتٍ، إذا كان كلُّ شيء على ما يُرام، وبإمكانِها أن تصِلَ إلى بيضِ ألفِ بيضَةٍ في اليوم.

يقعُ قفيرُ أسكُولِين إلى شرقِ -شمالِ شرقِ عُشّ نمل بيل-أو-كان. إنّهُ موقِعٌ مُمتازٌ حيثُ المقابِسُ المُنتظَمةُ من الشّمعِ البُرتقاليّ تضِجُّ بالعامِلاتِ الجانياتِ. كلّ شيء هُنا لامِعٌ ومُعطّر. أصفرُ، أسوَدُ، ورديٌّ وبُرتقاليّ. تُناولُ العامِلاتُ بعضها بعضاً من رِجلٍ إلى رِجلِ العسَلَ الثّمين.

وعلى مسافةٍ، يُحرَّكُ في إناءٍ من الشّمعِ الهُلامُ المَلَكيُّ.

وعلى مسافة أبعدَ تُوجَدُ قاعَةُ تربيةِ النّحلِ الصّغير. تخضَعُ تربيةُ النّحلِ دوماً إلى قوانِينَ لهّا ذاتُ التّسَلسُلِ. أوّلُ ما تخرجُ من خليّتِها،

تَغذّى النّحلةُ من قِبلِ أخَواتِها، وبعد ذلك تبدأُ العملَ. أثناء الأيّامِ الثّلاثة الأولى من حياتها تقومُ بالمهام المنزليّة. في اليوم الثّالث تطرأ عليها تحوّلاتٌ فيزيائيّةٌ تترافَقُ مع ظُهورِ غُدَدٍ قُربَ الفم تُنتِجُ الهُلامَ الملكيَّ. وبالتالي تُصبِحُ مُربّية. فيما بعد ينقُصُ حجمُ الغُدَد رُويداً رُويداً، وتبدأُ بالظّهورِ غُدَدٌ جديدةٌ، تحتَ البطنِ هذه المرّة، تنشَطُ. إنّها الغُدَدُ المُفرِزةُ للشمْعِ والتي تُنتِجُ الشّمْعَ الضّروريّ لبناءِ أو إصلاحِ رفُوفِ مقابِسِ المدينة.

وهكذا، من اليومِ الثّاني عشَر فصاعِداً، تُصبِحُ النّحلةُ بنّاءةً.

تبني المقابِسَ التي تُشكّلُ رُفوفَ الشّمع. من اليوم الثّامن عشَر فما فوق يأتي دورُ الغُدَدِ فارزةِ الشّمعِ بالتوقّفِ. عندئذ تُصبِحُ العاملةُ حارِسَة، ريثما تتآلفُ مع العالمِ الخارجيّ، ثمّ تتحوّل إلى جانِيَةٍ. وستَموتُ جانِيَةً.

تصِلُ المُستَطلعةُ إلى المقصُورَةِ الملكيّة، لتكلّمَ ملِكتها الأمّ عن الرّتلِ الغريبِ من النّمالِ، ولكنْ هذه تبدو مشغُولةً بحِوارٍ طويلٍ مع... غيرِ مُصدّقة قرنَيها... مَع نملةٍ، للمُصادَفة. والأحرى مع نملةٍ من الفيدراليّة البيلوكانيّة! تستَقبلُ من بعيدٍ الحِوارَ الدّائرَ بين الحشرتَين.

ما الذي بوسعنا فعلُه؟ سألت ملِكةُ النّحلِ.

حين وصلت هذه النّملةُ إلى القفيرِ لم يفهم أحدٌ ما الذي أتَتْ تفعلُهُ هُنا. تحتَ وقعِ المُفاجأةِ -أكثرَ منهُ مودّةً- سُمِحَ لها بِدخُولِ المدينةِ الذّهَبيّة.

ماذا تفعلُ نملةٌ في قفيرٍ!

تروي الرّقم 23 الظّروفَ الاستثنائيّةَ التي تُبرّرُ مجيئَها.

أخَواتُها البيلوكانيّات، جُنِنَّ، إذ أطلَقنَ حملَةً ضدّ الأصابع وقد قتلنَ أحدَهم. تُفسّر الرّقم 23 بأنّه لا بدّ للحَملة أن تُهاجِمَ النّحلَ الذي ستُصادفهُ على طريقِها. وهي تنصَحُ جيشَ النّحلِ، والذي تعرِفُ أنّه مُهابُ الجانبِ، أن يستَبِقَ الحدثَ ويهجمَ على رتلِ جُنديّاتِ الحَملةِ حين سيعلقنَ في وادي الحُوذانِ الضّيّق.

كمين؟ أنت تقترحينَ عليّ أن أنصبَ كميناً لأبناءِ جلدتك؟

الملكةُ النّحلةُ مُتَفاجئةٌ. لقد قيلَ لها بأنّ سلُوكَ النّمالِ لا يلبَثُ أن يكونَ أكثر شذوذاً، وقد وصَلتها أخبارٌ عن أولئك المُرتَزقاتِ اللواتي كنَّ يُحارِبنَ ضدّ أعشاشِهنّ مُقابِلَ الطّعام، وكانت هي تسمَعُ هذه الأخبار بين مُصدّقة ومكذّبة. غير أنّ الذي أذهَلها هو أن تكونَ أمامها نملةٌ تُشيرُ لها إلى المكَانِ الأمثلِ لقتلِ أبناءِ جنسِها.

حقّاً، إنّ النّمالَ أكثرُ انحرافاً ممّا كانت تَظنُّ. إلّا إذا كان ذلك فخّاً. فقد تكونُ هذه التي تدّعي الخِيانةَ أتَت مثلاً لتستَدرِجَ الجيشَ إلى وادي الحُوذان فيما ينقضُّ القِسمُ الأكبرُ من الحَملةِ، في غُضُونِ ذلكَ، على القفيرِ. احتِمالٌ كهذا يبدو أكثرَ قابليةً للفَهم.

أخَذت الملكةُ زها-أيبغ-شا تهزُّ أجنحَتَها الظهريّةَ.

وسألت بلُغةٍ شمّيةٍ أساسيّة مفهومَةٍ حتّى من قِبلِ النّمالِ:

لماذا تخونينَ أبناءَ جلدتك؟

تفسّرُ النّملةُ فعلَتَها: تُريدُ البيلوكانيّات قتلَ جميعِ أصَابعِ الأرض. غير أنّ الأصَابعَ هي جزءٌ من تنوّع العالم والنّمالُ تسعَى، لكثرةِ إلغاءِ أجناسٍ بأكملِها، إلى إفقارِ الكوكَبِ الأرضيّ. لكلّ جِنسٍ ضرورَتهُ وعبقريّةُ الطّبيعَةِ تتجلّى بِتنوّعِ مظاهرِ حياتِها.

إبادةُ أيِّ جنسٍ تُعدّ جريمةً.

إذ سبقَ للنمالِ أن أبادتْ حيواناتٍ كثيرةً. وقد قامَتْ بذلكَ عمداً دُونَ مُحاولةِ فهمِها أو التّواصُلِ معها. جزءٌ كاملٌ من الطّبيعَةِ مُحِيَ بظَلاميّةٍ ساذجة.

تَفادَى الجُنديّة 23 أنْ تأتي على ذِكرِ أنّ **الأَصَابعَ** آلهةٌ وأنّها هي نفسها رُبُوبيّة. ولا تقولُ بأنّ **الأَصَابِع** «مُطلقةُ السّلطة»، حتّى لو كانت هذه قناعتها الرّاسِخَة. فما الذي يمكِنُ أن تفهَمهُ ملكةٌ نحلَةٌ من مفاهِيمَ كهذه مُفرِطَةِ التّجريد؟

وتُعيدُ تكرارَ حُجَجِ المُتمرّداتِ غير الرُّبُوبيّات.

إنّها لُغةٌ يسهُلُ ابتلاعُها لشخصٍ لم يخطُر لهُ يوماً أن يكونَ للآلهةِ وجُود.

*في واقعِ الحال نحنُ لا نعرفُ شيئاً عن **الأَصَابع** تقريباً. لا بدّ أنّ لديهم الكثيرَ من الأشياءِ نتعلّمُها. فبحسبِ مُستواهم وحجمهم لا بدّ أنّ ما يواجِهونَهُ من مشاكل ليسَ بوسعنا حتّى تخيّلها...*

بحسبِ رأيها يلزمُ رحمةُ **الأَصَابِع**. أو إنقاذُ زوجٍ على الأقلّ لأجلِ دِراسَتِه.

تفهمُ النّحلةُ هذه اللّغَة، ولكنّها تُعلِنُ بأنّ هذه الحربَ النّمليّةَ - الإصبعيّةَ لا تعنيها لا من قريبٍ ولا من بعيد. وإنّهم حاليّاً في حالةِ نزاعٍ حُدوديّ مع عشّ الزّنابيرِ السّوداءِ الذي عبّأت من أجله كافّة القِوى العسكَريّة. تشرَعُ الملكةُ زها-أييغ-شا بوصفِ، ليسَ دونَ مُتعةٍ، معركةٍ نحليّةٍ -زنبوريّة.

تلك الأسرابُ الطّائرةُ لآلافٍ من غِشائيّاتِ الأجنِحَةِ التي تَتشابكُ

أجنحَتُها، المُبارزاتُ المُعلّقةُ في الأجـوَاءِ، مُقارَعَةُ الإبَـرِ المسمُومَة، المُناوراتُ، السّيوفُ التي تهوي، التّراجُعات المُتقاطعةُ! تعترِفُ بأنّها مُولَعة بفنّ المُبارزةِ الإبريّةِ. النّحلُ والزّنابيرُ حصراً يُجيدانِ هذه الرّياضَة. ليسَ من اليُسرِ أن تُحافظ على الارتفاعِ في الجوّ وتسديد طعنات بارِعَة في آنٍ معاً. تُعيدُ برشاقة تمثيلَ مُبارزةٍ مع خصم وهميّ مُعدّدَةً أسماءَ الحَركَات. ها هي: استدارةُ سيفٍ عالية، طعنَةٌ مُباشَرةٌ، حركَةٌ رُباعيّة، حركَةٌ خُماسيّة، حركَةٌ إضافيّة، تفادي ضربةٍ يمينيّة.

يفصِلُ نهايةُ بطنِ النّحلةِ عن رأسِ النّملة سمْكُ جَناحٍ. لا يبدُو على هذهِ الأخيرةِ أيُّ تأثّر، فتواصلُ النّحلةُ لها وصفَ القتّالِ النّحليّ -الزّنبوريّ. انْحِراف، انْدفاع، تراجُع، إعادَة، ردّ...

تُقاطعُها الرّقم 23، مُلحّةً، تقُولُ: إنّهُ على العكسِ، إنّ النّحلَ معنيٌّ جدّاً بهذه الحربِ النّمليّة -الإصبعيّة. فقَد اكتشفتِ الرّقمُ 103، إحدَى أكثرِ جُنديّاتهنّ خبرَةً، أنّهُ بالإمكانِ قتلُ **الأصَابعِ** بسُمّ النّحلِ. وحتّى الآن لا يمكنُ قتلُ **الأصَابعِ** إلّا بذلك.

فلا بدّ للحَملَة إذاً أن تُهاجِمَ أسكُولِين للحصُولِ على السُمّ.

نمالٌ؟ يُهاجِمُوننا، ونحنُ على هذهِ المَسافةِ البعيدةِ من فيدراليّتهم! إنّكِ تهذينَ!

في تلك اللّحظَةِ انطلَقَ الإنذارُ العسكريُّ في كافّة رفُوفِ القفيرِ الذهبيّ.

104. الحشَراتُ لا تُضمِرُ الخيرَ لنا

أتَى دَورُ البروفيسور ميغيل سينيرياز في تقديمِ مُساهمتهِ ضِمنَ ندوةِ

الصّراعِ ضِدّ الحشَرات. نهضَ وَأظهرَ للحضورِ خريطةً للعالمِ منثورةً بروؤوسٍ سَوداءَ:

- هَذه النُّقاطُ تُمثّلُ مناطِقَ حربٍ مُستعرةٍ، ليسَ بين البشَرِ، وإنّما ضِدّ الحشَرات. إنّنا نُحارِبُ الحشَراتِ في شتّى الأرجاءِ. ففي المغرب، الجزائر، السّنغال، نُحاربُ اجتياحاتِ الجراد. في البيرو، ينقل البعُوضُ الملاريا، في إفريقيا الجنوبيّة تُسبّبُ ذُبابةُ تسي تسي مرضَ النّعاس، في مالي أدّى تكاثُر القمْلِ إلى وباءِ التّيفوس. في الأمازون، وإفريقيا الاستوائيّة، وإندونيسيا، يُصارِعُ الإنسان لمُقاومَة اجتياحاتِ نملِ المانيان. في ليبيا، هلَكَت الأبقار من قِبلِ الذّبابةِ الجزّارة. في فنزويلا، زنابيرٌ عنيفةٌ تُهاجِمُ الأطفالَ. في فرنسا، وعلى مقرُبةٍ من هنا، هُوجِمَتْ عائلة أثناءَ نُزهةٍ من قِبلِ رتلٍ من النّملِ الأصهَبِ في غابةِ فونتينبلو. ولن أكلّمكم عن خنافسِ الكولورادو التي تُفسدُ مزارعَ البطاطا، عن الأرَضَة التي تقرُضُ البيوتَ الخشبيّةَ حتّى تهبطَ على سُكّانِها، عن العثّ الذي يتغذّى على ثيابنا، عن ديدانِ الشّمع التي تعتَدي على كِلابِنا... هذا هو الواقِع. منذُ مليونِ عام، والإنسانُ في حربٍ ضدّ الحشَرات والصّراعُ لا يزالُ في بدايته. وبما أنَّ الخصْمَ صغير، نستَخفُّ به. نعتَقدُ أنّ نقرة إصبَع تكفي لسحقه. خطأ! يصعُبُ القضاءُ على الحشَرةِ. إذ هي تتأقلَمُ مع السّمُوم، تتَحوّلُ لتُصبِحَ أفضلَ مُقاوَمةً للمُبيدات، تتَكاثرُ لتنجو من مُحاولاتِ الإبادَة. الحشَرةُ عدُوّتنا. إلّا أنّ، تِسعاً من كلّ عشرةِ حيواناتٍ هي حشَرات. نحنُ لسنا سِوى حَفنةٍ صغيرةٍ من البشرِ والثدييّاتِ بالمُقارنةِ مع ملياراتِ المليارات من النّملِ، الأرَضَة، الذّبابِ، البعوض. كان لدى أجدادنا عبارةٌ تصفُ هؤلاء الأعداء. كانوا يدعونَهم قِوى العالمِ السّفليّ. تُمثّل الحشَراتُ قِوى

العالِم السّفليّ، ما يعني كلُّ ما هو موجودٌ في الأسفل، زاحِفٌ، تحتَ أرضيّ، مُتوارٍ، غيرُ مُتوقّع!

ارتَفعَت يدٌ.

– بروفيسُور سينيرياز، كيفَ يُمكننا مُقاومَةُ هذه القِوى السّفلـ... أقصِدُ الحشَرات؟

وجّهَ العالِمُ ابتِسامةً إلى جمهُوره.

– بدايةً بالتوقّفِ عن الاستخفافِ بها. هكَذا، في مختبَري، بسانتياغو في تشيلي، اكتَشفنا أنّ النّملَ قد عيّنَ «متذوّقات». كلّما صادَفَ عُشُّ النّملِ قِطعَةَ غِذاءٍ جديدَةٍ، تتكفّلُ تلكَ بِتجربتها. إذا لم تظهَر أيّة أعراضٍ مشبوهةٍ عليها في نهايةِ اليومين، عِندئذ ستأكُل أخواتُها بِدورهِنّ من هذا الغِذاء. ذلك يُفسّرُ الفعّاليّةَ المحدُودةَ لمُعظَم المُبيداتِ الفوسفوريّة العُضويّة. لذا ابتكرنا مُبيداً جديداً ذا مفعُولٍ متأخّرٍ، لا يبدأ تأثيرهُ إلّا بعدَ اثنتين وسبعينَ ساعةً من ابتلاعِه. نأملُ أن يستطيعَ هذا السُّمّ الجديد أن ينتَشِرَ في مدينَةِ النّملِ رُغمَ إجراءاتِهم الأمنيّة.

– بروفيسُور سينيرياز، كيفَ تنظرُ إلى ليتيسيا ويلز، المرأةُ التي تمكّنت من ترويضِ النّملِ لكي يقتُلَ الباحِثينَ في مجالِ المُبيداتِ؟

رفَعَ الخبيرُ عينيهِ إلى الأعلى.

– منذُ الأزلِ، وهُناكَ أشخاصٌ مبهورونَ بالحشَرات. المُلفتُ أنّ سلوكاً كهذا لم يظهر من قبلُ. لقد تألّمت كثيراً لهذه الجرائم. فمعظمُ الضّحايا كانوا زُملاءَ وأصدقاء. ولكن لا يهمّ، الآن! الآنسة ويلز خارجَ نِطاقِ الأذى، وبعدَ بِضعَةِ أيّامٍ، سأقدّمُ لكم هذا المُنتَجَ المُعجِزَ،

الذي لهُ فعّاليّةٌ على مُستَوى العالَم، والذي كلّفنا غالياً جدّاً. كلِمةُ السرّ: «بابل» وللاسْتِعلامِ عن تفاصِيلَ أكثر، مُوعِدُنا هنا غداً وفي السّاعَةِ ذاتِها.

عادَ البروفيسُور سينيرياز إلى نُزُلِه سيراً على قدمَيه، وهو يُصفّرُ، مأخُوذاً بخفّةِ السّرورِ التي شعرَ بها جرّاء الأثرِ الذي أحدَثَتهُ كلِماتهُ في الحضُورِ.

في غُرفَتِه، وهو ينزَعُ ساعَةَ يدِه، لاحظَ ثُقباً مُربّعاً صغيراً في سِوارِ قميصِه غير أنّهُ لم يكترِث.

كانَ يرتاحُ على سريرِه من متاعِبِ يومِه حينَ انتبهَ إلى صوتِ صادرٍ من الحمّامِ. تتَعرّضُ الأنابيبُ للأعطالِ حتّى في أرقى المباني!

نهضَ، وأغلقَ بهدوءٍ بابَ الحمّام وقرّرَ أنّ وقتَ العشاءِ قد حان. للنزُولِ إلى المطعَمِ، كانَ أمامهُ أن يختارَ إمّا الدّرَج أو المِصعَد. ونظراً إلى حالةِ الإنهاكِ التي شعَرَ بها فضّل المِصعَد.

كانَ ذلكَ خياراً خاطئاً.

علِقَت الآلةُ بين طابِقَين.

الزّبائنُ الذينَ كانوا ينتَظِرونَ على العَتَبةِ التّاليةِ سمعُوا ميغيل سينيرياز يُطلِقُ صرَخاتٍ مذعُورةً ويضرِبُ في الوقتِ ذاتِه على الجِدارِ المعدنيِّ.

شخصٌ آخرٌ لديهِ رُهابُ الأماكِنِ المُغلَقة، قالت امرأةٌ.

ولكن حينَ أتَى أحدُ الموظّفينَ ليُحرّرَ القمْرَة، لم يجد فيها سِوى جثّة. من يرى قناعَ الرّعبِ المُرتَسِمِ على وجهِ الرّجُلِ، يُدرِكُ بأنّهُ قطْعاً كانَ يتَعاركُ مع الشّيطَان.

105. أحلام

لم يكنْ جُوناثان نائِماً. منذُ أن باتَت طُقُوسُ الاتّحادِ بهذهِ الغزارةِ، وهو يشعرُ بصُعُوبةٍ مُتزايدةٍ في النّومِ.

في الأمسِ على نحوٍ خاصّ، خاضَ تجربةً مُروّعةً.

ففيما كان الجميعُ يُصدِرُ الصّوتَ المُشترَك، الموجَةَ الكُليّةَ أوم، شعَرَ بشيءٍ خارقٍ. جسَدهُ قد سُحِبَ بالكامِلِ من قِبَلِ تلكَ الموجَةِ. مثل يدٍ تنزعُ قُفّازَها حاولَ شيءٌ في داخِلِه الخُروجَ من إهَابِهِ البشريّ.

خافَ جُوناثان لكنّ وجُودَ الآخرين في الوَقتِ عينه منَحهُ الطّمأنينةَ. ارتَفعَ تاركاً جسَدهُ، مُتّخذاً هيئةَ الأوم الذي يخصُّهُ، أو الأكتوبلازم أو الرّوح، أيّاً يكن، واجتازَ برفقةِ الآخرين صخرَةَ الغرانيت كي يصِلَ عُشّ النّملِ.

لم تستَغرِق الظّاهِرةُ وقتاً طويلاً. إذ سُرعانَ ما عادَ إلى جسدهِ كما لو أنّ حبلاً مطّاطيّاً أعادهُ إليهِ.

كان ذاكَ حُلمَ يقَظةٍ جماعيّاً. لا يُمكِنُ أن يكونَ سِوى حُلمَ يقَظةٍ جماعيّاً.

لطولِ عيشِهم قُربَ النّملِ، كانوا جميعاً يحلُمُونَ بالنّملِ. تذكّرْ أنّ إحدى فقَراتِ *الموسُوعة* تناولت الأحلامَ على نحوٍ دقيقٍ. ذهبَ إلى المنضَدةِ مُزوّداً بمصباحٍ يدويّ ليتَصَفّحَ في الكتابِ الثّمينِ.

106. موسُوعة

حُلُم: *في مكانٍ قصيٍّ داخِلَ إحدى غاباتِ ماليزيا كانت تعيشُ قبيلةٌ بِدائيّةٌ،*

شعبُ السّينوي[39]. أولئكَ كانوا يُنظّمونَ حياتَهم بأكملِها حولَ أحلامِهم. فأُطلِقَ عليهم «شعبُ الحُلم».

عندَ كلّ صباحٍ أثناءَ الفطورِ، حولَ النّار، لا أحدَ كانَ يتكلّم إلّا عن أحلامِ اللّيلَة الفائتة. إذا رأى شخصٌ سينويّ في نومه أنّهُ أضرّ بأحدٍ ما، ينبَغي عليه أن يُقدّمَ هديّةً لِمَن وقَعَ عليه الضّررُ. وإذا حلَمَ المرءُ أنّه ضُربَ من أحدِ الحُضورِ، فعلى المُعتدي أن يعتذرَ ويُقدّمَ لهُ هديّةً ليَحظى بغُفرانه.

عند السّينويّين يُقدّمُ العالمُ الحُلميّ لهم دُروساً أكثر ممّا تفعلهُ الحَياة الواقعيّة. فإذا روى طفلٌ أنّه هربَ لدى رؤيَةِ نَمِر، كانَ يُجبرُ أن يحلُمَ مُجدّداً بالقطّ الوَحشيّ في اللّيلَة التّالية، وبأن يتعارَكَ معهُ ويقتلَهُ. كانَ كبارُ السّنّ يشرحون لهُ كيفَ يفعلُ ذلكَ. إذا لم يتمكّن الطّفلُ، فيما بعدُ، من القَضاءِ على النّمرِ، يتوالى جميعُ أفرادِ القبيلةِ على تأنيبه.

في منظومَةِ قيمِ السّينويّ إذا حلُمَ المَرءُ بعلاقات جنسيّة، فعليه في هذه الحال الوصول إلى رعشَةِ الجماع وأن يشكُر لاحقاً في العالمِ الواقعيّ العاشقةَ أو العاشقَ المُشتَهى بتقديمِ هديّة. إزاءَ أعداءٍ يُضمِرونَ الشّرّ في الكوابيس، يلزَمُ الانتصارُ على العَدوّ أوّلاً ثمّ تُطالبُهُ بهديّةٍ لتَجعَلهُ صَديقاً. أكثرُ الأحلامِ المَرغوبةِ هو حلُمُ الطّيران. كانت المجمُوعَةُ تُبادرُ إلى تهنئَةِ صاحبِ الحُلم الذي حلّقَ فيه. ويُعدّ إعلانُ طفلٍ عن التّحليقِ الأوّلِ بمَثابة تعميد لهُ. كانَ يُغمَرُ بالهَدايا ثمّ يُشرَحُ لهُ كيفَ يطيرُ في الحُلمِ إلى بلادٍ مجهولةٍ ليُحضرَ منها أُعطيات غريبةً.

اجتذبَ شعبُ السّينويّ عُلماءَ الأجناس. مُجتمعُهم كانَ يجهلُ العنفَ والأمراضَ العقليّةَ. كانَ مُجتمعاً دونَ توتّرٍ وبلا مطامِحَ بفتوحاتٍ حَربيّة. كانَ العَملُ يَقتصِرُ على الحدّ الأدنى الضّروريّ للبقاء على قيدِ الحَياة.

39- إحدى قبائل السكّان الأصليّين الذين استوطنوا شبه جزيرة ماليزيا منذ القدمْ.

اختفى السّينويّون سنة 1970، حَيثُ قُطعت أشجارُ بعضٍ من الغابة التي كانوا يعيشُونَ فيها. إلّا أنّ بوسعِنا جميعاً ممارسَةَ عِلمِهم.

بدايةً، أن نُدوّنَ كلّ صباح حُلمَ اللّيلة الفائتة وإعطاء عنوان لهُ، ونؤرّخهُ. ثمّ التحدّث عنه مع المُحيطين بكَ، أثناء الفطُورِ مثلاً، وفقاً لطريقة السّينويّينَ. أن تغوصَ أبعدَ في تطبيقِ القَواعد الأساسيّة للملاحَة في عالم الأحلام. أنْ تختارَ حُلمكَ قبل النوم: إزاحةَ جِبالٍ، تغييرَ لونِ السّماءِ، زيارة أماكنَ غريبةٍ، مقابلةَ حَيوانات تَختارُها.

في الأحلام، كلُّ واحد كُلّيّ القُدرة. أوّلُ اختبارٍ للملاحَة في عالم الحُلُم يكمُنُ في الطّيرانَ. أن تمدّ يديكَ، وتحُومَ، وتنكِسَ ثمّ تصعدَ من جديدٍ مُلتوياً: كلُّ شيءٍ ممكنٌ.

تتطلّبُ الملاحَةُ في عالم الحُلُم تعليماً مُتدرّجاً. ساعاتُ «التّحليق» تمنَحُ الثّقةَ والطّلاقةَ. ليست الأطفالَ في حَاجة لأكثرَ من خمسَةِ أسابيعَ لتقودَ أحلامها. بينما الأمرُ يستَغرقُ عِدّةَ أشهُرٍ عندَ الكبارِ أحياناً.

إدمون ويلز،

موسُوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلد الثاني.

انضمّ جازون براجيل إلى جُوناثان عندَ المَنضَدَة. ورأى أنّهُ كانَ يُطالِعُ عن الأحلام واعترَفَ لهُ بأنّهُ حلُمَ بالنّمل أيضاً. حَيثُ تمكّنت النّمال أن تقتُلَ جميعَ البشَرِ واتّضَحَ أنّ «الويلزيون» هُم الناجُونَ الوحِيدُونَ من البشَريّة.

تبادَلا الحديثَ حولَ مهمّةِ عُطارِدَ، النّمالُ المتمرّدةُ، والمشاكِلُ التي أثارَتها الملِكةُ الجديدةُ شلي-بو-ني.

سألَ جازون براجيل لماذا لم يُشارِك نِيكُولا إلى الآن في طقُوسِ الاتّحاد. أجابهُ جُوناثان ويلز بأنّ ابنهُ لم يُبدِ رغبَةً وينبغي أن يكونَ اتّخاذُ الخُطوةِ ذاتيّاً. لا يُمكِنُنا نُصحُهُ أو إجبارهُ على تصرّفٍ كهذا.

– ولكن...، تلفّظَ جازون

– علمُنا لا يُسبّبُ العدوى، لسنا أخويّةً سرّيّةً: وليسَ علينا واجبُ الهِدايةِ. سيكُونُ نِيكُولا مُطّلعاً في اليومِ الذي يتَمنّى ذلك. الاطّلاعُ نوعٌ من الموتِ. تحوّلٌ مُؤلمٌ. يجِبُ أن تأتيَ المُبادَرةُ مِنهُ ولا ينبَغي أن يُؤثّرَ عليهِ أحَدٌ، لاسيّما أنا.

فهِمَ الرّجُلانِ بعضَهما. وعادا بحَركاتٍ ثقيلةٍ إلى النّومِ. وحلُما أنّهما يطيرانِ في أشكالَ هندَسيّةٍ. مُجتازين أرقاماً بارزةً مُعلّقةً في السّماء. واحِدٌ. اثنان. ثلاثةٌ. أربَعةٌ. خمسَةٌ. سِتّةٌ. سبعَةٌ.

107. هديرٌ في الرّفُوفِ

ثمانِيَةٌ عموديّةٌ.

ثمانِيَةٌ مقلُوبَةٌ.

ثمانِيَةٌ حلزُونيّةٌ. ثمانِيَةٌ. ثمانِيَةٌ مُضاعَفةٌ. ثمانِيَةٌ أُفقيّةٌ. انحِرافُ الزّاويةِ بالنّسبةِ للشّمسِ. ثلاثُ استِداراتٍ.

هذه المرّة، إنّهُ إنذارُ المرحَلة الثّالثة على نحوٍ مُباشرٍ. بحسَبِ بديلِ التّواصُلِ الجويّ، الجسَدُ المُهاجِمُ يتألّفُ من نمالٍ طائرةٍ. تُفكّرُ الملكةُ: فقَط أُمراءُ وأميراتُ النّملِ يطيرُونَ ولغايةٍ مُحدّدةٍ جِدّاً، الجِماعُ في السّماء.

رُغمَ ذلكَ، يؤكّدُ نحلُ الاتّصالِ البَديلِ. إنّهنّ بالفعلِ نِمالٌ تحُومُ في

الأجواءِ مُتّجِهةً نحوَ أسكُولِين. تطيرُ على ارتفاعِ ألفِ رأسٍ وبسرعَةِ مائتي رأسٍ في الثّانيةِ.

ثمانيَةٌ عمُوديّةٌ.

سؤال: عدَدُ الأفراد؟

إجابة: يستَحيلُ إلى اللّحظة تحديدُ عددِهم.

سؤال: هل هنّ نمالٌ صَهباء من بيل-أو-كان؟

إجابة: بلى. وقد أسقطَتْ لنا خمساً من نحلِ الاتّصالِ البديل.

نحوَ عشرينَ عاملة تُحيطُ بزها-أيبغ-شا. تقولُ الملكةُ لحاشيتها أنْ لا شيءَ يدعُو للذُعرِ. إنّها تشعُرُ بنفسِها محميّةً في هذا المعبَدِ المُكرّسِ للشَمْعِ والعسَلِ. يُمكِنُ لُمستَعمَرةِ النّملِ أن تضُمّ نحو ثمانينَ ألفَ فرد. بيدَ أنّ مُسْتَعمرَتها لا تضمّ سوى ستّة آلاف، لكنّ سياسَتها العُدوانيّةَ التي تُمارِسُها على الأعشاشِ الأُخرى (سُلوكٌ نادرٌ جدّاً عندَ النّحلِ) جعلَها معرُوفةً ومرهُوبَةَ الجانِبِ في أرجاءِ المِنطَقَةِ.

تتساءل زها-أيبغ-شا، لماذا حذّرتهم تلكَ النّملةُ؟ تكلّمت عن حملة ضِدّ **الأصَابِعِ**... كلّمَتها أُمّها ذات يومٍ عنِ **الأصَابِع**:

__الأصَابِعُ__ شيءٌ آخرُ، بُعدٌ آخرُ، زمكانٌ آخر. لا ينبغي الخَلْطُ بين __الأصَابِعِ__ والحشَراتِ. إذا رأيتِ أصابعَ تجاهَليهم. وهُم بالمُقابِلِ سيَتجاهَلونكِ.

طبّقت زها-أيبغ-شا هذا المبدأ بحذافيرِه. وعلّمَت بناتِها ألّا يضَعنَ **الأصَابِعَ** في اعتبارهنّ، لا للهجُومِ عليهم، ولا لمُساعَدتِهم، والتّصرّفُ كما لو أنّ ليسَ لهُم وجُود.

استمهَلت حاشيتَها للحظَة، واستغلّت ذلك لتبتَلِعَ قليلاً من العسَلِ. العسَلُ غِذاءُ الحياةِ. يمتَصّ الجِسمُ جميعَ عناصِرِه، لفَرطِ صفاءِ مادّتِه.

تُفكّرُ زها-أييغ-شا بأنّهُ رُبّما يُمكنُ تجنّبُ الحربِ. أولئكَ البيلوكاتيّات يُردنَ ببساطةِ التّفاوضَ لكي يسمحَ لهنّ النّحلُ بالمُرورِ بسلامٍ. ومن ناحيةٍ ثانيةٍ، حتّى لو النّمالُ موجُودةٌ في الجوّ فهذا لا يعني تمكّنهنّ من كافّةِ تقنيّاتِ القتالِ الجويّ! بالطّبعِ، لم يجدنَ صعُوبةً في إسقاطِ نحلِ الاتّصالِ البديلِ، ولكن ما الذي يستطعنَ فعلهُ إزاءَ سِربٍ عسكريّ أسكولينيّ؟

لا، لن يُخفِضنَ إبرتَهنّ في أوّلِ مُناوشةٍ مع النّمالِ. النّحلُ سيُواجِهُ وسينتَصرُ.

تُرسلُ الملكةُ على الفورِ بطلَبِ المُثيراتِ العَسكريّاتِ، نحلٌ مُهتاجٌ جدّاً يعرِفُ كيفَ ينقلُ توتّرَهُ. تُعلِنُ زها-أييغ-شا الاستنفارَ الحربيّ:

لا ينبَغي مُواجَهةُ البيلوكاتياتِ داخِلَ القفيرِ، اعتَرِضُوهنّ وهُنّ طائِرات!

أوّلُ ما تُبثُّ الرّسالةُ، تأتَلِفُ المُحارباتُ ضِمنَ وحَداتٍ. وتُحلّقُ على شكلِ سربٍ مُتَراصٍّ، مُتّخذينَ هيئةَ الحَرفِ V، خُطّةُ الهُجومِ الرّقم 4، الخُطّةُ الدّفَاعيّةُ نفسها المتّبَعةُ ضِدّ الزّنابيرِ.

كافّةُ الأجنحَة تهتزّ بتردّدِ 300 هرتز في المَدينَة الذّهبيّة، مُصدِرةً ما يُشبهُ صريرَ مُحرّكٍ عصبيٍّ. بززز بززززززززز بززز. تُغمَدُ الإبرُ ولن تُشهَرَ ثانيةً إلّا حين يتوجّبُ عليها سلبَ الحَياةِ.

108. تحوّلٌ مُفاجئ

كانَ المُحافِظُ شارل دُوبيرون يدُورُ في الغُرفةِ. لقد استَدعَى المُفوّض جاك مِيليَس ولم يكن في مِزاجٍ رائقٍ.

- أحياناً نثقُ بشخصٍ ولا نلبَثُ أن نُصابَ بالخيبة.

تمالكَ جاك ميليَس نفسهُ كيلا يقولَ لهُ بأنّ هذا غالباً ما يحدُثُ في السّياسَة.

اقترَبَ منهُ المُحافظُ شارل دُوبيرون مُتّخذاً هيئةً لائمةً.

- منَحتُك ثقَتي. لماذا تصلّبتَ على هذا النّحوِ الغَبيّ ضِدّ ابنةِ البرُوفيسور ويلز؟ وهي صحَفيّةٌ علاوة على ذلك!

- كانت الوحيدَةُ التي تعرِفُ أنّني أمسَكتُ أخيراً طرفَ خيطٍ. وكانت تُربّي نملاً في شُقّتِها. وفي ذاك المَساءِ عينه احتلّ نملٌ غُرفَتي.

- وليكن، ماذا سأقولُ أنا؟ أنتَ تعلَمُ أنّني هُوجِمتُ من ملياراتِ النّمل في وسط الغابة!

- بهذا الخُصُوص، كيفَ حالُ ابنكَ، سيّدي المُحافظ؟

- تعافى كُلياً. آه، لا تذكّرني! شخّصَ الطّبيبُ حالتَهُ بلَدغَة نحلَة. كنّا مغمُورينَ بالنّملِ و لم يجد تفسيراً إلّا أنّها: لدغَةُ نَحلة! تخيّل، بمُجرّد حقنه بمصلٍ مُضادّ لسُمّ النّحلِ تماثَلَ جُورج للشفاءِ على الفور، أمرٌ لا يُصَدّقُ. (هزّ المُحافظُ رأسَهُ) لديّ أسبابي الوجيهَةُ لأُعاديَ النّمل. طلبتُ من المجلسِ الإقليمي دراسَةَ خُطّة تطهير. رشٌّ كثيفٌ من الدي دي تي على غابَةِ فونتينبلو وبعدَها بوسعِنا التنزّهُ لسَنواتٍ على جُثَثِ هذه الحشَرات!

جلَسَ وراءَ مكتبِهِ الكبيرِ نموذَجِ ريجنس وأستأنَفَ، وهو لا يزالُ على ذاكَ القَدرِ من الانزعاج:

- لقد أصدَرتُ أمراً بإطلاقِ سراح ليتيسيا ويلز على الفَورِ. جريمةُ قتلِ البروفيسُور سينيرياز برّأت مُتّهمَتكَ ووضعَت شُرطَتنا بأكملِها موضِعَ السّخريةِ. كنّا في غِنَى عن خطأ آخرَ كهذا.

بما أنّ ميليَس كانَ مُتهيّئاً للاحتِجاجِ، أردَفَ المُحافِظُ بغَضبٍ مُتزايدٍ:

– طلبتُ أن يُدفَعَ للآنِسَةِ ويلز تعويضٌ عن الضّرَرِ المعنويّ الذي لحِقَ بها. وبالطّبعِ لن يمنَعها هذا أن تُشهّرَ بأقسامِنا في صحيفَتها. إذا أردنا الحفاظَ على ماءِ وجهِنا يجبُ العُثورُ في أقربِ وقتٍ على القاتِلِ الحقيقيّ لجميعِ أُولئكَ الكيميائيين. لقد كتَبَ أحدُ الضّحايا بدَمه كلمَةَ «نَمل». في الدّليلِ الباريسيّ فقط، أربَعة عشَرَ شخصاً يحمِلُ هذا الاسم. أنا «آخُذُ الحقائقَ كما هي» حين يخُطّ مُحتَضِرٌ عندَ النّزعِ الأخيرِ كلمةَ «نَمل» أُفكّرُ ببساطَةٍ أنّ الأمر مُتعَلّقٌ باسمِ قاتِلِه. لذا عليكَ البحثُ في هذا الاتّجاهِ.

عضّ جاك ميليَس على شفتيه:

– بالفعلِ سيّدي المُحافظ، لشدّةِ بساطةِ الأمر، لم أُفكر فيه حتّى.

– فإذاً إلى العملِ أيّها المُفوّضُ. لا أريدُ تحمّلَ مسؤوليّةِ أخطائِكَ!

109. موسُوعة

تطريد: عندَ النّحلِ، يخضَعُ التّطريدُ إلى طقسٍ غيرِ اعتياديّ. إذ فجأةً تُقرّرُ، مدينةٌ، شعبٌ، مملكةٌ بأكملِها، وهي في أوجِ ازدهارِها، أن تُعيدَ النّظرَ بكلّ شيءٍ. ترحَلُ الملكةُ العجوزُ بعدَ أن أوصَلت رعيّتَها إلى النّجاحِ، مُتخلّيةً عن أثمنِ كُنوزِها: مخازنُ الغذاء، أحياءٌ مُخدّمةٌ، قصُورٌ فخمةٌ، مُؤنٌ من الشّمعِ، من العكْبرِ، من غُبارِ الطّلعِ، من العَسلِ، من الهُلامِ الملكي. ولمِن تترُكُهم؟ إلى مواليدَ جديدةٍ ضاريَةٍ.

برفقَةِ عاملاتِها، تُغادرُ الملكةُ القفيرَ لتستقرّ في مكانٍ ما آخر لا على التّعيين والذي يُحتَملُ ألّا تصِلَهُ أبداً.

بعدَ دقائقَ من رحيلِها، تستيقِظُ صِغارُ النحلِ وتكتشِفُ خُلوّ مدينَتِها. يعرِفُ الجميعُ بالغريزةِ ما ينبغي عليهم فعلهُ. فتندَفِعُ العاملاتُ عديماتُ الجنسِ إلى مُساعَدةِ الأميراتِ ذواتِ الجنسِ أن تُفقّسَ. الأميراتُ النائِماتُ الجاثِماتُ داخل كبسُولاتِهِنّ المُقدّسةِ يخُضْنَ أوّلَ خفقَةِ جناحٍ لهُنّ.

ولكن أوّلُ من تقوى منهِنّ على المَشي تُظهِرُ على الفورِ سُلوكاً قاتلاً. تنقَضُّ على أميراتِ النحلِ الأُخريات وتفصِلُهنّ بفكّيها الصّغيرين. وتمنَعُ العامِلاتِ من تحريرِهنّ. طاعِنَةً أخَواتِها بإبرتِها المُسمّة.

كُلّما قتلتْ تشعُرُ بالارتياحِ. وإذا ما أرادَت عاملةٌ حمايةَ مهدٍ ملَكيّ، تُطلِقُ الأميرةُ الأولى التي استيقَظتْ «صرخَةً من الغَضبِ النحليّ» يختلِفُ جدّاً عن الأزيزِ الذي نسمَعهُ عُموماً عندَ أطرافِ قفيرٍ. فتُحني الرّعايا رُؤوسَها كعلامَةِ إذعانٍ تارِكينَ الجرائِمَ تتوالى.

أحياناً تُدافِعُ أميرةٌ عن نفسِها وعندَئذ نشهَدُ عِراكَ الأميراتِ. لكنّ، ظاهِرةٌ غريبَة، حين لا تبقى سوى نحلتَينِ أميرتَينِ تتبارزان، لن يحصُلَ البتّة بأن تجِدا نفسيهما بوضعيةِ طعنِ بعضِهما بإبرتَيهما في الوقتِ عينه. ينبغي بأيّ ثمنٍ أن تنجوَ واحدة. رُغمَ ضراوتِهما لنيل الحُكم، لن تُجازِفا أبداً بأن تَموتا معاً تارِكَتينِ القفيرَ يتيماً. الأخيرةُ والوَحيدَةُ، الأميرةُ الناجِيةُ تخرجُ عِندئذ من القفير لتتلقّحَ من قِبلِ الذّكورِ أثناءَ الطّيرانِ. دورةٌ أو اثنتينِ حولَ المدينةِ وتعُودُ لتبدَأ بالبيضِ.

إدمون ويلز،

موسُوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلد الثاني.

110. كمين

وحدةٌ من النّحلِ تشقُّ الجوَّ بمَهابةٍ. تبثُّ أسكُولِينيّة إلى إحدَى جاراتِها:

انظُري إلى تلك الثّمانيات في الأفُق. تُشيرُ رسُولاتنا الرّاقِصاتُ بوضُوحٍ إلى أنّ الجيشَ البيلوكاني يطيرُ.

تُحاوِلُ الأُخرى طمأنةَ نفسِها:

النّمالُ ذوو الجنسِ فَقط من يطيرُون. ربّما الأمرُ يتعلّقُ بتَحلِيقٍ زِفافيّ على هيئةِ مجمُوعة؟ أيُّ ضررٍ يمكنُ أن يُسبّبهُ لنا ذلك؟

النّحلَةُ مُدرِكةٌ لقوّتِها الخاصّةِ وقوّةِ فرقتها. تشعُرُ بالإبرَة الحادّة عندَ طرفِ بطنِها، جاهزةً لثقبِ دُروعِ الصّهباواتِ المُتهوّراتِ. تشعرُ في أمعائِها بمؤونةِ العسَلِ الحُلوِ الذي يُنشّطُها ومؤونةِ السُمّ الذي يتآكلها. الشّمسُ في ظهرِها تُعمي أعداءَها القادمِينَ من النّمالِ.

وحتّى إنّها تشعُرُ بالشّفَقةِ للحظَةٍ على تلك الحشراتِ المُغامِرات اللائي سيدفَعنَ غالياً ثمنَ جُرأتهِنّ. إذ ينبغي الثأرُ للرسُولاتِ الرّاقِصاتِ. وينبغي لأولئكَ النّمالِ أن يعلَمْنَ أيضاً أنّ كلَّ ما يرتَفعُ فوقَ الأرضِ هو تحتَ السّيطرةِ النّحليّة.

ترتَسِمُ في البعيدِ غمامَةٌ كثيفةٌ، من نوعِ السّحابِ المُنخَفِض. تُطلِقُ نحلةٌ مُستَشارةٌ اقتراحاً:

لنختبئ في تلكَ الغمامةِ الصّغيرةِ وننقضّ عليهنّ أوّلَ ما يقترِبنَ.

غير أنّه بمُجرّدِ وصُولِهنّ على مسافةِ مئةِ خفقَةِ جناحٍ من ذاكَ المأوى المُعلّقِ يحدُثُ ما لا يمكِنُ توقّعهُ. لا تُصدّقُ النّحلاتُ قرونَها، ولا

عُيونَها. تحتَ تأثيرِ المُباغَتةِ، تَنْخَفِضُ سُرعَةُ خفَقاتِ أجنِحَتِها من 300 خفقة/ثا إلى 50.

يُفرمِلنَ قبلَ الوصُولِ إلى الغيمَةِ الرّماديّةِ.

–رمادِيّ. –

الأركانا الرابعة:

زمنُ المواجَهات

111. السّيّد فُورمِي[40]

من أوّلِ قرعَةِ جرَسٍ، فتحَ البابَ رجُلٌ مائلٌ للبَدانَةِ.

- السيّد أوليفييه فُورمِي؟

- بشَخصِه، بماذا يتعلّقُ الأمر؟

رفعَ مِيليَس بطاقتهُ المُخطّطةَ بالألوانِ الثّلاثةِ.

- شرطَة. المُفوّض مِيليَس. هل تسمَحُ لي بالدّخولِ لأطرَح عليكَ بعضَ الأسئلة؟

كان الرّجلُ، مُدرّساً للصُفوفِ الابتِدائيّةِ، وهُو آخِرُ اسمٍ «فُورمِي» مُسجّلٌ على الدّليلِ.

قدّمَ لهُ مِيليَس صُورَ الضّحايا وسألهُ إن كان يعرِفُهم.

- لا، قال الآخرُ، مُستغرِباً.

سألهُ المُفوّضُ عن أماكِن تواجُده أثناءَ وقُوعِ الجرائم. لم يكن ينقصُ السيّد فُورمِي لا الشّهُودُ ولا المُبرّراتُ. كان دائِماً إمّا في مدرسَتِه، أو مُحاطاً بعائلتهِ. ولا أيسرَ من بُرهانِ ذلك.

أطلّت السيّدة إيلين فُورمِي في هذهِ الأثناء، مُلتفّةً بمِئزرٍ مُطبّعٍ بالفراشاتِ. فخطرَ سُؤالٌ على ذِهنه:

40- Monsieur Fourmis: السيّد نمل.

- سيّد فُورمِي، هل تستَخدِمُ حضرتكَ مُبيدات؟

- بالطّبعِ لا. منذُ طفُولتي كان ثمّةَ أغبياءٌ يُلقّبونَني «النّملةُ القذرة». مع الوقتِ شعَرتُ بتضامُنٍ مَع تلكَ الحشَراتِ التي نسحَقُها بكَعبِ حذائنا دُونَ تفكيرٍ. وبالخُلاصة لا توجدُ في هذا البيتِ مُبيداتٌ كما لا يَوجدُ حبلٌ في منزِلِ السيّد مشنُوق، إذا فهِمتَ قصدِي.

ظهَرت أُوفيلي فُورمِي والتصَقت بأبيها. تضعُ الفتاةُ الصّغيرةُ النظّارةَ السّميكةَ التي تشيرُ إلى التّفوقِ في صفّها.

- هذه ابنتي، قال المُعلّمُ. كانت استجابتها بالمُقابلِ أن وضعَت عُشّ نَملٍ في غُرفَتِها. أريهِ للسيّدِ، حبيبتِي.

أوصلَت أُوفيلي مِيليَس إلى حوضٍ كبيرٍ، مُشابهٍ للذي لدى ليتيسيا ويلز. يعجّ بالحشَراتِ ومُتوّجٍ بِقبّةٍ من الغُصَينات.

- كنتُ أظنّ أنّ بيعَ أعشاشِ النّملِ ممنُوعٌ، قال المُفوّضُ.

احتجّتِ الفتاةُ الصّغيرة:

- ولكنّي لم أشترهِ. أحضَرتُهُ من الغابةِ. يكفي أن تُعمّقَ بالحفرِ كيلا تهربَ الملكةُ.

السيّدُ أُوليفييه فُورمِي كان فخُوراً جدّاً بصَغيرَتِه.

- تريدُ الصّغيرةُ أن تُصبحَ عالِمَةَ أحياءٍ حينَ تكبُرَ.

- عفواً، ليسَ لديّ أبناءٌ و لم أكن أعلَمُ أنّ النّملَ ألعابٌ «رائجة».

- ليسُوا ألعاباً. النّملُ رائِجٌ لأنّ مُجتمعنا باتَ يقترِبُ من نموذَجه على نحوٍ مُتزايِد، وربّما، حينَ ينظُرُ الطّفلُ إليه يشعُرُ بأنّهُ يدرِكُ أفضلَ عالَمهُ الخاص. هذا كلّ ما في الأمر. هل تأمّلتَ لبُرهةٍ، حضرةَ الشّرطيّ، حوضاً مملوءاً بالنّملِ؟

- في الواقعِ لا. وعلى العُمومِ لا أهتمّ بهِ...

قال جاك ميليَس، في سرّه، إنّهُ لا يعرف إذا ما كانَ هو من يجتَذبُ المجانينَ المُولعينَ بالنّملِ أمْ أولئكَ باتُوا يُشكّلونَ شريحَةً واسِعَةَ الانتِشارِ.

- من كان هذا؟ سألت أُوفيلي فُورمِي.

- مُفوّض.

- وماذا يعني مُفُوّض؟

112. معرَكَةُ الغيمَة الصّغيرة

نُدَفُ السُّحبِ تتدفَقُ على نحوٍ بطيءٍ.

بِدايةً، لا يُميّز نحلُ المدينة الذّهَبيّةِ إلّا ما يبدُو ذُباباً ضخماً يُصدِرُ جلبَةَ أصواتٍ وهو آخِذٌ بالتدفّقِ من خلَلِ الغيمَةِ الرّماديّةِ.

ثمّ، سُرعانَ ما تفهَمُ الأسكُولِينيّات ما عليه الأمر.

إنّهم ليسوا ذُباباً ضخماً! الأمرُ ليسَ كذلكَ على الإِطلاقِ...

إنّهم خنافِس. ليسُوا أيّة خنافِسَ من قبيلِ يونيو أو الرّوثِ، أبداً، إنّهم خنافِسُ وحيدِ القرنِ.

مشهَدٌ من الجحيمِ الدانتيّ هذه الحيواناتُ الضّخمَةُ الصّاخبَةُ المُقرّنةُ والمُزوّدةُ بمدافِعَ صغيرةٍ حيّةٍ على أُهبةِ الجاهِزيّةِ لإطلاقِ قذائفها.

كيف تمكّنت من تطويعِ هذه الدابّاتِ الضّخمَةِ وإقناعِها بخوضِ الحربِ إلى جانبها؟ تساءلَ النّحلُ على الفورِ.

ليسَ لديهم مزيدٌ من الوقتِ للتَساؤلِ ففي لحظَةٍ أرخَى نحوَ عشرِينَ من وحيدي القرنِ هذه ظِلالهم عليهم. ينقَضُّ الخنافِسُ مُسرِعينَ وتأخذُ المِدفعيّاتُ الصّهباواتُ برَميهم.

التّشكيلُ النحليّ على شكلِ V بدأ يتّخذُ تشكيلَ VV وحتّى XYZ. إنّها هزيمَةٌ نكراء.

تأثيرُ المُفاجأة كانَ حاسِماً. كلّ خُنفُسٍ مُحمّلٌ بأربَعِ أو خمسِ قاذِفاتٍ يرمينَ النّحلَ من الأعلى برَشَقاتِ حمضِ النّمليكِ المُركّزِ.

يكبَحُ سِربُ النّحلِ جِماحَهُ ثُمّ يستَعيدُ المُبادرةَ. تُشهِرُ الأسكُولِينيّات إبرهنّ.

اتّخاذُ تشكيلِ خطّ مُنقّطٍ! صاحَتْ إحدَى الأسكُولِينيّات. *اضْرِبنَ الرُّكَبَ!*

الصفُّ الثّاني من وحيدي القرنِ الطّائرينَ أقلُّ فعّاليّة. يتجنّبهم النّحلُ بالنّزُولِ تحتَ بُطونِهِم، ثُمّ الارتِفاعُ مُجدّداً بحثاً عن الحُنجرةِ، وهُناك يغرِزُ إبَرهِ حتّى الواقيّةِ. أتَى دورُ الخنافِسِ ومُرَوضاتهِ الهُبلِ في التّهاوي بعُنفٍ من عُلوّ شاهِقٍ.

أمرٌ راقِصٌ يُطلَقُ:

هُجوم! ذخّرنَ!

تأخذُ الإبرُ الأسكُولِينيّةُ بالانهِمار.

النّحلُ مُزوّدٌ بإبرةٍ على هيئةِ رُمحٍ. إذا بقي مغرُوزاً في لحمِ ضحيّته، تخلَعُ النّحلةُ غُدّتَها السُّمّيةَ مُحاوِلةً أنْ تُحرّرَ نفسَها وتموت. درُوعُ النّمالِ لا تعلَقُ فيها الإبرةُ، على العكسِ من دُرُوعِ الجعْلان.

يسقطُ بعضُ وحيدي القرنِ في اللّحظاتِ اللّاحِقَةِ إلّا أنّهم يتجمّعُونَ مُتلاحِمينَ على شكلِ مُعيّنٍ طائِرٍ مُقاوِمينَ بعِنادٍ ضِدّ آخرِ مُثلّثٍ من النّحلِ القاتِلِ.

تبدأُ الأشكالُ الهندسِيّةُ من حشودِ الجُنديّات بالتفكّك. المُعَيَّنُ النّمليُّ يتحوَّلُ إلى عدَدٍ من المُعيَّناتِ الأصغَرِ والأكثرِ كثافَةً. وينفَتِحُ المُثلّثُ النحليُّ على شكلِ حلقةٍ.

يُحارِبُ الجميعُ عمُوديّاً على ارتفاعِ نحوِ مائة طبقَة -ميدانِ معرَكةٍ مُكدّس. كما لعبَةُ شِطرَنجٍ على مائة رُقعَة مُتوازية.

كلّما اقترَبنا بدا المشهَدُ مُدهشاً. أسطُولُ السُّفُنِ البيلوكانيّة يتلألأ. ينتَهِزُ النّحلُ التيّارات الدافِئةَ ليرتَفِعَ ويقفِزَ مُنقَضّاً على الجِعْلانِ الهادئة. إنّهُ مثلُ حشدٍ من زوارِقَ صغيرةٍ تترصّدُ المراكِبَ الكبيرةَ.

رشقاتُ حمضِ النّمليك المُركّز 60 % تصفرُ مثل أراغِنَ نارٍ سائلة. يتصاعَدُ الدّخانُ من الأجنحَة المُتفحّمة، النّحلُ المُصابُ يُحاوِلُ أن يجمعَ زخَمهُ لكي ينغرِزَ في دُرُوعِ الجِعْلان كأسهُم صغيرةٍ.

حين تكونُ الإبرُ قريبةً جِدّاً، تكسرُها المِدفَعيّاتُ اللواتي يُخطِئنَ التّصويبَ بملاقط فكوكهِنّ.

لا تخلُو اللعبَةُ من المُجازفة، إذ تزلُقُ الإبرةُ، مُعظَمَ الأحيانِ، وتنغَرِزُ في الفم. فيكونُ الموتُ على الفورِ تقرِيباً.

تطفُو رائِحةُ عسَلٍ محرُوق.

ينفَدُ السُمّ من النّحلِ. ما عادَت محاقنهُم تستَطيعُ حقنَ المادّة المُميتَة. المدفعيّاتُ أيضاً ينفَدُ حمضُها. فقَدت قاذفاتهنّ من اللّهَبِ السّائلِ فعّاليّتها. المُناوشاتُ الأخيرةُ تشهَدُ اشتباكَ فكُوكٍ عاريةٍ ضِدّ إبرٍ جافّة. وليكنِ النّصرُ حليفَ الأسرعِ والأمهَرِ!

ينجَحُ وحيدُو القرنِ أحياناً باختراق النّحلِ بقُرونِهم الجَبْهَويّة. أحدُ الجِعْلانِ الذي يمتازُ ببراعَةٍ خاصّةٍ ابتكرَ تقنِيّةً: يدفعُ النّحلُ بخدّيهِ

وينْظُمُهُ في قرنِه. أربعُ مُقاتلاتِ أسكُولينيّات مسكينات يصطَففْنَ على ذاكَ البروزِ مثل سُفُّودٍ تنتَظِمُ فيهِ فاكهةٌ صفراء مُخَطّطةٌ بالأسوَد.

تلحَظُ الرّقم 103 نحلةً تُبارِزُ بِكدٍّ الرّقمَ 9. فتَطْعَنُها في الظّهرِ بفكّها الأيمنِ. ليسَ لدى الحشراتِ ضربَةٌ مُحرّمةٌ. كلّ شيءٍ مُباحٌ بُغيةَ البقاءِ على قيدِ الحياة.

ثمّ تنقَضُّ الرّقم 9، بمُفردها مُمتطيةً وحيدَ القرنِ الخاصّ بها، على زُمرةٍ مُجمّعةٍ من النّحلِ في تشكيلٍ قتاليّ. على الفورِ تنصُبُ الزّمرةُ رتلاً من الأسنّة. إبرُها المُصوّبةُ إلى الأمامِ كان لها أن تدفَعَ العديدَ إلى الفرارِ، لكن لِفَرطِ سُرعة الرّقم 9 على وحيد القرنِ لا يمكنُ لشيءٍ إيقافُها. يصطَدِمُ القرنُ برتَلِ الأشواكِ. فتتناثَرُ الزّمرةُ المُجمّعةُ.

الرّقم 103، مُنتصِبةً على رِجْليها الخلفيّتين، تُقارِعُ بِضرَباتٍ من سيفَي فكيها إبرتَينِ –سيفَي شيش لنحلتَينِ تطنّانِ على نحوٍ مُصمّ. إلّا أنّ وحيدَ القرنِ الخاصّ بها أخذَ بالانخفاض. وحولَ قرنِه الجَبْهَويّ تتناثرُ رِماحٌ سُود مغرُوزةٌ كمناخِس في ثورٍ ويجِدُ صعُوبةً مُتزايدةً في الحِفاظِ على طيرانٍ مُتوازنٍ.

الحيوانُ في حالةِ انهاكٍ. ينخَفِضُ أكثر. أنحاءُ جسَدهِ مُضرّجةٌ بالدّم. ها هو يُحاذي الآن أزهارَ البيغونيا.

تهبِطُ الرّقم 103 هُبُوطاً اضطرارِيّاً.

لا تزالُ مُقاتلاتٌ من النّحلِ تحُومُ فوقَها، إلّا أنّ فِرقةً من مِدفعيّاتِ المُشاة يُفرّقنَها سرِيعاً.

الرّقم 103 لديها الآن انشِغالٌ على غايَةِ الأهميّةِ ينبَغي الانصِرافُ إليهِ.

يقومُ النّحلُ بالرّقصِ على هيئَةِ الرّقم ثمانيةٍ، فوقَ مُقاتِلاتٍ مُشتبِكاتٍ، تعليقاً على المعاركِ الدّائِرةِ في الأسفلِ.

نحتاجُ دعماً من فِرقٍ جديدةٍ.

تنطلقُ التّعزيزاتُ من القفيرِ.

تتشكّلُ وحَداتٌ جويّةٌ من نحلٍ فتيّ (لا يتجاوزُ مُعظَمهم أيّامهُ العِشرين أو الثّلاثين)، بيد أنّهُم غيرُ هيّابين.

خسرَتْ البيلوكانيّات خلال ساعَةِ اثنَي عشرَ وحيدَ قرنٍ من ثلاثِينَ كانُوا تحتَ تصرّفهنّ، ومائةً وعشرِينَ مِدفعيّةً من الثّلاثمائة المُنخرِطاتِ في المعرَكة.

في الطّرفِ الآخرِ، بين سبعمائة أسكُولينيّة مُرسَلة إلى الغيمَة الصّغيرةِ أربعُمائةُ مُحارِبة سقطنَ. تتردّدُ النّاجياتُ. ما الأجدَى فعلهُ، القِتالُ حتّى النّهايةِ أم العودَةُ لحِمايةِ العُشّ؟ يُرجّحنَ الخيارَ الثّاني.

حين يصِلُ الخنافسُ ومدفعيّاتهم البيلوكانيّة بِدورِهم إلى القفيرِ الذّهبيّ، على رأسِهم الرّقم 9، يظهَرُ لهم خاوياً بغرابةٍ. ترتابُ الصّهباواتُ بوجُودِ فخّ، فيتردّدنَ عند العتبَة.

113. موسُوعة

تضامُن: التّضامنُ يتولّدُ من الألمِ وليسَ من الفرَح. كلّ شخصٍ يشعُرُ بقربٍ مِمّن قاسمَهُ لحظةً مؤلمةً أكثر مِمّنْ عاشَ معهُ حدَثاً سعيداً.

البلاءُ هو مصدَرُ التّضامُنِ والاتّحاد، بينما السّعادةُ تُفرّق. لماذا؟ لأنّهُ عندما يحدثُ انتصارٌ مُشترَك، يشعُرُ كلّ واحدٍ بأنّهُ غُبنَ فيما يستحقّهُ من تقديرٍ. كلّ امرِئٍ يتخيّلُ نفسهُ صاحبَ الفضلِ الوحيدِ في نجاحٍ مُشتركٍ.

كم من الأُسَرِ تفرّقت عند لحظةِ إرث؟ كم من فِرَقِ الروك أند رول بقيتْ مُتلاحمةً... إلى لحظةِ النّجاح؟ كم من الحركاتِ السياسيّةِ تبعثرت، لمّا أصبحَتِ السّلطَةُ في يدِها؟

تأثيليّاً[41]، كلمةُ «تعاطف، sympathie» مُشتقّةٌ من sun pathein، والتي تعني «مُشاطَرةُ الألم». وفي الآن ذاته، كلمةُ «شفقة، compassion» مُشتقّة من الأصلِ اللّاتيني cum patior، والتي تعنِي هي أيضاً «مُشاطَرةُ الألم».

إذا ما تخيّلَ المرء ألَمَ المُعذّبينَ داخلَ نطاقِ جماعَتهِ المرجعيّةِ فإنّه يستَطيعُ التخلّي عن فِردانيّتِه التي لا تُحتمل.

يكمُن تلاحُم مجموعةٍ ما وقُوّتها في ذاكرةِ عذابٍ مُعاشٍ بالتّشارُكِ.

إدمون ويلز،

موسُوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلّد الثاني.

114. داخلَ القفيرِ

تترجّلُ الرّقم 9 عن جوادِها وتتشَمّمُ بقرنَيها. تهبِطُ نِمالٌ أُخرى إلى جِوارها. تُجري مُشاوِرَةً سريعَةً.

إلى تشكيلِ فِرقَةِ كُوماندوس على أرضٍ خطِرةٍ جدّاً.

يدخُلنَ قفيرَ العدوّ مُتّخذاتٍ هيئةَ مُربّعٍ مُلتحِم. داخِلَ القفير، لن يكونَ لأطيارِ وحيدِ القرنِ أيّةُ فائدةٍ، لذا يُترَكُ لهم بَعضُ قِطعٍ من اللّحاءِ يرعُونها ليتصَبّروا عند العتَبةِ.

41- التأثيل - أو الأيتيمولوجيا - علم أصول الألفاظ.

يعتَري البيلوكانيّات شعورٌ بانتهاكهنّ مكاناً مُقدّساً. لم يسبِق لأحدٍ سوى النّحلِ دخولُ هذا المكان. تبدو أسوارُ الشّمعِ كما لو أنّها ستدْبَقَ النّمالَ. يمضينَ قُدُماً مُحترِسات.

الجدرانُ المرفوعَةُ ببراعَة هندسيّة تلتَمِعُ بانعِكاساتٍ ذهبيّة. يتلألأُ العسَلُ بِضَوءِ أشعّة قليلة من النّورِ المُتسرّبِ.

تكونُ صفائِحُ العكْبِرِ مُلتحِمةً، ذاكَ الصّمغُ المائلُ للحُمرةِ الذي يجمعُهُ النّحلُ عن حراشفِ براعمِ الكستَناءِ والصّفصافِ.

لا تلمِسنَ شيئاً! بثّتِ الرّقم 9.

فاتَ الأوان. النّمالُ المُنجذباتُ إلى العسَلِ راغباتٍ بتذوّقه يغُصنَ بهِ فوراً. ويستَحيلُ في المُقابلِ على أحدٍ إخراجهنّ من هُناك دونَ أن يغوصَ بدورِهِ في ذاكَ الرّملِ المُتحرّكِ.

المُقاتلاتُ اللاّئي لا يزلنَ مُحتَفظاتٍ ببعضِ الحمضِ في مخازنِهن يسِرنَ رُجُوعاً إلى الخلفِ ليتمكنَّ من الإطلاقِ عندَ مُباغَتةِ أيّ مُهاجمٍ.

كلّ شيءٍ تفوحُ منهُ رائِحةُ السُّكّرِ والمكيدةِ.

لا تلمِسنَ شيئاً!

يشتَمِمْنَ رائحَةَ حُضُورٍ لعاملاتِ أسكُولِينيّاتٍ وجُنديّاتٍ مُتَخفّياتٍ في رُفوفِ الشّمْعِ ومُستعِدّاتٍ ما إن يصدُرَ الأمرُ للانقضاضِ عليهنّ.

تصلُ جُنديّاتُ الحَملة إلى شبَكٍ سُداسيّ الشّكلِ، يُشبِهُ قلبَ مُفاعلٍ نوَويّ. إلّا أنّهُ عِوَضاً عن قُضبانِ اليُورانيوم ثمّةَ مُواطناتٌ مُستقبَليّاتٌ للقفيرِ الذّهبيّ. يوجدُ في هذا المكانِ ثمانمُائة مقْبَسٍ مليءٍ بالبيُوضِ، وألفٌ ومائتي مقْبِسٍ تحتَوي على يرقاتٍ، وألفينِ وخمسِمائةِ مقبِسٍ

مسكُونةٍ بالحُورِيّاتِ البيضاء. ويُشكّلُ المركزُ سِتّةَ مقابِسَ أكثر أهمّيّةً. إذ تكبُرُ في هذا المكان يرقاتُ الأميراتِ ذواتِ الجنسِ.

تُثيرُ هندَسةُ المكانِ إعجابَ النّمالِ. تُشيرُ إلى حضارةٍ بلغَت ذُرْوَتَها. لا تَمتّ بصلةٍ إلى الممرّات العشوائيّة لمُدن النّملِ، المُشيّدة كيفما اتفق ووفقَ مبدأ: بأيسَرِ جُهدٍ مُمكنٍ. هل النّملُ أقلُّ ذكاءً أو أقلُّ رهافةً من النّحلِ؟ قد نعتَقدُ ذلك، نظراً إلى حجم دماغ النّحلِ، الذي يفوُقُ بكثيرٍ حجمَ نظيرِهِ عندَ النّملِ. مع أنّ الأبحاثَ البيولُوجيّةَ التي أجرَتها الملكةُ شلي-بو-ني برهَنَتْ على أنّ الذّكاءَ لا يتَوقّفُ على حجم الدّماغِ فحَسب. إذ أنّ السُّوَيقاتِ المُخيّة، والتي تمتازُ بجَعلِ الجهازِ العصَبيِّ أكثَر تعقيداً عندَ الحشَراتِ، هي الأضخَمُ عندَ النّملِ.

تتَقدّمُ البيلُوكانيّاتُ أكثر وتكتَشفُ كنزاً: قاعَةً طافحَةً بالطّعام. تحتَوي عشرةَ كيلُوغراماتٍ من العسَلِ، أيّ ما يُوازي وزنَ مُجمل ساكناتِ القفيرِ عِشرينَ ضِعفاً. تتَشاورُ الصّهباواتُ وهُنّ يُحرّكنَ قُرونَهنّ بنَزقٍ.

تبدُو المُغامرةُ في نهايةِ المطافِ مُفرِطةَ الخُطُورَةِ. يستَدِرنَ صوبَ المخرَجِ.

الحقُوا بالهاربات! فلنَضرُب أولئك المُتطفّلات ما دُمنَ مُغلَقاً عليهنّ بين جُدرانِنا، بثّت نحلةٌ.

وأخذت المقابِسُ التي على هيئَةِ أشكالٍ مُسَدّسةٍ، في كافّةِ الأرجاءِ، تقذِفُ مُقاتِلاتٍ من النّحلِ.

تأخُذُ النّمالُ بالتّساقُطِ تحتَ ضرَباتِ الإبَرِ السّامّة. اللواتي يسقُطنَ على الأرضِ مُتمرّغاتٍ، تأنَفُ المُحارِباتُ حتّى من مُنازَلتِهنَ.

ومع ذلك تنجَحُ الرّقم 9 والجُزءُ الأهَمُّ من فِرقَةِ الكُوماندوس

بالانسحابِ خارجَ القفيرِ. يمتَطينَ جِيادهُنّ وينطَلِقنَ بينما كوكَبةٌ من الأسكُولينيّات تُطارِدهنّ نافحاتٍ روائحَ الانتصارِ.

لكن، وفيما كانت المدينةُ الذّهبيّةُ تتهيّأُ في الدّاخلِ للاحتفالِ بالنّصرِ، تُسمَعُ طَقْطَقةٌ مشؤومَةٌ. سقفُ أسكُولين آخذٌ بالتّفتّتِ ونمالٌ بالمئاتِ ينبَثِقنَ في داخِلِ القفيرِ.

لقد أعدّت الرّقم 103 استراتيجيّةً رائعةً. فبينما أخذَ النّحلُ بمُطارِدَة الأسطُولِ الجَويّ النّمليّ، كانت تَتسلّقُ شجَرةً دافعَةً بآلافِ البيلُوكانيّاتِ للهُجُومِ على المدينَةِ التي فرِغَت من جُنديّاتِها الطّائرةِ.

انتَبِهوا! إيّاكُم أن تُدمّروا المكانَ. ولا تُسقِطوا سِوى الحدّ الأدنَى من الضّحايا. والأجدَى أن تأخُذوا الرّهائنَ من اليرقاتِ ذَواتِ الجِنسِ! أمرَتِ الرّقم 103، وهي تُطلِقُ صوبَ الحرَسِ الشّخصِيّ للملِكةِ زها-أيبغ-شا.

في غُضُونِ لحَظاتٍ، كانت أعناقُ اليرَقاتِ ذواتِ الجِنسِ بين مخالِبِ مُحارِباتِ الحملةِ. تستَسلِمُ المدينةُ. ويرضَخُ قفيرُ أسكُولين مُنهَزِماً.

فهِمَت الملِكَةُ ما جرى. تدخّلُ الكُوماندوس لم يكُن سوى حيلةٍ لصرفِ النّظرِ. إذ كانت النّمالُ الرّاجلةُ، في تلكَ الأثناءِ، تثقُبُ سقفَ عُشّها، فاتحةً بذلك جبهَةً ثانيةً أشَدَّ خُطُورةً من الأُولى.

على هذا النّحوِ انتصَرت النّمالُ في معرَكة «الغيمَة الرّماديّة الصّغيرة» التي وُسِمَت في المنطَقةِ بغزوِ النّمالِ الحاسمِ للبُعدِ الثّالثِ.

والآن، ماذا تُريدونَ؟ سألت الملِكةُ النّحلَةُ. *أتُرِيدونَ قتلنا جميعاً؟*

تُجيبُ الرّقم 9 بأنّهُ ليسَ هذا أبداً ما ترمِي إليه الصّهباوات. عدُوّهم الوحيدُ هو الأصابِعُ. والأصابِعُ فقط غايةُ حملتِهنّ. ليسَ لدَى نمالِ بيل-

أو-كان شيءٌ ضِدّ النّحلِ. وحاجَتُهنّ تقتَصرُ على سُمّهِ لقتلِ الأَصابِعِ.

لا بُدّ أنّ الأَصابِعَ على هذه الدّرجَةِ من الأهمّيّةِ لتستَحِقّ منكم كُلَّ هذه المشقّة، بثّت زها-أيبغ-شا.

تُطالبُ الرّقم 103 أيضاً بدَعم إضافي عبر فيلقٍ نحلٍ. الملكةُ تُوافقُ. وتقتَرِحُ وحدَةً جويّةً من قُوّاتِ النّخبَة، حرَسِ الزّهُورِ. ثلاثُمائة نحلَة تبدَأُ بالأزيزِ. عَرِفَتهُم الرّقم 103 إنّهم أولئك الجُنديّاتِ الأسكُولَينيّات اللّواتِي أحدثنَ الضّرَرَ الأكبرَ في الصُّفُوفِ البيلُوكانيّة.

تطلُبُ جُنديّاتُ الحملة من القفيرِ الذّهَبيّ السّماحَ لهُنّ في المبيتِ هذه اللّيلةَ وتزويدِهنّ بمؤُونَةِ عَسَلٍ للطَريقِ.

تسألُ ملكةُ أسكُولين:

لماذا تحمِلُونَ بهذه الضّراوَةِ على الأَصابِعِ؟

تشرَحُ الرّقم 9 بأنّ الأَصابِعَ تستَخدمُ النّار. لذا فهي خطَرٌ على جميع الأجناسِ. في الماضِي توَصّلتِ الحشَراتُ إلى اتّفاقٍ: التّحالُفُ ضِدّ مُستَخدِمي النّار. وقد آنَ أوانُ وضعِ هذا الاتّفاقِ موضِعَ التّطبيقِ.

عندَ هذه النّقطَةِ انتبهَت الرّقم 9 إلى الرّقم 23 وهي خارِجةٌ مِنْ أحدِ المقابِسِ.

أنتِ، ماذا تفعَلينَ في هذا المكانِ؟ تسألُ الرّقم 9 مُنتَصِبَةَ القرنَين.

تجوّلتُ للتوّ في المقصُورَةِ الملكيّة، لا أكثَر. تقولُ الرّقم 23 بِعدَمِ اكترَاثٍ. لا تستَسيغُ النّملتانِ بعضَهُما ويبدَأ الأمرُ يسُوءُ بينهما.

تُفرِقُهُما الرّقم 103 وتسألُ عن الرّقم 24 أينَ ذهَبت.

الرّقم 24 تاهَت في القفيرِ عندَ لحظَةِ الهُجُومِ النّهائيّ. قاتَلت،

وركضَت مُطارِدةً نحلَة و ... والآن لم تعُد تعرفُ جيّداً أين أصبَحَت. إذ أنّها غيرُ مُرتاحَة كثيراً لجميع هذه الرّفُوفِ المُتَابعة. بيدَ أنّها لا تُفلتُ شرنَقةَ الفراشَة. تتّخِذُ مسارَ سلسِلَةٍ من المقابِسِ على أملِ اللّحاقِ بباقِي الحملةِ قبلَ إشراقَةِ صباحِ اليومِ التّالي.

115. في الدفْءِ الرّطِبِ للميترو

كان جاك ميليَس يختَنِقُ وسَطَ الحشد المضغُوط داخِلَ المقصُورَة. ألقَى به مُنعَطَفٌ على بطنِ امرأةٍ. احتَجّ صَوتٌ ذو بُحّةٍ:

- ألّا يُمكنُكَ الانتِباه؟

ميّزَ بِدايةً لحنَ الكلام. ثُمّ، بعدَها تماماً، من فوقِ روائِح القذارَةِ والعرَقِ، فكّ رمزَ الرّسالَةِ الرّهيفَة لعِطرٍ. برغَموت، نجيلٌ هنديٌّ، يُوسف أفَندي، غالوكسيد، خشبُ الصّندلِ، إِضَافةً إلى لمسَةِ مِسْكِ وَعلٍ بيرِني. كان العِطرُ يقُولُ:

أنا ليتيسيا ويلز.

وبالفعلِ كانت هي، نظرَتُها الأُرجُوانيّةُ كانت تُومِضُ وهي مُصَوّبةً نحوَهُ بالتِماعٍ وحَشيٍّ.

كانت ترمُقهُ بعدائيّة حقيقيّة. فُتحَت الأبوابُ. خرجَ تسعةٌ وعُشرُونَ شخصاً، ودخلَ خمسةٌ وثلاثُونَ. أصبَحا أكثرَ تلاصُقاً من ذِي قبل، وواحِدهُما في مهَبِّ زفيرِ الآخَر.

حدّجَتهُ بِنَظرةٍ تزدادُ ضراوَةً، مثل كُوبرَا تتهيّأُ لابتِلاعِ صغيرِ نِمْسٍ حيٍّ، وهو، مفتُونٌ، عاجِزٌ عن إزاحَةِ بصَرِه عنها.

كانت بريئةً. لقد تسرّع. سبَقَ لهُما أن تبادَلا أفكاراً. وحتّى تلاطَفا. قدّمَت لهُ شراب الهيدروميل. وكان قد أسَرّ لها بِخَوفهِ من الذّئابِ وهي، أفصَحَت لهُ عن خَوفِها من الإِنسان. كم يشعُر بالحسرَةِ على تلك اللّحَظاتِ الحميمَيّةِ التي أفسَدَها. سوفَ يُبرّرُ لها تصرّفَهُ. وهي ستَغفِرُ لهُ.

– آنِسَة ويلز، أتمنّى أن أَقُولَ لكِ إلى أيّ حدٍّ أنا...

استَغلّت وقفَةَ المترو لتتسَلّلَ بين الأجسادِ وتغيب.

ولَجَت بخطَواتٍ عصَبيّةٍ داخِلَ ممرّاتِ المترو. كادَت أن تركُضَ تقريباً لكي تخرُجَ من هذا المكانِ القذِر. كانت تشعُرُ بالنّظَرات البذيئة تُحيطُ بها. ولزيادةِ الطّينِ بلّة، ها هُو المُفوّضُ ميليَس يأخذُ الخطّ ذاتَهُ!

ممرّاتٌ مُظلمة. أمعاءٌ رَطِبَة. مَتاهَةٌ مُضاءَةٌ بمصابيح نيون شاحِبة.

– آييه، أيّتها اللّعبَة! هل نتَمشّى؟

تقَدّمَت نحوَها ثلاثُ هيئاتٍ مُخيفَة. ثلاثَةٌ من الأشقياءِ يرتَدونَ سُتراتِ فينيل وأحَدُهم كان قد تحرّشَ بها منذُ بِضعَةِ أيّام. حثّت خُطاها، بيدَ أنّ الآخرين ظلّوا يُطارِدُونَها، ترِنُّ الأرضُ على وقعِ معادِنِ أحذيَتِهم.

– أراكِ وحيدةً؟ ألا نتَسامَرُ قليلاً؟

توقّفَت فَجأةً، كلِمةُ «اغرُبُوا» مكتُوبَةٌ في بُؤبُؤي عينَيها. في المرّة الماضيّة أعطَتْ هذه الكلِمَةُ أُكُلها. أمّا اليوم فليسَ لها أيُّ تأثيرٍ على أولئك الحمقَى.

– هل هاتانِ العينان الجميلتانِ لكِ؟ سألَ الطّويلُ ذُو اللّحيةِ بينَهُم.

– لا، إنّهما مُستأجَرتانِ، قال أحَدُ رِفاقِه.

انطَلقَت قَهقَهةٌ فاجِرَةٌ. مصحُوبَةً بتَربيتاتٍ على الكتِفِ. أخرَجَ ذُو اللّحيَةِ مِطواةً بقفلٍ.

فجأةً، فقدَت كُل ثِقةٍ بِنفسِها وبِما أنّها وجَدت نفسَها في موقِعِ الضَّحيّةِ، تَولّى الآخَرُونَ على الفورِ دورَ المُفتَرِسينَ. أرادَت الفِرَار غير أنّ الأشقِياءَ الثّلاثَة قطَعُوا الطّرِيقَ عليها. أمسَكَ أحَدُهم بذِراعِها ولَواهُ خلفَ ظهرِها.

أنّتْ. المارّةُ الذينَ يُصادِفُونَ مجمُوعتهم كانُوا يُعجّلونَ خطَواتِهم، خافِضي الرُّؤوس مُتَصنّعِينَ عدمَ فهمِ المشهَدِ. إذ أنّ طعنَةَ السّكّينِ تُنالُ سرِيعاً.

كانت ليتيسيا ويلز مذعُورةً. ولا أيّاً من أسلحَتِها المُعتادَة كان ناجعاً مع أولئك الهمَجِ. لا بُدّ أنّهُ كان لدى ذُو اللّحيَةِ، والأصلَعِ، وذاكَ القويِّ البُنيَةِ، هم أيضاً، أُمّاً تَحُوكُ لهُم ثِيابَ الوليدِ الزّرقاء وهي مُبتَسِمَةٌ.

أخذَت عُيُونُ المُفتَرِسين تبرُقُ فيما تواصِلُ النّاسُ مُرورَها من الجِوارِ مُتَعجّلةً حين تُصبِحُ في مُحاذاةِ ذلك التّجمّعِ الصّغيرِ.

– ماذا تُريدونَ، مالاً؟ تلَعثَمت ليتيسيا.

– مالُكِ، سنأخُذهُ لاحِقاً، الآن، أنتِ من نهتَمُّ لهُ، قهقَهَ الأصلَعُ.

سُرعانَ ما بدأ ذُو اللّحيةِ فكّ أزرارِ سُترَتِها، زِرّاً زِرّاً، بِرأسِ سِكّينِه الحادّ المُدبّب.

راحَت تتخَبّطُ.

أمرٌ لا يُعقَل. السّاعةُ كانت الرّابِعَةَ بعدَ الظّهرِ. لا بُدّ أن يُبادرَ شخصٌ، في نِهايةِ المطاف، ويُطلقَ إنذاراً!

أطلَقَ ذُو اللّحيةِ تصفيرةً وهو يكشِفُ عن ثدييها.

– صغيرانِ قليلاً، غيرَ أنّهما جميلان، ألا توافِقاني الرّأي.

– هذه هي المُشكلةُ مع الآسيَويّاتِ، لديهِنّ جميعاً أجسادُ فتَياتٍ صغيرات. لا شيءَ يملأُ راحَةَ رجُلٍ صالِح.

أخَذَت ليتيسيا تقاوِمُ الإغماء. كانت في ذُروَةِ رُهابِها من الإنسانِ. راحَت أيدي رِجالٍ -قذرةٌ- تمسّها، تلمُسها بنيّة إيذائها. لفرط ما كان خوفُها عارِماً عجِزَت حتّى عن التّقيؤ. كانت هُناك مُحاصرةً، سجينَةً، عاجِزةً عن الهرَبِ من المُنكّلينَ بها. إلى أن بالكادِ سمِعَت «تَوقّفوا، شَرِطَة».

توقّفَ السكّينُ عن عمَله.

رجُلٌ بِسلاحٍ مُصَوّبٍ يرفَعُ بِطاقَةً تقطَعُها الألوانُ الثّلاثيّةُ.

– تباً، الشُّرطَةُ! لنهرُب أيّها الشبّان. وأنتِ أيّتُها السّاقِطةُ. سنَنالُ منكِ في المرّةِ القادمةِ.

همُّوا بالفِرارِ.

– الزمُوا أمكِنَتكُم! صرَخَ الشّرطيُّ.

– ليكنْ، قال الأصلَعُ. أطلِق علينا، وسوفَ نُجَرجِرُكَ في المحاكِمِ.

أخفضَ جاك مِيليَس مُسدّسَهُ، ولاذُوا هُم بالفِرارِ.

استأنفَت ليتيسيا ويلز بِبُطءِ التّحكُّمَ بتَنفّسِها. كان الأمرُ قد انتهَى. لقد نجَت.

– أنتِ بخَيرٍ؟ هل آذُوكِ كثيراً؟

هزّت رأسَها علامَةَ نفي. أخذَت، رُويداً رُويداً، تستَعيدُ وعيَها. وطبعاً، هو، ضمّها إلى صدرِه ليُطمئنَها:

– الآن، سيكُونُ كلّ شيءٍ على ما يُرام.

وطبعاً، هي أيضاً، التَصقَت به. شعَرت بالارتياح. لم تتَخيّل يوماً أن تكونَ بهذهِ السّعادَة لمرأى المُفوّض ميليَس يظهَرُ فجأةً.

رمَقَتهُ بعَينيها الأُرجُوانيّتين حيثُ البحرُ هدأ فيهِما. وخلتا من أيّ بريقٍ لنمِرةٍ، ليسَ سِوى موجاتٍ صغِيرةٍ تُهدْهِدُها النّسائِم.

جمعَ ميليَس أزرارَ سُترتِها.

– عليّ أن أشكُركَ، أفتَرِضُ ذلك، قالت.

– ما من داعٍ لذلكَ. أُكرّرُ لكِ، أودّ فقط التحدّثَ إليكِ.

– وعن ماذا؟

– عن قضايا الكيميائيّين تلك التي تشغلُنا سَويّةً. كنت غبيّاً. أنا في حاجَةٍ لمُساعدَتكِ. أنا... كنتُ دائِماً في حاجَةٍ إلى مُساعدَتكِ.

تردّدَت. ولكن نظراً للظرفِ الذي وضِعا فيهِ، كيفَ يمكنُ ألّا تدعُوهُ إلى إبريقٍ آخرَ من الهيدروميل.

116. موسُوعة

صدامٌ بين الحضارات: أطلقَ البابا أُوربانوس الثّاني في سنة 1096 أوّلَ حَملَةٍ صَليبيّةٍ لتَحريرِ القُدس. انخرطَ فيها حُجّاجٌ يملؤهم التصمِيمُ لكن دُونَ أيّةِ خبرةٍ عسكَريّةٍ. على رأسِهم غوتييه سانز أفوار وبطرس النّاسك. تقدّمَ الصّليبيونَ صوبَ الشّرقِ دونَ حتّى أن يعرفُوا ماهي البُلدانُ التي يجتازُونَها. وبما أنّهُ لم يكن قد تبقّى لهُم طعامٌ يأكُلونَهُ، نهَبوا كُلّ ما صادَفوه على طريقِهم وعلى هذا النّحوِ تسَبّبوا بأضرارٍ في الغربِ أفدَح بكثيرٍ ممّا أحدَثوهُ في الشّرقِ.

أوصَلهم الجُوعُ إلى درَجة أكلُوا فيها من لحُوم البشَر. «مُمَثّلو الإيمان الحقيقي أولئك» تحوّلُوا بسُرعة إلى عُصبة من المُتشرّدينَ المُتَسربلينَ بأسمالِهم، مُتوحشُونَ وخطِرُونَ. ملكُ المَجرِ، رُغمَ أنّهُ مسيحيٌّ أيضاً، قرّر، مغتاظاً من الأضرارِ التي سبّبها أولئك الحُفاة، القضاءَ عليهم ليحميَ فلاحيه من اعتداءاتِهم. النّاجُونَ النّادِرُونَ الذينَ تمكّنُوا من الوصُولِ إلى الشّاطئِ التّركيّ كانت سُمعَتُهم كبرابرةٍ، أنصافِ بشَر، أنصافِ حيوانات، قد سبَقتهُم إلى درَجة أنّ المَحليّون في مدينَةِ نيقية (إزنيق حاليّاً) أجهَزُوا عليهم دُونَ أدنَى تردّدٍ.

إدمون ويلز،

موسُوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلّد الثاني.

117. في بيل–أو–كان

يهبِطُ ذبابُ الهامُوش المُراسِلُ في بيل–أو–كان. جميعهُم يحمِلُونَ الأخبارَ ذاتَها. جُنديّاتُ الحَملة انتصَرنَ على إصبَعٍ بِفَضلِ سُمّ النّحلِ. ثمّ هاجَمنَ قفيرَ أسكُولِين وانتصَرْنَ عليهِ أيضاً. لا شيء يقِفُ في وجهِهنّ.

يعُمّ الابتِهاجُ سائرَ المدِينةِ.

الملِكةُ شلي–بو–ني تشعُرُ بالسُّرُورِ. كانت دوماً على يقِين بأنّهُ يمكنُ المساسُ بالأصَابعِ. والآن، ثبُتَ لها ذلك بالبُرهانِ. تبُثّ، نحوَ جُثّةِ أُمّها، وهي في ذُروةِ الحماسِ:

بِوسعنا قَتْلُهم، بِوسْعِنا هَزيمَتُهم. ليسُوا مُتفوّقينَ علينا.

تحتَ المدينة المُحرّمة ببضعِ طبَقات، في قاعَة سريّة، أضيَقَ من مقرّهنّ السابقِ فوقَ حظيرَةِ الجِعْلان، تجتَمِعُ المُتمرّداتُ المُواليَاتُ للأصَابعِ.

إذا تمكّنت فيالقُنا بالفعلِ من قتلِ إصْبعٍ، فهَذا يعني أنّهم ليسُوا آلهةً، قالت واحدةٌ غيرُ ربُوبيّة.

إنّهم آلهتُنا، أكّدَت إحدى الرُّبُوبيّات بقُوّة. من وجهَة نظَرِها تهيّأ لجنديّات الحملة أنّهنّ يُهاجِمنَ إصْبَعاً غيرَ أنّهنّ في الواقعِ، كُنّ بمُواجهَةِ حيَوان آخر مُدوّرٍ وورديٍّ. وتُكرّرُ، بحماسَةٍ:

الأصَابعُ آلهتُنا.

غير أنّهُ للمرّةِ الأُولى، تسَلّلتِ الرّيبَةُ إلى بعضِ المُتَمرّداتِ الأكثرَ رُبُوبيّةً. فيَقترِفنَ خطأً بمُفاتحَةِ الرّسُولِ الميكانيكي بالموضُوعِ مُباشَرةً: الشّهيرُ باسمِ «دكتُور ليفينغستون».

118. الإلَهُ الحانِقُ

انفجرَ الإلَهُ نيكُولا ساخِطاً.

ما هذه النّمالُ التي تسمَحُ لنفسِها بالجِدال؟ الجاحِداتُ، الآثِماتُ، المُجدّفات! ينبَغي تلقينُ تلك المُلحِداتِ درساً!

هو يعلمُ أنّهُ إذا لم يفرِض نفسَهُ كإلهٍ مُهابٍ وانتِقاميّ، لن يطُولَ عرشهُ طويلاً. فيأخذُ لوحةَ مفاتيحِ الحاسُوبِ الذي يُترجِمُ الكلِماتَ إلى فيرُومُونات:

نحنُ آلهةٌ.

بمقدُورِنا فعلُ كُلّ شيء.

عالمُنا هو الأكثرُ رِفعَةً.

نحنُ لا نُقهر
ولا يمكنُ لأحدٍ أن يرتابَ في عرشِنا.

لستُم أمامنا سِوى يرقاتٍ لم تنضُج بعد.
لا تفقَهُونَ شيئاً عن العالمِ.

احترِمونا وأطعِمُونا.
*بإمكانِ **الأصَابعِ** كلُّ شيءٍ لأنّ **الأصَابعَ** آلِهةٌ.*
*بإمكانِ **الأصَابعِ** كلُّ شيءٍ لأنّ **الأصَابعَ** ضِخامٌ.*
*بإمكانِ **الأصَابعِ** كلُّ شيءٍ لأنّ **الأصَابعَ** ذَوو سُلطَانٍ.*

إنّها الحَقيقـ...

- ماذا تفعَلُ هنا، نِيكُولا؟

سريعاً يُطفئُ الآلَة.

- ألستِ نائِمةً يا أُمّي؟

- أيقَظني صوتُ المفاتيح. لشدّة مَا باتَ نومي خفيفاً لم أعد أميّزُ، أحياناً، إذا كنتُ نائمةً، أم إذا كنتُ أحلُم، أو إذا كنتُ أعيشُ في الواقعِ.

- أنتِ في حُلُم، أُمّي. عُودي للنَوم!

أوصَلَها بلُطفٍ إلى السّرير.

لوسي ويلز تمتَمت: «ماذا تفعَلُ بالحاسُوبِ، نِيكُولا؟»، لكنّ النّعاسَ

سرَقها مُجدّداً قبل أن تتمكّنَ من طرحِ السّؤال. حلُمَت بابنِها، وهو يستَخدِمُ «حجرَ رشيدِ» ليفهمَ على نحوٍ أفضَلَ طريقةَ سيرِ حضارةِ النّملِ.

فكّرَ نِيكُولا أنّهُ بالكادِ نجا. ينبَغي عليهِ أن يكونَ أكثرَ احتِراساً في المُستَقبلِ.

119. آراءٌ مُتَبايِنَةٌ

يمتدُّ رتلٌ طويلٌ داكنٌ بين أدغالِ المريَميّة، والمردَقُوش، الزّعتَرِ البريّ والنفْلِ الأزرَقِ. الرّقم 103 على رأسِ أوّلِ حملَةٍ على الأصَابِعِ في التّاريخِ النّمليّ، تقودُ القُوّاتِ بما أنّها الوحيدَةُ التي تعرِفُ الطّريقَ المُفضي إلى نهايةِ العالمِ، ومن ثَمّ إلى بلادِ الأصَابِعِ.

انتظِرُوني! انتظِرُوني!

سألتِ الرّقم 24 حولها، عندَ استيقاظِها، وفي النّهايةِ دلّها الذّبابُ إلى كيفيّةِ العودَةِ والالتِحاقِ بالقافلة.

تنضَمُّ إلى الرّقم 103 في المُقدّمةِ.

آملُ أنّكِ لم تفقِدي الشّرنقَةَ؟

تغتاظُ الرّقم 24. ربّما لدَيها ميولٌ بأن تبدُو بلهاءَ غيرَ أنّها تعرِفُ جيّداً أهميّةَ ما تحملُهُ. مُهِمّةُ عُطارِدِ أولويّةُ الأولويّاتِ لديها. تُهدّئها الرّقم 103 وتقتَرِحُ عليها البقاءَ دوماً إلى جانبِها. هكذا تقُلّ احتِمالاتُ ضَياعِها. تُوافقُ الرّقم 24. وتسيرُ على خطواتها.

تُنشدُ الرّقم 9 في الخَلفِ، تُرافقُها أصواتُ صريرِ مجمُوعَةٍ منْ جَداجِدِ الخُلْدِ، غِناءً حربيّاً لتحفيزِ الفِرَقِ:

الموتُ للأَصَابعِ، يا أيّتُها الجُنديّات، الموتُ للأَصَابعِ!

إذا لم تُبادِري لقتلِهم سوفَ يسحَقونَكِ.

سوفَ يُحرِقونَ عُشَّ نَملِكِ

سوفَ يقتَرِفُونَ في المُربّيات مجزرةً.

الأَصَابِعُ ليسُوا مِثلنا

هُم طِراءٌ

بلا عُيون

وهُم شُذّاذ.

الموتُ للأَصَابعِ، يا أيّتُها الجُنديّات، الموتُ للأَصَابعِ.

غداً لن ينجُو إِصْبَعٌ واحِدٌ من الموتِ الزّاحفِ إليهِ.

في الوقتِ الراهنِ، الحشَراتُ الصّغيرةُ في الجوارِ، هي بالأحرَى من يتحمّلُ أعباءَ الحَملة. إذ يستَهلكُ مجموعُ المَوكبِ في اليومِ الواحدِ أربَعةَ كيلوغرامات بالمُتوَسطِ من لحمِ الحشَرات.

دُونَ أن يُؤتى على ذكرِ الأعشاشِ المنهُوبةِ من قبلِ الصّهباوات.

أغلبُ الأوقاتِ، حين يتَناهى إلى القُرى خبرٌ عن اقترابِ الحَملة، تُبادِرُ إلى الانضمامِ إليها بدلَ الخُضوعِ لسَلبِها. ممّا أدّى إلى تضاعُفٍ مُتزايدٍ لجُنديّاتِ الحَملة.

لم يكنَّ سِوى ألفَين وثلاثمائةٍ حين غادرنَ أسكُولين. والآن أصبحنَ ألفَين وستّمائة، مُتجمّعاتٍ ضمنَ تكتّلٍ مُركّبٍ تغلُبُ عليه النّمالُ من كافّةِ الأحجامِ والألوانِ.

وحتّى الأسطُول الجَويّ أُعيدَ تشكيلهُ ثانيةً. أصبحَ مُعززاً باثْنَين وثلاثِينَ وحيدَ قرنٍ طائرٍ، والذي انضمّ إليه ثلاثُمائةُ مُحاربةٍ من فيلَقِ النّحلِ، علاوةً على عائلة من سبعينَ ذُبابة تجِيءُ وتغدُو على نحوٍ مُنفلتٍ. لذا أصبحَتِ الحَملةُ تعدُّ مُجدّداً نحوَ ثلاثَة آلافِ فرد.

عندَ مُنتصَفِ الظّهيرةِ، تأخذُ الحملةُ قِسْطاً من الرّاحةِ لأنّ الحرارةَ لا تُحتَمل.

يلتجئُ الجميعُ إلى الجُذورِ الظّليلةِ لشجَرةِ السّنديان الكبيرةِ من أجلِ قيلُولَةٍ مُرتجلة. تستَغلُّ الرّقم 103 هذه الاستِراحَة للقيامِ بتجرُبةِ تحلِيقٍ. تطلُبُ من نحلةٍ أن تُقلّها على ظهرِها.

لا تستَغرِقُ التّجربةُ وقتاً. إذ تظهَرُ النّحلةُ رَكُوبَةً سيئةً لأنّها تُصدِرُ اهتزازاتٍ كثيرةً. يستَحيلُ تسديدُ قذفةِ حمضٍ بشُرُوطٍ كهذه. ليكن. وحدَةُ النّحلِ الجَويّة ستطيرُ دونَ أدِلّاء.

في زاويةٍ مُتواريةٍ، تقومُ الرّقم 23 باجتِماعٍ دِعائيّ جديد. تنجَحُ، هذه المـرّة، بحشدِ مُستمعِينَ يفوقُ عددهمْ بكثيرٍ عددَ مُستَمِعي الاجتِماعِ السّابقِ.

الأَصَابِعُ آلهتنا!

بصَوتٍ واحدٍ يُكرّرُ الحضورُ الشّعارَ الرُّبُوبِيّ. بأن تبثّ النِمالُ سويّةً، وفي الوقتِ عينه، الفيرُومُونَ ذاتهُ يبعَثُ فيهنَّ الحماسةَ.

ولكن على هذه الحال، ما معنى هذه الحَملة؟

هذه لِيَست حملةً إنّها لقاءٌ مع أسيادِنا.

بعِيداً عن هناك كانت الرّقم 9 تقُومُ بحملةٍ من نوعٍ مُختلفٍ كليّاً.

تَروي إلى مئاتِ الجُنديّاتِ المُتحلّقاتِ حولها حِكاياتٍ فظيعَةً عن تلك الأَصابعِ، بوسعِهم خَطفُ مدِينةٍ بأكملِها ببضعِ لحظاتٍ. رعدَةُ خوفٍ تسري بين مُستَمِعيها.

إلى أبعَد قليلاً، الرّقم 103، هي لا تبثّ. بل تستَقبِلُ. وعلى نَحوٍ أدقّ، تُجمّعُ كلّ ما قالتهُ لها الأصنافُ الغريبةُ عن الأصَابعِ لكي تُكملَ فيرُومُونِها الخاصّ بعلمِ الحيوان.

نقلت لها ذُبابةٌ بأنّها طُورِدتْ من قِبلِ عشرةِ أصَابِعَ أرادُوا سحقَها.

ونقلت نحلةٌ بأنّها ألفتْ نفسَها مسجُونةً في كأسٍ شفّافٍ، بينما الأصَابعُ كانت تُغيظُها في الخارجِ.

يُؤكّدُ خُنْفسُ يُونيو أنّهُ اصطدمَ بحيوانٍورديّ وطريّ. رُبّما كان ذلك إصْبَعاً.

وادعَى جُذْجُدٌ بأنّهُ أُغلِقَ عليه داخلَ قفَصٍ، وأُطعِمَ خسّاً ومن ثمّ أُطلِقَ سراحهُ. لا بدّ أن سجّانيهِ كانوا أصَابعَ بما أنّ كُراتاً ورديّةً هي من جلبَ لهُ الطّعام.

تُؤكّدُ نِمالٌ حُمر بأنّها حقنَتْ بِسُمّها كُتلةً ورديّةً ممّا دفعها للفِرارِ على الفورِ.

تدوّنُ الرّقم 103 بعنايةٍ كافّةَ تفاصيلِ هذه المُشاهدات في فيرومُونِها عن علمِ الحيوان الخاصّ بالأصَابعِ.

ثمّ تعودُ درجةُ الحرارةِ إلى مُعدّلٍ يمكنُ تحمّلهُ فتستأنِفُ النّمالُ طريقها.

الحَملةُ تسيرُ قُدُماً، دُوماً إلى الأمام.

120. مُخَطّطُ مَعركة

كانت ليتيسيا مُتعَجّلةً لغَسلِ جسدها من قاذُوراتِ المترو. اقترحَتْ على مِيليَس مُشاهدةَ التّلفزيون ريثَما تُنْهي حمّامها.

جلسَ بارتِياحٍ على الأريكةِ وأشعَلَ الجهازَ بينما كانت ليتيسيا تعودُ سمكةً في الماء.

كانت حابِسةً نَفَسها تُحاوِرُ أفكارها. إذا كان لديها أسبابٌ وجيهَةٌ لكراهيةِ مِيليَس، فإنَّ لديها ما يعادلُ تلك الأسبابِ لتكونَ مُمتنّةً فقد تدخّلَ في الوقتِ المناسبِ. عادَ العدّادُ إلى الصّفرِ.

كان مِيليَس في الصّالون يتابعُ بِرنامجهُ المُفضّل، ترتَسِمُ على وجههِ ابتسامةُ طفلٍ سعيد إزاءَ لُعبَتهِ المُفضّلة.

– إذاً، سيّدة راميريز، هل عثرتِ على الحلّ؟

– أوه... أربَعةُ مُثلّثاتٍ مع ستّة أعوادِ ثقاب، يمكنُني تخيّلُ ذلك، ولكن سِتّةُ مُثلّثاتٍ مع ستّةِ أعوادٍ لا يمكنُني تصوّرهُ أبداً.

– عليكِ أنْ تَستعدي. فقد كان بإمكانِ «فَخّ للتفكير» أن يُطالبكِ أيضاً بتَشييدِ برج إيفل من ثماني وسبعين ألفَ عُود ثقابٍ... (تعلُو ضحكاتٌ وتصفيقات.) ...غير أنّ برنامجنا يقتَصِرُ طَلَبُهُ على تشكيلِ سِتّة مُثلّثات صغيرة بستّةِ أعوادِ ثِقابٍ صغيرة.

– سآخذُ جُوكراً.

– حسناً. لُمساعدتك، سنمنَحُكِ جُملةً أُخرى: «إنّهُ يُشْبهُ قَطرةَ حِبْرٍ تَسْقطُ في كأسِ ماء.»

ظهَرت ليتيسيا مُجدّداً، ترتدي مِئزرَها المُعتاد، مُعمّمةً بالمِنشَفةِ فوقَ رأسِها. أطفأ مِيليَس التّلفزيون.

– إنّي حريصَة على أن أشكُركَ لتدخُلِكَ. أرأيتَ مِيليَس كان لديّ الحقّ. الإنسانُ مُفترِسنا الأكبَر. خوفي هو الأكثرُ منطِقيّة.

– لا داعِ للمُبالغةِ. لا يتَعدّى الأمرُ أكثر من مجمُوعةِ أوغادٍ لا أهميّةَ لهم.

– بالنّسبة لي، سَواء أكانُوا مُتَبطّلينَ أم قاتلينَ، فذلكَ لن يُغيّر في الأمر شيئاً. الرّجالُ أسوأ من الذّئابِ إذ لا يمكنُهم السّيطرةُ على نزواتِهم البدائيّة.

لم يُجِب جاك مِيليَس ونهضَ ليتأمّل حوضَ النّملِ الذي وضعَتهُ الشّابّةُ، ظاهِراً الآن بوضُوحٍ، وسطَ صالُونِها.

وضعَ إصْبَعاً على الزّجاجِ غير أنّ النّملَ لم يكتَرِثْ. بالنّسبةِ لهنّ لم يكن ذلك سِوى ظِلّ.

– هل استعدنَ حيويّتهن؟ سألَ.

– أجل. «تدخُلكَ» أبادَ تسعَةَ أعشَارِهنّ لكنّ المِلكة بقيت على قيدِ الحياة. أنقَذتها العامِلاتُ اللواتي أحطنَها لامتِصاصِ الصّدمَةِ وحِمايتِها.

– حقاً لديهم تصرّفاتٌ غريبةٌ. ليست بشريّةً، لا، غير أنّها... غريبة.

– على أيّةِ حالٍ، لو لم تحدُث جريمَةُ قتلِ كيميائيّ جديدَةٍ، لكنتُ لا أزالُ أتعفّنُ الآن في سُجونِكَ ولكانَ جميعُهنّ قد متنَ.

– لا، كانَ سيُطلقُ سراحُكِ على أيّة حال. فقد أثبتَ تقريرُ الطبِّ الشرعيّ بأنّ نمالكِ ليست مسؤولةً عن جراحِ الإخوةِ سالتا والبقيّة. فُكوكها قصِيرةٌ جداً. لقد تسرّعتُ وتحامقتُ لمرّة جديدَة.

ذهَبت، بعدَ أن جَفّ شعرُها، وارتدَت فُستاناً أبيضَ من الحريرِ، مُرَصّعاً بحجَرِ اليَشْب.

قالت وهي عائِدةٌ تحملُ إبريقاً من الهيدروميل:

- الآن بعدَ أن أطلَقَ قاضِي التّحقيقِ سراحي، يسهلُ عليكَ القولُ إنّك اعترفتَ ببراءتِي مُسبقاً.

احتجّ:

- ولكن، كان لديّ قَرائِنُ جدّية. لا يمكنُكِ نُكرانُ الوقائِع. النّمالُ هاجمَتني في سَريري بالفعلِ. وقد قتلت قِطّتي ماري شارلوت بالفعلِ. رأيتُهنّ بأمّ عينيّ. لم تكن «نمالُكِ» التي قتلت الإخوة سالتا، كارولين نوغار، مكسيميليان مكاريوس، آل أودرجين وميغيل سينيرياز، لكن مع ذلك كانت «نمال». أكرّرُ لكِ ليتيسيا، أنا دوماً كنتُ في حاجَة لمُساعدتك. دعينا نتَقاسَمُ أفكارنا. (بدا عليه الإصرارُ) شغَفُك بهذا اللّغزِ يُعادِلُ شغَفي. فلنعمَلْ سويّةً بعيداً عن الأجهزةِ القضائيّة. لا أعرفُ من هو عازِفُ مزمارِ هامْلين هذا إلّا أنّهُ عبقريّ. ينبَغي علينا التّصدّي لهُ. بمفرَدي، لن أقدِر على ذلك، ولكن معكِ ومع معرِفتكِ بالنّملِ والبشَر...

أشعَلتْ سيجارةً طويلةً في آخرِ المَبْسَمِ. وفيما هيَ تفكّرُ أخذَ هوَ يُواصِلُ مُرافعَتهُ:

- ليتيسيا، أنا لستُ بطلَ روايَة بُوليسيّة، إنّي رجُلٌ عاديّ. لذا من الوارِدِ أن أُخطِئ، وأن أُنهي قضيّةً باستهتارٍ، وأسجُنَ أبرياء. أعرِفُ أنّ ذلك خطأ جسِيمٌ. أشعُرُ بالنّدَمِ وأودُّ أن أُحسّنَ من نفسِي.

نفخَتْ في وجههِ دائِرةَ دُخانٍ. لشدّةِ ما كان آسِفاً على خطئه بدأت تراهُ مُؤثّراً.

- حسَنٌ جِدّاً. أقبَلُ العمَلَ معكَ. ولكن لديّ شرطٌ.

- الشّرطُ الذي تُريدين.

- حينَ نعثُرُ على الجُناةِ، سَتَترُكُ لِي حصريّةَ كشفِ التّحقيقِ.

- لا مُشكلة.

مدّ لها يدَهُ.

تردّدتْ قبلَ أن تُصافِحَها:

- سُرعانَ ما أُسامِحُ دوماً. لا بدّ أنّني أرتَكِبُ الآنَ أكبرَ حماقَةٍ في حياتي.

ثمّ، بدآ العملَ مُباشرةً. قدّمَ لها جاك مِيلِيَس كافّةَ وثائقِ الملَفِ: صُورُ الجُثَثِ، وتقارِيرُ التّشريحِ، مِلفٌ يحمِلُ مُوجَزاً عن حياةِ الضّحايا، الصّورُ الشّعاعيّةُ للجُروحِ الدّاخليّةِ، ومُلاحَظاتٌ عن مجمُوعاتِ الذّبابِ.

لم تُعطهِ ليتيسيا شيئاً ممّا جمَعتهُ لكنّها اعتَرفَتْ لهُ بأنّ جميعَ الخُطوطِ تلتَقي عندَ مفهُومِ «النّملِ». النّملُ كان السّلاحَ والدّافِعَ. ولكن يبقَى اكتِشافُ الأهمّ: من يتَلاعَبُ بهِ وكيف.

فحَصا قائمةَ الحركاتِ البيئيّةِ الإرهابيّةِ وأصدقاء الحيوانِ المُتَعصّبينَ، الذين يريدُونَ تحريرَ الحيوانات من الحدائِقِ، وكافّة الطّيورِ والحشَراتِ من الأقفاصِ. هزّتْ ليتيسيا برأسها.

- أتعرِفُ مِيلِيَس، حتّى لو بدا كلّ شيءٍ يتّهِمُ النّملَ، لا أعتقِدُ أنّه قادرٌ على قتلِ صانِعي المُبيداتِ.

- ولماذا؟

- إنّهنّ أذكى من أن يقُمنَ بذلك. مُمارسةُ قانُونِ الانتِقامِ، فِكرةٌ

بشَريّةٌ. الثّأرُ فِكرةٌ بشريّةٌ. نحنُ نُسقِطُ الآن مشاعِرنا على النّملِ. لماذا يُهاجِمنَ البشَر فيما يكفيهنّ انتِظارُ أن يُدمّرَ بعضَهم بعضاً، بأيديهم!

استَغرقَ جاك ميليَس للحظَة بالاستِنتاجِ.

– سَواءٌ أكانَ النّملُ، أم عازِفُ مزمارٍ أو إنسانٌ يتَظاهرُ بأنّهُ نَملةٌ، فَإنّ الأمرَ يستَحِقُّ البحثَ عن المُجرمِ أو المُجرِمين، أليسَ كذلك؟ على الأقلّ لتبرِئةِ صديقاتِكِ الصّغيرات.

– حسناً.

تأمّلا جميعَ قِطَعِ «البازل»، المُتناثرةِ على طاولَةِ الصّالونِ الكبيرة. كانا على يقينٍ أنّ لديهِما ما يكفي من العناصِرِ لتَبيانِ المنْطِق الذي يربِطُ القِطَعَ ببعضِها.

قفَزت ليتيسيا فجأةً.

– دَعنا لا نهدرُ وقتنا. كلّ ما نريدُهُ، في الواقِعِ، هوَ اكتشافُ القاتِلِ. للحُصُولِ على ذلك، أتَتني فِكرةٌ. فِكرةٌ بسيطَةٌ. أصغِ إليَّ جيّداً!

121. موسُوعة

صِدامٌ بين الحضارات: تولّى جودفري دو بويون قيادةَ حملة صليبّية أُخرى لتحريرِ القُدسِ والقَبرِ المُقدّس. هذه المَرّةَ، أربعةُ آلافِ وخمسُمائةَ فارسٍ مُتمرّسٍ يُشرِفُونَ على نحوِ مائةِ ألفِ حاجّ. كانَ مُعظَمُهم من فتيانِ صغارِ الطَّبقَةِ النّبيلَة، محرُومينَ من الإقطاعيّات بسبب حقّ الابنِ البكرِ. كانَ أُولئكَ النّبلاءُ المحرُومُونَ من الإرث، يأملون تحتَ ذريعَةِ الدّين، الاستيلاءَ على قصُورٍ غريبةٍ وحيازَةِ أراضٍ في نِهايَةِ المطاف.

وهذا ما فعَلوه. كلّما استولَوا على قصرٍ، كان يُقيمُ فيهِ فُرسانٌ، عازفِينَ

عن الحملَة. وكانت تنشُبُ بينهم، في مُعظَم الأوقات، صراعاتٌ على أراضي مدينةٍ مهزُومَة. الأمير بوهيمون دو تارانتو، مثلاً، قرّرَ وضعَ يدهِ على إنطاكيّة لمصلَحته الشّخصيّة. اضطرّ الصّليبيّونَ إلى مُحاربةِ بعضٍ منهُم لإجبارِهم على البقاءِ في الحملَة. المُفارَقةُ هي: أنّنا رأينا نُبلاءَ غربيّينَ، لكي يصِلُوا إلى أهدافِهم على نحوٍ أفضَل، يُقيمُونَ تحالُفاتٍ مع أُمراءَ شرقيّينَ ليهزِمُوا رِفاقَهم في السّلاح. وهؤلاء في المُقابِل لم يتردّدُوا بأن ينضمُّوا بدورِهم إلى أُمراءَ آخرين للتّصدّي لهم. وأتى وقتٌ لم يُعد يُعرَفُ فيه من يُقاتِلُ مع من ولا ضِدّ من ولا لماذا. حتّى أنّ الكثيرَ قد نسِي الهَدفَ الأصليّ للحملةِ الصّليبيّة.

إدمون ويلز،

موسُوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلّد الثاني.

122. في الجبال

ترتَسِمُ في البعيدِ أشكالٌ داكنةٌ لتِلالٍ تعقُبها جبال. النّمالُ المحلّيّةُ الرّماديّة أطلَقَت اسمَ «جبَلِ الرّخَاخ» على رأسِ الجَبلِ الأوّلِ، بسببِ الخُثّ[42] الجافِ الذي يتجعّدُ عليهِ. لا يصعُبُ كثيراً تجاوزُهُ.

لاجتيازهِ اكتشفَت جُنديّاتُ الحملةِ ممرّاً ضيّقاً إلّا أنّهُ عَميق. تتَوالى جُدرانٌ شاهِقَةٌ من الحجَرِ الأبيضِ والرّماديّ والبُنّيّ الفاتِح، مُظهِرةً طبَقاتِ تاريخها. وفي الصّخرِ الغابِرِ كانت قد طُبِعَت آثارٌ لمُستَحاثّاتٍ لها هيئاتٌ حلَزُونيّةٌ أو قرنيّة.

42- هو غُثاءُ السيل أو الطُّحلَب إذا قَدم عهدهُ وجفّ.

تأتي الأخاديدُ العميقةُ بعدَ المضائقِ. كُلّ صدعٍ بالنّسبَةِ لجُنديّاتِ النّملِ هو وادٍ قاتلٍ غيرُ محُبّذِ الانزلاقُ فيه.

البُرودَةُ مشقّةٌ داخلَ هذا المَمرّ، ممّا يحُثُّ القافلةَ على التعجّلِ في الخُروجِ منهُ. يُبادرُ بعضٌ من النّحلِ المُحسنِ إلى تقديمِ شيءٍ من العسَلِ للنمالِ اللّائي يَشكينَ البردَ ليستَعدنَ تمالُكَ قواهُنّ.

يُخالِجُ القلَق الرّقم 103. فهي لا تتذكّرُ بأنّها تسَلّقت يوماً سلسلَةَ الجِبالِ هذه. أوه! ربّما انحَرفوا كثيراً باتّجاه الشّمال، بيدَ أنّهُ يكفي الاتّجاهُ صوبَ الشّمسِ المُشرِقَة حتّى يصِلُوا إلى نهايَةِ العالمِ. أجل، ليس أمامهم سِوى استِئنافُ المُضيّ قُدُماً.

ليسَ لدى الصّخرةِ الجَرْداءِ ما تُقدّمهُ لهم من طعامٍ سِوى سلَطةِ أُشُنٍ صفراءَ. يغلُبُ عليها الحَزازُ المِرطابْ. والذي يُدعى بهذا الاسمِ نظراً لكبسولاتِ أبْواغهِ التي تتلوّى حينَ يصبِحُ الهواءُ رطباً.

أخيراً يظهَرُ وادي شجَرِ البرغَموت. الوظيفَةُ تخلُقُ العُضوَ، تحسّنَت القُدُراتُ البصَريّةُ لدى مُحاربات الحملة، لكثرةِ ما سِرْنَ في الهواءِ الطّلْق. بتْنَ أكثرَ تحمّلاً للضوءِ، لم يعُدنَ يقصدنَ المناطِقَ الظّليلَةَ وبوسْعِهنّ تمييزُ مناظرَ طبيعيّةٍ تبعُدُ مسافَةً لا تقِلّ عن ثلاثينَ خطوَةً من أوجُهِهنّ العينيّة.

لكنّ هذا لم يمنَعِ المُستَطلعاتِ من الوقُوعِ في شرَكِ الخنافسِ النّمريّة. تحفرُ تلك الخنافسُ الصّغيرةُ دَماميسَ[43] تعلُوها فُتحَةٌ مُموّهَةٌ. وأوّلُ ما تلتَقِطُ اهتِزازاً تظهَرُ بغتَةً مُختَطِفَةً المُتنزّهاتِ بفمِها.

تصطَدِمُ القافِلةُ بحاجزٍ من نباتِ القُرّاصِ. الأمرُ بالنّسبَةِ للنمالِ

43- جمع دِيماس وهو كلّ مكان عميق تحت الأرض.

كما لو أنّ جداراً من الأسلاكِ الشّائكةِ الضّخمَةِ ارتفعَ أمامَهنّ وبدأت أرجُلُهنّ تتعَثّرُ فيهِ مُباشرة.

يقتَحمنَهُ دُونَ أضرارٍ جِسام. العقبَةُ الحقيقيةُ على مسافَة أبعَد: ثمّةَ صَدْعٌ، يتلُوهُ شلّالٌ. لا يعرِفنَ كيف سيجتَزنَ هاويةً وسوراً مائيّاً في الوقتِ عينِه. تحاوِلُ بِضعُ نحلاتٍ فتهوي في الشّلّالِ.

كلّ ما يطيرُ يجتَذبُهُ الماءُ إلى الأسفلِ، قالتِ الذّباباتُ.

فما حالُ هذا السّتارِ المائيّ الغاضبِ والمُضْقِعِ.

تتقدّمُ الرّقم 24، وهي لا تزالُ حاملةً شرنقَتها. ربّما لديها حلٌّ تقترحُهُ. في أحدِ الأيّام كانت تائهةً في الغاباتِ الغربيّة – لا يُعقَلُ كم يمكنُ للمرءِ أن يكتَشفَ أشياءَ مُفيدةً حين يكونُ تائهاً يبحَثُ عن دَرْبه–، رأت أرَضَةً تجتازُ مجرَىً مائيّاً صغيراً يسيلُ عن صخرةٍ بواسطَةِ قطعَةِ خشَب. أدخَلَت الأرَضَةُ طرفَ الخشَبِ الأماميّ في الشّلّالِ، ثمّ نخَرتهُ من الدّاخل.

تُسارِعُ النّمالُ للبَحثِ عن غُصْنٍ غليظ أو ما يُشبِهُهُ. فيَعثُرنَ على قصَبَةٍ ثخينَة. أي ما سيُشكّلُ نفقاً مُتحَرّكاً رائعاً. يرفَعْنَ القصَبَةَ بأرجُلِهنّ إلى الأعلى ثمّ يُميّلنَها حتّى تثقُبَ جِدارَ الشّلّال. بالطّبعِ تغرَقُ عاملاتٌ كثيراتٌ أثناءَ هذه العمَليّة، ولكنّ النّبتَةَ المائيّةَ تتقدّمُ بِعنادٍ دُونَ أن تجِدَ أمامَها مُقاوَمةً تُذكر.

تَتطَوّعُ جَداجِدُ الخُلد بحفرِ اللبّ لتَتَحصّلَ على أُسطوانَةٍ لا يتسرّبُ الماءُ إليها والتي ستَسمَحُ لمُحارِباتِ الحملةِ باجتيازِ الوادي والحاجزِ المائِيّ.

يصعُبُ هذا الاختبارُ على وحيدي القرنِ الذينَ تُحشَرُ أجنِحَتُهم المُغمّدَةُ قليلاً ولكِن من كثرةِ ما دُفِعُوا عبَروا هُمْ أيضاً.

123. الخميسُ القادمُ

مُقتبسٌ من صحيفةِ *إيكو دو ديمانش*.

العُنوان: ضيفٌ ذُو شأنٍ.

«البروفيسُور تاكاغومي من جامعَةِ يُوكوهاما، سيُقدّمُ يومَ الخميسِ القادمِ مُبيدَهُ الحشَريّ الجديدُ في قاعَةِ المُؤتَمَرات في فُندُقِ بو ريفاج. العالِمُ اليابانيُّ أعلنَ أنّهُ اكتشَفَ كيف يُوقِفُ زحفَ النّملِ بواسطَةِ مادّةٍ سُمّيةٍ مُركّبة جديدة. وسيتَكلّمُ البروفيسُور تاكاغومي هو شخصيّاً عن أبحاثِه. وإلى ذلك اليَوم، سيَقضِي مُدّةَ استراحَةٍ في فُندُقِ بو ريفاج مُجرياً نِقاشاتٍ مع زُملائِهِ الفرنسيّين.»

124. المغارَةُ

بعدَ النّفقِ، كهفٌ. إلّا أنّ جُنديّاتِ الحَملةِ لم يصلنَ إلى طريقٍ مسدُودٍ، فالمغارةُ تمتدُّ برِواقٍ طويلٍ صخرِيٍّ يجرِي الهواءُ فيه بِشكلٍ طَبيعيّ.

الحملةُ تَسيرُ قُدُماً، دوماً إلى الأمام.

تلتفُّ حولَ كُتلٍ كلسيّةٍ ضخمَةٍ، صواعدُ كُهوف. اللواتي يَسِرنَ على السّقفِ يعبُرنَ فوقَ النّوازِل. أحيانًا، تلتَقي الصّواعدُ بالنّوازِلِ وتندَمِجُ معاً مُشكّلةً أعمِدةً طويلةً. عندَئذٍ يصعُبُ التّمييزُ بين الأعلى والأسفَلِ!

تعُجُّ حيَوانات محليّةٌ داخلَ الكهفِ. ثمّةَ مُستَحاثاتٌ حيّة حقيقيّة. مُعظَمُها عمياءُ ومفتقدةٌ للصبْغيّات. تلوذُ بعضُ قملات الخَشَبِ البيضاءِ بالفِرار، كثيراتُ الأرجُلِ تُجَرجِرُ نفْسَها، وتأخُذُ كهدليات[44] بالقفزِ

44- قافزات الذيل، واسمها الشائع (برغوث القطن)، تعيش في التربة الرطبة، ومنها تنتقِلُ بين المزروعات وتقرض أجزاءها الغضّة.

بعَصَبيّةٍ. حيَواناتُ القريدس الشفّافَةُ بقُرُونٍ أطوَلَ من الجسَدِ، تسبَحُ في البِرَكِ.

تُلاحظُ الرّقم 103 داخلَ تجويفِ مجمُوعَةً من البقّ النّتِنِ الكهفي تمارِسُ طُقوسَ عربَدَتها المُعتادةِ بأعضائِها الجنسِيّةِ التي تنتَهي برأسٍ ثاقبٍ. تقتلُ البيلوكانيّةُ العديدَ منها.

تتَذوّقُ إحدَى النّمالِ بقّةً مطهُوّةً بحمضِ الرّقم 103 فتقولُ بأنّ هذا اللّحم ألذُّ ساخِناً ومحرُوقاً عنه بارِداً ونيّئاً.

حسناً، قالت في سرّها، يمكِنُ طهيُ اللّحمِ في وعاءٍ من الحمضِ.

هكذا تحصلُ عادةً اكتِشافاتُ طُعُومِ الوَجَبات. مُصادَفَةً.

125. موسُوعة

القَوارِتُ (أكلَةُ اللّحُومِ والنّباتات): لا يمكِنُ أن يكونَ أسيادُ الأرضِ إلّا قوارتَ. المقدرَةُ على التهامِ كافّةِ أنواعِ الطّعامِ هي شرطٌ حاسِمٌ لتمدّدِ الجنسِ في الفَضاءِ والزّمانِ. لتثبيتِ السّيادَةِ على كوكَبِ الأرضِ، ينبَغي القُدرَةُ على ابتِلاعِ كلّ أنواعِ الغذاءِ الذي يُنتجُهُ.

حيوانٌ يعتَمدُ على مصدَرٍ وحيدٍ من الغذاءِ يرَى وجودَهُ مُهدّداً باختِفائه. كم اختفَت أصْنافُ طيورٍ لأنها ببساطةٍ كانت تعتَمدُ على نوعٍ واحدٍ من الحشَراتِ في غذائِها وقد هاجَرت هذه الحشَراتُ دُونَ أن تتمكنَ تلكَ الأصْنافُ من اللّحاقِ بها؟ الشّقْبانِياتُ التي كانت تتغذّى على أوراقِ الكينا فقط، هي أيضاً، غيرُ قادرةٍ على السّفَرِ ولا أن تبقَى على قيدِ الحياةِ في مناطِقَ أُزيلَت أشجارُها.

الإنسانُ، كما النّملةُ، كما الصّرصارُ، كما الخِنزيرُ والجُرذ، فهِمَ ذلك.

هذه الأجناسُ الخَمسة تتذوّق، تأكُلُ وتهضمُ جميعَ الأغذيَة تقريباً، وحتّى فضَلات الأغذيِة. لذا يمكنُ لهذه الأجناسِ الخَمسة أن تطمَحَ بالاستحواذ على لقَبِ الحَيوان سيّدُ العالَم. نُقطَةٌ أُخرى مُشتركَةٌ: تُغيّرُ الأصنافُ الخَمسة هذه وعاءَ طعامِها باستمرارٍ لتتكيّفَ بأجدَى السُّبلِ مع مُحيط بيئتِها. لذا، هي جميعاً مُضطَرّةٌ لخَوضِ اختبِاراتٍ قبلَ التِهامِ الأطعِمَةِ الجديدَة لتجنُّبِ الأوبئَةِ وحالاتِ التّسَمّمِ.

إدمون ويلز،

موسُوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلّد الثاني.

126. الطُّعمُ

حينَ نُشرَ إعلانُ *إيكو دو ديمانش*، كان جاك مِيليَس وليتيسيا ويلز قد حجزا مُسَبقاً غُرفَةً في فُندُقِ بو رِيفَاج باسم البروفيسُور تاكاغومي. وسمحَت لهما بَعضُ الإكراميّاتِ المُوزّعَة بحَذاقَة أن يرفَعا فيها جِدارَ خِداعٍ بصَريّ وأن يضَعا أجهِزةَ تحكّمٍ مُتَطوّرةٍ جدّاً.

وضَعا حولَ الغُرفَةِ كاميرات فيديو مُزوّدَةٍ بحَسّاسٍ يُديرُها عندَ أدقّ حرَكَةٍ في الهواء. ووضَعا، أخيراً، في السّريرِ تمثالَ (مانِكان) بملامِحَ يابانيّة. ثمّ جلسا مُترقّبين.

– أُراهنُكِ بأنّ النّمالَ من سيأتي! قال المُفوّضُ مِيليَس.

– قَبِلتُ الرّهان. إنّي أُراهِنُكَ أنّهُ سيَكونُ إنساناً.

لم يبقَ أمامَهما سِوى الانتِظار لمعرِفةِ أيّة سمَكَةٍ ستأتي لتَعُضّ الطُّعمَ.

127. طلعَةٌ استطلاعيّةٌ

نُورٌ ضئيلٌ يومِضُ أمامَهنّ في البعيدِ.

يصبِحُ الهَواءُ أدفأَ. جُنديّاتُ الحملةِ يُسرّعنَ خطَواتِهنَّ. يُغادِرنَ الـبُرودةَ الدّاكِنةَ للمغارةِ، في موكِبٍ طويلٍ، ليتّخِذنَ كورنيشاً مُشمِساً.

هنا وهناك، يعاسيبٌ تُرفرِفُ في الضّوءِ. وما أن تُذكر اليعاسيبُ حتّى نقُولَ بوجُودِ نهرٍ. لم تَعُدِ الحَملةُ بعيدَةً عن هدَفِها، هذا مُؤكّد.

تختارُ الرّقم 103 وحيدَ القرنِ الأجمَلَ الذي يُدعَى «القرن الكبير» وذلكَ لأنَّ زائدَتَهُ الأنفيّةُ هي الأطوَلُ. تتشَبّثُ مخالبُها في كِتيتِنه وتطلُبُ منهُ التّحليقَ في جولَةٍ استكشافيّةٍ. تتبَعُها اثنتا عشَرةَ فارِسةً مدفَعيّةً ليحرُسنَها فيما لو حصَلت مُصادَفةٌ سيّئةٌ مع طائرٍ ما.

يعدُونَ سويّةً مُمتَطياتِ الرّيحَ وينحدِرْنَ صوبَ النّهرِ، المُتلألِئ بقطعٍ برّاقةٍ منَ الضّوءِ.

يتزَحلقنَ خَلَلَ الطّبقاتِ الهوائيّةِ.

بتَزامُنٍ تامّ، تُثَبّتُ الحشَراتُ الطّائِرةُ الاثنتا عشرةَ أطرافَ أجنِحَتِها في محوَرٍ مُتَخيّلٍ وينْعَطِفنَ نحو اليسارِ.

لفَرط سُرعَةِ العمليّةِ تجِدُ الرّقم 103 نفسَها مُلتصِقَةً برَكُوبَتِها بفعلِ القوّةِ النّابِذةِ.

نقاءُ الهواءِ يُسكرُها.

في السّماواتِ اللّازورديّةِ هذهِ، كلّ شيءٍ يبدُو شديدَ الوضُوحِ، الصّفاء. انتَهى ذلكَ الهُجومُ من الرّوائِحِ المُختلفةِ التي تُجبرُ الحشَراتَ

على البقاءِ في حالَةِ احتراسٍ دائم. لم يَبقَ سوى الرّائحة الشفّافَة لهواءٍ شفّافٍ. تُبطِئُ الجِعْلانُ الاثنا عشرَ خفقَان أجنِحَتِها. سابحةً في الصّمتِ.

يُرى في الأسفَلِ عرْضٌ منَ الأشكالِ والألوانِ.

ينخَفِضُ السّربُ إلى مُوازاةِ الأرضِ. تنثالُ المَراكِبُ الحربيّةُ الفخمةُ بين أشجارِ الصّفصافِ البابليّ والنّغت[45].

الرّقم 103 مُرتاحَةٌ على «القرن الكبير». لكثرةِ ما احتَكّت بجعْلانِ وحيدِ القرنِ تعلّمَتْ تمييزَهُم. رَكُوبَتها لا تمتازُ بالقَرنِ الأطوَلِ والأحدِّ بين نُظرائِها فحَسب، وإنّما أيضاً بعَضَلاتِ الأرجُلِ الأقوى والأجنحَة الأطولِ. لدى «القرن الكبير» ميزةٌ إضَافيّةٌ: هو الوحيدُ الذي تساءَلَ كيفَ يمكنُهُ أن يطيرَ ويسمَحَ للمدفعيّاتِ بأن تُسدّدَ طلَقاتِها على أفضَلِ نحوٍ. يعرِفُ أيضاً كيفَ يستَديرُ وينسَحِبُ في الوقتِ المناسبِ حينَ يكونُ مُطارَداً من قِبَلِ مُفترِسٍ طائرٍ.

تسألهُ الرّقم 103، بعطورٍ بسيطَةٍ، عن تقييمِ الجِعْلانيات لهذه الحملة. يجيبُ «القرن الكبير» بأنّ المُرورَ في المَغارةِ كانَ غايةً في المَشقّةِ. يصعُبُ الإغلاقُ على الخُنفسِ في ممرّ داكنٍ. الخَنافسُ الضّخمةُ تحتاجُ للمدَى. خلا ذلكَ تناهى إلى سَمْعه مُصادَفةً، كما آخرينَ من نُظَرائه، أحاديثٌ حولَ «آلهة». هل الآلِهةُ هي تسميةٌ أُخرَى للأصابِعِ؟

تملّصَتْ الرّقم 103 من الإجابة. لا ينبغي أن ينتَشرَ «مرضُ الحالاتِ النّفسيّة» بين الأصْنافِ المُرتَزقة. وإلّا فإنّ جِدالاً حامياً سيتّسِعُ وعندئذٍ ستنتَهي الحملةُ حتّى قبلَ أن تصِلَ إلى نهايَةِ العالَمِ.

45- النغت أو جار الماء: جنس شجري من رتبة البلوطيّات ثنائيات الفلقة، نبات مُزهِر.

يشيرُ «القرن الكبير» إلى منطَقة خُثّ. جعْلان الجنوبِ تحبُّ أن تندسَّ في الخُثّ. بعضُهم مُدهشُون حقّاً فلكلٍّ من تلك الخَنافس خصُوصِيتهُ ولا صنْفَ منها يُشبِهُ الآخر. يُمكِنُ لأولئكَ الجَنُوبيّينَ أن يكونُوا مُفيدينَ للحَملة. لماذا لا نجنّدُ منهُم؟ الرّقم 103 توافِقُ. كلّ عَونٍ مُرحّبٌ بِهِ.

يرتَفِعُون.

تعبَقُ حولَ النّهرِ عطورُ نباتاتِ الشُّوكران، وآذانُ الفأرِ العَقرَبيّ وإكليليَّة المُرُوج. تمرّ تحتَهُم سجّادةٌ من زنابقِ الماءِ البيضاء والورديّة والصّفراء، مثل قُصاصَاتٍ مُلوّنةٍ منثُورةٍ بفوضَى.

يحُومُ السّربُ حولَ النّهر. بين الضفّتينِ ثمّةَ جزيرةٌ صغيرةٌ تتوسّطها شجرَةٌ عاليَةٌ. تَنزلِقُ الفَارِساتُ بمُحاذاةِ تموّجاتِ النّهرِ التي أخذَتْ أرجُلُ وحيدي القرنِ تخُطّها.

لكنّ الرّقم 103 لم تعثُر بعدُ على سَاتيي، المرفَأ المَشهُور والذي هو في الواقعِ ممرٌّ تحت أرضِيّ يسمَحُ بعبورِهنّ النّهرَ من تحتِه. لا بُدّ أنّ جُنديّاتِ الحَملَةِ قد حَادَتْ عن الطّريقِ المرسُومِ، بدَرَجةٍ كبيرةٍ. ممّا سيُجبرُهُنّ على المَسير لوقتٍ طويلٍ.

تعُودُ المُستَطلعَاتُ الطّائِرةُ وتعلِنُ أنّ كلّ شيءٍ على ما يُرام، وينبغي المُتابعةُ قُدُماً إلى الأمام.

كما سيلٌ من الضّبابِ، يهبِطُ الجيشُ الجُرفَ، النّمالُ بمُساعَدةِ وسائد الأقدام –مُخفّفة الصدَمات المُثبّتة لأرجُلهنّ، وحيدو القرن برفرَفةِ أجنحتَها، النّحلُ نَكْسَاً والذّبابُ على نحوٍ فوضَويّ مُحدثينَ جلبَةً.

يمتَدُّ شاطئٌ في الأسفَلِ من الرّملِ النّاعمِ بلونٍ بُنيّ رماديّ، وكُثبانٍ فاتِحَةٍ تتوزّعُ عليها بعضُ الأعشابِ التي يَغلُبُ عليها القصَبُ الرّمليّ

(نجيلياتٌ صغيرَةٌ) ودَفرةِ الرمال (أبوَاغُ الفطرِ). أطعِمَةٌ غذائيّةٌ مُفيدةٌ للنمالِ!

تقولُ الرّقم 103 إنّهُ للالتحاقِ بمَرفأ سَاتيي ينبَغي عليهم المسيرُ على طُولِ الضّفّةِ باتّجاهِ الجنوبِ. يتَحرّكُ الموكبُ.

ينضَمّ «القرنُ الكبيرُ» إلى وحيدي القرنِ الآخرينَ بعيداً عن مُعظَمِ الفرَقِ. إذ أنّ لديهم مهمّةً يقومُونَ بها، أكّدوا، وسيلتَحِقُونَ بالآخَرِين حينَ يفرَغُونَ منها.

وهُم يتَقدّمونَ تكتشِفُ مُستَطلِعاتٌ تكتّلاتٍ بيضَاء، تعبَقُ برائحَةِ الحَلزُونِ اللّذيذَةِ. مَللنَ القصَبَ الرّمليّ وتَبدو هذه البُيوضُ شهيّةً. تحذّرُهُنّ الرّقم 9. قبلَ أكلِ أيّ شيءٍ، يجبُ التأكّدُ أولاً إذا كان الطّعامُ غيرَ سامّ. تُصغِي لها بعضُهنّ، إلّا أنّ أُخرَياتٍ أخذنَ يلتهِمنَ بنهَمٍ.

أيُّ خطأٍ هذا! لم تكن بُيوضاً تلك وإنّما بُصاقُ حلزُونٍ. وعلاوةً على ذلك، كان بُصاقاً مُلوّثاً بمتقَبيّاتِ الكبدِ!

128. موسُوعة

زومبي[46]: بلا شكّ تُعدّ دورَةُ حياة المتقَبّية الكبديّة الكبيرة (Fasciola hepatica) أحدَ الألغازِ الكبيرة للطبيعَة. يستَحقّ هذا الحَيوانُ روايةً. فكما تدلُّ تسميتُهُ، هوَ طُفيليّ يتَرعرَعُ في كبدِ الخِرفَان. تتغذّى متقبيّةُ الكبدِ من الدّم

46- المُتعارف بأنّه جثّة لا روح لها تنهض وتسير منوّمة بفعل السحر الأسود، ويعتقد بأنّ جذوره تعود إلى أصل ديني أفريقي.

والخَلايا الكبديّة، تكبُرُ ثمّ تضَعُ بُيوضَها. لكنّ هذه البُيوض لا يُمكنها أن تُفقّسَ في كبدِ الخرُوف. وبالتّالي ستكونُ بانتظارِها رِحلَة طويلة.

تُغادرُ البُيوضُ جسَدَ المُضيف خارجَةً عبرَ روثه. تُلفي نفسَها في عالَم الخارِج، البارِدِ والجافّ. وبعدَ فترة نُضج تُفقّسُ، وتخرُجُ من البيضَة يرَقَة ضئيلَةً جدّاً. والتي بدورِها ستؤكل من قبل مُضيف جديد: الحلزُون.

في جسَدِ الحَلَزون تتضاعفُ يرَقةُ متقَبِّيَة الكبدِ قبلَ أن تُقذفَ مع نُخامة الرخويّ في بُصاقه عند موسم الأمطارِ.

لكنّها لم تجتز بَعدُ سوى نصْفِ الطّريق.

تلكَ النُّخامَة التي على هيئة عناقيدِ من اللّؤلؤ الأبيَض تجتذبُ النّملَ على الدّوام. تلجُ متقبّياتُ الكبدِ بواسطة «حصان طروادة» هذا داخلَ الجسَد الحشَريّ. لا تمكُثُ طويلاً في المَعدة الاجتماعيّة لدى النّمال. تخرجُ منها عبرَ ثقبِها بآلاف الثّقوب، تحيلُها إلى مصفاة ثمّ تعيدُ سدّ الثّقوب بصَمغ يَقسو ممّا يسمَحُ للنَملة أن تواصِلَ حياتَها بعدَ الحادثَة. لا ينبغي قتلُ النّملة، إذ لا غنَى عنها في العَودة للقاءِ الخرُوف. وفيما تدُورُ متقَبياتُ الكبد داخل جسَدِ النّملة، لا شيءَ في الخارِجِ يَشي بالدّراما الدّاخليّة.

عندَ هذه النّقطَة، تكونُ اليرقاتُ قد أصبَحت راشِدات وعليها العودَةُ إلى كبدِ خرُوفٍ لتُكملَ دورَةَ نُموّها.

لكن ما الذي يلزَمُ فعلُهُ لكي يأكُلَ خرُوفٌ نملة، وهوَ ليسَ آكِلَ حشَرات؟

توجّبَ على أجيالٍ من متقبّيات الكبد أن تتساءلَ هذا السّؤال. وما يزيدُ الطّينَ بلّة أنّ الخرَاف ترعَى عَوالي العُشبِ في ساعات البُرودَة فيما يُغادرُ النّملُ عُشّهُ في السّاعاتِ الحارّة ليتجوّلَ بين الظّلالِ البارِدَة فقط لجُذورِ تلك الأعشابِ.

كيفَ يمكنُ جمعُهما في مكانٍ واحدٍ وفي الوقتِ ذاته؟

وَجَدَتْ المثقَبيّاتُ الحَلّ بتَبعثُرِها داخِلَ جسَدِ النّملة؛ فتستَقرّ نحو عشرة منها في الصّدرِ، ونحو عشرةٍ في الأرجُلِ، ومَا يُقارِبُ عشرَةً في البطنِ وواحِدَةً فقط في الدّماغِ.

في اللّحظَة التي تنغرزُ فيها تلكَ اليَرقَةُ الوَحيدةُ في دماغها، يتغيّرُ سُلوكُ النّملة... أيْ نَعَم! المثقَبيَّة، تلك الـدّودَةُ الصّغيرةُ البدائيّةُ ذاتُ الشّبه بالمُتَناعلَة[47] والقريبَةُ بالتّالي من الكائنات أُحاديّة الخَليّة التي هي الأكثرُ سذاجَة، ستَقودُ من الآن فصاعداً النّملةَ المُفرطَةَ التّعقيد.

النّتيجَةُ: في المساء، وبينما تَغُطّ جميعُ العاملات في النّوم، تترُكُ النّمالُ المُصابَةُ بالمثقَبيّات مدينَتَها. وتمضي مُسرنَمَةً لتتسلّقَ نواصيَ الأعشاب. وليَست أيّةَ أعشابٍ! بلْ تلك التي تُفضّلُها الخِرافُ: أعشابُ البرسيم، وكيسُ الرّاعي.

في حَالةٍ من الشلَلِ، تنتظرُ النّمالُ هُناكَ أن تُرعَى.

هذا هوَ عملُ مثقبيّة الدّماغ: حَثُّ المُضيف كلّ مساء أن يخرُجَ إلى أن يأكُلَهُ خرُوفٌ. إذ أنّهُ عندَ الصّباحِ، أوّل ما ترتفعُ الحرارةُ، إذا لم تكن النّملةُ مُبتلَعَةً من قبلِ ضأن، تستَعيدُ التحكّمَ بدماغها وبإرادَتها الحُرّة. وتتساءلُ عمّا تفعلهُ هناكَ في أعلى العُشبَة. فتنزلُ سريعاً للانضمام إلى عُشّها والاهتمام بوظائفها المُعتادة، حتّى المساء القادم حيثُ ستخرُجُ، مثل الزّومبي الذي صارتْه، بصُحبَة جميعِ رفيقاتها المُصابات بالمثقَبيّات لانتظارِ أن تُرعَى.

هذه الـدّورةُ تطرَحُ الكثيرَ من المشاكلِ على عُلماءِ الأحياء. السّؤالُ

47- هي مجموعة من الكائنات الأوليّة وحيدة الخليّة يتراوح طولها بين 50-350 ميكرو ميتر.

الأوّلُ: كيفَ يمكنُ للمِثقبيّةِ المُتحصّنةِ في الدّماغِ أن ترى في الخارجِ وتأمرَ النّملةَ بأن تذهبَ إلى هذهِ العُشبةِ أو تلكَ؟ السّؤالُ الثّاني: المثقبيّةُ التي تقودُ دماغَ النّملةِ ستموتُ، هي وهي وحدَها فقط، عندَ لحظةِ ابتلاعِ الخَروفِ لها. فلماذا تُضحّي بنفسِها بهذهِ الطّريقةِ؟ كلّ شيءٍ يحدثُ كما لو أنّ المثقبيّات قد قبلت بأنّ تموتَ واحدةٌ منها، والأفضلُ بينها، لتصلَ الأخريَاتُ جميعاً إلى الهدَفِ مُغلقاتٍ بذلكَ دورةَ الإخصابِ.

إدمون ويلز،

موسُوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلّد الثاني.

129. عرَقٌ حارٌّ

لم يأتِ أحَدٌ في اليومِ الأوّلِ ليَعتَدي على البروفيسُور تاكاغومي.

احتاطَ جاك ميلِيَس وليتيسيا ويلز بمؤونَةِ مُعلّباتٍ من أطعمَةٍ مطهُوّةٍ وأغذيةٍ مُجفّفة. استَقرّا كما لو في حالةِ حصارٍ. ولتَزجيةِ الوقتِ قرّرا أن يلعَبا الشّطرنجَ. كانت ليتيسيا أكثرَ بَراعَةً في هذه اللّعبَةِ من مِيليَس الذي كان يرتَكبُ العديدَ من الأخطاءِ الجسيمة.

اضطَرَّ، مُغتاظاً من تفوّقِ شريكَته، أن يُضاعفَ تركيزهُ. وضَعَ أحجارهُ على شكلٍ دفاعيّ، بحيثُ تَصدُّ صُفوفُ بيادقه أيَّ مُبادَرةِ هُجوم من الخصم. تحوّلتِ اللّعبَةُ سريعاً إلى معرَكةِ خنادق، بما يُشبه معرَكةَ فِردان. الفيلَةُ والأحصنَةُ والوزيرُ والقلاعُ، جميعاً أحجَموا عن القيامِ بهجَماتٍ صاعِقَة، فكلّ واحدٍ كان يُبطِلُ فاعليّةَ الآخرِ.

– أنتَ خوّافٌ، حتّى بالشّطرَنجِ! ألقَت ليتيسيا.

- خوّافٌ، أنا؟ شعَرَ مِيليَس بالإهانَة. أوّلُ ما أُخلي مكاناً تدفَعينَ خُطوطي إلى الوراء، كيفَ بوسعِي اللّعبُ بطريقَةٍ مُختَلفة؟

تجمّدت بغتةً رافعةً إصبعاً على فَمِها، أمَرتهُ بالصّمت. كانت قد لاحَظَت ما يشبهُ صَوتاً خفيضاً في مكانٍ ما داخِلَ غُرفَةِ فُندُقِ بو ريفاج.

تأكّدا على شاشاتِ المُراقبَة. لا شيء. مع أنّ ليتيسيا ويلز كانت مُتيقّنَةً أنّ المُجرِمَ هُناك. أكّدَ كاشِفُ الحرَكة ببدئه بالإيماض.

- المُجرِمُ هُنا، همَسَتْ.

والعُيونُ مُعلّقَةٌ إلى شاشَةِ المُراقَبة، صرَخَ المُفوّضُ:

- بلى. أراهُ. إنّها نملةٌ بمُفرَدِها. تتسلّقُ السّريرَ!

ارتمَت ليتيسيا على قميصِ مِيليَس تفكُّ أزرارَهُ بسُرعَةٍ، أخرَجَت منديلاً وطَبّعتهُ عدّةَ مرّاتٍ بإبطَي الشّرطِي.

- ما الذي حصَلَ لكِ؟

- دعنِي أتصرّفْ. أظنُّ أنّي فَهِمتُ كيفَ تعمَلُ القاتلة.

دفَعت جِدارَ الخِداعِ البصَريّ وقبلَ أن تصِلَ النّملةُ إلى أعلى غطاءِ السّريرِ، حَفّتِ «المانكان» بالمِنديلِ المُتَطبّعِ بعَرَقِ جاك مِيليَس. ثمّ عادَت بسُرعَةٍ للاختِباءِ قربه.

- ولكن...، بدَأ.

- أصمُتْ وراقِبْ.

النّملةُ، على السّريرِ، كانت تقتَرِبُ منَ «المانكان». قصّت قطعَةً مُربّعةً مُتَناهيةَ الصّغَر من بيجامَةِ البروفيسُور المُزيّف تاكاغومي. اختفَت فيما بَعد، كما دخَلت، في الحمّامِ.

– لم أفهَم، قال ميليَس. لم تعتَدِ هذهِ النّملةُ على رَجُلِنا. اكتَفت بأخذِ مِزقَةِ قماشٍ ضئيلَة.

– أتتْ من أجلِ الرّائحةِ، من أجلِ الرّائحةِ فقط، حضرةَ المُفوّضِ.

وبما أنّهُ بدا أنّها استَلَمت قيادَةَ العملياتِ، سألَ:

– والآن، ماذا نفعَلُ؟

– ننتَظِرُ. القاتِلُ سيأتي. الآن أنا على يقينٍ من ذلك.

بقي مِيليَس في حَيرةٍ من أمرِه.

رمَقَتهُ بتلكَ النّظرةِ الأُرجُوانيّةِ التي كانت تُبهِرُهُ، وشرَحَتْ:

– هذهِ النّملةُ الوَحيدةُ ذكّرتني بقصّةٍ رواها لي أبي. في أفريقيا، كانَ قد عاشَ بين أفرادِ قبيلَةِ البَاوليه. وهذا الشّعبُ كانَ قَد وجَدَ طريقَةً عجيبَةً للقتلِ. فعندَما يريدُ شخصٌ أن يقتُلَ دونَ أن يُفتَضَحَ أمرُهُ، كانَ يأخذُ خِرقَةَ ثيابٍ مُطبّعةٍ بعَرقِ ضحيّتِه القادمة. وكان يضَعُها لاحِقاً في كيسٍ وقد احتَجَز فيه أفعَى سامّةً. وفيما بَعد يُعَلّقُ الكيس بما يحويهِ فوقَ قِدرِ ماءٍ يغلي. كانَ الألَمُ يُهيّجُ الأفعَى التي كانت تَقرُنُ ذلكَ الاضطِهاد برائِحَةِ القماشَة. بعدَ ذلكَ لم يكن يلزَمهُ أكثرَ من أن يُفلتَ الأفعَى في القريةِ. وأوّلُ ما كانت الأفعَى تَشتمّ رائِحَةً شبيهَةً برائِحَةِ مِزقَةِ اللّباسِ كانت تَلدغُ.

– أتظُنّينَ إذاً أنّ رائِحَةَ الضّحيّةِ هي التي تُوجّهُ مُجرِمَنا؟

– تماماً. وبعدَ كلّ شيء، تستَقي النّمالُ جميعَ معلُوماتِها من الرّوائِح.

ابتَهجَ مِيليَس:

– آه! أخيراً تعتَرفينَ بأنّ النّمالَ هي التي تقتلُ!

هدّأته.

- إلى هذه اللّحظَةِ، لم تقتل أحَداً. الجُنحَةُ الوَحيدَةُ الموجُودةُ بيجامَةٌ مُمزّقَةٌ قليلاً.

فكّرَ ثمّ انفَجَر:

- ولكنّكِ أعطَيتِ رائحَتي لِمزقَةِ الثيابِ هذه! أنا من سيَسعُونَ الآنَ إلى قَتلهِ!

- خوّافٌ على الدّوام، حضرةَ المُفوّضِ... يكفي أن تغسِلَ إبطَيكَ جيّداً وأن ترُشَّ مُزيلَ رائِحَةٍ. لكن قبلَ ذلكَ سنُمرّ غُ بغزارةٍ بروفيسُورنا تاكاغومي من عرقِكَ.

لم يكن مِيليَس مُطمَئِناً أبداً. أدخلَ عِلكَةً بين أسنانِهِ المَصرُورَةِ.

- لكن سبقَ لهُم أن هاجَموني!

- ... وأنتَ نجَوتَ منهُم، على ما أعتَقِدُ. لحُسنِ الحظّ أنّي احتَطتُ لكلّ شيء، أحضَرتُ الجِهاز الأكثرَ مقدِرَةً على جَعلِكَ مُستَرخياً.

أخرَجت من حقيبَةِ يدِها تلفزيوناً صغيراً محمُولاً.

130. معرَكةُ الكُثبانِ

طويلٌ هو المَسيرُ عبر صحرَاءَ منَ الكُثبانِ.

تتثاقلُ الخَطواتُ على نحوٍ مُتزايدٍ.

تكسُو طبَقةٌ رقيقةٌ من الرّملِ الأجسادَ المُدرّعَةَ، تُجفِّفُ الشّفاهَ وتجعَلُ المفاصِلَ الكيتينيّةَ تَصرّ.

الغُبارُ يُغطّي الدّرُوعَ التي ما عادَت تلمعُ.

تمضي الحَملةُ قُدُماً، دوماً إلى الأمام.

لم يعُد لدى النّحلِ عسَلُ الطّاقَة لكي يمنَحهُ.

المِعَدُ الاجتماعيّةُ خاويَةٌ. وسائدُ الأقدامِ تُطقطِقُ مع كلّ خُطوةٍ مثل أكياسٍ صغيرةٍ من جصّ سهل التفتّتِ.

نالَ الإنهاكُ من جُنديّات الحَملةِ وها هوَ تهديدٌ جديدٌ يظهَرُ لهنّ. تعلُو في الأفقِ غمامَةُ غُبارٍ، آخذةً بالتوسّعِ والاقترابِ. يصعُبُ داخلَ هذه الهالَةِ تمييزُ الفيالقِ العدُوّة.

على مسافَة ثلاثَة آلاف خُطوةٍ يُميّزنَ المشهدَ على نحوٍ أوضَح. جيشُ أَرَضَةِ مَن يتَقدَّم. إنّهنّ جُنديّاتُ الأرَضَة، اللائي يُعرَفنَ من رؤوسهنّ التي لَها هيئَةُ إجّاصَةٍ، يبدأنَ بقَذفِ الصّمغِ حيثُ تعلَقُ بهِ الصّفُوفُ الأولى من النّمالِ.

تُطلقُ البُطونُ النّمليّةُ رشقاتِها من الحَمضِ الحارقِ. إلّا أنّ خيّالةَ الأَرَضَة تتفرّقُ قبلَ إطلاقِ النّمالِ المُتأخّرِ، وسُرعانَ ما يطفُو الحَشدُ العدوّ عليهنّ مُختَرِقاً مركزَ الدّفاعِ النّمليّ الأوّلَ.

تصطَدِمُ الفُكُوكُ.

تعلُو أصواتُ ارتِطامِ الدّرُوعِ.

لا يتَسنّى الوقتُ لفرقَة الخيّالة الخفيفَةِ النّمليّةِ بأن تتَحرّك فتُلفي نفسَها مُحاصَرةً من قبَلِ فِرَقِ الأَرَضَة.

نارا! أوعَزَت الرّقم 103. ولكنّ الخطّ الثّاني من المدفَعيّة الثّقيلة المُسَلّحة بالحَمضِ المُركّزِ بنسبَة 60 % لا يجرُؤ أن يُطلقَ على هذا الخليطِ من مُقاتلات النّمالِ والأَرَضَات. يُعصى الأمرُ. وتأخذُ الفرَقُ ترتَجِلُ حسبَما تراهُ مُناسِباً. يحاوِلُ جناحا جيشِ الحملةِ التّحرّرَ

للالتفافِ على جيشِ الأَرَضَةِ وضَربهِ منَ الخَلفِ. إلّا أنّهُما يُبادِران إلى ذلك ببطءٍ شديدٍ.

صمْغُ الأَرَضَةِ يُسقِطُ النّحلاتِ التي تحاوِلُ التّحليقَ. فتُبادِرُ للاختِباءِ في الرّملِ كما الذّباب، كما الرّقم 24 وشرنَقتها.

الرّقم 103 في كلّ المَطَارِحِ، مُشجّعةً المُشاةَ بأن يَتَجَمّعوا على هيئَةِ مُربّعاتٍ مُتراصّةٍ. هي مُتعبَةٌ. *إنّي أشيخ*، قالت في سرّها لمّا أطلقَتِ وأخطأتِ الهدَفَ.

في جميعِ الأرجاء تَتَراجَعُ جُنديّاتُ الحَملة. ما الذي حصَلَ للباهِرِين أصحابِ النّصرِ على **الأصَابعِ**؟ ما الذي حصَلَ مع فاتِحي مدِينة النّحلِ الذّهبيّة؟

تَتراكمُ النّمالُ الميّتةُ. ما عُدْنَ أكثرَ من ألفٍ ومِئتَين، يُفكّرْنَ أنّهُ عمّا قريب سيَكونُ لهُنّ المَصيرُ المُرعِبُ ذاتهُ.

هل اقتَربَت نِهايتُهنّ؟

لا، لأنّ الرّقم 103 ترَى غمامَةً ثانيةً في البَعيد. إنّهُم أصدقاءٌ، هذه المرّة. عادَ «القرن الكبير» ساحِباً في أعقابِهِ أكثرَ الجيُوشِ الطّائرةِ تَرْويعاً.

يعبُرونَ فوقَ المَحاجِرِ العَينيّةِ مُحدثِينَ جَلبةً، الجميعُ ينظُرُ إليهم بإحساسٍ مُختَلط بين الإعجابِ والرّعبِ. إنّهم أبالسَةٌ حقيقيّونَ خارجُونَ من رؤيا فناء العالَمِ القوطيّةِ. ينقَضّونَ، خَلّابين، لامِعِينَ، مُصَلْصِلةً مفاصِلهُم المُبرنَقة.

ثمّةَ خنافسُ مينتور التايفوس، نبتون، يونيو وخنافِسُ الأيلِ الضّخمَةِ بقُرونِها التي تتّخذُ هيئَةَ مَلاقط.

باقةٌ من أكثَرِ أصنافِ الخنافِسِ إدهاشاً لبّتْ نِداءَ «القرن الكبير».

وحُوشٌ مُذهلةٌ، مُدجّجَةٌ بالسّهام، بالرّماح، بالقُرون، بالسّنان، بالصّفائحِ المُدرّعَة، بالمَخالب. أجنحَتُها المُغمّدةُ مُلوّنة مثلَ التّرُوسِ، لدى البعضِ منها وجُوهٌ فاغرةٌ ورديّةٌ وسوداء مرسُومة على الظّهرِ، ولدى البعضِ الآخرِ رُسومٌ أكثرُ تجرِيداً، بُقعٌ حمراء، بُرتُقاليّة، خضراء، أو زرقاءُ مُشعّةٌ.

لن يُفلِحَ أيُّ حدّادٍ بصناعَةِ دُروعٍ مُماثِلَة.

تمنَحُهم الخُوَذُ هيئاتِ أُمراءَ شُجعانٍ، خارِجينَ من العُصورِ الوسطَى في الحِكايات.

تحتَ قيادَةِ «القرن الكبير» يقومُ نحو عشرِينَ خنفساً بحَركَة التفافية؛ ينتَظِمُونَ في نَسَقٍ ثمّ ينقَضُّونَ على تجَمّعاتِ جُنديّاتِ الأَرَضَاتِ الأكثَرِ اكتِظاظاً.

لم يحصَل للرقَم 103 أن رأتْ يوماً مشهَداً مُروّعاً إلى هذا الحدّ.

صفوفُ الأَرَضَاتِ في حالَةِ وجُوم. فصَمغُهم غدا بلا نَفْعٍ مع هذا الجيشِ. القذائفُ السّائلةُ تزلَقُ على الدُّرُوعِ الضّخمَةِ المطرُوقَةِ وتعاوِدُ السّقوطَ عليهم.

تبدأ الأَرَضَاتُ بالتّراجُعِ.

يهبِطُ «القرن الكبير» بجانبِ الرّقم 103.

اصْعَدِي!

إقلاع.

تمُرُّ أرضُ المعرَكةِ تحتَ أرْجُلِ ركُوبَتِها مثلَ بساطٍ مُتحرّكٍ آخذٍ بالفَورانِ.

تستَلِمُ الرّقم 103 قيادَةَ الجَيشِ وتبدَأُ بمُطارَدَةِ فُلولِ الهاربين. تُسدّدُ قذائِفَ الحَمضِ من مركبِها الطّائرِ مُحققةً -في كلِّ مرّة- إصاباتٍ دقيقةٍ.

نار! صرَخَت بأقصى قُوّةِ قرنَيها. نار!
النّمالُ راكِضَةً ترشُقُ الحَمضَ.

131. فيرُومُون استراتِيجيّةٍ عسكَريّةٍ

فيرومُون الذّاكِرة رقَم 61
الموضوع: استراتيجيّة عسكريّة
*تاريخُ سيلانِ اللّعابِ: اليوم **44** منْ سَنة **100000667***

أيُّ استراتيجيّة عسكريّة تطمَحُ بدايةً بأن تُفقدَ العَدوّ توازنَهُ.
تلقائيّاً، يحَثُّ هذا الأَخيرُ أن يُعَوّضَ باستِخدامِ قوّتِهِ في الاتّجاهِ المُعاكسِ للهُجوم.
في هذه اللّحظَة، وبدلَ أن تُوقِفَهُ، ينبغي على العكسِ أن تُرافقَهُ إلى أن يُؤخذَ بعيداً من قبلِ قُوّته.
خلال لحظَة قصيرة جدّاً، يكونُ الخَصمُ مُفرِطَ الهَشاشَة على نحوٍ غير عادي. إنّها اللّحظَةُ المناسبةُ للقضاء عليه. إذا عبَرت هذه اللّحظَةُ، و لم يُحسَن استغلالُها، سيُعادُ كلّ شيءٍ منَ البدايَةِ وعندَئذ سيُبدِي العدوُّ احتِراساً أكبَر هذه المرّة.

132. حَرْبٌ

نار!
موجاتُ أخيلَةٍ سوداءُ تعدُو بين وابلِ الرّصاصِ.
يتَصاعَدُ الدّخانُ من جُثثِ المهزُومينَ. يُسارِعُ الجنودُ لدَفنِ أنفُسِهم

داخلَ الرّملِ مُتَفادينَ تمـزّقَ أجسادهم. زُمرٌ منهم تتَوارى داخلَ الكُثبان.

يرتَفعُ دَويُّ انفجارات القَنابلِ، وأزيزُ رَشَقات الرّصاصِ. وتشتَعِلُ آبارُ نفطٍ، في البعيدِ، ناشِرةً دُخاناً أسودَ يحجِبُ أشعّةَ الشّمسِ.

- أطفِئ هذا. يكفي!

- ألا تُحبين الأخبارَ؟ سألَ ميليَس وهوَ يُخفضُ صوتَ التّلفزيون الذي كانت تتَوالى عليه وقائعُ أخبارِ السّاعة الدّوليّة.

- مع مُرورِ الوَقتِ، يصبِحُ الغَباءُ الإنسانيُّ مُضجِراً، قالت ليتيسيا. ألَمْ يحدث شيء إلى الآن؟

- لم يحدُث شيء إلى الآن.

لفّت الشابّةُ نفسَها بغطاء.

- على هذه الحال، سأنامُ قليلاً. أيقظني حضرةَ المُفوّضِ إذا ما حدثَ شيء.

- دعيني أهزّكِ على الفورِ. أحدُ كاشِفي الحرَكةِ تفعّلَ للتوّ.

تفحّصا الشّاشات.

- ثمّةَ حرَكةٌ في الغُرفَة.

أشعَلا أجهزةَ رقابَة الفيديو، واحِداً تِلوَ الآخرِ، لكنّهما لم يريا شيئاً.

- «هُنَّ» هُنا، أعلَنَ ميليَس.

- «هو» هُنا، صحّحَت ليتيسيا. توجدُ إشارةٌ واحِدةٌ على الشّاشةِ فقط.

فتحَ ميليَس زُجاجَةَ مياه معدنيّة. ومرّرَ للمرّة الثّانية كمّادةً مُبلّلةً تحتَ إبطَيه تحسّباً من أيّ طارِئ، ولتجنّبِ أيّة مُجازَفةِ رشّ نفسَهُ بالعِطرِ ثانيةً.

– ألا تَزالُ رائحَةُ العرَقِ تفوحُ منّي؟

– تفوحُ منكَ رائحةُ «بي بي كادوم»[48].

لم يكونا يريانِ شيئاً غيرَ أنّهما يسمَعانِ الآن خربَشَةً على الأرضِ.

أشعلَ جاك مِيليَس أجهِزةَ التّسجيلِ التي كانت منثورةً في أرجاءِ الغُرفةِ.

– «هنّ» يقترِبن من السّريرِ.

أمامَ الكاميرا الموضُوعَةِ بمُحاذاةِ السّجادَةِ، ظهرَ خَطمُ فأرَةٍ شعثاء تبحَثُ عن الطّعام.

انفَجرا ضاحكين.

– النّمالُ في النّهايةِ ليست الحيَواناتُ الوحيدَةُ التي تَعيشُ بين البشَرِ، قالت فجأةً! هذه المرّةُ سأنامُ حقّاً ولا تُوقِظني إذا لم يكُن لدَيكَ شيءٌ أكثرُ جِديّة تُريني إيّاه.

133. الموسُوعة

طاقّة: ثمّةَ طريقَتان للتصرّفِ حينَ نصعدُ العوانيّة لها شكلُ الرّقم ثمانية في مدينَة الملاهي. أولاً: الجلوسُ في العَربة الصّغيرة نهايَةَ الخطّ وإغلاقُ العينَين. في هذه الحَالة، يشعُرُ من يهوى الأحاسيسَ القويّة بخوفٍ هائلٍ. يخضَعُ إلى السّرعَة ويتَضاعفُ رعبُه في كلّ مرّةٍ يشقُّ جفنَيه.

يكمُنُ التصَرّفُ الثّاني في اختيارِ عَربةِ الصّفّ الأوّل، وبأن تجحَظَ عينيكَ مُتخيّلاً نفسكَ تطيرُ في سُرعةٍ آخِذَةٍ بالازدياد. هُنا ينتابُ الهاوي شعورُ

48- Bébé Cadum: ماركة شامبو وصابون أطفال فرنسي.

الانتشاء بالقُوّة. كذلكَ إذا تصدُرُ مُوسيقى هارد روك من مُكبّرٍ في وقتٍ لا تتوقّعُهُ، تبدُو مُتطبَعَةً بالعُنفِ ومُصمّمَةً. تجِدُ صُعوبةً في الخُضوعِ لها. مع أنّه، إذا رغبتَ، يمكُنكَ ألّا تخضَعَ لها وإنّما تستَخدِمُ تلكَ الطّاقةَ لكي تمتَصّها على نحوٍ أفضَل. عندَئذ يكونُ المُستَمِعُ كما لو أنّهُ تناولَ مُنشّطاتٍ وفي أقصى ذُروَةِ انتشائه بذاكَ العُنفِ المُوسيقيّ.

كلُّ ما ينبَعِثُ منهُ طاقةٌ خطِرٌ حينَ نخضَعُ إليهِ ويُثرِي حين نوجّهُهُ نحوَ منفَعَتنا.

إدمون ويلز،

موسُوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلّد الثاني.

134. عِبادَةُ الأمواتِ

تجتَمِعُ الرُّبُوبيّات الاثنتا عشرةَ المُتبقّيةُ في آخرِ مخبأ مُرتجَلٍ لهُنّ قُربَ حُفرِ السّمادِ، داخلَ بيل-أو-كان.

يتأمّلنَ موتاهُنّ.

الملِكةُ شلي-بو-ني مصرّة أكثر من أيّ وقتٍ مضى على قتلِ جميعِ المُتمرّدات. يُقبَضُ عليهنّ واحدةً تلو الأُخرَى وهنّ يحاولنَ إطعامَ الأصَابِعِ. اختفَت غيرُ الرُّبُوبيّات جميعاً ولم يعُد يُمثّلُ الحرَكةَ التّمرّديّةَ سِوى ثلّةُ الرُّبُوبيّاتِ هذه والتي نجَتْ بأعجوبَةٍ من الطّوفانِ والاضطِهادات.

لم يعُدْ يُصغي لهنّ أحدٌ. لَمْ يعُدْ يلتَحِقُ بهنّ أحدٌ. بِتْنَ منبوذاتٍ ويعرِفنَ بأنّهُ أوّلُ ما سيَعثرُ الحرّاسُ على وكرِهنّ، ستَكونُ نِهايتُهنّ.

يلمِسنَ بأطرافِ قُرونِهنّ جُثثَ ثلاثِ رفيقاتٍ قديماتٍ لهنّ زحفْنَ ليمُتنَ هنا. تهمُّ الرُّبُوبيّات بنقلِهنّ إلى المكبّ.

تعتَرِضُ إحداهُنّ بغتةً. تستَفسرُ الأُخرَياتُ عن وجهِ الاعتِراضِ، مُتَفاجِئاتٍ. إذا لَمْ تُؤخَذ تلكَ الشّهيداتُ إلى المكبّ، فستنبَعثُ في غُضونِ ساعاتٍ رائِحَةُ حَمضِ الزيتيك الكريهَةُ.

المُتمرّدَةُ تُصرُّ. حصَلَ أن احتفَظَت الملكَةُ بجُثّةِ أمّها داخلَ مقصورتِها. لماذا لا نتَصرّفُ مثلها؟ لماذا لا نحتَفِظُ بجُثثِهنّ؟ وبالنّتيجَة كُلّما أصبَحَ لدينا جُثثاً أكثر كلّما برهنَ ذلك على أنّ الحَركةَ الرّبوبيّةَ كانت تُعدُّ بحُشودٍ غفيرةٍ من المُناضِلات.

تُداعِبُ النّمالُ الاثنتا عشرةَ زوائِدها الحِسّية. يا للفِكرةِ المُذهلَةِ! ألّا تُلقى الجُثثُ بعدَ اليوم...

يقمنَ، الجميعُ معاً، باتّصالٍ مُطلَقٍ. رُبّما أُختُهنّ قد عثَرت على طريقَةٍ لبثّ الحياةِ في الحَركةِ الرّبوبيّةِ. الاحتِفاظُ بالأمواتِ فِكرةٌ ستَحظَى بإعجابِ الكثيرينَ.

تقتَرِحُ إحدى المُتمرّدات أن يُدفَنّ في الجدارِ لتجنّبِ رائحَةِ الزيتيك. الأولى صاحِبَةُ الفِكرةِ لا تُوافِق:

لا، على العكسِ، يجبُ رؤيَتهنّ. دعُونا نأخذُ عن الملكَة شلي-بو-ني. دعُونا نُفرّغ الجُثثَ من أحشائِها ولا نُبقي سِوى الهياكِلَ المُجوّفة.

135. عُشّ الأَرَضَة

تلوذُ الأَرَضَاتُ بالفِرارِ.

هُجوم! صرَخَت 103 من أعلى «القرن الكبير» لتُحفّزَ جُنديّاتِ الحَملةِ على القِتالِ أكثر.

لا رحمة! أطلَقت الرّقم 9 التي هي أيضاً تمتَطي فرسَها الطّائر.

ترشُق المدفَعيّاتُ الجَويّةُ دونَ توقّفٍ نائرةً الحمضَ والموتَ.

الأَرَضَاتُ من جهَتِها تفرّ في شتّى الاتّجاهاتِ. تعدُو على نحوٍ مُتعرّج هرَباً من تلكَ الوحُوشِ السّماويّةِ والبُصاقِ القاتِلِ لطيّاريها. كلٌّ يبحَثُ عن خلاصِه الفرديّ. تجري الأَرَضَاتُ، مُبعثَرات، نحوَ مدينَتِهم. حُصنٌ كبيرٌ من الإسمنتِ حديثُ العهدِ على الضّفّةِ الغَربيّةِ من النّهرِ.

واجِهةُ البِناءِ باهرةٌ. قلعَةٌ مَغراء تتكوّنُ من قبّةٍ مركزيّةٍ يعلُوها ثلاثَةُ أبراجٍ تنتَصِبُ فوقَها ستّةُ أبراجٍ مُحَصّنة. جميعُ المداخلِ عندَ مُستَوى الأرضِ مسدُودَةٌ بحَصى. تُراقِبُها بعضُ الحارِساتِ من ثُغراتٍ لها هيئَةُ فتحاتِ السّهام.

حينَ تُهاجِمُ محارِباتُ الحَملةِ قصرَ العدوّ، تبرُزُ قرونُ جُنديّاتِ الأَرَضَةِ الأُنافيّات من الشّقُوقِ العمُوديّةِ وترشقُ الصّمغَ على الهاجمات. خمسونَ خسائرُ الهجمَةِ الأُولى. ثلاثُونَ في الموجَةِ الثّانية. دوماً يتَقدّمُ الذينَ يُطلقونَ من الأعلى إلى الأسفلِ على من يُطلِقُ من الأسفلِ إلى الأعلى.

لذا لم يبقَ خيارٌ سوى الهُجوم الجَويّ. بعضُ وحيدي القرنِ ينطَحُونَ الأبراجَ المُحَصّنةَ بقُرونِهم، خنافسُ الآيلِ يخلَعُونَ أبراجاً ماهُولةً بشعبٍ مذعُورٍ، غير أنّ الصّمغَ يستأنفُ أفعالهُ المُدهِشةَ وداخلَ مدينةِ الأَرَضَةِ موكسيلوكسون، يلتَقطون أنفاسَهم.

يُعالَجُ الجَرحى. تُسدّ الثّغرات. تُوضَّبُ أهراءُ المؤونةِ تحَسُّباً لحِصارٍ طويلٍ. ويُبدّلُ طاقمُ الحُرّاس.

ملكةُ أَرَضَات موكسيلوكسون لا تُظهِرُ أيَّ خَوف. إلى جوارها يَقفُ الملكُ مُتكتّماً وصامِتاً ومُنعَزِلاً في غُموضِه. عندَ الأَرَضَةِ ينجُو الذَّكرُ من مصيرِ التّحليقِ الزّفافي ويبقى في المقصُورةِ الملكيّةِ إلى جانبِ أُنثَاه.

تهمِسُ جاسوسَةٌ مُكتَسيةً هيئَة التآمُرِ ما يعرِفُهُ الجميعُ: نِمالُ بيل-أو-كان الصّهباوات قد أطلَقنَ حملةً نحو الشّرقِ وارتَكبنَ عدداً من المجازِرِ في قُرى النّملِ التي على طريقهنّ وفي مدينَةِ نَحلٍ.

يُحكى بأنّ شلي-بو-ني، ملكتَهنّ بدأت بتَحسينِ الفيدراليّةِ بعدَدٍ من المُبتَكراتِ المِعماريّةِ، والزّراعيّة، والصّناعيّةِ.

تعتَقدُ الملكاتُ الشابّاتُ دوماً أنّهنّ أذكى من القديمات، بثّت بسُخريّة ملكةُ موكسيلوكسون العجُوز.

توافقُ الأَرَضَاتُ بروائحَ مُتواطِئةٍ.

عندَئذ عَلا دويُّ الإنذار.

النّمالُ تجتاحُ المدينَةَ!

المَعلوماتُ التي تُتَناقلُ بين قرونِ جُنديّاتِ الأَرَضَةِ غريبَةٌ إلى الحدّ الذي تجِدُ فيه ملكَتُهنّ صُعوبةً في تصديقِها.

اختَرَق حَواليشُ (المدعوّون أيضاً جَداجِدَ الخُلْد) الطّوابقَ السُفلى. أرجُلهم الأماميّةُ المُتوسّعةُ سمَحَت لهُم أن يحفروا بسُرعَةٍ أروِقَةً تحتَ أرضيّة. الآن، يتَقَدّمُونَ بصَفّ، ومن خَلفِهم، مِئاتٌ من جُنديّاتِ النّمالِ تدَمّرُ كلّ شيءٍ.

نِمال؟ ترويضُ حَواليش؟

ما لا يمكنُ تخيّلهُ باتَ حقيقةً. لأوّلِ مرّة، بفضلِ هذا الجيشِ التّحت أرضيّ، يُبْطَشُ بمدينَة أَرَضَة من الأسفلِ إلى الأعلى. من كان يتَوقّعُ هُجوماً يتَجنّبُ المدينَةَ ليحفرَ تحتَها؟ استَراتيجيو الموكسيلوكسيين في حالَةِ عجزٍ عن الإتيانِ بأيّ ردّ فعلٍ.

في القاعات الأكثر انخفاضاً تتَعجّبُ الرّقم 103 من تطوّرِ مدينَةِ الأَرَضَة هذه. كلّ ما فيها شُيّدَ للتَمتّعِ بدرَجة الحرارة المرغوبَة في المكان المُراد. ثمّةَ آبارٌ ارتوازيّةٌ بعمقٍ أكثرَ من مائَة خُطوة تصلُ إلى الطّبقاتِ المائيّة التي تجلبُ هواءً مُنعشاً. الهواءُ السّاخنُ يتولّدُ عن حدائقِ الفطرِ الموضُوعَةِ في الطّوابقِ الأعلى، فوقَ القصرِ الملكيّ. من هناك تتفرّعُ عدّةُ مداخنَ. يصِلُ بعضها حتّى الأبراجِ المُحصّنَة لطردِ غازِ ثاني أوكسيد الكربون. مداخنُ أُخرى، تجتَذبُ بُرودةَ القَبو، وتنزِلُ صوبَ المقصُورةِ الملكيّةِ والمَفاقسِ.

والآن؟ *أنهجُم على قاعاتِ الحاضِنات؟* سألت جُنديّةٌ بيلُوكانيّة.

لا، فسّرَت الرّقم 103. *يختلفُ الأمر عندَ الأَرَضات. يُستَحسَنُ بدايةً اجتياحُ حدائقِ الفطرِ.*

تنْثالُ جُنديّاتُ الحَملة من جُدرانِ الممرّات ذات المسامّ. في الطّبقات تحت الأرضِ، تكونُ فِرَقُ الموكسيلوكسيّات عمْيَاوَاتْ. لا يُبدينَ إلّا مُقاومةً ضعيفَةً لاندفاعَة النّمالِ، ولكن كلّما صعَدنَ أعلى كان القتالُ أشرسَ. كُلّ حيّ يُأخَذُ بثمنٍ باهظ من الخسَارات من كِلا الطّرفين. في الظّلمَة الكُليّة، تحتَبسُ كُلّ واحدةٍ روائحَها الثّبوتيّةَ لتتجنّبَ أن تكونَ هدَفاً للعَدوّ الكامنِ لها.

رُغمَ ذلكَ سيلزَمُ بَعدُ مئتا قَتيلٍ للوصُولِ إلى حدائِقِ الأَرَضَةِ.

بما يخصُّ الموكسيلوكسيين لم يبقَ أمامَهم سِوى التّسليم. أَرَضاتٌ محرُومَةٌ من الفطرِ غيرُ قادرةٍ على هضم السّيللوز وسيموتُ الجميعُ من الجُوعِ، سَواءٌ البالِغونَ منهم، أم الأفراخُ والملكةُ.

هل تريدُ النّمالُ المُنتَصِرةُ إبادَتَهم حتّى آخرِهم، على جرِي العادَةِ؟

لا. أولئكَ البيلُوكانيّات مُدهشاتٌ بالفعلِ. في المقصُورةِ الملكيّة، تشرَحُ الرّقم 103 للملكَةِ بأنَّ الصّهباواتِ لسْنَ في حربٍ ضِدَّ الأَرَضَات وإنّما ضِدّ الأصَابِعِ الذينَ يعِيشُونَ في البعيدِ وراءَ النّهرِ. وبالمناسَبةِ لم يهجِمنَ على موكسيلوكسون لو لم يُبادِر سُكّانُها أولاً إلى الاعتداء عليهنَ. كُلّ ما تطلبُهُ الآن الكتيبةُ النّمليّةُ، هو قضاءُ اللّيلةِ في عُشّ الأَرَضَة وأن يَحصلنَ على دَعمِ الموكسيلوكسيون.

136. باتُوا في قبضَتِنا

– لا أريدُ، لا تأمَل بذلك!

رفعَت ليتيسيا الغِطاءَ عن عينَيها مُغتاظَةً.

– لا أريدُ أن أنهضَ، غمْغَمت. لا بدّ أنّهُ إنذارٌ خاطئ ثانيةً.

نهَزها مِيليَس بقوّةٍ أكبر.

– ولكن «هُنّ» هُنا، كادَ أن يصرُخَ.

قَبِلت الأُوراسيّةُ بأن تُنزلَ غطاءها فاتحةً عيناً أُرجوانيّةً مُغشّاةً. على جميعِ شاشاتِ المُراقبَة، كانت المئاتُ من النّمالِ تزحَفُ. قفزت ليتيسيا، كبّرتَ عدَسةَ الكاميرا إلى أنّ اتّضحَ البروفيسُور الزّائِفُ تاكاغومي، كانت التّشنُّجاتُ تُخالِجُ جسَدهُ.

- إنهُنّ يُمزّقنَهُ من الدّاخلِ، قال ميليَس بتَكتّم.

اقترَبت نملةٌ من جِدارِ الخِداعِ البصَريّ وبدأت تَشُمُّ بطَرفَي قرنَيها.

- هل تفُوحُ رائِحَةُ عرَقِي مُجدّداً؟ تساءلَ المُفوّضُ مهمُوماً.

شمّت ليتيسيا تحتَ إبطَيه.

- لا، رائحَةُ الخُزامى فقط. لا داعِ للخَوف.

كانَ للنَملةِ الرّأيُ نفسُهُ على ما يبدُو لأنّها تستَديرُ وتعودُ لِمُشارَكةِ رفيقاتها في المَذبَحةِ.

كانَ «المانكان» البلاستيكيّ يهتزُّ تحتَ وقعِ الهجَماتِ الدّاخليّة. ثمّ هدأت الحَركَةُ ورأيا رتلاً من النّمالِ الصّغيرةِ يخرُجُ من الأُذنِ اليُسرى لدُميتِهما.

مدّت ليتيسيا ويلز يدَها مُصافِحَةً ميليَس.

- حسناً. كنتَ على حقّ، حضرةَ المُفوّضِ. أمرٌ لا يُصدّقُ غيرَ أنّي، رأيتُها، بعَينيَّ، هذه النّمالُ هي التي تقومُ بجرائمِ قَتلِ صانِعي المُبيداتِ الحشَريّةِ! ومع ذلك، لا زلتُ لا أُصَدّقُ!

كانَ ميليَس، بوصفِهِ بارِعاً بالتّقنيّاتِ الأحدَثِ، قد وضعَ في أُذنِ «المانكان» قطرةً من مادّةٍ مُشعّةٍ. وحدثَ بشكلٍ حتميّ أن تبلّلت أرجلُ إحدى النّملاتِ التي خاضَت بها. الآن ستَدُلّهم على المسارِ الذي ينبغي اتّباعَهُ. نجَحَت الخُطّةُ!

على الشّاشاتِ، كانَ النّملُ يطوفُ حولَ جسدِ «المانكان» باحِثاً في جميعِ الأماكنِ كما لو أنّهُ يريدُ مسحَ كُلّ أثَرٍ للجريمَةِ.

- وهذا ما يُفسّرُ الدّقائِقَ الخَمس التي بلا ذُبابٍ. بعدَ ارتكابِ

جرِيمتها النكراء تجمعُ الجريحاتِ المُحتَملاتِ وكلّ ما قد يُفشي بمُرورِها. أثناء هذا الوقتِ لا يجرُؤ الذّبابُ على الاقترابِ.

على الشّاشاتِ، كانت النّملاتُ يتجمّعنَ على شكلِ رَتلٍ طويلٍ ويمضينَ إلى الحمّامِ. هناك وصلنَ إلى سِيفُون المِغسَلةِ وسُرعانَ ما اختَفينَ فيهِ.

كانَ مِيليّس في حالَةٍ من الذّهُولِ.

– عن طريقِ شبكة أنابِيبِ المدينَةِ، بوسعِهنّ دُخولُ كافّةِ الأماكِنِ، جميع الشّقق، ودُونَ أيّ خَلْعٍ!

لم تُبدِ ليتيسيا الفرحةَ ذاتَها.

– برأيي، ثمّةَ الكثيرُ بعدُ من العناصرِ المجهُولة. قالت. كيفَ استَطاعَت هذه الحشَراتُ قِراءةَ الصّحيفَة، التّعرّفَ على العُنوانِ، وكيفَ فهِمَت أنّ قتلَ مُبتَكِري المُبِيداتِ مُتعلّقٌ ببقائِها على قيدِ الحياة؟ لا أفهَم!

– ببساطَة، لم نُعطِ هذه الدّويبات حقّ قدرِها... تذكّري حينَ اتّهَمتِني بأنّي أستَخفُّ بالخَصم. أتَى دورُكِ الآن. كانَ أبوكِ عالماً بالحشَراتِ ومَع ذلكَ لم تُدرِكي يوماً كم هي مُتطوّرة. بلا ريبٍ تجيدُ قِراءةَ الصّحُفِ وكشفَ أعدائِها. من الآن فصاعِداً لدينا الدّليلُ على ذلك.

كانت ليتيسيا تنكِرُ البداهَةَ.

– ومع ذلك لا يُعقَلُ أنّها تقرأُ! أتقصدُ أنّها كانت تخدَعُنا مُنذُ البدايةِ. هل تَتخيّلُ ما يعني ذلك؟ تعلمُ كلّ شيءٍ عنّا ومع ذلكَ تسمَحُ أن نعتَبِرَها شيئاً تافِهاً لا معنَى لهُ نسحَقهُ بكعبِ الحِذاءِ!

– دعِينا على أيّةِ حالٍ نرى أين ستَذهب.

سحَبَ الشّرطيُّ عدّادَ غايغر الحسّاسَ بعيد المدَى من حافظَته. تشيرُ الإبرةُ إلى الإشْعاعِ الذي تبلّلت فيه النّملةُ. تتكَوّنُ الآلَةُ من هوائيٍّ وشاشةٍ في داخِلها دائِرةٌ سوداء حيثُ تُومِضُ فيها نُقطَةٌ خضراء. النّقطَةُ الخضراءُ كانت تتقدّمُ ببطءٍ.

- لم يبقَ أمامنا سِوى اللّحاقُ بنملَتنا الخائنة، قال ميليس.

في الخارجِ هتفَا إلى تَاكسي. وجدَ السّائقُ صُعوبَةً في فهم طلَبِ زبونَيه بأن لا تتجاوزَ سُرعَتهُ 0.1 كم/سا، سُرعَة تنقّلِ القطيعِ القاتلِ. قضَت العادَةُ بأن يكُونَ جميعُ النّاسِ مُستَعجلينَ! ربّما هذانِ الاثنانِ اختارا سيّارَتهُ ليتَغزلا ببعضِهما؟ ألقى نظرةً بمرآتِه. ولكن لا، كانا مُنشَغلينِ جِدّاً بالتّحادُثِ، وعيناهما مُثبّتتانِ على غرَضٍ غريبٍ بين يديهِما.

137. موسُوعة

صِدامٌ بين الحضارات: أوائِلُ الأوربّيين الذينَ وصلوا إلى اليابان، في القَرنِ السّادس عشَر، كانوا مُستَكشفينَ بُرتُغاليّينَ. رسوا على جزيرَةٍ في السّاحلِ الغَربيّ حيثُ استَقبَلهُم الحاكِمُ المحلّيُّ بتهذيبٍ جَمّ. وأظهرَ اهتماماً بالغاً بالتّقنيّاتِ الجديدَة التي يحملُونَها «ذوو الأنوف الطّويلَة». أعجَبَتهُ القَرابينات[49] على نحوٍ خاصّ وقَايَض عليها حريراً وأرزّاً.

أمرَ الحاكِمُ حدّادَ القَصرِ فيما بعد أن يُقلّدَ السّلاحَ العجيبَ الذي حصلَ عليهِ للتّو، غيرَ أنّ العاملَ عجزَ عن إغلاقِ قعرِ سَبطانةِ السّلاحِ. القَربينةُ

49- Arquebusier: قربينة، بندقية بدائيّة تلقّم من الفوّهة.

ذاتُ الطّرازِ اليابانيّ كانت، في كلّ مرّةٍ، تنفَجِرُ في وجهِ مُستخدِمِها. وإلى هذا، حينَ عادَ البُرتُغاليّونَ ورسَوا عندهُ من جديد، طلبَ الحاكِمُ من حدّادِ السّفينَةِ أن يُعلّمَ حدّادَهُ كيفَ يلحَمُ المِغلاقَ كيلا ينفجرَ أثناءَ انفِجارِ المَقذُوفِ.

بذلكَ نجَحَ اليابانيّون بصِناعَةِ أسلحَةٍ ناريّةٍ بكميّاتٍ كبيرةٍ وانقلَبت بالتّالي جميعُ قواعِدِ الحربِ في بلَدِهم. وحقّاً، إلى تلكَ اللّحظَةِ، لم يكن السّامُوراي يتقاتلُونَ بغَيرِ السّيفِ. أنشأ الشوغون[50] أودا نوبوناغا[51]، فرقَةً لسِلاحِ القَرابِينِ التي درّبَها على الإطلاقِ بتتابُعٍ سريعٍ لصدّ فرقِ الخيّالةِ العدوّة.

أردَفَ البُرتُغاليّونَ هذه المُساهمَةَ المادّيّةَ، بهديّةٍ أُخرى، روحانيّةٍ هذه المرّة: الدّيانَةُ المسيحيّةُ. كان البابا قبلَ ذلكَ بوقتٍ قصيرٍ قد وزّعَ العالمَ بين البُرتُغالِ وإسبانيا. وإلى هذا آلت اليابانُ إلى الأُولى. لذا أرسلَ البُرتُغاليّونَ اليَسوعيّينَ الذينَ استُقبِلوا في البِدايَةِ بحفاوةٍ. وكان قد سبَقَ لليابانيّين أن دخلوا في عدّةِ دياناتٍ، ولم يكن الدّينُ المسيحيُّ بالنّسبةِ لهم أكثرَ من دينٍ إضافيّ. إلّا أنّ تعصّبَ المبادئِ المسيحيّةِ أغاظتهُم في النّهاية. ما هذه الدّيانةُ الكاثوليكيّةُ التي تدّعي أنّ جميعَ الدّياناتِ الأُخرى خاطئة؛ التي كانت تُؤكّد بأنّ أسلافَهم، الذينَ يُكرّسُونَ لهُم عِبادةً لا تشوبُها شائبَة، كانُوا يُشوونَ في الجحيمِ بحُجّةِ أنّهم لم يعرفُوا المَعموديّة؟ هذه الدّرجةُ من التَعصّبِ الطّائفي صدَمَت شُعوبَ

50- Shogun: اللقب الذي كان يطلق على الحاكم العسكريّ لليابان في الفترة (1192 - 1868م).

51- Oda Nobugana (1534-1582): من أهمّ الجنرالات التي عرفهم التاريخ الياباني، ومن أوائل المساهمين في توحيدها.

النيبون[52]. فعذّبَت واقترَفت مذابِحَ بحقّ اليسوعيّينَ. ثمّ، أثناء ثورةِ شيمبارا جاءَ دورُ إبادَةِ اليابانيّينَ الذين تنصّروا.

مُذاك، قاطَعَ شعبُ النيبون كُلّ تدخّلٍ غربيّ. الوحيدونَ الذينَ تمّ تقبلُهم هُم التجارُ الهُولنديونَ، معزُولينَ في جزيرةٍ قصيّة عن السّاحلِ. ولرَدْحٍ طويلٍ من الزّمن، مُنعَ أُولئك التجّار أن يطؤوا الأرخبيلَ ذاتَه.

إدمون ويلز،

موسُوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلّد الثاني.

138. باسم أبنائنا

ملكةُ الأَرَضَةِ تُدوِّمُ قرنَيها بحَيرةٍ. ثمّ تتوقّفُ فجأةً وتواجِهُ النّمال اللواتي استولينَ على المكان.

سأُساعدُكم، قالَت. سأُساعِدُكم ليسَ لأنّي في مرمَى رشقاتِ حمضِكُم النّمليّ، ولكن لأنّنا نُناصِبُ ***الأصَابعَ*** *العداءَ ذاتَهُ.*

الأصَابعُ، فسّرَت، لا يُقيمونَ وزناً لشيءٍ أو لأحدٍ. يرفَعونَ عصيّاً طويلةً مُزوّدةً بخيطٍ من حرير، يُخوزِقونَ في نهايته، صِغارَ الذُّبابِ، يرَقاتٍ تكونُ مُعرّضةً لعذابٍ فظيعٍ. تغرِقُها **الأصَابعُ** وترفَعُها إلى أن يُشفِقَ سمَكٌ رحيمٌ ويقبلَ بالقضاءِ عليها.

ولإثـراءِ خيوطِهم الحريريّةِ تجرّأت **الأصَابعُ** على المُضيّ أبعَد. فهاجَمت إحدى مجمُوعاتهم مدينتَها موكسيلوكسون. اندفَعوا في

52– Nippon: الاسم الذي استخدمه اليابانيون في القرن الثامن عشر للدلالة على بلدهم اليابان، والتي تعني الشمس المشرقة.

المَمرّاتِ، خرّبُوا أَهْراءَ المؤُونة، سحَقوا المقصُورةَ الملكيّةَ. وعمَّ كانَ يبحَثُ أولئك الهمَج؟ الحُوريّات. أطبَقُوا عليهنّ واختَطَفُوهنّ.

ظنّت الأَرَضَات حينذاك بأنّهُ قُضي عليهنّ نهائيّاً إلى أن رأتهُم صيّاداتٌ في نهايةِ عصًا، وهنَّ يصرخنَ فيرومُوناتِ الاستغاثة.

كيفَ السّبيلُ لإنقاذهنّ؟ بطَلبِ العَونِ منَ العُوَمِ. تلكَ الخنافِسُ المائيّةُ ستكونُ بمثابةِ قوارِبَ للأَرَضَات.

قوارِب؟

تُفسّرُ الملكةُ: تمكّنت النّمالُ مِن تَرويضِ وحيدي القرنِ لاستِخدامِهم كمَطايا طائرة؛ بينما الأَرَضَات، روّضَت العُوَمَ لمخرِ عُبابِ الماء. إذ يكفي التمركزُ على ورقَةِ أُذنِ الفأر، ثمّ تُدفَعُ من قبلِهم. بالطّبعِ، لم يكن الأمرُ بهذا اليُسرِ. في البدايةِ كانتِ الضّفادِعُ تمزّقُ مُعظَمَ الزّوارِق.

لَقيت الأَرَضَاتُ مُعارَضةً من الوَسَطِ المائيّ. إلى أن تعلّمنَ رَشقَ خُطُومِ الضّفادِعِ بالصّمغِ أو القفزِ على السّمكِ الضّخمِ وثقبه بفُكوكِهنَّ.

للأسَف، لم تتَمكن سُفنُ الأَرَضَاتِ يوماً من إنقاذ الحُوريات. كانت الأصَابِعُ تُغرِقُهنّ تحتَ الماء قبلَ أن يتسنّى لها الوُصولُ إليهنّ. ومع ذلك سمَحَت لهم العمليّةُ بتَطويرِ تقنيّاتِ ملاحَتِهم وفَرْدِ سيطَرتِهم على سطحِ النّهرِ.

لديكُم كلّ الحقّ، أرعَدت ملكةُ موكسيلوكسون، *لا يمكنُ لهذا الوضعِ أن يستَمرّ. آن الأوانُ بأن نتّحد كي نُعيدَ أولئكَ الأصَابعِ إلى رُشدِهم، أولئكَ الذين يُدمّرونَ مُدنَنا، ويستَخدِمونَ النّار ويُعذّبونَ أطفالَنا.*

باسمِ التّحالُفِ القديمِ ضِدّ مُستَخدِمي النّار، تُقدّمُ الملكةُ للحَملةِ أربَعةَ

فيالق من الأُنافيّات وفيلقَين من كوبيتيرم وفيلقَين من شيدورينوتيرم، وجميعُها مِن فصائلِ الأَرَضَاتِ التي تكيّفت أشكالُها مع كُلّ أنواعِ المعارِك.

دعُونا ننسَى الكراهيَةَ الأزليّة بين النّمالِ والأَرَضَات. ينبغي قبلَ أيّ شيء وضعُ حدّ لنهبِ تلكَ الوحُوش.

ولتَسريعِ الحَملة، تَعرِضُ المَلكةُ أُسطُولها لاجتيازِ النّهر. أنشأت موكسيلوكسون مرفأها الخاص، على شاطئِ خليجٍ مفرُوشٍ بالرّملِ النّاعمِ ومحميّ من الرّياحِ.

تصلُ النّمالُ الشّاطئَ الرمليّ. أوراقٌ طويلةٌ من آذانِ الفأرِ مُوزّعةٌ في أرجاءِ المكانِ. بعضُ الأوراقِ هذه مُحمّلةٌ بمَوادٍ غذائيّة للأَرَضَةِ وجاهزةٌ للتَنزيلِ. أوراقٌ أُخرى فارِغَةٌ على أُهبة الاستعداد للمُغادَرةِ إلى بلادٍ جديدةٍ. أقامَت الأَرَضَةُ مرسَىً صناعياً بالسّيللوزِ لحمايَةِ زوارِقها. حتّى إنّها زرَعَت قصَباً صغيراً على الرّصيفِ لتأمينِ عزلٍ جيّدٍ للميناءِ عن الرّياحِ والأمواجِ.

ماذا يوجدُ على الجزيرةِ هُناكَ أمامنا؟ تَستَفسرُ الرّقم 103.

لا شيء. تلكَ شجيرةُ أكاسيا كورنيجرا[53] والتي لم تأكلها الأَرَضَاتُ لأنّهنّ لا يُفضّلنَ هذا النّوعَ من السّيللوز. وغيرَ ذلك، تُستَخدمُ الجزيرةُ أحياناً كملاذ حين تهبُّ العاصِفَةُ.

الرّقم 103، والرّقم 24 مع شرنقتها تجلسانِ على إحدَى أوراقِ أُذنِ الفأرِ، يُغطي سطحَها زغَبٌ شفّافٌ. تنضَمّ إليهما نمالٌ وأَرَضَات. يدفعُ بعضُهنّ القاربَ إلى الماءِ ويقفزنَ برشاقةٍ مُتفادياتٍ أن تُبلَّ أرجُلهنّ.

53- أكاسيا قرن الثور Acacia cornigera

تُغرِقُ إحدَى الموكسيلوكسينيات قرنيها في الماءِ، وتُلقي فيرومُوناً فتدنُو منها هيئتان. إنّهما عُومَتان، أصدقاء مدينة الأَرَضَة. العُوَمُ خنافسٌ تتنفسُ تحت الماءِ تَحتفظُ بفُقاعةٍ من الهواءِ بين أجنحتها المُغمّدة. بفضل أنبُوبة الأوكسجين هَذه بوسعها البقاءُ طويلاً تحت المَاء. أرجُلها الخلفيّةُ مُزوّدةٌ بمَحاجِمَ تستَخدمُها عادةً في الجِماعِ إلّا أنّها هُنا، تُثبتُها تحتَ الورَقةِ لدفعِها.

عندَ إطلاقِ الشّارةِ الكيميائيّةِ في الموجَة، تبتدئُ العُومَتان بتحريك الماءِ بأرجلهما الخلفيّةِ الطّويلةِ، ورويداً رويداً تأخذُ مراكبُ الأَرَضَةِ تخوضُ في مياهِ النّهرِ.

وتمضي الحَملةُ قُدُماً، إلى الأمامِ دوماً.

139. اتّحاد

أوغستا وصُحبَةُ الحَياةِ التّحت أرضيّة كانوا قدّ أعـادوا تشكيلَ الدائرةِ من أجلِ جلسَة اتّحاد جديدة. أخذَوا يبثّونَ، الواحدَ تلو الآخَرِ، صوتاً قبلَ أن يلتَقوا عندَ الأوّم، النّغمةُ المُفردَة. تركوهُ يتردّدُ إلى أن تلاشَى الصّوتُ من رئاتِهم ليُواصلَ اهتزازهُ في رُؤوسهم.

ثمّ أتَى السّكُون، لا تُشوّشهُ إلّا أنفاسُهم المُبطّأةُ.

كلُّ جلسَةٍ كانت تختلفُ عن سابقتِها. هذه المرّة، تخلّلتِ الجميعَ طاقةٌ هابِطةٌ من السّقفِ. طاقةٌ بعيدةٌ ومع ذلكَ قادرة على اختِراقِ الصّخرِ والوصُول إلى أن تلمِسَهم.

كانت *الموسُوعةُ* تحتَوي على فقَرةٍ تتَناولُ المَوجات الكونيّة بقمَمِها المُفرطة التّباعُدِ إلى الحدّ الذي يُمكّنها من ثقبِ أيّةِ مادّةٍ، بما في ذلكَ المَاءُ والرّملُ.

شعرَ جازون براجيل بطاقات مُختَلفة في جسَده. مُتمثّلةً جميعها بأصواتٍ. في البدايةِ، كانَ ثمّةَ طاقةٌ أساسيّةٌ، «OU». تتشعّبُ في طاقتينِ فرعيتينِ: «A» و «WA». واللتان تنقَسمان بدورِهما إلى أربَعةِ أصواتٍ أُخرى: WO، WE، E، O. وتنقَسِمُ مُجدّداً إلى ثمانيةٍ ثمّ إلى اثنين إلى أن ينتَهوا على نغمتي I وWI. أحصاهُم فكانوا سبعَةَ عشَر، مُجتَمعينَ على هيئَةِ هرم عندَ مُستَوى ضَفيرته الشّمسيّة.

كانت تُشكّلُ تلكَ الأصوات ما يُشبِهُ موشوراً، يستَقبلُ الضّوءَ الأبيضَ -رنّةَ الصّوتِ اوم، يُحلّله ويعيدُهُ إلى جميعِ ألوانهِ الأوليّةِ.

تركيز. انتِشار.

كانوا يتَنفّسونَ الألوانَ والأصواتَ.

شهيقٌ. زفيرٌ.

ما عادَ المُتّصِلونَ إلّا سِتّةَ عشَر موشوراً هادِئاً، مُفعَمينَ بالأصواتِ والأضواءِ.

نظرَ إليهم نِيكولا، هازِئاً.

140. إعلَان

«مع قُدوم الأيّـام الجَميلةِ، لا تسلَمُ بيوتُنا وحدائقُنا من انتشارِ الصّراصيرِ، النّملِ، البعُوضِ، والعناكِبِ. حلُّكمُ الوحيدُ، للتخلّصِ منها، مُستَحضرُ كراك كراك.

مع كراك كراك تمتّعوا بالرّاحةِ طُوالَ الصّيفِ! مادّتُه تُجفّفُ الحشَرات ممّا يجعَلُها تتحَطّمُ مثل زُجاجٍ رقيق.

يوجدُ كراك كراك مسحُوق. كراكَ كراك رذاذ. كراك كراك بَخُور. كراكَ كراك، يُراعي الشّروطَ الصّحيّة!»

141. نَهْر

رُويداً رُويداً تتسارَعُ ورَقةُ أُذنِ الفأر التي على متْنِها الرّقم 103. يتقدّمُ القاربُ الحشرةُ إلى الأمامِ، شاقّاً السّديمَ السّافَ على الوجه ورافعاً مُقدّمَهُ فيما الزّبدُ الأبيض يُرغِي أمامهُ. تُميّزُ مائةُ سفينةٍ أُخرى حولَهُ تعُجُّ بالقُرونِ الاستشعاريّةِ والفُكوكِ. ألفان من جُنديّاتِ الحَملةِ على مائةِ ورَقةِ أُذنِ فَأرٍ، وهذا ما يشكّلُ أسطولاً ضخماً من السّفُنِ الصّغيرةِ.

مِرآةُ النّهرِ الملساء تُغبّشها التّموّجات.

البعُوضُ الذي أيقَظتهُ الـزّوارِقُ الموكسيلوكسونيّة يطيرُ مُتذمّراً بلهجَته البعوضيّة.

الأرَضَة الأنافيةُ الموضُوعَةُ في مقدّمَةِ السّفينَة تدلُّ أرَضَة أُخرى على الطّريقِ الأنسَبِ. هذهِ الأخيرةُ بدَورِها تنقلُ الأوامرَ إلى العُوَمِ باثّةً فيرومُوناتها في الماءِ. يجبُ تجنّبُ ثُقوبِ الماء، والصّخورِ سَويّةِ السّطحِ وحتّى الطحالبِ العدَسيّةِ التي تُعيقُ كلّ شيءٍ.

زوارِقُهنّ الهشّةُ تنزَلقُ على ماء النّهرِ الهادئ المُبرنَقِ.

لا يشقُّ الصّمتَ سوى دُوّامات خضراءَ مُزرقّة لأرجُلِ العُوّم وهي تخبِطُ التموّجَ. يُخيّم الصّفصافُ البابليّ فوقَهم، مُرخياً أوراقهُ الطّويلةَ.

تُبلّلُ الرّقم 103 عينيها وقرنَيها تحتَ الماءِ. ثمّةَ حياةٌ تضجُّ هُناكَ في الأسفل. تلاحِظُ الوجُودَ المرحَ للعديدِ من الحيواناتِ المائيّةِ، لاسيّما

حشَراتُ برغُوث الماء والسيكلوب. تنشَطُ القشريّاتُ الضّئيلةُ الحَمراء هذه في شتّى الاتّجاهاتِ. إلّا أنّ من يقتَرِبُ من العُوَمِ تَشفِطُه هذه الوحُوش.

أمّا الرّقم 9 فتُلاحظُ أنّ الحياةَ تضجُّ في الأعلى أيضاً... إذ تنقَضُّ باتّجاههم زُمرةٌ من الشّراغيفِ واثبةً فوقَ سطحِ الأمواجِ.

احذَروا، شراغيف!

تهجُمُ بسُرعَةٍ كبيرةٍ، بجلُودٍ سُودٍ لامِعةٍ، على الأسطُولِ الحشَريّ.

الشّراغيفُ، الشّراغيفُ!

تنتَقِلُ المعلومَةُ إلى جميعِ قواربِ الأَرَضَةِ. تتلقّى العُوَمُ الأوامِرَ بتسريعِ وتيرةِ تجديفِها. ليسَ لدى النّمالِ ما تفعَلُهُ، فيُطلبُ منهنّ فقط التشبّثُ جيّداً بزَغبِ الأوراقِ.

أَنافيات، اتّخذنَ مواضِعكُنّ القتاليّة!

الأَرَضَات بروؤوسِهنّ التي لها هيئةُ إجّاصَةٍ يُلقينَ قُرونهنّ إلى سطحِ الأمواجِ.

يرتَمي شُرغُوفٌ ويعضُّ ورقةَ أُذنِ الفأرِ–قارِبَ الرّقم 24. ما يحيدهُ عن مساره. فتجتَذبه دوّامةٌ ويأخذُ بالدّورانِ.

شُرغُوفٌ آخرُ ينقضّ على قاربِ الرّقم 103.

تُسدّدُ الرّقم 9 وتُطلقُ عليه من قُربٍ. يُصابُ ولكن برَدّ فعلٍ أخيرٍ من ذاكَ الحيوانِ الدّاكنِ والمُخاطيّ يقفزُ داخلَ الورقَةِ ويروحُ يتخبّط، لاسعاً وجهَ الورقَةِ بذيلِهِ الأسودِ الطّويلِ. يكنُسُ الجميعَ، نملاً وأَرَضَةً، ثمّ يقَعُ في الماءِ.

تُنتَشلُ الرّقم 9 والرّقم 103 في الوقتِ المُناسبِ من قِبلِ قاربٍ آخر.

تُغرِقُ الشّراغيفُ العديدَ من أوراقِ أُذنِ الفأرِ الأُخرى. ممّا يُسفِرُ عن تكبّدِ نحو ألفِ غريقٍ.

عندَئذ، يتدخّلُ «القرن الكبير» وجِعْلانه للمرّة الثّانية. منذُ بداية الرّحلَة، وهُم يُرفرفونَ هُنا وهُناك فوقَ أسطولِ السّفُنِ الصّغيرة. وأوّلُ ما يلمَحُونَ الشّراغيفَ تُغرِقُ أوراقَ أُذنِ الفأرِ ويدأبونَ على مُهاجَمة الذين سقَطوا في الماء، ينقضّونَ ناكسِينَ، مُختَرِقينَ فتيانَ البرمائيّينَ الطريّةَ ويصعَدونَ ثانيةً قبلَ أن يبتلّوا.

تغرَقُ بضعةُ جِعْلانٍ في هذه البهلوانيّات الخطرةِ غير أنّ الأغلبيّةَ تخرجُ من جديدٍ بقَرنٍ مُكتظٍّ بشَراغيفَ تتخبّطُ وتلسَعُ الهواء بأذيالها الطّويلَة السّوداء الرّطِبةِ.

في هذهِ الجَولةِ تتراجَعُ الشّراغيفُ إلى الخَلفِ.

يُنقذُ النّاجُونَ من الغَرقِ. لا يبقَى سِوى خمسينَ قارباً. مُكتظّةً بنحو ألفِ جُنديّةٍ من الحَملة. سفينةُ الرّقم 24 (التي ضاعَت أثناء المعرَكة) تَعودُ للالتحاقِ بمجمُوعِ أسطُولِ المراكبِ الصّغيرةِ، عبرَ خبطِ الماءِ بسُرعةٍ.

أخيراً دوّت الصّرخَةُ الفيرومُونيّة التي كانَ الجميعُ بانتظارِها.

يابِسةٌ في الأُفق!

142. نُقطَةٌ خضراءُ في اللّيلِ

الحماسُ كان في ذُروته.

– انعَطف يميناً. على مهَلٍ، على مهَلٍ. إلى اليمينِ أيضاً. ثمّ إلى اليسارِ. إلى الأمامِ. أبطِئْ. استمرَّ إلى الأمامِ، طلبَ المُفوّضُ مِيليَس.

كانت ليتيسيا ويلز وجاك مِيلِيَس دائِمي الحركةِ على المقعَدِ الخلفي، قلِقين لمعرِفَة نتيجة بحثِهما.

كان سائِقُ التّاكسي يُطيعُ، مُسلّماً أمرهُ.

– إذا تابَعنا على هذا النّحوِ، ستَنطَفِئُ السّيارةُ قريباً.

– كما لو أنّها تقصِدُ تُخومَ غابَةِ فونتينبلو، قالت ليتيسيا وهي تلوي يدَيها ببعضِهما نافذَةَ الصّبرِ.

تحتَ الضّوءِ الأبيض للقَمرِ المُكتَمل، في نِهايةِ الطّريقِ، بدأت ترتَسِمُ الكثافَةُ الخضراء.

– أبطِئْ، أبطِئْ أقولُ لكَ!

أخذَ السّائقونَ، خلفَهم، يُطلقُونَ أبواقَ سيّاراتِهم غاضِبين. ما من شَيءٍ يُعيقُ السّيرَ أكثرَ من مُطارِدَةٍ بطيئةٍ! غيرُ المُشاركينَ في المُطارَدةِ، يُحبّذونَ أن تحصلَ بسرعَةٍ جُنونيّة!

– إلى اليسارِ، أيضاً!

تنهّدَ السّائِقُ، وقال مُتفلسفاً:

– أليسَ من الأجدى السّيرُ على قَدمَيكما؟ على فِكرةٍ اتّجاهُ اليسارِ ممنُوع.

– لا يهُمّ، شَرطَة!

– آه حقّاً! كمَا تريدُ حضرَتك!

لكنّ الممرّ كان مسدُوداً بالسيّارات التي تأتي من الاتّجاه المُعاكسِ. النّملةُ المبلّلةُ بالمادّة المُشعّة كادت أن تجتازَ حُدودَ نطاقِ الرُّؤية. قفَزت الصّحَفيّةُ والمُفوّضُ من السيّارةِ وهي سائِرةٌ ولكن بهذه السّرعةِ ليس في الأمر أيّةُ مغامرة. ألقَى مِيلِيَس ورقة نقديّة دون اكتراثٍ بفكّةِ النّقود.

ربّما بدَت تصرّفاتُ زبُونيهِ غريبةً، إلّا أنّهما على أيّة حال، ليسا بخيلينِ، فكّرَ السّائقُ وهو يحاولُ جاهِداً الرُّجوعَ إلى الوراءِ.

استَعادا الإِشارةَ. القطيعُ كان يتَقدّم حقّاً نحوَ غابَةِ فونتينبلو.

وصلَ جاك ميليَس وليتيسيا ويلز إلى منطقَة ذاتِ بيوتٍ صغيرةٍ يُرثَى لها مُضاءة بأعمِدةِ نُور. كانت شوارِعُ ذاكَ الحيّ البائسِ خاويةً. خاويةً، ولكن ليسَ من الكلابِ الكثيرةِ التي أخذَت تنبَحُ غاضِبةً لدى مُرورِهما. معظمُها من فصيلةِ الراعي الألمانيّ الضّخمَة. لقد فسدَتْ مورّثاتُها لكثرة تزاوجِ القُربَى الذي كان يُنتَظرُ منهُ المُحافظةَ على نقاوةِ سُلالتِها. ما إن كانت تلمَحُ شخصاً في الشّارِعِ، حتّى تبدأ بالنّباحِ والقفزِ على شِباكِ السّورِ.

كان جاك ميليَس خائفاً جدّاً، رُهابهُ من الذّئابِ كانَ يحيطُهُ بهالة من فيرومُونات الذّعرِ التي أحسّت بها الكِلابُ. الأمرُ الذي كانَ يحثّها على عضّه بهياجٍ أكبر.

بعضُها كانَ يثِبُ مُحاولاً اجتيازَ الأسيجَةِ. كِلابٌ أُخرى تحاولُ بأنيابها كسرَ السُّورِ الخشَبيّ.

– أتخافُ الكلابَ؟ سألت الصّحفيّةُ المُفوّضَ الشّاحبَ. تمالكْ نفسَك، الوقتُ ليسَ مؤاتياً لأن تُسلّمَ. على هذا النّحوِ ستفرُّ نِمالُنا من قبضَتِنا.

في تلكَ اللّحظة تماماً، أخذَ أحدُ كلاب الرّاعي الألمانيّ الضّخمَةِ بالنّباحِ أكثرَ من الآخَرين. كانَ يحاولُ شَقَّ السّياجِ بأنيابه وقد نجحَ في نزعِ لوحٍ خشبيّ. أخَذت عيناهُ المجنونتانِ تدورانِ في محجَريهِما. شخصٌ يبثُّ روائِحَ خوفٍ إلى هذه الدّرجَةِ هو بمثابةِ تحدّ حقيقيّ بالنّسبَةِ

لهُ. ذاك الرّاعي الألمانيّ سبَقَ لهُ أن قابلَ أطفالاً مُرتَعبةً، جدّات تحتَ الخُطا على نحوٍ ملحُوظٍ، ولكن لم يسبق لأحدٍ أن كانت رائحتهُ رائحة ضحيّةٍ مُنتظَرةٍ إلى هذا الحدّ.

- ما الذي حدثَ لكَ حضرةَ المُفوّضِ؟

- أنا... لم أعد أستَطيعُ التقدّمَ.

- أنت تمزَح، ليسَ أكثرَ من كلبٍ.

كان الرّاعي الألمانيّ مُصراً على تحطيمِ السّورِ. لوحٌ خشَبيّ آخر قد سُحِقَ. الأنيابُ اللّامِعَةُ، العينانِ الحمراوان، الأُذنان السّوداوان الحادّتان: في ذهنِ مِيليَس هذا هو الذّئبُ الهائِجُ الذي كان في أسفلِ سريرهِ.

عبَر رأسُ الكلبِ بين الألواحِ. تبِعتهُ قائمةٌ، ثمّ كاملُ الجسَدِ. إنّهُ في الخارجِ ويعدُو مُسرِعاً. الذّئبُ الهائِجُ أصبحَ في الخارجِ. لم يعُد ثمّةَ أيُّ حاجزٍ يفصِلُ الأنيابَ الحادّةَ عن الحُنجُرةِ الطريّةِ.

لم يعُد ثمّةَ ما يفصِلُ بين الدّابّةِ المُتوحشةِ والرّجُلِ الحضاريّ.

أصبحَ جاك مِيليَس شاحِباً مثلَ الشّمعِ، عاجِزاً عن الحِراكِ.

تدخّلت ليتيسيا في الوقتِ المناسِبِ بين الكلبِ والرّجُلِ. حدّجت الحيوانَ بنظرَةٍ أُرجوانيّةٍ، باردَةٍ، والتي كانت تبثُّ: «أنا لا أخافُك.»

كانت تقِفُ هُناكَ، مُستَقيمةَ الظّهرِ، موسّعةَ المنكَبينِ، في وضعيّةِ من يثِقونَ بأنفسِهم، الوضعيّةُ والنظرةُ القاسيةُ اللتان كانتا للمُروّضِ في مأوى الكِلابِ فيما مضَى حين كان الرّاعي الألمانيّ يُدرَّبُ على حمايةِ منزلٍ.

خفيضَ الذّيلِ استَدارَ الحيوانُ وعادَ مُرتَعِباً إلى حوشِهِ.

كان وجهُ ميليَس لا يزالُ مُمتَقعاً ويرتَعِدُ من الهَلعِ والبردِ. دونَ تفكيرٍ، وكما لو كانت إزاءَ طفلٍ، أخذَتهُ ليتيسيا بين أحضَانِها لتُطمئِنهُ وتُدفئِهُ. ضغَطَت عليهِ بتمهّلٍ إلى أن ابتَسمَ.

- تعادلنا. أنقَذتُكَ من الكلبِ، وأنقَذتَني منَ الرّجالِ. أرأيتَ أنّنا بحاجةٍ إلى بعضِنا.

- بسُرعَةٍ، المُؤشّر!

كادَت النّقطَةُ الخضراء أن تخرُجَ من نِطاقِ الجهازِ، ركضَا إلى أن عادت إلى وسَطِه.

كانتِ البيوتُ تتَوالى، مُتَشابِهةً، من حينٍ إلى آخر، نجدُ على الأبوابِ، لوحيّاتٍ كُتبَ عليها «ذلك يكفيني» أو «منزلُ المحبُوبِ». تنتشِرُ كلابٌ في كافّةِ الأرجاءِ، وعُشبٌ مُهملٌ، علبٌ بريديّةٌ طّافحةٌ بمنشُوراتٍ إعلانيّةٍ، حبالُ غسيلٍ بملاقطها المُتناسقَةِ، وطاولاتُ بينغ بونغ مُتهالِكة، ونعَثْرُ، هُنا وهُناكَ، على كرفانٍ مُتَداعٍ. الأثرُ الوحيدُ لحياةٍ بشَريّةٍ: هو ضوءُ التّلفزيوناتِ الأزرَقُ المُتسرّبُ عبرَ النّوافذِ.

النّملة المُشعّةُ تعدُو تحتَ قدمَيهما، في المجاري. كانت الغابةُ تزدادُ قُرباً. الشّرطيُّ والصّحفيّةُ كانا يتبَعانِ المُؤشّرَ.

انعَطَفا في شارعٍ بدا للوهلةِ الأولى مُشابِهاً لجميعِ شوارعِ الحَيّ. «شارعُ فونيكس»، هذا ما تُشيرُ إليه اللّوحَةُ. غيرَ أنّهُ بدأت تظهرُ لهم، بين الأماكنِ المسكُونة، بعضُ المحالّ التّجاريّة. في مطعَمٍ للوجَباتِ السّريعَةِ ثمّةَ خمسَةُ مُراهقينَ يمضَغونَ وأمامَهم زُجاجاتُ بيرة درجَةُ كحولِها لا تَتجاوزُ 6 %. وكان يمكنُ أن يُقرأ على لُصاقاتِ الزّجاجاتِ:

«احذَرْ: أيُّ إفراطٍ قد يكونُ خطيراً.» العبارةُ ذاتَها كانت مُمدّدةً على عُلبِ السّجائرِ. كان ضِمنَ خُطّةِ الحكومةِ أن تضَعَ اللُّصاقاتِ ذاتِها على دوّاساتِ السُّرعةِ للسيّاراتِ وعلى الأسلحةِ التي تباعُ بحريّةٍ.

عبَرا أمـامَ متجَرٍ كبيرٍ «معبدُ الاستهلاكِ»، ومقَهى «إلى موعدِ الأصدقاءِ»، قبل أن يتَجمّدا أمامَ متجَرِ ألعابٍ.

– توقّفنَ للتوّ، في هذا المكانِ.

تفحّصا المكان. كان الحانوتُ على الطرازِ القديم. القطَعُ المعرُوضَةُ على الواجهةِ مُغبرّةٌ، كما لو أنّها رُميت على نحوٍ عشوائيٍّ: أرانبُ محشُوّةُ بالصّوفِ، ألعابٌ جماعيّة، نماذجُ صغيرةٌ للسيّاراتِ، دُمى، عساكرُ من الرّصاصِ، كلُّ ما يتعلّقُ بروّادِ الفضاءِ أو السّاحراتُ الطيّباتُ، ألعابُ المقالبِ والخِدَعِ... شريطُ زينةٍ من كافّةِ الألوانِ، ينتَمي إلى زمنٍ آخر، يُومِضُ فوقَ هذهِ الفوضى.

– إنّهنّ في هذا المكانِ. إنّهنّ حقّاً في هذا المكانِ. توقّفَتِ النّقطَةُ الخضراءُ عن التحرّكِ.

ضغَطَ ميليَس على يَدِ ليتيسيا حتّى كادَ يكسِرها:

– بتْنَ في قبضَتنا!

مأخُوذاً بالبهجَة، عانَقها. وكان يريدُ تقبيلَها إلّا أنّها صدّتهُ.

– احتَفظ بدمكَ بارداً، أيّها المُفوّض. لم ينتَه العملُ بَعد.

– إنّهنّ في هذا المكانِ. انظُري بنفسكِ، المُؤشّرُ لا يزالُ فعّالاً ولكنّهُ لم يعُد يتحرّكُ.

هزّتْ برأسِها، رفعَت عينيها. على واجهةِ المتجرِ كان مكتُوباً بأحرُفِ نيون كبيرةٍ وزرقاءَ: «عندَ آرتور ملكُ اللُّعبَةِ».

143. في بيل-أو-كان

في بيل-أو-كان، تُبلِغُ ذبابةُ الهاموش المُراسِلةُ تقريرَها إلى شلي-بو-ني:

لقد وصَلنَ إلى النّهرِ.

تروي التّفاصيلَ. بعدَ المعرَكة ضِدّ الفيالقِ الطّائرةِ لقفير أسكُولين، تاهَت الحَملةُ في الجَبلِ، اجتازتْ شلّالاً ثمّ خاضَتْ معرَكةً كبيرةً ضِدّ عُشّ أَرَضَةٍ جديدٍ، على ضفّةِ نهر «مانجتو».

تدوّنُ الملكةُ المعلوماتَ على فيرُومونِ ذاكرةٍ.

والآن، كيفَ سيعبُرونَ؟ هل سيأخُذونَ نفَق ساتيي؟

لا، الأَرَضَاتُ دجّنَتِ العُوَمَ ويستَخدِمنها لقَطرِ أسطولِهنّ من أوراقِ أُذنِ الفأرِ.

أظهَرت شلي-بو-ني اهتماماً كبيراً. هي لم تنجَح قطّ بتَرويضِ تلكَ الخَنافسِ المائيّةِ على نحوٍ مُتقَنٍ.

تُنهي المبعُوثَةُ تقريرها بأخبارٍ سيئة. تعرّضُوا فيما بعد إلى هُجُومِ الشّراغيفِ. أهلكت هذه الأحداثُ صُفوفاً من جُنديّاتِ الحَملة. لم يتبقَ سِوى ما يُقارِبُ ألفَ مُحاربةٍ وبين صُفُوفهِنّ الكثيرُ من الجرحَى. قلّةٌ منهنّ لا تزالُ تحتَفظُ بأرجُلها السّتّ سليمةً.

لا يتَسلّلُ القلقُ إلى الملكة. ما يُقارِبُ ألفَ مُحاربةٍ، حتّى ببضعِ أرجُلٍ أقلّ، لديهنَّ جميعاً من الآن فصاعِداً الخِبرةَ، سيكفِينَ للقَضاءِ على جميعِ أصَابِعِ الأرضِ، هذا ما تُقدّرهُ.

ولكن بالطّبعِ، ينبغي ألّا يتكبّدنَ خسائرَ إضافيّةً.

144. موسُوعة

أكاسيا كورنيجرا: الكورنيجرا هي شُجَيرةٌ لا تستطيعُ أن تصبحَ شجرةً بالغَةً إلّا بشرطٍ غريبٍ، هو أن تكونَ مسكونَةً من النّمالِ. هي بحاجَةٍ حقّاً، لكي تزدَهِرَ، إلى عنايَةِ النّملِ وحِمايتِه. وأيضاً، لتجتَذِبَ النّملَ، تحوّلَت على مرّ السّنين إلى عُشّ نَملٍ حيّ.

جميعُ أغصانِها مُجوّفَة وفي كلّ غُصنٍ، شبكَةٌ من الممرّاتِ والقاعاتِ المُجهّزةِ فقط لرَفاهيةِ النّملِ.

وعلاوةً على ذلك: تعيشُ في هذه الممرّات مُعظَمُ الأوقات أرْقَاتٌ بيضاء تتلذّذ عاملاتُ النّملِ وجُنديّاتُه بعُسَيلِها. الكورنيجرا إذاً تُقدّمُ المأوى والمائدة للنملِ الذي سيُشرّفُها بالإقامةِ فيها. في المُقابِل، تنهَضُ أولئكَ النّمالُ بواجباتِ الضّيوفِ. يُخلينَ المكانَ من جميعِ الأساريعِ، والأرْقَات الخارجيّة، والبزّاق، والعناكبِ والخاشبات الأخرى هؤلاء جميعاً الذينَ قد يُعرقلونَ ممّرات الأغصانِ. وكلَّ صباحٍ، يقصُصنَ بالفكوكِ اللّبلابَ والنّباتاتِ الأخرى المُعرّشةَ التي قد تتطفّلُ على الشّجرةِ.

تُزيحُ النّمالُ الأوراقَ الميّتةَ، يكشِطنَ الأُشُنَ، ويُعالِجنَ الشّجرةَ بلُعابِهنّ المُطهرِ.

نادراً ما نجدُ في الطّبيعةِ تعاوناً مُثمراً إلى هذا الحدّ بين صِنفٍ نباتيّ وآخر حيوانيّ. بفَضلِ النّملِ، الأكاسيا كورنيجرا ترتَفعُ مُعظَمَ الأوقاتِ فوقَ كُتلِ الأشجارِ الأخرى التي كان يمكنُ أن تجورَ عليها. تعلو مُهيمنةً على قِممِ تلكَ الأشجارِ ومُتلقفَةً بالضّرورةِ أشعّةَ الشّمسِ مباشرةً.

إدمون ويلز،

موسُوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلّد الثاني.

145. جزيرةُ شُجيرةِ الكورنيجرا

يأخذُ الضّبابُ الزّاحفُ بالتّلاشي، مُسفراً عن مشهدٍ غريبٍ. شاطِئٌ، شِعبٌ صخريّة وجُروف.

مركبُ الأَرَضَةِ الذي في المُقدّمةِ يجنَحُ على شاطِئٍ طُحلبيّ أخضَر. ما من شبهٍ يجمعُ نباتاتِ وحيواناتِ هذه المِنطَقةِ إلى شيءٍ معرُوف. ذُباب الهاموشِ بروائحَ مُستنقعيّةٍ يُدوّمُ بين سحائبَ من بعُوضٍ ويعاسيبٍ. النّباتاتُ تبدُو هنا كما لو أنّها وضِعت وضعاً، إذ لا جذورَ لها. أزهارُها ضيّقةٌ، وأوراقُها مُتدليّةٌ على هيئةِ خصَلٍ. الأرضُ صُلبةٌ تحتَ الطّحالبِ. الصّخرةُ المُتآكلةُ من الزّبدِ والمُثقّبةِ بنَخاريبَ عديدَةٍ تبدُو مثلَ قِطعَةِ إسفنجَةٍ سوداء.

أبعدَ قليلاً، تكونُ الأرضُ أكثر طراوةً وتتصدّرُ في وسطِها شُجيرةُ أكاسيا كورنيجرا. على الأرجَحِ نبتَت من بذرَةٍ تقاذفتها الرّياحُ، وألقتْ بها مُصادفَةً على هذه الجزيرةِ. الماءُ، والتّرابُ، والهواءُ، هذه العناصرُ الثّلاثةُ كانت كافيةً لتمنَحَ الحياةَ لهذه النّبتَةِ. إلّا أنّهُ ينقُصُها إسهامٌ آخرٌ لتستأنفَ نُموّها: النّملُ. مُنذُ الأزلِ والزّواجُ منَ النّملِ مُقدّرٌ في جيناتِها.

إنّها تنتَظرهُ منذُ عامَين. الكثيراتُ من أخواتِها الكورنيجرا فاتَها هذا التّزاوجُ الكونيّ! على نحوٍ غيرِ مباشرٍ هي مَدينَةٌ **للأصَابع** بهذا الحدَثِ السّعيد. إلى **الأصَابعِ** ذاتها التي حفَرتْ في لحائها «جيلٌ يُحبُّ نتَالي»، تلكَ النّدوبُ التي تسبّبت لها بالكثيرِ من الألَم!

بغتةً ارتعَشتِ الرّقم 103. ثمّةَ شيءٌ موضُوعٌ في وسَطِ الجزيرةِ يعيدُ إليها ذكرياتٍ مُعيّنة. هذا البُروزُ... أجَل، لا يمكنُ أن يكونَ مُصادفةً. هو حقّاً كذلكَ. البُرجُ بقمّتهِ المُدوّرةِ المليئةِ بالثّقوبِ. أوّلُ شُذوذٍ اكتشفوهُ

في البلدِ الأبيضِ. دونَ إنذارٍ، تترُكُ المجمُوعَةَ وتجُسُّهُ إنّهُ قاسٍ، شفّاف، في الدّاخلِ ثمّةَ مسحُوقٌ أبيضُ. تماماً مثلَ المرّة الأخيرَةِ.

تنضَمّ إليها جُنديّاتُ الأَرَضَةِ. تلامُسٌ قرنيٌّ.

ماذا يحصَلُ؟ لِمَ تركتِ المجمُوعةَ؟

تشرَحُ الرّقم 103 أنّ هذا الشّيءَ على غايةٍ منَ الأهميّةِ.

أجل، شديدُ الأهميّةِ، كرّرت الرّقم 23، *إنّه منحُوتٌ من قبلِ الآلهةِ الأصابعِ! إنّهُ نُصُبٌ إلهيٌّ.*

بدأت الرُّبُوبيّات على الفورِ بصناعَةِ تمثالٍ شبيهٍ منَ الغَضارِ.

تُقرّرُ النّمالُ الأكثرُ تحفيزاً البقاءَ لأيّامٍ في هذا الملاذ، مُنعّمةً بالسّلامِ لتتَعافَى من أهوالِ السّفَرِ، وتُعالِجَ جِراحَ الحرُوبِ وترمّمِ قواها.

رحّبَ الجميعُ بفكرةِ التّوقّفِ في هذهِ المحطّةِ.

تخطُو الرّقم 103 بضعَةَ خطَواتٍ ثمّ فجأةً يَضرُبُها شيءٌ ما. أعضاءُ جانستون الحسّاسةُ إلى المجالاتِ المغناطيسيّةِ الأرضيّةِ تُدغدِغُها.

إنّهُنّ على عُقدَةِ هارتمان!

جُنديّاتُ الحَملةِ لسنَ بعيداتٍ عن عُقدَةِ هارتمان!

إنّ عُقَد هارتمان هي مناطِقُ مغناطيسيّةٌ خاصّة. تُشيّدُ النّمالُ أعشاشَها على العُمومِ عندَ هذه النّقَط تحديداً. إنّها تقاطُعاتُ خُطوطِ مجالاتِ مغناطيسيّةٍ أرضيّةٍ مع أيُونات مُوجبة. هذهِ النُّقاط تُسبّبُ الضّيقَ للعديدِ من الحيوانات (لاسيّما الثدييّات) ولكن، بما يخُصُّ النّمال، فهي على العكسِ ضمانَةُ ارتياحٍ.

بوساطةِ نُقاطِ وَخزِ الإبرِ الصّغيرةِ هذه المشكوكَةِ على القِشْرةِ

الأرضيّة، بإمكانِ النّمالِ التّحادثَ مع كوكبِهنّ الأمّ، وأن يكتَشفنَ ينابيعَ الماءِ، ويستَشعِرنَ الهزّاتِ الأرضيّة. على هذا النّحوِ مدينَتهنّ موصُولَةً إلى العالمِ.

تبحَثُ الرّقم 103 عن المكانِ الذي تتركّزُ فيه الطّاقاتُ الأقوى. فتكتَشفُ أنّ عُقدةَ هارتمان موجُودَةٌ تحتَ شجَرةِ الكورنيجرا تماماً.

تبدَأ على الفورِ برفقَةِ الرّقمين 24 و9 بتسلّقِ الشّجيرة. يكونُ اللّحاءُ رقيقاً في أحد المواضِع. فيقصِصنَ، سَويّةً، الكبسولةَ الحافظَةَ ويفتَضِضنَ الأكاسيا كورنيجرا. يا للروعة! ثمّةَ عُشُّ نملٍ فارغٌ في هذا المكانِ، وهو في مُنتَهى النّظافة، بانتظارِهنّ.

يغُصنَ عميقاً في جذرِ الشّجرةِ الذي يعجّ بالقاعاتِ التي لا تحتاجُ إلّا أن تكونَ مسكُونَةً من النّملِ. لدى بعضِها ما يشبهُ تصاميمَ معماريّة والتي تَظهَرُ فيها بوضُوح أهْراءُ المؤونَة ومقصُورةٌ ملكيّة. توجدُ فيها حتّى حظائرٌ لأرِقّاتٍ بيضَاءَ بلا أجنحة مُنهمِكةٍ في العملِ.

تزورُ البيلوكانيّات المنزلَ غيرَ المُتوقّعِ. جميعُ الأغصانِ مجوّفةٌ، يجري النُّسْغُ في الفاصِلِ الرّقيقِ لجُدرانِ هذه المدينَة الحيّة.

تُطلِقُ الشّجرةُ المُفتضّةُ روائِحها الراتنجيّةَ الأكثرَ ترحِيباً مُؤهّلةً بالشَّعبِ النّمليّ.

تكتَشفُ الرّقم 24، مبهورةً، تسَلسُلَ القاعاتِ النّباتيّة المُتعاقبة. لفرطِ انفعالِها تفغَرُ فكّيها فتُفلتُ شرنَقةَ الفراشة. لا تتقاعسُ عن واجبِها. فتلتَقطُها على عجَلٍ.

تُخبرها مُستكشفةٌ عجوز بأنّ «عشّ-هدية» هذا ليسَ بلا ثمنٍ. إذا أردنَا السَّكنَ هُنا، يجبُ الاعتناءُ بالشَّجرةِ. إنّهُ التزامٌ مُتواصِلٌ، ينبغي

أن تشعُرَ النّملَةُ أنّها جنائنيّةٌ في الصّميم. يَعُدنَ للخُروجِ وتُريها المُحاربةُ العجُوز نبتَ بُرعُمٍ فتيّ لحامُولِ فاصُولَياء وتشرحُ لها.

تنمو بذرةُ الحامُولِ من مُلامَسةِ أيّ تحلّلٍ مُنبتةً ساقاً من التُّربةِ يمتدُّ بدورهِ ويلتفُّ على مهلٍ بسرعَةٍ تقارِبُ لفّتينِ في السّاعةِ.

أوّلُ ما يقابلُ السّاقُ شُجيرةً، يتركُ جذورَهُ تموت وتنبُتُ لهُ أشواكٌ ماصَّةٌ تنغرزُ في الشّجيرةِ شافِطةً نُسْغِها. الحامُولُ هو بحقّ مصّاصُ دماءِ العالَمِ النّباتيّ.

ها هي الرّقم 103 تُشيرُ إلى إحدى هذه الفاصُوليّاتِ التي تنمو ليسَ بعيداً عن شجَرةِ الكورنيجرا. لفَرطِ بطئِها تتركُ انطِباعَ حركةٍ طبيعيّةٍ تُحدِثُها الرّيحُ.

تستَلُّ الرّقم 24 فكّيها الحادّينِ وتهمّ بتقطيعِ الحامولِ قطعاً.

لا، بثّت الرّقم 103. *إذا قطّعته، كُلّ قطعةٍ ستَعودُ تنشَطُ من جديدٍ. حامُولٌ مُقطّعٌ إلى عشرِ قِطَعٍ يُساوي عشرةَ حواميلٍ.*

تقولُ النّملةُ بأنّها شهِدت ظاهِرةً مُدهشةً. كانت قطعَتانِ من حامُولِ الفاصُولياءِ مزرُوعَتين بجِوار بعضِهما وكانت كلتاهما تدوران باحثَتينِ عن شُجيرةٍ للامتِصاص. وبما أنّهما لم تجِدا التفّتا على بعضِهما وأخذَتا بامتِصاصِ نُسْغيهما إلى أن ماتتا سَويّةً.

ماذا بمقدورنا فعلُهُ إذاً؟ إذا تركناهُ ينمو، سَيجِدُ في نهايةِ المطافِ الكورنيجرا وسيلتفُّ حولَ جذعِها، نبّهتِ الرّقم 24.

ينبغي نزعُهُ من جُذورهِ وإلقاؤهُ في الماءِ على الفور.

أوّلُ ما قيلَ ذلكَ نُفّذَ. ينتَهزنَ الفُرصةَ ويُخلينَ كافّةَ النّباتاتِ الأخرى

التي قد تُشكّل ضرراً على الأكاسيا. ثمّ يطرُدنَ جميعَ الدّيدانِ والقوارضِ الصّغيرةِ والأساريعِ التي تتسكّعُ في مُحيطِ الشّجرةِ.

يتناهَى إلى سمعِهنّ، في وقتٍ ما، صوتُ تِك تَك منتظم. إنّهُ خُنفسُ ساعة -الموت، حيوانٌ يثقُبُ الخَشبَ بضَرباتٍ مُنتظمَةٍ. صَوتُ تِك تَك آخرُ يُجيبهُ.

إنّه ذكرُ ساعة -الموتِ يُنادي أُنثاهُ! أخبرَتْهنّ أرَضَةٌ تلتَقي بأولئكَ المُنافسينَ غالباً. تبدُو النّقراتُ تُجاوبُ بعضها بعضاً بالفعلِ كما لو أنّهما غناءُ طبلتَي تام تام[54].

لا يجدنَ صعوبةً في العُثورِ عليهما، ثمّ يتلذّذنَ بطعمِ روميو وجولييت ساعةَ المَوتِ.

حينَ ينحازُ المرءُ إلى جِهةٍ، يُواجِهُ بشكلٍ مُشتَركٍ أعداءً مُشتَركينَ.

تبيتُ جُنديّاتُ الحَملةِ في الشّجرةِ -المدينةِ لهذهِ اللّيلةِ.

يكتَشِفنَ مذهولاتٍ الكورنيجرا المُجوّفةَ.

في سِردابِ الغُصنِ الأغلَظ، يتَناولنَ طعامَهنّ.

نمالٌ، أرَضاتٌ، نحلٌ وجِعْلانٌ صغيرةٌ جميعهم يُقيمونَ تَطاعُمات. تُحلَبُ الأرْقَات ويوزَّعُ عُسَيلها حُلوُ المَذاق. وكما في كُلّ تخييمٍ يُثارُ مُجدّداً الموضوعُ الأزليّ حولَ الأصابِع، غايةُ رحلَتهنّ الطّويلةِ.

الأصَابعُ آلهةٌ، تدّعي ربوبيّةٌ بيلوكانيّة.

آلهةٌ؟ وماذا تعني آلهةٌ؟ تستَعلِمُ أرَضَة موكسيلوكسوتيّة

الرّقم 23 تشرَحُ لهم بأنّ الآلهة قُوى مُهيمنةٌ على كُلّ شيءٍ.

54- تام تام (tam-tam) طبلة إفريقيّة.

النّحلُ، الذّبابُ والأَرَضَةُ يكتَشفونَ بدهشَة أنّ ثمّةَ داخلَ الحَملةِ عينها نِمالٌ يعبدْنَ الأصَابعَ لدرجَةِ اليقينِ أنهم أصلُ العالم.

تُستأنَفُ الجِدالاتُ. والجميعُ مُصِرٌّ على تقدِيمِ وجهةِ نظَرِه.

ليسَ للأصَابعِ وجُودٌ.

الأصَابعُ تطير.

لا، الأصَابعُ تزحَف.

بوسعِ الأصَابعِ الغوصَ تحتَ الماء.

يتغذّونَ على اللّحم!

لا إنّهم من آكلي الأعشاب.

إنّهم لا يأكُلونَ أبداً ويعيشون على الطّاقةِ الكامنةِ لديهم منذ ولادَتهم.

الأصَابعُ نباتاتٌ.

لا، زواحفٌ.

الأصَابعُ كُثرٌ.

عدَدهم لا يتعدّى عشرَة أو خمسةَ عشرَ يطُوفونَ الأرض على شكلِ قُطعانٍ خمساً خمساً.

الأصَابعُ خالدون.

ليسَ كذلك البتّةَ، منذ أيّامٍ قتلنا واحداً منهُم.

ذلكَ لم يكن إصبعاً تماماً!

وماذا كان إذاً؟

الأصَابعُ لا يمكنُ مُهاجمتُها.

الأَصَابِعُ لديها أعشاشٌ من الإسمنتِ مثلُ الزّنابير.

لا، ينامونَ في الأشجارِ مثلَ الطّيور.

لا يسْبَتُون في الشّتاءِ!

تمهّلوا، لا ينبغي المُبالغةُ بالهذيانِ. من المؤكّد أنّ الأصَابِعَ تسْبُت، كلُّ الحيواناتِ تهجَعُ للسُباتِ.

الأَصَابِعُ تتغذّى على الخَشَبِ لأنّ إحدَى الأَرَضَاتِ رأتْ بعضَ الأشجارِ منقُوبةً على نحوٍ غريبٍ.

لا، الأَصَابِعُ تتغذّى بالنّملِ.

الأَصَابِعُ لا يأْكُلونَ، يعيشون على الطّاقةِ الكامنةِ لديهم منذ ولادَتهم، سبقَ وأخبَرتُكم بذلك.

الأَصَابِعُ ورديّونَ ومُدوّرونَ.

يمكنُ لهم أن يكونُوا سوداً ومُسطّحينَ.

يُستأنَفُ الجِدالُ. تَشتَبكُ الرُّبوبيّاتُ وغيرُ الرُّبوبيّات. بنظريّاتهنّ غيرِ المعقولةِ، الرّقمان 24 و23 تُغيظانِ الرّقم 9.

ينبغي قتلُ هذه الحُثالة قبل أن تُصيبَ مُحاربات الحَملة الأُخريات بالعَدوى، قَالت، وهي تُشهِدُ الرّقم 103 على المُجازَفةِ التي تتمثّلُ بأعداءِ الدّاخلِ أولئك.

تهزُّ الجُنديّةُ قرنَيها الاستشعاريّين.

لا. لندعهنّ. هُنّ جزءٌ من تنوّعِ العالَمِ.

الرّقم 9 في حَيرةٍ، الأمرُ لا يخلو منَ الغرابة، منذُ أن انطلَقت هذه الحَملةُ ولدى الجميعِ شُعورٌ بأنّهم يتغيّرون. النّمالُ الآن يتناولنَ مواضِيعَ

مُجرّدةِ في أحاديثهنّ. وبتنَ يشعرنَ بالانفعالِ والخوفِ على نحوٍ مُتزايد. هل الصّهباواتُ مُصابةٌ بداءِ «مرَضِ الحالاتِ النّفسيّة» يا تُرى؟ أمْ أنهنّ يُصبِحنَ أقلّ نمليّةً؟

أمامَهنّ وحُوشٌ عليهنّ مُواجهتُها وهُنّ ينصَرفنّ للجدالِ. يُستَحسَنُ النّوم. شجَرةُ الكورنيجرا، سعيدةٌ كما تعرِفُ الأشجارُ فقط أن تكونَ سعيدةً، ستَكونُ حارِسةَ نُعاسِهنّ.

في الخارج ضفادعُ مُنتَصفِ اللّيلِ تجأرُ لعجزِها عن التّمتّع بهذا الحشدِ من الحشَراتِ المحميّةِ داخلَ قصرِها المُشيّدِ من الأليافِ والنُسْغِ.

كافّةُ جُنديّاتِ الحَملة نيامٌ ما عَدا نمالُ الزّومبي اللائي أمرُهنّ بيدِ مثقبيّاتِ الكبِدِ، يخرُجنَ على شكلِ رتلٍ أُحاديّ ليتسلّقنَ ناصيةَ عُشبَةٍ ويمكثنَ عليها بانتظارِ أنْ يُرعَينَ. لكنْ ولا أدنَى حركَة على هذه الجزيرة. عندَ الصّباح، ناسينَ كُلَّ ما يخصُّ تسلّلهنَّ اللّيليَّ، سوفَ يُعاودنَ الالتِحاقَ برفيقاتِهنّ.

الأركانا الخامسة:

سيّد النّمل

146. ربُوبيّة

تنحَدرُ المتمرّداتُ بسُرعةٍ فائقةٍ في ممرّاتِ المدينَة. لن ينجَحنَ أبداً بإيصالِ نَملةِ الصّهرِيجِ هذه إلى الدّكتور ليفينغستون. تُضحّي العديدُ منهنَّ بأنفسهنّ لإبطاءِ الحرَسِ الفيدراليّ.

يأخُذُ وابِلُ رشَقاتِ الحمضِ بالانهِمارِ. تسقُطُ ربُوبيّةٌ ثمّ تسقُطُ أُخرى.

رُويـداً رُويـداً النّاجياتُ ارتَـددنَ إلى قاعَةِ بقّ السّرير. ولكن قبل إفنائِهن جميعاً تريدُ شلي-بو-ني معرِفةَ الحقيقةِ. تأمرُ بأنّ تمثُل أمامَها إحدَى أولئك المُتعصّبات.

لماذا تفعَلنَ ذلك؟ سألتْها.

الأصَابعُ آلِهتُنا.

لا تزالُ النّغمَةُ ذاتها. تُحرّكُ الملكةُ شلي-بو-ني قرنَيها مُستغرِقةً في التّفكيرِ. منذُ وقتٍ قصيرٍ، ولأسبابٍ مجهُولةٍ، شهِدَت الحركةُ المُتمرّدةُ صُعوداً مُتزايداً. من أسابيعَ فقط كُنّ لا يتَجاوزنَ الاثنَتي عشرةَ، بحسَبِ جواسِيسِ الملكةِ، والآن يُعدّونَ نحوَ مائةٍ.

ينبغِي تكثيفُ مُطارَدةِ المُتَمرّداتِ. منَ الآن فصاعِداً هنّ مُفرِطاتُ الخُطورةِ.

147. متجَرُ الألعابِ

– والآن ماذا نفعل، سألت ليتيسيا ويلز.

– لنذهَب، قرّرَ جاك مِيلِيَس بثقةٍ.

– أتظنُّ أنّهم سيدَعُوننا ندخُل؟

– لم أكن أُفكّرُ أبداً أن أطرُقَ البابَ. دعينا نتَسَلّلُ من نافذةِ الواجهة. وإذا ما تجرّأ أحدٌ على الاحتِجاجِ سأُظهِرُ أمرَ التّفتيشِ. لديّ أمرٌ مُزيّفٌ أحمِلهُ على الدّوام.

– عقليّةٌ جميلَةٌ! احتَجّت الصّحفيّةُ. حقّاً الفجوَةُ بين الشّرطَةِ واللّصُوصِ ليسَت بالاتّساعِ الذي نظنّهُ.

– ليسَ بضَميرِكِ الحيّ ومشاعِرِكِ الرّهيفَةِ سنُلقي القبضَ على المُجرِمين. لنذهَب!

كانَ فضُولها أقوى من مُواصَلةِ التذمُّرِ، فتبعَتهُ حين تسَلّقَ الجُدران بمُساعدةِ مزاريبِ تصريفِ ماء المطرِ.

يجِدُ البشَرُ صُعوبةً في التقدّمِ على الأسطُحِ العموديّة. تخمّشَت أيدِيهما وكادا يقَعانِ عدّةَ مرّاتٍ قبلَ أن يصِلا الشّرفةَ. لحُسنِ الحظّ، المنزِلُ ليسَ أكثرَ من طبقةٍ واحِدةٍ تُفضي إلى السّطحِ مُباشَرةً.

استعادا التقاط أنفاسهما. لا تزالُ النُّقطَةُ الخضراء هُناك، بلا حِراكٍ في وسَطِ الشّاشةِ. ربّما لم يكُن يَفصِلُ الآن ليتيسيا ويلز وجاك مِيلِيَس عن النّمالِ القاتلةِ سوى مسافَةِ خمسَةِ أو سِتّةِ أمتارٍ. كان بابُ الشُّرفةِ مُوارِباً. فدخَلا.

بمِصباحِهِ اليدويّ، أضاءَ غُرفةَ نومٍ عاديّةٍ، ثمّةَ فيها سريرٌ كبيرٌ عليهِ

غطاءٌ مُقلّمٌ بالأحمَر، خِزانَةٌ نورمنديّة وتتوزّعُ هُنا وهُناك على ورَقِ جُدرانٍ مُزَهّرٍ، مُستَنسَخاتٌ لمناظِرَ جبليّة. وتعبَقُ في الغُرفَةِ روائِحُ الخُزامى والنّفتالين. تُفضي الغُرفَةُ إلى صالونٍ من طِرازِ «سُوبيرمارشي دو موبل»[55] بأرائكِه ذاتِ القوائمِ المُلتفّة وثُريّاهُ بمُتدلّياتها البلوريّة. لمسَةُ التّميّزِ الوحيدَة: هي مجمُوعةُ قواريرِ عِطرٍ شرقيّةٍ على طاولةِ الرّواقِ.

ميّزا ضوءاً، إلى الأبعَدِ قليلاً. ثمّةَ هُناكَ أشخاصٌ يتَعشّونَ في مطبَخٍ على الأرجَحِ، وعيونُهم شاخِصةٌ إلى التّلفزيُون.

نظَرَ ميليَس في شاشَتِه.

– النّملُ الآنَ فوقَنا، همسَ. لا بدّ من وجُودِ عُليّةٍ في الأعلى.

بحَثا عن فُتحَةٍ في السّقفِ. عثرا على سُلّمٍ، في بهوِ الحمّامِ، مُوجّهٍ نحوَ تَخْشيبةِ السّقفِ ولاحَظا فيها ضوءَ لمبةٍ.

– فلنصعَدْ، قال ميليَس، شاهِراً مُسدّسَهُ.

وصَلا إلى حُجرةٍ عُليّةٍ غريبَة. ثمّةَ حوضٌ ترابيٌّ يُشبِهُ حوضَ ليتيسيا، إلّا أنّه أوسَعُ بعشرةِ أضعافٍ، موضوعٌ في مركزِ الحُجرة. يخرُجُ من هذا الحوضِ العملاقِ أنابيبُ متّصلَة بحاسُوبٍ، والذي يتّصلُ بدَورِه بالعديدِ من القواريرِ المُختَلفة الألوانِ. إلى اليسار، أدواتٌ معلُوماتيّةٌ، منضَدةٌ، مجْهرٌ، وفوضَى من الأسلاكِ الكهربائيّة والترانزستورات. «عرينُ عالمٍ مجنُونٍ»، فكّرتِ الشّابّةُ في سِرّها لمّا انطلَقَ صوتٌ وراءَهما:

– ارفعا أيدَيكما!

استَدارا ببطءٍ. في البِدايةِ، رأيا فوّهَةَ بُندقيةٍ واسِعةً مُصوّبةً عليهما.

55– مخزن أثاث.

ثمّ، إلى أعلى البُندقيةِ، وجهٌ مألوفٌ على نحوٍ مُدهِشٍ. يعرِفانه منذُ زمنٍ بعيدٍ، عازفُ مزمارِ مدينةِ هاملن!

148. موسُوعة

قاذفةُ قنابل: الخنافسُ قاذفةُ القنابل (Brachynus creptians) مُجهّزةٌ «ببندقيّةٍ عضويّة». إذا تعرّضت للهُجوم، تُخرِجُ دُخاناً يتلوهُ انفجارٌ. تُنتجهُ الحشَرةُ من جمعِ مادّتين كيميائيّتين مُفرزتَين من غدّتين مُختلفتَين. الأولى تُحرِّرُ محلُولاً يحتوي 25 % من ماءٍ مُؤكسَج و10 % الهيدروكينون. بينما تُصنّعُ الغدّةُ الثانيّةُ أنزيم، البيرُوكسيداز. حين تمتزِجُ هذه العُصارات داخلَ حُجرةِ الاحتراقِ تصِلُ درجَةُ حرارةِ الماءِ الذي يغلِي إلى 100°، وهذا ما يُفسّرُ تصاعُدَ الدّخان، ثمّ رشقٍ بُخار حمضِ النّيتريك الذي يُفسّرُ الانفجار.

إذا أدنَى المَرءُ يدَهُ من خُنفُساء قاذفة القنابل، ستقْذفُ فوّهتُها على الفورِ سحابةً كثيفةً من رذاذٍ أحمرَ لاذعٍ شديدَ العطريّةِ. حمضُ النّتريكِ سيُسَبّبُ فُقاعات على البشَرة.

هذه الخنافسُ تعرِفُ كيف تُصوّبُ بتوجيه منقارِ البطنِ المرن الذي يتركّبُ فيه المزيجُ المُتفجّرُ. بإمكانها بهذه الطريقَة إصابةَ هدَف على بُعد بضعَة سنتمترات. إذا أخطأتِ الهَدف سيكونُ ضجيجُ الانفجارِ كافياً ليدفَعَ أيّ مُهاجمٍ للفرار.

تُبقي الخُنفساءُ قاذفَةُ القنابل ثلاثَ رشَقات أو أربعاً كاحتياط. إلّا أنّ بعضَ علماءِ الحشَرات، كشَفوا عن أنواعٍ قادرةٍ، حين تُحفّزُها، على أن تُطلقَ أربعَةً وعشرينَ قذيفَةً مُتالية.

ألوانُ خنافِس قاذفةِ القنابلِ البُرتقاليُّ والأزرقُ الفضّيُّ. لذا يسهُلُ كثيراً

إيجادُها. كلُّ شيءٍ يحدثُ كما لو كانت تشعرُ، مُسلّحةً بمدفعِها، بأنّها مُحصّنةٌ إلى الحدّ الذي يجعلُها تظهرُ بثيابٍ مُزركَشة. على العُمومِ، جميعُ هذه الخنافسِ التي تعرِضُ ألواناً مُتوهجةً وأجنحةً غِمديّةً برسُوماتٍ زاهيةٍ لديها «أداةُ» دفاعٍ تسمَحُ لها بإبعادِ الفُضوليّين.

مُلاحظةٌ: لمعرفَةِ الفئرانِ بالطّعمِ اللّذيذِ للخنافسِ قاذفةِ القنابلِ رُغمَ وجودِ هذه «الأداة»، تقفزُ عليها وعلى الفورِ تدفُنُ بطنَها داخلَ الرّملِ قبلَ أن يتسنّى للمزيجِ المُتفجّرِ أن يعملَ. تضيعُ القذائفُ في الرّملِ وحين تهدُرُ الحشَرةُ جميعَ ذخائرِها، تلتهمُها الفأرةُ مُبتدئةً بالرأسِ.

إدمون ويلز،

موسُوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلّد الثاني.

149. الصّباحُ الذي يُغنّي

تستَيقِظُ الرّقم 24، المُعشّشةُ في باطِنِ غُصنٍ نحيفٍ للأُكاسيا كورنيجرا. تُميّزُ على طُولِ جانبِ الغُصينِ ثُقوباً صَغيرةً شبيهَةً بكُوى غايتُها تهويةُ الخلايا. تثقُبُ غشاءَ الفاصلِ الأخيرِ وتكتَشفُ قاعةً صالحةً لأن تكونَ حاضِنةً. لا تزالُ النّمالُ الأُخرى تغطُّ في النّومِ، فتخرُجُ الرّقم 24 للتجوّلِ قليلاً.

سُويقاتُ أوراقِ الكُورنيجرا المـوزّعـةُ تنقُلُ الرّحيقَ للكبارِ و«مطربانات صغيرة» من الدّقيقِ لليرقات. هذه الأغذيةُ تطفَحُ بالبروتينات والدّهُونَ المُلائمة لتغذيَةِ النّملِ في كافّةِ المراحِلِ العُمريّة. تُطقْطِقُ الجروفُ تحتَ وطأةِ أوائلِ ضرباتِ الأمواجِ الصّغيرةِ. والهواءُ مُعطّرٌ بروائِحَ لاذِعةٍ منثوليّةٍ وبقيّةِ أثرٍ مِسكيّ.

على الشّاطئ، شمسٌ آخذَةٌ بالاحمرارِ تُضِيءُ سطحَ النّهرِ حيثُ تتزحلقُ بقّاتُ الماء. غُصنٌ صَغيرٌ من خشبٍ ميّتٍ يكونُ بمثابة رصيفٍ للميناءِ. تتقدّمُ عليهِ الرّقم 24، وتميّزُ من خلالِ الماءِ الشفّافِ علقَاتٍ، ويرقاتِ بعُوضٍ على هيئَةِ عناقيدَ مُتراصّة.

تصعَدُ الرّقم 24 نحوَ شمالِ الجزيرةِ. ثمّةَ العديدُ مِن نباتِ عدَسِ الماءِ، مرجَةٌ من حُبيباتٍ خضراءَ مُكوّرةٍ تطفُو خللَها من حينٍ لآخرَ عينانِ جاحظتان لضِفدَعٍ فرنسيّ، يداعِبُ سفحَ الجُرفِ. في شرمٍ صغيرٍ، أبعدَ قليلاً، زنابقٌ بيضاءُ أرجُوانيّةُ الحوافِ تفتّحت عندَ السّابعةَ صباحاً لتُعاودَ الإطباقَ عصراً. لدى الزّنبقِ قوّة مُهدّئة لها شُهرتُها في عالَمِ الحشَراتِ. إلّا أنّهُ يحصُلُ أثناء فترةِ الشحّ أن يُؤكلَ جُذمورها الغنيُّ بالنّشاء.

الطّبيعَةُ تحسُبُ حسابَ كلّ شيء، قالت الرّقم 24 في سرّها. يكونُ الدّواءُ دوماً إلى جِوارِ الدّاءِ. فعندَ أطرافِ المياهِ الآسنة ينبُتُ الصّفصافُ البابليُّ الذي يحتَوي لِحاؤهُ على حمضِ السّاليسيليك («مُكوّنٌ أساسيٌّ للأسبرين») الذي يُعالجُ الأمراضَ التي تُلتقَطُ في هذه الأماكنِ المَوبوءة.

إنّ الجزيرةَ صغيرةٌ. إذ سُرعانَ ما أصبَحت الرّقم 24 على الضفّةِ الشّرقيّةِ. يتَزيّنُ المكانُ بنباتاتٍ برمائيّة تغوصُ سيقانُها في الماء. تتوافرُ نباتاتٌ من السّهميّة، البطباطِ والحوذانِ، التي تُضِيفُ لَمساتٍ بنفسَجيّةٍ وبيضاءَ إلى هذا الاخضِرارِ.

تحومُ فوقها أزواجٌ من اليعاسيبِ. يحاوِلُ كلُّ ذكرٍ أن يَصِلَ عُضويهِ التّناسُليّينِ بعضوي أُنثَى اليعسوبِ. لدَى الذّكرِ عُضوٌ تحتَ الصّدرِ وآخرٌ في شُدفَةِ نهايةِ البطنِ، أمّا الأُنثَى فلديها واحِدٌ خلفَ الرأسِ وآخَرٌ في

شُدفَة نهايةِ البطنِ. لكي يتمّ كلّ شيءٍ، يلزَمُ أن تَرابط الأعضاءُ التّناسُليّةُ الأربعة في الوقتِ عينِه، ممّا يَتطلّبُ بهلوانيّاتٍ مُعقّدةٍ.

تُواصِلُ الرّقم 24 جولتَها على الجزيرةِ.

في الجنوبِ، النّباتاتُ المُستَنقَعيّةُ مُتجذّرةٌ في الأرضِ. ثمّةَ قصَبٌ وأسَلٌ وسوسَنٌ ونعنَاع. بغتةً تظهَرُ عينانِ سوداوانِ بين عيدانِ الخيزُران. تنظُرُ إلى الرّقم 24. تتقدّمُ. إنّهما عينا سمندَرٍ هو أقربُ إلى الحرذونِ ثوبُهُ الأسوَدُ مُرقّط بالأصفَرِ والبُرتُقاليّ. رأسهُ دائريٌّ مُسطّحٌ، وتُغطي ظهرَهُ ثآليلُ رماديّةٌ، أواخرُ آثارِ أسنّة جدّه الدّيناصورِ. يقتَربُ الحيوانُ. حيواناتُ السّمندَرِ تتلذّذُ بطعمِ الحشَراتِ ولكن لفَرطِ بُطئِها مُعظمَ الأوقاتِ تفرُّ فرائسُها قبلَ أنْ يتسَنّى لها التِقاطُها. وبالتّالي، تنتَظِرُ المطرَ أن يطرحَها أرضاً لتَحصِدَها هي فيما بعد.

تعدُو الرّقم 24 إلى ملجَأ الأكاسيا.

إنذارٌ، صرَخَتْ باللُّغة الشّميّة، سمندَر، سمندَر!

تُصوّبُ البُطونُ من خلالِ كُوى الشّجَرةِ. وتَتدفّقُ منها رشقاتُ الحمضِ التي تصيبُ بسهُولَة الهدفَ عديمَ الرّشاقة. ولكنّ السّمندرَ لا يأبهُ تحتَ جلده الثّخين الدّاكنِ. النّمالُ اللّواتي اندَفعنَ نحوهُ لثقبِهِ بفكُوكِهن يسقُطنَ على الفورِ قتلَى المادّة السّائلة العُضويّة شديدَة السُّميّة التي تُغلّفهُ. كذلكَ يمكنُ لبَطيءٍ أحياناً أن يهزِمَ عجُولينَ.

السّمندَرُ، واثقاً من مناعَته، يقدّمُ بتأنٍ رِجلاً نحو غُصنٍ يعجُّ بالمدفَعيّاتِ. و... تخزهُ إحدى أشواك الأكاسيا كورنيجرا. ينزفُ، يتفحّصُ جرحهُ برعبٍ ثمّ يعودُ للتواري بين عيدان الأسَلِ. الثّابتُ هزَمَ البطيءَ.

جميع سكّان الشّجَرةِ يُهنئونَها كما لو كانت حيواناً تنطّحَ للدفاعِ عنهم من مُفتَرِسٍ. يُخلّصونها من آخرِ الطّفيليّاتِ المُتبقّيةِ على أغصانِها ويحقِنُونها ببضعةِ غراماتٍ منَ السّمادِ قُربَ جُذورِها.

مع ارتِفاعِ حرارةِ الصّباحِ، ينصَرِفُ الجميعُ إلى مشاغِلهم. تبدأ الأرَضَاتُ بثقبِ جزءٍ من خشَبةٍ حمَلها النّهرُ. يقومُ البعوضُ باستعراضِه الجنسيّ. كلُّ صِنفٍ يُنظّف القطّاعَ الذي اختارهُ. جزيرةُ الكورنيجرا تُقدّمُ لهم القُوتَ الذي يحتاجونهُ وتَعزِلهم عن المُفترِسين.

النّهرُ غنيّ بالأغذيةِ: نباتاتٌ شتّى من النّفلِ المائيّ الذي تعصرهُ النّمالُ لتحصَلَ على بيرة غنيّةٍ بالسكّرِ، إلى أُذنِ الفأرِ، وصولاً إلى الصّابونيات التي تُعقّمُ الجُروحَ، وقنّبِ الماءِ الذي تصطادُ إبرَهُ السّمَك الذي يُوفّرُ للصهباواتِ نوعاً جديداً من اللّحمِ.

تحتَ سحائبِ البعوضِ واليعاسيبِ، يبدأُ الجميعُ بالاستمتاعِ بهذه الحياة على الجزيرةِ بعيداً عن الالتزاماتِ المُتكرّرةِ للمُدنِ الكبيرةِ.

تُسمَعُ ضجّةٌ عنيفةٌ. خُنفُسا أيلٍ يبدآنِ بالعراكِ.

جُعَلان ضخمانِ مُدرّعانِ بملاقطَ وقُرونٍ مُسنّنة يدُورانِ حولَ بعضِهما بعضاً ثمّ يشتَبِكانِ بفكّيهما المُتعاظمينِ، كلاهُما يحاولُ رفعَ الآخرِ وإلقاءِه على ظهرِه. تصطَدمُ صفائحُ الكيتين، وتتواشَج القُرون. جولَةُ مُصارعةٍ. يُثارُ الكثيرُ من الغُبارِ والضّجيجِ. يرتَفِعان ويَستأنِفانِ الاشتِباكَ في السّماءِ.

المتفرّجاتُ في غايةِ السّرورِ لحضُورِهن هذه المُبارزةِ الأخّاذة. سُرعانَ ما أخذَت تُطقطِقُ فُكوكٌ بين الحُضورِ لأنّ لديهن، هنّ أيضاً، رغبةٌ بأن يضرِبنَ ويتَعاركنَ.

تدورُ جولَةُ المُصَارعة لصالحِ الأكثرِ بدانةً؛ يسقُطُ الآخرُ على ظهرِه، مُحرِّكاً قائمتَيه كما دوّاسَتي درّاجَةٍ في الهواءِ. يرفعُ خنفُسُ الأيلِ المُنتَصِرُ ملقطَيهِ الطّويلَينِ الجارحَين إلى السّماءِ كشارةِ نصرٍ.

ترى الرّقم 103 إشارةً في هذا الحدث. وتُدرِكُ بأنّ ساعات السّلام والسّكينَة على جزيرةِ الكورنيجرا وصلتْ إلى نهايتها. تُكْدِفُ الحيَوانَاتُ فاقدةً صبرها تُريدُ مُتابَعةَ الحَملة. إذا بقيتْ هُنا، فإنّ المُنافَسات الجِنسيّةَ، والعِراكَ، والمُشاحَنات ستُستأنَفُ، وستَطفُو على السّطح ثانيةً الصّراعاتُ القَديمةُ بين الأصنافِ. وتُفكُّ التّحالُفات. ستُعاوِدُ النّمالُ حربَها ضِدَّ الأَرَضَات، والنَّحلُ ضِدّ الذُّبابِ، والجِعْلانُ ضِدّ الجِعْلان.

يلزمُ توجِيهُ هذهِ الطّاقاتِ المُدمِّرةِ نحوَ هدَفٍ مُشترَك. ينبغي استئنافُ الحَملة. تُشاورُ في الأمرِ مَنْ على اليمينِ ومَنْ على اليسارِ. ويُتّخَذُ القرارُ بالمُغادَرةِ في صباحِ الغدّ عندَ بُزوغِ الدّفءِ.

اعتدنَ في المساءِ، وهنّ جالساتٌ مُستَرخياتٌ في صدرِ الحُجراتِ الطّبيعيّةِ، على التّحاورِ في شتّى الأُمورِ.

اليومَ، تقتَرِحُ نملةٌ بأنّهُ لكي تترُكَ الحَملةُ بصمَتها أن تُبدّلَ كلُّ واحدةٍ رقمَ بيضَتِها التي خرجَت منها باسمٍ، كما تفعلُ الملكاتُ.

اسم؟

لمَ لا...

أجل، دعُونا نُطلقُ أسماءَ على بعضِنا.

وعندئذ، ماذا ستُسمّونَني؟ سألت الرّقم 103.

يُقتَرَحُ بأن تُسمّى «التي تدُلّ»، أو «التي هزمَت الطّيرَ»، أو «التي تخافُ». لكنّها تعتبر بأنّ أكثرَ ما يُميّزُ تردّدَ موجَتِها، هما الشكّ

والفضولُ. جهلُها مصدَرُ فخرِها الأهمّ. تتمنّى لو تُسمّى «التي تشكّ».

أنا، أودُّ أنْ أُسمّى «التي تعلَم». لأنّني أعلَمُ أنّ الأصَابعَ آلهتُنا، أعلنَت الرّقم 23.

أنا، أريدُ أنْ أُدعَى «التي هي نملةٌ»، تُصِرُّ الرّقم 9، *لأنّني أقاتِلُ لأجل النّملِ ضدّ كلّ أعدائه.*

أنا، أُريدُ أنْ أُسمّى «التي...».

في الماضي كانت كلِمتَي «ذاتي» و «أنا» من المُحرّمات. فأن يمنَحن أنفُسهنّ أسماءً فهذا يعني في الواقعِ حاجَةً للاعتِرافِ بهنّ، ليسَ كجزءٍ مِن كُلّ، وإنّما كأفرادٍ مُستقلّينَ.

يعتَري الرّقم 103 حالة من الغضَبِ. ما يحَصلُ غيرُ طبيعيّ. تقِفُ على أربَعِ أرجُلٍ. وتطلُبُ الإقلاعَ عن هذهِ الفكرةِ.

تهيّأنَ، سنُغادرُ غداً باكراً. أبكرُ ما يمكنُ.

150. موسُوعة

أُروفيل: تُعدُّ مُغامرةُ أُروفيل (اختصار لكلمة أُرورفيل)، في الهند قُربَ بونديشيري، مِنَ الاختبارات الأكثَر أهميّةً لجَماعة إنسانيّة طُوباويّة. شرَعَ الفيلسُوفُ البنَغاليُّ، سري أوروبندو، والفيلسُوفَةُ الفرنسيّةُ، ميرا ألفاسا («الأم»)، في سنة 1968 يُنشآن فيها «القريَةَ المثاليّةَ». سوفَ يكونُ لها شكلُ مجرّةٍ لكي يشعّ كلُّ شيءٍ من مركَزها المُدوّرِ. كانا ينتَظِران أُناساً تأتيهما من جميعِ البُلدانِ. وأغلبُ من وفَدَ إليها كانَ من الأوربّيينَ الذين يبحَثونَ عن طُوباويةٍ مُطلقَةٍ.

أشادَ رجالٌ ونساءٌ فيها مضخات هوائيّة، مشاغلَ للحرف اليدويّة، شبكةَ قنواتٍ مائيّة، مركزاً معلوماتيّاً، ومصنَعَ آجُرّ. ورغمَ جفافِ تلكَ المنطقةِ أدخلوا زراعاتٍ جديدة. كتَبتِ الأمّ عدّةَ مُجلّداتٍ تَروي تجارِبَها الرّوحيّة. وجرى كلّ شيءٍ على أحسَنِ ما يُرام إلى أنْ قرّر أعضاءٌ مِنَ الجماعة تأليهَ الأمّ وهي لا تزالُ على قيدِ الحياة. في البدايةِ اعتذَرتْ عن هذا الشّرف. ولكن بما أنّ سري أوروبندو كانَ قدْ مات، ولم يعُد أحدٌ قويٌّ إلى جوارِها يدعمُها. لمْ تستَطِعِ المُقاوَمَةَ طويلاً أمامَ عُبّادها.

سدُّوا عليها داخلَ غُرفتِها بالجُدران وبما أنّ الأمّ كانت ترفُضُ أن تُصبِحَ إلهةً في حياتِها، قرّروا أن تُصبِحَ إلهةً ميّتةً. ربّما لم تَكُ تعي جوهَرها الإلهيّ غيرَ أنّ هذا لا يعني ألّا تكونَ إلهةً!

صورُ إطلالاتِ الأمّ الأخيرة تُظهِرها واهنَةَ القوى كما لو أنّها ترزَحُ تحتَ هولِ صدمةٍ. ولكن ما أن تحاولَ التكلّمَ عن سجنِها وعن المُعامَلة التي يُخضعُها إليها عُبّادُها، حتّى يُسكتها أولئك ويُعيدُونَها إلى غُرفَتِها. ورُويداً رُويداً أصبحت الأُمُّ سيّدةً عجوزاً مُغضّنةً جرّاء المِحَنِ التي فرضَها عليها يوماً إثر يوم أولئكَ الذينَ يدّعونَ عبادَتها.

رغمَ ذلكَ تنجَحُ الأُمُّ بإيصالِ رسالة على نحوٍ سرّي إلى أصدقاءِ الأمسِ: يُحاولونَ تسميمَها لكي يجعَلوا منها إلهةً ميّتةً، فتكون معبُودَةً سهلةَ المِراسِ. ظلّ نداءُ الاستغاثة بلا سميع. وسوفَ يُستبعَدُ من الجماعة على الفور جميعُ الذينَ واللواتي يُحاولونَ مُساعدةَ الأمّ. آخرُ وسيلةٍ للتواصُلِ: تعزفُ على الأرغن بين جُدرانِها الأربعة لتُعبّرَ عن مأساتِها.

بلا جدوى. وعلى الأرجح كانت ضحيّةَ جُرعةٍ كبيرةٍ مِنَ الزّرنيخ، ماتتِ الأُمّ في سَنةِ 1973. أقامَت لها مدينَةُ أوروفيل جنازةَ إلهةٍ.

إلّا أنَّ بغيابِها، لم يبقَ ما يجعَلُ المجموعةَ متماسكةً. انشقّت. وقامَ أعضاؤها ضدَّ بعضهم بعضاً. ناسينَ طوباويةَ العالَمِ المثاليّ، جرجَروا بعضهم أمامَ المحاكمِ وألقَت مُحاكَماتٌ عديدةٌ ظلالاً من الشكِّ على واحدةٍ من التجارُبِ الإنسانيّةِ الجماعيّةِ التي بقيت، ردحاً من الزمن، الأكثرَ طموحاً ونجاحاً.

إدمون ويلز،

موسوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلّد الثاني.

151. نيكُولا

قاتِلوا حتّى آخرِكم.

كان يعلَمُ بأنَّ الحَركةَ الرّبوبيّةَ مُلاحقةٌ بلا رحمةٍ من قِبلِ شلي-بو-ني، وبأنّها تجدُ صعُوبةً بانطلاقةٍ جديدةٍ. وليكونَ فعّالاً، ينبغي أن يُظهِرَ الإلهُ بعضَ المُرونةِ ليُكيّفَ كلامَهُ مع الحَدثِ الرّاهنِ.

كان نيكُولا ويلز قد استقرَّ أمامَ آلةِ التّرجَمة، مُستَغلاً نومَ جميع أفرادِ الجماعةِ التّحتِ أرضيّة. بحثَ عن الإلهامِ، للحظَةِ، ثمّ بدأ يُطقْطِقُ على لوحةِ المفاتيحِ مثل موزارت وهو فتىً يعزِف في الصّالونات. إلّا أنّهُ لم يكن يصدِرُ مُوسيقى، وإنّما سمفُونيّاتٍ من العُطورِ عليها أن تُحوّلَهُ إلى إلهٍ.

قاتلوا حتّى آخرِكم.

أطلِقوا مهمّاتٍ لجمعِ القرابين، مهما كلّفَ الثّمن.

لأنّكم لم تُطعِمُونا بما يكفي، تذوقُونَ الآنَ طعمَ الألمِ والموت.

بإمكانِ الأَصابعِ كلّ شيء لأنّ الأَصابعَ آلهةٌ.
بإمكانِ الأَصابعِ كلّ شيء لأنّ الأَصابعَ ضِخامٌ.
بإمكانِ الأَصابعِ كلّ شيء لأنّ الأَصابعَ ذوو سُلطانٍ.

إنّها الحقيـ...

- نيكُولا، أنتَ مُستيقظٌ، ماذا تفعلُ؟ ألستَ نائماً؟

كان جُوناثان ويلز يتقدّمُ خلفَهُ وهو يفرِكُ جفنَيه مُتثائباً.

حالةُ هلَعٍ. أرادَ نيكُولا ويلز أن يُطفِئ الآلَةَ لكنّهُ أخطأ بالمفتاحِ. وعوضاً عن قَطعِ التّيارِ الكهربائيّ، رفعَ الكثافةَ الضّوئيّةَ للشاشَةِ.

لم يَلزم جُوناثان أكثرَ من نظرةٍ ليحزِرَ الأمرَ برُمّتهِ. لم يتسنّ لهُ سوى قراءةِ الجملةِ الأخيرةِ لكنّهُ فهِمَ كلَّ شيءٍ. كان ولدهُ يتمثّلُ دورَ إلهِ النّمالِ ليفرِضَ عليها إطعامهم.

جحَظَت عينا جُوناثان. بلحظَةٍ، استَنتجَ تبِعاتِ هذه الحيلةِ.

جعلَ نِيكُولا منَ النّمالِ مُتديّنات.

بقي بُرهةً في حالةِ وجومٍ لفَرطِ دهشَتهِ بهذا الاكتِشافِ. لم يعرِف نِيكُولا كيف سيَتصرّفُ. اندفَعَ نحو أبيهِ.

- يجبُ أن تفهمَ أبي، قُمتُ بذلكَ لإنقاذِنا، لكي يطعِمونا...

كان جُوناثان ويلز مذهُولاً.

تلَعثَمَ نِيكُولا:

- أردتُ أن أُعلّمَ النّمالَ عبادَتنا. بعد كلّ حِسابٍ، نحنُ هنا في

الأسفَلِ بسببِها، وعليها هي أن تُخرِجنا من هذا المكانِ. وها هي قد أقلَعَت عن جلبِ الطّعامِ لنا، وتخلّت عنّا، وكدنا أن نموتَ من الجُوعِ. كانَ على أحدٍ أن يُبادِرَ إلى التصرّفِ ويفعَلَ شيئاً. فإذاً بحثتُ ووجَدتُ الحلَّ. نحنُ أذكى من النّمالِ ألف مرّةٍ، أقوى ألف مرّةٍ، أكبرُ ألف مرّةٍ. أيُّ رجُلٍ هو عِملاقٌ بالنّسبَة لتلكَ الدّويباتِ. إذا ظنّوا أنّنا آلهة، لن يتخَلوا عنّا. لذا شكّلتُ نمالاً ربُوبيّاتٍ وإذا كنتم حتّى الآن تأكُلونَ القليلَ من العُسيلِ والفطرِ فالفضلُ لي. أنا، نيكُولا، في عمرِ الثّانيةَ عشرةَ، أنقذتُكم، أنتم، الكبارَ، الذينَ تظنّونَ أنفُسَكم حشَرات!

لم يتردّد جُوناثان ويلز. صفعَتانِ مُدوّيتانِ طَبعت خمسَ أصَابعَ حمراء على وجنتَي ولدِه.

أيقظَ الصوتُ الآخرينَ. وبرفّةِ عينٍ التقَطَ الجميعُ فحوَى الأمرِ.

- نيكُولا! ...، صرَخَت الجدّةُ أوغستا، مُندَهشةً.

انفَجرَ نيكُولا بالبُكاءِ. لا يفهمُ الكبارُ شيئاً قط. تحوّلَ الإلهُ الانتقاميُّ، تحتَ نظَراتِ والِديهِ البارِدةِ، إلى طفلٍ بكّاء.

رفعَ جُوناثان يده ثانيةً لمعاقبَته. إلّا أنّ زوجتَهُ حالتْ دونَ ذلكَ:

- لا. لا تجلبِ العُنفَ إلى هذا المكانِ. يكفي ما لدينا من صُعوباتٍ لطردهِ من هُنا! لكنّ جُوناثان كان قد فقدَ صوَابهُ.

- أفرَطَ باستخدام سُلطته كإنسانٍ. أدخَلَ فكرةَ «الإله» إلى حضارةِ النّملة! من بوسعهِ توَقّعُ نتائج فعلٍ كهذا؟ الحروبُ الدينيّةُ، محاكِمُ التّفتيشِ، التعصّبُ، وعدمُ تقبّلِ الآخرِ... وكلُّ هذا بسببِ ابني.

نصحَت لوسي بالتّسامحِ:

- إنّهُ خطأُنا جميعاً.

- كيفَ بوسعِنا تصويبُ خطأ فاحِشٍ كهذا؟ تنهّدَ جُوناثان. لا أرى أيَّ حلّ.

أخذَت زوجها من كتِفيه.

- بلى. ثمّةَ حلٌّ من الآن أراهُ واضِحاً في ذهني. تكلّم مع ولدِكَ.

152. ولادَةُ جماعةِ الكورنيجرا الحُرّة (ج ك ح)

الفجرُ. عندَ هذا الصّبحِ أيضاً تتأمّلُ الرّقم 24 الأفقَ الضّبابيّ.

انهضِي أيتها الشّمسُ.

أطاعتَها الشّمسُ.

بمفرَدِها عندَ نهايةِ غُصنٍ، تنظُرُ الرّقم 24 إلى جمالِ العالَم وتفكّرُ. إذا كان للآلهةِ وجودٌ فهم ليسوا في حاجةٍ لأن يتَجسّدوا **بالأصَابِع**. وهم في غِنَى عن التحوّلِ إلى حيواناتٍ عملاقةٍ ووحشيّة. فَهُم هُنا. في هذهِ السّكاكرِ الحلوةِ التي أفرزَتها الشّجرةُ لتجتَذبَ النّمالَ. في الدّروعِ البرّاقةِ للجعْلان. في نظامِ التّبريدِ داخلَ عُشّ الأرَضَة. في جمالِ النّهرِ وفي عِطرِ الزُّهورِ، في شذُوذِ البقّ وفي الثّراءِ اللّونيّ لأجنحَةِ فراشَة، في العُسَيلِ اللّذيذِ للأرَقَةِ وفي سُمّ النّحلِ القاتل. في الجبالِ المُتعرّجةِ والنَّهرِ السّاكنِ، في المَطَرِ الذي يقتلُ والشّمسِ التي تُنعشُ!

إنّها مثلُ الرّقم 23، تقبلُ بأنْ تُصدّقَ أنَّ ثمّةَ قوّةً متفوّقَةً تحكُمُ العالَمَ. لكنّ هذهِ القوّة، وهذا ما فهمتهُ للتوّ، هي في جميعِ الأرجاءِ وفي كُلّ الأشياء. لا يقتصِرُ تجسيدُها على **الأصَابعِ** فقط!

هي إلهةٌ، والرّقم 23 إلهةٌ والأصَابعُ آلهةٌ. لا داعي للبحثِ أبعَد. كلُّ شيءٍ هنا في مُتناولِ القرنَينِ والفكّين.

تتذكّرُ ملحمةً نمليّةً روتها لها الرّقم 103. الآن فقط فهمتْ مغزاها تماماً. *ما هي اللّحظةُ الفُضْلَى؟ الآن! ما هو أفضلُ ما ينبغي القيامُ بهِ؟ أن نشتغلَ على ما هو أمامنا! ما هو سرُّ السّعادةِ؟ السّيرُ على الأرضِ!*

استَقامَتْ.

أيّتها الشّمسُ، ارتفعِي أكثرَ بعدُ وصيري بيضاء!

لمرّة أُخرى الشّمسُ، المُطيعةُ، تستَجيبُ.

تمشي الرّقم 24 وتُفلتُ شرنقتها. لم يعُد لديها ما تبحَثُ عنهُ. فهمت كلّ شيء. ما من حاجَةٍ تستَدعي الاستمرارَ في الحَملة. طُوالَ حياتها وهي تتوهُ لأنّها لم تكن تجدُ مكانَها. هي الآن تعلَمُ أنّ مكانَها هنا. وما ينبغي فعلهُ، تأهيلُ هذهِ الجزيرة، وطموحُها الوحيدُ هو الاستمتاعُ بكلّ لحظةٍ من الحياةِ كما لو أنّها هديّةٌ إعجازيّةٌ.

لم تعُدْ تخافُ الوحدةَ. ولمْ تعُدْ تخافُ الآخرين. حينَ تكونُ في مكانِكَ المُناسب لا شيء يُخيفكَ.

تركضُ الرّقم 24 باحثةً عن الرّقم 103.

تجدُها تُرمّمُ قوارِبَ أذْنِ الفأرِ بلُعابِها.

تلامُسٌ قرنيٌّ.

تُسلّمُها الشّرنقَةَ.

لن أعودَ إلى حملِ هذا الكنزِ. عليكِ أن تحمليه بمفردك. أنا باقيةٌ هنا. لم يعُدْ لديَّ ما أبرّرهُ، سئمتُ أن أقاتلَ، وسئمتُ أن أتوهَ.

وقعُ الكلام جعَلَ قرونَ النّمالِ الحاضِرات تنتصِبُ من هولِ المُفاجأةِ. تأخذُ الرّقم 103، في حالةٍ من الذّهولِ، شرنَقةَ الفراشةِ.

تسألُها ما الذي يحصلُ.

تلامسَت الحشَرتان بطرفَي قرنيهِما.

سأبقَى هنا، كرّرتِ الرّقم 24. *سأُشيِّدُ مدينةً هنا.*

ولكن لديكِ بيل-او-كان، عُشّ مسقَطِ راسكِ!

تعترفُ النّملةُ الفتيّةُ عن طيبِ خاطرٍ بأنّ بيل-أو-كان فيدراليّةٌ كبيرةٌ وقويّة. إلّا أنّ المُنافسات بين المُدنِ النّمليّة لَمْ تعُدْ تعنيها. سئمت منَ الطّبقاتِ التي تفرِضُ على كُلّ واحدةٍ دوراً منذُ الولادةِ. تريدُ أنَ تحيا بعيداً عنها وبعيداً عن الأصَابعِ. البدايةُ من لحظَةِ الصّفرِ في كلّ شيءٍ.

لكنّكِ ستكونينَ وحيدةً!

إذا أرادت أخرياتٌ البقاءَ أيضاً على الجزيرةِ، سيكونُ مرحّباً بهنّ.

تدنُو إحدى الصّهباواتِ. هي أيضاً قد أصابتها الحملةُ بالسأم. ليسَ لديها شيءٌ ضِدّ الأصَابعِ ولا معهم. إنّها لا تكترِثُ بهم. تُبدي ستٌّ أُخرياتٌ آراءهنّ. هنَّ أيضاً يرفضنَ مُغادرةَ الجزيرةِ.

تقرّرُ نحلتانِ وأَرَضَتانِ بدورِهما التّخلي عن الحَملةِ.

لن تُبقَيَ الضّفادِعُ واحدةً منكنّ، حذّرتهنَّ الرّقم 9.

لا يكترِثنَ لكلامِها، فالأكاسيا كورنيجرا ستحميهنَّ بأشواكِها من المُفترسينَ.

ينتَقلُ خنفُسٌ وذُبابةٌ إلى فريقِ الرّقم 24. ثمّ عشرُ نِمالٍ أيضاً، يتبعهنّ خمسُ نحلاتٍ وخمسُ أَرَضَاتٍ.

كيفَ يمكنُ الإمساكُ بهنّ؟

تُعلنُ إحدَى الصّهباواتِ بأنّها ربُوبيّةٌ ومع ذلكَ ترغبُ أيضاً بأن تعيشَ هنا. تُجيبُ الرّقم 24، بما يخصُّ الأصَابِعَ، ليسَ لدى جماعتِهنّ شيءٌ ضدَّ الرُّبُوبيّاتِ ولا معهنّ. في الجزيرةِ، كلٌّ سيفكرُ كما يحلُو لهُ.

سيفكّرُ...، ارتَعدتْ الرّقم 103.

لأوّلِ مرّةٍ تؤسّسُ حيواناتٌ جماعةً طوباويّةً. تُطلقُ عليها اسماً فيرومونياً «مَدينةُ الكورنيجرا» وتبدأُ بالاستقرارِ داخلَ الشّجرة. النحلاتُ التي تمتَلكُ قليلاً من الهُلامِ الملكيّ المُشبَع بالهرمُونات تُحوّلُ من يُريدونَ من عديمي جنسٍ إلى جنسيّينَ. هكذا، سيكونُ ثمّةَ ملكاتٌ وستتمكّنُ الجماعَةُ من الاستمرارِ.

تبقَى الرّقم 103 جامدةً لبرهة، مُتفاجِئةً بهذا القرارِ. ثمّ تُعيدُ تفعيلَ قرنَيها وتطلُبُ تجمّعَ كافّةِ الذينَ يُريدونَ مواصَلةَ الحَملةِ.

153. موسُوعة

تواصُلٌ بينَ الأشجارِ: تقدّمُ بعضُ أشجارِ الأكاسيا الأفريقيّة خصائصَ مُدهِشةً. إذ تحوّلُ مكوّناتَ نُسغِها الكيميائيّة، في الموضعِ الذي تريدُ أنْ ترعَى منهُ غزالة أو عنزة، بحيث تجعَله سُمّياً. حينَ يكتَشفُ الحَيوانُ بأنّ طعمَ الشّجرةِ لم يعُد هو ذاتُه، يمضي ليقضمَ غيرها. إلّا أنّ الأكاسيا بوسعِها بثُّ عطرٍ تلتقطهُ أشجارُ الأكاسيا المُجاورة لها والذي يُنذرها على الفورِ بوجودِ المُفترِسِ. وببضعِ دقائقَ، تصبحُ جميعُها غيرَ صالحة للأكلِ. فتبتعدُ أكلةُ الأعشابِ عنها، باحثةً عن أكاسيا بعيدة جدّاً عن أن تكونَ قدْ التقَطت الرّسالةَ التحذيريّةَ.

إلّا أنّ تقنّياتِ التربيّةِ على شكلِ قُطعانٍ تجمعُ في مكانٍ مُغلقٍ قطيعَ الماعزِ

ومجموعةَ الأكاسيا. مُحصّلةُ ذلكَ: بعدَ أن تُنذرَ أوّلُ أكاسيا مصابةً جميعَ الأشجارِ الأُخرى، لا يبقى حلٌّ أمامَ الدّوابِ سوى أنْ ترعَى الأشجارَ السامّةَ. على هذا النّحوِ ماتَ عديدٌ من القُطعانِ مُسمّمةً لأسبابٍ طالَ الوقتُ بالإنسانِ لفهمِها.

إدمون ويلز،

موسُوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلّد الثاني.

154. خُطوتان تفصلانِ عن حافّةِ العالَمِ

عندَ مُنتصَفِ الظّهيرةِ. بينما تتابعُ الرّائداتُ تجهيزَ إقامَتهنّ في جزيرةِ الكورنيجرا، تُسلّحُ الرّقم 103 مراكبَ أُذْنِ الفأرِ. تستقرُّ جُنديّاتُ الحَملةِ على متنِها وتتمسّكُ بزَغبِ الأوراقِ.

تنطلقُ ذُباباتٌ بمهمّةِ مُستَطلعاتٍ لتتفحّصَ الضّفةَ الأُخرى التي سيرسُونَ على حافّتِها. تُكلّفُ الذّباباتُ بالعثُورِ على أنسبِ نُقطةِ رُسوٍّ، أو بالأحرى على الأقلّ خطورةً.

تُغادرُ كافّةُ القواربِ أرصِفتَها. أفرادُ جماعةِ الكورنيجرا يرافقُونَ القواربَ إلى الماءِ ويساعِدون بدفعِها إلى النّهرِ. تنتَصبُ القُرونُ مُتبادلةً فيرومُوناتِ التّشجيعِ. لا يمكنُ معرفةُ أيّهما الأصعَبُ: اختراعُ مجتَمعٍ حُرٍّ على جزيرةٍ خاويةٍ أم صراعُ وحُوشِ ما وراءَ العالَم. كلا الفريقينِ يتمنّى المُثابرةَ للآخرِ. مهما حدَث، لا ينبغي التّخلّي عن الهدَفِ المرسُومِ.

تبتَعدُ القواربُ عن الشّاطئِ، الملّاحونَ المُتشبّثُونَ بأوراقِ أُذْنِ الفأرِ تنظُرُ إلى أوثانِ الطّينِ المصنوعةِ من قبلِ الرُّبُوبيّاتِ وهي تصغُرُ شيئاً فشيئاً. يتقدّمُ الأسطولُ الصّغيرُ على شكلِ رتلٍ.

الزّوارقُ الهشّةُ المدفُوعةُ من قبلِ العُوَمِ المُجدِّفة تمخُرُ مسرِعةً عُبابَ النّهرِ. تعلُو الجِعْلانُ فوقَهمُ لتردَّ الطّيورَ التي تودُّ الاقترابَ من القافلةِ العائِمة.

تمضِي الحَملةُ قُدُماً، إلى الأمامِ دوماً. يتصاعَدُ في الهواءِ الدّافئِ غناءٌ فيورمُونيٌّ حربيّ.

هُمْ ضِخامٌ، هُمْ هُنا،

لنُهلِكَ الأصَابِعَ، لنُهلِكَ الأصَابِعَ.

يُلهِبونَ النّارَ في المخازن،

***لنُهلِكَ الأصَابِعَ،** سنقدر عليهم!*

يَنْسِبُونَ مُدنَنا،

لنُهلِكَ الأصَابِعَ، لنُهلِكَ الأصَابِعَ.

يخوزقونَ الدّيدانَ الصّغيرةَ،

***لنُهلِكَ الأصَابِعَ،** ستتغلّبُ عليهم!*

هُم لا يرحمُوننا،

فلنُهلِكَ الأصَابِعَ، لنُهلِكَ الأصَابِعَ.

تظهرُ، من حينٍ لآخر، أطرافُ زعانِفَ ظهريّةٍ لأسماكِ البَرعان[56]،

56- بَرعان: نوع من السمك من فصيلة الشبابيط يعيش في المياه العذبة.

التّروتة[57]، والسلّور[58]. ولكنّ وحيدي القرنِ هنا أيضاً في حالة من التأهبِ. ولن يتردّدُوا، إذا ما هدّدَت إحدَى هذهِ الوحُوشُ المائيّةُ أيَّ مركبٍ، بأن يغرِزُوا رماحَهم الجبْهويّةَ بين حراشفها.

تعُودُ الذّباباتُ المُستَطلعاتُ، مُنهكةً، وتحطُّ على الأوراقِ كما لو على حاملاتِ طائرات. عثَروا، ليسَ على حافّة العالَم بالقُربِ من الضّفّة فحسب، وإنّما أيضاً على قوسٍ حجَريّ ليجتزنَ النَّهرَ إلى الضفّةِ الأُخرَى. حظٌّ غيرُ متوقّعٍ!

لا حاجَة لحفرِ نفَقٍ! الرّقم 103 في غايةِ السّرورِ.

أين هو هذا الجسرُ؟

أبعَدُ قليلاً من ناحيةِ الشّمالِ. يكفي الصّعودُ بعكسِ التّيارِ.

ترتَعدُ جُنديّاتُ الحَملة: نهايةُ العالم باتَت قريبةً جدّاً.

وصلَ الأسطولُ إلى الضّفةِ المُقابلَةِ دونَ خساراتٍ تُذكر. ابتلَعَ سمَندَلٌ مائيٌّ قارباً واحداً فقط. وهذا من مخاطرِ السّفَرِ!

يتمُّ التجمّعُ كلّ بحسبِ فيلقهِ وصنفهِ. إلى الأمام!

صدَقتْ الذُّباباتُ!

يالَ إثـارةِ الذين لم يلمَحوا نهايةَ العالم قبلَ الآن! إنّـهُ هنا هذا الشّريطُ الأسوَد الذي تحُومُ حولهُ الأسرارُ والخُرافات. كُتلٌ تسيرُ عليه بسرعَة هائلة، داخلَ هالةِ غُبارٍ تفُوحُ منها رائحةٌ كريهةٌ من الدّخانِ والهيدرُوكربون. قوّةُ اهتزازاتِها مجهُولةٌ. ما عادَ ثمّةَ من شيءٍ طبيعيّ.

57- تْروتة: سمكة نهريّة تشبه السلمون، لذيذة الطعم.

58- سلّور: من الأسماك النهريّة.

بما يخصُّ الرّقم 103 فإنّ هذه الكُتلُ الدّاكنةُ التي تندَفِعُ نحوَهم هم حُرّاسُ نهايةِ العالمِ. وتُفكّرُ أيضاً أنّهم إحدى تحوّلاتِ **الأصَابِعِ**.

إذاً، لنهجَمَ عليهم! قالت إحدى جُنديّاتِ الأَرَضَة.

لا، ليسَ هؤلاء وليسَ هنا.

تعتَبرُ الرّقم 103 أنّ الشّريطَ الأسودَ يمنَحُ **الأصَابِعَ** قوّةً هائلةً. يُستَحسَنُ مُحاربَتُهم على ميدانٍ أقلّ خطورةً. في الجهَةِ الأُخرى من نهايَةِ العالمِ، بالأحرى في الجهَةِ الأُخرى من الجسرِ، هناكَ ستكُونُ هزيمَتهم أسهلَ.

ثمّةَ في كُلّ جيشٍ عنيدُونَ متهوّرون. تُريدُ أَرَضَةٌ أن تتأكّدَ. فتتقدّمُ على الشّريطِ الأسوَدِ ومباشرة تتفلطَحُ مثلَ ورقةٍ. هكذا هي الحشَراتُ. ينبغي أن تُجرّبَ قبل أن تقتَنعَ بأيّ شيءٍ.

بعدَ هذهِ الحادثَةِ، تتبَعُ الحَملةُ الرّقم 103 على الجسرِ وتتّجهُ بخطَواتٍ قصيرةٍ صوبَ الإقليمِ المجهُولِ الكبيرِ حيثُ ترعى قُطعانُ **الأصَابِعِ**.

155. وجهٌ معرُوفٌ

كان ثمّةَ امرأةٌ تُصوّبُ سِلاحَها نحوَهُما ولا يظهرُ من الفُتحَةِ السّقفيّةِ سِوى جذعِها وبندقيّتِها. حينَ تسلّقت بضعَ درَجاتٍ أعلى لتُواجهَهما، بحثَ جاك مِيليَس بأقصَى ما يستَطيعُ داخِلَ تلافيفِ دماغه: «أعرفُ هذا الوَجه.»

كما حالهُ كان لدى ليتيسيا ويلز اسمٌ على طرفِ لسانِها دون أن تُفلِحَ بعدُ بلفظِهِ.

- ارم مسدّسَكَ أيها السّيّدُ! (رمى مِيليَس مُسدّسَهُ عندَ قدَميه.) أُجلُسا على هذينِ الكُرسيّينِ.

هذهِ النّبرةُ، هذا الصّوتُ...

- نحنُ لسنا لصوصاً، علّقت ليتيسيا. حتّى أنّ رفيقي...

قاطَعها المُفوّضُ على الفورِ:

- ... منَ الجِوارِ. أسكُنُ في هذا الحيّ.

- لا يهمُّ! ردّتِ الأُخرى، التي انهمكت بشدٍّ وثاقِهما على الكُرسيّين بأسلاكٍ كهربائيّةٍ.

- حسناً، يمكننا الآن أن نتكلّمَ بشُروطٍ أفضلَ.

«ولكن من هذهِ؟»

- ماذا تفعلُ في منزِلي حضرةَ المُفوّضِ مِيليَس، وأنتِ ليتيسيا ويلز صحفيّةُ *الايكو دو ديمانش*؟ وأكثرُ من ذلكَ سويّةً. دائماً كنتُ أظنّ أنّكما أنتما الاثنان تكرَهانِ بعضكما بعضاً. هي أهانتكَ في الصّحافَةِ، وأنتَ أرسلتَها إلى السّجنِ! والآن أنتما هُنا معاً، كلصّينِ مُتواطِئين، في شقّتي، عندَ مُنتَصَفِ اللّيل.

- لا يتَعدّى الأمرُ...

تُقاطَعُ ليتيسيا مُجدّداً.

- أنا أعرفُ بالضبط أيّةُ ريحٍ طيبةٍ حملتكُما إليّ، هيّا اعترِفا! لا أعلَمُ بعدُ بأيّة وسيلةٍ لكنّكما لحقتُما بِمالي.

نادى صوتٌ منَ الأسفلِ:

- ماذا يحصُلُ حبيبتي؟ مع من تتكلّمِينَ في العُليّة؟

- مع أشخاصٍ غيرِ مرغُوبٍ بهم في منزِلنا.

رأسٌ آخرٌ، جسَدٌ آخرٌ ارتَفعَ من الفُتحةِ السّقفيّة. «هو لا أعرِفهُ.»

كان قد ظهرَ سيّدٌ ذو لحيةٍ بيضاءَ طويلة، يرتَدي قميصاً رماديَّ اللّونِ بمُربّعاتٍ حمراء. بدا يُشبِهُ بابا نويل، بيدَ أنّهُ بابا نويل هرِمٌ ومُنهكُ القِوى.

- أقدّمُ لكَ السيّد ميليَس والآنسة ويلز. أوصَلا صديقاتِنا الصّغيراتِ إلى هنا. كيف؟ سيُخبرانِنا الآن.

بدَتْ الصّدمةُ على وجهِ بابا نويل.

- لكنّهما مشهُورانِ. هو كشُرطيّ، وهي كصَحفيّة! لا يُمكنكِ قتلَهما، لا ليسَ هُما. بالمناسبةِ لا يمكننا الاستمرارُ بالقتلِ...

سألتِ المرأةُ بجفاءٍ:

- أتريدُ أن نتخلّى، آرتور؟ أتريدُ أن نصرفَ نظرَنا عن كلّ شيءٍ؟

- بلى، قال آرتور.

برجاءٍ تقريباً:

- ولكن إذا تخلّينا، من سيُتابِعُ مهمّتنا؟ ما من أحدٍ، لا أحد...

أخذَ الرّجلُ ذو اللّحيّةِ البيضاءِ يُلوّي أصَابعهُ.

- إذا هما اكتَشَفانا، فهذا يعني أنَّ آخرينَ أيضاً سيكتَشفُوننا. والنتيجَةُ، قتلٌ وراءَ قتلٍ! بأيّةِ حالٍ، لن ننتَهي يوماً من مهمّتنا. فأوّلُ ما نقضي على واحدٍ منهُم يظهر عشرة جُدد. سئِمتُ هذا العُنفَ كلّهُ.

«البابا نويل لم أرهُ من قبل. لكن هي، هي...» لم تكن ليتيسيا تتمكّنُ، مأخُوذةً بازدحامِ رأسِها، من مُتابَعةِ ذاكَ الحديثِ رغمَ أنّهُ يدورُ حولَ حياتينِ على حافّةِ الخطرِ.

مسحَ آرتور جبينهُ بظاهرِ يدهِ المُغطّى ببقَعٍ داكنة. لقد أنهكهُ الجدالُ. بحثَ عن شيءٍ يتمسّكُ بهِ فلم يجد، فسقَطَ أرضاً، مُغميً عليهِ.

نظَرتِ المرأةُ إلى الشّابّينِ بصمتٍ، ثمّ فكّت وثاقهما. دلّكا، تلقائيّاً، كاحِليهما ومعصَميهما.

- يُفضّلُ أن تساعِداني على حملهِ إلى سريرنا، قالَت.

- ماذا حصلَ لهُ؟ استفسَرت ليتيسيا.

- وعكةٌ. باتت أكثرَ تواتراً هذهِ الأيّام. زوجي مريضٌ، مريضٌ جدّاً. لم يبقَ أمامهُ وقتٌ طويلٌ ليعيشَهُ. ولأنّهُ شعرَ باقترابِ موتهِ اندفَعَ في هذهِ المُغامرةِ بكلّ قِواه.

- سبقَ وكنتُ طبيبةً، قالت ليتيسيا. هل تُريدينَ أن أعاينَهُ؟ ربّما أستَطيعُ تخفيفَ آلامهِ.

برطَمتِ المرأةُ بحزنٍ.

- لا داعٍ. أعرِفُ تماماً ممّ يُعاني. ينتَشرُ فيهِ السّرطان.

برفقٍ، يضعونهُ على غِطاءِ السّريرِ. أخذَتْ زوجَةُ المريضِ حقنةً تحوي على مزيجٍ من المُسكّناتِ والمُورفين.

- الآن، لندَعْهُ يرتاحُ. إنّهُ بحاجَةٍ إلى النّومِ ليستردّ بعضَ عافيتهِ.

رمَقها جاك ميليَس مُطوّلاً.

- تذكّرتُ، عرَفتُكِ.

في اللّحظَةِ ذاتِها، تفعّلت الإشارةُ نفسها في دِماغِ ليتيسيا ويلز. طبعاً، هي أيضاً عرفَتْ تلكَ المرأةَ!

156. موسُوعة

تزامُن: أُجريتْ تجرِبةٌ علميّةٌ سنةَ 1901 في عدّةِ بلدانٍ في آنٍ واحدٍ. برهَنتْ بما يخصُّ سِلسلةً مُعيّنةً منَ اختِباراتِ الذّكاءِ، أنّ الفئرانَ تستحقّ علامة 6 من 20.

استُأنفَت هذهِ التّجارِبُ سنةَ 1965، في البُلدانِ ذاتِها وأجريت نفسُ الاختِباراتِ تماماً، منَحت التّجربةُ للفئرانِ علامةً بمعدّلِ 8 من 20.

لم تكن للمناطِقِ الجُغرافيّةِ علاقةٌ مع هذهِ الظّاهرة. الفئرانُ الأوربيّةُ لم تكن أكثر ذكاءً أو أقلّ من الفئرانِ الأمريكيّة، أو الإفريقيّة، أو الأُستراليّةِ أو الآسيويّة. فئرانُ 1965 جميعُها حصَلت، في كافّةِ القارّاتِ، على علامةٍ أفضَلَ من أسلافِها، فئرانُ 1901. لقد تطوّرت في أنحاءِ الأرضِ كافّة. كما لو أن ثمّةَ ذكاءُ «فأر» كونيّ تحسّنَ على مرّ السّنينِ.

عندَ البشرِ، لوحِظَ أنّ بعضَ الاكتِشافاتِ تطوّرت في الوقتِ عينه في الصّينِ، والهند، وأوربا: النّار، البارودُ، النّسيجُ، مثلاً. إلى آيامنا هذه، تحصَلُ في الوقتِ نفسهِ ابتكارات في عدّة نُقاطٍ من الكوكبِ الأرضيّ في فتَراتٍ زمنيّةٍ مُتقاربة.

كلّ شيءٍ يدفعُنا إلى التفكيرِ بأنّ بعضَ الأفكارِ تطفُو في الهواءِ، أبعد من البيئَةِ المحليّة، وبأنّ الذين وُهِبوا قُدرةَ التقاطِها يُساهِمونَ في تحسينِ مُستوى العلمِ الشّاملِ للنَوعِ.

إدمون ويلز،

موسُوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلد الثاني.

157. ما وراءَ العالم

تتقدّمُ الحَملةُ مُتسلّقَةً طُرقاً وَعِرةً عبرَ صخورٍ شديدَة الانحدار. في الجهةِ الأُخرى للجسرِ، ترتَفعُ نحو السّماءِ أبنيةٌ مكعّبةٌ عاليةٌ. تبدُو للناظرِ بلا جُذورٍ. تتجمّدُ النّمالُ وهي تتمعّنُ بهذه السّلاسلِ من الجِبالِ التّامّةِ التّكوينِ الشّاهقَة قاسيَةِ الانحدَارِ: هل هذه أعشاشُ **الأصَابعِ**؟

إنّهم في بلَدِ الجهَةِ الأُخرى لحافةِ العالَم. إقليمُ **الأصَابعِ!** يغمُرهُن إحساسٌ أقوَى من كُلّ الأحاسيسِ التي عرفنَها إلى الآن، رُغمَ أنّها عديدةٌ وقويّةٌ.

إنّها هنا، أعشاشُ **الأصَابعِ!** ضخمَةٌ، عملاقةٌ، أكثرُ سَمْكاً وعلوّاً بألفِ مرّةٍ من أقدَمِ أشجارِ الغابَةِ المُعمّرة! ظِلالُها البارِدَةُ تمتَدُّ لعدّةِ آلافِ خُطوَةٍ. تُشيّدُ **الأصَابعُ** لنفسِها أعشاشاً بأحجامٍ مُفرِطةٍ. الطّبيعَةُ بمفردِها لا تجودُ بمثلِها.

تتسمّرُ الرّقم 103 في مكانِها. هذه المرّةُ استَمدّتِ الشّجاعةَ من داخلِها للمُتابَعة، لاجتيازِ حافّةِ العالَم، للذَهابِ ما وراءَ المُمكنِ. هي الآنَ في المكانِ الآخرِ هذا الذي يسكُنُها منذُ زمنٍ طويلٍ: خارِجَ أيّةِ حضارةٍ.

ومن ورائِها، حشَراتٌ أُخرى تُحرّك نهاياتِ قُرونِها على نحوٍ مُرتاب.

تبقَى جُنديّاتُ الحَملة واجِماتٍ ردحاً من الزّمنِ، جامدات، مُنذَهلاتٍ أمامَ هذا القَدْرِ من القوّة. تسْجُدُ الرُّبُوبيّاتُ. تَتساءَلُ الأُخَرياتُ حولَ هذا العالَمِ المُختَلفِ إلى هذا الحدّ، بخُطوطِه المُستقيمةِ وأحجامِه اللانِهائيّة.

تتجمّعُ الجُنديّاتُ وتُحصِي بعضَها. إنهنّ ثمانُمائة في البلَد العدوّ، ولكن كيفَ السّبيلُ إلى قتلِ الأصَابِعِ الذينَ يتَحصّنُونَ داخلَ قِلاعٍ كهذه؟ ينبَغي الانقضاضُ على هذا العُشّ!

ستكونُ الفيالقُ الطّائرةُ من الجِعْلانِ والنّحلِ قوةً داعِمةً، ولن تتدخّلَ إلّا إذا اقتَضَتِ الضّرورةُ. يوافِقُ الجميعُ، عند الإشارةِ، يندفعُ جيشُ الحَملةِ نحوَ مدخَلِ البناءِ.

طائرٌ غريبٌ يهوي من السّماء، على هيئَة صفيحَة سوداء. تسحَقُ أربعَ جُنديّاتٍ من الأرَضَة. ثمّ تأخُذُ الآنَ صفائحٌ سُودٌ أُخرياتُ تهوي في كلّ الأرجاءِ وتُحطّمُ دُروعَ المدفعيّاتِ.

أهذه أصَابِعٌ؟

أثناءَ الهجمَةِ الأولى هذه تموتُ أكثرُ من سبعين جُنديّةً.

لكنّ جُنديّاتِ الحَملةِ لا يقنَطْنَ أبداً. ينسَحِبنَ قبلَ أن يُعاودنَ إطلاقَ هجمةٍ ثانية.

إلى الأمام، لنقْضيَ عليهم.

هذهِ الكرّةُ يتّخذُ الجيشُ النّمليُّ شكلَ سهمٍ. وسُرعانَ ما تندَفِعُ الفيالقُ.

إنّها السّاعةُ الحاديةَ عشَرةَ صباحاً والكثيرُ من الأشخاصِ تأتي مبنى البريدِ لإيداعِ رسائلها. قلّةٌ منهم يميّزونَ البُقعَ الصّغيرةَ السُّودَ التي تنزَلِقُ بشكلٍ غيرِ ملحوظ على الأرضِ. عجَلاتُ عرباتِ الأطفالِ، الموكسان[59] والأحذيةُ الرياضيّةُ تُفلطِحُ الهيئاتِ الصّغيرةِ الدّاكنةِ.

59- حذاء خفيف ومرن دون رِباط.

وحين تنجَحُ بعضُ هذهِ النّقاطِ السّودِ بتسلّقِ بنطالٍ ما، سُرعان ما تُطردُ عنهُ بحركةٍ من ظاهرِ اليدِ.

كشَفوا موقعنا وبدأوا يستهدِفوننا من كلّ حدْبٍ وصَوب، صرَخَتْ إحدى الجُنديّاتِ ساخِطَةً قبلَ أن تُسحَقَ.

يُطلَقُ فيرومونُ الانسِحابِ. ستّونَ قتيلةً إضافيّة.

تعقِدُ عدّةُ قُرونٍ اجتماعاتٍ مُغلَقةً.

لا بدّ أن نأخذَ عُشَّ الأصَابعِ هذا مهما كلّفَ الأمرُ.

تقتَرِحُ الرّقم 9 تشكيلاً مُختلفاً للفيالقِ. يجبُ القيامُ بحركةٍ التفافيّةٍ. يصدُرُ الأمرُ بتسلُّقِ أيّ نعلٍ.

هُجوم!

ترشقُ المدفَعيّاتُ في الصّفِّ الأوّل سُمّهنّ على مطّاطِ حذاءٍ رياضيّ. تشقّ بعضُ المدفعيّاتِ الطّبقةَ البلاستيكيّةَ الرقيقةَ التي تجعَلُ حِذاءً نسائيّاً يلمَعُ.

انسحاب.

يُعاودنَ إحصاء بعضِهنَ. عشرُونَ قتيلةً إضافيّةً.

الآلهةُ مُحصّنةٌ، بثّت مزهوّةً زُمرةٌ من النّمالِ الرُّبُوبيّات اللّواتي وقفنَ، منذُ البِدايةِ، على جانبِ المعاركِ يُصلينَ.

لا تعرِفُ الرّقم 103 ماذا ستَفعلُ. لا تزالُ حاضِنةً إليها شرنقَتها الخاصّةَ بمهمّةِ عُطارِدَ دونَ أن تجرُؤَ على المُشاركةِ بهذهِ الهجماتِ المحفُوفَةِ بالمخاطِرِ.

الخوفُ الكبيرُ منَ الأصَابعِ عادَ ببطءٍ واستحوذَ عليها. إنّها حقيقَةٌ، يبدو أنّهم لا يُقهَرونَ.

لكنّ الرّقم 9 لا تستَسلِمُ. تُقرّرُ الهُجومَ مع الفيالقِ الطّائرةِ. اجتمَاعٌ للجيشِ بأكمله يلتَئمُ داخلَ شجَرةِ دُلْبٍ قُبالةَ واجهةِ البريدِ. تعتلي الرّقم 9 جُعَلاً وتوزّعُ النّحلَ على جانبي خطِّ هجُومِها.

ترى الفُتحَةَ الفاغِرةَ لعُشّ الأصابِعِ وتصرُخ فيرومُونات تحفيزٍ حربيّ.

تُخفِضُ جِعْلانُ وحيدِ القرنِ رؤوسَها لتكونَ قُرونُها مصوّبةً بشكلٍ أدقّ نحوَ الهدفِ.

طارِدوا الأصَابعَ!

تُغلِقُ إحدى مُوظّفاتِ البريدِ البابَ الزُّجاجيّ. ثمّةَ تيّاراتٌ هوائيّةٌ كثيرة، قَالتْ.

جُنديّاتُ الحَملة لم ترَ شيئاً. إنّهنّ مُندَفعاتٍ بأقصى سُرعةٍ حين ظهرَ بغتةً الجِدارُ الشفّافُ. لا يتَسنّى لهنّ أن يُفرمِلنَ.

الجِعْلانُ تنفَجرُ وتسِيلُ. تتمرّغُ المدفَعيّاتُ اللواتي يمتَطينَ ظُهورَهم بجُثثِهم.

– أينزِلُ بَرَدٌ؟ سألت زبُونةُ البريدِ.

– لا، أعتَقدُ أنهم أطفالُ السّيّدةِ لاتيفو يلعبونَ بالحصَى. إنّهم يُحبّونَ هذه الألعاب.

– لكنّهم يُجازفونَ بكسرِ زُجاجِ البابِ، أليسَ كذلك؟

– لا تشغَلي بالكِ. إنّهُ سَميك.

تُعادُ الحشَراتُ الجريحَةُ التي يمكنُ مُعالجَتها. تخسَرُ الحَملةُ في هذا الهُجومِ ثمانينَ جُنديّةً إضافيّةً.

الأصَابعُ أَعْندُ ممّا كنّا نعتَقِدُ، بثّت نملةٌ.

الرّقم 9 لا تريدُ الاستسلامَ. ولا الأرَضَاتُ أيضاً. لم يأتينَ من تلكَ الأقاصي ويتَجاوزنَ كلّ تلكَ العقَباتِ لتُوقِفهنَ صفائحُ سُودٌ وجُدرانٌ شفّافة!

يخيّمنَ تحتَ الدُلْبةِ لهذه اللّيلة.

لا يزالُ الجميعُ محُتَفِظاً بثقَته. غداً يومٌ آخر.

تعرِفُ النّمالُ كيف تبذلُ الثّمنَ، الوقتَ، والوسائلَ اللّازمةَ. وفي نهايةِ المطافِ يكونُ النّجاحُ حليفَها على الدّوامِ. هذا معرُوفٌ جدّاً.

تلتَقطُ مُستَطلعةٌ صدْعاً في زخرَفة واجهة العُشّ الذي هاجمنَهُ بالأمسِ. صدْعاً مُستَطيلَ الشّكلِ تماماً. تقولُ في سرّها إنّهُ ربّما مدخَلٌ فرعيٌّ. وتذهَبُ لتستَكشِفَ دونَ أن تُعلِمَ الأُخريات بالأمرِ. تدْلفُ في الصَّدْعِ حيثُ حُفرَتْ عليهِ الرّمُوزُ التي تعنِي، في بعدٍ زمكانيٍّ آخر، «البريدُ عبرَ طيرانِ المسافات البعيدة»، تسقُط تحتَ العديدِ من الصّفائحِ المُسطّحة البيض. فتُقرّرُ التّسلّلَ داخلَ إحداها لتتفحّصَها. وحين تُحاولُ الخُروجَ منها مُجدّداً يَسدُّ عليها جِدارٌ أبيضُ. فتظلّ إذاً منتَظرةً هناك.

وهكذا، بعدَ ثلاثِ سنوات، اكتُشِفَ بدهشة كبيرة مُستَعمرةُ نمالٍ صهباءَ من الصّنفِ الفرنسيّ قد استقرّ في النيبال، وسَطَ سلاسلِ الهيملايا. وتسَاءلَ علماءُ الحشَرات، بعدَ رَدحٍ من الزّمنِ، كيفَ تمكّنت هذه النّمالُ من السّفرِ كلّ هذه المسافة. وأخيراً، استنتَجوا بأنّ الأمرَ مُتعلّقٌ بصَنفٍ موازٍ، يشابهُ بمحضِ الصّدفَة النّملةَ الفرنسيّةَ.

158. إنّها هي

- عرفتُماني؟

كان جاك مِليَس على يقينٍ من ذلك.

- حضرتُكِ... جولييت راميريز المُتَسابقةُ -النّجمَةُ في برنامجِ «فخّ...

- للتفكير»، أردَفتْ ليتيسيا.

كانت الصّحفيّةُ تحاولُ، بجَبينٍ مُغضّنٍ، الرّبطَ بين بطَلةِ الألغازِ، وبابا نويل المُزيّف وقطيعِ النّمالِ القاتلات.

حاولَ الشُّرطيُّ، باعتبارِه شخصاً مُعتاداً على المُواجَهاتِ، أن يُهدِئَ جولييت راميريز التي استشفَّ أنّها على حافّةِ الانهيارِ العصَبيّ.

- أتعلمينَ، نحنُ مُولعانِ جدّاً بهذا البرنامج! إذ أنّهُ بأمثلة أبسَطَ ممّا تبدُو، يُعلّمُ تبصّرَ الكونِ على نحوٍ مُختَلفٍ. والتّفكيرَ بطريقَة مُختَلفة.

- التّفكيرُ بطريقَة مُختَلفة! تنهّدَتْ السّيدةُ راميريز، دونَ أن تقدِرَ على إمساكِ شهَقاتِ بُكائها أكثرَ.

كانت بلا مكياجٍ، منثُورةَ الشّعرِ، ترتَدي مئزراً قديماً بدلاً من فساتينها المُنقّطة ذاتِ التّصاميم الأنيقَة، وتبدو أكثرَ هرَماً وإنهاكاً عمّا كانت عليه في الشّاشَة الصّغيرةِ. المُتسابقَةُ اللّامعَةُ إلى هذا الحدّ ما عادَت سِوى امرأةٍ في مُنتَصفِ العُمرِ.

- إنّهُ زوجي، آرتور، قالت وهي تُشيرُ نحوَ الرّجُلِ المُمدّدِ على السّريرِ. إنّهُ هو «سيّدُ» النّملِ. ومع ذلك كلّ شيءٍ حدَثَ بسببي، كلّ شيءٍ! وبما أنّكما الآن وصلتُما إلينا لم يعُدْ بوسعي الاحتفاظُ بالسرّ. سوفَ أروي لكما الحِكايَة بأكملِها.

159. إزالةُ اللّبْسِ

- نِيكُولا، يجبُ أن أُكلّمكَ.

أخفضَ الصّغيرُ رأسَهُ، مُنتَظراً التّأنيبَ الأبويَّ.

- أجل، أبي، لقد أخطأتُ، قال مُذعناً. لن أكرّرَ ذلك.

- لا أريدُ الآن أن أُكلّمكَ عن خدَعكَ، نِيكُولا، أجابَ جُوناثان بهدُوءٍ. وإنّما عن خياتنا في هذا المكانِ. أنتَ، اخترتَ أن تعيشَ بشكلٍ «طبيعيّ»، إذا جازَ التّعبير، بينما قرّرنا، نحنُ، أن نجعلَ من أنفُسنا «نمالاً». اعتَقدَ بعضُهم أنّهُ ينبغي عليكَ الالتحاقُ بجلسات الاتّحاد. أنا، أُفكّرُ أنّهُ ينبغي في البدايةِ أن نُخبركَ عن وجهَةِ نظَرِنا، ثمّ نتركُ لكَ حريّةَ الاختيارِ.

- نعَم أبي.

- هل تفهَمُ ما نفعلُهُ؟

غمغَمَ الصّغيرُ مُطأطِئَ الرّأسِ:

- تتحلّقونَ على شكلٍ دائرِيّ، تُغنّونَ معاً وتُقلّلونَ طعامكم أكثرَ فأكثر.

كان لدى الأبِ استعدادٌ ليَظهرَ صبُوراً.

- ما تقُولهُ لا يتعدّى أن يكون المظاهرَ الخارجيّةَ لما نقومُ بهِ، ثمّةَ نواحٍ أُخرى. قُلْ لِي نِيكُولا، كم حاسّةً لديكَ؟

- خمسٌ.

- ما هي؟

- النّظرُ، السّمعُ... أوه، اللّمسُ، التذوّقُ والشمُّ، استَظْهرها الصّغيرُ كما لو في امتِحانٍ مدرسيّ.

- وأيضاً؟ سأل جُوناثان.

- وأيضاً، هذا كلُّ شيء.

- حسَنٌ جدّاً. ذكرتَ لي حواسَّ الجَسدِ الخمس التي تتِيحُ لكَ معرِفَةَ الواقِعِ الفيزيائيّ. إلّا أنّ ثمّةَ واقِعٌ آخر، واقِعٌ نفسيٌّ وهذا لا يمكنُ فهمُهُ إلّا بفضلِ حواسِّ النّفسِ الخمس. إذا اقتَصرَت معرِفتكَ على حواسّكَ الجَسديّة، فكأنّكَ تستَخدمُ أصَابِعَ كفّكَ اليُسرى فقط. فلماذا لا تستَخدِمُ أصَابِعَ يدكَ اليُمنَى أيضاً؟

نِيكُولا في حالة دهشة:

- ما هي حواسّك الخمسُ الأُخرى، «النّفْـ - ـسِيّةُ»، كما تقُول؟

- العاطفةُ، الخيالُ، الحدْسُ، الوعيُ الكونيّ، والإلهامُ.

- ظننتُ أنّي أُفكّرُ برأسيَ وهذا كلّ شيء.

- غيرُ صحيح، ثمّةَ عدّةُ طرقٍ للتفكير. دماغُنا مثل حاسُوب، بوسعِنا برمجَتهُ لنُنتِجَ أشياءَ خارقةً لا نكادُ نعرِفُ عنها شيئاً. إنّهُ أداةٌ وهبَتْ لنا ونحنُ لم نعثُر على كاملِ تعليماتِ استخدامه. لا نستَخدِمُ إلى الآن سِوى 10 % منهُ فقط. ربّما بعدَ ألفِ عام، سنتعلّمُ استخدامَ 50 % منهُ وبعدَ مليونِ سنة، 90 %. نحنُ لا زلنا رُضّعاً في رُؤوسِنا. لا نفهَمُ نصفَ ما يدورُ حولَنا.

- إنّك تُبالغُ. العِلمُ الحديثُ...

- لا! العلمُ ليسَ شيئاً ذا بالٍ. لا غايةَ منهُ سوى إبهارِ من لا يعرفُونَ عنهُ شيئاً. العُلماءُ الحقيقيونَ يعلَمُونَ بأنّنا لا نعلَمُ شيئاً وكلّما تقدّمنا، اكتَشفنا جهلنا.

- لكنّ الخال إدمُون كان يعرِفُ أشياء، هو...

- لا. إدمُون يُشيرُ لنا إلى سبيلِ تحرّرنا الذّاتيّ. يُظهِرُ لنا كيفَ نتساءلُ لكنّهُ لا يُقدّمُ الجوابَ. حين نشرَعُ بقراءَةِ *موسُوعة العلم النسبيّ والمطلق*، نشعُرُ أنّنا أصبحنا نفهَمُ كلّ شيءٍ على نحوٍ أفضل، ولكن إذا تابَعنا القِراءةَ أكثر، نشعُرُ أنّنا لم نعُد نفهَمُ شيئاً من شيءٍ.

- بدا لي أنّي فهمتُ كلَّ ما في هذا الكتابِ.

- أنتَ محظوظٌ حقّاً.

- يتحدّثُ عن الطّبيعَة، النّملِ، الكونِ، السّلوكِ الاجتماعيّ، صِدام شُعوبِ الأرضِ... حتّى إنّي وجدتُ فيه وصَفات طبخٍ وألغازٍ. أشعُرُ أثناءَ قراءتي في هذا الكتابِ أنّني أذكى وكُلّيُّ القُدرَة.

- أنتَ محظوظٌ حقّاً. أنا، كلّما قرأتُ فيه، أرى الأشَياءَ عصيّةً على الفهم وأرى كم نحنُ بعيدُونَ عن الغاياتِ التي نرنُو إليها. حتّى هذا الكتابُ ما عادَ يُقدّمُ العونَ الكافي. لم يعُد أكثرَ من تتابع كلمات، وهذه الكلماتُ مُكوّنةٌ من أحرُفٍ. والأحرُفُ هي رسوم، الكلماتُ تبحَثُ من وراءِ التّسمياتِ على التقاطِ الأغراضِ، والأفكارِ، والحيَوانات. كلمةُ «أبيض» تمتَلكُ جرسها الخاصّ، ولكنّ «أبيض» يُقالُ بكلمات أخرى في لُغاتٍ أُخرى: *white*، *blanco*... إلخ، هذا يُبرهنُ جيّداً أنَّ كلمةَ «أبيض» لا تكفي لتُعرّفَ بهذا اللّون. إنّهُا مُقاربةٌ مُبتكَرةٌ في الماضي مِن قبلِ لا نعرِفُ مَنْ. الكُتبُ تَتابعُ كلِماتٍ، تَتابعُ رموزٍ ميّتةٍ، تتابعُ مُقارَباتٍ.

- ولكن *موسُوعة العلم النسبيّ و*...

- *الموسُوعة* لا تُساوي شيئاً مُقابِلَ الحياةِ المَعِيشَةِ. ولا كتابٌ يُعادِلُ لحظةَ تفكيرٍ في حدثٍ راهِنٍ.

- إنّي لا أفهَمُ طلاسمك.

- أعذُرنِي، تعجّلتُ كثيراً. مبدَئيّاً دعنا نقُلْ أنّكَ تُصغي إليّ حينَ أكلّمكَ وهذا بحدّ ذاته أمرٌ هامٌّ.

- أُصْغي إليكَ بالطّبعِ، لماذا تَظنُّ العكس.

- الإصغاءُ في غايةِ المشقّةِ... ويحتاجُ انتباهاً كبيراً.

- أنتَ غريبٌ أبي.

- أعذُرني، لمْ أكلّمكَ بمَا يُمكنك استيعابهُ. أودُّ أنْ أُريَكَ شيئاً. أغلقْ عينيكَ وأَصغِ إليّ جيّداً. تخيّل ليمُونَةً. هل تراها؟ هي صَفْراء، شديدَةُ الصُفرةِ، تلمَعُ في الشّمسِ. حامِضَةٌ وعِطريّةٌ جدّاً. هل تشعرُ بعِطرِها؟

- أجل.

- حسناً. الآن خُذْ سكيّناً كبيراً حادّاً وقاطعاً. قطّع اللّيمونَةَ شرائحَ: تُفتَحُ اللّيمُونةُ. تظهرُ الشّريحَةُ للشَمسِ شبكَةً كاملةً منْ لُبٍّ مُشبَعٍ بالسّائلِ. تعصُرُ الشّريحةَ فترى اللبّ ينفَجرُ، ويسيلُ منهُ العصيرُ، أصفرَ كثيفاً، عطريّاً فوّاحاً... أشعرت بذَلك؟

يُبقِي نِيكُولا عينَيهِ مُغلَقتينِ.

- أوه، بلى.

- حسناً، قلْ لي هل سالَ اللّعابُ في فمِكَ؟

- آه... (يجعلُ لسانهُ يصفُقُ) ... أجل أسفَلُ فمي امتَلأ باللُّعابِ! كيفَ يمكنُ هذا؟

- إنّها سطوةُ الفكرِ على الجسَد. أترى، مُجرّدُ التّفكيرِ باللّيمُونةِ، يقودُ إلى ظاهرةٍ عضويّةٍ لا يمكنُ التّحكّمُ بها.

- هذا مُدهش!

- هذه أوّلُ خُطوةٍ. نحنُ لسنا في حاجَةٍ لنتمثّلَ دورَ الآلهةِ، نحنُ آلهةٌ منذُ زمنٍ طويلٍ، ودونَ أن نعلَمَ ذلك.

تأخذُ الصّغيرُ الحماسَةَ.

- أريدُ أن أتعلّمَ بأن أكونَ هكذا. أبي، لو سمَحتَ، علّمني التّحكّمَ في كلّ شيءٍ بفكري. علّمني. ماذا ينبغي عليَّ فِعلهُ؟

160. مُخدّرُ الروّاغَة

تتفاقَمُ الحُروبُ الأهليّةُ في المدينةِ. تحتلُّ المُتمرّداتُ الرُّبُوبيّات حيّاً كاملاً للنِمالِ الصّهاريجِ. ومنهُ يُواصِلنَ تزويدَ الأصابعِ بالعُسيلِ.

وعلى نحوٍ مُتناقِضٍ كفَّ أولئكَ عن التّعبيرِ عن أنفُسِهم عبرَ الدّكتُور ليفينغستون. صمَتَ صوتُ الرّسولِ.

هذا الصّمتُ لا ينالُ من حماسَةِ المُتديّنات.

وقبلَ كلّ معركةٍ، على نحوٍ مُنتَظم، تزورُ المُتمرّداتُ الموتى منَ الرُّبُوبيّات المُجمّعاتِ داخلَ غُرفَةٍ. وتقومُ بحركاتٍ إيمائيّةٍ تُمثّل تطاعُماتٍ وحواراتٍ مع هذهِ الأوثان، المُثبّتاتِ غالِباً في وضعيّاتٍ قِتاليّةٍ.

كلّ اللواتي يطأْنَ بقَدمِهنّ غُرفةَ الأمواتِ ولو لمرّةٍ واحدةٍ يخرجنَ منها أجمل من حيثُ عُطورِ قُرونِهنّ. فأن تُحافظَ على جثامينِ الآخرين سليمَةً بعدَ موتِهم، فهذا يعني إعطاءَ أهميّةٍ للكائنات.

الحرَكةُ الربُوبيّةُ هي الوحيدَةُ في المدينَةِ التي تؤكّدُ أنّ المواطِناتِ لسنَ فقط أفراداً تُولَدُ ثمّ تُرمى دونَ أسفٍ.

المُتمرّداتُ الرُّبُوبيّاتُ لديهنَّ طريقةٌ في التكلّم تُشبهِ مُخدّرَ الروّاغة. أوّلُ ما يشرَعنَ بالبثّ لاستذكارِ الآلهة، نعجزُ عن التّوقّفِ عن استقبالهنّ.

وفيما بعد، تكفُّ النّمالُ المُصابةُ بعدوى «الدِّين الإصبَعي» عن العملِ والاعتناء بالحَضْنة، جلُّ ما يشغلُها هو سرقةُ الطّعامِ وإيصالُهُ إلى تحتِ أرضيّةِ المدينَة، داخلَ عُشّ **الأصَابِع**.

لا تبدُو الملكةُ شلي-بو-ني مُحرَجةً من هذا التّصاعُد للحركة المُتمرّدة. كلُّ ما تطلُبه هوَ أخبارُ الحَملة. عرفَتْ من مصدر ذُبابيٍّ، بأنّ مُحارباتِ الحَملةِ اجتزنَ الآنَ نهايةَ العالمِ وبدأنَ المعرَكةَ ضدّ **الأصَابِع**.

ممتاز، بثّتِ الملِكةُ. مساكينٌ أولئك ***الأصَابِع***، *كم سيندَمُونَ على تحدينا في الماضي! حينَ سَنهزمُهم هزيمةً نكراء هناك، ستَفقدُ الحركةُ المُتمرّدةُ أسبابَ وجُودِها هنا.*

161. موسُوعة

حكايَة: الكلمَتان «conte (حكاية)» و«compte (عدّ)» لديهما في الفرنسيّة اللّفظ ذاتُه. إلّا أنه يُلحظُ بأنّ هذا التماثُل بين الأرقام والأحرُف موجُودٌ في جميع اللّغات تقريباً. عَدُّ كلمات أو حكيُ أرقام، أين يكمُنُ الفرقُ من حيث اللّفظ؟ في اللّغة الإنكليزيّة، يَعدّ: to count؛ يحكي: to recount. في الألمانيّة، يعدّ: zahlen؛ يحكي: erzahlen. في العبريّة، يحكي: le saper؛ يعدّ: li saper. في الصينيّة، يعدّ: shu؛ يحكي: shu.

الأرقامُ والأحرُفُ مُترابطةٌ منذ طفُولَة اللّغة. كلّ حرف يُعادلُه رقم، كلّ رقمٍ يُعادلُه حرفٌ. فهِمَ العبريّونَ ذلك منذُ العُصورِ القديمة ولهذا السّببِ الكِتابُ المُقدّسُ هو كِتابٌ سحريٌّ حافلٌ بالمعارفِ العلميّة التي تظهرُ على

شكلِ حكاياتٍ مُرمّزة. إذا أعطينا قيماً عدديّةً للأحرفِ الأولى لكلّ جملة، نكتشفُ أوّلَ معنى مُخبأ، إذا أعطينا القيَم العدديّةَ أحرفَ الكلمات، نكتشفُ مُعادَلاتٍ وترابُطاتٍ ليسَ لها أيّةُ علاقةٍ بالحكاياتِ الخُرافيةِ أو بالدّين.

إدمون ويلز،

موسوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلّد الثاني.

162. عرقلةُ مسارٍ

تتجهّزُ الحشَراتُ للهُجُومِ الكبيرِ. عشُّ **الأصَابِعِ** هنا، أمامهنّ تماماً، يُناكِفُهنّ على نحوٍ لا يُحتَمل.

جيشُ جُنديّات الحَملةِ على إصرارهِ. سيُحاربنَ كالمجانين، ولكنّ هذا العُشّ الأوّلَ رمزٌ، فلا ينبغي لهُ أن يُقاوِمهنّ. تصطَفُّ الفيالقُ حسبَ الاختِصاصاتِ. الرّقم 103، جاثمةً على «القرنِ الكبيرِ»، تقتَرِحُ الهجُومَ على شكلِ مُربّعات مُدمجَة، تَباعد ما أن تظهرَ **الأصَابِعِ**. لقد استخدَمَتِ القزماتُ هذه الاستراتيجيّةَ إبّان معرَكةِ الخَشخَاش وأثبتَتْ جدواها آنذاك.

ينبَري الجميعُ إلى تنظِيفِ أنفسهنّ. يتبادلنَ التّطاعُماتِ الأخيرةَ. تبثُّ المُحفّزاتُ فيرومُوناتهنّ الأكثرَ وحشيّةً.

اهجُموا!

تَتقدّمُ فرقةٌ من خمسمائة وسبعينَ، آخرُ من تبقّى من جُنديّاتِ الحَملةِ، مَهيبةً ومُفعَمةً بالعزيمة. تُرفرِفُ النّحلاتُ أعلى القُرونِ، شاهِراتٍ إبرهنّ السّامّةَ. وتُطَقطِقُ الجِعْلان بفكُوكها.

تريدُ الرّقم 9 مُجدّداً إحداثَ ثُقبٍ وحقنه بسُمّ النّحلِ. ففي نهايةِ المطافِ هذه تقنيّةُ الصّيدِ الوحيدَةُ التي أثبَتَت نجاعَتها ضِدَّ **الأصَابِعِ**.

تمّ الأمرُ أخيراً! يتَحرّكُ رتلُ المُشاة الخفيفِ الأوّلُ والثّاني وتتَقافزُ على جانبيهما الفارساتُ ذواتُ الأرجُلِ الطويلةِ النّحيلةِ. جيشٌ رائعٌ هذه الجمْهَرةُ من البيلوكانيّاتِ، من الزديبيناكانيّات، من الأسكُولينيّات، من المُوكسيلوكسينيّات. الجعْلان الذينَ يريدُونَ الانتقامَ لأبناءِ جلدَتِهم المسْحُوقينَ على الجِدارِ الشفّافِ الذي ظهَرَ منَ العدَمِ.

مُوجتا الهُجوم الثّالثةِ والرّابعَة انطَلقتا بدُورهما. تتألّفُ من أرتالِ مدفَعيّةٍ خفيفةٍ ومدفَعيّةٍ ثقيلةٍ. لا أحدَ، حتّى الآن، استطاعَ إقلاقهنّ.

تتهيّأ مُوجتا الهُجوم الخامسَة والسّادسَة لإبرام القضاءِ على **الأصَابِعِ** في النّزْعِ الأخيرِ بطِلاءِ أطرافِ الفُكوكِ بسُمّ النّحلِ.

لم يسبِق لجيشٍ حشَريّ أبداً بأن قاتَلَ وهو بعيدٌ عن عُشّه كلّ هذه المسافةِ. يعرِفُ الجميعُ أنّهُ قد يتوقّف على هذه المعرَكةِ فتحُ جميعِ الأراضِي المُجاورةِ للكوكبِ!

بالمناسبَةِ إنّها أكثرُ من معرَكةٍ، إنّها حربٌ تتوقّفُ عليها الهيمَنةُ على العالمِ. المُنتَصِرُ سيُظهِرُ من هو سيّدُ هذا الكوكب!

الرّقم 9 تعي ذلكَ جيّداً، ومن يرى الطّريقَةَ العنيفَةَ في مدّ فكّيها، يتأكّدُ أنّ لا نيّةَ لها بإظهارِ أيّة رحمةٍ.

لم يعُد يفصلُ جُنديّاتِ الحَملةِ عن عُشّ **الأصَابِعِ** الذي يُناكِفهنّ سِوى بضعَةِ آلافٍ منَ الخطَوات.

السّاعةُ الثّامنةُ والنّصف. فُتِحَ بابُ مكتَبِ البريدِ للتوّ. دخلَ أوائلُ الزّبائنِ دونَ أن يتَبادرَ لأذهانِهم أيُّ شكٍّ بالحَدثِ الذي سيقَعُونَ رهينَتَهُ.

تنتَقِلُ الحشَراتُ من السّيرِ خبَباً إلى العدْوِ.

إلى الأمامِ، اهجُموا!

كانت خدمَةُ البلديّة للتنظيف تمرُّ في السّاعَةِ الثّامنةِ والنّصف. شاحِنةٌ صغيرةٌ مُحمّلةٌ بماءٍ وصابونٍ ترشُّ الرّصيفَ لتنظِيفهِ.

ما الذي يحصُل لنا؟

رعبٌ في الحَملة: يتدفّقُ عليهنّ إعصارُ ماءٍ لاذِعٍ.

أُصيبَ جيشُ الحَملةِ بأكملِه وغمَرهُ الماء.

توزّعوا! صرَخَتْ الرّقم 103.

الموجَةُ، المرتَفعةُ بعشَراتِ الخطواتِ، تُغرِقُ الجميعَ. ترتدُّ المياهُ وتعلُو في السّماءِ لتضرِبَ الفيالقَ الطّائرةَ.

تخُورُ قوى جُنديّاتِ الحَملةِ جميعِها.

تنجَحُ بضعَةُ جعْلانٍ في التّحليقِ جارّةً وراءها عناقِيدَ منَ النّمالِ المذعورة. يُصارِعُ الجميعُ للمُحافَظةِ على طرفِ رجْلٍ معلّقة. تدفَعُ النّمالُ الأرَضَات. لم يعُد ثمّةَ مكانٌ لأيّ حديثٍ عن التّضامُنِ والتّفاهُمِ بين الشّعُوبِ! كلٌّ يبحَثُ عنْ سلامةِ هيكلِه.

تطيرُ الجعْلانُ بمشَقّةٍ مُثقلَةً بالرُّكّابِ بينما تأخذُ الحماماتُ البدينات بالتلذّذ بطَعمِهِم.

مجزرةٌ تحصلُ في الأسفلِ.

الإعصارُ أهلَكَ فيالقَ بأكمَلِها. تَدحرَجُ أجسادُ الجنديّاتِ المُدرّعةُ في الفُسحَةِ ثمّ تنزِلُ في مسْرَبِ الماءِ.

إنّها خاتمةُ مُغامَرة عسكريّة جميلة. بعدَ أربَعينَ ثانيةً من رشقِ المياه الصّابونيّة، توقّفَ جيشُ الحَملةَ عن التقدّم. لم يتبقّ منَ الحشَراتِ الثّلاثة آلاف المُختَلفة الأصناف التي اتّحدَت لتضَعَ حدّاً لقضيّة **الأصَابعِ**، سوى حفْنةٍ قليلة من النّاجينَ العُرْج بمُعظَمِهم. جُرفَتْ أغلَبُ الجُنديّاتِ داخلَ الموجَةِ المُندَفعة جرّاءَ خدمةِ البلديّة للتنظيف.

جميعاً دونَ تمييز، رُبوبيّاتٌ، غيرُ رُبوبيّات، نَمْلٌ، نَحْلٌ، جِعْلانٌ، أَرَضَةٌ، ذُبابٌ، تكنُسُهم الزّوبَعةُ المائيّةُ.

مُنتَهى السّخرية، أنّ موظّفَ البلديّة الذي يقُودُ الشّاحنَةَ لم يلحَظ شيئاً. ولا إنسانٌ لاحظَ أنَّ Homo sapiens (الإنسان العاقل) قد ربحَ معرَكةَ الكوكبِ الكبيرةِ للتوّ. تُواصِلُ النّاسُ انشِغالاتِها وهي تُفكّرُ بوجبَةِ الظّهيرَة، بأعباءِ يومها وأعمالِ مكاتبِها.

تعرِفُ الحشَراتُ جيّداً أنّها خسرتِ الحربَ الكونيّةَ.

لا يكادُ يمكنُ تصَوّرُ الكارثَة لفرطِ سُرعَتها وحسمِها. بأربَعينَ ثانيّةً، كلُّ هذه الأرْجُلِ التي اجتازت كيلومترات، كلُّ هذهِ الفكُوكِ التي حاربَت في أقسَى الظّروفِ، كلُّ هذه القُرونَ التي اشتمّت روائِحَ المناطِقِ الأكثر غرابةً، كلُّ شيءٍ باتَ خُردَةً تطفُو على حساءٍ زيتُونيّ اللّون.

أوّلُ حملةِ ضِدّ **الأصَابعِ** لا تتقدّم ولن تتقدّم يوماً. ابتُلِعَتْ تحتَ وابلِ ماءٍ صابونيّ.

163. نيكُولا

انضَمّ نيكُولا ويلز إلى الآخرين. أثرَى بموجته الخاصّة الاهتزازَ الجماعيَّ: أوم. للحظَة شعرَ أنّـهُ أصبَحَ سحابةً أثيريّةً خفيفةً آخذةً بالارتفاع، تعلُو مُجتازةً الماديّات. إحساسهُ كانَ يفوقُ ألفَ مرّةٍ إحساسَ أن يكونَ إلهاً بين النّمالِ. حرّاً! كان حرّاً.

164. تصفيةُ حِسابات

يصدُرُ ردُّ فعلٍ عن الرّقم 9 يُنقِذها. تغرِزُ مخالبها عميقاً في شقّ صفيحَة صرفٍ صحيٍّ، وتجرُّ نفسها ببؤسٍ نحوَ بلاطِ فُسحة للمُشاة. أمّا بما يخُصّ الرّقم 103 فقَد تمكّنت بالكادِ أن ترتفعَ مع «القرنِ الكبيرِ» وتتفادَى الإعصار. إنّها سالِمةٌ، كما الرّقم 23، التي تشبّثَتْ داخلَ ثُقبٍ في الإسفَلتِ.

في البعيد، تفرّ جِعْلانٌ آخِذَةً معها سائسيها. بقيّةٌ قليلَةٌ منَ الأَرَضَاتِ تهرُبُ نادِمةً لعَدمِ بقائها على جزيرةِ كورنيجرا.

تنجَحُ البيلوكانيّاتُ الثّلاثُ بمُلاقاة بعضِهنّ.

إنّهم شديدو البأسِ بالنّسبَةِ لنا، تتأسّفُ الرّقم 9 وهي تمسَحُ عينَيها وقرنَيها المُلتَهبتَين بفعلِ المُعقّم.

الأصَابعُ آلهةٌ. الأصَابعِ كُلّيةُ القدرَةِ. *لم نَتوقّف عن الصُراخِ بهذه الحقيقَةِ وأنتُم لم تُصدّقُونا. انظُروا إلى هذه الخسارةِ!* تنهّدت الرّقم 23.

ترتَعِدُ الرّقم 103 مُجدّداً منَ الخوفِ. سواءٌ أكانت الأصَابعُ آلهةً أم لم تكُن فهذا لن يغيّرَ في الأمرِ شيئاً، إنّهم شديدُو البطشِ.

يفرُكنَ بعضَهنّ بعضاً ويتَبادلنَ تطاعُمات قانطة، كما لا يستَطيعُ فعلهُ سِوى النّاجياتُ من حملة مهزُومة على نحوِ ماحق.

غير أنّ المُغامرةَ بالنّسبَة للرقَم 103 لا تنتَهي عندَ هذه السّاحة. يبقَى أمامها مهمّةٌ عليها إنجازُها. لفرطِ القوّة التي تحتَضنُ بها شرنَقةَ الفراشَة، الرّقم 9، التي لم تنتَبهْ إلى الشّرنَقةِ حتّى الآن، تسأَلُ:

ماذا يُوجَد في هذا الشّيء الذي تجرّينهُ معكِ منذُ بدايةِ الحَملة؟

لا شَيءَ ذا بالٍ.

أريني

ترفُضُ الرّقم 103.

تغتاظُ الرّقم 9. وتُصرّحُ أنّها كانت تشكُّ مُنذُ البداية بجاسُوسيّتها لصالِحِ الأصَابعِ. الرّقم 103 هي من أوصَلهم إلى هذا الشّرَكِ مُباشَرةً، هي التي كانت تدّعي بأنّها دليلُهم!

تسلّم الرّقم 103 الطّردَ إلى الرّقم 23، وتُعلِنُ قبُولَها المُبارَزة.

تتواجَهُ النّملتانِ، تُفرّجان فكّيهِما إلى الأقصى، تنصبانِ أسنّةَ قرنيهِما. تدُورانِ حولَ بعضهما ليقيّما على نحوٍ أدقّ النِّقاطَ الأكثرَ ضعفاً لدى كلتيهِما. ثمّ بغتةً يحدُثُ التّصادمُ. تنقضّ الواحِدةُ على الأُخرى، ويُقرَعُ الدّرعانُ، كلّ واحِدة تدفَعُ الأخرى بصدرِها.

تسُوطُ الرّقم 9 الهواءَ بفكّها الأيسَرِ وتغرِزُهُ في درعِ خصْمَتها الكيتينيّ، فيُسالُ دمٌ شفّافٌ.

تُناوِرُ الرّقم 103 مُتفاديَةً ضربَةَ محشّ[60] ثانيةً. وتنتَهِزُ الفُرصَةَ، بما أنّ خصْمَتها مأخُوذةٌ بفورةِ اندِفاعٍ، فتبتُرُ لها طرفَ قرنِها.

60- منجل لحشّ الأعشاب.

دعينا نوقِفُ هذا القتال غيرَ المُجدي! لم يبقَ سوانا. هل تصرّين حقّاً أن تُكملي عملَ الأصابعِ؟

الرّقم 9 هي أبعَدُ ما تكونُ عن أيّ منطِقٍ، كلّ ما يشغَلُها هو أن تغرِزَ قرنَها الصّلبَ في محجرِ عينِ هذه الخائنة.

تُخطئُ قليلاً هدَفها. تنوي الرّقم 103 إطلاقَ حمضٍ، توجّهُ بطنها وتُطلِقُ قطرةً لاذِعَةً تنحَرِفُ وتسقُطُ في ثنيَةِ بنطالِ ساعي البريد.

تُطلقُ الرّقم 9 أيضاً بعدَ أن فرِغَ، الآن، كيسُ سُمّ الرّقم 103. المُتَحفّزَةُ ظنّت بأنَّ الوقتَ قد حانَ للقضاء على فريسَتها، ولكن لا يزالُ في جُعبةِ الجُنديّةِ الكثير. تنقضُّ، مُنفرِجَةَ الفكّين، وتلتَقِطُ الرّجْلَ اليُسرَى المُتوسّطَةَ وتلويها إلى الخَلفِ.

تقومُ الرّقم 9 بالشّيءِ ذاته مع الرّجلِ الخلفيّة اليُمنَى للرقمِ 103. الأمرُ يتوقّفُ على من ستنزَعُ عُضوَ الأُخرى أوّلاً.

تتذكّرُ الرّقم 103 أحدَ درُوسِ القتالِ.

إذا هاجَمْنا خمسَ مرّاتٍ بذاتِ الطّريقة، فإنّ الخصمَ سيدفَعُ عن نفسه في الهجمَةِ السّادسَةِ كما في الخمسِ السّابقَة. لذا لن تصعُبَ مُغافلتُه.

خمْسُ مرّاتٍ تضرِبُ الرّقم 103 فمَ الرّقم 9 برأسِ قرنِها. لذا تنتَهِزُ فرصَةَ طيّ الأُخرى لفكّيها فتلتَقِطُ رقبتَها. وبحَركةٍ خاطِفةٍ تَفصُلُ رأسَ النّملة.

يتدَحرجُ رأسُ الرّقم 9 على الرّصيفِ الدّهنيّ.

تتجمّدُ. تدنو الخصمةُ منها لتتأمّلها. القرونُ المهزومَةُ تهتزُّ. عندَ النّملِ، جميعُ أجزاءِ الجسَدِ تُحافِظُ على نوعٍ من الاستقلاليّةِ حتّى بعدَ الموتِ.

إنّكِ مُخطئةٌ، الرّقم 103، قالت جُمْجُمةُ الرّقم 9.

ينتابُ الجُنديّةَ شعُورٌ بأنّهُ سبَقَ لها أن عاشَت مشهَدَ جُمْجُمة مُصرّة على تسليمها رسالتَها الأخيرةَ. لكنّ ذلكَ لم يكن هنا و لم تكن الرّسالةُ ذاتُها. كانَ على مكتَبِ بيل-أو-كان وما قالتهُ لها المُتمَرّدةُ آنذاك قلبَ مجرى حياتها رأساً على عقِبٍ.

يتحرّكُ قرنَي جثّةِ الرّقم 9 مجدّداً.

إنّكِ مُخطئةٌ، الرّقم 103. تظُنّينَ أنّهُ بالإمكانِ مُراعاةُ الجميعِ، ولكنّنا لا نستطيع. ينبغي على المرءِ اختيارُ جهته. أنتِ إمّا مع الأصَابِعِ أو مع النّملِ. لا يمكنُنا تفادي العُنفَ بأفكارٍ جميلة. لا يمكنُنا تفادي العُنفِ إلّا بالعُنفِ. اليوم أنتِ ربحت لأنّكِ كُنتِ أقوى منّي. أحسنتِ. ولكن أنصَحُكِ: لا تضعُفي يوماً لأنّهُ، حينئذ، لن يستطيعَ أيٌّ من مبادئكِ المُجرّدة الجميلة أن يُنقذكِ.

تقتَربُ الرّقم 23 وتركلُ هذه الجُمْجُمةَ التي بالفعلِ تثُرثرُ كثيراً. تُهنّئُ الجُنديّةَ وتمدُّ لها الشّرنقةَ.

الآنَ، تعرفينَ ما الذي بقِيَ أمامكِ لتفعَليهِ.

الرّقم 103 تعلمُ.

وأنتِ؟

لا تُجيبُ الرّقم 23 مُباشرةً. تحاولُ التملّصَ. تدّعي بأنّها خادمةُ الآلهةِ الإصبَعيّة. تعتقدُ أنّهُ عندَما يَئِنُ الأوان ستُشيرُ لها الأصَابعُ بما ينبغي عملهُ. وبانتظارِ ذلكَ، ستَهيمُ في هذا العالمِ الموجُودِ وراء العالمِ.

تتمنّى لها الرّقم 103 حظّاً طيّباً. ثمّ تعتَلي الجُنديّةُ «القرنَ الكبيرَ». تُوصِلُ نفسَها بقُرونهِ. يرخي الجُعَل أجنحَتهُ الغِمديّةَ ويفردُ أجنحَتهُ

البُنيّةَ الطويلةَ. تلامُس. تخفقُ الأشرِعَةُ المُعرّقةُ في الهواءِ المُلوّث لبلادِ الأصَابِعِ. تُحلّقُ الرّقم 103 مُندَفِعةً نحو قمّةِ أوّلِ عُشّ للأصَابِعِ يظهرُ أمامها.

165. سيّدُ العفاريت

كان الصّبحُ قد بزَغ، وليتيسيا ويلز وجاك ميلِيَس لا يزالانِ يُصغيان، مُعلّقانِ بشَفتي جولييت راميريز، إلى سَردِ أحداثِ قصّةٍ عجائبيّة.

سبقَ لهما أن عرفا أنّ الرّجُل الذي له هيئةُ بابا نويل متقاعداً كانَ زوجُها، آرتور راميريز. عرِفا أنّه منذُ طفولته، كان مُتيّماً بالحِرَفِ اليدويّةِ. يُصنّعُ ألعاباً، طيّاراتٍ، سيّارات، وسفُناً كان يوجّهها عن بُعدٍ بجهازِ تحكّم. أغراضٌ وروبوتات تمتثلُ لأدقّ أوامِره. أطلَقَ عليه أصدقائُهُ لقبَ «سيّدُ العفاريت».

– لدى كلّ شخصٍ موهِبةٌ لا تتطلّبُ منهُ سِوى الرّعايةِ. لديّ صديقةٌ فنّانةٌ في تقنيّةِ غرزَةِ الصّليبِ. مُطرّزاتها هي...

لكنّ مُستمعيْها لم يكتَرِثا قطّ بالرّوائعِ المُطرّزةِ بغرزَةِ الصّليبِ. استأنَفتْ:

– فهِمَ آرتور بأنّ لديه «إضافة» صغيرةً يُقدّمُها للإنسانيّةِ، وذلكَ بفضلِ مهارته باستعَمالِ أجهِزةِ التّحكّم.

توجّهَ بالطّبعِ إلى تصميم الرّوبوتِ وحصلَ بيسرٍ على شهاداتٍ في الهندَسة. اخترَعَ المُبدّلَ التلقائيّ للعجلاتِ المثقوبة، وجهازَ الاستماعِ المتنقّلِ الذي كانَ يزرَعهُ داخلَ الجُمْجُمةِ وحتّى حكّاك الظّهرِ المُوجّهِ عن بعدٍ.

وقد طوّرَ إبّانَ الحربِ العالميّة الأخيرة «ذئاباً فولاذيّة». هذه الرّوبُوتاتُ ذاتُ الأرجلِ الأربَع ثابتةٌ أكثرَ من الرّوبُوتِ ذي الرّجلين. كانت، إضافةً إلى ذلكَ، مزوّدةً بكاميرتَينِ تعملانِ بالأشعّة تحتَ الحمراءِ وتُتيحانِ التّصويبَ في الظّلمَة، ولها رشّاشانِ على مُستَوى الأنفِ وأستونِ قصيرٍ عيارُ 35 ملم في الخَطم. كانتِ «الذّئابُ الفولاذيّةُ» تُهاجِمُ ليلاً. يوجّهُها جنودٌ عن بُعد، متمركزينَ في أماكنَ محصّنة، يفصُلُهم أكثرُ من خمسينَ كيلومتراً عن ذلك المكانِ. لفرط فعّاليّة تلكَ الرّوبوتاتِ لم يبقَ من العدوّ من يُبلِغُ عن وجُودِها!

إلّا أنّ آرتور اطّلعَ يوماً على صورٍ غاية في السّريّةِ والتي تُظهِرُ الأضرارَ التي سبّبتها «ذئابهُ الفُولاذيّة». الجُنودُ الّذين كُلّفوا بتوجيهِها أخذَتهم حماسَةُ اللّعبِ، وكما في لُعبَةِ فيديُو، أهلَكوا على شاشاتِ المُراقبَةِ كلَّ ما كان يتحرّك.

الاشمئزازُ الذي أصابَ آرتور، دفَعهُ إلى اختيارِ تقاعُدٍ مبكرٍ وفتحَ متجرَ الألعابِ هذا. وكرّسَ موهِبتهُ، مُنذُ ذَلك الحين، في خدمة الأطفالِ بما أنّ الكبارَ على درَجة من انعدامِ المسؤوليّةِ لا تُؤهلُهم لاستخدامِ اكتشافاته على نحوٍ مُتعقّلٍ.

في تلكَ الأثناءِ كان قد التقى بجوليت، موظّفة البريد آنذاك. وكانت تجلُبُ لهُ بريدَهُ من حوالاتٍ، وبطاقاتٍ بريديّةٍ، ورسائلَ مُسجّلة. أُغرِما مُباشرةً. تزوّجا وعاشا سعيدين في منزلٍ بشارع فينكس إلى اليومِ الذي وقعَ فيه الحادِثُ. هكذا كانت تدعُو الحدَث: «الحادثُ».

بينما كانت، كما في كافّة جولاتِها، توزّعُ بريدَها، هاجَمها كلبٌ. اعتدَى على حقيبتِها وعضّها بأنيابِهِ، ممزّقاً مُغلّفَ إحدى الرُّزم.

أنهتْ جولييت عملها وأحضَرت الطَّردَ المُتضرِّرَ إلى البيت. لا بدّ أنّ آرتور، ذو الأصَابِع البارعَة، سيتمكّنُ من إصلاحه ولن يُلاحظَ المُرسَلُ إليه شيئاً، ممّا سيُعفيها من مشاكِل مُحتَملةٍ مع زبائنَ مُستَعدّينَ دوماً لتقديمِ الشّكاوى.

آرتور راميريز لم يُصلِح الطّردَ قطّ.

مُحتَوى الطّردِ، وهوَ يُعالِجهُ، أثارَ فضُولهُ: ملفٌّ سميكٌ يتألّفُ من مئاتِ الصّفَحات، تصَاميمُ لآلَةٍ غريبَة، رسالةٌ. فضولهُ الطّبيعيُّ تغلّبَ على رصانتِه التي هي طبيعيّة أيضاً بالقَدْرِ ذاتِه: قرأ الملفَّ، ثمّ قرأ الرّسالةَ، وتفحّصَ التّصاميمَ.

وانقَلبتْ حياتُهما رأساً على عقِب.

أصبحَ آرتور راميريز فريسةَ هاجسٍ وحيد: النّملُ. جهّزَ في العُليّةِ محياً ضخماً. كان يقولُ أنّ النّملَ أذكَى من البَشرِ لأنّ اتّحادَ عقُولِ عشّ النّملِ يُساوي من الذّكاءِ ما يتعدّى المجْموعَ الذي يُشكّلهُ. كان يؤكّدُ أنّهُ عندَ النّملِ 1 + 1 = 3. تآزرهُم الاجتماعيُّ كان فعّالاً. النّملُ يُظهِرُ أسلُوباً جديداً للحياةِ على نحوٍ جماعيٍّ. بحسبِه، هذا الأسلوبُ يدفعُ الفِكرَ البشريَّ للتطوّرِ بالمُختَصر.

مضَى زمنٌ طويلٌ قبلَ أن تعرِفَ جولييت راميريز ما الذي كانت تُمثّلهُ تلك التّصاميم. كانت لآلَة مُسمّاة «حجرَ رشيد» من قبلِ مُختَرعِها. عملُها تحويلُ مقاطعَ لفظيّة بشريّةٍ إلى فيرُومونات نمليّةٍ والعكس، ممّا أتاحَ إجراءَ حِوارٍ مع المُجتَمعِ النّمليّ.

– ولكن... ولكن... ولكن هذا كان مشروع أبي! صرَخت ليتيسيا.

أخذَتْ السيّدةُ راميريز يدَها.

- أعرِفُ، وبعدَ أن أصبَحتِ هنا أشعُرُ بخَجلٍ شديد. هذا الطّردُ، تحديداً، كان أبوكِ إدمون ويلز، هو من أرسَلهُ، وكُنتِ أنتِ المُرسَلَ إليهِ، آنسة ويلز. كان الملفُّ يضمُّ صفَحاتِ مُجلّده الثّاني من موسُوعة *العلم النسبيّ والمطلق*، والتّصاميمُ كانت لآلَتِه الخاصّة بترجَمةِ الفرنسيّ إلى النّمليّ. والرّسالةُ، الرّسالةُ... الرسالةُ كانت لأجلكِ، قالت وهي تُخرِجُ ورقةً بيضاء مطويّةً بعنايةٍ من درجِ الصِوانِ.

انتزَعَت ليتيسيا المطويّةَ بما يُشبِهُ الخطفَ.

قرَأتْ: ليتيسيا، *ابنتِي الحبيبة، لا تحكُمي عليّ*...

التهمَتْ الكِتابةَ الحبيبَةَ التي كانت تنتَهي بكلماتِ حنانٍ إضافيّةٍ، موقّعةً بإدمون ويلز. كانت مُستاءةً، وعلى وشَكِ البُكاء. صرَخت:

- لصوصٌ، لستُم أكثرَ من لصوصٍ! كان هذا لي، كلّهُ كان لي! إرثِي الوَحيد، سرقتُماهُ منّي. وصيّةُ أبي الرّوحيّة، اختلستُماها! كان يمكنُ أن أموتَ دونَ أن أعلَمَ أبداً أنّي آخِرُ ما فكّرَ فيهِ! لكن كيفَ قدرتُما على...

انهارَت على مِيليَس الذي ضمَّ بيدٍ مواسيةٍ كتِفيها الرّهيفينِ اللذين أخذا يرتَجِفانِ ببكاءٍ مكتُوم.

- سامحينا، قالت جولييت راميريز.

- كنتُ مُتأكّدة بأنّ لهذهِ الرّسالة وجودٌ. أجل، كنتُ مُتأكّدة من ذلكَ! انتَظرتُها طُوال حياتِي!

- ربّما ستخفّفينَ من لومنا إذا أكّدتُ لك بأنّ ميراثَ أبيكِ الرّوحيّ لم يسقُط في أيدٍ سيّئة. اعتَبِري ذلك مُصادفَةً أو قدَراً... كما لو أنّ القدرَ أرادَ أن يصِلَ المُغلّفُ إلينا.

كان آرتور راميريز قد بدأ على الفورِ إعادَةَ تركيبِ الآلةِ. مُجرياً لها بعضَ التّحسيناتِ. إلى حدّ أنّ الزّوجين الآن يتحدّثانِ مع نِمالِ حوضِهما التُّرابيّ. أجل، كانا يتواصَلانِ مع حشَراتٍ!

كانت ليتيسيا في حالةِ ذُهولٍ، مصعُوقةً في حَيرةٍ بين السّخطِ والانبِهار. مثل مِيليَس كانت مُتعجّلةً لسماعِ بقيّةِ القصّةِ.

– يا لغبطَةِ الوهلةِ الأُولى! قالتِ المرأةُ. كان النّملُ يشرَحُ لنا كيفَ تسيرُ أمورُ فيدرالياتِهم، ويخبِروننا عن حرُوبِهم، وعن الصّراعاتِ التي تنشَبُ بين الأنواعِ. كنّا نكتَشفُ عالماً مُوازياً، هنا، عندَ حَوافِ نعالِنا، يطفَحُ بالذّكاءِ. أتعرِفُونَ، لدَى النّملِ أدواتٌ يستَعملها، وهو يُمارسُ الزّراعةَ، وقدْ طوّرَ تقنيّاتٍ مُتقدّمة. حتّى إنّهُ يتناولُ أفكاراً مُجرّدةً مثلَ الدّيمُقراطيّةِ، الطّبقاتِ، توزيعُ المهامِ، التّكافلُ بين الأحياءِ...

صمّمَ آرتور راميريز بمُساعدَته، حينَ تعلّمَ أسلوبَ تفكيرِه، برنامجاً معلوماتيّاً يُعيدُ إنتاجَ فكرِ «عشّ النّمل». وفي الوقتِ ذاتِه، صمّمَ روبُوتاتٍ ضئيلة: «النّمالُ الفُولاذيّةُ».

غايتُهُ: ابتكارُ عشّ نملٍ اصطِناعيّ مُؤلّفٌ من مِئاتٍ من النّمالِ – الرّوبوتَاتِ. كلّ نملةٍ ستكُونُ مزوّدةً بذكاءٍ مُستقلّ (برنامَجٌ معلوماتيٌّ مُدخَلٌ في شريحَةٍ إلكترونيّة) ولكن يمكنُ وصلُها بكاملِ المجمُوعةِ للتصرّفِ والتّفكيرِ على نحوٍ مُشتَركٍ. حاولت جولييت راميريز انتقاءَ كلِماتِها:

– كيفَ يمكنُ القول؟ كان الجميعُ يُشكّلُ حاسوباً واحداً بعناصرَ مُختلفة، أو دماغاً مُشظّىً بنُورونات مُتضامنةٍ. 1 + 1 = 3 ما يُودي إلى 100 + 100 = 300.

كانَ آرتور راميريز يعتَبرُ بأنّ «نمالهُ الفولاذيّةَ» مُهيّأةٌ تماماً لغزوِ الفضاء. أي عِوضاً عن إرسالِ مسبارٍ –روبوتٍ إلى كواكبَ بعيدةٍ، تبعاً للتقنيّة الفضائيّةِ الشّائعة، لِمَ لا يُرسَلُ ألفُ مِسبارٍ –روبوتٍ صغيرٍ، بذكائِهم الفرديّ والجماعيّ في آن واحد؟ إذا تعطّلَ واحدٌ أو كسِرَ، فإنّ تسعمائة وتسعة وتسعين واحداً سينُبنَ عنهُ، بينما المِسبارُ الوحيدُ إذا تعرّضَ لحادثٍ ميكانيكيّ غبيّ، سيدمّرُ البرنامجَ الفضائيّ برمّتهِ.

بدا الانبهارُ على مِيليَس.

– حتّى بما يخصُّ الأسلحةَ، قال، تدميرُ روبوت كبيرٍ فائقَ الذّكاءِ أسهلُ من تدميرِ ألفِ روبُوتٍ صغيرٍ، أكثرَ تبسيطاً منهُ إلّا إنّهم مُتضامِنونَ.

– هذا هو مبدَأُ التآزُرِ عينهُ، لفتَتْ الانتباهَ السّيّدةُ راميريز. موهبةُ الاتّحاد الجماعيّ تفوقُ مجمُوعَ المواهبِ الفرديّة التي تُشكّلها.

إلّا أنّ آل راميريز كان ينقُصُهم المالُ اللّازمُ لمشاريعهم الكبيرةِ. المُكوّناتُ الصّغيرةُ باهظةُ الثّمنِ و لم يكن متجَرُ الألعابِ ولا مِهنةُ ساعي البريدِ يكفيانِ لسَدادِ مُستَحقّاتِ التجّارِ. لكنّ فِكرةً جديدةً انبثقتْ في ذهن آرتور الخصيبِ: إدخالُ جوليت في برنامج «فخّ للتفكير». عشرةُ آلافِ فرنكٍ في اليومِ، يا للحظّ غير المُتوقّعِ! كان يُرسِلُ للمُنتجينَ أفضلَ ألغازٍ موجُودَةٍ في موسُوعة *العلم النسبيّ والمطلق* لإدمُون ويلز وهي كانت تحلّها. الألغازُ الويلزيّةُ كانَت تُنتَقى دوماً، لأنّ أحداً لا يستطيعُ ابتِكارَ ألغازٍ بهذه البراعةِ.

– كلُّ شيءٍ كان مُزيّفاً إذاً، استاءَ مِيليَس.

– كلُّ شيءٍ كان مُزيّفاً، قالت ليتيسيا. ما يستَرعي الانتِباهَ هو معرِفةُ

كيفَ زُيّفَ. مثلاً، لا أفهَم لماذا تظاهرتِ لوقتٍ طويلٍ إنّكِ لم تفهمي لُغزَ «الواحِدات»، «الاثنانات»، و«الثّلاثات».

الجوابُ كانَ بسيطاً.

- لأنّ منجَمَ إدمون ويلز لهُ نهايةٌ. مع أوراقِ الجوكر، بوسعي دفعُ اللّعبَة بأن تطولَ وأن أربحَ عشرةَ آلافِ فرنكٍ في اليومِ في الوقتِ ذاته!

وبينما سمَحَت هذه الأرباحُ للزَوجينِ بأن يعيشا بيسرٍ، طوّرَ آرتور تصميمَ «نماله الفُولاذيّة» وأيضاً الحِوار بين الأنواع. سارَ كلّ شيءٍ على ما يُرام في أفضَلِ العوالِم المُوازيةِ حتّى أتى اليومُ الّذي ارتَعدَ فيه آرتور وهو يرَى إعلاناً على التّلفزيون. إعلانٌ لشَركة CCG: «كراك كراك حَيثُ يجُول جميعُ الحشَراتِ تزُول.» في لقطَةٍ قريبَةٍ، تظهَرُ نملةٌ تتخبّطُ بتأثيرِ المُبيدِ الحشريِّ الذي كان يتآكلُها من الدّاخِل.

شعرَ آرتور بثورةِ غضَب. يا للخُدعَة الجبانَة لتسميم خصم بهذهِ الضّآلة! إحدَى نماله الفُولاذيّة كانت جاهزةً، فأرسَلها على الفورِ للتجسّسِ داخلَ مخابرِ CCG. اكتشَفتْ النّملةُ الميكانيكيّةُ أنَّ الإخوةَ سالتا كانوا يتعاونُونَ مع خبراءَ عالميينَ بمشروعٍ أشدّ شناعةً يحمِلُ اسمَ «بابل».

من كثرةِ ما كان «بابل» مروّعاً لم يجرُؤ حتّى أشهرُ الباحثينَ في المُبيدات الحَشريّة على الإعلانِ عنهُ وكانوا يعملُونَ في سرّية مُطلقَة خشيَةَ نقمَةِ الحركاتِ البيئيّةِ! حتّى إنّهم لم يُطلعوا رؤساءَ CCG على اختباراتِهم.

- «بابل»، قالت السّيدةُ راميريز، إنّهُ مبيدُ نملٍ مُطلَق. لم ينجح الكيميائيّونَ يوماً في القضاءِ بفعّاليّةٍ على النّملِ بواسطَةِ السّمُومِ التقليديّةِ

من نوعِ الفوسفورِ العضويّ. لكنّ، «بابل» ليسَ سُمّاً. إنّهُ مادّةٌ قادرةٌ على تشويشِ الاتّصالاتِ القرنيّةِ بين النّمالِ.

كان يكفي نثرُ مسحُوقِ «بابل» على الأرضِ، في مرحَلته النّهائيّة، حتّى يبثَّ رائحةً تُشوّشُ كافّةَ الفيرُومونات النّمليّة. مقدارٌ ضئيلٌ منهُ يُلوّثُ كيلومتراتٍ مُربّعة. جميعُ النّمالِ في الجِوارِ تُصبِحُ عاجزةً عن البثّ أو الاستقبالِ. غيرَ أنّه دونَ إمكانيّةِ التّواصُلِ، تعجَزُ النّمالُ عن معرِفَةِ إذا كانت ملكتُها حيّةً أم لا، ولا ما هي وظيفتُها، أو ما هو النّافعُ لها أو الخطرُ عليها. إذا طُلي سطحُ الأرضِ بهذه المادّة، بعدَ خمسِ سنَواتٍ، لن يبقَى نِمالٌ على هذه الأرضِ. ستفضّلُ الموتَ على ألّا يفهمَ بعضهنَ بعضاً.

النّملةُ بأكملِها «تواصل»!

الإخوةُ سالتا وزملاؤهم فهِموا هذا المُعطَى الأساسيّ للعالمِ النّمليّ. ولكن بالنّسبَةِ لهم، ليسَ النّملُ سِوى هوامٍ ينبغي إبادتُهُ. كانوا فخُورينَ باكتشافهم أنّ القضاء على النّمالِ لا يحصلُ بتسميمِ أجهزتِها الهضميّةِ، وإنّما بتسميمِ أدمِغتِها في الواقِع.

- مُرعِبٌ! تنهّدتِ الصّحفيّةُ.

- بواسطة جاسوسته الصّغيرة الميكانيكية، حصلَ زوجي على كافّة أوراقِ الملفّ. زُمرةُ الكيميائيّينَ أولئكَ كانوا ينوونَ القضاءَ دُفعةً واحِدةً على صنفِ النّملِ ومحوهِ عن سطحِ الأرضِ.

- هل قرّرَ السيّد راميريز التّدخّلَ عندَ هذهِ اللّحظَةِ؟ سأل المُفوّضُ.

- أجل.

معاً، ليتيسيا ومِيليَس فهِما كيفَ تصرّفَ آرتور. وامرأتهُ أكدّتْ

لهما ذلك: كانَ يُرسِلُ نملةً مُستَطلعةً لتقتَطِعَ مِزقةَ قماشٍ صغيرةٍ جدّاً مُشرّبةً برائحةِ الضّحيّةِ القادمةِ. ثمّ يُفلَتُ القطيعُ لاحِقاً ليدمّرَ صاحِبَ الرّائحة.

أعطَى الشّرطيُّ، سعيداً بأنّ ظنّهُ في محلّه، تقييمهُ كخبير:

- زوجكِ، سيّدتي، ابتكرَ جريمةَ قتلٍ أكثرَ إتقاناً من كلّ ما عرفتهُ.

احمرّت جولييت راميريز تحتَ وطأةِ المديح.

- لا أعرفُ كيفَ يتصرّفُ الآخرونَ عادةً، غير أنّ أسلوبنا تبين أنّهُ فعّال جدّاً. خلا ذلكَ من كان سيشكّ بنا؟ لدينا كلّ أدلّةِ العالم التي تُثبتُ براءتنا. نمالنا كانت تتصرّفُ من تلقاءِ نفسِها. وكنّا بوسعنا أن نكونَ بعيدينَ مائةَ كيلومترٍ عن مسرَحِ الجريمةِ!

- هل تقصدينَ أنّ نمالَكِ المُجرِمةَ كانت مُستقلةً؟ اندَهشتْ ليتيسيا.

- طبعاً. استعمالُ النّملِ، ليسَ طريقةً جيّدةً للقتلِ فحسب، إنّها طريقةٌ جديدةٌ أيضاً لتصوّرِ أداءِ وظيفةٍ ما. حتّى حين تكونُ هذهِ الوظيفةُ مهمّةَ قتلٍ! ربّما هنا تكمُنُ قمّةُ الذّكاءِ الاصطناعيّ! أبوكِ، آنسة ويلز، قد فهِمَ ذلكَ جيّداً. ويشرحُ ذلك في كتابهِ، انظري!

قرأت لهما مقطَعاً من *الموسوعةِ* يبرهِنُ كيف بوسعِ فكرِ عُشّ نملٍ أن يُثوّرَ الذّكاءَ الاصطناعيّ المعلوماتيّ.

النّمالُ المُرسلةُ إلى آل سالتا لم تكن موجّهةً عن بُعد. كانت مُستقلّةً. غيرَ أنّها مُبرمَجةٌ لتصلَ إلى الشقّة، وتتعرّفَ على الرّائحة، وتقتُلَ كلّ من يحملُ هذهِ الرّائحةَ وتُخفي لاحقاً جميعَ آثارِ الجريمة. الأمرُ الثّاني: إلغاءُ كافّة شهُودِ الحدث، إذا وجِدُوا. وألّا تُغادِر تارِكةً خلفَها ولو نفحَةً من حياةٍ.

كانت النّمالُ تسيرُ عبرَ المجاري وشبكاتِ الأنابيبِ. تخرُجُ بصمتٍ وتقتُلُ بثقبِ الأجسادِ من الدّاخلِ.

- سلاحٌ رائعٌ ولا يمكنُ كشفهُ!

- ومع ذلك، أنتَ نجوتَ منها، مفوّض ميليَس. في الواقعِ كان يكفي الرّكضُ لتجنّبِ الموتِ. نمالنا الفُولاذيّةُ تتقدّمُ بمنتهى البُطءِ. لقد لاحظتُما ذلكَ أثناءَ مجيئكما إلى هنا. إلّا أنّ أغلبَ النّاسِ لفرطِ رعبِهم حينَ تُهاجِمُهم نمالُنا يتجمّدونَ من الخوفِ والمُفاجأةِ بدلَ أن يندَفعوا نحوَ البابِ ليهرُبوا. إضافةً إلى ذلك، لفرطِ تعقيدِ الأقفالِ في هذه الأيّامِ التي نعيشُها تجدُ الأيدي المُرتَجفةُ صعُوبةً في فتحِها بالسّرعةِ الكافيةِ لتخرُجَ قبلَ الهُجومِ. مُفارقَةُ العصرِ: إنّ الأشخاصَ الذينَ لديهم أفضَلُ أنظمةٍ لبابٍ مُصفّحٍ كانوا الأكثرَ عُلوقاً!

- هكذا إذاً ماتَ الإخوةُ سالتا، كارولين نوغار، مكسيميليان مكاريوس، الزوج أودرجين وميغيل سينيرياز! أجْملَ الشُّرطِيُّ.

- أجل. كانوا هم المُروّجونَ الثّمانية لمشروع «بابل». وقد أرسلنا قاتِلاتِنا عندَ تاكاغومي لأنّنا خشينا من أن نكونَ قد أغفَلنا فرعاً يابانيّاً.

- استَطعنا أن نُقيّمَ فعّاليةَ عفاريتِكم! أنستطيعُ أن نراهُم؟

صعَدتْ السيّدةُ راميريز لإحضارِ نملة منَ العُليّة. كان ينبغي النّظرُ إليها من كثَبٍ لمُلاحَظَةِ أنّها ليست حشَرةً حيّةً وإنّما آلةٌ ذاتُ مفاصِلَ. القرنانِ معدنيانِ، كاميراتٌ مُفرطَةُ الصّغرِ بعدَسة ذاتِ زاويةٍ واسعة على مُستَوى العينَينِ، بطنٌ قاذفٌ للحمضِ بفَضلِ كبسولةٍ مضغُوطَة، فكّانِ ضِدَّ الأكسَدةِ مصقُولانِ كموسَين. يستَمدُّ الروبوتُ طاقتهُ من بطاريّةِ ليثيوم موضُوعةً في الصّدرِ. وفي الرأسِ مُعالِجٌ يقودُ

جميعَ مُحرّكاتِ المفاصِلِ ويُعالِجُ المعلوماتِ التي تُقدّمُها الحواسُّ الاصطِناعيّةُ.

تتأمّلُ ليتيسيا، وفي يدِها عدَسةٌ مكبّرة، تلكَ التّحفَةَ منَ المُصغّراتِ وتكنيكَ صناعَةِ السّاعات:

– كم منَ التّطبيقاتِ مُمكنةٌ لهذهِ اللّعبَةِ الصّغيرةِ! تجسّسٌ، حربٌ، غزو الفضاءِ، إصلاحُ أنظِمةِ الذّكاءِ الاصطِناعيّ... ويتّخِذُ جميعُها مظهرَ نملةٍ تماماً.

– المظهَرُ لا يكفي، أكّدتِ السيّدةُ راميريز. لكي يكونَ الرّوبوتُ فعّالاً حقّاً احتاجَ الأمرُ أيضاً نقلَ طريقةِ التّفكيرِ المُطابقَةِ لطريقة النملةِ ونفخها فيها. اسمَعي إذاً ما قالهُ أبوكِ!

تصفّحت *الموسُوعة* قبل أن تُشيرَ لها إلى أحدِ المقاطِعِ.

166. موسُوعة

تجسيم: يُفكّرُ البشَرُ دوماً بالطريقَةِ ذاتِها، ويردّونَ كلّ شيءٍ إلى مستواهم وقيمِهم الخاصّة. لأنّهم قانعونَ ومزهوّونَ بأدمغتِهم. يجِدُونَ المنطِقَ في أنفُسِهم، ويرُونَ الحصافَةَ فيها ويقيسُونَ الأشياءَ دوماً من خلالِ وجهَةِ نظرِهم: لا يمكنُ للذكاءِ أن يكونَ إلّا بشريّاً، تماماً كما الوعيُ والرّؤيا. فرانكشتاين هو تجسيدٌ لأسطُورةِ الإنسانِ القادرِ أن يخلُقَ إنساناً آخرَ على صُورتِه، كما خلَقَ اللهُ آدم. دوماً القالبُ عينهُ! حتّى وهُم يصنَعُونَ رجالاً آليّينَ، يُعيدُ البشَرُ إنتاجَ الكيفيّةِ التي يكونُونَ فيها والسّلوكِ الذي يتّخِذُونَهُ. ربّما يوماً ما يمنَحونَ أنفُسَهم رئيساً –روبوتاً، بابا –روبوتاً غيرَ أنّ ذلك لن يُغيّر شيئاً في طريقَةِ تفكيرِهم. رغم أنّ ثمّةَ

الكثيرُ مَنَ الطّرقِ! يُعلّمُنا النملُ إحداها. وربّما يُعلّمُنا مستقبلاً سكّانُ الفضاءِ طُرقاً أخرى.

إدمون ويلز،

موسُوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلّد الثاني.

كان جاك مِيليَس يمضَغُ علكتهُ برخاوةٍ.

– هذا كلّهُ مثيرٌ للاهتمام. لكن يبقى سُؤالٌ يشغلُني بالدّرجةِ الأُولى. سيّدة راميريز، لماذا أردتُما قتلي؟

– أوه، بدايةً، لم تكن أنتَ من يُثيرُ احتراسَنا بل الآنسةُ ويلز. كنّا نقرأُ مقالاتِها وكنّا نعلمُ مِمّن ورِثَت خِصالها. أمّا أنتَ، فقد كنّا نجهَلُ حتّى وجُودكَ.

أخذ مِيليَس يمضَغُ علكتهُ بعصَبيّةٍ. تابَعتْ جولييت:

– ولأجلِ مُراقبةِ الآنسةِ ويلز أدخَلنا إلى منزِلها إحدى نمالنا المِيكانيكيّةِ. نقَلتْ لنا جاسُوسَتنا تسجيلاً لحواراتِكما وعرَفنا من منكُما أكثرُ فِطنةً من الآخرِ، إنّهُ أنتَ. كنتَ بقصّتكَ عن عازِفِ مِزمارِ هاملين قريباً جدّاً من كشفِ السرّ. فقرّرنا أن نرسِل إليك القطيعَ.

– ولهذا السّببِ وُجّهَ إليّ الاتّهام. من حُسنِ الحظّ أنّكما تابعتما جرائِمكما...

– البروفيسُور ميغيل سينيرياز كان بين يديهِ المُنتَجُ النهائيُّ. هدفُنا بالقضاءِ عليهِ كان لهُ الأولويّة.

– والآن، أين أصبحَ مبيدُ النّملِ المُطلَقِ الشّهيرُ «بابل»؟

- بعدَ موتِ سينيرياز، إحدى نِمالِ فِرقنا حطّمت أنبوبةَ الاختِبارِ التي كانت تحتَوي على مادّةِ العدوى. بحسبِ معرفَتنا لا يوجدُ سِواها. فلنأمل ألّا يكونَ لدَى باحثِينَ جُدد يوماً فكرةٌ مشابِهةٌ. كتبَ إدمون ويلز بأنَّ الأفكارَ تطفُو في الهواءِ... الجيّدةُ منها والسّيئةُ!

تنهّدت.

- حسناً، الآن أصبَحتُما تعرِفانِ كلّ شيءٍ. أجبتُ على جميعِ أسئِلتكما. لم أُخفِ شيئاً عنكما.

مدّتْ السّيدةُ راميريز يديها كما لو كانت تتوقّعُ أن يُخرِجَ مِيليَس من جيبِه أصفاداً.

- استَجوبني. أوقِفني. أسجُني. ولكن أرجُوكَ دع زوجي بسلام. إنّهُ رجلٌ شهمٌ. لم يكن يحتَمِلُ فكرةَ عالمٍ خالٍ من النّملِ. أرادَ إنقاذَ ثروةٍ عالميّةٍ مُهدّدةٍ من قبلِ حفنَةٍ من عُلماءَ مجانِينَ بالكبرياءِ. إذا سمحتَ، دع آرتور بسلامٍ. على أيّةِ حالٍ هو محكومٌ عليهِ بالسّرطانِ.

167. ليسَ ثمّةَ من أخبارٍ، الأخبارُ سيئةٌ إذاً

ماهي أخبارُ الحَملةِ؟

انقَطعت أخبَارها.

ماذا يعني انقَطعت أخبارها؟ ولا ذبابَةَ هاموشٍ مراسِلةً حطّتْ قادِمةً من الشّرقِ؟

تُقدّمُ شلي-بو-ني قرنيها أمامَ شفَتيها وتغسلهُما بإصرارٍ. تحدُسُ بأنّ الأمورَ لا تسيرُ بالبساطَةِ التي تمنّتها. ربّما النّمالُ مُنهكةٌ لفرطِ ما قتَلت من الأصَابِعِ؟

تسألُ الملِكةُ شلي-بو-ني إذا حُسِمَت مُشكِلةُ «المُتمرّدات».

تُجيبُ إحدى الجُنديّاتِ بأنَّ عددهنَّ قد بلغَ الآن مائتينِ أو ثلاثمائةٍ وأنّهُ يصعُبُ كشفُهنّ.

168. موسُوعة

الوصيّةُ الحاديةَ عشرةَ: هذه اللّيلةَ رأيتُ حُلماً غريباً. تخيّلتُ رفشاً عملاقاً قدْ وضَعَ باريس في أصيصٍ شفّاف. بعدَ أن أصبحتْ في الأصيصِ أخذَ كلُّ شيءٍ يهتزُّ، لدرجَة أنَّ رأسَ برجِ إيفلَ كانَ يصطَدمُ على جدارِ مرحاضي. كلّ شيءٍ كان مقلوباً، كنتُ أتدحرَجُ على السّقفِ، وآلافُ المُشاة تُسحَق على زُجاجِ نافذتي المُغلقة. كانت السّيارات تصطدمُ بالمداخن، أعمدةُ الشّوارعِ تخرجُ من السّقوفِ. الأثاثُ يتزحلقُ وأنا أهربُ من شقّتي. كلّ شيءٍ في الخَارجِ كان مقلوباً رأساً على عقبٍ، قوسُ النّصرِ قد أصبَحَ رُكاماً، نوتردام باريس على عُقبِها، أبراجُها مغرُوزةٌ بعمقٍ في الأرضِ. تبرزُ عَرباتُ المترو من الأرضِ المُشقّقة لكي تبصُقَ مُربّاها البشريّ. كنتُ أركضُ وسطَ الرُّكامِ وأصِلُ أمامَ جدارٍ هائلٍ من الزّجاجِ. كانَ ثمّةَ عينٌ خلفهُ. عينٌ واحدةٌ، كبيرةٌ مثل سماءٍ بأكملها، كانت تُراقبني. في إحدى اللّحظات، برغبةٍ من العينِ لمعرفةِ ردّ فعلي، بدأتْ تضرُبُ الجُدرانَ بملعقةٍ عملاقةٍ على ما أظنّ. دوّى ضجيجُ جرسٍ مُصمّ. انفجَرَ جميعُ زُجاجِ الشّقةِ الذي بقيَ سليماً حتّى تلكَ اللّحظَة. كانت العينُ لا تزالُ تنظرُ إليّ وكانت أكبر من الشّمسِ بمائة مرّة. لا أتمنّى أنْ يحدثَ ذلك. منذُ ذلك الحُلم، لم أعدْ أذهبُ لأحضرَ أعشاشَ نملٍ من الغابة. إذا ماتت أعشاشي، فلن أضعَ بدلاً عنها. هذا الحُلمُ ألهمني بالوصيّةِ الحاديةِ عشرةَ التي سأبدأُ بتطبيقِها عليّ قبلَ أن أُطبّقها على المُحيطينَ بي؛

لا تفعل للآخرين ما لا ترغَبُ بأن يُفعلَ بكَ. وبكلمةِ «آخرين»، أقصُدُ بها «جميع» الآخرين.

إدمون ويلز،

موسُوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلّد الثاني.

169. في بلادِ بناتِ وَرْدان

يرَى القطُّ حيواناً طائراً غريباً يمرُّ. يضربهُ من خِلالِ درابزين الشّرفة. جُعَل «القرن الكبير» يسقُطُ. يتسنّى للرقم 103 القفزَ قبلَ مُلامَسةِ الأرضِ تماماً.

يأتي اصطِدامُها بالأرجُلِ. ثلاثَ عشرةَ طبقةٍ، إنّهُ مُرتفعٌ حقّاً.

أمّا، الجُعَل، فقد كان قليلَ الحظّ. ينفَجرُ هيكلهُ الثّقيلُ على الأرضِ. انتهَى أمرُ الباسِلِ «القرنُ الكبيرُ»، المُحاربُ الجويُّ المُبهرُ.

وقعُ سقوطِ الرّقم 103 امتُصّ من حاويةِ مَلآنةٍ بالقُمامةِ. لا تزالُ مُمسكةً بشرنَقتها.

تسيرُ على سَطح القُمامةِ المُصدّع والمُتعدّدِ الألوان. يا للمكانِ العجيبِ! كلّ ما في هذا المَكانِ صالحٌ للأكلِ. تنتَهزُ الفُرصَةَ وتسدُّ رمَقها. يعبَقُ المكانُ بشتّى النّكهاتِ والرّوائحِ النتنَةِ التي لمْ يتسنّ لها تمييزُها.

هناكَ في الأعلى، على كتابِ وصَفاتِ طبخٍ مُمزّقٍ، تلمَحُ مرُوراً خاطِفاً لهيئَةٍ. ثمّةَ الكثيرُ منها. ثمّةَ آلافٌ في هذا المَكانِ من الأخيلةِ التي تُراقِبُها بأطرافِ عيُونِها. تتزايدُ قرُونُها الطّويلةُ.

أيعني هذا أنّهُ يوجدُ حشَراتٌ تعيشُ في بلادِ الأصَابِع!

تعرّفتْ عليها، إنّها بناتُ وَرْدان.

تنتشِرُ في أرجاءِ المكانِ. تَطْلَعُ من صفيحةِ مُعلّباتٍ، من خُفٍّ مثقُوبٍ، من جُرذٍ نائم، من عُلبةِ مسحُوقٍ غسيلٍ بأنزيماتٍ فتّاكة، من عُبوةِ لبنٍ بالبكتيريا الفعّالة، من بطّاريةٍ كهربائيّةٍ مكسُورةٍ، من نابضٍ، من لصقَةِ جُروحٍ محمرّةٍ، من عُلبةِ مُهدئاتٍ للأعصابِ، من عُلبةِ مُنوّماتٍ، من عُلبةِ مُنشّطاتٍ، من عُلبةِ أغذيّةٍ مُجمّدةٍ تجاوزت مدّةَ صلاحيتها وبالتّالي رُميت سليمةً، من عُلبةِ أسماكِ سَردينٍ لا ذنَبَ لها ولا رأس. تتحلّقُ بناتُ وَرْدان حولَ الرّقم 103. لم يسبِق للنَملة أن رأتْ بناتِ وَرْدان بهذه الضّخامة. لديها أجنحَةٌ غمديّةٌ بنيّةٌ وقُرونٌ طويلةٌ مُقوّسةٌ بلا مفاصِل. تنبَعِثُ منها رائحةٌ أقلَّ كراهةً من رائحةِ البقّ النّتنِ، إلّا أنّها تبعثُ على الغثيانِ وأكثرُ لَذْعاً، متدرّجةً عبرَ صيغٍ شميّةٍ متنوّعةٍ للعُفونة.

جوانبُها شفّافةٌ، يُميّزَ عبرَ الكيتينِ الشّفيفِ خفقانُ الأحشاء، ونبضُ القلبِ، وتدفّقاتِ الدّمِ داخلَ الشّرايينِ الدّقيقَةِ. الرّقم 103 مأخُوذةٌ بالدّهشَةِ.

إحدى مُسنّات بنات وَرْدان ذاتُ انبعاثات كريهة (أشبهُ بالغُسيلِ الزّنِخِ)، ولها أجنحَة مُغمّدةٌ تميلُ للصُفرةِ وأرْجُلٌ تعجُّ بالخطّافاتِ، تتكلّمُ مع الرّقم 103 بلغَةٍ شميّة.

تسألُها عمّا أتى بها إلى هذا المكانِ.

تُجيبُها الرّقم 103 بأنّها تبحَثُ عن لقاءِ الأصَابِع في عُشّهم.

الأصَابِعُ! يبدو على جميع بناتِ وَرْدانَ أنّهنَّ يسخَرنَ منها.

هل حقّاً قالتِ الـ... أصَابِعُ؟

بلى، وما الغريبُ في الأمرِ؟

***الأصَابِعُ** في كلّ مكان. لا يصعب أبداً لقاؤهم*، أعلنت بنتُ وَرْدانَ المسنّةُ.

هل بوسعكم إيصالي إلى أحدِ أعشاشِهم؟ سألتِ النّملةُ.

دنَتْ منها بنتُ وَرْدانَ المسنّة.

هل تعرفينَ حقّاً من هُم الـ... **أصَابِعُ**؟

الرّقم 103 تواجِهُ.

إنّهم حيواناتٌ عملاقَةٌ.

تعجَزُ الرّقم 103 عن فهمِ ما تَبثُّه لها بنتُ وَرْدانَ.

تُقدّم المسنّةُ جواباً أخيراً:

***الأصَابِعُ** هم أرِقّاؤنا.*

تجِدُ الرّقم 103 صعُوبةً في التّصديقِ. أيمكِنُ أن تكونَ **الأصَابِعُ** العِملاقةُ أرِقّاءُ بناتِ وَرْدانَ الصّغيرةِ المُقرفةِ؟

اشرَحي.

بنتُ وَرْدان المسنّةُ تروي لها كيفَ علّمتْ بناتُ جنسِها **الأصَابعَ** بأنْ يصبّوا لهنّ على مدى الأيّامِ أطناناً من الطّعامِ المُتنوّعِ. **الأصَابِعُ** يؤمّنونَ لهنّ المأوى، الغذاءَ وحتّى الدّفءَ. إنّهم رهَنُ أوامِرهنّ ويُحيطونَهنّ بعنايةٍ خاصّة.

في كلّ الصّباحات، ما إنْ يتذوّقنَ بضعَ لُقيمات من جبالِ القرابين المُقدّمة من **الأصَابِعِ**، حتّى تأتي **أصَابِعٌ** أُخرى ترفَعُ الصّحُونَ. لدرجَةِ أنّ ثمّةَ دوماً ما يُؤكل -وبوفرةٍ- من الطّعامِ الطّازجِ جدّاً والفاخِرِ.

تحكي بنتُ وَرْدانَ أخرى بأنّهم في الماضِي، كانُوا هُم أيضاً يعيشُونَ في الغابةِ، ثمّ اكتشَفوا بلادَ **الأصَابِع** واستقرّوا بها. ومنذُ ذلكَ الوقت، لم يعُودُوا في حاجةٍ حتّى للاصطِيادِ من أجلِ الطعام. الأطعمَةُ المُقدّمةُ منَ **الأصَابِعِ** حُلوةُ الطّعمِ، غنيّةٌ بالدّهُونِ، متنوّعةٌ و ... والميزَةُ الأهمُّ أنّها ثابتة.

*سلفنا الأبعدُ لم يُجبَرْ منذُ خمْسةَ عشرَ عاماً على مُلاحقَة ولو طريدة صغيرةٍ. كلُّ شيءٍ ينزلُ طازجاً كلّ يومٍ مُقدّماً من **الأصَابِعِ**،* أكّدت بنتُ وَرْدانَ بدِينَةٌ ذاتُ ظهرٍ أسودَ.

*أتكلّمونَ **الأصَابعَ**؟* سألتِ الرّقم 103 مُفْحَمةً بما تُلاحِظه وبما هو أمامها: أكداسٌ من الطّعام!

فسّرتْ بنتُ وَرْدانَ المُسنّةُ أنّ لا حاجةَ للتكلّم معهم. إنّهم يُطيعُونَ قبلَ أنّ تضطّرَ أيٌّ من بناتِ وَرْدان إلى أن تُلحَّ في طَلبِها.

غيرَ أنّه! إحدى المرّاتِ وصَلتْ القرابينُ مُتأخرةً بعضَ الشّيءِ. فعبّرت بناتُ وَرْدانَ عن امتعاضِهنَ بضربِ بطُونِهنّ على الجُدرانِ، وفي اليومِ التّالي، وصَلَ الطّعامُ على وقتِه. على العُمومِ، تنزّلُ القُمامةُ يوميّاً.

هل بوسعِكم إيصالي إلى عُشّهم؟ بثّتِ النّملةُ.

يُعقَدُ اجتماعٌ سرّيٌّ. لا يبدو أنّهنّ مُجمِعاتٍ على ذات الرأي. تبثُّ بنْتُ وَرْدان المُسنّةُ حصيلةَ التّشاورِ.

*لن نُرشدَكِ إلى عُشّ **الأصَابِعِ** ما لم تكوني قادرةً على اجتيازِ «الاختبار العظيم».*

الاختبارُ العظيمُ؟

يأخُذون الجُنديّة إلى قاعَةِ تفريغِ القُمامةِ، في طبقَةِ المبنَى الأُولى تحتَ

الأرضِ. ثمّةَ في هذا المكانِ، زاويةٌ تعجُّ بأثاثٍ قَديمٍ، وبأجهزةٍ منزليّةٍ، وصناديق.

يُرافِقون الرّقم 103 نحوَ مكانٍ مُحدّدٍ.

ما هوَ هذا «الاختبارُ العظيم»؟

تُجيبها إحدى بناتِ وَرْدان بأنّ العمَليّةَ ترتَكزُ بشكلٍ أساسيّ على مُقابلةِ أحدٍ ما.

أحد ما، من؟ أهو خصْمٌ؟

أجل، عدوّ أقوى منكِ، أجابَت بنتُ وَرْدان، غامِضَة.

يتقدّمُونَ على هيئةِ رتلٍ.

تُؤخَذُ النّملةُ إلى هذا المكانِ المُعيّنِ. هنا، ترَى الرّقم 103 نملةً أُخرَى بشُعيراتِ رأسٍ شعثاء. إنّها جُنديّةٌ ذاتُ مظهرٍ شرسٍ. وهي مُحاطَةٌ أيضاً ببناتِ وَرْدان.

ترمِي الرّقم 103 قرنيها إلى الأمامِ وتُلاحِظُ أوّلَ شُذوذ: ليسَ لدى النّملةِ أيُّ رائحةِ جوازِ مرُورٍ على الإطلاق! لا بدّ أنّها مُرتزِقةٌ مُعتادةٌ على النّزال الفَرديّ لأنّ أرجُلَها وصدرَها مُخدّشةٌ بضرباتِ فكوكٍ شتّى.

لا تعرِفُ لماذا بدَتْ لها هذه النّملةُ –التي يقدّمُونَها لها في ظروفٍ غريبةٍ –مُنفِّرةً على الفورِ. فهيَ بلا رائحة، ولها مظهرُ مُعدَمة، تسيرُ بخُيلاءٍ، زغَبُ أرجُلِها لم يُلعَق منذُ يومَين، إنّها حقّاً نملَةٌ تفتقرُ للكَياسَة!

من *تلك*؟ سألت الرّقم 103 بناتِ وَرْدانَ اللواتي يتَرقّبنَ باهتِمامٍ رُدودَ فعلِها.

تلكَ أصرّت على لقائكِ، أنتِ تحديداً، أجبنَها.

تتساءلُ الرّقم 103. لماذا تريدُ هذه النّملةُ مُقابلتَها ولماذا، الآن، لا تُكلّمُها؟ تُجرّبُ الرّقم 103 شيئاً: تتصنّع أنّها تهزُّ رأسَها ثمّ فجأةً، توسّعُ فكّيها بغايةِ التّهييبِ. هل الأخرّى ستخضَعُ، أم ستَقبلُ التّحدّي؟ أوّل ما اتّخذَتْ وضعيّةَ القتالِ بالفكّ، قامتِ الأُخرَى بالأمرِ عينه، وأشهَرتْ سيفيها الشّفويّين.

من أنتِ؟

لا جواب. اكتفَتِ الأُخرى برفعِ قرنَيها.

ماذا تفعَلينَ هُنا؟ هل أنتِ من الحَملةِ؟

ينبغي القِتالُ مجدّداً.

تُحاولُ الرّقم 103 ترهيباً أشدّ بقلبِ بطنها تحتَ صدرِها مُتّخذَةً وضعيّةَ رمي الحَمضِ عن قُربٍ. فلا يُفترَضُ بأنَّ الأُخرى على علمٍ بأنَّ ذخيرتَها من السُّمِّ قدْ نفدَت.

تتصَرّفُ النّملةُ أمامَها على ذاتِ النّحوِ. مُمَثّلتا الحضارَةِ النّمليّةِ واقفتانِ باحترامٍ ممّا استَرعى استغرابَ بناتِ وَرْدانَ الكبير. فهِمت الرّقم 103 الاختبارَ على نحوٍ أفضَلَ. بناتُ وَرْدان تريدُ، في الواقعِ، حُضُورَ مُبارزةِ نمالٍ والفائزةُ هي التي ستُقبلُ في عشيرَتهنَّ.

لا تُحَبّذُ الرّقم 103 قتلَ النّمالِ لكنّها تعرفُ بأنّ الأولويّةَ لمُهمّتها (قبلت إحدى بنات وَرْدان أن تحملَ لها الشّرنقَةَ أثناءَ الاختبارِ). وثَمّ إنّها تجدُ هذه التي أمامَها مُقلقةً على نحوٍ مُطّرد. من هي هذه المُتكبّرةُ التي لا تتكلّمُ ولم تتعرّف حتّى على الرّقم 103 النّملةُ التي وصَلتْ إلى نهايةِ العالَم؟

أنا الرّقم 103683!

رفعتْ الأُخرَى قرنَيها مُجدّداً. وبقيتا هُما الاثنَتانِ في وضعيّةِ الرّمي.

لا يُعقَل أن نُطلقَ على بعضنا، بثّت الرّقم 103 وهي تقولُ في سرّها أنّهُ لا بدّ أنّ لدى الأُخرى جيبٌ مترَعٌ بالحمضِ.

تُصغِي إلى جسَدِها وتشعُرُ أنّهُ ليسَ لديها سِوى قطرةٍ صغيرةٍ في أسفَلِ جيبِها. إذا رَمَت بسُرعَةٍ قد تستَفيدُ من ميزَةِ المُفاجأةِ.

بحَشدِ جِماعِ قوّةِ عضَلاتِ بطنِها ترمِي قطرَتها.

ولكن بمَحضِ الصُّدفَةِ، ترمي الأُخرى في ذاتِ الوقتِ بالضّبطِ ما أدّى إلى تصادُمِ القطرتينِ وسقُوطِهما ببُطءٍ. (ببُطءٍ؟ لم يَرَ يوماً هواءً يجعلُ سائلاً ينزَلِقُ، لكنّها لم تَنتبِه لذلك.) تهجُمُ الرّقم 103 بفكّيها المُنفَرِجينِ إلى أقصاهُما، وتصطَدِمُ بشيءٍ قاسٍ. رأسُ فكّي الخصمِ يضرِبانِ رأسي فكّيها تماماً!

تُفكّرُ الرّقم 103. إنّ خصمَتها تبدُو سريعةً، وعنيدَةً، وتعرِفُ كيفَ تستَبِقُ ضرَباتِها إلى حدّ أنّها تصُدّها في اللّحظَةِ والموضعِ تماماً الذي تسدّد نحوهُ.

المُواجهَةُ غيرُ مُحبّذةٍ في مثلِ هذه الشّروطِ.

تلتَفِتُ إلى بناتِ وَرْدانَ وتُعلِنُ بأنّها ترفضُ القِتالَ ضدّ هذهِ النّملةِ لأنّها صهباءُ مثلها.

سيكونُ عليكم إمّا أن تقبلانا نحنُ الاثنتان أو ترفضانا سويّةً.

لا تتفاجأ بناتُ وَرْدان بهذا الكلام. ويعلِنونَ لها بأنّها نجَحت في الاختبارِ. لا تفهم الرّقم 103. فيفسّرُونَ لها. في الواقعِ، لم يكن ثمّةَ خصمٌ، لم يكن ثمّةَ خصْمٌ أمامَها نهائيّاً. لم تُخاطِب سِوى ذاتها منذُ البدايةِ.

لا تزالُ الرّقم 103 تجِدُ صُعوبةً في الفهمِ.

عندئذ تُضيفُ بناتُ وَرْدان بأنّها وُضعت أمامَ جدارٍ سحريّ، مُغطّى بمادّةٍ تجعَلُ «لذاتِ» المرءِ وجُوداً «قُبالتَهُ».

يُتيحُ هذا الجِدارُ معرِفَةَ الكثيرِ عن الغُرباءِ. لاسيّما كيفَ ينظُرونَ إلى أنفُسِهِم، قالت بنتُ وَرْدان المُسنّةُ.

ما هي الطّريقةُ المُثلى للحُكمِ على شخصٍ أفضَل من أن تضَعيهِ في حالةٍ يعتَرِفُ فيها صراحةً كيفَ سيتصرّفُ أمامَ ظُهورهِ؟

لقد اكتشَفت بناتُ وَرْدان هذا الجِدارَ السّحريّ مُصادفةً. ردُودُ الأفعالِ كانت مُثيرةً للاهتمام. كان البعضُ يُقاتِلُ لساعات صُورتَه الخاصّةَ، وآخرونَ يشتمونَ أنفُسهم. الأغلبيّةُ كانت تعتَبرُ بأنَّ الحيَوانَ الذي يظهرُ أمامَها «يستَحقُّ القتلَ» لأنّهُ لم يكن لديهِ رائحةٌ أو على الأقلّ ليس لديهِ روائحُهم ذاتُها.

قِلّةٌ من حاولوا التّآخي مع انعِكاسِ صُورتِهم من المرّة الأولى.

نطلبُ من الآخرين أن يتقبّلونا ونحنُ لا نتقبّلُ أنفُسَنا...، تفلسَفت بنتُ وَرْدان المُسنّةُ. كيفَ بوسعِنا مُساعدةُ شخصٍ غيرِ مُستَعدٍّ لمُساعدةِ نفسِهِ؟ كيف يُمكِننا تقديرُ شخصٍ لا يُقيمُ لنفسِهِ أيّ تقديرٍ؟

بناتُ وَرْدان فخُوراتٌ جدّاً باختِراعِ «الاختِبارِ العَظيم». بحَسبهِنّ، لا يوجدُ أيُّ حيوانٍ مهما تناهَى في الصّغَرِ أو الكِبرِ قادرٌ على مُقاومَةِ رؤيةِ نفسِهِ.

تعُودُ الرّقم 103 إلى المِرآة في الوقتِ عينِهِ مع قرينَتِها.

بالطّبعِ لم ترَ مِرآةً قطّ. تقولُ في سرّها للحظَة: لا بدّ أنّها تشهَدُ أكبرَ أُعجُوبةٍ في حياتِها. جدارٌ يُظهِرُ الذّاتَ أُخرى، ومُتحرّكةً في آنٍ واحِدٍ!

ربّما بخَسَت بناتَ وَرْدان قدْرَهنّ. إذا كُنَّ قادراتٍ على صُنعِ جِدارٍ سحريّ فلربّما هنَّ حقّاً أسيادُ الأصَابعِ!

بما أنّكِ في النّهايةِ تقبّلتِ نفسكِ، فإنّا نتقبّلُكِ، وبما أنّك في النّهايةِ أردتِ مُسَاعدةَ نفسكِ، فسوفَ نُساعِدُكِ، أعلَنت بنتُ وَرْدان المُسنّةُ.

170. استِراحَةُ المُحاربَين

كانت ليتيسيا ويلز تسيرُ مع جاك مِيليَس جنباً إلى جنبٍ في شارعِ فينيكس. أخذَت ذِراعَهُ، مُشاكسَةً.

– فاجَأني ما أبدَيتَهُ من حصافةٍ. كنتُ على يقينٍ بأنّكَ ستَحتَجزُ ذلكَ الزّوجَين المُسنّين اللّطيفَيْن على الفورِ. يتّصِفُ رجالُ الشّرطَةِ على العُمومِ بالعِنادِ والتعنّتِ الشّديدِ للإجراءاتِ.

حرّرَ ذِراعَهُ.

– فهمُ النّفسيّةِ البشريّةِ لم تكن يوماً ميزةً لديكِ.

– يا لسُوءِ النيّةِ!

– هذا طبيعيّ، أنتِ تكرهينَ البشَر! لم تُحاولي يوماً أن تفهَميني. لا ترينَ فيَّ سِوى أحمقَ ينبغي دوماً إعادَتهُ إلى رُشدهِ.

– لستَ أكثرَ من أحمقَ كبيرٍ!

– حتّى لو كنتُ أحمقَ، لستِ أنتِ المُؤهّلةَ للحُكمِ عليّ. أنتِ مُمتلئةٌ بالآراءِ المُسبّقة. لا تُحبين أحداً. وتَكرهينَ جميعَ الرّجالِ. لنيلِ إعجابكِ، يُفضّلُ أن يكونَ المرءُ مُزوّداً بستّةِ أرجُلٍ بدلَ اثنتين، وبفكّينِ بدلَ الشّفتين! (واجهَ النّظرةَ الأُرجُوانيّةَ، التي قسَتْ الآن.) أيّتها الطّفلةُ

المُدلّلةُ! دائماً تتبجّحِينَ بأنّكِ على حقّ! بينما أظلُّ، أنا، مُتواضِعاً حتّى حينَ أكونُ مُخطئاً.

- لستَ أكثرَ مِن...

- من رجلٍ مُتعبٍ أبدَى الكثيرَ من الصّبرِ مع صحفيّةٍ تقضي وقتَها في تدمِيرِهِ لمُجرّدِ أن ترفعَ من شأنِها أمامَ قُرّائها.

- لا داعِي لتشتُمني، إنّي ذاهبةٌ.

- هيّا ليكن، الهروبُ أسهلُ بكثيرٍ من الإصغاءِ إلى الحقيقة. وأنتِ إلى أينَ ستذهَبين؟ لتُسارعي بالانقضاضِ على آلتِكِ الكاتبةِ لتفضَحي هذهِ القصّةَ برمّتها؟ أُفضّلُ أن أكونَ شُرطيّاً يُخطِئُ على أن أكونَ صحفيّاً على حقّ. تركتُ آل راميريز بسلام، ولكن مع ذلك يمكنُ لهُما، بسببِكِ، لمجرّدِ أنّكِ مولعةٌ بلفتِ الأنظارِ، أن يقضيا أيّامهُما الأخيرةَ خلفَ القُضبانِ!

- لا أسمَحُ لكَ...

كـادَتْ أن تصفَعهُ. إلا أنّـهُ التقَطَ معصَمها بيدٍ دافئةٍ وحازمةٍ. اشتَبكتْ نظرتاهما، بؤبؤانِ سوداوانِ بمواجَهةِ بؤبؤينِ أرجُوانيينِ. غابةُ أبنُوسٍ بمواجَهةِ مُحيطٍ استوائيّ. استَولت عليهما مُباشرةً رغبةٌ بأن ينفَجرا بالضّحكِ، وأخذا سويّةً يضحَكانِ بقهقهةٍ عاليةٍ.

أيُعقلُ! لقد وجدا للتوّ حلاً لأهمّ لغزٍ في حياتِهما، وتواصَلا مع عَالَمٍ آخر، موازٍ وعجيبٍ، حيثُ تصنَعُ الرّجالُ روبُوتاتٍ مُتضامنةً، وتتواصَلُ مع النّملِ، وتتقنُ الجريمَةَ المُكتَملةَ. وكانا الآنَ في شارعِ فينيكس البائسِ، يتشاجرانِ مثلَ الأطفالِ فيما ينبغي عليهما معاً، يداً بيدٍ، أن يتَشاركا أفكارَهُما، وأن يُفكّرا بهذهِ اللّحظاتِ خارجَ الزّمنِ!

فقدَت ليتيسيا توازنَها، ولتواصلَ ضَحِكها أفضلَ جلست على الرّصيفِ. كانتِ الثّالثةَ صباحاً. وكانا شابّينِ، فرِحين، ولا يشعُرانِ بأيّ نُعاسٍ.

التقَطت الأولى أنفاسَها.

– أعتَذرُ! قالت. كنتُ غبيّةً.

– لا، لستِ أنتِ بل أنا.

– بلى، أنا.

وغرِقا في الضّحكِ مُجدّداً. كان شخصٌ خارجٌ من حفلٍ وعائدٌ إلى بيتِه ثملاً بعضَ الشيءِ، رمقَ بعينِ الشّفقةِ، هذا الثّنائيَّ الشّابَّ الذي بلا مأوى وليسَ لديهِ غيرُ الرّصيفِ ليُحبّا بعضَهُما عليهِ. ساعدَ ميليَس ليتيسيا على النّهُوضِ.

– لنذهب.

– لماذا؟ سألت.

– لا تقُولينَ لي بأنّكِ تُريدينَ قضاءَ ليلتكِ على الرّصيفِ؟

– لِمَ لا؟

– ليتيسيا، عاقِلتي المُفرِطةُ، ماذا يحصلُ لكِ؟

– حصلَ أنّي مللتُ بأن أكونَ عاقلةً إلى هذا الحدّ. غيرُ المُتعقّلينَ هُم الذينَ على صوابٍ. أريدُ أن أكونَ مثلَ جميعِ الراميريزيّينَ في العالَمِ!

سحَبها إلى زاوية، تحتَ مظلّةِ مبنى، تجنّباً من أنْ يبلَّ ندى الصّبح شعرها الحريريّ وجسَدها الرّهيفَ تحتَ بدلتِها السّوداءِ النّاعمة.

كانا قريبينِ جدّاً من بعضِهما. دون أن يرفّ لهُ جفنٌ، قرّبَ يدهُ ليُداعبَ وجهها. تهرّبَتْ.

171. حكايةُ حلَزونٍ

كان نِيكُولا يتقلّبُ في سريرِه.

– أمي لا أستطيعُ أن أغفِرَ لنفسي ادّعائي بأنّي آلهةُ النّملِ. بئسَ الخطأ! كيفَ السّبيلُ لإصلاحهِ؟

انحَنتْ لوسي ويلز فوقَهُ:

– ومن بوسعهِ أنّ يُقرّرَ، ما هو الجيّدُ، أو ما هو السّيءُ؟

– بالطّبعِ إنّهُ سيءٌ. أنا خجلٌ للغايةِ. لقد ارتكبتُ أسَوأ خطَأ يمكنُ تخيّلُهُ.

– لسنا على يقينٍ تامٍ بما هو جيّدٌ أو سيءٌ. أتريدُ أنّ أقصّ عليكَ حكايةً؟

– أرجُوكِ أمّي!

جلَسَت لوسي ويلز عندَ رأسِ ابنِها.

– إنّها حكايةٌ صينيّةٌ. كان يا ما كان في سالفِ الأزمانِ راهبانِ يتنزّهانِ في حديقةِ ديرٍ تاويٍّ وفجأةً، يُلاحظُ أحدُ الاثنينِ حلزُوناً على الأرضِ يقطَعُ دربَهما. أوقفَ رفيقَهُ حينَ كادَ هذا الأخيرُ أن يسحَقهُ سَهواً. انحنَى وأخذَ الحيوان. «انظُر أوشَكنا على قتلِ هذا الحلزون. إذ أنّ هذهِ الدابّةَ تُمثّلُ حياةً، وثمّةَ مصيرٌ، من خلالها، ينبغي أن يُستأنفَ. هذا الحلزونُ يجبُ أن يعيشَ ويواصلَ دوراتِ تناسُخه.» وبرقّة، أعادَ وضعَ الحلزونِ على العُشبِ. «مغفّلٌ! صرخَ، الرّاهبُ الآخرُ، حانقاً. بإنقاذكَ هذا الحلزونَ الغَبيّ، تُعرّضُ الخسَّ الذي يزرَعهُ جنائنيُّنا بعنايةٍ فائقة إلى الخطرِ. لكي تُنقِذَ لا نعرِفُ أيّ حياةٍ، تُدمّرُ عملَ أحدِ إخوَتنا.»

أخذا يتشاحَنانِ تحتَ البصَرِ الفضُوليّ لِراهِبٍ ثالثٍ كان يمرُّ من هُناك. وبما أنّهما لم يصِلا إلى اتّفاقٍ اقترَحَ الرّاهبُ الأوّلُ: «هيّا بنا نعرضُ أمرَ هذه القضيّةِ على الكاهنِ الكَبيرِ، هو فقَط من سيكونُ لديه الحكمةُ ليقرّرَ أياً منّا على حقّ.» لذا مضيا إلى الكاهنِ الكبير، وظلّ الثّالثُ يتابعهُما، وقد أثارتْ فضولهُ هذه القضيّةُ. حكى الرّاهبُ الأوّل كيف أنّهُ أنقذَ الحلزونَ وبذلكَ يكونُ قد حافَظَ على حياةٍ مُقدّسةٍ، تضمُّ آلافاً من الحيَواتِ المُستَقبليّةِ أو الماضية. أصغى الكاهنُ الكبيرُ لهُ، هزّ برأسه، ثمّ أعلنَ: «فعلتَ ما ينبغي فِعلُهُ. كنتَ على حقّ.» قفزَ الرّاهبُ الثّاني. «ماذا؟ هل إنقَاذُ حلزونٍ نهِمٍ للخسّ، يَعيثُ فسَاداً في الخُضارِ، سيكونُ عملاً جيّداً؟ كان على العكس ينبغي سحقُ الحلزونِ لحماية مسكبةِ الخُضارِ هذه التي بفضلها لدينا كلّ يوم ماكولاتٌ لذيذةٌ!» سمعَهُ الكاهنُ الكبير، هزّ برأسهِ وأعلنَ: «هذا صحيحٌ. هذا ما كان ينبغي فعلهُ. أنتَ على حقّ.» الراهبُ الثّالثُ الذي احتفظَ بصمته إلى الآن تقدّم: «ولكن وجهَتي نظرِهما مُتناقضتانِ كلَّ التّناقُضِ! كيف يمكنُ أن يكونا هما الاثنانِ على حقّ معاً؟» رمقَ الكاهنُ الكبيرُ مطوّلاً هذا المُتدّخلَ الثالث. فكّر، هزّ رأسهُ وأعلنَ «هذا صحيحٌ. أنتَ أيضاً، لديكَ حقٌّ.»

تحتَ الشّرشَفِ، كان نيكولا يُصدرُ غطيطاً خفيفاً، تكتنفهُ حالةٌ من السّكينةِ. بحنوّ أحكَمتْ لوسي شَملهُ بالغطاءِ.

172. موسُوعة

اقتصَاد: في الماضي، كانَ الاقتصاديّونَ يعتَبرونَ بأنّ مُجتمعاً سليماً هو مُجتمعٌ في طورِ الازدِهارِ. مُعدّلُ النموّ كانَ يُستَخدَمُ كمقياسِ حرارةٍ لمعرفَةِ صحّةِ

أيّ بنية سواءً أكانت دولةً، أم شركة، أو كتلةَ أُجورِ العاملينَ. ولكن يستحيلُ الاندفاعُ دوماً إلى الأمام بلا تبصّر. أتى الوقتُ لإيقاف الازدهارِ قبلَ أن يفيضَ ويُغرِقنا. لا يمكنُ أن يكونَ للازدهارِ الاقتصاديّ مُستقبلٌ. لا توجَدُ سوى حالةٍ واحدة مُستدامة: توازنُ القوى. إنّ مُجتمعاً، وطناً، أو عاملاً يتّصفون بالسّلامةِ هم مُجتمعٌ، وطنٌ، أو عاملٌ لا يُؤثّرونَ ولا يتأثّرونَ في الوسَطِ الذي يُحيطُ بهم. لا ينبغي علينا السّعيُ إلى الاحتِكارِ وإنّما على العكسِ أن نندَمِجَ مع الطّبيعةِ والكونِ. كلمةُ السرّ الوحيدة هي: انسِجامٌ. تداخلٌ مُنسَجِمٌ بين عالمِ الخارجِ وعالمِ الدّاخلِ. دونَ عُنفٍ ودونَ غرورٍ.

في اليومِ الذي يكفُّ فيه المُجتمعُ البشريُّ عن الشّعورِ بالتفوّقِ أو بالخوفِ أمام ظاهرةٍ طبيعيّة، سيكونُ الإنسانُ في حالة استقرارٍ مع عالمه. عندئذٍ سيعرِفُ التّوازنَ. وسيكفّ عن التصوّراتِ المُستقبليّة. وسيُقلع عن وضعِ أهدافٍ بعيدَةِ المَدى. سيعيشُ في الحاضِرِ، ببَساطة.

إدمون ويلز،

موسُوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلّد الثاني.

173. ملحَمةٌ في المجرَى

يتسلّقنَ ممرّاً شاقاً. تتشبّثُ الرّقم 103 بشرنقَة الفراشة الخاصّة بمهمّة عُطارِد بين فكّيها. بطيءٌ هذا الصّعودُ. أحياناً، يُضيءُ نُورٌ في أعلَى الممرّ غيرِ النّهائيّ. فتُشيرُ بناتُ وَرْدان للنَملة أن تلتَصِقَ بالجِدارِ وتُعيدَ قرنَيها إلى الخلف. في الحقيقة هي تعرفُ جيّداً بلادَ الأصابِعِ وتعرفُ أنّهُ بعدَ الإشارةِ الضّوئيّة مُباشرةً تُسمَعُ جلبةٌ مخيفَةٌ ثمّ تسقطُ كتلةٌ ثقيلةٌ شميّةٌ في الممرّ العموديّ تماماً.

- رميتَ كيسَ القُمامةِ في بئر القُمامة، حبيبي؟

- بلى. كان هذا الكيسَ الأخيرَ. عليكِ تذكّرُ شراءِ أكياسَ أُخرَى، أكبرَ حجماً. كانت سِعةُ هذه صغيرةً حقّاً.

تتقدّمُ الحشَراتُ مع الخشيةِ من انهياراتٍ جديدةٍ.

إلى أين تأخُذونني؟

إلى المكانِ الذي تُريدينَ الذّهابَ إليهِ.

يجتزنَ عدّةَ طبقاتٍ، ثمّ يتوقّفنَ.

إنّهُ هنا، قالت بنتُ وَرْدان المُسنّةُ.

ألن تُرافقُونني؟ سألت الرّقم 103.

لا. يوجدُ مثَلٌ عند بنات وَرْدان يقولُ: «الكلّ امرئٍ أعباؤُه». تدبّري أمركِ بمُساعدةِ نفسكِ. أنتِ أفضلُ حليفٍ لنفسكِ.

عندَ هذا الكلام، تُشيرُ لها المُسنّةُ نحوَ شقّ في فُتحَةِ بئرِ القُمامةِ والذي ستَصلُ من خلالهِ الرّقم 103 مُباشرةً إلى مجلى المطبخِ.

تلِجُ فيهِ الرّقم 103 مُتشبّثةً بقوّةٍ بشرنَقتِها.

ولكن ماذا أتيتُ أفعلُ هنا؟ تساءلت في سرّها. هي التي تخافُ الأصَابعَ إلى حدّ كبيرٍ، تأخذُ بالتجوّلِ داخلَ عُشّهم ذاتهُ!

لكن رُغمَ بُعدها عن مدينَتها وبُعدِها عن عالمِها، تعلمُ أنّ أفضلَ ما ينبغي عملهُ هو المُضيّ قُدماً من جديدٍ، دوماً إلى الأمام.

تسيرُ النّملةُ في هذا البلد الغريب حيثُ للأشياء جميعها أشكال هندسيّة تامّةُ الانتِظامِ. تكتشِفُ المطبَخَ وهي تأكُلُ فُتاتةَ مرميّةً من الخُبز.

لتمنَحَ نفسها الشّجاعةَ، تأخذُ آخِرُ ناجيةٍ من الحَملةِ بترنِيمِ لحنٍ بيلوكانيٍّ قصيرٍ:

تأتي اللّحظةُ التي فيها

النّارُ تواجهُ الماءَ

السّماءُ تواجهُ الأرضَ

الأعلى يواجهُ الأسفل

الصّغيرُ يواجِهُ الكبيرَ

تأتي لحظةٌ حيثُ فيها البسيطُ يواجهُ المُتعدّدَ

الدّائرةُ تواجهُ المُثلثَ

الأسودُ يواجهُ قوسَ قُزحٍ

ولكن وهي تُدندنُ هذه التّرنيمَةَ، تشعُرُ بالخَوفِ يتملّكها مُجدّداً وتأخذُ خطَواتها بالرّجَفانِ. حينَ يواجهُ النّارُ الماءَ يندَفقُ البُخارُ؛ حين السّماءُ تواجِهُ الأرضَ يغمرُ المطرُ كلّ شيءٍ؛ حينَ الأعلى يواجهُ الأسفل يكونُ الدّوارُ بالمِرصادِ...

174. اتّصالٌ مقطُوعٌ

- أتمنّى ألّا يترتّبَ على خطئِكَ عواقبٌ كثيرةٌ.

بعدَ الحادثِ «الإلهيّ»، كانوا قد قرّروا تحطيمَ آلة «حجر رشيد». بالتأكيدِ يشعُر نِيكُولا بالنّدمِ، ولكن يُستَحسنُ حمايتهُ من مُراودَةِ أيّ

فكرة إلهيّةٍ جديدة. فقد كانَ طِفلاً في النّهاية، وقد يرتكبُ حماقاتٍ إضافيّةً إذا ما زادتْ مُعاناتهُ من الجوعِ.

أخرجَ جازون براجيل ما في داخِلِ الحاسُوبِ وسحقُوهُ بأرجُلِهم بإصرارٍ حتّى لم يبقَ منهُ سِوى حُطام.

«الاتّصالُ مع النّملِ مقطُوعٌ نهائيّاً» فكّروا جميعاً.

من الخطَرِ الرغبةُ بأن يكونَ المرءُ مُفرِطَ القوّةِ في عالم هشّ. إدمون ويلز كان على حقّ. لا يزالُ الوقتُ مُبكراً إذ قد يترتّبُ علَى أدنى خطأ آثارٌ مُدمّرةٌ على حضارتِهم.

نظرَ نِيكُولا في عينيّ أبيهِ مُباشرةً.

- لا تشغَل بالكَ أبي. لا بدّ أنّهم لم يفهَموا كثيراً ما قُلتهُ لهم.

- لنأملْ ذلك بنيّ. لنأملْ ذلك.

الأصَابعِ آلهتنا، صاحَتْ مُتمرّدةٌ بفيرومُون حماسيّ نافذةً من الجدارِ. تلوي جُنديّةٌ بطنَها تحتَ صدرِها مُباشرةً وتُطلقُ. تسقُطُ الرّبوبيّةُ. في ردّ فعلٍ أخيرٍ، تضَعُ المُتمرّدةُ جسَدها الذي يتَصاعدُ منهُ الدّخانُ على هيئةِ صليبٍ بستّةِ أفرعٍ.

175. اليَنْ واليانغ

عندَ الصّباحِ، ليتيسيا ويلز وجاك ميليَس توجّها دونَ استعجالٍ إلى شقّةِ الصّحفيّةِ الشابّة. لحسنِ الحظّ، كانت قريبةً جدّاً. إذ اختارتْ كما آل راميريز وأبيها أن تُقيمَ على حُدودِ غابةِ فونتينبلو. إلّا أنّ حيَّها أكثرُ

جاذبيّةً من حيّ شارعِ فينيكس. كانَ ثمّةَ شوارعُ للمُشاةِ مع محالٍّ تجاريّةٍ فخمة، والعديدُ من المساحاتِ الخضراءِ وحتّى ملعبٌ للمني-غولف، وبالطّبعِ مكتبُ بريد.

في الصّالونِ تخلّصا من ثيابِهما الرّطبةِ وارتمى كُلٌّ منهُما على كنبةٍ.

– ألا زلتِ تشعُرينَ بالنّعاسِ؟ سألها ميليَس بلُطفٍ.

– لا. فقد تسنّى لي أن أنامَ بعضَ الوقتِ.

أمّا هو، فلولا الإرهاقُ العضليّ ما من شيءٍ يدلّ على أنّ جفناً لهُ لم يغمَض ليلةَ أمسِ، مأخوذاً بتأمّلِ ليتيسيا. ذهنُه كان متيقّظاً، مُتأهباً لألغازٍ جديدَةٍ، ومغامراتٍ جديدةٍ. بأن تقترحَ عليهِ تنانينَ أخرى ليقضيَ عليها!

– أقليلٌ من الهيدروميل؟ مشرُوبُ آلهةِ الأولمبِ والنّملِ...

– أوه، لا تتلفّظي بهذه الكلمةِ بعدَ اليومِ. لا أريدُ أن أسمَعَ أبداً، أبداً، أبداً كلاماً عن النّملِ.

حطّت على ذِراعِ كنبتهِ وشربا نخباً.

– خاتمةُ التّحقيقِ في قضيّةِ الكيميائيّينَ المذعُورينَ ووداعُ النّملِ!

تنهّد ميليَس.

– إنّي في حالةٍ... أشعرُ معها بالعجزِ عن النّومِ، وفي الوقتِ ذاتِه، بالوهنِ لأستطيعَ العَمل. ما رأيكِ بجَولةِ شطرَنج، كما في الأوقَاتِ الحُلوةِ التي كنّا، في فندُقِ بوريفاج، نترقّبُ فيها النّملَ؟

– لا تأتِ على سيرةِ النّملِ! ضحكت ليتيسيا.

«لم يحصَل أبداً أن ضحكتُ كلّ هذا الضّحكِ في مُدّةٍ وجيزةٍ» فكّرا همُا الاثنان في وقتٍ واحدٍ.

- لديّ فكرةٌ أفضلُ، قالتِ الشابّةُ. الداما الصينيّة[61]. لا تعتَمدُ هذه اللّعبةُ على تدميرِ قِطعِ الخصمِ وإنّما استخدامها للتقدّمِ على نحوٍ أسرع.

- لنتأمّلْ بأنّها ليسَت لُعبةً مُعقّدةً، نظراً لحالةِ رأسي المُتعبِ. علّميني لنرَى.

ذهبَت وأحضَرت اللّوحَ الرّخاميّ ذا الشّكلِ السّداسيّ المنحُوتَ عليه نجمة بستّة أفرُع.

أعلَنت قواعِدَ اللّعبة:

- كلّ رأسِ نجمة يُشكّلُ طرفاً مُمتَلئاً بعشرِ كُرات زُجاجيّة. كلُّ طرف لديه لونُهُ. الهدفُ أن تأخذَ كُراتكَ في أسرَعِ وقتٍ ممكنٍ إلى الطّرفَ المُقابلِ. تتقدّمُ كُراتُنا قفزاً فوقَ كُراتنا أو كُراتِ الخصمِ. يكفي أن يكونَ المُربّعُ وراءَ الكُرةِ شاغراً للقفزِ فوقهُ. بإمكاننا تقفيزُ الكُراتِ كما نريدُ وفي شتّى الاتّجاهاتِ طالما ثمّةَ مكانٌ لتنزلَ فيهِ.

- وإذا لم نجِد كُراتٍ للقفزِ فوقَها؟

- نتقدّمُ مربّعاً مربّعاً في كافّةِ الاتّجاهاتِ.

- نأخذُ الكُراتِ التي نقفزُ فوقَها؟

- لا، على العكسِ من الدّاما التّقليديّة، لا نُدمّرُ شيئاً. نتكيّفُ ببساطةٍ مع جُغرافيّة المساحاتِ الحُرّة لنعثرَ على الدّربِ الذي يُؤدي بأسرعِ وقتٍ مُمكنٍ إلى الطّرفِ المُقابلِ.

بدآ الجولةَ.

61- الداما الصينيّة هي من الألعاب اللوحية التركيبية يمكن أن يلعب بها لاعبان أو ثلاثة أو أربعة أو ستة لاعبين ويكونون إمّا أفراداً أو بشكل زوجي.

أعدّتْ ليتيسيا سريعاً ما يُشبهُ طريقاً، يتشكّلُ من كُراتٍ تفصلها مُربّعاتٌ. وأخذت قِطَعَها هذا الطّريقَ، واحدةً بعدَ الأُخرى، ليصلوا أبعدَ ما يُمكن.

تصرّفَ ميليَس بالطّريقةِ ذاتها. في نهايةِ الجولةِ الأولى كان آخذاً جميعَ قِطَعِهِ إلى طرفِ الصّحفيّة. جميعها ماعدا واحدةً، مُتأخرةً منسيّةً. وفي الوقتِ الذي استغرَقَهُ ليأخذَ هذهِ المُنعزلةَ، كانتِ الشّابّة عوّضت كلّ تأخّرٍ.

– ربحتِ، اعترفَ.

– بالنّسبة لمُبتدئٍ، تدبّرتَ أمركَ على نحوٍ جيّد. ستُحاذرُ الآنَ بألّا تنسى كُرةً. ينبغي التّفكيرُ بإخراجِهم بأسرَعِ وقتٍ، جميعاً، دون أن تغفلَ عن أيّ واحدة.

ما عادَ يسمعُها. كانَ يتأمّلُ الرّقعةَ، كما لو كان مأخوذاً.

– جاك هل من خطبٍ؟ سألت قلقةً. بالطّبعِ بعدَ ليلةٍ كهذهِ...

– ليسَ الأمرُ هكذا. أشعرُ أنّي بأفضَلِ حالٍ. ولكن انظُري إلى هذهِ اللّعبةِ، انظُري إليها جيّداً.

– انظُرُ إليها، وماذا تعني؟

– ماذا تعني! هتفَ. إنّهُ الحلُّ.

– اعتقدْتُ أنّنا عثرنا على جميعِ الحُلولِ.

– ليسَ هذا، أصرَّ. ليسَ اللّغزُ الأخيرُ للسيّدةِ راميريز. أتتذكّرينَ: كيفَ تشكيلُ ستّة مثلّثات من ستّة أعواد ثقابٍ؟ (تفحّصَت دون جدوى الشّكل السّداسيّ) تمعّني أكثر. يكفي وضعُ ستّة أعوادِ ثقابٍ على هيئةِ نجمةٍ بستّةِ أفرعٍ. كما هي مُمثّلةٌ على هذهِ اللّعبةِ. بمُثلّثينِ مُتداخِلينِ!

تفحّصتْ ليتيسيا الرّقعةَ بتنبّهٍ أكثرَ.

– هذه النّجمةُ، إنّها نجمةُ داوود، قالت. وهي ترمزُ إلى معرفةِ العالَمِ الصّغيرِ، مُتّحِداً إلى العالَمِ الكبيرِ. اقترانُ الكبيرِ غيرُ المُتناهي مع الصّغيرِ غير المُتناهي.

– أحببتُ هذا التّصوّرَ، قال وهو يُدني وجههُ من وجهِها.

بقيا هكذا، مُتلامِسي الخُدود، يتأمّلانِ الرّقعةَ.

– ربّما يُمكننا تسميةُ ذلك اتّحادَ السّماءِ مع الأرضِ، لاحظَ. بهذا الشّكلِ الهندسيّ المثاليّ، كلُّ شيءٍ يتكاملُ، يتداخلُ، ويتزاوجُ. المناطِقُ تتداخلُ مُحافِظةً على خصُوصيّتها. إنّهُ امتزاجُ الأعلى مع الأسفلِ.

وأخذا يتَباريانِ بالمُقارناتِ.

– الينُّ مع اليانغ.

– الضّوءُ مع الظُّلماتِ.

– الخيرُ مع الشّرِّ.

– الباردُ مع الدّافئِ.

عقَدت ليتيسيا جبينها باحثةً عن تبايُناتٍ أُخرى.

– الحكمةُ مع الجنُونِ؟

– القلبُ مع العقلِ.

– الرّوحُ مع المادّةِ.

– النّشِطُ مع الخاملِ.

– النّجمةُ، اختصرَ ميلِيَس كما جَولةُ «داماك» الصينيّة، ينطلقُ فيها كلُّ واحدٍ من وجهةِ نظَرِه ليتبنّى في النّهايةِ وجهةَ نظَرِ الآخر.

- ما يفسّرُ الجُملةَ المفتاحيّةَ للغزِ: « ينبغي التفكيرُ بطريقةِ الآخرِ ذاتها»، قالت ليتيسيا. ولكن لا يزالُ لديّ تداعياتُ أفكارٍ أخرَى أقترحُها عليكَ. ما رأيكَ «بتزاوجِ الجمالِ مع الذّكاءِ»؟

- وأنتِ، ما رأيكِ بالمُذكّرِ... والمؤنّث؟

أدنَى خدّهُ أكثر، بشَعرِ ذقنه النابتِ حديثاً، من خدّ ليتيسيا، المُفرِطِ النّعُومةِ. وتجرّأ على تمريرِ أصَابِعهِ خللَ شعرِها الحَريريّ.

هذهِ المرّة، لم تصدّهُ.

176. عالمٌ خارقٌ للطَبيعة

تنزِلُ الرّقم 103 عن حوضِ المجلَى، تُجرجِرُ خطَواتها على أطرافِ المِكنسَةِ الكهربائيّة، تأخذُ الممرَّ، وتتسلّقُ كرسيّاً، تزحفُ على جِدارٍ، تختَبئُ خلفَ لوحةٍ، ثمّ تخرج من جديد، تتسلّقُ حوافَّ مقعدِ المرحاضِ شديدةَ الانحدارِ.

يوجدُ بُحيرةٌ صغيرةٌ في الأسفَلِ ولكن لا رغبةَ لها بالنّزولِ فيها. تذهبُ إلى الحمّام، تشتمُّ رائحةَ معجونِ أسنانٍ بنكهةِ النّعناعِ غيرِ مُغلقٍ بإحكامٍ، والرّائحةُ الحُلوة لما بعدِ الحلاقةِ، ثمّ تقفزُ برشاقةٍ على صابونةِ مارسيليا، وتتزحلقُ على عبوةِ شامبو بالبيضِ كادت لولا فارقٍ بسيطٍ أن تغرقَ فيها.

رأت ما يكفي. لا يوجدُ أدنى إصبَعٍ في هذا العُشّ.

تستأنفُ الطّريقَ.

إنّها بمفردِها. تقولُ في سرّ نفسِها: إنّها تُمثّلُ الخاتِمةَ الأبسَطَ والأصغرَ

للحَملة. في المُحصّلة كلُّ شيءٍ يعودُ إلى فردٍ. والخيارُ لا يزالُ لدَيها إلى الآن في أن تكونَ مع الأصابِعِ أو ضِدّهم.

هل الرّقم 103 قادرةٌ بمُفردِها على القضاءِ عليهم جميعاً؟

بالتّأكيد. ولكن لن يكونَ الأمرُ سهلاً.

فقَد سبقَ لجُنديّات الحَملة أن اضطَررنَ إلى حَشد ثلاثةِ آلافٍ من المُقاتلات للقضاءِ على واحدٍ فقط من أولئكَ العمالقة!

كلّما فكّرت بذلكَ، قالت لنفسها بأنّ عليها التخلّي عن فكرةِ إبادةِ جميعِ أصَابِعِ الأرضِ.

تصِلُ أمامَ حوضٍ للسَمكِ وتبقَى لوهلةٍ طويلةٍ لصقَ جِدارِه، تنظُرُ إلى العصافيرِ الغريبَةِ والمُتعدّدةِ الألوانِ هذه وهي تسيرُ الهُوينى في الذّهابِ والإيابِ، مُتوهجَةً بتدرّجاتِ قوسِ قُزحٍ.

تمرُّ الرّقم 103 لاحقاً تحتَ بابِ المدخلِ، وتستَلمُ الدّرجَ الرّئيسيّ، ثمّ تصعَدُ طبقةً.

تدخُلُ شقةً ثانيةً وتستأنفُ بحثها: الحمّامُ، المطبخُ، الصّالونُ. تضيعُ بفتحَة جهازِ الفيديو، تزورُ للحظةِ المُكوّناتِ الكهربائيّةَ، تخرُج ثانيةً، وتدخُلُ في غُرفةٍ. لا أحد. ولا أيُّ إصبَعٍ في الأُفقِ.

تعودُ وتجِدُ طريقاً عبرَ بئرِ القُمامةِ وتصعدُ طبقَةً أُخرى. مطبخٌ، حمّامٌ، صالونٌ. لا أحد. تتوقّف، وتبصُقُ فيرومُوناً وتُدوّنُ فيهِ ملاحظاتِها عن العاداتِ الإصبعيّة:

الفيرومُون: علمُ الحيوان

الموضُوع: الأصَابع

سيّالةُ اللّعابِ: الرّقم 103683

تاريخُ السّنةِ: 100000667

يبدُو أنّ لدى الأصَابعِ أعشَاشٌ ذاتُ تصاميمَ مُتماثلة. إنّها كهوفٌ واسعةٌ في صخرٍ لا يُمكنُ حفرُهُ. تتّخذُ شكلَ المُكعّبِ وتتكدّسُ الواحدَ تلوَ الآخرِ. هذهِ الكهوفُ دافئةٌ في مُعظمِ الأوقات. السّقفُ أبيض والأرضيّةُ مفروشةٌ بنوعٍ ملوّنٍ من العُشبِ. لا يأتونَ للعيشِ فيها إلّا نادِراً.

تخرجُ إلى الشّرفة، وتتسلّقُ الواجِهةَ مُستَخدمةً وسائدَ أقدامِها اللّاصِقةَ وتصِلُ إلى شقّةٍ جديدةٍ تُشبهُ سابقاتِها. تدخُلُ الصّالونَ. هناكَ تظهرُ أصَابِعُ أخيراً. تتقدّمُ. يُطارِدونها ليقتلوها. بالكادِ يتسنّى للرقم 103 الهروب وهي تشدُّ بقوةٍ على شرنَقتها.

177. موسُوعة

اتّجاه: مُعظَمُ الملاحِمِ البشريّةِ الكبيرةِ حدَثتْ من الشّرقِ إلى الغربِ. منذُ الأزلِ، لحقَ الإنسانُ سِباقَ الشّمسِ مُتسائلاً عن المكانِ الذي تهوي فيه كرةُ النّارِ. أوليس، كريستوف كولومبوس، أتيلا[62]... جميعهم ظنّوا بأنّ الغربَ هو الحلّ. الذهابُ إلى الغربِ، يعني إرادَةَ معرِفةِ المُستقبلِ.

62– Attila: ملك هوني عاش بين عامي (395 – 453)، أسس في روسيا وأوروبا إمبراطورية واسعة، عاصمتها ما يسمى اليوم المجر.

ولكن، إذا تساءلَ البعضُ «أين» كانتْ ذاهبةً، فإنّ بعضاً آخر أرادَ أن يعرفَ «من أينَ» كانت قادمةً. الذّهابُ إلى الشّرقِ، هو رّغبةُ المغامرينَ في معرفةِ أصولِ الشّمسِ ولكن أيضاً البحثُ عن أصولِهم. ماركو بولو، نابليون، بيلبو الهوبيت (أحد أبطال سيّد الخواتم لتولكين) إنّهم شخصيّاتٌ ينتمونَ لجهةِ الشّرقِ. ظنّوا بأنّهُ إذا كان ثمّةَ شيءٌ للاكتشاف، فهو هناكَ، في الوراءِ البعيدِ، حيثُ كلّ شيءٍ يبدأُ حتّى الأيّام. لا يزّالُ اتّجاهانِ في رمزيّةِ المغامرينَ. وها هو تفسيرُهما. الذّهابُ إلى الشّمالِ هو البحثُ عن عقباتٍ لتقييمِ القوةّ الذّاتيّةِ. التّوجّهُ صوبَ الجنوبِ، هو البحثُ عن الرّاحةِ والتّهدئةِ.

إدمون ويلز،

موسُوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلّد الثاني.

178. التّطواف

تطوفُ الرّقم 103 في عالمِ الأصَابعِ الخارقِ لوقتٍ طويلٍ دونَ هُدى حاملةً حُزمتَها الثّمينةَ. تزورُ أعشاشاً عديدةً. تكونُ خاليةً حيناً، وحيناً تُطارِدها الأصَابعُ لتقتُلها.

في لحظة، يستهويها أنْ تُقلعَ عن مُهمّة عُطارِد. مع ذلكَ سيكونُ مُؤسفاً بعدَ أن قطَعت هذا الطّريقَ الطّويلَ، وبذَلت جهُوداً مُضنيةً أن تستَسلمَ الآن. ينبغي عليها أن تعثُرَ على أصَابعَ لُطفاء. أصَابع ودودَة للنملِ.

تزُورُ الرّقم 103 حوالي مائةَ شقّةً. يسهُلُ عليها إيجادُ الطّعام. الكثيرُ من الغذاءِ متروكٌ في الأرجاءِ. ولكن، وحدَها في هذهِ المساحاتِ ذاتِ الزّوايا، تشعرُ بنفسِها على كوكبٍ آخرَ حيثُ كلّ شيءٍ هندسيّ

ومُزخرَفٌ بألوانٍ خارقة: أبيَضُ لامعٌ، بُنيٌّ مُصْمَتٌ، أزرقُ كهرُبائيّ، بُرتقاليّ فاقعٌ، أخضرُ مُصفرّ.

بلادٌ مُحيّرةٌ!

لم يعُد فيها أشجارٌ تقريباً، ولا نباتاتٌ، ولا رِمالٌ، ولا أعشابٌ. مجرّدُ أغراضٍ أو موادّ ملساءَ وباردة.

تقريباً ولا أيُّ حياة برّية. بعضُ العُثّ فحسب والذي يهربُ ما إن تقترَبُ منهُ، كما لو أنّهُ يخافُ هذهِ الهمجيّةَ القادمةَ من الغابة.

تضيعُ الرّقم 103 في ممَسَحةٍ، وتتخبّطُ في عُلبةِ طحينٍ، تستكشِفُ أدراجاً ذاتَ مُحتوياتٍ مُدهِشة.

لم يعد ثمّةَ أيّةُ علامةٍ شميّةٍ أو بصريّةٍ. مُجرّدُ أشكالٍ ميّتةٍ، ذَرورٍ ميّتٍ، أعشاشٍ فارغَةٍ أو مليئةٍ بالوحُوشِ.

ينبغي -*في كلّ شيءٍ* -*العثورُ على المركزِ*، كانَتْ تؤكّد بيلو-كيو-كيوني. ولكن كيف يمكنُ تحديدُ المركزِ بين هذه الوفرةِ من الأعشاشِ المُكعّبةِ التي تتراكبُ فوق بعضِها بعضاً أو تتلاصَقُ الواحِدةُ بالأُخرى؟

وهي وحيدةٌ، وحيدةٌ للغايةِ، بعيدةٌ جدّاً عن ذويها!

يكتَنفُها الحنينُ، وتشتاقُ إلى الهرَمِ المُهدّئِ لبيل-أو-كان، إلى نشاطِ أخواتِها، ودفءِ التّطاعُماتِ اللّطيفِ، للعطرِ الجذّابِ للنباتاتِ التي تُطالبُ ببذرِها، لظلّ الأشجارِ المُطَمئِنِ. كَم تفتَقدُها، تلك الصّخورُ حيثُ لا تُضاهى مُتعةُ غَرفِ الطّاقةِ الحراريّةِ عليها، وإلى تلكَ الإشاراتِ الطُرقيّةِ الفيرومونيّةِ التي تتسلّلُ بينَ الأعشابِ!

وتمضي الرّقم 103 قُدماً، كما الحَملةُ في الماضِي، إلى الأمامِ دوماً. أعضاؤها جانستون مشوّشةٌ بحشدٍ من الموجاتِ الغريبةِ: موجاتٌ

كهربائيّةٌ، موجاتُ راديو، موجاتٌ ضوئيّةٌ، موجَاتٌ مغناطيسيّةٌ. العالَمَ فيما وراءَ العالَمِ ليسَ سِوى فوضَى من المعلوماتِ الخاطئة.

تطوفُ من مبنَى إلى مبنَى بحسبِ مشيئةِ خرطُومٍ، خطِّ هاتفٍ أو حبلِ غسيل.

لا شيءَ. ولا أيّةُ إشارةِ استقبالٍ. **الأصَابِعُ** لم يتعرّفوا عليها.

الرّقم 103 في حَيرةٍ.

وصلت سَئِمةً إلى أن تتسَاءلَ «وما الدّاعي؟» إلى «وما الغايةُ؟» حين فجأةً تلتقطُ فيرومُوناتٍ مُختلفةً. أريجُ نملةٍ صهباءَ من الأحراشِ. تندَفعُ سعيدةً إلى الرّوائحِ الإعجازيّة. كلّما تعدُو، يزدادُ تعرّفها على هذا العلمِ الشّميّ: جيو–لي–كان، العشُّ الذي خطفتهُ **الأصَابِعُ** قبل انطلاقِ الحَملَةِ بمدّةٍ وجيزةٍ!

يجتذبُها العطرُ اللّذيذُ مثلَ مغناطيسٍ.

أجل. عشُّ جيو–لي–كان إنّهُ هنا، سليمٌ لم يُمسّ. وشعبُهُ سليمٌ أيضاً. ترغَبُ في مُحادثَةِ أخواتِها، في ملامستِهنّ، لكنّ جداراً قاسياً وشفّافاً ينتَصِبُ بينهنَّ وبينها حائلاً دون أيّ تلامُسٍ. المدينةُ مُغلقٌ عليها داخلَ مُكعَّبٍ. تتسلّقُ السّطحَ. هُناك، يُوجدُ ثقوبٌ، أضيَقُ مِن أن تسمَحَ باحتكَاكِ القُرونِ، غيرَ أنّها كافيةٌ للبثّ عبرَها.

تُخبرها الجيوليكانيّات كيفَ أُخذنَ إلى هذا العُشّ الاصطناعيّ. ومنذُ أن وضعنَ فيه بالقوّة، تدرسُهم خمسُ **أصابِعَ**. لا، هذه **الأصَابِعُ** ليسَت عدائيّةً. لا يقتلونَ. إلّا أنه حصَلَ في أحد المرّات حدَثٌ غريبٌ. أصَابِعُ أُخرى، لم تكن مألوفةً بالنّسبةِ لهنّ، خطفُوهن مُجدّداً، وهززنهنّ دونَ مُراعاةٍ وقُتلَ آنذاك الكثيراتُ من الجيوليكانيّاتِ.

ولكن مُنذُ أن أُعـدنَ إلى هذا المكانِ، لم يعُدنَ يواجِهنَ مشاكلَ. **الأصَابِعُ** الخمسُ «اللّطفاءُ» يُطعمُونهنّ، ويعتَنونَ بهنّ، ويحمُونهنّ.

الرّقم 103 في أوجِ فرَحِها. أتكونُ قد وصَلت أخيراً إلى المُحاورينَ الذين تبحَثُ عنهم مُنذُ زمنٍ طويلٍ؟

بواسِطةِ الـرّوائِـحِ والحـركـاتِ، النّمالُ السّجينةُ داخـلَ العُشّ الاصطناعيّ يُشرْنَ إليها كيفَ تلتَقي بأولئك **الأصَابِعِ** «اللّطفاء».

179. أريج

كانت أوغستا ضمنَ الحلقة الجماعيّة. كان الجميعُ يُصدرُ الصّوتَ أوم ثمّ أخذَت تتشكّلُ فُقاعةٌ روحيّةٌ حيثُ ارتمى الجميعُ داخِلها واحداً بلصقِ الآخرِ.

مُعلّقونَ بشكلٍ غيرِ واقعيّ، هناك في الأعلى، على مسافةِ مترٍ فوقَ رؤوسِهم وخمسينَ سنتمتراً تحتَ السّقفِ، لم يعُد ثمّةَ جوعٌ، لم يعُد ثمّة بردٌ، لم يعُد ثمّة خوفٌ، نسَوا أنفُسَهم، ليسوا سِوى حفنةٍ من أبخِرةٍ مُفكّرةٍ ومُعلّقةٍ.

ومع ذلك، سُرعانَ ما خرَجت أوغستا ويلز منَ الفُقاعةِ. وتجسّدت ثانيةً في جسَدها الذي من لحم ودم. لم يكن تركيزُها كافياً. شيءٌ ما كان يشغَلُها. فكرةٌ متطفّلةٌ. ظلّت علَى الأرضِ مع ذهنِها وأناها. حادِثةُ نِيكُولا كانت تُزوّدها بمادّةٍ للتفكيرِ.

كانت تقولُ لنفسِها: لا بدّ أنّ عالَمَ البشرِ مُدهشٌ جدّاً لنَملة. لن يتمكّنَ النّملُ يوماً من فهم ما هي السيّارةُ، أو آلةُ تحضيرِ القهوةِ أو آلةُ ختمِ تذاكرِ القِطارِ. هذا يفوقُ مُخيّلتهم. تقولُ أوغستا ويلز في سِرّها: إنّ

المسافةَ بين العالَمِ النّمليّ وهذا العالَمِ البشريّ غيرُ المفهُومِ ربّما هي ذاتُها التي تفصِلُ العالَمَ البشريّ عن بُعدٍ أعلى (إلهيّ؟).

رُبّما يوجدُ نِيكُولا ما في بُعدٍ زمكاني أعلى. نتساءلُ لماذا يتَصرّفُ الإلهُ على هذا النّحوِ، يا تُرى أيكُون في الواقعِ طِفلاً طائشاً يتسلّى بدافعِ الضّجرِ!

متى سنقولُ لهُ بأنّ ساعةَ العصرُونيّةِ قد حانَتْ وينبغي عليهِ التّوقّفَ عن اللّعبِ مع البشرِ؟

كانت أوغِستا ويلز دائخةً بهذِهِ الفكرةِ ومُثارةً في الوقتِ عينِه.

إذا كانتِ النّمالُ عاجِزةً عن تخيّلِ آلةِ ختْمِ تذاكِرِ القِطارِ، فأيّةُ آلاتٍ، وأيّةُ مفاهيم أصليّةٍ تُحرّكها آلهةُ الزّمكانِ العالي؟

ليسَت هذه سِوى أفكارٍ مجانيّةٍ لا طائلَ منها. فأعادَت تركيزَها مُجدّداً وألفَت نفسها ثانيةً في الفُقاعَةِ الدّافئةِ والمُريحةِ لأذهانِ المجمُوعةِ.

180. الهدَفُ يقترِبُ

يعجُّ المكانُ بالأصواتِ، بالرّوائِحِ والحرارةِ. يوجدُ أصَابِعُ حيّةٌ هُنا، هذا بديهيٌّ.

تقتَرِبُ الرّقم 103 من منطَقةِ الأصواتِ والتّذبذُبات مُحاولةً ألّا تضيعَ في غابةٍ منَ المُوكيتِ الأحمَرِ السّميك. دربُها مزروعٌ بالعقَبات الطريّة. عدّةُ أقمشَةٍ مُزركَشَةٍ مُتناثِرةٍ على الأرضِ. المُحاربةُ الأخيرَةُ للحَملَةِ تتسلّقُ سُترَةَ جاك مِيليَس، ثمّ بنطالهُ، وتُتابعُ دربَها وهي تَطأُ بذْلةً من الحريرِ الأسوَدِ، تتقدّمُ على قميصِ المُفوّضِ، أبعدَ قليلاً تصعَدُ

وتهبطُ الجِبالَ الرّوسيّةَ المُتشكّلةَ من صَدّارةِ ليتيسيا ويلز. تتقدّمُ نحوَ منطقةِ الاضطراباتِ.

أمامَها، طرَفُ ملاءَة محُوك مُتدلّ عن السّريرِ، تتسلّقهُ. كلّما صعَدت، يزدادُ الاهتزازُ. ثمّةَ روائِحُ أصَابِع، سُخونةُ أصَابِع، أصواتُ أصَابِع، إنّهم هُناكَ في الأعلى، هذا مُؤكّدٌ. أخيراً ستُقابِلهم. تفتَحُ حافظةَ شرنَقة الفراشَةِ وتُخرِجُ منها كنزها. مهمّةُ عُطارِد وصَلت إلى نهايتِها. تسلّقتْ قمّةَ السّريرِ.

وليكن ما يكُون.

أغمضَت ليتيسيا ويلز عينَيها الأرجُوانيّتين، كانت تشعرُ بطاقة شَريكِها «اليانغ» التي تمتَزِجُ بطاقتِها «الين». كان جسَداهُما المُتّحدان يرقُصانِ عبرَ أطوارٍ مُتناسقة. حين أعادَت ليتيسيا فتحَ عينَيها، أجفَلتْ. كان أمامَ أنفِها تقريباً ثمّةَ نملةٌ تلوّحُ بورقةٍ صغيرةٍ مطويّةٍ ورقيقة جدّاً بين فكيّها! كان في المشهَدِ ما استَدعى ارتِباكها. توقّفتْ عن الحركةِ، جمَحتْ، انسَحَبتْ.

تفاجأ جاك ميلِيَس بهذَا الانقِطاعِ المُباغِتِ.

– ماذا يحدُثُ؟

– توجدُ نملةٌ على السّريرِ!

– لا بدّ أنّها هرَبت من حوضِك. كان لدينا اليومُ ما يكفينا منَ النّملِ، اطرُديها ودعِينا نستأنِفُ من حيثُ توقّفنا!

– لا، انتَظِر، هذهِ ليست كما الأُخرياتِ. لديها شيءٌ خارجَ المألوفِ.

- إحدى روبُوتاتِ آرتور راميريز؟

- لا، إنّها نملةٌ حيّةٌ بالفعلِ. وربما لن تُصدّقني، ولكن، لديها مِزقةُ ورقَةٍ مطويّةٍ بين فكّيها وتبدُو

أنّها تريدُ تسليمها لنا!

تذمّرَ المُفوّضُ لكنّهُ وافقَ على أن يتأكّدَ من المعلومَةِ. رأى بالفِعلِ نملةً تحمِلُ مِزقَةَ ورقَةٍ مطويّةٍ.

ميّزتِ الرّقم 103 سفينَةً أمامها تعجُّ بالأصَابِعِ.

عادةً يتوزّعُ الحيَوانُ الإصبَعيّ على قطيعَينِ من خمْسِ أصَابِعَ. إلّا أنّهُ لا بدّ بأنّ هذا الحيوانَ متفُوّقٌ فهو سَميكٌ وليسَ لديه اثنان فحسب وإنّما أربَعةُ قُطعانٍ وكلٌّ واحدٍ بخمْسِ أصَابعَ. أي عُشرُونَ إصْبَعاً يمرَحُونَ مُتفرّعينَ عن بنيةٍ جذريّةٍ ورديّةٍ واحدةٍ.

تتقدّمُ الرّقم 103 وتمدّ الرّسالةَ بطَرفِ فكّيها مُحاوِلةً ألّا تغرَقَ بالخوفِ الطّبيعيّ الذي يتوجّبهُ حضُورُ هذه الكائِناتِ الجامحة.

تعودُ لتذكّرِ واقعةِ معرَكة الغابَة ضدّ الأصَابِعِ وتتمنّى لو تُطلقُ أرجُلها للريحِ وتهرُب. ولكن سيكونُ منَ الغباءِ عدَمُ المُواجهةِ وهي على وشَكِ أن تلمِسَ الهدَفَ.

- هيّا، حاولْ معرفةَ ما الذي تُمسكهُ بين فكّيها.

مدّ جاك مِيليَس يدهُ ببطءٍ شديدٍ نحوَ النّملةِ. همَسَ:

- هل أنتِ متأكّدةٌ بأنّها لن تعُضّني أو ترشّني بحمضِ النّمليكِ؟

- لن تقولَ لي إنّكَ خائِفٌ من نملةٍ صغيرةٍ؟ همسَت له ليتيسيا في أُذنِه.

الأصَابعُ تقتربُ والخوفُ يكتسِحها. تعودُ الرّقم 103 إلى تذكّرِ الدّروسِ التي تلقّتها وهي صغيرةٌ في بيل-أو-كان. أمامَ المُفتَرِسِ علينا أن ننسَى بأنّهُ الأقوَى. ينبغي التفكيرُ بشيءٍ آخرَ. الحِفاظُ على رِباطةِ الجأشِ. يتوقّعُ المُفتَرِسُ دوماً بأنّكَ ستهربُ من أمامهِ ويتكيّفُ مع حركةِ هُروبكَ. ولكن إذا بقيتَ أمامهُ في مكانكَ، ثابتَ القدَمِ، دونَ أن تُظهِرَ خوفكَ، عندئذ ستَهتزُّ ثقتهُ ولن يجرُؤَ على الهُجومِ.

تتقدّمُ الأصَابعُ الخمْسُ برصانةٍ إلى مُقابلتِها.

لا يبدُو أنّ ثقتَهم مُهتزّةً أبداً.

- إيّاكَ، أن تدفَعها إلى الهربِ! انتَظرْ، أبطِئ، وإلّا ستَهربُ.

- إنّي على يقينٍ بأنها إذا لم تتحرّكْ، فلأنّها تنتَظرُ أن أكونَ قريباً مِنها لتعُضّني.

رُغمَ ذلكَ استمرَّ بمدِّ يدهِ ببطءٍ.

الوهَنُ بادٍ على الأصَابعِ المُقتربة نحوَها. لا يظهَرُ عليهم أيُّ تصرّفٍ عدائيّ. احتِراس. لا بدَّ أنّهُ فخّ. ولكن الرّقم 103 تأنفُ الهُروبَ.

لا ينبغي *الخوف*. لا ينبغي *الخوف*. لا ينبغي *الخوف*. تشجّعي، قالت في سرّها، *لقد أتيتُ من أقاصٍ بعيدةٍ لمُقابلتِهم وها هم الآنَ أمامي*،

ولا رغبةَ لي سِوى أن أطلِقَ أرجُلي للريحِ وأهربَ! تشجّعي، الرّقم 103 سبقَ لكِ أن واجهتِهم في الماضي ولم تموتي جرّاءَ ذلكَ.

ولكن لا يسهلُ رؤيةُ خمْسِ كُراتٍ وردِيّة أكثرَ ارتفاعاً منكم بعشَرةِ أضعافٍ وأضخَمَ مُتقدّماتٍ نحوَكم وتقولُون لأنفُسكم: ينبغي المُحافظةُ على الثّباتِ.

– بهدُوءٍ، بهدُوءٍ، ألا ترَى أنّك تُخيفها: قرناها لا يتوقّفانِ عنِ الاهتزازِ.

– دعيني أتصرّف، بدأت تعتادُ تقدّمَ يدي التّدريجيّ. الحيواناتُ لا تخافُ الفيرومُوناتِ البطيئةِ والمُنتظمَةِ. لا تخافي صغيرَتي، صغيرَتي، صغيرَتي.

إنّهُ غريزيّ. أوّلُ ما تُصبحُ الأصَابعُ على بُعدِ أقلّ من عشرينَ خُطوَةٍ، تَميلُ الرّقم 103 إلى فتحِ فكيّها على اتّساعِهما لتهجُمَ. ولكن بين فكّيها توجَدُ الورقةُ المطويّةُ. إنّها مُكمّمةٌ، لا تستَطيعُ حتّى أن تعُضّ. فتُشهِرُ رأسي قَرنيها إلى الأمام.

برأسِها حماسَةٌ مُثارةٌ. أدمِغتها الثّلاثةُ تتحاورُ وكلٌّ واحدٍ يريدُ فرضَ رأيِه:

– لنهرُب!

– لا داعي للذُعرِ. لم نُسافر كلّ هذا الطّريقِ بلا طائلٍ.

– سنُسحَقُ!

- على أيّةِ حالٍ **الأصَابعُ** أقربُ من أن يتسنّى لنا الهُروبُ!
- توقّف، ألا ترى أنّها تموتُ منَ الخوفِ، أمَرت ليتيسيا ويلز.

اليدّ توقّفت. تراجَعت النّملةُ ثلاثَ خطَواتٍ ثمّ جمَدت.

- أترين، يزدادُ خوفُها حينَ أتوقّفُ.

للحظة، تأملُ الرّقم 103 الحصُولَ على مُهلةٍ لكنّ **الأصَابِعَ** واصَلت تقدّمَها. إذًا لم تُقدِم على الفعلِ، فإنّهم سيلمِسُونَها بعدَ ثوانٍ قليلة! سبَقَ للرقم 103 أن لاحظت ما الذي ينجُمُ عن فركِ **إصْبَعينِ**. تذكّرت أنّهُ ثمةَ أسلوبينِ أمامَ المجهُولِ: إمّا المُبادرةُ أو الخُضوع. وبما أنّها لا تريدُ الخضُوعَ، تُبادرُ!

رائع: تسلّقت النّملةُ للتوّ على يده! جاك ميليَس كان في غاية السّرورِ. ولكن النّملة قد اندَفعت وأخذَت تعدُو عليهِ مستَخدِمةً ذراعَهُ كمِقْفَزٍ لتِثبَ على كتِفِ ليتيسيا ويلز.

تتقدّمُ الرّقم 103 بخطَواتٍ حذرةٍ. هنا الرّائحةُ أطيبُ من **الإصْبعِ** السّابقة. تأخُذُ وقتَها لتتفحّصَ كلّ ما تراهُ وكلّ ما تشعُرُ به. إذا نجت، ستُضمّنُ ذلكَ لاحقاً بفيرومُونِ علمِ الحَيوانِ حولَ **الأصَابعِ**. الأمرُ غريبٌ حينَ نحطّ على **إصبعٍ**. إنّهُ مساحةٌ ورديّةٌ مُستويةٌ، مُخدّدةٌ، ونكتشِفُ مساحاتٍ مُتواترةٍ بانتِظامٍ من آبارٍ صغيرةٍ مُترعةٍ بعرقٍ ذي رائحةٍ ناعمةٍ.

تقومُ الرّقم 103 ببضعِ خطَواتٍ على الاستدارة البيضاء لكتفِ ليتيسيا ويلز. هذه الأُخرى لا تتحرّكَ، هي خائفةٌ جدّاً من أنَ تسحَقَ النّملة. تتسلّقُ الحَشَرةُ عُنقها حيثُ يسرُّها الملمسُ الحريريّ. تتقدّمُ نحوَ

الفمّ وتضغَطُ بثقلِ أرجُلها على الوسَائدِ الصّغيرة الورديّة الدّاكنة. تضيعُ للحظَةٍ في كهفِ فُتحَةِ أنفِ ليتيسيا اليُمنى التي تُمسِكُ نفسها كيلا تعطُسَ.

تخرُجُ من الأنفِ وتُعرّجُ نحوَ كُرةِ العينِ اليُسرَى. إنّها رطْبةٌ ومُتحرّكةٌ. وثمّةَ جزيرةٌ أرجوانيةٌ في وسَطِ مُحيطٍ بلونٍ عاجيّ. لا تُجازِفُ بالذّهابِ إليها مَخافةَ أن تلتَصقَ أرجُلها. وخيراً فَعَلتْ لأنّ نوعاً من غشاءٍ كبيرٍ ينتَهي بفرشاةٍ سوداء لا يلبَثُ أن يُغطّي كُرةَ العينِ.

تستلمُ الرّقم 103 طريقَ العنقِ مجدّداً ثمّ تتزحلَقُ بين الثديينِ. هه، ثمّةَ بعضُ النّمشِ الأصهَبِ والذي تتعثّرُ عليه! ثمّ، مسحُورةً بالملمَسِ النّاعمِ للثديينِ تندَفعُ إلى إحدى الحلمتَينِ والتي رأسُها الورديّ متغيّرٌ. تتوقّفُ هُناكَ في الأعلى لتأخُذَ بعضَ الملاحظات. فهي تعلَمُ أنّها على إصبَعٍ وهو يسمَحُ لها بزيارته. كانتِ الجيوليكانيّات مُحقّات. الأصَابعُ هذه ليسَت عدائيّةً بالفعلِ. من رأسِ الثّدي، كان لديها إطلالةٌ أخّاذةٌ على الثّدي الآخرِ ووادِي البطنِ.

تنزِلُ وتنظُرُ بإعجابٍ على هذهِ المساحةِ المُشرِقةِ، الدّافئةِ والطّريّةِ.

- لا تتحرّكي إنّها تقتَربُ من سُرّتك.

- أتمنّى ذلكَ، لكنّهُ يُدغدِغُني.

تهوي الرّقم 103 في بئرِ السُّرّة، ثمّ تصعَدُ مُجدّداً، تعدُو على الفخذَين الطّويلينِ، تتسلّقُ الرّكبةَ ثمّ تنزلُ من جديدٍ إلى الكاحلِ وترتَقي سفحَ القدَمِ.

ترَى هُناكَ خمس أصَابعَ صِغارٍ بدينينَ وضامرينَ ونهاياتُهم مُلوّنةٌ

بالأحمرِ. تصعَدُ الرّجْلَ مُجدّداً راكضَةً على ربلةِ السّاقِ، وتتزحلَقُ على بشَرتِها البيضاءِ والملساءِ. تعدُو على هذه الصّحراءِ الدّافئة الورديّةِ، ذاتِ الرّمالِ الناعمةِ. تتجاوزُ الرّكبةَ، صاعِدةً نحوَ أعلى الفَخذَينِ.

181. موسُوعة

ستّة: الرّقمُ ستّة هو رقمٌ جيّدٌ لتشييد بناء. ستّةٌ هو العددُ الذي استغرقَهُ الخَلقُ. خلقَ الله العالمَ في ستّة أيّام وارتاحَ في اليوم السّابع. بحسبِ إكليمندس الإسكندريّ، قد خُلقَ الكونُ في ستّة اتّجاهات مُختلفة: النّقاطُ الأربعُ الأصليّةُ، إضافةً إلى سمت الرأسِ (النّقطةُ الأعلى) والنّظير (النّقطةُ الأسفل بالنّسبة للراصِد). في الهند، النّجمةُ التي بستّةِ أفرعٍ، يُطلَقُ عليها ينترا، وتعني فعلَ حُبّ، تداخُلٌ مُتبادلٌ لليوني واللينغام. من وجهة نظرِ العبريينَ، نجمةُ داوودَ، وتُسمّى أيضاً خاتمُ سُليمان، تمثّلُ مجموعَ عناصرِ الكونِ كافّة. المُثلّثُ الذي يُشيرُ للأعلى يمثّلُ النّار. والذي يُشيرُ إلى الأسفلِ يمثّلُ الماء.

في الخيمياءِ يُعتَبرُ كلّ رأسٍ للنجمة سُداسيّة الأفرعِ هوَ مُقابلٌ لمعدنٍ وكوكبٍ. الرّأسُ العالي هو القَمرُ-فضّة. ثمّ نجدُ، منَ اليسارِ إلى اليمينِ، فينوس-نُحاس، عُطارد-زئبق، زُحل-رصاص، جُوبيتر-قصدير، مارس-حديد. التوافقُ البارعُ بين العناصرِ الستّة والكواكبِ الستّة يُعطِي في مركزها الشّمسُ-ذهب.

في الرّسم تُستخدَمُ النّجمَةُ ذاتُ الأفرُعِ الستّة لإظهارِ كافّة التّمازُجاتِ المُمكنةِ للألوانِ. اتّحادُ الألوانِ يُنتِجُ ضوءاً أبيضَ داخلَ المُسدّسِ المركزيّ.

إدمون ويلز،

موسُوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلّد الثاني.

الأركانا السادسة:

إمبراطوريّة الأصَابع

182. الاقترابُ أكثَر من الهَدَفِ

تصعَدُ الرّقم 103 نحوَ أعلى الفخذَين إلّا أنّ خمسَ أصَابِعَ طوالٍ تَقترِبُ مِنها، تَهبِطُ وتقطعُ عليها الطّرِيقَ قبلَ أن تصل إلى الأُرْبِيَّةِ. انتهتِ الزّيارة.

تخافُ الرّقم 103 أن تُسحَقَ. ولكن لا، تظلُّ الأصَابِعُ في مكانِها واقِفةً كما لو أنّها تنتظِرها على موعد. كانت الجيوليكانيّات على حقّ بالفعلِ، ليسَت هذهِ الأصَابِعُ سيّئةَ المعشرِ. فهيَ لا تزالُ على قيدِ الحياةِ. عندئذ، تنتصِبُ على رجلَيها الخلفيَّتين وتَمدُّ خِطابَها نحوَ السّماءِ.

قرّبت ليتيسيا ويلز ببطءٍ ظفرَي إبهامِها وسبَّابتها الطّويلين المَطلِيين، مُستَخدِمَتهُما بِمثابةِ ملقطٍ دقِيقٍ، وتتَناولُ الورقةَ المطويّة.

تتردّدُ الرّقم 103 ثمّ تُباعدُ واسعاً ما بين فكّيها مُفارِقةً وِزرَها الثّمين. كم ماتَت نِمالٌ من أجلِ هذهِ اللّحظةِ السّحريّةِ!

وضعت ليتيسيا الورقةَ في راحة يدها. حجمُها لا يزيدُ عن رُبعِ حجمِ طابعِ بريديّ إلّا أنّ أحرُفاً دقِيقةً مكتُوبةً تلاحَظُ على وجهي

الورقة. يستَحيلُ قِراءتُها لِضآلةِ حجمِها، ولكن مع ذلك تُميّزُ بأنّها كتابةٌ بشريّةٌ.

– أعتقدُ أنّ هذه النّملَةَ أحضَرت لنا بريداً، قالَت ليتيسيا وهي تحاولُ قِراءةَ الورقةِ الصّغيرةِ.

مضى ميليَس وأحضرَ مُكبّرهُ الضّخمَ المُضيء.

– بمساعدةِ هذا، ربّما، يكونُ فكّ رُموزِ الرّسالةِ هذهِ أسهلَ.

وضعا النّملةَ في قارُورةٍ صغيرةٍ، وارتَديا ثيابَهما ثمّ انكبّا مع المُكبّرِ على الورقَةِ الصّغيرةِ.

– نَظَري جيّدٌ، أكّد ميليَس، أعطني قلَماً لأدوّنَ الكلماتِ التي سأميّزها، ثمّ نُحاولُ تخيّلَ الكلِماتِ النّاقصةِ.

183. موسُوعة

أَرَضَة: يحصُلُ أن أُقابلَ علماءَ مُختصّينَ بالأَرَضَة. فيقولونَ لي بأنّ نَملي مُثيرٌ للاهتمامِ بالطّبعِ غيرَ أنّهُ لمْ يُحقّق نصفَ ما نَجحتِ الأَرَضَةُ في تحقيقِه.

هذا صحيحٌ.

الأَرَضَة هي الحشَرةُ الاجتماعيّةُ الوحيدةُ، وبالتأكيد الحيوانُ الوحيدُ أيضاً، التي ابتكَرَتْ «مُجتمعاً مثاليّاً» نظّمت الأَرَضَةُ نفسَها على شكلِ ملكيّةٍ مُطلقةٍ حيثُ نجِدُ كلّ فردٍ فيها سعيدٌ بخدمةِ ملكته، وحيثُ يفهمُ الجميعُ بعضَهم بعضاً، يتعاونُونَ معاً، وما من أحَدٍ يُغذّي أدنى طُموحٍ أو انْشغالٍ أنانيّ.

ومن المؤكّد أنّ كلمةَ «تضامُن» تأخذُ في مُجتمعِ الأَرَضَةِ معنَاها الأعمقَ. ربّما لأنّ الأَرَضَة كانت الحيوانَ الأوّل الذي أشادَ مُدناً، حصلَ ذلكَ منذُ أكثر من مائتي مليونِ سنةٍ.

ولكن، في نجاحها حصراً، يكمُنُ الحكمُ عليها. ما هو تامّ، من حيثُ التّعريف هو ما لا يمكنُ أن تطرأَ عليه تحسينات. لذا تجهلُ مدينةُ الأَرَضَة أيَّ إعَادة نَظر، أيَّ ثورة، أيَّ اضطراب داخليّ. إنّها جسَدٌ صاف وسليم ولفرطِ ما يسيرُ على نحوٍ جيّدٍ هو لا يفعلُ سوى التمتّعِ بسعادَته، في ممّراتٍ مُتقنةِ الصّنعِ، مُشيّدة بإسمنتٍ شديد الصّلابة.

في المُقابلِ، تعيشُ النّملةُ داخلَ نظام اجتماعيّ أكثرَ فوضَويّةً. تتقدّمُ وهي تقترفُ أخطَاء، وكل ما تقومُ به، تبدؤُهُ باقتراف أخطاءَ. لا تشعُرُ بالرّضا بما تملكُهُ، تتذوّقُ كُلّ شيء، مُعرّضَةً حياتها للخَطر. عُشّ نملٍ ليسَ نظاماً مُستقرّاً وإنّما مُجتمعٌ يتلمّسُ خُطاهُ باستمرار، يختبرُ جميعَ الحُلولِ حتّى غير المعقولةِ منها، مُجازِفاً حتّى بدمارِه الذاتيّ. هذه هي الأسبابُ المرجّحَةُ بالنّسبةِ لي التي تدفعُني للاهتمامِ بالنّملِ أكثر من الأَرَضَة.

إدمون ويلز،

موسُوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلّد الثاني.

184. فَكّ الرّمُوز

بعدَ دقائقَ من العملِ على فَكّ الرّمُوزِ، حصلَ مِيليَس على رسالةٍ مفهُومة.

«النّجدَةُ. نحنُ سبعَةَ عشَر شخصاً عالقُونَ تحتَ عُشّ نملٍ. النّملةُ التي أوصَلتْ إليكُم هذه الرّسالةَ نصيرةٌ لقَضيّتنا. ستُرشدُكم إلى الطّريقِ لتأتُوا وتُنقذونا. يوجدُ بِلاطَةُ غرانيتٍ كبيرةٌ فوقَنا، تعالوا مع حفّاراتٍ ومعاوِل. أسرِعُوا. جُوناثان ويلز.»

استقامَت ليتيسيا ويلز.

- جُوناثان! جُوناثان ويلز! إنّهُ ابنُ عمّتي من يُنادي إلى النّجدَةِ!

- أتعرفينهُ؟

- لم أقابلهُ يوماً لكنّه ابنُ عمّتي مع ذلك. اعتَقدنا أنّه ميّتٌ، اختَفى في قبوٍ في شارع السيباريت... أتتذكّرُ قضيّةَ قبوِ والدي إدمون؟ كان هو مِن أوائلِ الضّحايا!

- يبدو أنّهُ حيٌّ بالفعلِ، لكنّهُ مسجُونٌ مع زُمرةِ أناسٍ تحتَ عُشّ نَملٍ!

تفحّصَ ميليَس الورقةَ الصّغيرةَ. هذه الرّسالةُ، أشبَهُ بزُجاجةٍ مقذُوفَة في البحرِ. تحرّرَت بيدٍ مُرتجِفةٍ، ربّما من قبلِ أحدٍ يحتَضر. منذُ متى والنّملةُ تحمِلُ هذه الرّسالةَ؟ إذ معرُوفٌ البطءُ الذي تسيرُ به هذهِ الحشَراتُ.

سُؤالٌ آخرُ كان يشغلهُ. بداهةً، لقد كُتبَت الرّسالةُ على ورقةٍ بحجم طبيعيّ مُصغّرةً لاحقاً إلى عدّةِ مرّاتٍ بواسطةِ آلة ناسخة. فهل كانوا إذاً مُستقرّينَ هُناك في الأسفل على نحوٍ يسمَحُ بأن تكونَ لديهم آلةُ تصويرٍ وبالتّالي تيّارٌ كهربائيّ؟

- أتظنينَ هذا صحيحاً؟

- لا أجِدُ سيناريو آخر يُفسّر أن تتنقّلَ هذهِ النّملَةُ حامِلةً الرّسالةَ معها!

- مع ذلك، أيُّ مُصادفَة دفعَت هذه الحشرةَ للنُزولِ في شقّتك تماماً. غابةُ فونتينبلو كبيرةٌ، ومدينةُ فونتينبلو أكبرُ بالنّسبةِ للنَملِ ورغمَ كلّ ذلك استطاعَت هذه الرّسُولةُ إيجادَ شقّتكِ في الطّبقَةِ الرابعةِ... يصعُبُ التّصديقُ، ألا ترينَ ذلك؟

- لا، أحياناً ثمّةَ حظّ واحدٌ على مليونٍ بأن تحدُثَ بعضُ الأشياءِ، ومع ذلك تحدُث.

- ولكن أتتخيّلينَ أُناساً «عالقينَ» تحتَ عُشّ نملٍ، أناسٌ ترتَبِطُ حياتُهم بأهواءِ النّملِ؟ إنّهُ ضَرْبٌ من المُستحيلِ، عُشُّ نملٍ يُقلبُ بضربَةِ كعبِ حِذاء!

- يتكلّمُونَ عن بِلاطةِ غرانيت تحتَجزُهم.

- ولكن كيفَ يمكنُ للمرءِ أن يذهبَ ويحشُرَ نفسَهُ تحتَ عُشّ نملٍ؟ ينبغي أن يكونَ مجنُوناً بالفعلِ. إنّها دُعابةٌ!

- لا. كانَ هذا سرّاً غامضاً، لغزُ القبوِ السرّي لأبي الذي كانَ يلتَهِمُ كلّ من يُجازفُ بالنّزُولِ إليه. المُشكلةُ، الآن، هي إيجادُ المساجِين. لا وقتَ لدينا نهدُرهُ ولا أرى سِوى كائنٍ وحيدٍ قادر على مُساعَدتنا.

- من؟

أشارت إلى القارورةِ حيثُ كانت الرّقم 103 تتَخبّط.

- هي. تقولُ الرّسالةُ أنّ بإمكانِها أن تدلّنا إلى ابن عمّتي ورِفاقهِ.

حرّرَ النّملةَ من سِجنها الزّجاجيّ. لم يكن لديهما أيّةُ مادّة مُشعّة تحتَ يديهما ليعلّموها. فإذاً، مرّغت ليتيسيا ويلز جبين الحشَرةِ بقطرةٍ صغيرةٍ من طِلاءِ أظافِرها لتُميّزها عن النّملاتِ الأُخرياتِ.

- هيّا يا جميلَتي، أرشِدينا إلى الطّريقِ!

عكسُ ما هو مُنتَظرٌ، النّملةُ لم تتَحرّك.

- أتظنينَ أنّها ماتت؟

- لا، لا يزالُ قرناها يتَحرّكان.

- لِمَ لا تتقدّمُ إذاً؟

دفَعها جاك مِيليَس بإصبَعِه.

لم تُبادِر إلى أيّ ردّ فعلٍ. فقَط ازدادَت حرَكاتُ قرنَيها عصَبيّةً.

- كأنّه لا رغبةَ لديها بأن توصِلنا إلى ذلكَ المكانِ، لاحظَت ليتيسيا ويلز. ولا أرى سِوى طريقَةٍ واحدةٍ لحلّ هذه المُشكِلةِ: يجِبُ... أن نُكلّمها.

- حسناً. فُرصَةٌ مُمتازةٌ لنرَى كيفَ تعملُ آلةُ «حجر رشيد» للألمعيّ آرتور راميريز.

185. أرضٌ للإعمار

لا تعرِفُ الرّقم 24 من أينَ تبدأ بحَلّ المُشكلة. فخلقُ جماعَةٍ مثاليّةٍ مختلفةَ الأصنافِ، شيءٌ جميلٌ. وفعلُ ذلكَ بمُؤازرَةٍ من النّباتِ وحمايةٍ منَ الماءِ، أجملُ وأجمل. ولكن ما الذي يمكنُ عمَلهُ ليكُونَ الجميعُ على وفاقٍ؟

تُمضي الرُّبُوبيّات مُعظَمَ أوقَاتهنّ في نسخِ تماثيل على هيئةِ نُصُبٍ وتُطالبُ بأن يكونَ تحتَ تصرّفها زاويَةٌ لدفنِ موتاهنّ.

الأَرَضَاتُ وجَدنَ قطعَةً ضخمةً منَ الخشبِ الجافّ وبقينَ مُلازمينَ لها لا يبرحنَها. والنّحلُ أقرّ قفيراً صغيراً لهُ في أغصُنِ الكورنيجرا. أمّا بالنّسبةِ للنمالِ، فقد جهّزنَ قاعةً لتكونَ حديقَةَ فِطرٍ.

كلّ شيءٍ يجري على نحوٍ طبيعيّ؛ فلماذا على الرّقم 24 المُكابدةَ إلى هذا الحدّ لإيجادِ ترتيبٍ لكلّ شيءٍ؟ كلُّ واحدٍ يتّخذُ زاويةً ويتصرّفُ فيها كما يروقُ لهُ، مادام ذلكَ لا يُزعِجُ الآخرين.

في المساءِ تجتَمعُ أعضاءُ الجماعةِ في إحدى خلايا الكورنيجرا يتسامرنَ مُتبادلاتٍ قِصَصاً من شعوبهنّ المُختَلفةِ.

هذه اللّحظةُ العاديّةُ، حيثُ تجتمعُ كافّة أصنافِ الحشرات مشدُودَةَ القُرونِ مُصغيةً إلى الحكايات الشمّية لمُحارباتِ النّحلِ أو مُهندِساتِ الأَرَضَةِ، هي حلقَةُ الوصلِ الأساسيّةِ للجماعةِ.

تجدُ جماعةُ الكورنيجرا تلاحُمها بالملاحِمِ والحكاياتِ. بسيرٍ شميّةٍ. بمنتَهى البساطةِ.

دينُ الرُّبُوبيّات لا يتعدّى أن يكونَ قصّةً بين القصَصِ. ولن يسوّغَ أحدٌ لنفسه الحُكمَ عليها إذا ما كانت صحيحَةً أم مُختلقةً، المعيارُ الوحيدُ الذي يُحسبُ لهُ حسابٌ هوَ: أن تدفَعَ إلى الحُلمِ. وتصوّرُ الإلهِ يدفَعُ إلى الحُلم...

تقتَرِحُ الرّقم 24 أن تُجمّعَ أجمَلُ ملاحِم النّملِ، النّحلِ، الأَرَضَةِ والجِعْلان في أحواضٍ تُشبِهُ قواريرَ المكتبةِ الكيميائيّةِ.

يظهرُ اللّيلُ الكُحليُّ عبرَ فتَحاتِ -كوى الكورنيجرا مُضاءً بقمرٍ مُكتَملٍ أبيَض.

هذا المساءُ، الجوّ دافِئٌ والحشَراتُ تقرّرُ أن تحكيَ حكايتَها على الشّاطِئ.

تبثُّ حشَرةٌ:

... سبَقَ لملكِ الأَرَضَة أن طافَ دورَتين حولَ المقصُورةِ الزّفافيّة لملكته لّما اعلَنت، فجأةً، فرقَ حفرِ الشّجرةِ بأنّ خنفُساءَ ساعةِ الموتِ تُقلِقُ الاندفاعات الايروتيكيّةِ للملكةِ...

حشَرةٌ أُخرى:

... عندَئذ ظهرَ زنبورٌ أسودُ. وهجَم نحوي مُوجّهاً إبرتَهُ. وبالكادِ تسنّى لي...

بأثرِ رجعي، ارتعدَ الجميعُ بذاتِ الخوفِ الذي شعَرت بهِ نَحلةُ أسكُولِين.

عِطرُ النّرجسِ، في الجِوارِ، وصوتُ الماءِ المُتهادِي وهو يُداعِبُ الشّاطِئ يمنَحُهم الطّمأنينَةَ.

186. يومُ الحِسابِ

استقبلهُما آرتور راميريز بحفاوةٍ، كان في حالةٍ صحيّةٍ أفضَلَ. وشكرهُما لأنّهما لم يُبلغا الشّرطةَ. لم تكن السّيّدةُ راميريز هناك، كانت تقومُ بظهورها التّلفزيُونيّ في برنامج «فخّ للتفكير».

شرَحَت له الصّحفيّةُ والشّرطيّ بأنّ حدَثاً جديداً قد وقَع: على قدَرِ ما يبدُو الأمرُ غيرَ قابلٍ للتصدِيقِ، إلّا أنّ نملةً قد أحضَرت لهما رسالةً مكتُوبةً بخطّ اليدِ.

أرياه الرّسالةَ وفهِمَ آرتور راميريز المُشكِلةَ على الفورِ. مسّدَ شعرَ لحيتهِ البيضاء ثمّ قبِلَ أن يُشغِّلَ آلتهُ «حجر رشيد».

أوصَلهُما إلى العُليّة، وأدارَ عِدّةَ حواسِيبَ، أضاءَ زُجاجاتِ العُطورِ المُنتجةِ للفيرُومُونات، هزّ أنابيبَ شفّافةٍ ليتجنّبَ انسِدادَها بأيّ ترسّباتٍ. بمُنتَهى الحذرِ، أخرَجَتْ ليتيسيا الرّقم 103 من قارورتِها ووضَعها آرتور تحتَ جرَسٍ زُجاجيّ.

كان أنبوبانِ يتفرّعان عن ذاكَ الجرَسِ:

كان الأوّلُ يسحَبُ الفيرومُوناتِ الشّميّةَ للنملةِ، والآخرُ ينقُلُ لها الفيرومُوناتِ الاصطناعيّةَ مُترجِمةً الرّسائلَ البشريّةَ.

جلسَ راميريز أمامَ لوحة التحكّم، عَايرَ عدّة أزرارٍ صغيرة، تأكّد ثانيةً منَ الشّواهدِ المُضيئة، وأدارَ مُنظّمَ الجُهدِ الكهربائيّ. كلّ شيءٍ باتَ جاهزاً. لم يبقَ سوى تفعيلِ البرنامجِ الذي يُعيدُ إنتاجَ الكلماتِ الإنسانيّةِ على شكلِ روائِحَ نمليّةٍ. كان قاموسهُ الفرنسيُّ-النمليُّ يحوي مائةَ ألفِ كلمةٍ ومائةَ ألفِ تدرّجٍ للفيرومونات.

استقرّ المُهندسُ أمامَ الميكروفون وتلفّظَ بعنايةٍ:

إرسال: تحيّاتُنا.

كبسَ زراً وشاشَةُ الفيديو حوّلتِ الكلمةَ إلى صيغةٍ كيميائيّة، منقُولةً فيما بعد إلى قواريرِ العُطورِ التي أُفرِغَ منها بحسَبِ المقدارِ المضبُوطِ للقامُوسِ المعلوماتيّ. لكلّ كلمةٍ رائحَتها الخاصّة بها.

الغمامةُ الصّغيرةُ الحاملةُ للرسالةِ اندفَعت داخلَ الأنابيبِ عبرَ مضخّةٍ هوائيّةٍ ووصلت إلى داخلِ الجرسِ.

حرّكتِ النّملةُ قرنَيها.

تحيّاتُنا.

وصلتِ الرّسالةُ.

نفّاخةٌ نظّفت الجرَسَ من جميعِ الرّوائِحِ الطّفيليّةِ لكي يُلتقَط جوابُ الرّسالة بصفاء.

أخذَ ساقاها الحسيّانِ بالاهتزازِ.

ارتفَعت غمامةُ الجوابِ داخلَ الأنبوبِ الشفّاف، ووصَلت إلى مطيافِ الكُتلة والكروماتوجرافيا[63] اللذين حلّلاها جُزيئاً جُزيئاً للحصُولِ من السائلِ على ما يُطابقُ كلِمةً واحدةً.

63- هي طريقة لفصل المواد الكيميائيّة المختلطة، وتنقيتها، والتعرّف على مكوّناتها.

أخذَت تُكتبُ رُويداً رُويداً جُملةٌ على شاشةِ الحاسُوبِ.

في الوقتِ ذاتِه أخذَت آلةُ توليفِ الصّوتِ بلفظِها.

سمِعَ الجميعُ جوابَ النّملةِ.

استقبال: من أنتم؟ لا أفهم فيرُوموناتِكم جيّداً.

كانت ليتيسيا ومِيليَس في حالةِ انبِهارٍ. جهازُ إدمون ويلز يعملُ حقّاً!

إرسال: أنتِ موجودةٌ داخلَ آلةٍ تُستخدَمُ للتواصلِ بين البشرِ والنّملِ. بفضلِها، يُمكننا أن نُكلّمكِ ونفهَمَ ما تبثّينهُ.

*استقبال: بشَر؟ من هم البشَر؟ هل هم نوعٌ منَ **الأصَابِعِ**؟*

على ما يبدُو، وكان ذلكَ مُدهِشاً، لم تنبَهِر النّملةُ بآلتهم. كانت تُجيبُ دونَ تكلّفٍ وتبدو حتّى أنّها على معرِفةٍ بمن تدعُوهم «**الأصَابِع**». لذا يمكن للحوارِ أن يبدأ. شدّ آرتور راميريز على ميكروفونِه.

*إرسال: نحنُ امتدادٌ **للأصَابِعِ**.*

تردّدَ الجوابُ في مُكبّرِ الصّوتِ الموضُوعِ فوقَ الحاسوبِ.

*استقبال: نُسمّيكم عندَنا **أصَابِعَ**. وأفضّلُ تسمِيتكم **بالأصَابِعِ**.*

إرسال: كما تشَائين.

استقبال: من أنتُم؟ أنتُم لستم الدّكتور ليفينغستون، على ما أفترِض...

ثلاثتُهم في حالةِ ذُهولٍ. كيفَ بوسعِ نملةٍ أن تكونَ قد سمِعت عن الدّكتور ليفينغستون أو بالعبارةِ الشّائعة: «أنتُم الدكتور ليفينغستون، على ما أفترِض»؟ ظنّوا في البدايةِ وجُودَ خطأ في مُعايرةِ المُترجِم أو عُطلٍ في آليّةِ القامُوسِ الفرنسيّ–النّمليّ. ولا أيّاً منهم خطَرَ لهُ أن يضحكَ أو

يتخيّلَ بأنّهم قد كانوا في حضرة نملة فَكِهة. وعوَضاً عن ذلكَ تسَاءلوا مَنِ الدّكتور ليفينغستون ذاكَ الذي يعرفهُ النّملُ.

إرسال: لا، نحنُ لسنا الدّكتور «ليفينغستون». نحنُ ثلاثةٌ من البشَرِ. ثلاثةُ أصَابعَ. أسمَاؤنا هي آرتور، ليتيسيا وجاك.

استقبال: كيفَ تعلّمتُم اللّغةَ الأرضيّةَ؟

همَسَت ليتيسيا:

- لا بدّ أنّها تريدُ القولَ: كيفَ حدثَ أن نعرِفَ التكلّمَ بلُغة النّملِ الشميّةِ. إنّهم بالطبعِ يعتَقدونَ بأنّهم الأرضيّونَ الوحيدُونَ الحقيقيّون...

إرسال: إنّهُ سرّ وصَلَ إلينا مُصادفةً. وأنتِ، من أنتِ؟

استقبال: الرّقم 103683، ولكن رفَاقي يُحبّذونَ مُناداتي بالرّقم 103 فقط. أنا عديمَةُ جنسٍ من طبقَةِ الجُنديّاتِ المُستكشِفات. من بيل-أو-كان، أكبرِ مدينةٍ في العالم.

إرسال: وكيفَ حدثَ وأحضَرتِ لنا هذهِ الرّسالة؟

استقبال: الأصَابعُ الذين يعيشُونَ تحتَ مدينتنا طلَبوا إيصَالَ هذا الطّردِ إليكم. وسمّوا هذهِ الوظيفَةَ «مهمّة عُطارِد» وبما أنّي الوحيدةُ التي اقتَربتْ من الأصَابعِ سابِقاً، فقد ارتَأت أخواتي أنّني أيضاً الوحيدةُ القادرةُ على إنجازِ هذهِ المُهمّة.

تحَاشَت الرّقم 103 الإتيانَ على ذكرِ أنّها كانت أيضاً الدّليلَ الأساسيَّ لحَملةٍ تهدُفُ إلى القضاءِ على جميعِ أصَابعِ الأرضِ.

كان لدى كلّ واحدٍ من الثّلاثةِ أسئلتهُ الخاصّةُ التي يرغَبُ بطرحِها

على هذهِ النّملةِ المُفوّهةِ، لكن آرتور راميريز استمرّ بالإمساكِ بزِمامِ الحديثِ.

إرسال: تقولُ الرّسالةُ التي سلّمتِها لنا، بأنّ ثمّةَ أناسٌ، آسف، أصابِعٌ، عالقونَ تحتَ مدينَتكِ وبأنّكِ أنتِ الوحيدَةُ التي تستَطيعينَ أنْ تدُلّينا إليهم لننقِذَهم.

استقبال: تماماً.

إرسال: إذاً دلّينا على الطّريقِ ونحنُ سنتبَعكِ.

استقبال: لا.

إرسال: كيف لا؟

استقبال: يجبُ أن أعرِفكم أوّلاً. دونَ ذلك، كيفَ لي أن أثقَ بكم؟

لفرطِ مُفاجأةِ البشريّينَ الثّلاثة عجزوا عن إجابَتها.

بالطّبعِ كانَ لديهم الكثيرُ منَ التّعاطُفِ، بل حتّى التّقديرِ، للنملِ، ولكن أنْ يسمَعُوا واحدةً من هذهِ الدّويباتِ الصّغيرةِ تقولُ لهم «لا» علَنيّةً، فهذا يتجاوزُ الحُدود. تلكَ الحَشَرةُ الوقحةُ السّوداء تحتَ هذا الجرسِ كانت تُمسِكُ بين أرجُلِها بحياةِ سبعةَ عشَرَ شخصاً. كان يمكنُهم سحقُها بضربَةِ إبهام صغيرَةٍ ومع ذلكَ جروئت على رفضِ مُساعَدتِهم تحتَ ذريعَةِ أنّ أحداً لم يُقدّمهُم إليها!

إرسال: لماذا تُريدينَ معرِفَتنا؟

استقبال: أنتم ضِخامٌ وأقوياء ولكن لا أعرِفُ إذا كانت تُحرّكُكم نوايا طيّبةٌ. هل أنتم وحوشٌ، كما تعتَقدُ بذلكَ ملكتُنا شلي-بو-ني؟ أم آلهةٌ كليّةُ المقدرةِ كما تعتَقدُ الرّقم 23؟ هل أنتم خطِرونَ؟ هل أنتم

أذكياء؟ أم أنتم هَمَج؟ هل أعدادُكم كبيرةٌ؟ وإلى أين وصَلت التّكنولوجيا عندكم؟ أتُجيدونَ استخدامَ الأدوات؟ عليّ معرفتكم إذاً قبلَ أن أقرّرَ إذا كانَ الأمرُ يستحقُّ إنقاذَ بعضٍ من أبناءِ جلدَتكم أم لا.

إرسال: أتُريدينَ أن يُخبركِ كلاًّ منّا بدوره قصّةَ حياته؟

استقبال: ليسَ أنتم الثّلاثةُ الذين أُريدُ فهمَهُم والحُكمَ عليهم، وإنّما نوعُكم بأكمله.

تتبَادلُ ليتيسيا ومِيليَس النّظرات. من أينَ ستكونُ البدايةُ؟ هل عليهم أن يقصّوا على النّملة هذه حضاراتِ العُصورِ القديمة، عصرَ القُرونِ الوسطَى، النّهضَة، الحَربينِ العالميّتينِ؟ بدا على آرتور أنّهُ الأكثرُ استِمتاعاً بهذا الحِوارِ.

إرسال: إذاً وجّهي إلينا أسئلةً. ونحنُ سنُجيبُكِ عنها ونشرَحُ لكِ عالَمنا.

استقبال: سيكونُ الأمرُ سهلاً هكذا، سوفَ تُقدّمُونَ لي عالَمكم بأبهى حُلّله، فقط من أجلِ إنقاذ أصَابعِكم الأسرَى لدى مدينَتنا. لذا أوجِدوا طريقَةً موضوعيّةً أكثرَ لإخباري.

كم هي عنيدةٌ هذه الرّقم 103! حتّى آرتور ما عادَ يعرفُ ماذا يقولُ لها ليُقنعَها بنَواياهم الطّيبة. أمّا بالنّسبةِ لمِيليَس، فقد كان يستَشيطُ غضَباً. التفتَ إلى ليتيسيا، وأعلنَ مُغتاظاً:

- حسناً. سنُنقذُ ابنَ عمّتك ورفاقهُ دونَ مُساعَدةِ هذهِ النّملةِ المُتكبّرةِ. آرتور هل لديكَ خريطةُ غابةِ فونتينبلو؟

أجل، كان لديهِ واحدةٌ، ولكنّ غابةَ فونتينبلو تمتدُّ على سبعَة عشَرَ ألفَ هيكتارٍ وكانت تعجُّ بعُشوشِ النّملِ. أينَ يمكنُ البحثُ؟ من

جِهةِ باربيزون، تحتَ صُخورِ أبرومو، قربَ بِركةِ فرانشار، في رِمالِ مُرتفعاتِ مِنطقَةِ سول؟

كان يمكنُ لهم أن يقضُوا سنَواتٍ في البحثِ. لن يكتَشِفوا بيل-أو-كان أبداً بوسائِلهم الخاصّة.

- لن نقبلَ بأن تأتي نملةٌ وتُهيننا! غضِبَ ميلِيَس.

دافَعَ آرتور راميريز عن ضيفَتِهم.

- كلّ ما تريدُهُ، قبلَ أن تُدخِلنا إلى عُشّها هو أن تفهَمنا على نحوٍ أفضَلَ. إنّها على حقّ. لو كنتُ في مكانِها لكنتُ سأفعَلُ الشيءَ ذاتَهُ.

- ولكن كيف يمكنُ إعطاؤها رؤيةً «موضُوعيّة» عن عالِمنا؟

فكّروا. لغزٌ إضافيٌّ! أخيراً هتَفَ جاك مِيلَيس:

- لديّ فكرة!

- ما هي، فكرتُكَ؟ سألت ليتيسيا، التي كانت مُبادَراتُ المُفوّضِ المُتحمّسةُ تجعَلُها حذرة على الدّوامِ.

- التّلفزيون. ال-ت-ل-ف-زيُون! أجل، مع التّلفزيون نتواصَلُ مع كاملِ الجنسِ البشريّ، نجسُّ نبضاتِ البشَريّة بأكمَلها. التّلفزيُون يُظهرُ جميعَ جوانب حضارتِنا. بمُشاهَدة التّلفزيون، رقمنا 103 ستكونُ قادرةً على الحُكمِ بكلّ ضميرٍ، من نحنُ وكم نُساوي.

187. فيرومُون

ملحمةٌ نمليّة:

يُسمحُ بفكّ الرّموزِ

فيرومُون الذّاكرة رقم 123

الموضوع: ملحَمةٌ

سيّالةُ اللّعاب: الملِكةُ شلي-بو-ني

ها هي ملحَمةُ الشّجرتينِ. ثمّةَ عُشّانٌ لصنفَينِ مُتعادِيينِ من النّمالِ يعيشُ كلٌّ منهما على شجَرة. غيرَ أنّ غصناً أخذَ ينمو أفقيّاً نحوَ الشّجرةِ الأُخرَى بحيثُ أصبحَ الغُصنُ يقترِبُ كلّ يومٍ أكثرَ. كان الصّنفانِ على علمٍ بأنّه ما إن يعبرَ الغُصنُ الفضاءَ بين الشّجرتَينِ ستقومُ الحربُ. ولكن أيّاً منَ الصّنفَينِ لم يستَبقِ الأمورَ. فالحربُ لم تبدأ إلّا في اليومِ الذي مسّ به الغُصنُ الشّجرةَ الجارةَ. المعاركُ التي نشَبت كانت بلا رحمة. هذه القصّةُ تُظهرُ بأنّ ثمّةَ وقتٌ مُحدّدٌ لتُفعلَ فيه الأشياءُ. قبلُ، يكونُ مُبكراً جدّاً؛ بَعْدُ، يكونُ الأوانُ قد فاتَ. كلّ منّا يعرفُ بالحدسِ متى الوقتُ المناسبُ.

188. وزنُ الكلماتِ، صدمةُ الصّورِ

وضعوا الرّقم 103 أمام تلفزيونٍ صغيرٍ مُلوّنٍ بشاشةِ البلّور السّائل مع إضاءةٍ خلفيّة. وبما أنّ الشّاشةَ لا تزالُ كبيرةً بالنّسبةِ لنملة، وضَعوا أمامها عدَسةً معكوسةً مُصغّرةً حجمَ الصّورِ إلى واحدٍ بالمئةِ. بهذه الطّريقة ستكونُ لدى النّملة مُشاهدةٌ تلفزيونيّةٌ ممتازةٌ.

وبما يخصُّ الصّوتَ وصلَ آرتور مُكبّرَ صَوتِ التّلفزيون أمام ميكرفون «حجر رشيد». بذلك قد تحظَى المُستكشِفةُ البيلوكانيّة بصورةٍ وصوتِ -رائحةِ تلفزيونِ الأصابعِ.

طبعاً، لن تتمكّن من التقاطِ الموسيقى أو المُؤثّرات الصّوتيّةِ لكنها، بهذه العمليةِ، سوفَ تفهَمُ الأساسيّ من التعليقاتِ والحِواراتِ.

أفرزتِ الرّقم 103 قطرةً من اللّعابِ التي أرادت أن تدوّنَ عليها تعليقاتِها حولَ العادَاتِ والتّقاليدِ الإصبعيّةِ. ستستَنتِجُ من وراءِ ذلكَ قيمةَ هذه الحيَوانات.

أشعَلَ آرتور راميريز التّلفزيون. وكبسَ لا على التّعيينِ أحدَ أزرارِ جهَازِ التّحكّمِ.

قناة 341: «مع كراك كراك، تخلّصُوا بسهولةٍ من...»

قفزَ جاك مِيلِيَس وغيّرَ على الفورِ. فكرَتُهُ اللّامِعةُ لم تكن خاليةً منَ المخاطِرِ!

استقبال: ما هذا؟ سألتِ الرّقم 103.

شعرَ البشَرُ بالقلقِ. فسارعوا لطمأنتها.

إرسال: إعلان فحسب عن مادّة غذائية. لا شيءَ يثيرُ الاهتمام.

استقبال: لا، ما هذا، أقصدُ الضّوءَ المُسطّحَ؟

إرسال: التّلفزيون، طريقتنا للتواصُلِ الأكثرُ شيوعاً.

استقبال: إنّه نارٌ مُسطّحةٌ وبارِدةٌ، أليسَ كذلك؟

إرسال: أنت تعرفينَ النّار؟

استقبال: بالطّبعِ، ولكن ليسَ هذهِ. فسّروا!

لم يتخيّل آرتور راميريز نفسهُ يشرَحُ لنملةٍ مبدأ أُنبوبِ إشعاعِ القُطبِ السّالبِ. فحاولَ المُقاربَة:

إرسال: هذهِ ليسَت نارٌ. لكنّها تلتَمِعُ وهي شفّافةٌ لكونِها نافذةً من خِلالِها يمرُّ كلُّ ما يجري في أنحاءِ حضارتِنا.

استقبال: وكيف تصِلُ هذه الصّورُ إلى هنا؟

إرسال: تطيرُ عبرَ الأثير.

لم تفهَم الرّقم 103 هذه التّقنيّةَ الإصبَعيّةَ ولكن أدركتْ بأنّها سترى عالَمَ الأصَابعِ كما لو كانت تتواجدُ في عدّةِ أماكنَ من مدينَتِهم في آنٍ واحدٍ.

قناة 1432. أخبارُ اليَوم. أزيزُ طلَقاتِ رشّاشٍ. تعليقٌ صَوتِي: «طوّر السيراكيون غازاً قادراً على قتلِ...»

بسُرعةٍ غيّر آرتور القناة.

قناة 1445. انتخابُ ملكةِ جمالِ الكونِ. فتياتٌ يعبرْنَ مُتبختِراتٍ.

استقبال: ما هذهِ الحشَراتُ التي تفقدُ توازنَها وهي سائرةٌ على رجليها الخلفيتينِ؟

إرسال: أولئكَ ليسُوا حشَراتٍ. إنّ هذهِ الحَيواناتِ بشَرٌ، أصَابعُ كما تدعُونهم. إنّهنّ إناثُنا.

استقبال: إذاً، أهكَذا تكونُ الإصبَعُ حينَ تُرى كاملةً، منظورةً من ارتفاعِكم؟

قرّبتِ النّملةُ عينَها اليُمنَى من المُكبّر وبقيت لوقتٍ طويلٍ تتفحّصُ الأشكالَ التي تتحرّكُ على الشّاشةِ في شتّى الاتّجاهاتِ.

استقبال: إذاً، لديكم عينانِ وفمٌ، لكنْ موضُوعةٌ في قمّةِ جسَدِكُم.

إرسال: ألم تكوني تظنّينَ ذلك؟

استقبال: كنتُ أظنّ أنّكم لستُم سِوى كُتلٍ ورديّةٍ. ليسَ لكم قرنانِ، فكيفَ تُكلّمونَني إذاً؟

إرسال: نستَخدِمُ طريقَةَ تواصُلٍ سمعيّ دونَ حاجَةٍ للقُرونِ.

استقبال: وينقُصُكم رجلين. ليسَ لديكم سِوى أربَعةٍ! كيفَ تفعلُونَ لتسِيروا؟

إرسال: تكفينا الرّجلان السُّفليّتان لكي نسيرَ، لكن حتّى تعلّمنا التّوازنَ عليهما دونَ أن نقع استغرقَ الأمرُ منّا ردْحاً طويلاً من الزّمنِ. نستَخدِمُ الرّجلَين الأماميّتينِ لحملِ الأشياءِ، خلافاً عنكم حيثُ تُستَخدَمُ جميعُ الأرجُلِ للسّيرِ.

استقبال: هل اللواتي لديهنّ شُعيراتٌ طويلةٌ على الجُمجُمةِ مريضاتٌ؟

إرسال: بعضُ الإناثِ تُطيلُ شُعيراتِها لتكونَ أكثرَ إغواءً للذكورِ.

استقبال: كيفَ جرى ألّا تكونَ إناثُكم بأجنِحةٍ؟

إرسال: ولا إصْبعٌ لديهِ أجنِحةٌ.

استقبال: ولا حتّى ذواتِ الجنسِ؟

إرسال: ولا حتّى.

الرّقم 103 تتفحّصُ بانتِباهٍ الشّاشَةَ. تجِدُ إناثَ الأصَابِعِ حقّاً مُفرِطاتِ القُبحِ.

استقبال: أنتم تُبدّلونَ دُروعَكم مثلَ الحِرباءِ؟

إرسال: نحنُ ليسَ لدينا دُروعٌ. جِلدُنا وردِيٌّ وعارٍ ونحميهِ بملابِسَ من جميعِ الألوانِ والمُزركشاتِ.

استقبال: لباسٌ؟ هل هو نوعٌ منَ التمويهِ لكيلا يلتَقِطكم مُفترِسيكم.

إرسال: ليسَ تماماً، إنّها بالأحرى طريقَةٌ لحَمايةِ أنفُسنا من البَردِ ولكي نُظهِرَ شخصيّتنا. إنّهُ مجمُوعةٌ من الخُيوطِ النباتيّةِ المُجدّلةِ.

استقبال: آه، يُستَخدَمُ للاستعراضِ العِشقي كما عندَ الفراشات؟

إرسال: نوعاً ما. هو صحيح، أحياناً، حينَ تلبسُ «إناثنا» بطريقةٍ معيّنة، تجتَذِبُ انتباهَ الذّكورِ أكثَر.

الرّقم 103 تسألُ كثيراً غير أنّها تتعلّمُ بسرعة. بعضُ الأسئلة تصعُبُ الإجابةُ عنها. مثلاً: «لماذا عيونُ الأصَابِع تتحرّك؟» أو «لماذا أفرادٌ من ذاتِ الطّبقة ليسَ لديهم الطّولُ ذاته؟» حاولَ البشريّونَ الثّلاثةُ الإجابةَ بأقصى ما يستطيعونَ، باستخدام مُفرداتٍ مُبسّطةٍ وواضِحة. يلزَمُهم تقريباً أن يُعيدُوا اختراعَ اللّغة الفَرنسيّة لِمًا في كلِماتِها من ثراءٍ أحياناً بالتّضمينِ والأفكارِ المُرهفة وإلّا فسيضطرّونَ إلى إعادةِ التّعريفِ في كلّ مرّةٍ لكي تفهَمهم النّملةُ.

في النّهايةِ سئِمت الرّقم 103 من عرضِ الإناث البشَريّة هذا. تريدُ رؤيةَ شيءٍ آخرَ. غيّر مِيليَس القناة. حين لفتَت صُورةٌ انتباهَها، بثّتِ النّملةُ «توقّفْ».

استقبال: توقّف. ما هذا؟

إرسال: تحقيقٌ عن حرَكةِ المُرورِ في المُدنِ الكبيرة.

صوتُ المُعلّق: «عرقلةُ السّيرِ هي إحدى المشاكلِ الأكثرِ إثارةً للقلقِ في مُدننا الكبيرة. دراسَةٌ للدوائرِ المُختصّة برهنَت أنّه كلما زِدنا من شقّ الطُرقاتِ والأوتستراداتِ، اشتَرت النّاسُ سيّاراتٍ أكثرَ وزادَت عرقَلةُ السّيرِ.»

على الشّاشة، أرتالٌ طويلةٌ منَ السيّارات الثابتَة وسَط أدخنة رماديّة. صورةٌ خلفيّةٌ مُصاحِبةٌ: مقطُوراتٌ، شاحِناتٌ، سيّاراتٌ، وحافلاتٌ على امتدادِ بضعةِ كيلومِتراتٍ مُلصَقةً على الإسفلتِ.

استقبال: آه، عرقلةُ السّيرِ في المُدنِ الكبيرةِ، إنّها جُرحٌ في كلّ مكانٍ! شيءٌ آخر.

تتعاقبُ الصّورُ.

استقبال: توقّفْ. ما هذا؟

إرسال: فيلمٌ وثائقيٌّ عن الجُوعِ في العالمِ.

أجسادٌ ضامرةٌ، أطفالٌ يُغطّي الذّبابُ أعينَهم، رُضّعٌ هزيلونَ مُعلّقونَ على أثداءَ مُتهدّلةٍ وخاويةٍ لأمّهاتِهم المذعُورةِ، أناسٌ بنظَراتٍ جامِدةٍ لا تُحزَرُ أعمارُهم...

صوتُ المُعلّقِ غيرِ المُبالي: «الجفافُ يستكملُ زحفَهُ المُدمّرَ على أثيوبيا. مرّت خمسَةُ أشهرٍ منَ المجاعةِ، والآن يُعلَنُ عن هُجومِ الجرادِ الرحّال. ويُحاولُ هنا أطبّاءُ المُساعداتِ الدّوليّةِ بإمكانيّاتٍ مُتواضِعةٍ إنقاذَ السكّان المحلّيين.»

استقبال: ماذا يعني أطبّاء؟

إرسال: أصَابعُ تُساعِدُ أصَابعَ أخرَى حينَ يكونونَ مرضى أو عندَما يكونُونَ في حاجةٍ، أينما كانت أرضُهم وأيّاً يكن لونُ جِلدِهم. ليست كلُّ الأصّابعِ ورديّةً، يوجدُ في أنحاءِ العالمِ سُودٌ أو صُفرٌ.

استقبال: في صنفِنا أيضاً، يمكنُ أن تكونَ الألوانُ مُختلفةً. في أحيانٍ يكفي ذلكَ لتُشوبَ عِداءاتٍ.

إرسال: عندنا أيضاً.

القنواتُ 1227، 1226، 1225. توقّف.

استقبال: ما هذا؟

تعرّف مِيليَس على الصّورةِ مُباشرةً:

- نحنُ على القناةِ المُشفّرةِ. إنّهُ... فيلمٌ إباحيٌّ.

بئسَ الحظّ. فسّرَ راميريز على قدَرِ ما يستَطيعُ. لكنّ الرّقم 103 تُلحّ على معرِفةِ الحقيقةِ.

استقبال: ما هذا؟

إرسال: إنّها أفلامٌ تُظهِرُ تكاثرَ الأصابعِ...

تتمعّنُ النّملةُ ملياً بالصّورِ مُظهِرةً اهتماماً كبيراً.

تعلِيقٌ للرقم 103.

استقبال: تفعلونَ ذلكَ بالرّأسِ؟

إرسال: أوه، لا، ليسَ هكذا تماماً، قالت ليتيسيا مُرتبكَةً قليلاً.

بدّلَ الثّنائيّ على الشّاشةِ الوضعيّةَ وتعانقَا.

تعلِيقٌ للرقم 103.

استقبال: في الواقع، تُمارسونَ الحُبّ مثلَ البزّاقِ: وأنتم تتلوّونَ أرضاً. لا بدّ أنّ ذلكَ غيرُ ممتعٍ. إذ سوفَ يتعرّضُ كلُّ شيءٍ للاحتِكاكِ.

غيّرت ليتيسيا ويلز مُغتاظةً القناةَ.

قناة 1224. جلبَةُ حشُودٍ من نُقاطٍ صغيرةٍ سوداء.

استقبال: ما هذا؟

بئسَ الحظّ. فيلمٌ وثائقيّ عن الحشَراتِ!

إرسال: أحدُ... التّحقيقاتِ عن «النّملِ».

استقبال: ما هو «النّملُ»؟

إرسال: أممم، يصعُبُ شرحُهُ.

تردّد راميريز ثمّ اعترَفَ:

استقبال: النّملُ إنّه... أنتم.

إرسال: هذا نحنُ؟

تمدُّ الرّقم 103 عُنقها. حتّى في اللّقطَة القريبة تفشَلُ في التعرّفِ على أخواتِها، لأنّ رؤيتَها كُرويّةٌ بينما رؤيةُ البَشَرِ مُسطّحةٌ.

تُميّزُ على نحوٍ مبهَم تحليقاً زِفافيّاً. أميراتٌ وذكُورٌ آخذونَ بالارتفاعِ.

تُصغي الرّقم 103 إلى المُراسلِ وتتعلّمُ أشياءَ كثيرةً عن صِنفِها. لم تكن تعرفُ بأنّ النّملَ بهذه الأعدادِ الضّخمة على الأرضِ. لم تكن تعرِفُ أنّ أصنافاً أستراليّةً مُلقّبةً باسم «نملِ النّارِ» كانت مُزوّدةً بحمضٍ نمليكٍ مركّز إلى درجةِ أنّهُ ينخُرُ الخشَب.

تدوّنُ الرّقم 103 أيضاً وأيضاً، عاجزةً عن الابتعادِ عن هذهِ النّافذَة التي يُعرَضُ فيها بسرعةٍ كبيرةٍ هذا الكمُّ من المعلُوماتِ المُثيرةِ للاهتمامِ.

السّاعاتُ التي لحِقت كُرّستْ كليّاً إلى هذهِ الجُرعَةِ المُكثّفةِ من التّلفزيونِ.

في اليومِ الثّالث تحضُرُ الرّقم 103 عرضاً لُممثّلينَ هزليّينَ. يستلمُ أكثرُ من كوميديّ الميكرُوفون ويحكُونَ قِصَصاً تجعلُ القاعَةَ تُقهقِهُ من الضّحك.

رجلٌ مُمتلئٌ ومرِحٌ يُخاطِبُ الحُضورَ: «هل تعلَمونَ الفرقَ بين المرأة والسياسيّ؟ لا؟ حسناً، حينَ تقولُ المرأةُ لا، فذلكَ يعني رُبّما؛ وحينَ تقولُ المرأةُ ربّما، فذلكَ يعني أجل، وحين تقولُ أجل، تُعتَبرُ ساقطةً. بينما حين يقولُ السياسيّ أجل، فذلكَ يعني رُبّما؛ حين السياسيّ يقولُ ربّما، فذلكَ يعني لا وحينَ يقولُ لا، يُعدُّ ساقِطاً!»

أخذَت القاعةُ تُقهقهُ ضاحِكةً.

تمسّدُ النّملةُ قرنَيها.

استقبال: لم أفهَم شيئاً...

إرسال: هذا من أجلِ الضّحكِ، شرَحَ آرتور راميريز.

استقبال: ما هو الضّحِك؟

بذلت ليتيسيا ويلز جهداً في شرحِ الدُّعابةِ الإصبَعيّة. حاولت دونَ جدوى أن تحكيَ من جديد قصّةَ المجنُونِ الذي يطلِي سقفهُ. ودُعاباتٍ أُخرى أيضاً. إلّا أنّها جميعاً، دونَ المرجعيّاتِ الثقافيّةِ البشريّةِ، لم تجِدِ الصّدى المطلوب.

إرسال: ألا يوجدُ في عالمِك ما يُضحِككم؟ سألَ جاك ميلِيَس.

استقبال: ينبغي أن أعرف بدايةً ما هو الضّحِكُ، حقّاً لم أفهم ما هو بالضّبط!

حاولوا اختراعَ مزحة نمليّة: «إنّها قصّةُ نملة تطلي سقفَها...»، ولكنّ النتيجَةَ لم تكن مُقنعةً. كانَ ينبغي معرفةُ ما هو المُهمّ وما هو غيرُ المُهمّ لمُقيمةٍ في عشّ نملٍ.

تُقلعُ الرّقم 103 عن مُحاولةِ الفهَم، وتكتَفي بأن تُدوّنَ في فيرومُونها حولَ علمِ الحيَوانِ: «الأصَابعُ بحاجَةٍ لقصّ حكاياتٍ غريبةٍ تُثيرُ لديهم فيرومُوناتٍ فيزيولوجيّةٍ. يحبّونَ السّخريةَ من كلّ شيءٍ.»

غُيّرت القناةُ.

«فخّ للتفكير». ظهَرت السيّدةُ راميريز، أمامها لغزُ تشكيلِ الستّة مُثلّثاتٍ بستّةِ أعـوادِ ثِقابٍ. كانت مستمرّةً بالادّعاءِ أنّها لا تمتَلكُ

الجوابَ، ولكن ليتيسيا وجاك كانا يعرِفانِ الآن بأنّ السيّدةَ راميريز تعرفُ جميعَ الأجوبةِ منذُ زمنٍ طويلٍ.

غيّروا القناةَ.

فيلمٌ عن حياةِ ألبير أينشتاين. شُروحاتٌ تبسيطيّةٌ لنظَريّاتهِ الفيزيائيّةِ الفلكيّةِ. وجدَ الفيلمُ اهتِماماً غيرَ متوقّعٍ منَ الرّقم 103.

استقبال: في البدايةِ لم أكنْ أميّزُ بين إصبع وآخر. الآن، من كثرةِ ما رأيتُ سمات لوجُوه إصبَعيّة، بتُّ أميّزُ الفروقَ. هو، مثلاً، ذكر، أليسَ كذلك؟ عرفتُهُ لأنّ شُعيراته قَصيرةٌ.

تحقيقٌ عن البدانةِ. يُشرَحُ فيه فقدانُ الشهيّةِ والبدانة. النّملةُ ثارت.

استقبال: ما هذه الأفرادُ التي تأكلُ دونَ حساب! الطّعامُ، إنّه الفعلُ الأبسَطُ والأكثرُ طبيعيّةً في العالم. حتّى اليرقةُ تعلمُ كيف تتغذّى. حين تنتفخُ نملةُ صهريج بحشوِ نفسِها بالطّعام، فهذا لمصلَحة الجماعةِ وهي فخُورةٌ بجسَدِها المُستعرِضِ، ليسَ كما إناثُ الأصَابعِ هذه اللواتي يشتكينَ بلا سَببٍ عجزهنّ عن وضعِ حدّ لطعامهنّ!

كان يبدو على الرّقم 103 أنّها مُشاهِدةٌ لا تكلُّ ولا تملُّ.

كانَ آل راميريز قد أغلَقوا متجَرهُم للألعابِ. ليتيسيا وجاك ناما في غُرفةِ الأصدقاء. وتناوبَ الجميعُ لإرضاء النّملة.

لدى الرّقم 103 نهَمٌ لكافّة أنواعِ المعلُومات. كلّ شيءٍ يهمُّها: قوانينُ كرةِ القدَم والتّنس والألعاب، الحُروبُ بين الأصَابعِ، سياسَةُ الأمم، الاستعراضات الزّفافيّةُ الإصبعيّة. تُسرّها الرّسومُ المُتحرّكةُ برسومها البسيطَة والواضِحة. وتُبهرُها حربُ النّجوم. لم تفهَم سيناريو الفيلمِ بكاملِه لكن بعضَ الأحداثِ ذكّرتها بمعارك القَفيرِ الذّهبيّ.

أدرَجَت كلَّ شيءٍ في فيرومُونِ علمِ الحيَوانِ الخاصّ بها. أولئكَ الأصَابِعُ لديهم سعَةُ مُخيِّلة!

189. موسُوعة

موجة: كلّ شيءٍ سواءً أكانَ غرضاً أو فكرةً أو شخصاً، يمكنُ ردّه إلى موجَة. موجةُ شكلٍ، موجةُ صوت، موجةُ صورَة، موجةُ رائحة. وبالضّرورة يحصُلُ تداخلٌ بين هذه الأمواجِ وأمواجَ أُخرى حينَ لا تكونُ في الفراغِ اللانهائيّ.

إنّ دراسةَ التّداخُلات بين أمواجِ الأشياء، والأفكارِ، والأشخاصِ هي دراسةٌ آسِرةٌ. ماذا يحدثُ حينَ نمزِجُ بين الرّوك أند رول وبين المُوسيقى الكلاسيكيّة؟ ماذا يحدثُ حين نمزُجُ الفلسفةَ مع المعلوماتيّة؟ ماذا يحدُثُ حين نمزِجُ الفنّ الأسيويّ مع التكنولوجيا الغربيّة؟

حينَ نُسقطُ قطرةَ حبرٍ في الماء، المادّتان لديهما مُستوى معلومةٍ مُنخفضٍ جدّاً ومُتماثلٍ. قطرةُ الحبرِ سوداء وكأسُ الماءِ شفّاف. يُولّدُ الحبرُ عندَ سقوطهِ اضطراباً في الماء.

اللحظةُ الأكثرُ أهميّةً، في هذا التلامسِ، هي عندَ ظهورِ أشكالَ فوضويّة. لحظةَ ما قبلَ التّلاشي. التفاعلُ بين العُنصرين المُختلفين يُنتج تشكيلات غنيّةً جدّاً. فتظهرُ عندئذ أشكالٌ حلزونيّة وهيئاتٌ مُتعرّجة وامتداداتٌ خيطيّة مُفرطَةُ التنوّعِ والتي تتلاشَى شيئاً فشيئاً لتعطيَ الماءَ لوناً رماديّاً. في عالمِ الأشياء، يصعبُ تثبيتُ هذا الرّسمِ المُفرطِ الثراءِ، لكن في عالَمِ الأحياءِ، يمكنُ للقاءِ أن يُحفرَ في الذّاكرةِ ويظلّ ثابتاً فيها.

إدمون ويلز،

موسُوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلّد الثاني.

190. شلي-بو-ني على قلقٍ

شلي-بو-ني على قلقٍ. ذُباباتُ الهامُوشِ المُراسلاتُ، العائداتُ من الشّرقِ، تقولُ بأنّهُ لم يبقَ شيءٌ منَ الحَملةِ ضدَّ **الأصَابعِ**. لقد أُبيدَتْ بالكاملِ بسلاحٍ إصبَعيّ يرمِي دُوّاماتٍ من «ماء حارِق».

كم من الفيالقِ، كم من الجُنديّاتِ، كم من الآمالِ أُهـدِرتْ دونَ جدوى!

تقفُ ملكةُ بيل-أو-كان، قبالةَ جثّة أمّها بيلو-كيو-كيوني، تطلُبُ منها نصيحةً. ولكنّ الدّرعَ فارِغٌ ومجوّفٌ. لم تُجبْ. تذرعُ شلي-بو-ني المقصُورةَ الملكيّةَ بعصَبيّةٍ. تريدُ عامِلاتٌ الاقتِرابَ مِنها لمُداعبتِها وتهدئتِها. تصدّهنَّ بعنفٍ.

تتوقّفُ وترفَعُ قرنيها عالياً.

لا بدّ أنّ ثمّةَ طريقةٌ للقضاءِ عليهم.

تندفعُ إلى المكتبةِ الكيميائيّةِ وهي تواصِلُ بثّ الفيرومُون.

حتماً ثمّةَ طريقةٌ للقضاءِ عليهم.

191. ما تعتقدهُ عنّا

خمسَةُ أيّام قد مضَت، والرّقمُ 103، دونَ أيّةِ استراحة، تواصِلُ مُشاهدَةَ التّلفزيون. لم تبثّ سِوى طلبٍ واحدٍ: كانت تحتاجُ إلى كبسُولةٍ صغيرةٍ تضَعُ فيها فيرومُوناتها حولَ علمِ الحيوانِ بخصُوصِ **الأصَابعِ**.

نظَرت ليتيسيا إلى رفيقَيها:

- هذهِ النّملةُ تتحوّلُ إلى مُدمنةِ تلفزيونٍ حقيقيّةٍ!

- تبدُو أنّها تفهمُ ما ترى، لاحظَ مِيليَس.

- على الأرجحِ عِشْرُ ما يمرُّ على الشاشة، ليس أكثرَ. هي مثل مخلُوقٍ جديدٍ أمامَ هذا التّلفزيونِ. الذي لا تفهَمهُ تحاولُ تفسِيرهُ بطريقَتها.

آرتور راميريز لم يكن مُوافقاً.

- أعتقدُ أنّكما لا تُقدّرانِ هذهِ النّملةَ حقّ قدرِها. تعليقاتُها صَائبةٌ حولَ حربِ سيراكو -سيرانيّة. إضَافةً إلى ذلكَ، تعرفُ أن تُقدّرَ الرّسومَ المُتحرّكة لتيكس أيفري.

- أنا، لا أبخسُها قدرَها أبداً، قال مِيليَس، وهذا بالضّبطِ ما يدفعني للقلق. يا حبّذا لو اقتَصرَ اهتمامُها على الرّسُوم المُتحرّكةِ! بالأمسِ سألتني لماذا نُكابدُ إلى هذا الحدّ لنُعذّبَ بعضنا بعضاً؟

هذا صدَمَ الجميعَ. كانوا مسكُونينَ بذاتِ القلقِ: *ما الذي تعتقدهُ عنّا إذاً؟*

- علينا الحِرصُ ألّا ترى صُوراً سلبيّةً عن عالمنا. بعدَ كلّ حسابٍ، يكفي تغييرُ القَنواتِ في الوقتِ المُناسبِ، أضافَ المُفوّضُ.

- لا، احتجّ سيّدُ العفاريت. هذه الخبرةُ مُهمّةٌ جدّاً. لأوّلِ مرّة، كائنٌ حيّ لا بشريٌّ يحكُمُ علينا. دعُونا نترَكْ نملتَنا حُرّة بالحُكمِ علينا ولتقُلْ لنا ماذا نُساوي في المُطلقِ.

عادَ ثلاثتُهم إلى أمامِ آلة «حجر رشيد». داخلَ الجَرسِ كانت الضّيفةُ المرمُوقةُ مُحافظةً على رَأسِها بلصقِ شَاشة البلّورِ السّائلِ. تهزُّ قرنيها بنشاطٍ وتروّلُ فيرُومونَاتٍ بسرعَةٍ كبيرةٍ وهي تُتابعُ حملةً انتخابيّةً. كانَ من الجَليّ أنّها تُصغي بانتباهٍ كبيرٍ لخِطَابِ رئيسِ الجمهُوريّةِ، وتدوّنُ الكثيرَ من المُلاحظاتِ.

إرسال: تحيّات، الرّقم 103.

استقبال: تحيّات، أصَابِع.

إرسال: كلّ شيءٍ على ما يُرام؟

استقبال: نعَم.

لكي يسمحَ للرقم 103 مُتابعةَ البرامج كيفما تشاء، صنّعَ راميريز في النّهايةِ جهازَ تحكّم مجهريّ مُتيحاً للنملةَ تغييرَ القناةِ من داخلِ جرسِ اختبارِها. وأخذَت الحَشَرةُ تستَخدمهُ بإفراط.

استمرّت التّجربةُ عدّةَ أيّام إضافيّة. كانَ يبدُو أنَّ فضولَ النّملة لا ينضُب. مُطالبةً الأصَابِعَ بتفسيراتٍ لا تنتَهي. ما هي الشيوعيّةُ، محرّكُ الاحتِراقِ، انحرافُ القارّات، الحواسيبُ، الدّعارةُ، الضّمانُ الاجتماعيّ، الائتمانُ، العجزُ الاقتصاديّ، غزوُ الفضاء، الغوّاصاتُ النوويّةُ، تضخّمُ البطَالة، الفاشيّةُ، الأرصادُ الجويّةُ، المطاعمُ، رهانُ سباقِ الخيلِ، الملاكمةُ، منعُ الحَملِ، الإصلاحُ الجامعيّ، العدالةُ، هجرةُ الرّيفِ...؟

جمّعتِ الرّقم 103 ثلاثةَ فيرومُونات عن علمِ الحيوانِ حولَ **الأصَابِعِ**.

في اليوم العاشرِ، نفدَ صبرُ ليتيسيا ويلز. ربّما لم تحبَّ إلى الآن أحداً منَ البشَرِ بيدَ أنَّ حسّ العائلة كان لديها على الدّوام. وابن عمّتها جُوناثان يوشِكُ على الموتِ فيما هذه النّملةُ المُنقذةُ التي أُرسِلَتْ إليهم مُنزَرعةً هنا أمامَ تلفزيُونها يتعذّرُ نزعُها.

إرسال: هل أنتِ جاهزةٌ الآن لتُرشدينا إلى بيل-أو-كان؟ سألتها للرقم 103.

مرّت لحظةُ صمتٍ أخذَ قلبُ ليتيسيا أثناءها يخفقُ بسرعَة. كانَ الآخرانِ إلى جوارها يترقّبان بالقلقِ ذاته إصدارَ القرارِ النّمليّ...

استقبال: أتريدُونَ معرفةَ قراري إذاً؟ حسناً. أعتقدُ أنّي رأيتُ بما يكفي لأحكمَ.

تُزيحُ رأسَها عن شاشةِ التّلفزيون وتنتَصِبُ على رجليها الخلفيتينِ.

استقبال: أنا لا أدّعي معرفَتكم تماماً، بالطّبعِ، حضارتُكم مُفرِطةُ التّعقيد... ولكن... في الواقعِ منذُ الآن بوسعي إدراكُ الأساسيّ.

تتركُهم ينتَظِرونَ بفارغِ الصّبرِ، مُداريةً انفعالاتِها. إنّ الرّقم 103 خبيرةٌ حقّاً فيما يخصُّ التّلاعُبَ بالأشخاصِ.

استقبال: حضارتُكم مُفرطةُ التّعقيدِ ولكن رأيتُ منها ما يكفي لأفهَمَ الأساسيّ. أنتم حيَواناتٌ خليعةٌ، عديمو الاحترام لكلّ ما يُحيطُ بكم، لا يشغَلكم إلّا تراكمُ ما تُسمّونَهُ الـ «مال». النّظرُ إلى تاريخكم يُرعبني: ليسَ سِوى سلسلةٍ مِنَ الجرائمِ المُتواليةِ إلى حدّ كبير. تقتُلونَ في البدايةِ ثمّ تتحَادثون. وبالطّريقةِ ذاتِها تُدمّرونَ بعضَكم وتُدمّرونَ الطّبيعةَ.

بدايةٌ سيّئةٌ.

لم يتوقّعِ البشَريّونَ الثّلاثةُ هذا القدرَ من القسوةِ.

استقبال: ولكن توجدُ أشياءُ لديكم تُبهِرني. آه، رُسوماتكم! لاسيّما رسوم ذاكَ الإصبَعِ... ليوناردو دافنتشي. هذه الفكرةُ بأن يرسُمَ ليُظهرَ تفسيرَهُ للعالمِ وصناعةُ أشياءَ غير ضرُوريّة فقط لجمالِها، إنّها خلّابة! كما لو أنّ روائِحَ تُصنّع ليسَ للتواصُل أبداً، وإنّما لسعادةِ شمّها! هذا الجمالُ المجّانيّ وعديمُ النّفع والذي تسمّونه «فن»، هو ما يميّزكم عن حضارتنا. نحنُ ليسَ لدينا أيّ شيءٍ من هذا في مُدننا. حضارتُكم غنيّةٌ بفنّها وبولعِها عديمِ النّفعِ.

إرسال: أنتِ موافقةٌ إذاً على أنْ توصِلينا إلى بيل-أو-كان؟

لا تزالُ النّملةُ مُتمنّعةً عن الإجابةِ.

استقبال: قبلَ الوصُولِ عندكم التقيت ببناتِ وَرْدانَ. وقد أفهموني شيئاً. أن نحبَّ القادرينَ على محبّةِ أنفسِهم، وأن نُساعِدَ الذينَ لديهم الرّغبةُ في مُساعدةِ أنفُسِهم...

تُحرّكُ قرنيها واثقةً بنفسِها وبحُجَجِها.

استقبال: ها هو السّؤالُ الذي يبدُو لي مُهمّاً. لو كنتم في مكاني هل ستقيّمونَ صنفكم إيجابيّاً؟

بئسَ الأمرُ. بالطّبعِ ليسَ لليتيسيا يوجّهُ سؤالٌ كهذا. ولا لآرتور راميريز.

تابعتِ النّملةُ بهدوءٍ تعليلَ منطقِها.

استقبال: هل تفهَمُونني جيّداً؟ هل تحبّونَ أنفُسكم إلى الدّرجةِ التي تدفَعُ إلى محبّتكم؟

إرسال: آه حسناً...

استقبال: إذا كنتُم لا تحبّونَ أنفُسكم، كيفَ يُمكننا أن نأملَ بأن تقدُروا يوماً على محبّةِ كائناتٍ مثلنا تختَلفُ عنكم إلى هذا الحدّ!

إرسال: في الحقيقةِ...

استقبال: أتحاولونَ انتقاءَ الفيرومُونات المُناسبة لإقناعي؟ لا تبحَثوا أكثر. التّفسيراتُ التي انتظرْتُها منكم، قدّمَها لي تلفزيونكم. رأيتُ فيه أفلاماً وثائقيّةً، تحقيقات، حيثُ كانت أصابِعُ تُساعدُ بعضها، حيثُ سارَعت من أعشاشٍ بعيدةٍ لنجدَةِ أصابِعَ أخرَى، حيثُ أصابِعُ ورديّة

تُعالجُ أصابعَ بنيّةَ. نحنُ، النّملُ كما تدعُوننا، لم نصِل يوماً هذا الحدّ من الفعلِ. نحنُ لا نُساعدُ الأعشاشَ البعيدةَ، ونحن لا نُساعدُ النّملَ من أصنافٍ أخرى. وعلاوةً على ذلكَ، رأيتُ إعلاناتٍ من أجلِ دببةٍ من القطيفة. إنّها ليست سوى أشياءَ ورغمَ ذلك نجدُ أصَابعَ تداعبها وأصَابعَ تُقبّلها. لذا فإنّ لدَى الأصَابعِ فائضاً من الحُبّ ليقدّموه.

توقّعوا كلّ شيءٍ، إلّا هذا. إلّا أن يجذُبَ الصّنفُ البشريّ أحداً - غير بشريّ بفضلِ أعمالِ ليوناردو دافنتشي والأطبّاءِ-المُغامِرينَ ودُمى مصنوعةً من القطيفة!

استقبال: هذا ليسَ كلَّ شيء. تعتنونَ جيّداً بأفراخكم. تأملونَ بأن تكونَ أصَابعُ المُستقبلِ أفضَلَ من أصَابعِ اليوم. تطمَحونَ إلى التطوّر. أنتم مثلُ جُنديّاتنا اللواتي يُضحينَ بأنفسهن ليصنَعنَ الجسرَ الذي سَيسيرُ عليه أخواتهنّ ليعبرنَ جدولَ الماءِ. الصّغارُ سوفَ يجتازونَ ولكي يجتازوا، الكبارُ على استعدادٍ للموتِ. أجَل، كلّ ما شاهدتُه من أفلام، وأخبارٍ، وإعلاناتٍ، يُعبّرُ عن أسفِكم على أنّكم لستم أكثرَ ممّا أنتم عليه وأملكم بأن تُحسّنوا من أحوالكم. ومن هذا الأملِ تنبُعُ «فُكاهتكم»، ويُخلَقُ «فنّكم»...

اغرورَقتْ عينا ليتيسيا بالدّمُوعِ. احتاجت إلى نملَة لتشرَحَ لها وتعلّمَها أن تُحبّ الصّنفَ البشريّ. بعد كلمةِ الرّقم 103، لن تكونَ بعدَ اليومِ هي نفسها. شُفيتْ للتوّ من رُهابِ البشرِ بفضلِ نملَة! فجأةً انتابَتها الرّغبَةُ بالتعرّفِ على مُعاصريها على نحوٍ أفضلَ. ثمّةَ حقّاً رائعونَ بينهم. فهِمَت هذهِ النّملةُ ذلكَ ببضعِ ساعاتٍ من مُشاهدةِ التّلفزيون بينما لم تلحَظ هي ذلكَ قطّ.

انحَنتِ الشابّةُ على الميكروفون ولفظَت بصعُوبة:

إرسال: سوفَ تُساعدِيننا إذاً؟

تحتَ جرسِها الزّجاجيّ نصَبت الرّقم 103 قرنَيها وبثّت، مُتّخذةً هيئةً رسميّةً:

استقبال: لا يُمكننا نحنُ مُقارعَتكم ولا أنتم أيضاً يمكنكم مُقارعتُنا. ولا أيّاً من صِنفينا قويّ بما يكفي لمحوِ الآخرِ. وبما أنّنا لا نستَطيعُ تدميرَ بعضِنا، فنحنُ مُضطرانِ للتعاونِ فيما بيننا. وعلاوةً على ذلكَ، أعتَقدُ أنّنا نحتاجُ إليكم. لدينا أشياءُ نتعلّمها من عالمِكم ولا يجبُ قتلُكم أبداً قبلَ معرفتِها.

إرسال: إذاً أنتِ موافقةٌ على أنْ تُرينا بيل-أو-كان؟

استقبال: أوافقُ على مُساعدَتكم لإنقاذِ أصدقائِكم المسجُونينَ تحتَ المدينةِ، لأنّي موافقَةٌ، الآن، على التّعاونِ بين حضارتَينا.

عندَ هذهِ اللّحظَةِ أُغمي مُجدّداً على آرتور راميريز.

192. الدّيناصُورات

إنّهُ فيرُومونُ ذاكرةٍ تاريخيّ وصلَ مُجتازاً ألفيّاتِ السّنينِ.

تقرّبُ شلي-بو-ني قرنيها منَ الكبسُولةِ الملآى بالسّوائلِ الشميّةِ، والتدرّجاتِ العِطريّةِ. مُباشرةً، يتَصاعدُ النصّ بلذّةٍ داخلَ قرنَيها.

فيرومُون تاريختي.

سيّالةُ اللّعاب: الملِكةُ بيلو-كيو-كيوني الرّابعةُ والعشرون.

لم يكن النّملُ دوماً سيّدَ الأرضِ.

في غابرِ الزّمانِ، شُكّكَ بهذا اللّقبِ من قبلِ أصناف أُخرى، تمثّل طرقَ تفكيرٍ مُختلفةً.

إذ راهَنت الطّبيعةُ منذُ ملايينِ السّنين على الحـرذُون. لم تكن الحراذينُ، حتّى ذلكَ الوقت، سِوى حَيواناتٍ لها أحجامٌ معقُولةٌ، مُجرّدُ أسماكٍ لها أرجُل.

غيرَ أنّ هذه السّحالي لم تكن تتوقّفُ عن المُبارزةِ. وفي النّهايةِ تحوّلت أجسَادُها شيئاً فشيئاً لتتكيّفَ مع النّزالاتِ الفرديّةِ. ورويداً رويداً أصبَحوا أضخَم وأعنفَ.

حدثَ تطوّرٌ مورفولوجيّ. تحوّلت على إثرهِ الحَراذينُ إلى عَمالقة. وعندَئذ لم يُعد باستطاعتنا قتلُهم، حتّى حينَ كان يصِلُ عددنا إلى عشرينَ نملةً، أو ثلاثينَ أو مئة. أصبحَ الحَراذينُ آنذاك شديدي البأسِ، وقد باتوا لفرطِ عَددِهم وشدّةِ تدميرهم أكبرَ قوّةٍ حيوانيةٍ أرضيّة.

لفرطِ ارتفاعِ بعضِهم كانت رؤوسهُم تعلو ذُرا الأشجارِ. لم يعُودوا حراذينَ، وإنّما أصبَحوا ديناصُورات.

استمرّ حكمُ هذهِ الوحُوشِ الضّخمة ردحاً طويلاً من الزّمنِ وكنّا نحنُ، في كافّة الأنحاءِ، داخلَ أعشاشنا، نُقلّبُ أفكارنا.

كنّا قد هزمنا الأَرَضة الرّهيبةَ، فكانَ يُفترضُ أن نكونَ قادرينَ على التخلّصِ من هذه الدّيناصُورات، أخذَ هذا النداءُ يُبثّ في أرجاءِ المعمُورةِ. رغمَ أنّ جميعَ فرقِ الكوماندوس النّمليّةِ المُرسلةِ للقضاءِ على الدّيناصُوراتِ قد أُهلكتْ.

هل كنّا قد عثرنا على أسيادنا؟ سُرعانَ ما أخذَتْ بعضُ العشُوشِ

تستَسلِمُ وتمنَحُ الدّيناصُوراتِ السّيطرةَ على أراضي صيدِها. كانوا يفرّونَ تحتَ وطأة خطَواتِهم، مسكونينَ بهاجِسِ الخوف من مبارَزاتِهم البغيضَة التي تهتزّ الأرضُ أثناءَها. حتّى الأرَضَاتُ كانت تُنكّسُ قرونها.

وإذ ملكةٌ من عُشّ نِمالِ المانيان تُطلِقُ تعميماً: على جميعِ المُدنِ الاتّحادُ ضدّ هذه الوحوش.

كانت الرّسالةُ بسيطةً، إلّا أنّ تأثيرها طالَ الكوكبَ برمّته. وضَعتْ أعشاشُ النّمالِ حدّاً للحرُوبِ الدّاخليّة. وباتَ يُحظّرُ على أيّة نملة قتلُ نملة أخرى، مهما كان صِنفُها أو حجمُها. وبذلكَ كانَ قد خُلقَ التحالُفُ الكونيّ الكبيرُ.

أخذت الرّسولاتُ تطوفُ بين المُدنِ مُعلنةً لكلّ منها نُقاطَ الضّعفِ لدى الدّيناصُوراتِ ونُقاطَ القوّة. بدَت تلكَ الدّابّاتُ بدايةً دونَ ثغرة، غيرَ أنّ لكلّ حيَوانٍ نُقطةَ ضعفٍ. هكذا أرادت الطّبيعةُ. وقد كانَ لا بدّ علينا من اكتشَافِ نُقطةِ الضّعفِ تلكَ وبالفعلِ قد اكتشفناها. نُقطةُ الضّعفِ عندَ الدّيناصُوراتِ كانت في فُتحةِ الشّرجِ.

كانَ يكفي غزوهُم من هذا البابِ وتدميرهُم منَ الدّاخلِ. جالتِ المعلُومةُ بسرعةٍ كبيرة. وسُرعانَ ما اختَفت فيالقٌ من أعشاشِ النّمالِ، في كافّة الأنحاء، داخلَ هذا الطّريقِ الحسّاسِ. لم تعُد وحداتُ الخيالة، والمُشاة، والمدفعيّة تواجهُ المخالبَ والأرجُلَ والأسنانَ، وإنّما رشقاتِ العُصاراتِ الهضميّة، والكريّاتِ البيضاء، وردودَ الفعلِ العضَليّة.

حصَلت قِصَصٌ مُرعبةٌ تتعلّقُ بجيوش جازفت بالتقدّم خطَواتٍ قصيرةٍ في أمعاءٍ عدوّة. كانت تأخذُ الجُنديّاتُ منعطفاً إثرَ آخر داخلَ

القولونِ الكبيرِ حينَ فجأةً، انبَجست من نهايةِ النّفقِ قذيفةٌ قاتِلةٌ: غائِط.

كانتِ المُحارباتُ تركضُ وتلتَجِئُ إلى ثنايا معويّة. كانتِ الصّخرةُ ذاتُ الرّائحة الكريهة تظلُّ عالقةً في زاويةٍ حيناً، وحيناً آخر تتدَحرجُ وتسحَقُ الجيشَ بأكملهِ.

باتَ الروثُ الخصمَ الأساسيَّ للفيالقِ النّمليّة. كم ألفٍ من النّمالِ قضَت إثرَ انهيارِ كُراتِ غائطٍ صغيرةٍ وقاسية! كم من الجنديّاتِ غرقنَ بفيضَانِ أخلاطٍ طينيّة! كم من كوماندُوسٍ اختنقَ بغازِ ضرْطةٍ واحِدة!

ورغمَ ذلكَ كانت أغلبُ الفيالقِ النمليّةِ تنجَحُ في اقتِحامِ الأنفاقِ المعويّةِ في الوقتِ المُناسب.

إذاً، تحتَ هجَمات الكائنات الضّئيلة، كانت جبالٌ من لحمِ السّحالي تنهارُ الواحدَ تلو الآخرِ. آكلي اللّحومِ، آكلي الأعشابِ، المزوّدينَ بأذيالٍ مُسنّنة، برماحٍ، برؤوسٍ مُدبّبة، بسمومٍ، بحراشفَ مُدرّعة، ولا أيّاً منها استطاعَ مُقاومةَ الجرّاحات الضّئيلة والحازمة. فكانَ بسيطانِ كانا يُظهِرانِ فعّاليّةً أكثرَ من قرنٍ يفوقُ حجمَ شجَرة.

تطلّبَ الأمرُ من النّمالِ بضعَ مئاتِ آلافِ السّنين لإبادةِ جميعِ الدّيناصُورات.

وثمّ، ذاتَ ربيعٍ، عندَ الاستيقاظ، لوحظَ بأنّ السّماوات فُسحتْ. ولم يبقَ ديناصُوراتٌ. الرحمةُ لم تنلها إلّا الحَراذينُ الصّغيرة.

سحبَت شلي-بو-ني قرنَيها وأخذت تذرعُ المكتبةَ الكيميائيّةَ ساهمةً. في المُحصّلةِ، عرفتِ الأرضُ العديدَ من السكّان، وكلُّ واحدٍ أرادَ

بدورِه مُمارسةَ دورِ السيّدِ المُطلقِ عليها. جميعهم عرفُوا لحظةَ كبرياءٍ قبلَ أن تُعيدَهم النّمالُ إلى التّواضُعِ.

النّملُ هو المالكُ الحقيقيّ والوحيدُ للأرضِ. شعَرت شلي-بو-ني بالزّهوِ لانتمائِها إلى هذا الصّنفِ.

نحن الصّغارُ جدّاً نعرِفُ كيفَ نسحَقُ الضّخامَ الذين يُظهِرونَ القسوةَ. نحن، مُفرطي الصّغرِ، نعرفُ كيفَ نُفكّرُ ونحلّ مشاكلَ تبدو للوهلةِ الأولى غيرَ قابلةٍ للحلّ. نحن، مُفرطي الصّغرِ، لا نأخذُ دروساً من جبالٍ حيّةٍ تظنّ نفسها بلا ثغرة.

الحضارةُ النمليّةُ هي الحضارةُ الوحيدةُ التي استمرّت طوالَ هذا الوقتِ لأنّها عرِفت كيفَ تتخلّصُ من جميعِ مُنافسِيها.

تشعرُ الملكةُ بالنّدمِ لأنّها لم تدرس **الأصَابعَ** الذين يعيشُون تحتَ عُشّ النّملِ. لو استَمعت إلى الرّقم 103، بمراقبتِهم لكانت عرفَت كيفَ تجِدُ ثغرَتهم ولكانتِ الحَملةُ عرفَتِ المجدَ بدلَ الاندِحارِ.

ربّما لم يفتِ الأوانُ بعد؟ رُبّما نجَا بعضُ **الأصَابِعِ** تحتَ بلاطَةِ الغرانيت؟ هي تعلمُ كم كابدَت الرُّبُوبيّاتُ لإيصَالِ الطّعامِ إليهم.

تُقرّرُ شلي-بو-ني النّزولَ إلى عُشّ **الأصَابِعِ** لتتكلّمَ مع «الدّكتور ليفينغستون» ذاك الذي أطرتهُ الجاسُوسات.

193. سَرطان

تُلاحِظُ الرّقم 103 أنّ شيئاً غير طبيعيّ يحدُثُ في عالمِ **الأصَابِعِ**. ثمّةَ ظِلالٌ تتحرّكُ في الأعلى. كما لو أنّ رائِحةَ موتٍ تسودُ في الجوِّ. تسألُ:

استقبال: هل من شيءٍ ليسَ على ما يُرام؟

إرسال: أُغمي على آرتور. إنّهُ مريضٌ. مُصابٌ بسرَطانٍ مُنتشرٍ. إنّهُ داءٌ لا يُمكنُ لأحدٍ مُعالجتُهُ. أمي ماتت منهُ. نحن دونَ دفاعٍ إزاءَ هذه الملمّة.

استقبال: ما هو السّرطان؟

إرسال: مرضٌ تتكاثرُ فيه الخلايا على نحوٍ فوضويّ.

لكي تُفكّرَ بطريقةٍ أفضَل تُنظّفُ النّملةُ ساقيها الحسّيين.

استقبال: نحن أيضاً نعرفُ هذه الظّاهرةَ، لكنّها ليسَت مرضاً. سرطانُكم ليسَ مرضاً.

إرسال: ما هو إذاً؟

للمرّة الأولى، يبثّ إنسانٌ السّؤالَ «ما هو؟» الذي لم تتوقّف الرّقم 103 عن تكرارهِ. وقد أتى دورُ النّملةِ لتقدّمَ شرحاً.

استقبال: منذُ زمنٍ طويلٍ، أُصِبنا نحنُ أيضاً بما تسمّونهُ «السّرطان». ماتت الكثيراتُ. على مدى ملايينَ من السّنين، اعتبرنا هذا البلاءَ فاجعةً لا يمكنُ مُعالجتُها وكانت المُصاباتُ يفضّلنَ تركَ الحياةِ فور إصَابتهنّ بهِ عبرَ إيقافِ خفقانِ القلبِ. وثمّ...

كان البشريّون الثّلاثةُ يُصغُونَ بدهشَةٍ.

استقبال: وثمّ، فهِمنا بأنّنا كنّا ننظرُ إلى المُشكلةِ من منظُورٍ سيءٍ. كان ينبغي علينا التمعّنُ وفهمُ الذي بدا لنا في البَداية مَرضاً بطريقةٍ مُختلفة. وقد عثرنا بالفعلِ. ومنذُ أكثر من مائة ألف سنة، لم يعُد أحدٌ، في حضارتنا، يموتُ منَ السّرطانِ. أوه! يحصُلُ أن نكونَ ضحَايا لأمراضٍ أخرى كثيرة ولكن السّرطانَ، عندنا، انتهى.

لفرطِ ذهُول ليتيسيا، غشّت أنفاسُها الجرسَ.

إرسال: اكتشفتم علاجَ السّرطان؟

استقبال: طبعاً، وسأدلّكم عليهِ. ولكن أوّلاً، أحتاجُ لبعضِ الهواء. أصبَح الجوّ خانقاً تحتَ هذا الجرَسِ.

بعنايةٍ وضعَت ليتيسيا الرّقم **103** في عُلبةِ ثِقابٍ مفروشةٍ بالقُطنِ على نحوٍ مُريحٍ. ثمّ أخذَتها إلى الشّرفةِ.

استنشَقتِ الجُنديّةُ النّسيمَ المُنعشَ. من هناك، كانت تشتمُّ الضوءَ البعيدَ الآتي من الغابةِ.

- انتبهي، لا تضَعيها على الدرابزين، صاحَ جاك مِيليَس. لا ينبغي أن تسقُطَ. هذه النّملةُ كنزٌ حقيقيّ. تقبَلُ أن تُنقذَ حيواتٍ بشريّةً، وعلاوةً على ذلكَ، تقولُ بأنّها تعرفُ علاجَ السّرطانِ. إذا كانَ هذا صحيحاً...

بيديهما المُتضامّة، شكّلا مهداً حولَ العُلبةِ. سُرعانَ ما التحَقت بهم السيّدةُ راميريز. كانت قد ساعَدت زوجها ليخلُدَ إلى السّريرِ. ووقتئذ كان يغطّ في النّومِ.

- نملتُنا تؤكّدُ أنّها تعرفُ علاجاً للسّرطانِ، أعلنَ لها مِيليَس.

- إذاً، يجبُ أن ندفعَها للتكلّمِ، بسرعةٍ! لم يعد أمامَ آرتور وقتٌ.

- انتظري لدقائقَ فقط، قالت ليتيسيا. تريدُ أن تتنفّسَ بعضَ الهواءِ. ينبغي تفهّمها، أمضَت أياماً وهي مُغلقٌ عليها تحتَ الجرسِ تُشاهِدُ التّلفزيونَ دونَ توقّفٍ. ولا حيوانٌ باستِطاعتهِ تحمّلَ ذلكَ!

لكنّ المرأةَ فقدَت هدُوءها.

- بإمكانِها الاستراحةُ لاحقاً. يجبُ إنقاذُ زوجي أولاً. الأمرُ طارئٌ.

اندفَعتْ جولييت راميريز نحوَ ذراعِ ليتيسيا. ارتَدّت الشابّةُ إلى الخلفِ لتمنَعها من أخذِ العُلبةِ. للحظةِ، بقيَ الزّورقُ مُعلّقاً في الفضاءِ. شدّت السيّدةُ راميريز مِعصَم ليتيسيا وسَحَبتهُ وهذا كانَ كافياً لكي يقلُبَ.

تسقط. تطيرُ الرّقم 103 لبرهةٍ على بساطِها الطّائرِ الوثيرِ. ثمّ تهبطُ، تهبطُ، لا تتوقّفُ عن الهُبوطِ. عشُّ الأصَابِعِ شاهِقُ العُلوّ!

ترتَعبُ حينَ تصطَدمُ بسقفِ سيّارةٍ معدنيّ وتتقَافزُ عليهِ عدّةَ قفزاتٍ. تركضُ في شتّى الاتّجاهاتِ. أين أصبحَ الأصَابِعُ «اللّطفاء» وآلةُ تواصُلِهم؟ تندفِعُ صارِخةً فيرُوموناتٍ لم يكن ثمّةَ مَنْ يقرؤُها.

ليتيسيا، جولييت، آرتور، جاك! أينَ أنتم؟ تنفّستُ بما فيهِ الكفايةَ. عودُوا وارفعُوني لأخبِرَكم بكلّ شيءٍ!

السيّارةُ التي حطّت عليها انطلقت.

تتشبّثُ إلى هوائي الرّاديو بكلّ قوّةِ أرجُلها. تصفُرُ الرّيحُ من حولِها. حتى حين كانت تطيرُ على «القرن الكبير»، لم تمضِ بهذهِ السُرعةِ قطّ.

194. موسُوعة

صدام بين الحضارات: الهندُ بلدٌ يمتصُّ جميعَ الطّاقات. جميعُ القادةِ العسكريينَ الذين حاولَوا إخضَاعهُ إلى إرادتهم أُنهِكوا في ذلكَ. كلّما كانوا

يغرقونَ داخلَ البلد، كانت الهندُ تطبَعهم بميَسمها. فيفقدونَ رغبَتهم في القتالِ ويتولّعونَ ببهاء الحضارة الهنديّة. كانتِ الهندُ مثلَ إسفنجةٍ طريّةٍ تحتَفظُ بكلّ شيءٍ. أتوها غُزاةً والهندُ هزمتهم.

أوّلُ غزوٍ كان من قبلِ مُسلمينَ أتراك -أفغان. سيطَروا على دلهي سنة 1206. وتعاقَبَ عليها خمسُ سُلالاتٍ من السّلاطين وجميعهم حاولوا الاستيلاءَ على شبه الجزيرة الهنديّة بأكملها. كانت الفرقُ تذوبُ كلّما اتّجهت جنوباً. إذ كانَ الجُنود يسأمُونَ ارتكابَ المذابح، وتُغادرُهم حماسَةُ القتالِ مُستسلمين لجاذبيّة التّقاليد الهنديّة. وكانَ السّلاطينُ يغرقونَ بالانحطاط.

آخرُ سُلالة، سُلالةُ اللّودهيون، أنهى حُكمها بَابُر، ملكٌ من أصلٍ مغوليّ، يتحدّرُ من سُلالة تيمورلنك. أسّسَ سنة 1527 إمبراطوريّةَ المغولِ، وأوّل ما وصلَ وسطَ الهند، ألقى السّلاحَ وتحمّسَ للفنّ والأدبِ والموسيقى.

تمكّنَ أحدُ السّلاطينِ من سُلالته، أكبر[64]، من أن يوّحد الهند. استخدَم اللّطفَ وكوّنَ ديناً مُستقىً من جميع أديانِ زمانه وذلكَ بأخذ أكثر ما هو سلميّ في هذه الأديان. إلّا أنّهُ بعد عشراتٍ من السّنوات، حاولَ أورنكزيب، من سلالة بَابُر، فرضَ الإسلام بالقوّة على شبهِ الجزيرة. فثارت الهندُ وانفجرت. يستحيلُ ترويضُ هذه القارّة بالعنفِ.

سوفَ ينجحُ الإنكليز عندَ بداية القرنِ التاسع عشر بالاستيلاءِ عسكريّاً على جميعِ المُقاطَعاتِ والمدن الكبيرة، لكن لن يسيطَروا أبداً على كاملِ البلد. وإنّما سيكتفونَ بتشييد كنتونات، «أحياءَ صغيرةٍ للحضَارةِ الإنكليزيّة»، مزروعةٍ في وسطِ محيطٍ هنديّ بالكاملِ.

64- جلال الدين أكبر (1556–1605) أحد سلاطين المغول الذين حكموا الهند، عرف عنه الانفتاح الديني ورعايته للثقافة والفنون.

كما يحمي البردُ روسيا، والبحرُ اليابان وبريطانية العُظمى، ثمّةَ جدارٌ روحيّ يحمي الهند، يعلَقُ به كلّ من يدخلُها.

إلى آيامنا هذه، أيّ سائحٍ يُغامرُ في الذّهابِ ولو ليومٍ واحدٍ إلى هذا البلد الإسفنجَة تستَحوذُ عليه أسئلةٌ من قبيلِ «ما الجدوى؟»، «ما الغاية؟» وتراودهُ رغبةٌ في الإقلاعِ عن أيّ مشرُوعٍ.

إدمون ويلز،

موسُوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلّد الثاني.

195. نملةٌ في مكانٍ ما في المدينَة

انحنَى جاك مِيليّس فوقَ الدّرابزين.

- سقطَت!

انضمّ لهُ الجميع. حاولوا تمييزَ شيءٍ في الأسفلِ.

- لا بدّ أنّها ماتَت...

- ربّما لا، يتحمّل النّملُ السّقوطَ من شاهقٍ.

انفَعلتْ جولييت راميريز.

- اعثروا عليها، هي الوحيدةُ التي تستَطيعُ إنقاذَ زوجي وأصدِقائكم تحتَ عشّ النّملِ.

هبَطوا درَجاتِ السلّمِ مُسرعينَ ومشّطوا موقِفَ السيّاراتِ.

- انتبِهُوا على الأخصّ أينَ تضعُونَ أقدامَكم!

بحثَت ليتيسيا ويلز تحتَ عجلاتِ السّيارات. غربلت جولييت راميريز الأدغالَ الصّغيرةَ المُوضوعة للزينةِ في أسفلِ العِمارةِ. قرعَ جاك

ميليَس جرسَ الجيرانِ في الأسفلِ ليتأكّدَ بأنّ النّملةَ لم تسقُط على شُرفتِهم مدفُوعةً بهبّةِ ريحٍ مُفاجئة.

- ألم تُشاهِدوا نملةً بأثرٍ أحمرَ على الجبينِ؟

بالطّبع، ظنّوهُ مجنُوناً، لكن بفضلِ بطَاقته ذاتِ الألـوانِ الثّلاثةِ، سمَحوا لهُ بالدّخولِ والبحثِ في جميعِ الأماكنِ.

أمضَوا اليومَ بأكملِه يبحثُونَ عنها.

- ما العَمل؟ الله فقط يمكنهُ معرِفةُ أينَ تكون!

ترفض جوليت راميريز الاستسلامَ.

- إذا كانت هذهِ النّملةُ تعرِفُ حقّاً كيفَ يُعالَجُ السّرطانُ، فيجِبُ العثُورُ عليها بأيّ ثمنٍ.

بحثوا مطوّلاً من جدَيد. لم تكن تنقُصُ الحشَراتُ في ذلكَ المكانِ! ولكن حتّى بمُساعدَةِ عدسةِ المُكبّرِ المضيئةِ، لم يلحظوا في أيّ مكانٍ نملةَ الأحراشِ الصّهباءَ ذاتَ الأثرِ الأحمرِ على الجبينِ.

- لو وضعنا فقط المؤشّرَ الإشعاعيَّ بدلاً من طِلاءِ الأظافرِ! صرخَ ميليَس غاضِباً.

تشاوروا.

- لا بدّ من وجودِ طريقةٍ للعثورِ على نملةٍ، حتى لو في مدينةٍ مثلَ فونتينبلو.

- لنُحصِ كافّة الأفكارِ التي تردُ في رأسنا. ثمّ نقومُ بغربلتها، نصَحت السيّدة راميريز.

تدفّقتِ الاقتراحاتُ:

- تمشيطُ المدينةِ بأكملِها متراً متراً بمُساعدةِ رجالِ الجيشِ والإطفاء.

- سؤالُ جميعِ النّمالِ إذا رأوا نملةً بأثرٍ أحمرَ على الجبينِ.

ولا أيُّ حلّ بدا لهم مُرضياً. فاقترحت ليتيسيا:

- وإذا وضعنا إعلاناً في الصّحيفةِ؟

نظروا إلى بعضِهم. ربّما لم تكن الفِكرةُ بالحُمقِ الذي ظهَرت بهِ. فكّروا مليّاً. ولكن لم يجدْ أحدٌ منهم أفضلَ منها.

196. موسُوعة

انتصار: لماذا جميعُ أشكالِ الانتصارِ لا تُطاق؟ لماذا يكونُ الانجذابُ فقط إلى الدفءِ المُطمئنِ للهزيمة؟ ربّما لأنّ الهزيمةَ لا يُمكن إلّا أن تكونَ مُستهلّاً لانقلاب بينما يميلُ الانتصارُ إلى تشجيعنا على الاحتفاظِ بالسّلوكِ ذاته. الهزيمةُ مُجدِّدَةٌ، الانتصارُ مُحافظ. جميعُ البشرِ يشعرونَ بهذه الحقيقة على نحوٍ مُبهم. حاولَ الأذكى أن يُحرزَ ليسَ الانتصارَ الأجملَ وإنّما الهزيمة الأجمل. هانيبال استدارَ وعادَ أمام روما المُتاحةِ. وأصرّ قيصر على الذّهابِ إلى احتفالِ اليومِ الخامسِ عشَر من مارس.

دعونا نتعلّمْ من هذهِ التجاربِ.

يتأخرُ المرءُ في تشييدِ هزيمَته دوماً مهما أبكَر. ليسَ كافياً مهما رفعنا مقفزَ الغطسِ الذي سوفَ نُلقي بأنفسِنا منهُ في مسبحٍ بلا ماءٍ.

الهدفُ من حياةٍ واعيةٍ هي أن تُفضي إلى هزيمةٍ نكراءَ تكونُ عبرةً لجميعِ المُعاصرينَ. لأنّ المرءَ لا يتعلّمُ أبداً من الانتصارِ، لا يتعلّمُ إلّا من الهزيمة.

إدمون ويلز،

موسُوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلّد الثاني.

197. نداءٌ إلى الأهالي

رسمٌ نموذَجيّ في زاويةِ «حيواناتٍ تائهةٍ» في *الايكو دو ديمانش*. رأسُ نملَةٍ مرسُومٌ بالرّيشَة.

التّعليقُ: «انتبهوا! اقرؤوا جيّداً! ليسَت دُعابةً. النّملةُ المرسومةُ هنا يُمكنُ أن تُنقذَ حياةَ سبعَةَ عشرَ شخصاً من خطَرِ الموتِ. ستسمحُ لكم العلاماتُ التّاليةُ بتمييزها عن أيّةِ نملَةٍ أُخرى:

الرّقم 103683 هي نملَةٌ صهباء. إذاً ليست سوداء بالكاملِ. صدرُها ورأسُها بنيّانِ مائلانِ للبُرتُقاليّ. بطنُها داكِنٌ فقط.

حجمُها: 3 مليمترات. درعُها مخدّش. وقرناها قصيرانِ. إذا اقتربنا مِنها بالإصبعِ ترمي على الفَورِ رشقَةَ حمضٍ.

عيناها صغيرتانِ نسبيّاً، وفكّاها عريضانِ وسميكان.

علامةٌ فارِقةٌ: أثرٌ أحمرُ على الجبين.

إذا عثرتُم عليها، أو تظنّونَ أنّكم تعرّفتم عليها، حتّى إذا لم تكونُوا واثقينَ تماماً، ارفعُوها، واحمُوها ولا تـتردّدوا بالاتّصالِ بالرّقم 31415926. اطلبوا ليتيسيا ويلز. وبإمكانِكم أيضاً الاتّصالُ بالشّرطةِ وطلبُ المُفوّض جاك ميليَس.

100.000 فرنكٍ مُكافأةُ أيّ اتّصالٍ يُمكنُ أن يُساعدَ في العُثورِ على الرّقم 103683.»

أَجهَدوا أنفُسَهم، ليتيسيا وميليَس وجولييت راميريز، للتحدّث مع نمالِ الحوضِ الترابيّ، ومع نمالٍ مأخوذة من الشّوارع بالصّدفَة. إذا كانت نمالُ الحوضِ قد سمِعنَ ببيل-أو-كان بالفعلِ، فإنهُنّ عاجزاتٌ عن الوصُولِ

إليها. إنهُنّ حتّى لا يعرِفنَ أينَ يُقمنَ في هذه اللّحظة. أمّا بما يخصّ سرَّ السّرطانِ، فهنّ حقّاً لا يعرِفنَ، حتّى لم يفهَمنَ ما هو الموضوعُ على الإطلاقِ!

الجهلُ ذاتهُ عند النّملِ الذي صادَفوهُ في الشّوارع، في الحدائقِ أو في البيُوتِ. تبين لهم بأنّ أغلبَ النّملاتِ حمقاواتٌ. لَم يكنّ يأبهنَ لشيءٍ. و لم يكنَّ يفهمنّ شيئاً. لم يكن يشغلُهنّ سِوى الطّعامِ.

بذلكَ استَطاعوا أن يُقدّروا، جاك مِيليَس وجولييت راميريز وليتيسيا، إلى أيّ حدّ تكونُ الرّقم 103 استثناءً. كانَ سعيُها الفكريُّ يمنحُها فرادةً.

أمسكَت ليتيسيا ويلز بملقَطٍ صغيرِ الكبسُولاتِ التي وضعَت فيها الرّقم 103 فيرومُوناتها عن علمِ الحيَوانِ بخصُوصِ الأصَابعِ.

في آخرِ الأمرِ، أرادَت الرّقم 103 تلك أن تفهَمَ كلّ شيءٍ عن عالمِها وزمنِها. نادراً ما شوهِدَ هذا القدرُ من الفضُولِ والتعطّشِ للمعرفةِ، حتّى لدى إنسان. كانت الرّقم 103 حقّاً كائناً خارقاً للعادةِ، قالت ليتيسيا ويلز في سرّها. وعضّت على شفَتيها بأنّها تتكلّمُ عن الرّقم 103 بصيغَةِ الزّمنِ الماضِي.

للحظَةٍ، انتابتها تقريباً رغبةٌ في الصّلاةِ. فبعدَ كلّ حسابٍ، ما الذي يمكنُ أن يسمحَ بالعُثورِ على نملةٍ في مدينةٍ بشريّةٍ، سِوى معجِزةٍ؟

198. معْظَمةٌ[65]

نزلَت الملكةُ شلي-بو-ني، مُحاطةً بمُرافقَةِ الحارساتِ ذواتِ الفكُوكِ

65- مستودع تحفظ فيه عظامُ الموتى.

الطويلة. لائمةً نفسَها لعدَمِ الاتّصالِ أبكرَ بالدّكتور ليفينغستون. تعرفُ من الآنَ جميعَ الأسئلةِ التي ستَطرحُها. تعرفُ من الآن كيفَ ستميّزُ نُقاطَ ضعفِهم. وثمّ، هي قرّرت بأن تُطعمَهم. يجبُ إطعامُهم لكي تجتَذبهم كما فعَلت لاجتذابِ الأرْقَات البريّةِ قبلَ أن تقُصّ أجنحتها وتضعَها في الحظائرِ.

الطّبقةُ 10 تحتَ الأرضِ: حماسَةٌ جديدَةٌ تتملّكُها. الملكة تغذُّ الخُطا. أجل، سوفَ تُطعمُهم وتُكلّمُهم. وسوفَ تدوّنُ ملاحظاتٍ وتسجّلُ عدّةَ فيرومُونات عن علمِ الحيوانِ بخصُوصِ **الأصَابِع**.

تقفزُ حارساتُها حولهَا. جميعُهنّ يشعُرنَ بأنّ ثمّةَ شيءٌ مُهمّ سيحدثُ اليومَ. ملكةُ الفيدراليّة، مؤسّسةُ الحركة التطوّريّة، تقبلُ أخيراً أن تُكلّم **الأصَابِعَ**، أن تدرُسَهم لكي تقتلَهم على نحوِ أفضَل.

الطّبقةُ 12 تحتَ الأرضِ: تقولُ شلي-بو-ني في سرّ نفسها بأنّها كانت غبيّةً حقّاً حينَ لم تُصغِ في وقتٍ مُبكرٍ للرقم 103. كانَ عليها أن تتَحاورَ مع **الأصَابِعِ** منذُ زمنٍ طويلٍ. كان عليها أن تُصغيَ إلى أمّها بيلو-كيو-كيوني وهي تتكلّمُ معهم. كانَ تقليدُها سيكونُ هيّناً.

الطّبقةُ 20 تحتَ الأرضِ: لعلّ وعسى أن يكونَ **الأصَابِعُ** لا يزالونَ أحياءً هناكَ في الأسفَلِ! لعلّ إرادتَها بالتميّزِ، وفعلِ شيءٍ مُختلفٍ عن أهلها، ألّا تكونَ بذلكَ قد أفسَدتْ كلّ شيءٍ. لم يكن يلزمُ فعلَ العكسِ، ولا الالتزامُ بالفعلِ نفسه، كانَ ينبغي مُتابعةُ المسارِ. مُتابعَةُ عملِ الأمّ عِوضاً عن نُكرانه.

يضجُّ القطيعُ حولها بالنّشاط كما كلَّ يوم. تُحيّيها النّمالُ بأطرافِ قُرونِهنّ. إلّا أنّ مُعظمهنّ مُتفاجئاتٌ من رؤيةِ ملكتهنّ نازلةً إلى هذا العُمقِ من المدينةِ.

الطّبقةُ 41 تحتَ الأرضِ: الآن تعدُو شلي-بو-ني مع جميع فرقتها وهي تكرّرُ في سرّها: «عسى ألّا يكونَ الأوانُ قد فاتَ.» تأخذُ عدّةَ طُرقٍ فرعيّة تُفضي بها إلى قاعَة لا تعرفُها. قاعة ذات أبعاد مُدهشة، لابدّ أنّها شُيّدت منذُ أقلّ من أسبوعٍ في هذهِ الطّبقاتِ غيرِ المأهولَةِ كثيراً.

بغتةً، تنتَصبُ أمامها، رُبوبِيّاتٌ! إنّها جُثث جميعِ المُتمرّداتِ الرُّبُوبيّاتِ التي نُقلت إلى هنا. مئاتٌ منَ النّمالِ في وضعيّاتٍ جامِدةٍ مُتحدّياتٍ الزّائرةَ غيرَ المرغوبِ فيها.

جُنديّاتٌ ميّتةٌ مُحافظٌ عليهنّ داخلَ المدينة! الدّهشَةُ تصعَقُ القرنَينِ الملكيّينِ، فيرتدّان إلى الخلفِ. ووراءَهـا، الجُنديّاتُ البيلوكانيّاتُ المُرافقاتُ لها، هنّ أيضاً، في حالةِ هلَعٍ.

ما الذي تفعلهُ جميعُ هذه الميّتاتِ في هذا المكانِ؟ ينبغي أن يكنّ في المكبّ! تتقدّمُ الملكةُ والجُنديّاتُ بضعَ خطَواتٍ بين عناصرِ هذا العرضِ القاتمِ. معظمُ النّمالِ الميّتاتِ مثبّتاتٌ في وضعيّاتٍ قتاليّة، فكوكُهنّ منفرِجَةٌ، وقرونهنّ بارزةٌ إلى الأمامِ، جاهزاتٍ للقفزِ نحوَ خصمٍ محتَملٍ ثابت بذاتِ المقدارِ.

لا تزالُ بعضُ هذهِ الجُثث تحملُ آثارَ ثقوبِ قُضبانِ البقّ. حينَ تُفكّرُ بأنّ جميعهنّ قد قُتلنَ بتحريضٍ منها...

تنتابُ شلي-بو-ني حالةٌ غريبة.

إنّها مُنذَهلةٌ: جميعهنّ... مثلُ الأمّ في مقصُورتِها الملكيّةِ.

لا تتوقّفُ المُفاجآتُ عندَ هذا الحدِّ.

يبدُو لها حدوثُ حركةٍ بين هذهِ النّمالِ المُفرطة الثّباتِ.

أجل، نصفُهنّ يتحرّكُ! هل هو سرابٌ، أم تصاعدٌ لغُسيلِ روّاغة قديمٍ جدّاً، مُخدّرٌ تذوّقتهُ في الماضي بقلّةِ احتراسٍ؟

مشهَدٌ مُقززٌ!

تتحرّكُ الجثثُ في كافّةِ الأرجاءِ!

وهذا ليسَ هلوسةً! مئاتٌ منَ الأشباحِ تأخذُ الآن بالانقضاضِ على الجُنديّاتِ المُتحلّقاتِ حولها. وينشبُ قتالٌ في الأرجاءِ. حارساتُ الملكة لديهنّ فكوكٌ طويلةٌ، غيرَ أنّ المُتمرّدات الرُّبُوبيّات يَفُقنهنّ عدداً بكثيرٍ. أثرُ المُفاجأةِ والتوتّرِ النّاجمِ عن هذا المكانِ الغريبِ لعبا ضدَّ صالحِ المُحارباتِ التّقليديّاتِ.

تهتزُّ قرونُ الرُّبُوبيّات، وهنّ في غمرَةِ المعركةِ، على نحوٍ مُتواصلٍ باثّةً الفيرومُون ذاتَهُ.

الأصابعُ آلهتنا.

199. التقاءِ

كقذيفةِ مدفعٍ، ظهَرت ليتيسيا ويلز، تلهثُ، في العُليّةِ حيثُ جاك ميليَس وجوليتُ راميريز يبذُلانِ جهداً لتصفيةِ مئاتِ الرّسائلِ والرّسائلِ التلفونيّةِ التي انكبّت عليهم جرّاءَ ندائِهم للأهالي.

– عثرنا عليها! أحدٌ ما عثرَ عليها! صرَخت.

لم يبدُر أيُّ ردّ فعلٍ عنهما.

– سبقَ وأقسمَ ثمانمائةَ مُحتالٍ بأنّهم وجدُوها، قال ميلِيَس. يأخذونَ أيّ نملَةٍ، ويضعُونَ أثرَ طلاءٍ أحمر على جبينِها ويأتونَ مُطالبين بالمكافأةِ!

جولييت راميريز عزّزت:

- حتّى أنَّ منهم من أتَى بعناكبَ أو صراصيرَ مُمرّغينَ بالأحمرِ!

- لا، لا. هذهِ المرّة، الموضُوعُ جدّيّ. إنّهُ رجلُ تحرٍّ خاصٍّ بدأ منذُ ندائنا بالتجوّلِ في المدينةِ، واضِعاً باستمرار، نظّاراتٍ -عدسَاتٍ مُكبّرةٍ على الأنفِ.

- وما الذي يجعَلكِ تعتقدينَ بأنّهُ وجدَ الرّقم 103 التي تخصّنا؟

- قال لي على الهاتفِ بأنّ الأثرَ على الجبينِ ليسَ أحمرَ وإنّما أصفر. وبالفعلِ، حينَ أُبقي الطلاءَ طويلاً على أظافري، يتحوّلُ إلى الأصفَرِ.

بالفعلِ، كانتِ الحُجّةُ مُقنعةً.

- لن نخسَرَ شيئاً، لنرَ الحيوانَ.

- ليست معهُ. يدّعي أنّهُ وجدَها، ولكن لم يتمكّن من إمساكِها. هربت من بينِ أصابعِه.

- أينَ رآها؟

- امسكوا أعصابكم جيّداً! لن يكونَ الأمرُ سهلاً.

- أينَ إذاً؟ انطُقي!

- في محطّةِ مترو فونتينبلو!

- في محطّةِ المترو؟

- لكنّها السّاعةُ السّادسة، إنّها ذُروةُ الازدِحامِ. لابدَّ أن تكونَ مُكتظّةً، قال ميليَس مفزُوعاً.

- كلُّ لحظةٍ ثمينةٌ. إذا أفلتنا هذهِ الفُرصةَ، سنخسَرُ الرّقم 103 إلى الأبدِ وبالتّالي...

- فلننطَلقْ بسرعةٍ!

200. لحظةُ استرخاءٍ

تقتربُ نملتانِ ضخمتانِ بعينينِ خضراوينِ وتكشيرةٍ بشعَةٍ من قطعةِ نقانق، ومراطبين مُربّى، وفطائرِ بيتزا وطبَق شُكْرُوتْ[66] مع توابعه.

- نيارك، نيارك، البشَرُ مولّونَ ظهُورهم! لنستمتعْ بالطّعامِ!

تندفعُ النّملتانِ نحوَ الأطباقِ. تستخدمانِ فتّاحاتِ العُلبِ لتثقُبَ معلّباتِ كاسولي[67]، ثمّ تسكُبانِ لنفسيهما كأسَين طافحين بالشّمبانيا وتشربانِ نخباً بكأسَينِ رفيعَينِ.

بغتةً يُضيئُهما ضوءُ كشّافٍ وترذّ عبوةُ بخاخٍ غيمةً صفراء.

ترفعُ النّملتانِ رمُوشَهما عالياً وتجحَظُ عيناهما الضّخمتانِ الخضراوانِ صارِختينِ:

- النّجدةُ، أتَى PROPMAISON!

- لا ليسَ PROPMAISON، أيُّ شيءٍ سِوى PROPMAISON!

تتصاعدُ أبخرةٌ سوداء.

- أااااارغغغهههههههه.

تنهارُ النّملتانِ على الأرضِ. تَتبَعُ خلفي. يُلوّحُ رجلٌ بأنبوبةِ الرّذاذِ المُسجّلِ عليها بالأحرفِ الكبيرةِ PROPMAISON.

مبتسِماً، يتوجّهُ إلى الكاميرا: «مع الطّقسِ الجميلِ والارتفاعِ المُفاجئِ للحرارةِ، تنتَشرُ الصّراصيرُ، والنّمال وبنات وَرْدان بكثرةٍ. PROPMAISON هو الحلُّ. PROPMAISON يقتلُ دونَ تمييزٍ

66- طبق مكوّن من الملفوف المطبوخ مع النقانق أو لحم الخنزير.

67- طبق فرنسيّ مكوّن من فاصولياء بيضاء ولحم.

كلّ ما يتحرّكُ في خزائِنِ مطابِخكم. PROPMAISON لا خطرَ على الأطفالِ ولا رحمةَ على الحشَراتِ. PROPMAISON هو منتَجٌ جديدٌ من CCG مُنتجاتُ CCG عنوانُ الكفاءةِ.

201. مُلاحقةٌ في المِترو

كانوا في أقصى الانفعالِ، جاك مِيليَس وليتيسيا ويلز وجولييت راميريز، أخذوا يدفعونَ الرّكابَ دونَ اكتراثٍ.

– ألم تروا نملةً؟

– عفواً؟

– لا بدّ أنّها كانت هنا، أنا مُتأكّدةٌ، النّملُ يُحبّ الظّلمةَ. يجبُ البحثُ في الزّوايا المُعتمة.

تنحّى جاك بعابرٍ جانباً.

– انظر أينَ تضَعُ قدميكَ، بئسَ الأمرِ، يُمكنُ أن تقتلَها!

لا أحدَ كانَ يعي ماذا يفعلُونَ.

– قتلَها؟ قتْلُ من؟ قتْلُ ماذا؟

– الرّقم 103!

معظَمُ الركّابِ، كعادتِهم، كانوا يتجاوزُونَهم، مُعرِضينَ عن رؤيةِ وسماعِ مُثيري الشّغبِ.

أسندَ مِيليَس ظهرهُ على حائطٍ مبلّط.

– بئسَ الأمرِ، البحثُ عن نملةٍ في محطّةِ مترو، كما البحثُ عن إبرةٍ في كومةِ قشّ.

ضرَبتْ ليتيسيا على جبينها!

– ولكن، هذهِ هيَ الفِكرةُ! كيفَ لم نُفكّر بها من قبل! «البحثُ عن إبرةٍ في كومةِ قشّ...»

– ماذا تقصِدينَ؟

– كيف نبحثُ عن إبرةٍ في كومةِ قشّ؟

– إنّهُ مُستحيل!

– بلى، مُمكن. يكفي اتّباعُ الطريقةِ المُناسبة. ولا أسهلَ من العثورِ على إبرةٍ في كومةِ قشّ: نحرقُ القشَّ ثمّ نمرّرُ مغناطيساً بين الرّمادِ.

– حسناً، ولكن ما علاقةُ ذلكَ بالرّقم 103؟

– إنّه مجازٌ. يكفي العثُورُ على الطّريقةِ. ولا بدّ أنّ ثمّةَ طريقةٌ!

تشاورُوا. طريقة!

– جاك أنتَ شرطيّ، بدايةً، أُطلبْ من ناظِرِ المحطّةِ إخلاءَها من الركّابِ.

– لن يقبلَ أبداً، إذ إنّها ساعةُ الذُّروة!

– قل أنّ ثمّةَ تحذيرٌ بوجُودِ قُنبلَةٍ! لن يُجازِفَ بتحمّلِ مسؤوليّةَ آلافِ القتلَى.

– أوافق.

– حسناً، جولييت، هل بوسعكِ تصنيعُ جُملةٍ فيرومونيّةٍ؟

– أيّةُ جُملة؟

– «موعِدٌ في المنطَقةِ الأكثر إضَاءةً.»

– لا مُشكلة! بإمكاني تصنيعُ حتّى 30 سنتيلتراً ورذّهِ بواسِطةِ البخّاخِ.

- مُمتاز.

امتلأ جاك ميلِيَس حماسَةً.

- فهمتُ. تريدينَ وضعَ كشّافٍ قويّ على الرّصيفِ لكي تأتي إليهِ.

- نملاتُ مَحياي كانوا يقصِدونَ الضّوءَ دوماً. لماذا لا نُحاولُ...

ركّبت جولييت راميريز الجُملةَ الشميّةَ «موعِدٌ في المِنطَقةِ الأكثرِ إضاءةً» وعادَت بهذا النّداءِ داخلَ بخّاخِ عطُورٍ.

طلبَت مُكبّراتُ الصّوتِ في المحطّةِ من الجميعِ إخلاءَ المحطّة بنظامٍ وهدُوءٍ. أخذَ الجميعُ بالدّفعِ، بالولولةِ، بالمُزاحمةِ، بالدّعسِ. كلّ امرئٍ وليٌّ نفسهِ، واللهُ وليُّ الجميعِ.

صاحَ أحدٌ ما «حريق!». سادَ الذّعرُ. وأخذَ الجميعُ يكرّرُ التّحذيرَ. اندفَعت الحُشودُ. وانتُزِعَت الفواصلُ بين الفُسحات. أخذَ الناسُ يتعَاركونَ ليعبرُوا. ومهما كانت مُكبّراتُ الصّوت تأمرُ «ابقوا هادئين، ولا داعِ للخوفِ»، لم تكن هذه الكلماتُ تُعطِي غيرَ عكسِ التّأثيرِ المطلُوبِ.

أمامَ وقعِ النّعالِ التي تتسَاقطُ من حولِها قرّرت الرّقم 103 الاختباءَ داخلَ فُتحةٍ صغيرةٍ في أحدِ حُروفِ السّيراميك لاسمِ محطّة «فونتينبلو». في الحرفِ السّادسِ من الأبجديّةِ. حرفُ F. هناكَ، تنتَظرُ بأن تهدأ ضوضاءُ روائحِ العرقِ الإصبعيّةِ.

202. موسُوعة

أبراكادبرا[68]: الصّيغةُ السّحريّةُ «Habracadabrah» تعني بالعِبْريّةِ

68- تعويذة شائعة يستخدمها السحرة، وكان يعتقد في الماضي أنّ لديها القدرة على معالجة الأمراض، وثمّة من يعيد أصلها إلى الآراميّة.

«أن يحدثَ الشيءُ كما قيلَ» (أن تُصبحَ الأشياءُ التي قيلت حيّةً). في العصورِ الوسطى، كانت تُستخدمُ تعويذةً لمُعالجةِ الحمّى. أعيدَ استخدامُ هذه العبارة فيما بعد من قبلِ السّحرة، قائلينَ من خلالِ هذه الصّيغة أنّ العرضَ يقتربُ من نهايته وأنّ المُشاهدَ سيحضرُ الآن اللّحظةَ الأهمّ بالعرضِ (أتكونُ اللّحظةُ التي تُصبحُ فيها الكلماتُ حيّةً؟). إلّا أنّ الجملةَ ليست بالبَساطةِ التي تبدو للوهلةِ الأولى. يلزمُ كتابةُ الصيغةِ المؤلّفةِ من الأحرُفِ التسعةِ هذه (في العبريّةِ لا تُكتبُ الأحرفُ الصوتيّة: *HA BE RA HA CA AD BE RE HA*، ما يؤدي إلى: *HBR HCD BRH*) على تسعِ طبقاتٍ وبالطّريقةِ التاليةِ، من أجلِ النّزولِ على نحوٍ مُتدرّجٍ حتّى «*H*» البدئيّ (ألف: يلفظ *HA*):

HBR HCD BRE

HBR HCD BR

HBR HCD B

HBR HCD

HBR HC

HBR H

HBR

HB

H

هذا الترتيبُ مُصمّمٌ بطريقةٍ تسمحُ بالتقاطِ طاقاتِ السّماءِ بأوسعِ ما يمكن وتنزيلِها إلى البشَرِ من جديدٍ. يلزمُ تخيّلُ هذا الطلسمِ كقمعٍ، تتدفّقُ حولَهُ

الرّقصةُ الحلزونيّةُ للحروفِ مُشكّلةً الصّيغة «Habracadabrah» على شكلِ دوّامةٍ ملتفّةٍ. يتلقّفُ ويكثّف في نهايته قوى الزمكانِ العلويّ.

إدمون ويلز،

موسُوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلّد الثاني.

203. نملةٌ في المترو

تمّ الأمرُ، وتفرّقَ الحشدُ. تخرجُ الرّقم 103 من مخبئِها وتسيرُ في الممرّاتِ الشّاسعةِ للمترو. حقّاً، لن تتأقلمَ مع هذا المكانِ. لا تُحبُّ ضوءَ النّيونِ هذا ذا البياضِ القاسي.

تشعُرُ بغتةً برسَالةٍ فيرومونيّة في الهواء: «موعدٌ في المنطَقة الأكثرِ إضاءةً.» تتعرّفُ على هذهِ اللّكنة الشمّية. إنّها تخصُّ آلةَ **الأصَابعِ** للترجمةِ. حسناً! لم يبقَ سوى البحثُ عن الزّاويةِ الأكثر إضَاءةً.

204. اللّقاءُ المُستَحيلُ

تحتدمُ المعَاركُ في جميعِ أرجاءِ مدينةِ بيل-أو-كان. تتساقطُ مُتمرّداتٌ عن السّقفِ. ولا جُنديّة تهرَعُ لإنقاذ الملكة. يدورُ القتالُ بين الجُثثِ الجافّةِ للرُّبوبيّات. غيرَ أنّهُ سُرعانَ ما تتحوّلُ المعركةُ لصالحِ العدَدِ الأكبرِ.

تُطوِّقُ شلي-بو-ني بفكُوكٍ تشعُرُ بها عدائيّةً كأنّ النّمالَ لا تتعرّفُ على فيرومُوناتها الملكيّة. تقتربُ إحداهنّ نحوَها، بفكّينِ مُنفرجينِ بشكلٍ واسعٍ كما لو أنّها تريدُ قطعَ رأسِها. تبثُّ القاتِلةُ وهي تدنُو:

إنّـهُ الحـلُّ. ينبغي أن تصلَ إلى **الأَصَابِعِ**. شلي-بو-ني لا تنوي الاستِسلامَ أمامَ الموتِ. تُلقي بنفسِها في حومَةِ القتالِ، تتزاحَمُ الفكوكُ والقُرونُ مُحاوِلةً إيقافَها، تعدُو في جميعِ الممرّاتِ النّازلةِ. لم يبقَ سِوى اتّجاهٍ واحدٍ: **الأَصَابِعُ**.

الطّبقةُ 45 تحتَ الأرضِ. الطّبقةُ 50 تحتَ الأرضِ. تكتشِفُ سريعاً الممرّ الذي يوصِلُ إلى تحتِ المدِينةِ. خلفَها المُتمرّداتُ الرُّبُوبيّات يطارِدْنَها، تشعُرُ بروائِحهنّ العِدائيّةِ.

تجتازُ شلي-بو-ني ممرَّ الغرانيت وتدْخُلُ في «بيل-أو-كان الثّانية»، المدِينةُ السرّيةُ التي أشادتها أمّها في الماضِي كي تُقابلَ **الأَصَابِعَ** فيها.

في الوسَطِ هيئةٌ يتفرّعُ عنها أنبُوبٌ ضخمٌ.

تعرفُ شلي-بو-ني من هو هذا الكائنُ المنحوتُ من الرّاتنجِ على نحوٍ سيءٍ. أخبرَتها الجاسُوساتُ باسمهِ «الدّكتور ليفينغستون».

تقترِبُ منهُ الملكةُ. تلحقُ بها الرُّبُوبيّات، ويطوّقنَها إلّا أنّهن يدَعنَها تدنُو من مُمثّلِ آلهتِهم.

تُلامِسُ الملكةُ قرنَي النّملَةِ المزعُومةِ.

أنا الملِكةُ شلي-بو-ني، بثّت من أوّلِ جزءٍ لها.

وألقت من أجزائِها القرنيّةِ العشرةِ الأخرى، في آنٍ واحدٍ، دونَ ترتيبٍ وعلى جميعِ الموجاتِ الشميّةِ الطّويلةِ عدداً كبيراً من المعلوماتِ.

أنا أنوي إنقاذكم. وسأتكفّلُ من الآن فصاعِداً بإطعامِكم. أريدُ التكلّمَ معكم.

لم تتحرّكُ الرُّبُوبيّات، كما لو أنّهنّ أيضاً ينتَظِرنَ أعجُوبةً.

لكنْ لا شيءَ يحدُثُ. منذ عدّة أيّام صمَتَتِ الآلهةُ، وترفُضُ التكلّمَ حتّى مع الملكةِ.

ترفَعُ شلي-بو-ني شدّةَ رسائلِها الشمّيةِ. ولا أيّةُ نأمةٍ تندُّ عن الدّكتور ليفينغستون. يبقى جامداً.

فجأةً، تعبرُ فكرةٌ ذهنَ الملكةِ بالحيَويّةِ والقوّةِ المُضيئةِ اللتين يتّصفُ بهما برقٌ.

ليسَ للأصَابعِ وجُود. لم يكن للأصَابعِ يوماً وجُود.

خُدعةٌ هائلة، إشاعات، قِصَصٌ، معلوماتٌ زائفةٌ نشَرتها فيرومُوناتٍ لأجيالٍ مُتعاقبةٍ من الملِكاتِ وحركاتِ نمالٍ مريضَة.

الرّقم 103 كذبت. الأم بيلو-كيو-كيوني كذبت. المتمرّدات يكذبن. الجميع يكذب.

ليسَ للأصَابعِ وجُود ولم يكن لها يوماً وجُود.

هنا توقّفَت جميعُ أفكارِها. عشَراتٌ من نِصالِ الفُكوكِ الرّبوبيّةِ تختَرِقُ صدْرَها.

205. البحثُ عن الرّقم 103

لقد أطفأ ناظرُ المحطّة جميعَ الأضواء، كما أمرهُ مِيلَيس. ثمّ أحضَرَ لهم مِصباحاً قويّاً لإضَاءةِ الرّصيف. فيما ردّت جولييت راميريز وليتيسيا ويلز فيرومُونَ النّداءِ على كاملِ المحطّةِ. لم يكنْ بقي أمامَهم سِوى الانتظارُ، بفارغِ الصّبرِ، وبقلوبٍ تخفِقُ، أن تقتَربَ الرّقم 103 من إنارةِ كشّافهم.

تلحظُ الرّقم 103 ظلالاً ناجمةً عن ضوءٍ أقوى من مصَابيحِ النّيون التي تعلّمتِ التعرّفَ عليها. تتقدّمُ نحوَ المنطقة المُضيئة، وفقاً للرسالة التي نشَرها الأصَابعُ «اللّطفاء» كي يعودوا لإيجادها. لابدّ أنّهم هناكَ بانتِظارِها. حينَ ستعودُ للانضِمامِ إليهم، سيعودُ كلّ شيءٍ على ما يُرام.

كم كانَ طويلاً هذا الانتظارُ! جاك ميليَس، غيرُ قادرٍ على الثّباتِ في مكانه فأخذَ يذرَعُ الممرّ. أشعلَ سِيجارةً.

– أطفئْ هذهِ. قد تدفعُها رائحةُ الدّخانِ للهربِ. هي تمقُتُ النّارَ مقتاً شديداً.

أطفأ الشّرطيّ السّيجارةَ بكعبِ حِذائه واستأنفَ المسيرَ.

– توقّفْ عن المشي. قد تسحَقها إذا أتت من هنا.

– لا تشغَلي بالكِ بذلكَ، إذا كنتُ أفعلُ شيئاً منذُ أيّامٍ، فهو النّظرُ إلى موضِعِ قدَمي!

ترَى مُسطّحات جديدةً تقترِبُ نحوَها. هذا الفيرومُونُ فخٌّ. إنّها بكلّ تأكيدٍ أصَابعٍ قاتلةُ نملٍ نشَرت هذهِ الرّسالةَ لقتلِها. تلوذُ بالفرارِ.

تلحَظُها ليتيسيا ويلز داخلَ دائرةِ الضّوءِ.

– انظُروا! نملَةٌ بمُفردها. لابدّ أنّها الرّقم 103. لقد اقتَربت وأنتَ أخفتَها، بنعليكَ. إذا هربَت سنفقدها مُجدّداً.

تقدّمُوا بخطَواتٍ صغيرةٍ، ولكن الرّقم 103 تفرُّ مُسرِعةً.

– لم تتعرّف علينا. بالنّسبةِ لها كلّ البشَرِ جِبالٌ، تأسّفت ليتيسيا.

مدّوا لها أصابعهم وأيدِيهم، لكنّ الرّقم 103 تزلّجت مُتعرّجةً كما فعلَت يومَ النّزهةِ. ثمّ اندَفعت نحوَ حصَى الرّصيفِ.

– لا تتعرّفُ علينا. ولا تتعرّفُ على أيدينا. تلتفُّ مُتجنّبةً أصابعنا! ما العمل؟ صاحَ مِيليَس. إذا نزلت عن الرّصيفِ، فلن نعثرَ عليها أبداً بين الحصى!

– إنّها نملَةٌ. ولا شيءَ يُجدي مع النّملِ سِوى الرّوائح. أتحمِلُ قلمكَ-اللّبّاديّ؟ للحِبرِ رائحةٌ قويّةٌ، تكفي على أيّةِ حالٍ لإيقافِها.

تستَبقُ ليتيسيا الرّقم 103 لترسُمَ خطّاً سميكاً أمامها.

تركُضُ، تندَفعُ، وإذ بجِدارٍ شمّي يرتَفعُ أمامها فجأةً مُركّز بنسبةِ كحولٍ عاليةٍ. تُفرمِلُ الرّقم 103 بجميعِ أرجُلِها، ثمّ تسيرُ على طولِ هذا الجِدارِ الكريهِ كأنّهُ ثمّة حدُودٌ غيرُ مرئيّةٍ ولكن لا يمكنُ اجتيازها، ثمّ تلتفُّ حولهُ وتَستأنفُ عَدْوها.

– تلتفّ مُتجنّبةً الخطّ اللّبّادي.

تندَفعُ ليتيسيا لتسدّ الطّريقَ أمامَها بقلمِها. بسرعةٍ ترسُمُ ثلاثةَ خُطوطٍ على شكلِ مُثلّث –سِجن.

إنّي سجينةٌ بين هذهِ الجُدران الشّمّيةِ، قالت الرّقم 103 في سرّها. *ما العمل؟*

تجمعُ زَخمَها، وتُلقي بنفسِها عبرَ خطّ القلم كما لو كانَ حائطاً زُجاجيّاً مواصِلةً الجريَ بأقصَى طاقتِها دونَ النّظرِ إلى أينَ تمضِي.

لم يتوقّع البشَرُ هذه الجسارةَ والجُرأةَ.

دفعتهُم المُفاجأةُ إلى التّزاحُمِ.

– إنّها هنا، أشارَ مِيليَس بإصبعِه.

– أين؟ سألت ليتيسيا.

– انتَبهي...!

فقدَتْ ليتيسيا ويلز توازنها. حدثَ كلّ شيءٍ مثلَ حركةٍ بطيئة. لتتداركَ سُقوطَها، قامت بخطوةٍ صغيرةٍ إلى الجانبِ. ردُّ فعلٍ محض. طرفُ كعبِ حذائِها العالي ارتفَعَ وسقطَ على...

– لللاااااا!!!!!!!! صرَخَت جولييت راميريز.

دفعت ليتيسيا بكلّ قوّتها قبلَ أن تلمِسَ الأرضَ.

فاتَ الأوان.

لم تأتِ الرّقم 103 بردّ فعلٍ لتفاديها. ترَى ظلّاً ينهَالُ فوقَها تماماً ولا يتسنّى لها التّفكيرُ سِوى أنّ حياتَها ستتوقّفُ هنا. كانت حياتُها غنيّةً. تتَوالى الصّورُ على أدمغتِها، كما على شاشَة تلفزيونٍ. حربُ الخشخاش، صيدُ الحرذونِ، رؤيةُ حافّة العالَم، التّحليقُ على الجُعَل، شجرةُ الكورنيجرا، مرآةَ بناتِ وَرْدان، كثيرٌ وكثيرٌ من المعاركِ قبلَ اكتشافِ الحضَارةِ الإصبعيّة... كُرةُ القدَمِ، ملكةُ جمالِ الكونِ... البرنامَجُ الوثائقيُّ عن النّملِ.

206. موسُوعة

قبلة: يسألونَني أحياناً ماذا نقلَ الإنسانُ عن النّملِ. جوابي: قُبلةُ الفَم. اعتقَدنا لوقتٍ طويلٍ بأنّ الرّومانيّين في العصرِ القديمِ هم من ابتَكرَ قُبلةَ الفَمِ وذَلكَ قبلَ عصرِنا بمئاتِ السّنينِ. في الواقعِ، إنّهم اكتَفوا بمُراقبةِ الحشَرات. فهموا بأنّ النّمال حينَ يلمسنَ شفاهَ بعضِهنّ بعضاً، فإنهنّ يقمنَ بفعلٍ كريمٍ يوطّدُ أواصرَ مُجتمعهنّ. لم يلتقطوا قطّ المعنَى الكَاملَ وراءَ ذلك، ولكن قالوا لأنفسِهم: ينبغي تقليدُ تلكَ المُلامسَة ليعثروا، مُجدّداً على التّماسك الذي تتصفُ به أعَشاشُ النّملِ. تبادلُ القُبلِ على الفمِ، هوَ مُحاكاةٌ للتطاعُم. ولكن في التّطاعُم الحقيقيّ، يُوجدُ وهبُ غذاءٍ بينما قُبلةُ الإنسانِ ليسَ فيها سِوى وهبُ لُعابٍ غيرِ مُغذّ.

إدمون ويلز،

موسُوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلّد الثاني

207. الرّقم 103 في العالَمِ الآخرِ

نظَروا، مذهُولينَ إلى الجسَدِ المسحُوقِ للرقم 103.

– ماتَت...

لم تعد تصدُرُ عن الحيَوانِ أيّةُ حركةٍ. نهائيّاً.

– ماتَت!

لكَمَتْ جولييت راميريز الجِدارَ بيدِها.

– انتهَى كلّ شيءٍ. لم يعد بوسعنا إنقاذُ زوجي. كلُّ تعبنا ذهبَ هباءً.

– بئس الحظّ! الفشلُ على مقربةٍ إلى هذا الحدّ منَ الهدَفِ! كنّا على وشَكِ الوصُولِ.

– مسكينَةٌ الرّقم 103... كلُّ هذهِ الحياةِ الخارقةِ، وفي النّهايةِ كعبُ حذاءٍ بسيطٍ...

– إنّهُ ذنبي، إنّهُ ذنبي، كرّرت ليتيسيا.

كانَ جاك ميليَس أكثرَ براغماتيّة.

– ماذا سنفعلُ بجثّتها؟ لن يُعقلَ أن نرميَها!

– ينبغي أن نرفَعَ لها قبراً صغيراً...

– لم تكن الرّقم 103 كأيّ نملة. كانت أوليس أو ماركو بولو لعوالم الزّمكانِ السّفلي. شخصيّةٌ مفتاحيّةٌ لحضارتِهم بأكمَلها. تستَحقّ أفضَلَ من قبرٍ.

– بماذا تُفكّرين بضَريحٍ؟

– أجل.

– ولكن إلى الآن، لا أحدَ خارجنا يعرفُ ماذا أنجَزت هذهِ النّملةُ. لا أحدَ يعلمُ بأنّها كانت جسراً بين حضارتَينا.

– ينبغي التحدّثُ عنها في كلّ مكانٍ، يجبُ تنبيهُ العالم بأكمَلهِ! أكّدَت ليتيسيا ويلز. باتَ لهذهِ القصّةِ أهميّةٌ كبيرةٌ. يجبُ أن تسمَحَ هذهِ القصّةُ بالمضيّ أبعدَ.

– لن نجدَ أبداً «سفيرة» بمهارةِ الرّقم 103. كان لديها الفضولُ إضافةً إلى السّعة الذهنيّة الضّروريّينِ للتواصُلِ. فهِمتُ ذلكَ بمُحادثتي للنملاتِ الأخرياتِ. كانت حالة مُتفرّدةً.

– يُفترَضُ بين مليارِ منَ النّملِ، أن نعثُرَ في النّهايةِ على واحدةٍ بمهارتِها.

لكنْ في قرارتِهم كانوا يعرِفُونَ أنّ الأمرَ ليسَ كذلك. لقد بدأوا بتبنّي

الرّقم 103 مثلما هي بدَأت بتبنّيهم. ببساطة. مجرّدُ مصلَحة مفهومة بشكلٍ جيّد. النّملُ في حاجةٍ للبشرِ لتوفيرِ الوقتِ. البشَرُ في حاجةٍ للنملِ لتوفيرِ الوقتِ.

يا للأسَفِ! يا للأسَفِ الفشلُ على هذه المسافةِ القريبةِ منَ الهدَفِ!

حتّى ميلِيَس كان عاجزاً أن يكونَ غيرَ مُتأثرٍ. ركلَ المقعدَ بقدَمِه.

– بئسَ الحظّ.

كانت ليتيسيا ويلز تؤنّبُ نفسَها.

– لم أرَها. كانت صغيرةً جدّاً. لم أرَها!

كانوا ينظُرونَ إلى الجسَدِ الصّغيرِ الجامد. كان مُجرّدَ شيءٍ. من يرَى ذاكَ الهيكلَ المسكينَ المعوّجَ لن يُصدّقَ بأنّ ذلكَ كانَ الرّقم 103، دليلة الحَملةِ الأولى ضدّ الأصَابِعِ.

أخذوا يتفكّرون أمامَ الجُثّةِ.

بغتةً، اتّسَعت حدَقَتا ليتيسيا ويلز وقفزَت.

– تحرّكت!

تفحّصوا الحشَرةَ الجامدةَ.

– تأخذينَ أمانيك على محمَلِ الواقعِ.

– لا، لم أكن أحلُمُ. أؤكّدُ لكَ أنّي رأيتُها تُحرّكُ قرناً. بالكادِ يُلحظُ إلّا أنّهُ واضحٌ.

تبادَلوا النّظرات، راقبوا الحشَرةَ مطوّلاً. لم تكن ثمّةَ أدنَى حياةٍ في هذهِ الدّابة. كانت مُجمّدةً داخلَ ما يشبهُ تشنّجاً مؤلماً. قرناها منتَصِبان، وأرجُلها الستُّ متقوقِعةً كما لو أنّها التمّت لأجلِ سفرٍ طويلٍ.

- إنّي... مُتأكّدةٌ أنّها حرّكَتْ رِجلاً!

أخذَ جاك ميلِيَس ليتيسيا من كتفها. كان مُتفهّماً بأنّ الانفعالَ دفعَها لرؤيةِ ما ترغَبُ في رؤيتهِ.

- أسف. مجرّد ردّ فعلِ جثّة، بالتأكيد.

جولييت راميريز لم تكن تريدُ تركَ ليتيسيا في حالة شكّ، أخذت الجسدَ الصّغيرَ المُعذّبَ ووضعتهُ قريباً جدّاً من أُذنِها. وَضعتهُ حتّى في تجويفِ أُذنِها.

- أتظنّينَ أنّك ستسمَعينَ خفَقات قلبها؟

- من يعلَمُ؟ أُذْني حسّاسةٌ، وسألتَقطُ أدنى حركة.

عادَت ليتيسيا ويلز وأخذَت جثّةَ البطَلةِ، ومدّدتها على المِقعدِ. جثَت ووضَعت بحذرٍ مرآةً أمامَ فكّيها.

- أتتأمّلينَ رؤيتها تتنفّسُ؟

- النّملُ يتنفّسُ، أليسَ كذلك؟

- تنفّسهم خفيفٌ جدّاً لكي نستَطيعَ التِقاطَ أيّ أثرٍ لهُ.

رمقوا الحيوانَ المُفكّكَ بغضبٍ مكتومٍ.

- إنّها ماتَت. هي ماتَت بالفعلِ!

- الرّقم 103 كانت الوحيدَةَ التي تأملُ باتّحاد صنفَينا. لقد تخيّلَتْ، واستغرقَ منها وقتاً طويلاً، تداخُلاً مُتبادلاً للحضارتين. كانت قد فتَحتْ ثغرةً، ووجدتْ قاسماً مُشتركاً. يصعُبُ على أيّةِ نملةٍ أخرَى أن تُقدِمَ على خطوةٍ مُماثلة. لقَد بدأتْ تُصبحُ بعضَ الشّيءِ... بشريّةً. راقت لها فُكاهتُنا وفنّنا. كلّ الأشياءِ تلكَ التي لا نفعَ لها... لكن كم هي مُبهِرةٌ، كما كانت تقولُ.

- سنعلّمُ واحِدةً أُخرى.

ضمّ جاك ميليَس ليتيسيا بين ذراعيهِ مُواسياً.

- سنأخُذُ واحدةً أُخرَى ونُعلّمُها ما هي الفُكاهةُ والفنُّ عندَ... الأصَابعِ.

- لا يوجدُ سِواها. إنّهُ ذنبي... ذنبي...، كرّرت ليتيسيا.

بقيت عيونُ الجميعِ مُصوّبةً نحوَ جسَدِ الرّقم 103. أعقبَ ذلكَ صمتٌ طويلٌ.

- سنُقيمُ لها مأتماً جديراً بها، قالت جولييت راميريز.

- سندفنها في مقبرَةِ مونبارناس بجوارِ أكبرِ مُفكّري القرنِ. سيكونُ قبراً صغيراً وسنكتُب عليهِ: «كانتِ الأُولى.» ووحدَنا من سيعرِفُ معنَى هذهِ العبارة.

- لن نضَعَ صليباً.

- لا زهورَ ولا تيجانَ.

- مُجرّدُ عودٍ بارزٍ مُنتَصبٍ منَ الإسمنتِ. لأنّها كانت طُوالَ حياتِها مُنتَصبةً أمامَ الأحداثِ، حتّى أثناءَ خوفِها.

- وكانت دوماً خائفةً.

- سنلتقي كلّ عامٍ عندَ قبرِها.

- شخصيّاً، لا أحبُّ اجترارَ فشَلي.

تنهّدَتْ جولييت راميريز:

- كم الأمرُ مؤسفٌ!

بطرفِ ظفرِها، ربّتت على قرنَي الرّقم 103.

- هيّا! استيقِظي، الآن! فعلتِها بنا، واعتقدنا أنّكِ مُتّ، أرينا أنّكِ كنتِ تُمازِحيننا. كنتِ تمزَحينَ مثلنا، نحنُ البشرَ. أترين، تمّ الأمرُ، وابتكرتِ فُكاهةَ النّملِ!

أخذتِ الجسَدَ تحتَ مِصباحِ الهلُوجين.

- ربّما مع بعضِ الحرارةِ...

كانَ الجميعُ ينظُرُ إلى جثّةِ الرّقم 103. لم يتمكّن مِيليَس منعَ نفسهِ من أن يُتمتِم دُعاءً صغيراً: «إلهي اجعَل...»

ولكن لم يحصَلْ شيءٌ بعد.

حاولت ليتيسيا ويلز إمساكَ الدّمعَة التي سَالتْ، وانزَلقَت على عظمَة الأنفِ، التفّتْ حول الخدّ، ووقفَت للحظَةٍ عندَ غمّازةِ الذّقنِ، ثمّ سقَطَتْ على مقرُبةٍ من النّملة.

رشقَةٌ مالِحةٌ لامسَت قرنَ الرّقم 103.

وإذ بشيءٍ قد حصَلَ. اتّسَعت لهُ العيُونُ وانحنَتِ الأجسادُ.

- تحرّكَتْ!

هذه المرّة الجمِيعُ رأى القرنَ يرتَعش.

- تحرّكَتْ، لا تزالُ حيّةً!

ارتجفَ القرنُ مُجدّداً.

لمّت ليتيسيا دمعةً ثانيةً عن زاويةِ عينِها وبلّلتِ القرنَ.

مُجدّداً، حدَثت حركةُ ارتدادٍ للقرنِ إلى الخلفِ غيرُ ملحُوظةٍ.

- إنّها حيّة. إنّها حيّة. الرّقم 103 حيّة!

حكّت جولييت راميريز فمَها بإصبَعٍ مُرتابٍ.

- لم نُحرزِ النّجاحَ بعد.

- هي مجرُوحةٌ فحسب، ولكن بوسعِنا إنقاذها.

- يلزَمُنا بيطريّ.

- بيطريٌّ للنملِ، هذا لا وجودَ لهُ! علّقَ جاك ميلِيَس.

- من سيكُونُ بإمكانه مُعالجةُ الرّقم 103؟ بدونِ مُساعدَةٍ ستَموتُ!

- ما العمَلُ؟ ما العمَلُ؟

- نأخذها من هنا سَريعاً.

كانوا في ذُروةِ الانفعالِ، شعَروا بانعدامِ الحيلةِ على نحوٍ مُضاعف إذ تمنّوا بقوّةٍ أن يروها تتحرّكُ والآنَ هي تتحرّك، ولا يعرِفُونَ ماذا يفعلونَ لعِلاجِها. كانت ليتيسيا ويلز تتمنّى مُداعبتَها، طمأنتَها، الاعتذارَ منها. لكنها تشعرُ بنفسِها بليدةً وخرقاءَ بالنّسبةِ لزمكانِ النّملِ إلى الحدّ الذي يجعلُها تشعُرُ بأنّها لن تفعلَ سوى زيادةِ الأمرِ سوءاً. في هذه اللّحظَة، تمنّت أن تكونَ نملةً لكي تستَطيعَ أن تلعقَها، وتمنَحها تطاعُماً جيّداً...

هتَفتْ:

- نملةٌ فقط يمكنُ أن تُنقذَها، يجبُ أن نُعيدَها إلى أبناءِ جلدَتها.

- لا، تغمُرها روائِحُ طُفيليّةٌ. نملةٌ من عُشّها لن تتعرّفَ عليها. ستقتُلها. ما من أحدٍ غيرنا يُمكنهُ مُساعَدتها.

- يلزَمُ مباضِعُ مجهريّةٌ وملاقِطُ...

- إذا كانَ الأمرُ يتوقّفُ على ذلكَ، فلنُسرع إذاً! صرَخت جوليت راميريز. دعُونا نذهب إلى البيتِ بسرعَةٍ، ربّما لم يفُتِ الوقتُ بعد. معكم علبةُ ثِقابٍ أُخرَى؟

وضَعَت ليتيسيا، من جديدٍ، الرّقم 103 بغايةِ الحذَرِ، فارضَةً على

نفسها التّفكيرَ بأنّ قطعَةَ المنديلِ التي وضعتها في قعرِ عُلبةِ الثّقابِ لم تكن كفناً وإنّما شرشفاً، وإنّها لا تنقُلُ تابُوتاً وإنّما تقومُ بالإسعافِ.

تبثُّ الرّقم 103 نداءاتٍ خفيضَةً من طرَفِ القرنِ، كما لو كانت تُدرِكُ أنّها في نزعِها الأخيرِ وبأنّها تريدُ إطلاقَ الوداعِ الأخيرِ.

عادُوا جميعاً وصعَدوا سطحَ الأرضِ، راكِضينَ وحذِرينَ في الوقتِ ذاتهِ ألّا يهزّوا العُلبةَ كثيراً والمُصابةَ داخِلها.

في الخارجِ رمَتْ ليتيسيا، بحرَكةِ غضَبٍ، حذاءَها في مجرَى الماءِ.

هتَفوا لتاكسي، وحثّوا السّائِقَ أن يُسرِعَ بأقصَى ما يستَطيع وأن يتجنّبَ الارتِجاجَ.

تعرّفَ السّائقُ على رُكّابهِ. كانوا هم أنفسُهم، الذين في المرّة الأخيرة طلَبوا بإصرارٍ ألّا تتجاوزَ سُرعتهُ 0.1 كم/سا. يقعُ المرءُ دوماً على المُزعجينَ أنفسِهم. إمّا أنّهم غير مُستعجِلينَ كثيراً أو مُستعجِلونَ فوقَ الحدّ!

ومع ذلك توجّهَ مُسرِعاً نحوَ عنوانِ آل راميريز.

208. فيرومُون

الفيرومُون: علمُ الحيَوان

الموضُوع: ***الأصَابع***

سيّالةُ اللّعاب: الرّقم ***103683***

تاريخُ السّنة: ***100000667***

درع: لدى الأَصَابعِ بشَرةٌ طريّةٌ. لحمايتِها يغلّفونَها إمّا بقطعِ نباتاتٍ مُجدّلةٍ، أو بقطَعٍ معدنيّة يسمّونها «سيّارات».

صفقة: الأَصَابعُ سيئةٌ فيما يخصُّ العلاقاتِ التّجاريّةِ. لفرطِ سذاجتِهم يُبدّلونَ أكواماً كبيرةً من الطّعامِ بقطعَةِ ورقٍ واحدةٍ مُلوّنة وغيرِ قابلة للأكلِ.

لون: إذا منعنا الهواءَ عن إنسانٍ أكثرَ من ثلاثِ دقائق، يتبدّلُ لونُه.

استعراض عشقيّ: يقومُ الأَصَابعُ باستعراضٍ عشقيٍ مُعقّد. حتّى يتّم الأمرُ، يلتقونَ في مُعظَمِ الأوقاتِ بأماكنَ خاصّة تُدعَى «ملاهي ليليّة» هناكَ يتهزّزونَ مُقابلَ بعضِهم بعضاً لساعاتٍ، مُحاكينَ الجِماعَ بهذهِ الطّريقةِ. وإذا شعرَ كلا الطّرفينِ بالرّضا عن عرضِ الآخرِ، يتوجّهانِ فيما بعدَ إلى غُرفةٍ ليتكاثَروا.

أسماء: يطلقُ الأَصَابعُ على أنفسِهم فيما بينهم اسم: بشَر. ويسمّوننا، نحنُ، سكّانَ الأرضِ: نمل.

علاقات مع المُحيط: لا ينشغلُ الإصبَعُ إلّا بشخصِه. بطبيعَتِه، يشعُرُ الإصبَعُ برغبَةٍ عارمَةٍ بقتلِ جميعِ الأَصَابعِ الآخرين. «القوانينُ»، وهي عُرفٌ اجتماعيّ صارِمٌ مسنُونٌ على نحوٍ زائفٍ، وظيفتُها الحدُّ من نزَواتِ الموت.

لُعاب: يجهلُ الأَصَابعُ تنظيفَ أنفُسِهم بلُعابِهم. لتنظيفِ أنفُسِهم يحتاجُونَ لآلةٍ تُدعَى «حوضَ استحمام».

علم أصل الكون: تتصوّرُ الأَصَابعُ أنّ الأرضَ كُرويّةٌ وأنّها تدُورُ حولَ الشّمسِ!

حيوانات: معرفةُ الأَصَابعِ سيّئةٌ جدّاً بالبيئةِ التي تحيطُ بهم. ويعتقدونَ أنّهم الحَيواناتُ الذكيّةُ الوحيدَة.

209. عمليّةُ الفرصَةِ الأخيرة

– مبضَع!

كلّ طلبٍ من آرتور كان يُلبّى مُباشرةً.

– مبضَع.

– ملقطُ شعرٍ رقم واحِد!

– ملقطُ شعرٍ رقم واحِد.

– مِشرَط!

– مِشرَط.

– قُطبَة!

– قُطبَة.

– ملقطُ شعرٍ رقمُ ثمانية!

– ملقطُ شعرٍ رقمُ ثمانية.

كانَ آرتور راميريز يُجري عمليّةً. لمّا عادَ الثّلاثةُ الآخرين إلى البيتِ، مُصطَحبين الرّقم 103 تحتَضرُ، كان هو قد استيقَظَ واستعادَ وعيَهُ. فهمَ مُباشرةً ما الذي ينتَظرهُ رفاقهُ منهُ فشمّرَ عن ساعديه على الفورِ. ورغبةً منهُ في المُحافظَة على توقّد حواسّه كاملاً من أجلِ العمليّةِ الحسّاسة، رفضَ مزيجَ المُسكّناتِ الذي قدّمَتهُ لهُ زوجتهُ.

كانوا حولَهُ، جاك ميليَس وليتيسيا ويلز وجولييت راميريز، مُنحنينَ على طاولةِ العمليّاتِ المُفرطةِ الصّغرِ، التي ارتجَلها سيّدُ العفاريتِ من شرِيحَةِ مجهَرٍ، موصُولةً إلى كاميرةِ فيديو. وكانَ بوسعِ الجمِيعِ مُتابعةُ العمليّةِ على شاشَةِ التّلفازِ.

كثيرٌ من النّملِ الآليّ مرّ على هذهِ الشّريحةِ للتصليحِ، وهذه هيَ المرّةُ الأولى التي تكونُ فيها نملةٌ من كيتينٍ ودمٍ عليها في وضعيّةٍ سيئةٍ.

- دم!

- دم.

- دم إضَافيّ!

لإنقاذِ الرّقم 103، لزمَ سحقُ أربع نملاتٍ حقيقيّاتٍ للحصُولِ على الدمِ اللازم لعمليّاتِ النّقلِ. لم يتردّدوا. كانت الرّقم 103 فريدةً وتستَحقُّ التّضحيةَ ببضعِ عيّناتٍ من جنسِها.

لأجلِ عمليّات نقلِ الدّمِ المُصغّرةِ هذه، كانَ آرتور قد شحَذَ إبرةً مجهريّةً وغرزَها في المِنطَقةِ الطَريّةِ لمفصَلِ الرّجْلِ الخلفيّةِ اليُسرَى.

الجرّاحُ المُرتجلُ يجهلُ إذا كانتِ النّملةُ تتألّمُ من معالجاتهِ ولكن، بناءً على حالتِها الحرجَةِ فضّلَ عدمَ محاولةِ تخديرِها.

بدأ آرتور يُعيدُ الرّجْلَ المُتوسّطةِ إلى مكانِها على طريقةِ المُجبّرِ. الرّجْلُ الأماميّةُ اليُسرَى كانت بذاتِ السّهُولةِ. من كثرةِ ما عمِلَ على النّملاتِ الآليّةِ، اكتسَبت أصَابعهُ مهارةً عاليةً.

كانَ صدرُها مُفلطَحاً. فتمكّنَ بملقَطٍ رفيعٍ أن يُعيدَ لهُ شكلهُ كما يفعلُ المرءُ مع جانبِ سيّارةٍ مُصطَدمٍ، ثمّ سدَّ المكانَ الذي ثُقبَ فيه الكيتين بلاصِقٍ. وبهذا اللّاصِقِ ذاته لأمَ البطنَ المُخترَقَ، بعد أن نفخَهُ بدمٍ عبرَ مصّاصٍ دقيقٍ.

- لحسنِ الحظّ أنَّ الرّأسَ والقرنين لم يمسّا بأذى! هتفَ آرتور. لفرطِ ضيقِ رأسِ كعبِ حذائِك لم يُسحق إلّا الصّدرُ والبطنُ.

تحتَ ضوءِ مِصباحِ المِجهرِ، تستَعيدُ الرّقم 103 طاقتَها. وتمدُّ رأسَها قليلاً لتمتصّ ببطءٍ قطَرةَ العسَلِ التي وضَعها أحدُ الأصَابعِ أمامَ فكّيها.

نهضَ آرتور، ومسحَ العرقَ الذي يُبلّلُ جبينهُ وتنهّدَ:

– أظنُّ أنّها نجَت. إلّا أنّها بحاجةٍ لبضعةِ أيّامٍ من الرّاحةِ لتستعيدَ قواها. ضعُوها في منطقةٍ مُظلمةٍ ودافئةٍ ورطبَة.

210. موسُوعة

ما هو الدّربُ؟ ينبغي التّفكيرُ بإنسانِ سَنةِ 100 مليونٍ (الذي لديهِ خبرةُ النّملِ الحاليّة.)

لا بدّ أن يكونَ لهذا الإنسانِ وعيٌ مُتطوّر يفوقُ وعينا بألفِ ضعفٍ. يلزمُ مُساعدتهُ إنّه حفيدُ حفيدُ حفيدِنا مضروباً بـ 100000. لذا ينبغي رسمُ مسارٍ ذهبيّ. دربٌ لا يسمَحُ بإهدارِ أدنى وقتٍ في شكليّةٍ لا طائلَ منها. الدّربُ الذي سيحُولُ دونَ الرّجوعِ إلى الخلفِ تحتَ ضغطِ كافّةِ الرجعيّين، وكافّةِ البرابرةِ، وكافّةِ الطّغاة. يلزمُنا أن نجِدَ التّاو، السّبيلَ المُفضي إلى وعيٍ أعلى. هذا السّبيلُ سيُرسَمُ من تعدّديةِ خبراتنا. يجبُ لاكتشافِ هذا المسارِ على نحوٍ أفضَل تغييرُ وجهاتِ نظَرنا، وألّا نتخشّبَ بطريقَةِ تفكيرٍ واحدةٍ. مهما كانت. وعلى الأخصّ إذا كانت جيّدةً. يُتيحُ لنا النّملُ تمريناً روحيّاً، بوضعِ أنفُسنا مكانهُ. ولكن لنضَعْ أنفُسنا أيضاً مكانَ الشّجرِ، مكانَ السّمكِ، مكانَ الأمواجِ، مكانَ الغيومِ، مكانَ الحجارة.

إنسانُ سَنة 100 مليونٍ سوفَ يكونُ عليهِ إجادةُ التكلّمِ مع الجبالِ لينهَلَ من ذاكرتِها. وإلّا كلّ شيءٍ سيكونُ قد ضاعَ هباءً.

إدمون ويلز،

موسُوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلّد الثاني.

211. الحُفرةُ

ثلاثةُ أيّامٍ في نقاهةٍ، وشُفيت بعدَها الرّقم 103 من جميعِ كدَماتِها. بدأت تأكلُ بطريقة طبيعيّةٍ تقريباً (حتّى قِطعُ لحم الجرادِ وهريسِ الحُبوبِ). كانت تُحرِّكُ قرنيها على نَحو طبيعيّ. وتلعَقُ بشكلٍ مُتواصِلٍ نُدوبَها لنزعِ الصّمغِ عنها وتعقيمها باللُّعابِ.

أخذَ آرتور راميريز يُنقّلُ مريضَتهُ في صندوقِ كرتُون محشوّ بالقُطنِ ومتشرّبٍ بالماء لتجنّبِ أيّ صدمةٍ. كانَ يُدوّنُ كلّ يوم ما يطرأُ عليها من تحسّنٍ. الرّجلُ المكسورةُ لم تكنْ تعملُ جيّداً، لكنّ الرّقم 103 تعوّضُ ذلكَ بالحَجْلِ.

- هي بحاجةٍ لإعادةِ تأهيلِ الجهازِ العضَليّ لأرْجُلها الخمسِ، لاحظَ جاك ميليَس.

كان على حقّ. وضعَ آرتور الرّقم 103 على جِهازِ مشي مُصغّرٍ وكلّ واحدٍ بدورهِ ساعدَها على المَشي عليهِ لتبني أوراكَها من جديدٍ.

استعادَت الجُنديّةُ من قوّتِها ما يكفي لتستأنِفَ الحِوار.

بعدَ الحادثِ بعشَرةِ أيّامٍ، قرّروا بأنّ الأوانَ قد حانَ لتنظيمِ رحلةٍ استكشافيّةٍ لإنقاذِ جُوناثان ويلز ورفاقهِ.

وضَعَ جاك مِيليَس تحتَ تصرّفِه إميل كايوزاك وثلاثةَ مرؤوسينَ من الشّرطة. كانت ليتيسيا ويلز وجولييت راميريز ضِمنَ الرّحلة أيضاً. أمّا آرتور، فقد أنهكهُ المرَضُ كثيراً إضافةً إلى متاعبِ الأيّام الأخيرَةِ تلك، لذا فضّلَ الاسترخاء وانتظارَ عودَتهم مُتكوّراً على أريكتِه.

كانوا قد تـزوّدُوا برفوشٍ ومعاولٍ. وكانت الرّقم 103 حاضرةً لتدلّهم. إلى الأمامِ نَحو غابةِ فونتينبلو!

وضعَت أصَابِعُ ليتيسيا النّملةَ على العُشبِ. ولكي تتأكّد مِن أنْ لا تفقدَها ثانيةً، ربطَت خيطاً من النّايلون حولَ المِفصَلِ البطنيّ للمُستَطلعَة. أشبهُ بزمامٍ.

اشتمّتِ الرّقم 103 ضوعَ الرّوائحِ المُحيطةِ وأشارت بقرنَيها إلى الاتّجاهِ الذي ينبغي اتّخاذهُ.

بيل-أو-كان، من هنا.

من أجلِ الإسراعِ حملَتها أصَابِعُ ونقلَتها أبعد. كان يكفي أنْ تُحرّكَ زوائدها الحَسّيةَ لكَي يفهَموا أنّها بحاجة إلى نُقاطِ علّامٍ جديدةٍ. فإذاً، يُعيدونَ وضعَها على الأرضِ ومن جديدٍ تُشيرُ إلى الدّربِ.

بعد ساعةِ مسيرٍ، خاضُوا في جـدولٍ ثمّ غاصُوا داخـلَ منطقةِ أَجَماتٍ. كانوا مُجبَرينَ على التقدّم ببطءٍ لكَي تتمكّن الرّقم 103 بشكلٍ جيدٍ منْ أن تسلُكَ السّككَ الشّميّةَ المُناسبةَ.

بعدَ ثلاث ساعاتٍ ظهرَ أمامهم من بعيدٍ كثيبٌ منَ العِيدانِ.

أعلنتِ النّملةُ الوصُولَ.

- أهذهِ هيَ بيل-أو-كان إذاً، تفاجأ مِيليَس الذي ما كانَ سيلحَظُ في ظروفٍ أخرى تلّةً كهذهِ.

حثّوا الخُطا.

– والآن، سيّدي؟ سألَ شرطيّ.

– الآن، سنَحفرُ.

– ولكن دونَ أن نُخرّبَ المدينةَ، حذارِ من تخريبِ المدينة، ألحّت ليتيسيا. رافعةً إصبَعاً مُهدّداً. لا تنسَوا، نحنُ وعدنا الرّقم **103** بألّا نُؤذيَ مدينتها.

تأمّلَ المُفتّشُ كايوزاك في المُشكلة.

– حسَناً، يكفي أن نحفرَ على الجانبِ تماماً. إذا كان النّفقُ كبيراً سنعثرُ عليه بالتأكيد وإذا لم نعثر عليه، سنتقدّم بالأسفلِ على نحوٍ مُنحرفٍ مُلتفّينَ حولَ العُشّ.

– أوافِق! قالت ليتيسيا.

حفروا مثل قراصنة تبحثُ عن كنزٍ مدفُونٍ داخلَ جزيرة. بسرعَة غمرَ التّرابُ والوحلُ الشّرطيّينَ، لكن أطرافَ رفوشِهم لم تصِلِ الصّخرةَ بعد.

شجّعهم المُفوّضُ على مُواصَلةِ الحفرِ.

عشَرةُ أمتارٍ، اثنا عشرَ متراً، ولا شَيءَ حتّى الآن. أتت نِمالٌ، على الأغلبِ جُنديّاتٌ من بيل-أو-كان، لتتسقّطَ الأخبَار، مشغولةً أن تعرفَ ما الذي يُسبّبُ هذه الاهتزازاتِ الهائلةَ في جِوارِ المدينَةِ، إلى الحدّ الذي ترتجّ معهُ ممرّاتُ الضّواحِي.

قدّم لهنّ إميل كايوزاك عسَلاً ليُطمئنهنّ.

بدأ السّأمُ يُصيبُ الشرطيّينَ جرّاءَ استخدَامِ الرّفُوشِ. في النّهايةِ،

انتابَهم شُعورٌ بأنّهم يحفِرونَ قبورَهم، لكنّ الرّئيسَ كانَ مُصرّاً على المُضيّ قُدماً وهم لا يملِكونَ الخيار.

أخذَ عدَدُ البيلوكانيّاتِ اللواتي تُراقِبنهم بالازدِيادِ.

إنّهم أصَابعٍ، بثّت عامِلةٌ كانت قد رفضَت ذاك العسَل، ربّما كان مسمُوماً.

أصَابعٍ أتت تنتَقمُ منّا بسببِ الحملةِ!

فهِمت جوليت راميريز ما الذي كانَ يدفَعُ هذهِ المخلُوقاتِ إلى الاضطرابِ.

– بسُرعةٍ! دعونا نُمسِكهنّ قبلَ أن يلحقْنَ ويطلِقنَ الإنذارَ.

بمُساعدةِ ليتيسيا ومِيليَس، ألقت بهنّ، مُختلطاتٍ بكتلِ التّرابِ والعُشبِ، داخلَ عُلبٍ –سُجونٍ وردّت فوقهنّ فيرومون «*اهدأنَ كلُّ شيءٍ على ما يُرام*». في الظّاهرِ بدَت العمليّةُ ناجِعةً. لم يُلحظ أيّ هياجٍ في العُلبِ.

– ومع ذلكَ علينا أن نُسرعَ، وإلّا سنتورّطُ قريباً بجيوشِ الفيدراليّة جميعها، قالت بطَلةُ «فخّ للتفكيرِ». لن تكفي بخّاخاتُ العالَمِ لكبحِ جِماحِهم إلى مالا نهاية.

– كفّي عن القلقِ، أنتِ أيضاً، قال أحدُ الشرطيّينَ. تمّ الأمرُ. الفراغُ يرنُّ. لا بدَّ أنّنا فوقَ المغارةِ.

نادى:

– آآه، أيوجَدُ أحدٌ في الأسفَلِ؟

ما من جوابٍ. أضاءوا المكانَ بالمِصباحِ.

- كأنّها كنيسَةٌ، لاحظَ كايوزاك. لا أرى أحداً.

أخذَ شُرطيٌّ حبلاً وربطهُ إلى جذعِ شجَرةٍ ونزلَ حاملاً مصباحاً. تبِعهُ كايوزاك. جابَ الغُرفَ واحدةً تلو أخرَى قبلَ أن يهتُفَ إلى الآخرينَ، في الأعلى:

- تمّ الأمرُ. لقد وجدتُهم. يبدونَ أحياءَ تماماً لكن نائمين.

- مع كلّ هذه الجَلبةِ التي قُمنا بِها، مُستحيلٌ. إذا لم نُوقِظْهم، فهم ميّتون.

نزلَ جاك مِيليَس ليتحقّقَ بنفسه. أضاءَ القاعةَ واكتشفَ في داخلها، مُتفاجِئاً، نافورةً، وأجهزةَ معلوماتيّة، وأزيزَ مُعدّاتٍ كهربائيّة. تقدّمَ نحوَ المهجَعِ، وأرادَ أن يهزّ أحدَ الرّجالِ المُستلقينَ هُناك وارتدّ إلى الخلفِ لشعورِهِ بأنّهُ لمسَ هيكلاً عظميّاً لفرطِ هُزَالِ الذّراعِ.

- ماتُوا، كرّرَ.

- لا...

جفَلَ مِيليَس.

- من تكلّم؟

- أنا، همسَ صوتٌ خفيضٌ.

استدارَ. كانَ يقفُ خلفَهُ كائنٌ باتَ مُفرطَ النّحولِ، مُستنداً إلى الجِدارِ.

- لا، نحنُ لم نمُتْ، تلفّظ جُوناثان ويلز وهو مُتوكّئٌ على ذراعهِ. فقدنا الأملَ من قُدومِكم أيّها السّادةُ.

حدّقا ببعضِهما. جُوناثان ويلز لم يرفّ لهُ جفنٌ.

- ألم تسمَعُونا نحفِرُ؟ سأل جاك ميلِيَس.

- بلى، ولكن آثرنا النّومَ حتّى آخرِ لحظَةٍ، بثّ البروفيسُور دانيال روزنفيلد.

نهضُوا جميعاً. كانوا ضامرينَ وهادِئينَ.

بدا التأثُّرُ على الشرطيّينَ. ما عادَ أولئك النّاسُ يُشبِهونَ البشَرَ.

- لا بدّ أنّكم تتضوّرونَ من الجُوعِ!

- لا، لا تُطعمونا فوراً، يمكنُ لذلكَ أن يقتُلنا. اعتدنا على العيشِ هكذا رُويداً رُويداً، بالقليل.

لم يكن إميل كايوزاك مُصدّقاً حواسّهُ.

- يا للهَول!

لبسَ أناسُ تحت الأرضِ ثيابَهم بتُؤدَة وتقدّموا. ارتدّوا إلى الخلفِ حين لاحظوا ضوءَ النّهارِ. كان شديدَ الضّراوةِ عليهم.

جمَعَ جُوناثان ويلز بعضاً من رفاقِ الحياة تحتَ الأرضِ. تحلّقوا على هيئةِ دائرةٍ وصاغَ جازون براجيل السُّؤالَ الذي كان الجميعُ قد طرحهُ على نفسهِ:

- أنذهبُ أم نبقَى؟

212. موسُوعة

زَاج: «Vitriol» هي تسميّة للحمضِ الكبريتيّ. اعتقدنا لزمنٍ طويل بأنّ الزّاج «Vitriol» كان يعني «ما يجعلُ الشيءَ زُجاجيّاً». إلّا أنّ معناهُ أكثر

غموضاً. الكلمة «Vitriol» تشكّلت من الحُروف الأولى للصيغة الأساسيّة التي تعودُ إلى العُصور القديمة. V.I.T.R.I.O.L؛ Visista Interiora Terme (زُر باطِنَ الأرض) Rectificando Occultem Lapidem (وبإصلاحِ نفسِكَ سَتعثر على الحجَر المُخبّأ).

إدمون ويلز،

موسوعة العلم النسبيّ والمطلق، المجلّد الثاني.

213. استعداداتٌ

تتصدّرُ جثّةُ شلي-بو-ني قاعةَ جُثثِ الموتَى، في المكانِ الذي وضعَتها فيهِ الرُّبُوبيّات.

دون ملكة بيّاضة بيل-أو-كان مُهدّدةٌ بالاختفاءِ. يلزَمُ ملكةٌ للنِمالِ الصّهباءِ بشكلٍ مُلحٍّ. مِلكةٌ واحِدةٌ، ولكن مِلكة.

جميعُهنّ يعلمنَ، ليسَ الأمرُ الآن بأن تكونَ النّملةُ ربُوبيّةً أو غيرَ ربوبيّةٍ لتنجوَ المدينة. المُهمّ إطلاقُ عيد الانبِعاثِ، حتّى لو فاتَ موسِمهُ.

يجمعْنَ الأميراتِ المُتأخراتِ اللائي لم يُحلّقنَ في شهرِ تمّوز. ويُطارِدْنَ الذّكورَ المُختلّينَ الذينَ لم يعرفوا كيف يخرُجونَ من المدِينةِ أيّامَ التّحليقِ الزّفافيّ. ويقمنَ بتجهيزهم.

التّزاوجُ حاجةٌ ملحّةٌ لإنقاذِ المدينة.

إذا لم تمنَح النّمالُ نفسَها، سواءً أكانتِ **الأصَابِعُ** آلهةً أم لم تكن، خلالَ ثلاثةِ أيّامٍ ملكَةً مُخصّبةً، فستموتُ جميعُ البيلوكانيّات.

لذا يُتخمْنَ الأميراتِ بالعُسيلِ الحُلو ليبعثَ فيهنّ النّشاطَ لإتمامِ الفعلِ العِشقيّ. ويُشرحُ للذكورِ المُعتلّينَ كيفَ يجري التّحليقُ الزّفافيُّ.

تحتَ وطأةِ قيظِ الظّهيرةِ، تحتَشدُ الجُموعُ على قُبّةِ المدينة. منذُ ألفياتٍ سبقتْ، واحتفالُ عيدِ الانبعاثِ يُشيعُ ذاتَ البهجَةِ، لكنّ هذا العام بقاءُ الجماعة -المدينة هو الذي على المِحكّ. لم يكن يوماً التّحليقُ الزّفافيُّ مُنتظراً إلى هذا الحدّ!

يجبُ أن تحُطَّ مجدّداً ملكةٌ حيّةٌ في بيل-أو-كان.

جلبَةٌ شَمّيةٌ. الأميراتُ هنا في فساتين عرسهنّ التي ليس لها سوى جناحين شفّافين. المدفعيّاتُ متمركزاتٌ في مواقِعهنّ تحسّباً للعصافيرِ التي قد تسوّلُ لها نفسُها الاقترابَ من المدينةِ.

214. فيرومُون حولَ علمِ الحَيوانِ

الفيرومُون: علمُ الحَيوانِ

*الموضوع: **الأصَابعِ***

سيّالة اللّعابِ: 103683

تاريخُ السّنةِ: 100000667

اتّصال: تتواصَلُ الأصَابعُ مع بعضِها بواسطةِ بثّ اهتزازات صوتيّةٍ عبرَ الفم. تُلتقطُ هذه الاهتزازاتُ بغشاءٍ حُرّ، موضُوع أسفلَ ثُقبينِ في جانِبي الرّأس. هذا الغشاءُ يستقبلُ الأصواتَ، ويحوّلُها إلى نبضاتٍ كهربائيّة. والدّماغُ يُعطي فيما بعد معنًى لهذه الأصواتِ.

تكاثر: إناثُ الأَصَابِعِ لا تستطيعُ اختيارَ الجنسِ، أو الطَّبقةِ ولا حتّى شكلَ فرْخِها. كلُّ ولادةٍ هي مُفاجأةٌ.

رائحة: لَدَى الأَصَابِعِ رائحةُ زيتِ الكستَناء.

غذاء: أحياناً، تأكلُ الأَصَابِعُ ليسَ بسببِ الجُوعِ وإنّما بدافعِ الضّجرِ.

عديمُ الجنسِ: لا يوجدُ بين الأَصَابِعِ عديمو الجنسِ، لا يوجدُ لديهم سِوى الذكور والإناث. وليسَ لديهم ملِكَةٌ بيّاضةٌ أيضاً.

فكاهة: لدى الأَصَابِعِ شُعورٌ غريبٌ عنّا بالُمطلقِ، يدعونَهُ «الفُكاهَة». أنا عاجزةٌ عن فهمِ ما الذي يعنيهِ هذا بالضّبطِ. ومع ذلك يبدُو أنّهُ مُثيرٌ للاهتمامِ.

عدد: على العُمومِ الأَصَابِعُ أكثرُ عدداً مّما نظنّهُ. أشادوا في العالمِ نحوَ عشَرةِ مُدنٍ يسكنُ كلَّ واحدةٍ منها ألفُ إصبعٍ على الأقلّ. وبحسبِ تقديراتي، ثمّةَ نحو عشرةِ آلافِ إصبَعٍ على الأرضِ.

درجة الحرارةِ: الأَصَابِعُ مزوّدةٌ بنظامِ ضبطِ حراريّ داخليّ يسمَحُ لهم بالاحتفاظِ بجسَدٍ دافئٍ حتّى إذا كانَ الجوّ الخارجيّ بارداً. ويسمَحُ لهم هذا النّظامُ بالنّشاطِ ليلاً وشتاءً.

عيُونٌ: لَدَى الأَصَابِعِ عينانِ متحرّكتانِ بالُمقارنةِ مع باقي الجُمجُمةِ.

السّيرُ: تسيرُ الأَصَابِعُ بتوازنٍ على قائمتينِ. لم يتحكّمُوا بهذهِ الوضعيّةِ تماماً بَعد، إذ أنّها تُعدُّ عبرَ تطوّرهِم الفيزيُولوجيّ حديثَةً نسبيّاً.

أبقار: تحلُبُ الأَصَابِعُ الأبقار (حيوانات ضخمَة بحجمهم)، بالطريقة ذاتها التي نحلِبُ فيها أرْقَاتنا.

215. انْبعاثٌ

قرّروا أن يخرجوا. مُحافظينَ على وقارِهم. لم يكونوا يُحتضرِونَ ولا مريضُونَ. كانوا واهِنين فقط. واهِنين جدّاً.

- ليشكُروننا على الأقلّ، تمتَم كايوزاك في سرّه.

سمِعهُ زميلهُ آلان بيلشيم:

- لو في السّنة الماضيةِ، لكنّا قبّلنا أقدامكم. أمّا الآن، فالوقتُ مُبكرٌ جدّاً أو قد فاتَ الأوان.

- لكنّا أنقذناكم مع ذلك!

- أنقذتمُونا من ماذا؟

صرخَ كايوزاك غاضِباً:

- لم أرَ يوماً هذا المِقدارَ من الجُحودِ! ممّا ينفرُ من مُساعدَةِ الآخرين...

وبصَقَ على أرضيّةِ المعبَدِ التحتِ أرضيّ.

واحداً تلوَ الآخرِ، خرجَ الأسرى السّبعةَ عشرَ عبرَ سُلّم من الحبالِ. كانتِ الشّمسُ تُعمِيهم فطَلبوا عُصَاباتٍ حَمَوا بها أعيُنَهم. ثمّ افترَشوا الأرضَ وجلسُوا.

- تكلّموا، صاحَت ليتيسيا. كلّمْني جُوناثان! أنا ابنَةُ خالِكَ ليتيسيا ويلز، ابنةُ إدمُون. قلْ لي كيف تمكّنتم من الاستِمرارِ طُوالَ هَذا الوقتِ هناكَ في الأسفلِ.

كلّفَ جوناثان ويلز نفسَهُ النّطقَ باسمِ جماعته:

- ببسَاطة أخذنا القرارَ بأن نعيشَ وأن نعيش سويّةً، هذا كلّ شيءٍ. نُفضّلُ عدمَ التكلّمِ كثيراً، أعذُرينا.

ارتَفَعتِ العجُوزُ أوغستا ويلز وجَلَست على حجَرٍ. أومأت بالنّفي لرجالِ الشّرطةِ.

– لا ماءَ ولا طعام. أعطُونا أغطيةً فقط، لأنّنا نشعُرُ بالبردِ في الخارجِ، وأضافَت مع ابتسامةٍ خفيفةٍ، لم يبقَ لدينا دُهونٌ تحمينا.

كانوا يعتَقدُونَ، ليتيسيا ويلز وجاك ميليَس وجولييت راميريز، أنّهم سيُنقذونَ أشخاصاً تُحتضَرُ. لكنّهم الآن لا يعرِفونَ كيفَ يتصرّفونَ أمامَ هذهِ الهياكلِ العظميّةِ الهادئة التي كانت تُخاطِبهم بتَعالٍ. وضعُوهم في سيّاراتِهم، وأوصَلُوهم إلى المُستشفى لإجراءِ فحُوصٍ كامِلةٍ وتحقّقوا من أنّ حالتَهم الصحيّةَ كانت أفضَلَ ممّا كانوا يخشُونَ. صَحيحٌ أنّه لدى الجميعِ نقصٌ بالفيتاميناتِ والبروتيناتِ، ولكن ليسَ لديهم جُروحٌ، داخليّةٌ أو خارجيّةٌ، ولا تدهورُ خلايا.

كما رسالة تخاطريّة، عبرت جُملةٌ دماغَ جولييت راميريز:

«وسوفَ يظهَرون من أحشاءِ الأرضِ الأمّ ببراءةِ رُضّعٍ تَكتنفُهم الغرابَةُ، حاملينَ إنسانيّةً جديدَةً.»

بعدَ بضعِ ساعاتٍ، تكلّمت ليتيسيا ويلز مع المُعالجِ النفسيّ الذي فحصَ النّاجينَ.

– لا أعرفُ ما الذي يحدُثُ، قال. تقريباً لا يتكلّمون. يتَسمون لي جميعاً كما لو أنّهم يرُونني أبلهاً، وهذا بحدّ ذاته يبعَثُ على الضّيقِ، عليّ الاعـترافُ بذلك. ولكن الأكثرَ إدهاشاً، هو هذه الظّاهرةُ غيرُ المألوفةِ التي تُربكُني. أوّلُ ما نلمس واحداً منهم، يشعُرُ الجَميعُ بالحركةِ، كما لو أنّهم ينتَمونَ إلى ذاتِ الجسد. وليسَ ذلكَ فحسب!

– وماذا أيضاً؟

- يُغنّونَ.

- يُغنّونَ؟ صُدِمَ مِيلِيَس. لا بدّ أنّكَ سمِعتَ خطأً، ربّما لأنّ لديهم صُعوبةٌ في العودةِ إلى التكلّمِ أو...

- لا. يُغنّونَ، أو بعِبارةٍ أخرَى، يبثّونَ أصواتاً مُختلفةً ليلتَقوا جمِيعاً على نفسِ العلامةِ المُوسيقيّةِ ويحتَفظونَ فيها لمدّةٍ طويلة. هذه العلامةُ الفريدَةُ تجعلُ المُستَشفَى يهتزُّ بأكمله، على ما يبدُو، تمنَحُهم الاطمئنان.

- باتُوا مجانين؟ صاحَ المُفوّضُ فجأةً.

- هذهِ العلامةُ، ربّما هي الصّوتُ الذي يجمَعُهم، مثلَ الغِناءِ الغريغوري[69]، اقترَحتْ ليتيسيا. كانَ أبي يهتمُّ بهِ كثيراً.

- صوتٌ جامِعٌ للبشَرِ، مثلَما الرّائحةُ هيَ علامةٌ جامِعةٌ لعشّ النّملِ، أردفَت جولييت راميريز.

بدا المُفوّضُ مِيلِيَس مُكدّراً.

- إيّاكم أن تكلّموا أحداً بهذا الشأن واحجُروا على هؤلاءِ الجميلينَ جميعاً حتّى إشعارٍ آخر.

216. طواطِمُ مُقَامة

وهو يتنزّه في أحدِ الأيّامِ في غابةِ فونتينبلو، يُباغَتُ صيّادُ سمكٍ بمشهدٍ يُوقعهُ في الحَيرةِ. لاحَظَ على جزيرةٍ صغيرةٍ بين ضفّتي جدولٍ تماثيلَ صغيرة منَ الطّينِ. لا بدّ أنّها صُنعَتْ بأدواتٍ مُفرِطةِ الصّغرِ إذ تظهرُ عليها عدّةُ آثارٍ لضرَباتِ نِصالٍ دقيقَةٍ.

69- غناء ديني، ذو سير لحني منفرد (أحادي الصوت).

هذه التّماثيلُ الصّغيرةُ، كانَ ثمّةَ المئاتُ منها، وجميعها مُتشابهةٌ تماماً. كما لو أنّها مَمْلَحاتٌ مُصغّرةٌ.

كان لدَى المُتنزّه، إضافةً إلى صيدِ السّمَك، ولعٌ آخرٌ: علمُ الآثارِ.

هذه الطواطِم المُنتشرةُ في أنحاءَ مُختلِفةٍ ذكّرتهُ على الفورِ بتماثيل جزيرةِ القيامة[70].

ربّما، خطَرَ لهُ، أنّهُ موجُودٌ على جزيرةِ قيامة لشعبِ ليليبوتيّ[71] ما، عاشَ في الماضي داخل هذه الغابة؟ ترى هو أمامَ آخرِ أثرٍ لحضارةٍ غابرةٍ لا يتجاوزُ حجمُ أفرادِها حجمَ عصفُورِ الطنّان؟ أيكونونَ أقزاماً؟ عفاريتَ؟

لم يكتشفِ الصيّادُ -عالمُ الآثارِ الجزيرةَ بدقّة. وإلّا، لكان لاحظَ أيضاً أكداسَ الحشراتِ من جميعِ الأصنافِ، مشغُولةً بملامسَةِ قُرونِ بعضِها بعضاً لإيصالِ شتّى أنواعِ القصَصِ.

ولكان فهِمَ أيضاً من هُم البُناةُ الحقيقيّونَ لهذه التّماثيلِ الطّينيّةِ الصغيرةِ.

217. سرَطان

وفَتِ الرّقم 103 بوعدِها الأوّلِ: إذ أُنقذَ الأشخاصُ العالقُونَ تحتَ مدينَتها. ورجَتْها جولييت راميريز الإيفاءِ بوعدِها الثّاني: كشفُ سِرّ السّرطان.

70- جزيرة الفصح أو جزيرة القيامة تقع في غرب تشيلي، ومعروفة بالتماثيل الصخرية التي تنتشر على طول الأشرطة الساحلية.

71- نسبة إلى ليليبوت الجزيرة الأولى التي وصل إليها غوليفر والتي يسكنها الأقزام، في الكتاب الشهير (رحلات غوليفر) للكاتب الإنكليزي جوناثان سويفت.

تعُودُ النّملةُ إلى مكانِها داخلَ جرَسِ «حجر رشيد» وتبثّ كلمةً شمّيةً طويلةً.

فيرومُون علم الأحياءِ موجّهٌ لاستخدامِ الأصَابعِ.

سيّالةُ اللّعابِ 103

الموضوع: ما تدعُونَهُ «سرَطان»

إذا كنتُم، البشرَ، تعجَزونَ عن القضاءِ نهائيّاً على السّرطانِ، فهو لأنّ علمكم عفّى عليه الزّمنُ. بما يخصُّ السّرطان، طريقَتكم في التّحليلِ تُعَميكم. لا ترونَ العالَمَ إلّا من منظارٍ واحدٍ: منظارِكم. لأنّكم أسرى ماضيكم. من كثرةِ تجاربكم تمكّنتُم من مُعالَجةِ بعضِ الأمراضِ. واستنتَجتُم من وراءِ ذلكَ بأنّ التجرُبةَ فقط تستَطيعُ مُعالجَةَ جميعِ الأمراضِ. رأيتُ ذلكَ في التّلفزيونِ، في برامِجكم الوثائقيّةِ العلميّةِ. لفَهمِ ظاهرةٍ ما، تقيسُونَها، وتحفظُونَها في أدراجٍ، وتُدرِجُونها ضمنَ قوائمَ وتقطّعونَها إلى أجزاءَ أصغرَ فأصغر. لديكم شعورٌ أنّهُ كلّما جزّأتم أصغرَ، اقتربتُم منَ الحقيقةِ.

مع أنّه ليسَ بتقطيعِ زيزِ الحصادِ إلى قطعٍ ستكتَشفونَ سرّ غنائه. وليسَ بفحصِ خلايا بَتلةِ أُركيدَة بعدساتِكم المُكبّرةِ ستفهَمونَ لماذا هذه الزهرةُ جميلةٌ إلى هذا الحدّ.

لفهمِ العناصرِ المُحيطة بنا، ينبغي وضعُ أنفسنا مكانَها، في مُجمَلها. والأجدَى حينَ لا تزالُ حيّةً. إذا أردتم فهمَ زيزِ الحصادِ، ابذلوا جُهداً لعشرَةِ دقائقِ لتشعُروا ما الذي يمكنُ أن يراهُ أو يعيشَهُ.

إذا أردتم فهمَ الأُركيدة، حاولوا أن تكونُوا زهرةً. ضعوا أنفسَكم مكانَ الآخرين بدلاً من تَقْطيعهم إلى قِطعٍ ومراقبتِهم من أبراجِكُم المعرقيةِ.

ولا أيّاً من اكتشافاتِكُم الكبيرةِ اكتشَفها عُلماءُ تقليديّونَ بمراويل بيضاء. رأيتُ في التّلفزيون، وثائقيّ حولَ ابتكاراتِكم الكبيرةِ. لم تكن سِوى نتائجَ لأخطاء في المُعالجَة، قُدورٌ رفَعَ البُخارُ غطاءَها، أطفالٌ عضّتها الكلابُ، تُفّاحٌ سقَطَ عن الشّجرةِ، اختِلاطُ موادٍ بمحضِ الصُّدفة.

لحلّ مُشكلتكم مع السّرطانِ، كانَ عليكم أن تُوظّفوا شُعراءَ، فلاسفةً، كتّاباً، رسّامينَ. بالمُختَصرِ، مبدعينَ مُزوّدين بالحدْسِ والإلهامِ. وليسَ أُناساً تعلّمت حفظيّاً جميعَ تجاربِ أسلافِها.

علمُكم التّقليديُّ عفّى عليه الزّمنُ.

ماضيكم يَحُولُ دونَ رُؤيَةِ حاضِركم. نجاحاتُكم القديمَةُ تحُولُ دونَ نجاحِكم الآن. امجادُكُم القديمَةُ أسوأُ أعدائكم. رأيتُ عُلماءكم في التّلفزيون. لا يفعلُونَ سوى تكرارِ دُوغمائيات[72]، ومدارسُكم لا تفعلُ سوى كبحِ جِماحِ المُخيّلات عبرَ إجراءات تجريبيّة جامدة إلى الأبد. وثمّ تدفَعونَ تلاميذكُم لإجراءِ امتِحاناتٍ لتتأكّدُوا بأنّ أحداً لَن يُجازفْ في تغييرِها.

هذا هو سببُ عدَم قُدرتِكم على مُعالجَة السّرطان. بالنّسبة لكم، كلّ الأشياءِ هي عَينُها. بما أنّه تمّ القضاءُ على الكوليرا بطرِيقَةٍ مُعيّنةٍ، فسَيتمّ القضاءُ على السّرطانِ بالأساليبِ ذاتِها.

72- الدوغمائية وهي التشدّد بالاعتقاد.

مع أنّ السّرطانَ يستَحِقُ اهتماماً خاصّاً. إنّهُ كيانٌ مستقلٌ بحدّ ذاته.

الآن سأقدّمُ لكم حلّاً. وسأعلّمُكم كيفَ نحنُ، النّملُ الذي تدُوسُونَهُ بسُهولةٍ كبيرةٍ، حلَلنا مُشكِلَةَ السّرطانِ.

لقد لاحظنا أنّهُ كانَ يوجَدُ بيننا بعضُ الأفرادِ النادرينَ الذينَ أصيبوا بالسّرطانِ ولم يُموتوا بسبَبِه. وبالتّالي بدلَ أن ندرُسَ الكثيرين الذينَ كانوا يُموتونَ بسبَبِه، بدأنا بدراسَةِ هؤلاءِ النّادرينَ الذينَ كانوا مُصابين، وفجأةً شُفوا دونَ سَبَب. بحثنا عن القاسمِ المُشترك الأصغَرِ بينهم. بحثنا لزمنٍ طويلٍ، طويلٍ جدّاً. وقد اكتشفنا بأنّ المُشتَرَكَ بين أغلَبِ هؤلاء «النّاجينَ بأعجُوبةٍ» هوَ: مهاراتُ التّواصلِ مع مُحيطِهم أعلى من مُتوسّطِ قُدراتِ النّملِ.

من هُنا نشأ حدْسٌ: وماذا لو كانَ السّرطانُ هو مُشكلَةُ تواصُلٍ؟ تواصُلٍ مع مَنْ ستَقولونَ لي؟ حسناً، تواصُلٌ مع كياناتٍ أُخرَى.

بحثنا في أجسادِ المرضى: لم نجِد أيّ كيانٍ ملموسٍ. لا بَوْغ، لا جُرْثومة، لا دُود. فتبادَرتْ لإحدَى النّملات فكَرةٌ رائعةٌ: تحليلُ إيقاعِ انتشارِ المَرَضِ. ولاحظنا بأنّ هذا الإيقاعَ كانَ لُغَةً! كان المَرَضُ يتطوّرُ بحسَبِ موجَةٍ بإمكاننا تحليلها إلى ما يُشبهُ شكلَ لُغة.

إذاً أصبحَ لدينا لغةٌ دونَ مُرسِلها. هذا الشّيءُ لم يكن مُهمّاً. فَككنا لغزَ اللّغة. بالمُجمَلِ كانت تعني: «من أنتُم، أينَ أنا؟»

فهمنا أنّ الأفرادَ المُصابَةَ بالسّرطانِ هي في الواقعِ أوعيةٌ غيرُ طوعيّةٍ لكياناتٍ من خارجِ الأرضِ ليَست ملمُوسَة. سُكّانُ خارجِ الأرضِ والذينَ قد لا يكونُونَ في الواقعِ سوى موجةٍ مُتّصلة... عندَ وصُولِ هذهِ الموجةِ إلى الأرض لن يكونَ لديها غيرُ فكرةٍ واحدةٍ للإدلاءِ بها:

إعادةُ إنتاجِ ما يُحيطُ بها. وبما أنّها حطّت في أجسادٍ حيّة، ستُعيدُ موجة خارجَ الأرضِ إنتاجَ خلايا البيئة المُحيطَة بها لكي تبثّ رسائلَ من نوعِ «صباحَ الخيرِ، من أنتم، ليسَ لدينا نوايا عدائيّة، ما اسمُ كوكبِكم؟».

هذا ما كانَ يقتُلنا: عباراتٌ ترحيبيّةٌ، وأسئلةُ سُيّاحٍ تائِهين.

وهذا أيضاً ما يقتُلكم.

لإنقاذِ آرتور راميريز، يلزمُكم صناعةُ آلة «حجر رشيد» شبيهة بالتي تسمَحُ لكم بالتّواصُلِ مع النّملِ لكنها تستَهدفُ هذه المرّة ترجَمَةَ لُغة السّرطان. ادرسُوا إيقاعاتها، موجتها، أعيدُوا إنتاجَهم، وتعامَلوا معَهم، لتبثّوا جواباً بدورِكم. بالطّبعِ، أنتم لستُم مُجبَرينَ على تصديقِ هذا التّفسيرِ. ولكن لنْ تخسَروا شيئاً بتجريبِ هذا الأسلوبِ.

جاك مِيليَس، ليتيسيا ويلز وآل راميريز في حَيرةٍ من أمرِهم جرّاءَ هذا الاقتراحِ الغريبِ. التّحاورُ مع السّرطانِ؟ ... ولكن آرتور، سيّد العفَاريت، كانَ محكوماً بالحياة لبضعة أيّام فقط وبظُروفٍ مروّعة. بالطّبعِ، كلّ شيءٍ في داخلهم كانَ يقولُ لهم: إنّهُ عبث. ليسَ لدى هذهِ النّملة أيّة تأهيلٍ لتُعطينا دُروساً في الطبّ. هذا المنطقُ في غيرِ محلّه. إلّا أنّ آرتور كانَ سيموت. فلماذا لا يُستَغلُّ هذا السّبيلُ الذي يبدُو *للوهلةِ الأولى* عبثيّاً بالكاملِ؟ وسيَرونَ إلى أينَ يُمكنُ أنْ يُوصِلَهم!

218. اتّصالاتٌ

يومُ الثّلاثاء، عندَ السّاعة الثّانية والنّصف ظُهراً. وبناءً على موعدٍ مُحدّد قبلَ وقتٍ طويلٍ، يستَقبِلُ السيّد رافائيل هيزو، وزيرُ البحثِ العِلميّ، المُفوّض جاك مِيليَس. يقدّمُ لهُ المفوّضُ السّيدةَ جولييت راميريز

والآنسَةَ ليتيسيا ويلز وزُجاجةً تتحرّكُ داخلها نملةٌ. كانت مُدّةُ المُقابلة قد حُدّدت بعشرينَ دقيقَة، إلّا أنّها سوف تتمدّد ثمانيةَ ساعاتٍ ونصف. وثمانيةَ ساعاتٍ أُخرَى في اليومِ التّالي.

يومُ الخميسِ، عندَ السّاعةِ السّابعةِ وثلاثٍ وعشرينَ دقيقةً مساءً. يستقبِلُ رئيسُ الجُمهوريّةِ الفرنسيّة، السيّد رجيس مالرو، في صالونهِ السيّد رافائيل هيزو، وزيرُ البحثِ العلميّ. ثمّةَ على جدولِ المُقابلة، عصِيرُ بُرتُقالٍ، كُرواسان، بيضٌ مخفُوقٌ وإيصالُ رسالةٍ يعتَبرها وزيرُ البحثِ غايةً في الأهميّة.

يميلُ رئيسُ الجُمهوريّةِ فوقَ الكُرواسان:

– ماذا تطلبُ منّي؟ أنْ أتحاورَ مع نملة؟ لا، لا وألفُ لا! حتّى لو كانت كما تدّعي حضرتُك، أنقذت سبعةَ عشرَ شخصاً مُغلقاً عليهم تحتَ عُشّ نملٍ. هل أنتَ مدركٌ لما تقُولهُ؟ قضيةُ ويلز هذهِ شوّشت ذهنكَ! هيّا، أُوافقُ على نسيانِ مضمُونِ هذهِ المُقابلة وأنت بالمقابل لن تكلّمَني أبداً، البتّة، عن نملتكَ!

– إنّها ليسَت أيّةَ نملة. إنّها الرّقم 103. نملةٌ تكلّمت مع بشرٍ. إنّها أيضاً مُمثلةُ أكبرِ فيدراليّةٍ نمليّةٍ في المنطَقة. مؤلّفةٌ من مائة وثمانين مليون فرد!

– مائةٌ وثمانونَ مليوناً من ماذا! أنت مجنُونٌ، أقسِمُ! من نملٍ! من حشَراتٍ. هذهِ الدّويباتُ التي نسحَقُها بالأصَابعِ... هيزو، لا تُخدعِ ببضعِ حركاتٍ خفّةٍ من تدبيرِ مُهرّجين. لن يُصدّقَ أحدٌ قصّتكَ أبداً. سيَظنُّ المُنتخبونَ بأنّنا نُحاولُ تخديرَهم بحكاياتٍ غير معقُولة لنحتالَ عليهم بفرضِ ضرائبَ جديدة. ناهيكَ عن ردُودِ فعلِ المُعارضَةِ... من الآن أسمَعُ سُخريّتهم!

- لا يُعرَفُ سِوى القليلِ جدّاً عن النّمالِ! عارضَ الوزيرُ هيزو. إذا توجّهنا إليهنّ كما نتَوجّهُ إلى كائناتٍ ذكيّةٍ، سنُلاحِظُ بكلّ تأكيدٍ أنّ لديهنّ أشياءَ كثيرةً يُعلّمنَها لنا.

- تقصدُ الكلامَ عن النّظريّاتِ المُضحكة تلك حولَ السّرطان؟ لقد قرأتُ ذلكَ في الصّحُفِ الشّعبيّةِ. لن تجعلَني أصدّقُ، هيزو، بأنّكَ تأخذُ الأمرَ على محمَلِ الجدّ؟

- النّمالُ هي الحيواناتُ الأكثرُ انتشاراً على الأرضِ، إنّها بالتأكيد بين الأقدَمِ والأكثرِ تطوّراً. تسنّى لها، خلالَ مائة مليونِ سنَة، معرفةُ الكثيرِ من الأشياءِ التي نجهلُها. نحنُ البشرُ لسنا على الأرضِ إلّا من ثلاثة ملايين سنَة. وحضارتُنا الحديثةُ لا يتَجاوزُ عمرها خمسَةَ آلاف سنةَ. لدينا بالتّأكيد ما نتعلّمهُ من مُجتَمعٍ ذي خبرةٍ إلى هذا الحدّ. تُتيحُ لنا النّمالُ من الآن أن نتخيّلَ مُجتمعنا بعدَ مائة مليونِ سنة.

- سبقَ وسمعتُ هذا الكلامَ لكنّهُ حماقة. إنّهنّ... نمال! لو قلتَ لي كلاباً لربّما فهِمتُ. ثلثُ ناخِبينا لديهم كلابٌ، ولكن نمل!

- ليسَ أمامنا إلّا...

- يكفي. ضَعْ هذا في رأسكَ يا صديقي! لن أكونَ أوّلَ رئيسِ جمهوريّةٍ في العالمِ يتكلّمُ مع نملةٍ. لا أحبّ أن يُمسكَ جميعُ سُكّانِ الأرضِ خواصرهم من الضّحكِ حينَ يأتونَ على ذكري. لا حكومَتي ولا أنا سنقبلُ أن نكونَ موضِعَ سُخريّةٍ بسبَبِ هذه الدّويباتِ الصّغيرةِ. ما عدتُ أريدُ سماعَ أيّ شيءٍ يخصّ تلكَ النّمالَ.

يأخذُ الرّئيسُ بعصبيّةٍ شوكةً من البيضِ المخفُوقِ ويبتلِعُها.

يبقى وزيرُ البحثِ غيرَ متأثّرٍ.

- لا، سأعاودُ التحدّثَ إليكَ عنهنّ أيضاً وأيضاً. إلى أن تغيّرَ رأيكَ. أتَى أناسٌ لرؤيتي. وشرَحوا لي بكلمات بسيطة وفهمتُهم. الفُرصةُ اليوم أُعطيَتْ لنا لنقفِزَ فوقَ القُرونِ، قفزةً كبيرةً نحوَ المُستَقبلِ. لن أدعَها تفوتنا.

- كلامٌ فارغٌ!

- أصغِ حضرتكَ، سأموتُ يوماً ما، وستَموتُ أيضاً. وبما أنّه محكومٌ علينا بالاختفاء فلماذا لا نتركُ إذاً، بمُرورنا على هذه الأرضِ، أثراً أصيلاً مُختلفاً؟ لماذا لا نعقدُ اتّفاقياتِ اقتصاديّةً، وثقافيّةً، وحتّى... عسكريّةً مع النّملِ؟ فبعدَ كلّ حسابٍ، هو ثاني أقوى صنفٍ أرضيّ.

يبتلعُ الرّئيسُ مالرو خبزةً محمّصَةً بالمقلوبِ ويسعلُ.

- ولماذا لا نُدشّنُ سِفارةً فرنسيّةً في عُشّ نملٍ، بما أنّكَ وصلتَ إلى هذا الحدّ!

لم يبتَسمِ الوزيرُ.

- أجل، فكّرتُ بها.

- مُدهشٌ، أنت مُدهشٌ! يهتفُ الرّئيسُ رافِعاً ذراعيهِ عالياً.

- انسَ بأنّ الأمرَ مُتعلّقٌ بالنّمال. اعتبرهنّ كسكّانٍ من خارجِ الأرضِ. إلّا أنّهنّ لسنَ مِن خارجِها وإنّما من داخلها. خطأهنّ أنّهنّ ضئيلاتُ الحجمِ ويقيمونَ على كوكب الأرضِ هذا منذُ الأزلِ. لذا لم نَعد نلحَظُ ما لديهنّ من العجائبِ.

يُحملِقُ الرّئيسُ مالرو بعينيهِ مُباشرةً:

- ماذا تقتَرحُ عليّ؟

– أنْ تُقابلَ رسميّاً الرّقم 103، يجيبُ هيزو دونَ أيّ تردّدٍ.

– من؟

– نملةٌ تعرفُنا جيّداً ويُمكنها، إذا اقتضَى الأمرُ، أن تكونَ مُترجمةً. تدعُوها إلى قصرِ الإليزيه في وجبةِ غداءٍ غير رسميّةٍ مثلاً –لن تأكلَ أكثرَ من قطْرةِ عسَلٍ. لا يهمُّ ما ستَقولهُ لها، المُهمُّ أن يتوجّهَ الرّئيسُ الأعلى لبلدِنا إليها. وستُزوّدكَ السيّدة راميريز بالمُترجمِ الفيرُومونيّ. وبالتالي لن يكونَ لديكَ أيّةُ مُشكلةٍ تقنيّةٍ.

يذرعُ الرّئيسُ القاعَةَ، ويتأمّلُ الحدائقَ مُطوّلاً. يبدو أنّهُ يُفاضِلُ بين القُبولِ والرّفضِ.

– لا. في نهايةِ المطافِ، لا! أفضّلُ تفويتَ فُرصَةِ أن أتركَ أثراً لزمني على أن أجعلَ من نفسِي أضحُوكةً. رئيسٌ يتَحدّثُ مع النّملِ... كم سَتعلو قهقَهات!

– ولكن...

– انتَهى. انتهزتَ صبري بما يكفي بقصَصِكَ عن النّملِ. الجَواب: لا، لا بشكل قطعيّ. إلى اللّقاءِ هيزو!

219. خاتمة

الشّمسُ في أوجِها. يتراخى وضَحٌ شاسِعٌ فوقَ غابةِ فونتينبلو. شِباكُ العنكبُوتِ البدائيّةُ استحالَت مُطرّزاتٍ من ضوءٍ. الجوّ حارٌّ.

مخلُوقاتٌ ضئيلةٌ عديمَةُ الأهميّةِ ترتَعشُ تحتَ الأغصانِ. يصطَبغُ الأفقُ باللّونِ القُرمزيّ. تغفُو السّراخِسُ. يضرُبُ الضّوءُ الأشياءَ كلّها

والكائناتِ جميعها. هذا الانتشَارُ الكثيفُ والصّافي يُجفّفُ المَسرح الذي دارَت عليه مُغامرةٌ من كثيراتٍ شتّى.

وفي أعماقِ السّماء، ما وراءَ النّجوم بكثيرٍ، تدورُ المجرّة ببطءٍ، غيرَ مكترثةٍ بما يحدُثُ في ذُرورِها من الكواكبِ.

رغمَ أنّ في قريةٍ نمليّة صغيرةٍ من الأرضِ، يُقامُ آخرُ حفلِ انبعاثٍ لهذا الموسمِ. تنطلِقُ واحدةٌ وثمانونَ أميرةً من بيل-أو-كان ليُنقِذنَ السُّلالةَ.

يمرُّ اثنانِ من البشرِ في ذاك المكانِ ويُبصِرانهنّ.

- أوه، أمّي، رأيتِ كلَّ هذا الذّبابِ!

- لسنَ ذُباباً. إنّهنَّ ملكاتُ نَملٍ. تذكّرْ الوثائقيّ الذي رأيتَهُ في التّلفزيون. إنّهُ تحليقهنّ الزِفافيُّ، سوفَ يلتَحقُ بهنّ الذُّكورُ في الجوّ. ولاحقاً، سوفَ يمضي بعضُهنّ إلى البعيدِ ربّما لينشئنَ إمبراطورياتٍ.

ترتفعُ الأميراتُ في السّماءِ عالياً. أعلى، فأعلى، ليهربنَ من عصافيرِ القُرقُفِ. ينضمّ إليهنّ الذّكور. وسويّة يصعَدونَ، يصعَدونَ، يصعَدون. يمتصُّهم هذا النّور ويذُوبُون، رُويداً رُويداً، في أشعّةِ الشّمسِ المُلتهِبة. دفءٌ، وضَجٌ، ضوءٌ. كلُّ شيءٍ صار أبيَضَ، ببياضٍ مُبهرٍ.

أبيَض.

نهاية

مَسْرَد المُصطلَحات

اتصال مطلق (ا. م): هو التبادل الكامل للفكرة بواسطة التلامس القرني.

أَرَضَة: جيران مزعجون. معماريّون بارعون وملّاحون.

أَرَقَة: خنفساء صغيرة يمكن حلبها للحصول على العُسيل.

أصابع: ظاهرة حديثة جارٍ تفسيرُها.

أكاسيا كورنيجرا: شجرة وهي في الواقع عشٌّ نمل حيّ.

إله: مفهوم حديث جارٍ تفسيرُه.

بشر: الاسم الذي تطلقه **الأصابع** على نفسها.

بقّة: الحيوان الذي لديه الممارسة الجنسيّة الأكثر غرابةً.

بيل-أو-كان: مدينة مركزية للفيدرالية الصهباء.

بيلو-كيو-كيوني: أمّ الملكة شلي-بو-ني، وأوّل ملكة أجرت حواراً مع **الأصابع**.

تلفزيون: طريقة تواصل بشريّ.

جزء قرني: للقرن أحد عشر جزءاً. يقدّم كلّ جزء نوعاً مختلفاً من المعلومات.

جُعَل: مركب حربي طائر.

حالوش البطاطا (أو جدجد الخلد): وسيلة نقل سريعةٌ تحت الأرض.

حمض النّمليك: سلاح الرّشق عند النّمال الصهباوات. وقد أصبح تركيزُ حمض النّمليك الأكثر لذعاً 60 %.

خطوة: وحدة قياس جديدة للمسافات في فيدراليّة بيل-أو-كان. تساوي الخطوة 1 سنتمتراً تقريباً.

خنفس نَمري: مفترسٌ متوارٍ في الأرض. خطِر. ينبغي الاحتراس لموضع الأقدام.

دكتور ليفينغستون: تسمية إصبعيّة لمسبارهم الذي يبثّ.

ديدان شريطيّة: طفيليّات تجعل النّمال بيضاءَ ومعتوهةً.

الرّقم 103: جنديّة مستكشفة.

الرّقم 23: جنديّة متمرّدة ربوبيّة.

الرّقم 24: جنديّة متمرّدة والمؤسّسة لجماعة الكورنيجرا الحرّة.

شرغوف: خطر مائيّ.

شلي-بو-ني: ملكة بيل-أو-كان. وصاحبة مبادرة الحركة التطوريّة الفيدراليّة.

شمس: كرةٌ من الطّاقة صديقةٌ للنمل.

عصفور: خطَرٌ جويّ.

عضو جانستون: عضو عند النمل يسمح بالتقاط الحقول المغناطيسيّة الأرضيّة.

عقدة هارتمان: منطقة غنيّة بالأيونات الإيجابيّة. ترتاح فيها النّمال، إلّا أنّها تُسبّب الصداع للأصابع.

عُمْر: تعيش نملة صهباء عديمة الجنس ثلاث سنوات بالمتوسّط.

عُومَة: خنفس مائيّ بوسعه السباحة تحت الماء باحتباس فقاعة هواء.

غدّة ديفور: غدّة تفرز فيرومونات الإشارات الطرقيّة.

فراشة: توْكل.

فكّ: سلاح قاطع.

فيرومون: هرمون طيّار تبثّه قرون النّمال ليحمل معلوماتٍ أو مشاعرَ.

القرن الكبير: جُعَل مسنّ مروّض من قبل الرّقم 103.

متمرّدات: حركة انطلقت مؤخراً. في سنة 100000667 (تقويم فيدرالي)، تحرّكت المتمرّدات بغاية إنقاذ الأصابع.

مثقبيّةُ كبد الخاروف: طفيليّة تجعل النّمال مُسرنَمَةً.

مطر: فاجعة.

معركة «الغيمة الصغيرة الرماديّة»: أوّل اصطدام بين فرق النّمال الصهباء وسكّان المدينة الذهبيّة، في سنة 100000667 بحسب التقويم الفيدرالي.

المكتبة الكيميائيّة: ابتكار حديث، وهو مكان لتخزين فيرومون الذاكرة.

موكسيلوكسون: عُشّ أَرَضَة فتي يقع على ضفّة نهر «مانجتو».

مِليَس جاك: إصبع ذكر. تغطي جسده شُعيرات مفرطة القصر.

نار: يحظّر استخدام النار بموجب اتفاقيّة ضمّت معظم الحشرات.

نحلة: جيران طائرون. يتواصل النّحل بواسطة الرقصة الدوّارة على شكل معلّق أو بالرقص على الشمع.

ويلز إدمُون: أوّل إصبع فهم من هو النّمل.

ويلز ليتيسيا: إصبع أنثى. شُعيرات طويلة.

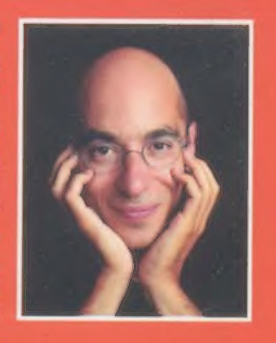
الشكر إلى:

جيرار ودانيال أمـزالاغ، دافيد بوشار، فابريس كوجيه، هارفي دوزانج، د. ميشال دوزيرالد، باتريك فليبيني، لوك غومال، جوال هرسان، إيرينا هنري، كريستين جوسيه، فريدريك لونورمان، ماري لاغ، إيريك نتّاف، البروفيسور باسرا، أوليفييه رانسون، جيل رابوبور، رِن سيلبير، إيريت ودوتان سلومكا.

ملحوظة: في ذهني أيضاً جميعُ الأشجار التي زوّدَتْ صناعة كتابيّ «*النّمل*» و«*يومُ النّمل*» بعجينة الورقِ الضروريّة. دونها ما كانَ لشيء أن يكون ممكناً.

الفهرست

"يُحصين بمليارات المليارات. لا نكاد نلحظهنّ، مع أنهنّ يترقّبننا منذ زمن طويل. بالنسبة لبعضهنّ نحن آلهة. بالنسبة لأخريات لسنا سوى كائناتٍ شريرة. بذكاء وتنظيم عجيب لا يقلّ عن أكثر الجيوش إرعاباً، يتهيأن لمعركة لا هوادة فيها. فمن هم الذين سيكونون أسياد الأرض الحقيقيّين؟ بقاؤهنّ على قيد الحياة رهنٌ بجواب هذا السؤال. وبقاؤنا أيضاً. فهل حقاً... أتى (يومُ النّمل)؟"



مع حفاظه على توهّج العالم الذي خلقه في رواية "النّمل"، يوغل بنا برنار فيربير أبعد وأعمق في عالم (سكان داخل الأرض) عبر كتابه "يومُ النّمل". متخذاً اتّجاهاً معاكساً عمّا رأيناه في الكتاب الأوّل من انجذاب بشريّ إلى عالم النمل تمثّل في النزول إلى قبو غامض، إذ نجد النّمل هنا يقتحم العالم البشريّ بقوة، مزوّداً بأسئلة تدفع إلى التلعثم... ثم الصمت، عبر حبكة تشويقية مشغولة بحرفيّة عالية. ومعلومات عجائبية يعجُّ بها الكتاب كمَنْملةٍ، إلا أنّها ...حقيقية. كما تسمو بعض المقاطع بشاعريّة مرهفة وشفّافة. لا يخلو الكتاب أيضاً من فكاهة ممتعة غير مجانيّة تنجم عن السذاجة الطفوليّة للنملات، أو حين يجد الإنسان نفسه في أحداث تتجاوز مداركه، أو بسبب غير معقوليّة بعض الأحداث التي تبررها الواقعيّة المرنة التي يتصف بها أدب الخيال العلميّ. مجمل هذه العناصر مع أشياءَ أخرى جعلت من هذا الكتاب -العميق دون تجهّم -يُقرأ دفعة واحدة رغم عدد صفحاته الكبير.

حين سُئل برنار فيربير: لماذا "يومُ النّمل"؟ أجاب: حين شعرتُ أنّ رسالتي لم تصلْ تماماً، والتي لا تتناول النمل في الواقع، بل الإنسان، أدركتُ أنّ عليّ أن أفسّر في كتاب يكون أكثر دقّة من "النّمل".

تُرجمتْ رواية "يومُ النّمل" إلى أكثر من خمسٍ وثلاثين لغةً، وتوّجت بالجائزة الكبرى لقارئات مجلّة (Elle)، كما تمّ إدراجها للطلاب ضمن بعض صفوف اللغة الفرنسيّة، والفلسفة، وحتى... الرياضيّات. تتعدّى أحداثها موضوع النّمل، إنّها أوديسّة حقيقيّة، كتابُ رحلة صوبَ اكتشاف الذات، يدفعنا للتفكير بمنزلتنا حقّاً... من نحن وماذا نساوي في المطلق؟

ولدَ برنار فيربير سنة 1961 في مدينة تولوز الفرنسيّة. أنهى دراسة الحقوق والصحافة في المدينة ذاتها. ثمّ أصبح محرراً للأخبار العلمية لصالح عدّة مجلات، ووصل إلى المرحلة الأخيرة في جائزة (Mumm) لأفضل صحفي في فرنسا. أمّا بدايته كروائي فكانت سنة 1991 مع صدور رواية "النّمل" التي عرفت نجاحاً عالمياً مدوّياً، ونالت في السنة ذاتها جائزة قرّاء (Sciences et Avenir).


ISBN 978-2843090417
9 782843 090417